



نفحات الرحمن

في تفسير القرآن

تأليف الشيخ محمد بن عبد الرحيم النهاوندی

تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة

المجلد السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



نفحات الرحمن في تفسير القرآن

تأليف
الشيخ محمد بن عبد الرحيم النهاوندي
(١٢٩١-١٣٧١هـ)

الجزء السادس

تحقيق
قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم

مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة

اسم الكتاب: نفحات الرحمن في تفسير القرآن ج٦

تأليف: الشيخ محمد عبدالرحيم النهاوندي (١٢٩١ - ١٣٧١ هـ)

تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم

الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ. ق

الكمية: ٢٠٠٠ نسخة

التوزيع: مؤسسة البعثة

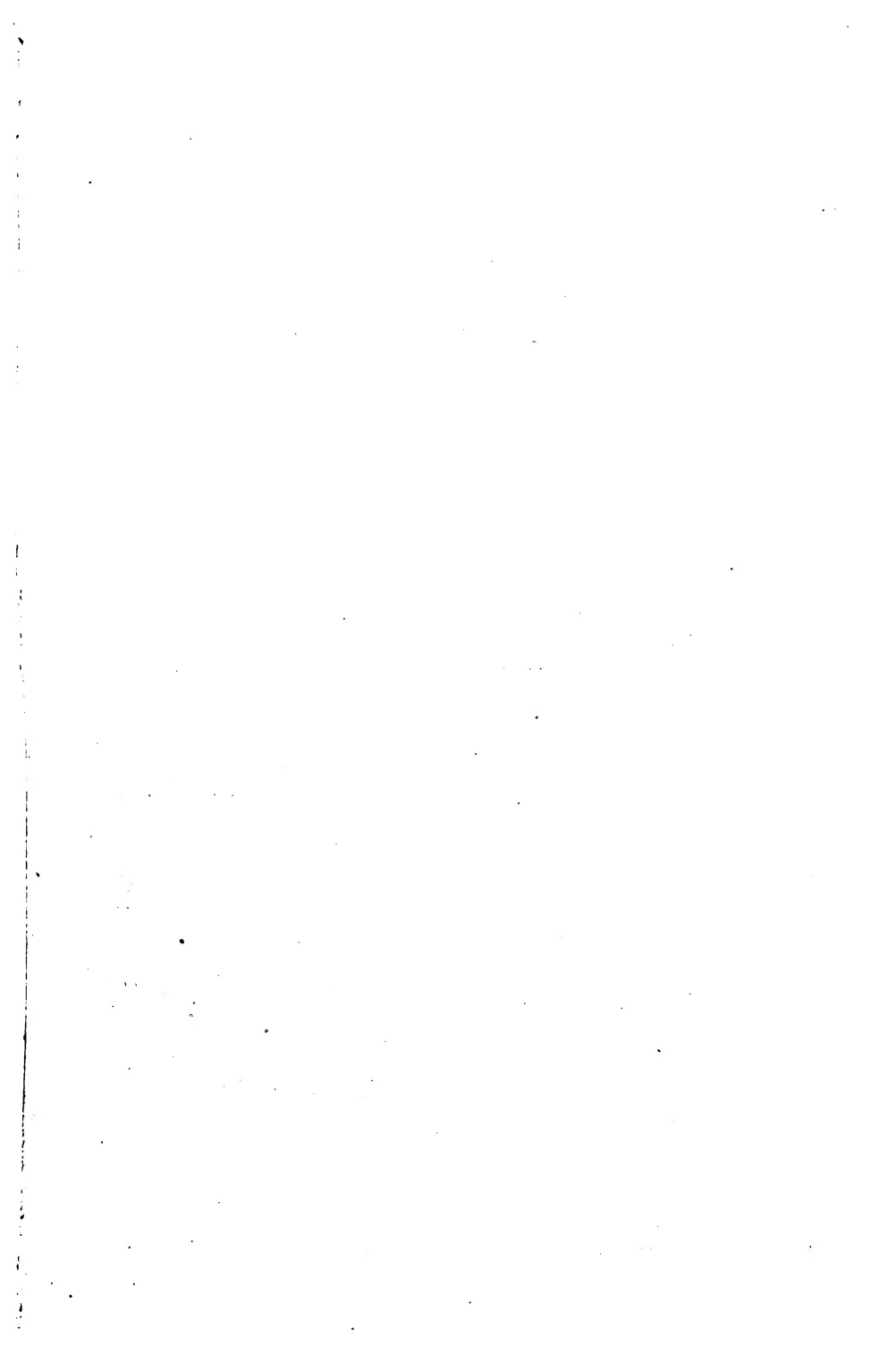
طهران - شارع سمیة - بین شارعی الشهيد مفتاح وفرصت

هاتف: ٨٨٢٢٢٤٤ - ٨٨٢٢٣٧٤، فاكس: ٨٨٢١٣٧٠، ص. ب: ١٣٦١/١٥٨١٥

بيروت - ص. ب: ٢٤/١٢٤، تلکس: ٤٠٥١٢ كمك

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة لمؤسسة البعثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



في تفسير سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ [١ و ٢]

ثُمَّ لَمَّا خُتِمَتِ سُورَةُ الْفَتْحِ الْمُبْتَدَأَةِ بِبَيَانِ فَتْحِ مَكَّةَ وَالطَّافِ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَمُتَّعْ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^١ والمختمة ببيان مقامه، وبيان فضائل أصحابه، وكونهم رُحماء بينهم، أردفت بسورة الحجرات المبتدئة بإيجاب حفظ احترام النبي ﷺ وتعظيمه، وتعليم أدب حضوره، وبيان وظيفة المؤمنين وتعليم كيفية سلوك بعضهم مع بعض، ووجوب الإصلاح بينهم إذا تخاصموا وتنازعوا، وغير ذلك من المطالب المناسبة لما في السورة السابقة، فابتدأها بذكر الأسماء الحُسنى حسب دأبه تعالى تعليماً للعباد وتبركاً بقوله تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثُمَّ لَمَّا كَانَتِ السُّورَةُ مُشْتَمِلَةً عَلَى التَّكْلِيفِ الشَّاقَةِ، ابْتَدَأَهَا بِالنَّدَاءِ شَفَاهِيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لِيُزِيلَ التَّعَبَ وَالْعَنَاءَ بِلَذَّةِ النَّدَاءِ، وَلِيُنَشِّطَ قُلُوبَهُمْ بِتَوْصِيْفِهِم بِالْإِيمَانِ، وَلِيُبَيِّنَ أَنَّ امْتثالَهَا مِنْ لَوَازِمِهِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ بَاعِثٌ عَلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، رَادِعٌ عَنِ الْإِحْلَالِ بِهَا.

ثُمَّ شَرَعَ سُبْحَانَهُ فِي بَيَانِ وَظَائِفِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بقوله: ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾ أنفُسكم فِي الْمَشْيِ، أَوْ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَا تَقْطَعُوهُ ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَأَمَامَهُمَا، وَذَكَرَ ذَاتَهُ الْمَقْدَسَةَ بِاسْمِ الْجَلَالَةِ لِتَعْظِيمِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ الْمَرَادُ بِحَضْرَتِهِمَا وَفِي مَنْظَرِهِمَا، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَحْكُمَا بِهِ وَيَأْذَنَّا فِيهِ ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ الْعَظِيمَ الَّذِي أَنْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَفِي مَنْظَرِهِ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِأَقْوَالِكُمْ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِضَمَائِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

قِيلَ: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي النَّهْيِ عَنِ الذَّبْحِ يَوْمَ الْأَضْحَى قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ نَاسًا ذَبَحُوا قَبْلَ صَلَاةِ

النَّبِيِّ ﷺ^٢.

وعن البراء أنه خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، فقال: «إِنْ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَرْجِعَ وَنَحْرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُتُنًا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَأِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ عَجَلُهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ التُّسْكِ فِي شَيْءٍ»^١.

وعن عائشة: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الشُّكِّ، وَالْمَعْنَى لَا تَصُومُوا قَبْلَ أَنْ يَصُومَ نَبِيِّكُمْ^٢. وعن الحسن: لَمَّا اسْتَقَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، أَتَتْهُ الْوُفُودُ مِنَ الْأَفَاقِ، فَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ بِالْمَسَائِلِ، فَهَوَّاهُ عَنْ أَنْ يَبْتَدِئَ بِالسَّأَلَةِ حَتَّى يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْمَبْتَدِئُ^٣، وَالظَّاهِرُ وَالْإِعْتِبَارُ مُقْتَضِي لِأَنْ يَكُونَ النَّهْيُ عَنْ كُلِّ مَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ سِوَاهُ كَانَ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ، كَالْأَكْلِ وَالْمَشْيِ وَغَيْرِهِمَا. كَرَّرَ النَّدَاءَ بِقَوْلِهِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أَزْدِيَادًا لِإِظْهَارِ اللَّطْفِ بِهِمْ وَالِاهْتِمَامِ بِالْمُنَادَى لَهُ وَاسْتِقْلَالِهِ «لَا تَرْفَعُوا» وَلَا تَعْلُوا «أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ» فِي تَكَلُّمِكُمْ عِنْدَهُ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَأَذُّبًا مِنْهُ.

روى بعض العامة عن عبدالله بن الزبير: أَنَّ الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَى قَوْمِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: لَا نَسْتَعْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ اسْتَعْمَلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبُدٍ. فَتَكَلَّمَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي. فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ. فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، فَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا تَكَلَّمَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَسْمَعُ كَلَامَهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: آلَيْتَ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَكَلِّمَ النَّبِيَّ ﷺ إِلَّا سِرًّا^٤.

أقول: العجب من العامة القائلين بأفضلية الرجلين على أمير المؤمنين عليه السلام، وروايتهم عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ، وَمَا غَرَبَتْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ خَيْرٌ - أَوْ أَفْضَلُ - مِنْ أَبِي بَكْرٍ»^٥ مَعَ أَنَّهُمْ رَوَوْا نَزُولَ كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ فِي رَدِّ الرَّجُلَيْنِ عَنْ زِلَاتِهِمَا، وَلَمْ يُرَوْا نَزُولُ آيَةٍ فِي رَدِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ زَلَّةٍ، بَلْ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِيهِ إِلَّا وَفِيهَا مَدْحَةٌ وَبَيَانُ فَضْلِهِ.

وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [٢]

ثم إنَّه تعالى بعد النهي عن تعلية الصوت على صوت النبي ﷺ حين مكالمته، نهى عن تسوية الصوت في الجهر لصوته بقوله: «وَلَا تَجْهَرُوا» أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ «لَهُ» بِصَوْتِكُمْ

٢. تفسير روح البيان ٩: ٦٢.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٦٣.

١. تفسير روح البيان ٩: ٦٢.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٦٢.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٦٢.

﴿بِالْقَوْلِ﴾ إذا كلمتموه^١ وكلمكم ﴿كَجَهْرِ بَغْفِكُمْ﴾ بصوته عند مخاطبتكم ﴿لِبَغْضٍ﴾ آخر، بل أجعلوا أصواتكم عند مكالمته أخفض من صوته، مراعاةً لجلالته وعظمته، كما هو الأدب في مخاطبة العبد الذليل لسيده العظيم المهيب كراهة ﴿أَنْ تَخْبَطَ﴾ وتبطل ﴿أَعْمَالُكُمْ﴾ فإن عدم الاعتناء بشأن النبي ﷺ وتحفيره مؤذ إلى الارتداد الموجب لرد الأعمال وعدم قبولها ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ بأن مخالفة هذا النهي مؤذ إلى الكفر حبط الأعمال.

روى بعض العامة عن ابن عباس: أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، فإنه كان في أذنيه قرع، وكان جهوري الصوت، وربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته^٢.

وعن أنس: أنه لما نزلت هذه الآية فقد ثابت، فتفقده رسول الله ﷺ، فأخبر بشأنه، فدعاه ﷺ فسأله، فقال: يا رسول الله، لقد أنزلت إليك هذه الآية، وإني رجلٌ جهير الصوت، فأخاف أن يكون عملي قد خبط. فقال: «لست هناك، إنك تعيش بخير، وتموت بخير، وإنك من أهل الجنة»^٣. قيل: إنه قُتل شهيداً يوم مُسَيْلَمَةَ الكَذَابِ^٤.

وقيل: إن الفرق بين النهيين، أن النهي عن رفع الصوت فيما إذا تكلمتم وتكلم النبي ﷺ، فعلى المؤمنين أن لا يتلغوا بأصواتهم فوق الحد الذي يبلغ إليه صوت النبي ﷺ، وأن يَغْضُوا من أصواتهم بحيث يكون صوت النبي عالياً على أصواتهم، والنهي عن الجهر فيما إذا كلمه المؤمنون وهو ساكت، فنهى المؤمنين عن أن يتلغوا بالجهر في القول الجهر الدائر بينهم، بل يجب عليهم أن يلينوا القول ليناً يُقَارِبُ الهمس^٥.

وعن الكاظم عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ لما قَدِمَ المدينة، وكثر حوله المهاجرون والأنصار، كثرت عليه المسائل، وكانوا يُخاطبونه بالخطاب العظيم الذي لا يليق به، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾ الآية وكان رسول الله ﷺ بهم رحيماً، وعليهم عطفاً، وفي إزالة الأثام عنهم مجتهداً، حتى إنه كان ينظر إلى من يُخاطبه، فيعبد على أن يكون صوته مرتفعاً على صوته، ليزيل عنه ما توعده الله من خبط أعماله، حتى إن رجلاً أعرابياً ناداه يوماً من خلف حائط بصوت جهوري: يا محمد، فأجابه بأرفع من صوته، يُريد أن لا يأنم الأعرابي بارتفاع

١. في النسخة: تكلمتموه.

٢. جوامع الجامع: ٤٥٦، تفسير روح البيان ٩: ٦٤، تفسير الصافي ٥: ٤٧.

٣. جوامع الجامع: ٤٥٦، تفسير روح البيان ٩: ٦٥، تفسير الصافي ٥: ٤٨.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٦٤.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٦٥.

صوته^١.

وعن القمي عليه السلام: نزلت في وفد من بني تميم، كانوا إذا قَدِموا على رسول الله ﷺ وقفوا على باب حُجْرته، ونادوا يا محمد، اخرج إلينا، وكانوا إذا خرج رسول الله ﷺ تقدّموه في المشي، وكانوا إذا كلّموه^٢ رفعوا أصواتهم فوق صوته، ويقولون: يا محمد، يا محمد، ما تقول في كذا؟ كما يكلمون بعضهم بعضاً، فأنزل الله [الآية]^٣.

إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ
لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ [٣-٥]

ثم إنه تعالى بعد ترهيب المؤمنين من مخالفة نهيهِ، رَغَّبَهُمْ في امثالهِ بقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ﴾ ويخفّضون ﴿أَصْوَاتَهُمْ﴾ حين تكلمهم ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ وفي حضوره مراعاة للأدب، وخشية من مخالفته نهي الله عن رفع الصوت فوق صوته، والجهر له بالقول ﴿أُولَئِكَ﴾ المؤمنون هم ﴿الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ وأخلصها ﴿لِلتَّقْوَى﴾ ووسعها له، أو مرّنها عليه ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿مَغْفِرَةٌ﴾ وستركامل لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لا يسع البيان حسنه وقدره.

ثم ذمّ الله سبحانه الرافعين أصواتهم المسيئين للأدب بالنسبة إلى النبي بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ وخارج البيوت المسكونة لأزواجك حين استراحتك فيها ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ولا يدركون قباحة سوء الأدب بالنسبة إلى من لا يذانيه أحد من الأولين والآخرين في الجلالة والعظمة ووخامة عاقبته. وقيل: الأكثر هنا بمعنى الكل^٤ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ وتوقّفوا خارج الحُجُرَات، ولم يُنادونك ﴿حَتَّى تَخْرُجَ﴾ من حُجْرَتِكَ متوجّهاً ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا إلى غيرهم، والله ﴿لَكَانَ﴾ ذلك الصبر والتوقّف، وترك التعجيل والدناء ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ وأصلح وأنفع في الدنيا والآخرة من التعجيل في لقائك، ورفع الصوت بندانك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنب أولئك المسيئين للأدب إن تابوا وتذبّدوا على ما صدر منهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم إن صلّحوا.

قيل: إن الذين نادوا الرسول عيّنه بن الحُصَيْن الفَزَارِي، والأقرع بن حابس التميمي، وفدا على

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٣٠٥/٤٧٧، تفسير الصافي ٥: ٤٨.

٢. في النسخة تكلموه.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٦٨.

٤. تفسير القمي ٢: ٣١٨، تفسير الصافي ٥: ٤٧.

رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من بني تميم وقت الظهيرة، وهو راقد، فقالوا: يا محمد، اخرج إلينا، فنحن الذين مَدَحْنَا زَيْنَ وَذَمْنَا شَيْنَ، فاستيقظ ﷺ، فخرج وقال لهم: «ويحكم ذلكم الله»^١.

وَرَوَى أَنَّهُ سَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ فَقَالَ: «هَمْ جُفَاءَ بَنِي تَمِيمٍ، لَوْلَا أَنَّهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ قِتَالًا لِلْأَعُورِ الدِّجَالِ، لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يُهْلِكَهُمْ، فَزَلَّتِ الْآيَةُ ذِمًّا لَهُمْ»^٢.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى حِي بَنِي الْعَنْبِرِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عُيَيْنَةَ بْنَ الْحُصَيْنِ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَهُمْ هَرَبُوا وَتَرَكَوْا عِيَالَهُمْ، فَسَبَاهُمْ عُيَيْنَةُ، وَقَدَّمَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ رِجَالُهُمْ يَفْدُونَ الذَّرَارِي، فَقَدِمُوا وَقْتُ الظَّهِيرَةِ، فَوَافُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتِلًا فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ الذَّرَارِيُّ أَجْهَشُوا إِلَى آبَائِهِمْ يَبْكُونَ، وَكَانَ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْتٌ وَحُجْرَةٌ، فَجَعَلُوا يَنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ، اخْرُجْ إِلَيْنَا، حَتَّى يَقْضَوْهُ مِنْ نَوْمِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، فَادْنَا عِيَالَنَا. فَزَلَّ جَبْرِئِيلُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ رَجُلًا.

فَقَالَ ﷺ: «أَتَرْضُونَ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ سَبْتَةٌ بَنَ عَمْرٍو، وَهُوَ عَلَى دِينِكُمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ سَبْتَةٌ: أَنَا لَا أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وَعَمِي شَاهِدٌ، وَهُوَ أَعُورٌ بَنَ شَامَةَ بْنِ زُرَّارٍ. فَرَضُوا بِهِ.

فَقَالَ الْأَعُورُ: فَأَنَا أَرَى أَنْ تُفَادِيَ نَصْفَهُمْ، وَتُعْتَقَ نَصْفَهُمْ. فَقَالَ ﷺ: «قَدْ رَضِيتُ» ففَادَى نَصْفَهُمْ، وَأَعْتَقَ نَصْفَهُمْ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: «وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» لِأَنَّكَ كُنْتَ تُعْتَقُهُمْ جَمِيعًا وَتُطْلِقُهُمْ بِلَا فِدَاءٍ^٣.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [٦]

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ تَعْلِيمِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَدَبَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ عَلِمَهُمْ كَيْفِيَةَ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ، فَابْتَدَأَ بِكَيْفِيَةِ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ الْفَاسِقِ بِقَوْلِهِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ» وَأَنْبَأَكُمْ «فَاسِقٌ» مِنَ الْفَسَاقِ «بِنَبَأٍ» وَأَخْبَرَكُمْ بِخَبَرٍ يَعْظُمُ وَقَعُهُ فِي الْقُلُوبِ، كَالْإِخْبَارِ بِإِرَادَةِ قَوْمٍ قِتَالِكُمْ «فَتَبَيَّنُوا» وَتَفَحَّصُوا عَنْ صَدَقِهِ وَكَذِبِهِ حَتَّى تَظْهَرَ حَقِيقَةُ الْحَالِ، وَلَا تَعْتَمِدُوا عَلَى خَبَرِهِ، فَإِنَّ مَنْ لَا يَحْتَرِزُ عَنِ الْفِسْقِ لَا يُؤْمِنُ مِنَ الْكُذْبِ، فَيَكُونُ فِي تَحْقِيقِ الْحَالِ مِنَ الْحَذَرِ «أَنْ تُصِيبُوا» أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَتَضُرُّوا «قَوْمًا» مِنَ الْمُسْلِمِينَ «بِجَهَالَةٍ» وَبِسَبَبِ عَدَمِ الْعِلْمِ بِوَاقِعِ الْحَالِ، وَعَدَمِ طَرِيقِ عَقْلَانِي دَالٍّ

٢. تفسير روح البيان ٩: ٦٨.

١. تفسير روح البيان ٩: ٦٧.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٦٨.

عليه، أو بسفاهةٍ وعدم رعاية حكم العقل ﴿فَتَصَيِّحُوا﴾ وتصيروا بعد ظهور خطأكُم ﴿هَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الإضرار على القوم ﴿نَادِيَيْنَ﴾ مغتَمَيْنَ متمنَيْنَ عدم صدور ذلك الفعل منكم.

في بعض مطاعن عثمان عثمان روي أنَّ الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط أخا عثمان بن عفان لأُمِّه، بعثه النبي ﷺ إلى بني المُصْطَلِقِ ليأخذ صدقاتهم ويُجبي زكاتهم، وكان بينه وبينهم إحنة^١ وحقدٌ كامنٌ

في الجاهلية بسبب دمٍ، فلَمَّا سَمِعُوا بقدومه استقبلوه رُكبَاناً، فحسب أنهم مقاتلوه، فرجع هارباً منهم، وقال لرسول الله ﷺ: إنهم قد ارتدوا، ومنعوا الزكاة، وهُمُوا يقتلي، فَهَمَّ رسول الله ﷺ في الظاهر بقتالهم، فنزلت الآية^٢.

وقيل: إنه ﷺ بعث إليهم خالد بن الوليد بعد رجوع الوليد بن عُقبة عنهم في عسكر، وقال له: اخبِ عنهم قدومك بالعسكر، وادخل عليهم ليلاً متجسساً، هل ترى فيهم شعائر الاسلام وآدابه، فان رأيت منهم ذلك فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فافعل بهم ما يُفعل بالكفار، فجاءهم خالد وقت المغرب فسَمِعَ منهم أذان المغرب والعشاء، ووجدهم مجتهدين بأذنين وسعهم ومجهودهم في امثال أمر الله، فأخذ منهم صدقاتهم، وانصرف إلى رسول الله ﷺ [وأخبره الخبر فنزلت: ﴿أَنْ تَصَيِّبُوا...﴾]^٣.

أقول: من مطاعن عثمان أنه ولَّى هذا الوليد الفاسق الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فصلَّى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً، ثم قال: هل أزيدكم؟ ومن الواضح أنه لم يكن حاله خفياً على عثمان مع كونه أخاه.

ويدلُّ على كون المراد من الفاسق هو الوليد بن عُقبة ما روى في (الاحتجاج) عن الحسن المجتبي عليه السلام - في حديث - أنه قال: «وأما أنت يا وليد بن عُقبة، فوالله ما ألوَمَك على أن تُبغِضَ علياً وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم كيف لا تُسبِّه وقد سمَّاه الله مؤمناً في عشر آيات من القرآن، وسمَّاك فاسقاً وهو قوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمُ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾... الآية»^٤. وعن القمي رحمه الله: نزلت في عائشة حين رَمَتْ مارية القبطية، وأثمَّها بِجُريح القبطي، فأمر رسول الله بقتل جُريح ليُظهر كذبها، وترجع عن ذنبها^٥.

أقول: لعل المراد من النزول جريانها في حقها.

في الاستدلال على حجة خير الواحد ثم أعلم أن العامة وكثيراً من الخاصة استدلُّوا بالآية المباركة على حجية خبر العدل

٢ و ٣. تفسير روح البيان ٩: ٧٠.

٥. تفسير القمي ٢: ٣١٨، تفسير الصافي ٥: ٤٩.

١. الإحنة: الجفد والضعف.

٤. الاحتجاج: ٢٧٦، تفسير الصافي ٥: ٤٩.

الواحد، حيث رُتب وجوب التبيين على كون المخبر فاسقاً، ولو لم يجز قبول خبر العادل، لما كان للترتيب على خبر الفاسق فائدة، وتقريره أن تعليق وجوب التبيين على خبر الفاسق، يقتضي انتفاء الوجوب عند انتفاء الفسق في المخبر، وهو بكون المخبر عادلاً، وحينئذٍ فإما نقول بعدم قبول خبره ولو مع التبيين، بمعنى كون التبيين لغواً في مورده، فيلزم كون خبر العادل أسوأ حالاً من خبر الفاسق، وهو باطل، مع أن التبيين سبب لليقين بصدقه، ولا معنى لعدم قبول الخبر المتيقن الصدق. وإما نقول بوجوب قبول خبره بلا تبيين، فهو المطلوب، وفيه أن الاستدلال مبني على القول بحجية مفهوم الوصف، وتعليق الحكم عليه، وهو ممنوع، كما حُقق في محله.

نعم لو تمسك بمفهوم الشرط، بأن يقال: إن الآية نظير قولك: إن جاءك زيد سائلاً فأعطه درهماً، فإن مفهومه إن جاءك غير سائل فلا تعطه، وفيه: أن الشرط هنا لبيان تحقق الموضوع، كقولك: إن رُزقت ولداً فاخذه، وهذه القضية الشرطية لا مفهوم لها إلا أن يقال الموضوع هو النبأ، والمعنى: النبأ إن جاء به الفاسق فتبينوا، وإن جاء به غير الفاسق، وهو العادل، فلا تبينوا.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلَّ اللَّهُ نِعْمَةً وَأَلَّاهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [٨ و ٧]

ثم لما أخبر الوليد بقيام بني المصطلق لقتال المسلمين، رأى جمع من الأصحاب تجهيز الجيش وإصابتهم، وكانوا يتوقعون أن رسول الله ﷺ يتبع رأيهم، فردعهم عن هذا التوقع بقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ أيها المسلمون ﴿أَنَّ﴾ محمداً الذي يكون ﴿فِيكُمْ﴾ ويعيش بينكم كأحدكم هو ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ العالم بحقائق الأمور، المحيط بجميع المصالح والمفاسد، فلا تتوقعوا منه أن يتبع آراءكم ويطيعكم في أهوائكم، تنزيلاً له عن شأنه، وحسبنا أنه كأحدكم، جهلاً بمقامه، فإنه ﷺ ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ ويتبع آراءكم ﴿فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ وغالب الوقائع بالله ﴿لَعَنِتُمْ﴾ وابتليتُم بالمفاسد، ووقعتُم في المهالك أو المشاق، لجهلكم وقصور فهمكم وعقلكم، ولا تنوهموا أنكم لكمال عقلكم وجودة أفهامكم وتنوّر أفكاركم، اخترتم الإيمان، واحترزتم عن الكفر والفسق والعصيان، وتستدلون به على إصابة رأيكم في جميع الأمور، وحسن أنظاركُم في تشخيص المصالح ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾ برحمته ولطفه عليكم ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ بالله ورسوله، ورغبكم إليه ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وحسنه في ضمائركم بإقامة البراهين القاطعة، وإراءة المعجزات الباهرة، وتوفيقكم لقبوله، وتبيينه على فوائده ﴿وَكَرَّهَ﴾

إِيْنَكُمْ» وأبغض لديكم «الْكُفْرُ» والشُّرك «وَالْفُسُوقُ» والكذب على ماروي عن الباقر عليه السلام^١ «وَالْعِصْيَانُ» ومخالفة أحكام الله كافة.

عن الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ عن الحبِّ والبغض أهو من الايمان؟ قال: «وهل الإيمان إلا الحبِّ والبغض» ثم تلا هذه الآية^٢.

ثم مدح سبحانه المحيِّين للايمان، المبغضين للكفر والعصيان بقوله: «أُولَئِكَ» الموصوفون بتلك الصفتين الجليلتين «هُمْ الْأَرْشِدُونَ» والمهتدون إلى الطريق الموصول إلى قُرب الله وجنته التي وعد المتقون، وإنما ذلكم الحبِّ والبغض يكون «فَضْلًا» وإحساناً «مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً» عظيمةً منه تعالى «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بقابليات الأشخاص و «حَكِيمٌ» في أفعاله، لا يُعطي أحداً إلا بالاستحقاق.

عن الصادق عليه السلام في تأويل الآية: «حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيْمَانُ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ» يعني أمير المؤمنين عليه السلام «وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» يعني الأول والثاني والثالث^٣.

أقول: تحقيقه أن حبَّ الايمان عين حبِّ أمير المؤمنين عليه السلام، لكونه عليه السلام مُجَسِّمَ الايمان، وبُغض أعمال الثلاثة عين بُغض الثلاثة الذين هم مُجَسِّمَتِهَا.

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِلُوا آلِيَهُنَّ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [٩]

ثم لما بيَّن سبحانه عدم جواز الاعتماد على خبر الفاسق المورث لإثارة الفتنة بين المسلمين ووقوع القتال فيهم، بيَّن حكم القتال الواقع بينهم، ورغب في الإصلاح بقوله: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» وجمعان منهم «اقْتَتَلُوا» وتنازعا في أمرٍ من الأمور الدينية أو الدنيوية، والجمع باعتبار الأفراد، فإنهم يقتتلون «فَأَصْلَحُوا» بالوعظ والنصح والتهديد وبذل المال وغيرها «بَيْنَهُمَا» حفظاً لنفوسهما، وردعاً لهم عن المنكر.

بيان فضيلة الإصلاح عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا بين المؤمنين رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين»^٤.

«فَإِنْ بَغَتْ» وتعدت «إِحْدَاهُمَا عَلَى» الطائفة «الْأُخْرَىٰ» ولم ترتدع بالوعظ

١. مجمع البيان ٩: ٢٠٠، تفسير الصافي ٥: ٤٩. ٢. الكافي ٢: ٥/١٠٢، تفسير الصافي ٥: ٥٠.

٣. تفسير العمي ٢: ٣١٩، الكافي ١: ٧١/٣٥٢، تفسير الصافي ٥: ٥٠. ٤. تفسير روح البيان ٩: ٧٣.

وَالنَّصَحَ وَغَيْرَهُمَا «فَقَاتِلُوا» أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الطَّائِفَةُ «الَّتِي تَبْغِي» وَتَتَعَدَّى عَلَى الطَّائِفَةِ الْآخَرَى «حَتَّى تَقْبَى» وَتَرْجِعَ الطَّائِفَةُ الْبَاغِيَةَ «إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» جَبْرًا، «فَإِنْ فَاءَتْ» وَانْقَادَتْ لِحُكْمِهِ قَهْرًا، مِنْ وَجوب كَفِّ الْيَدِ عَنْ قِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالتَّحَذُّرُ عَنِ الْبَغْيِ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنِ الْقِتَالِ «فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ» وَالْإِنْصَافِ، وَاحْسِمُوا مَادَةَ النِّزَاعِ وَالْفَسَادِ بِإِجْرَاءِ حُكْمِ اللَّهِ، وَإِحْقَاقِ حَقِّ الْمَظْلُومِ، وَمَنْعِ الظَّالِمِ عَنْ ظُلْمِهِ، عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ.

وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْقِتَالِ مِظَنَّةُ الْحَقِّدِ وَالْحَيْفِ، قَيَّدَ الصَّلَاحَ بِالْعَدْلِ، وَأَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَقْسِطُوا» وَاعْدِلُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ «إِنَّ اللَّهَ» عَادِلٌ «يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» وَالْعَادِلِينَ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ مَرَّ يَوْمًا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فِيهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْمُنَافِقِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاكِبٌ عَلَى حِمَارِهِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ يَعْظُمُهُمْ، فَبَالَ حِمَارُهُ - أَوْ رَاثٌ - فَأَمْسَكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَأْفَنِهِ، وَقَالَ: نَحْنُ عَنَا تَنْ حِمَارَكَ. فَقَدْ أَذَيْتَنَا بَشْتَنَهُ، فَمِنْ جَاءَ مَنَّا فِعْظُهُ. فَسَمِعَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: أَلَحِمَارِ رَسُولِ اللَّهِ تَقُولُ هَذَا؟ وَاللَّهِ إِنْ بُولَ حِمَارِ رَسُولِ اللَّهِ أَطْيَبَ رَائِحَةً مِنْكَ. فَمَرَّ ﷺ، وَطَالَ الْكَلَامُ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخَزْرَجِيِّ الْمُنَافِقِ، وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ الْأَوْسِيِّ، حَتَّى اسْتَبَا وَتَجَالَدَا، وَجَاءَ قَوْمٌ كُلُّهُمْ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَتَجَالَدُوا بِالْعَصِيِّ، أَوْ بِالنَّعَالِ وَالْأَيْدِي، أَوْ بِالسِّيفِ، فَتَنَزَلَتِ الْآيَةُ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ^١.

وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ مِنْكُمْ مَنْ يِقَاتِلُ عَلَى التَّأْوِيلِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى التَّنْزِيلِ، فَسُئِلَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: خَاصِفُ النَّعْلِ - يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ: قَاتَلْتُ بِهَذِهِ الرَّايَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا، وَهَذِهِ الرَّايَةُ، وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يُبْلِغُونَا سَعَفَاتِ هَجْرٍ، لَعَلَّمَنَا أَنَا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ. وَكَانَتِ السَّيْرَةُ فِيهِمْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ [مَكَّةَ]^٢.

عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا جَاءَ تَأْوِيلُ الْآيَةِ يَوْمَ الْبَصْرَةِ، وَهُمْ أَهْلُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ الْوَاجِبُ قِتَالَهُمْ وَقَتْلَهُمْ حَتَّى يَفِيثُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ». إِلَى أَنْ قَالَ: «فَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَعْدِلَ فِيهِمْ، حَيْثُ كَانَ ظَفَرُ بِهِمْ، كَمَا عَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَهْلِ مَكَّةَ، إِنَّمَا مَنْ وَغَفَا، وَكَذَلِكَ صَنَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ»^٣.

١. تفسير روح البيان ٩: ٧٤.

٢. تفسير القمي ٢: ٣٢١، الكافي ٥: ٢/١١، التهذيب ٦: ٢٣٠/١٣٧، تفسير الصافي ٥: ٥٠.

٣. الكافي ٨: ٢٠٢/١٨٠، تفسير الصافي ٥: ٥١.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [١٠]

ثم حث سبحانه المؤمنين إلى الإصلاح بين المقاتلين والمنازعين منهم بقوله: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ» فقط «إِخْوَةٌ» وأشخاص متحابون، كالمستبين إلى أبٍ واحد وأمٍ واحدة.

روي عن النبي ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يَشْتُمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج [عن] مسلم كُرْبَةً فرَّج الله عنه بها كُرْبَةً من كُرْبَات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^١.

عن الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، لأن الله خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى في صوركم من ريح الجنة»^٢.

وعنه عليه السلام أنه سُئل عن تفسير هذا الحديث: «المؤمن ينظر بنور الله» فقال: «إن الله خلق المؤمنين من نوره، وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرفهم نفسه، فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور، وأمه الرحمة، وإنما ينظر بذلك النور الذي خُلِقَ منه»^٣.

أقول: يُمكن أن يكون وجه آخر لأخوتهم، وهو أن ولادتهم الايمانية من الرسول والوصي عليهما السلام، كما قال: «أنا وعليّ أبوا هذه الأمة»^٤.

وعنه عليه السلام: المؤمن أخ المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يعيبه، ولا يعده عِدَّةً فيخلفه^٥. ثم رتب سبحانه على أخوتهم ما هو من لوازمها، وهو كون كلٍّ منهم مجدداً في تحصيل صلاح الآخر بقوله تعالى: «فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» وأرفعوا التنازع منهم، وحصلوا التوادد والرحمة فيهم «وَاتَّقُوا اللَّهَ» في جميع الأمور التي منها ما أمرتم به من الإصلاح وإيجاد التراحم بين المؤمنين «لَعَلَّكُمْ» من قبل ربكم «تُرْحَمُونَ» على إحسانكم بهم وتقواكم من الله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا

نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ [١١]

ثم إنَّه تعالى بعد بيان وظيفة المؤمنين بالنسبة إلى الظالم والمظلوم منهم، ووجوب إحقاق حق المظلوم، نهى عن إهانة المؤمن بذكر ما يُوجب وهنه وتحقيره بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» اعلّموا

١. مجمع البيان ٩: ٢٠٠، تفسير روح البيان ٩: ٧٨.

٢. الكافي ٢: ١٣٣/٧، وتفسير الصافي ٥: ٥١، عن الباقر عليه السلام.

٣. بصائر الدرجات: ٢/١٠٠، تفسير الصافي ٥: ٥١. ٤. سعد السعود: ٢٧٥، تفسير الصافي ٥: ٥٢.

٥. الكافي ٢: ١٣٣/٣، تفسير الصافي ٥: ٥١.

أَنْ مِنْ وظائف الإيمان أَنْ «لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ» وجمعٌ من رجالكم «مِنْ قَوْمٍ» وجمع آخرين منهم، ويستهزئ بعضهم ببعض «عَسَى» وَيُرْجَى «أَنْ يَكُونُوا» أولئك المسخرون والمستهزئون بهم^١ أفضل من الساخرين، و«خَيْرٌ مِنْهُمْ» وأقرب عند الله «وَلَا تَسْخَرْ نِسَاءً» منكم «مِنْ نِسَاءٍ» آخر منكم، ولا تستهزئ بعض المؤمنات ببعض «عَسَى» وَيُرْجَى «أَنْ يَكُنَّ» أولئك المسخورات والمستهزئات بهن^٢ أفضل من الساخرات والمهزئات^٣ و«خَيْرٌ مِنْهُنَّ» عند الله، فإن ملاك القرب والبعد عند الله مستورٌ عنكم، ليس مما يظهر من الأشكال والصور، ولا الأوضاع ولا الأطوار التي يدور عليها أمر السخرية غالباً، فليس لأحد أن يحقر أحداً، فيكون قد حقر من عظمة الله، وأهان من وقَّره الله، كإبليس الذي حقر آدم فحقره الله وطرده من رحمته، ولذا رُوي: أَنَّ الله تعالى قال: «أوليائي تحت قبابي، لا يعرفهم غيري»^٤.

وإنما لم يذكر سبحانه سُخرية الرجال للنساء وبالعكس، لأنهما نادران^٥ ويُحتمل أَنَّهُ تعالى أراد من (يكون) معنى (يصير) فالمعنى: أن يصيروا خيراً منهم، ويصرون خيراً منهم، فإن الغني الذي يستهزئ بالفقر لفقره، يحتمل أن يصير الغني المهزئ^٦ فقير، ويصير الفقير المهزأ به^٧ غنياً، وهكذا.

عن ابن عباس: أَنَّ الآية نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، كان في أذنه وقرأ، فكان إذا أتى مجلس رسول الله ﷺ وسَّعوا له حتى يجلس إلى جنبه، يسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر، فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس وهو يقول: تَفْسَحُوا تَفْسَحُوا، فجعلوا يتفصحون حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ بينه وبينه رجلٌ، فقال له: تَفْسَحْ، فلم يفعل، فقال: من هذا؟ فقال له الرجل: إنا فلان بن فلان؟ فقال: بل أنت ابن فلانة، يُريد أُمَّا له كان يُعَيَّر بها في الجاهلية، فحجَّل الرجل، ونكَّس رأسه، فأنزل الله هذه الآية^٨. وروى أَن عائشة قالت: إِنْ أُمَّ سَلَمَةَ جميلةٌ لولا أَنَّها قصيرة^٩.

وعن القمي: أَنَّها نزلت في صفية بنت حُيٍّ بن أخطب زوجة رسول الله ﷺ، وذلك أن عائشة وحَفْصَةَ كانتا تؤذيانها وتُستَمنَّانها، وتقولان لها: يا بنت اليهودية، فشكت ذلك إلى رسول الله، فقال: «ألا تجيبيهما؟» فقالت: بماذا يا رسول الله؟ قال: قولي إِنَّ أَبِي هَارُونَ نبي الله، وعَمِّي موسى كليم الله، وزوجي محمد رسول الله، فما تُنْكِرَانِ مِنِّي؟^{١٠} فقالت لهما، فقالتا: هذا ما عَلَّمَك رسول الله. فأنزل الله

١. كذا، والصواب: المسخور منهم، والمستهزأ بهم. ٢. كذا، والصواب: المستهزأ بهن. ٣. كذا، والصواب: المستهزئات.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٨٠.

٥. في النسخة: نادر. ٦. كذا، والصواب: المستهزئ.

٧. ٨. ٩. تفسير روح البيان ٩: ٨٠.

٧. كذا، والصواب: المستهزأ به.

في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا... الآية^١.

وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ
وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [١١]

ثم نهى سبحانه عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات بالقول بقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا﴾ ولا تعيبوا غيركم من المؤمنين، أو لا تطعنوهم فكانهم تعيين ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ لأن المؤمنين كنفس واحدة، فما يصيب واحداً منهم كأنه يصيب جميعهم.

وقيل: إن المعنى لا تعيبوا غيركم، فإنه يكون سبباً لأن يبحث من عتموه عن عيوبكم فيعيبكم، فبالتعيب عتم أنفسكم^٢.

وقيل: إن المراد لا تفعلوا ما تعيبون به، فكانكم تعيين أنفسكم^٣.

﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾ ولا يدعوا غيركم من المؤمنين ﴿بِالْأَلْقَابِ﴾ السوء ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ﴾ وساء الذكر المرتفع بين الناس ﴿الْفُسُوقُ﴾ والذكر الذي يُخرج المذكور من الإيمان ﴿بَعْدَ﴾ كونهم داخلين في ﴿الْإِيمَانِ﴾.

في ذكر بعض سلطان عائشة وحفصة
روت العامة أن الآية نزلت في صفة بنت حبي بن أخطب، أتت رسول الله ﷺ
باكية، فقالت: إن عائشة قالت لي: يا يهودية بنت اليهوديين، فقال ﷺ: «هلا قلت إن
أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد؟!»^٤

أقول: انظروا إلى هذه البذية، كيف يطهرها العامة من الذنوب والعيوب، ويُفصلونها على فاطمة المعصومة، ليت الرسول علمها أن تقول لها: يا مشركة بنت المشركين، وفي الحديث «مَنْ عَيَّرَ مُؤْمِنًا بِذَنْبٍ تَابَ مِنْهُ» كان حقاً على الله أن يتليه به، ويفضحه بين الناس^٥.

أقول: قد حَقَّ مضمون الحديث في عائشة، فإنها عَيَّرَتْ صفة بكفرها، فابتلاها الله بالقتال مع علي عليه السلام الذي كان نفس الرسول ﷺ وهو كافر، أو بمنزلة الكفر.

ثم حث سبحانه الناس على التوبة من تلك المنهيات التي كلها ظلم على المؤمنين بقوله: ﴿وَمَنْ﴾ ارتكب تلك المعاصي و﴿لَمْ يَتُبْ﴾ إلى الله تعالى منها ﴿فَأُولَئِكَ﴾ العصاة ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ على ربهم بخروجهم عن طاعته، وكفران نعمته، وتضييع حقوقه، وعلى أنفسهم بتعريضها للهلاك

١. تفسير القمي ٢: ٣٢١، تفسير الصافي ٥: ٥٢.

٢. تفسير الرازي ٢٨: ١٣٢.

٣. تفسير الرازي ٢٨: ١٣٢، تفسير روح البيان ٩: ٨١.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٨٢.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٨٢.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا
وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

ثم علّم سبحانه المؤمنين أدب العشرة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا﴾ واحترزوا ﴿كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ بالرسول وبالمؤمنين، وابتعدوا أنفسهم من الحسبان السوء، والحسبان الذي لا تعلمون أنه حسن أو سيء، وهو كثير، وفي مقابلة الظن الذي تعلمون أنه حسن، وهو بالنسبة إلى غيره قليل، وذلك ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾ بهم، وهو ظن السوء ﴿إِثْمٌ﴾ وحرامٌ تتبعه عقوبة وعذاب، فليكن الاحتياط والترؤي حتى تعلموا من أي القليل من الظن سوء أو حسن.
رَوَى عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ «ظَنُّوا بِالْمُؤْمِنِ خَيْرًا»^١.

وعن الصادق عليه السلام، قال: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يقبلُك^٢ منه، ولا تظنَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً»^٣.
﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ولا تفتشوا عن معائبهم المستورة، وزلاتهم الخفية، ولا تبحثوا عن عوراتهم.
عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لا تطلبوا عثرات المؤمنين، فإنه من تتبع عثرات أخيه تتبع الله عثرته، ومن تتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته»^٤. ورواه بعض العامة عن النبي ﷺ^٥.
وروي أن جبرئيل قال: يا محمد، لو كانت عبادتنا على وجه الأرض، لعملنا ثلاث خصال: سقي الماء للمسلمين، وإعانة أصحاب القتال، وستر الذنوب على المسلمين^٦.

نسي ذكر بعض مطاعن عمر وروى بعض العامة أن عمر يُحَسُّ ذات ليلة، فنظر إلى مصباح من خلل باب، فاطلع فإذا قومٌ على شراب لهم، لم يدر كيف يصنع، فدخل المسجد، فأخرج عبدالرحمن بن عوف، فجاء به إلى الباب، فنظر وقال له: كيف ترى أن نعمل؟ فقال: أرى والله أننا قد أتينا إلى ما نهانا الله عنه، لأننا تَجَسَّسنا واطَّلعنا على عورة قوم سَتَرُوا دوننا، وما كان لنا أن نكشف ستر الله. فقال عمر: ما أراك إلا وقد صدقت، فانصرفا^٧.

٢. في الكافي: يغلبك.

١. تفسير الرازي ٢٨: ١٣٤.

٤. الكافي ٢: ٢٦٥، تفسير الصافي ٥: ٥٣.

٣. الكافي ٢: ٣/٣٦٩، تفسير الصافي ٥: ٥٣.

٦. تفسير روح البيان ٩: ٨٦.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٨٦.

٧. تفسير روح البيان ٩: ٨٧.

١٨ نفحات الرحمن في تفسير القرآن ج ٦

أقول: فيه طعنٌ عظيمٌ على عمر، حيث دلَّ على أنَّه أجهل الناس بأحكام الكتاب، وتكليف نفسه، وأرتكب كثيراً من المعاصي، وليس ذلك ببعيد ممَّن قال: كلُّ الناس أفاقه من عمر حتى المخدَّرات في الجبال.

﴿وَلَا يَغْتَبَ﴾ أيها المؤمنون، ولا يذكر بالسوء ﴿بَغْضُكُمْ بَغْضاً﴾ في غيابه.

روي عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن الغيبة، فقال: «أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^١.

في حرمة الغيبة وعن الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ عن الغيبة، فقال: «هُوَ أَنْ تَقُولَ لِأَخِيكَ فِي دِينِهِ مَا لَمْ يَفْعَلْ، وَتَبْتَ أَمْرًا سَرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، لَمْ يُقَمْ عَلَيْهِ فِيهِ الْحَدُّ»^٢.

وفي رواية: «وَأَمَّا الْأَمْرُ الظَّاهِرُ فِيهِ مِثْلُ الْحِدَّةِ وَالْعَجَلَةِ فَلَا»^٣.

وعن الكاظم عليه السلام: «مَنْ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا عَرَفَهُ النَّاسُ لَمْ يَغْتَبِهِ، وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ اغْتَابَهُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^٤.

وروت العامة عن النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغَيْبَةَ، فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا».

ثم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي وَيَتُوبُ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ». وعن ابن عباس: الغيبة أدام كلاب النار^٥.

وروي «أَنَّ الْمَغْتَابَ إِذَا تَابَ فَهُوَ آخَرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ لَمْ يَتَّ بِأَوَّلٍ مِنْ يَدْخُلُ النَّارَ»^٦. إلى غير ذلك من الأخبار.

ثم شبه سبحانه تناول عرض المؤمن بأكل لحمه بعد موته مبالغةً في الزجر عنه بقوله: ﴿أَيُّسِبُّ أَحَدَكُمْ﴾ ويرغب في ﴿أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ﴾ جسد «أَخِيهِ» النسبي

حال كونه «مَيِّتاً» وجيفة، ومن الواضح أنكم إذا ابتليتم بأكل هذا اللحم ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ وتنفر منه طبعاً، واشمأزت منه نفوسكم، وحكم ببُحْثِهِ عقولكم، فكذلك تناول عرض المؤمن الذي هو أخوكم في الإيمان حال غيبته.

قيل: لما كان مجال توهم أن اللِّمَزَ والتَّبْرَ حرامان، لاطلاع المؤمن عليهما وتألمهما بهما غاية، وأما الغيبة فلا وجه لحرمتها وقبحها، لعدم تألم المغتاب منها؛ لأنه لا يطلع عليها، دفعه سبحانه بأن أكل

١. تفسير روح البيان ٩: ٨٧.

٢. الكافي ٢: ٧/٢٦٧، تفسير الصافي ٥: ٥٣.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٨٩.

٤. الكافي ٢: ٢/٢٦٦، تفسير الصافي ٥: ٥٣.

٥. الكافي ٢: ٦/٢٦٦، تفسير الصافي ٥: ٥٣.

٦. مصباح الشريعة: ٢٠٥.

لحم الأخ الميت لا يؤلمه أيضاً، مع أنه في غاية القبح^١، لكونه في غاية البعد عن رعاية حق الأخوة^٢. وفي الآية والروايات دلالة واضحة على كونها من الكبائر، ولذا أكد سبحانه حرمتها بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واحذروا عقابه في ارتكابها.

ثم حث سبحانه على التوبة منها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ سريع القبول لتوبة التائبين ممّا فرط منهم ﴿وَرَحِيمٌ﴾ بمن اتقى ما نهى عنه، ومُتَفَضِّلٌ عليه بالثواب.

روى بعض العامة أن رسول الله ﷺ إذا عزا أو سافر، ضمّ الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدّمهما إلى المنزل، فيهيء لهما طعامهما وشرابهما، فضمّ سلمان إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدّم سلمان إلى المنزل، فغلبته عيناه، فلم يهتئ لهما شيئاً، فلما قَدِمَ قال له: ما صنعت شيئاً؟ قال: لا، غلبتني عيناي. قال له: انطلق إلى رسول الله ﷺ واسأله طعاماً. فقال ﷺ: «انطلق إلى أسامة بن زيد، وقل له إن كان عنده فضلٌ من الطعام فليعطك» وكان أسامة خازن رسول الله ﷺ على رحله وطعامه، فأثاء فقال له أسامة: ما عندي شيء، فرجع سلمان إلى الرجلين فأخبرهما، فقالا: كان عند أسامة شيء، ولكن يبخل به، فبعثنا سلمان إلى طائفةٍ من الصحابة، فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رَجَعَ قالوا: لو بعثناه إلى بثر سَمِيحَةٍ^٣ لغار ماؤها ثم انطلقا إلى أسامة يتجسّسان هل عنده ما أمر لهما به رسول الله ﷺ من الطعام، فلما جاء إلى رسول الله ﷺ قال لهما: «مالي أرى خُصرة اللحم في أفواهكما؟» قالوا: والله يا رسول الله، ما تناولنا يوماً هذا لحماً؟ قال ﷺ: «ظلمتما تأكلان لحم أسامة وسلمان» فأنزل الله الآية^٤.

وقد عَيَّن الرجلين في رواية (الجوامع) فأنه روى أن أبا بكر وعمر بعثا سلمان إلى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام، فبعثه إلى أسامة بن زيد، وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله، فقال: ما عندي فعاد إليهما فقالا: تبخل أسامة، ولو بعثنا سلمان إلى بثر سَمِيحَةٍ لغار ماؤها ثم انطلقا إلى رسول الله ﷺ فقال لهما: «مالي أرى خُصرة اللحم في أفواهكما» قالوا: يا رسول الله، ما تناولنا اليوم لحماً. قال: «ظلمتما تفكّهون لحم سلمان وأسامة» فنزلت^٥.

وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرِجَ بي مررتُ بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هم الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في

١. في النسخة: الفتح. ٢. تفسير الرازي ١٣٥/٢٨.

٣. سَمِيحَةٍ: بثر بالمدينة غزيرة الماء.

٤. جوامع الجامع: ٤٥٩، تفسير الصافي: ٥: ٥٤.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٨٨.

أعراضهم^١ فظهر من ذلك أنه لا يحرم ذكر مساوي غير المؤمن وغير المميز، بل غير البالغين، لانصراف الأخ في الآية والأخبار إليهم، وإن الاحتراز أحوط، وكذا غير المتسترين، فمن كان عيبه ظاهراً، أو بفسقه متجاهراً فلا غيبة له في عيوبه الظاهرة، وما تجاهر به لتوصيف المذكور بما ستره الله عليه، ولما روي «أن من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له»^٢. بل إطلاق الرواية تدل على جواز غيبة المتجاهر بفسق في غير ما تجاهر به.

وكما أنه تحرم الغيبة يحرم استماعها، لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «المغتتاب والمستمع شريكان في الاثم»^٣.

والظاهر منه ومن غيره من الأخبار أن ذكر عيب شخص لا يكون غيبة إذا لم يكن له مستمع، فإن الظاهر من الأدلة حرمة كشف العورة وهتك ما ستره الله، ومنه يظهر اشتراط كون المغتتاب بالفتح معروفاً عند المستمع، فإن ذكر عيبه لا يكون كشفاً للمستور، إلا إذا كان معروفاً بالتفصيل أو بالاجمال في المحصورين كالانثين والثلاث ونظائرهما، وكذا عدم اختصاصه بالذكر باللسان، بل يعم ذلك والكتابة والإشارة، ولا بالتصريح بل تعم التعريض والكناية، ولا يعتبر في حرمتها قصد الإزاء والتقيص والدم. نعم، إذا صدرت بتلك القصد، كانت حرمتها أشد وأكدر، وكذا لا فرق بين كون العيب المذكور في بدنه أو خلقه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أو أمور دنياه حتى ثوبه أو داره، كل ذلك إذا لم يكن ظاهراً مكشوفاً لمن رآه، أو للمستمع.

وإذا احتمل المستمع جواز الغيبة في حق المغتتاب بالكسر، لظهور العيب أو للتجاهر أو لكونه مظلوماً أو غير ذلك، كان عليه حمل فعله على الصحة والجواز، فلا يحرم عليه استماعها، لتلازم جواز الغيبة وجواز استماعها، وكذا العكس، وإنما صدر الآية بالخطاب للمؤمنين تنبيهاً على أن امتثال الأحكام المذكورة من لوازم الايمان.

ثم لما نهى سبحانه عن سوء الظن بالمؤمنين وتقصيصهم بالظن فضلاً عن الشك والترديد، وكان مجال أن يقول أحد: إذا ظننا بهم سوء أن نتفحص عن واقع أمرهم حتى نتيقن بما ظننا، ثم نقول فيهم باليقين، نهى سبحانه عن التجسس والتفحص عن معائبهم وزلاتهم، وتحصيل العلم بها، ثم نهى عن ذكر ما عليم اتفاقاً أو حصله عصياناً.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

٢. تفسير روح البيان ٩: ٩٠.

١. تفسير روح البيان ٩: ٨٩.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٨٩.

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [١٣]

ثم لما كان الاستهزاء بالغير ولمزه ونبزه واغتيابه لتحقيره والتفاخر عليه، بين سبحانه أنه لا تفاوت بين الناس في الشرف والرفعة إلا من حيث الايمان والتقوى الذي أمر به بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ وأولدناكم ﴿مِنْ ذَكَرٍ﴾ وهو آدم ﴿وَأُنْثَى﴾ وهي حواء، فليس لأحد أن يفتخر على أحد بالنسب؛ لأن جميعكم أبناء رجل وأب واحد، وامرأة وأم واحدة.

وقيل: إن المراد من الذكر الأب المتصل، ومن الأنثى الأم المتصلة، والمقصود أن كلكم في الخلق سيان، ومن جنس واحد، حيث إن كل واحد منكم ولد غيره، وخالقه خالق غيره، فلا مزية لأحد على أحد في أصله.^١

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ﴾ وصيرناكم ﴿شُعُوبًا﴾ وجماعات عظماء متسبين إلى أب واحد ﴿وَقَبَائِلَ﴾ وطوائف منشعبة من كل شعب.

قيل: إن الشعوب جماعات لا يُدري من يجمعهم كالعجم، والقبايل جماعات متسبون إلى أب واحد معلوم كالعرب.^٢

وعن الصادق عليه السلام: «الشعوب العجم، والقبايل العرب».^٣

وقيل: إن الشعوب داخلة في القبايل، فإن القبيلة تحتها شعوب، والشعوب تحتها بطون.^٤ وإنما كان ذلك الجعل ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ ويعرف بعضكم بعضاً بحسب الأنساب، لا لتفاخروا بالآباء والقبايل، وتدعون الشرف والتفاضل.

وقيل: لا لتناكروا بالسخرية واللمز والنّيب والغيبة، فإن كل واحد منها يؤدي إلى التناكر.^٥ في فضيلة التقوى وقيل: إن المعنى إنا خلقناكم من ذكر وأنثى لتعبدوا، وجعلناكم شعوباً وقبايل لتعارفوا.^٦

واعلموا ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾ واعلاكم شأنًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وفي نظره ﴿أَتْقَاكُمْ﴾ وأعلمكم بطاعته، وإن كان عبداً حبشياً.

روي أنها نزلت حين أمر النبي ﷺ بلالاً بعد فتح مكة ليؤذن، فعلا ظهر الكعبة. فاذن، فقال عتاب بن اسيد، وكان من الطلقاء: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم يَر هذا اليوم، ولم يسمع هذا الصوت.

١. تفسير الرازي ١٣٧/٢٨، تفسير روح البيان ٩٠/٩. ٢. تفسير الرازي ٢٨: ١٣٨.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٢٢، وتفسير الصافي ٥: ٥٤، ولم ينسبها إلى أحد. ٤. تفسير الرازي ٢٨: ١٣٨.

٥. تفسير الرازي ٢٨: ١٣٨. ٦. تفسير الرازي ٢٨/١٣٨.

وقال الحارث بن هشام: أما وجد رسول الله سوى هذا القُرَاب الأسود^١.

وقيل: إن الآية نزلت في أبي هند من الصحابة، حين أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يُزَوِّجوه امرأة منهم، فقالوا: يا رسول الله، نزوج بناتنا موالينا^٢.

وروي أن رسول الله ﷺ في سوق المدينة، فرأى غلاماً أسود يُباع، وهو يقول: من اشتراني فعلى شرط أن لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله: فاشتراه رجل، فكان رسول الله ﷺ يراه عند كل صلاة فقعده فسأل عنه صاحبه، فقال: هو محمود فعاده، ثم سأل عنه بعد أيام فقيل! هو مشرف على الموت، فجاءه وهو في بقية حركة، فتولَّى غُسله ودفنه، فدخل على المهاجرين والأنصار أمرَ عظيم، فنزلت^٣.

روي عن النبي ﷺ أنه قال يوم فتح مكة: «إن الله قد أذهب عنكم بالاسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، إن العربية ليست بأب والد، وإنما هو لسان ناطق، فمن تكلم به فهو عربي، إلا أنكم من آدم، وآدم من التراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم»^٤.

وعنه ﷺ: «أن ريتكم واحد، وأبوكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالقوى»^٥.

وإنما ذكر سبحانه من أسباب التفاخر الدنيوي النسب، مع أن أسبابه كثيرة كالجمال والأولاد وغيرهما، لأن النسب أعلاها من حيث أنه ثابت مستمر غير مقدور التحصيل بخلاف غيره؛ ولأنه كان بين العرب من أعظم أسباب الافتخار، وكان دأبهم الشائع الافتخار به.

روي أنه سئل عيسى عليه السلام: أي الناس أشرف؟ فقبض قبضتين من التراب، ثم قال: أي هذين أشرف؟ ثم جمعهما فطرحهما، وقال: الناس من تراب، وأكرمهم عند الله أتقاهم^٦.

وعن النبي ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: أمرتكم فضيعة ما عهدت إليكم فيه، ورفعتكم أنسابكم، اليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون؟ إن أكرمكم عند الله أتقاكم»^٧.

وعن أبي هريرة: أن الناس يُحشرون يوم القيامة، ثم يُوقَفُونَ، ثم يقول الله لهم: طالما كنتم تكلمون وأنا ساكت، فاسكتوا اليوم حتى أتكلّم، إنّي رفعت نسبي وأبيتكم إلا أنسابكم، قلت إن أكرمكم أنقاكم، وأبيتكم أنتم، وقتلتم: لا بل فلان بن فلان وفلان بن فلان، فرفعتم أنسابكم، ووضعتم نسبي، فالיום أرفع

١ و ٢. تفسير روح البيان ٩: ٩٠.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٩١.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٢٢، تفسير الصافي ٥: ٥٤.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٩١.

٦. مجمع البيان ٩: ٢٠٧، تفسير الصافي ٥: ٥٤.

٧. تفسير روح البيان ٩: ٩١.

نسبي، وأضع أنسابكم، سيعلم أهل الجمع من أصحاب الكرم أين المتقون.^١
وعن الصادق، عن أبيه، عن جده عليه السلام: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اتَّقَى النَّاسَ مِنْ قَالَ الْحَقَّ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ».^٢

وعن الصادق عليه السلام أَنَّهُ سِئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَكْثَرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ قَالَ: «أَعْمَلَكُمْ بِالتَّقِيَّةِ».^٣
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِأَنْسَابِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ﴿خَيْرٌ﴾ بِبَوَاطِنِكُمْ وَضَمَانِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِسْرَارُكُمْ.

قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [١٤]

ثُمَّ لَمَّا كَانَ التَّقْوَى مَتَوَقَّفاً عَلَى الْإِيمَانِ الرَّاسِخِ فِي الْقَلْبِ بِالتَّوْحِيدِ وَرِسَالَةِ الرَّسُولِ، رَدَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ دَعْوَى مُدْعَى الْإِيمَانِ مَعَ كَوْنِ إِيْمَانِهِمْ صَوْرِيّاً بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ وَسَكَنَةُ الْبَوَادِي لَكَ: ﴿آمَنَّا﴾ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَرِسَالَتِكَ ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ رَدٌّ عَلَيْهِمْ: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ عَنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ، فَلَا تَقُولُوا: آمَنَّا ﴿وَلَكِنْ﴾ لَمَّا أَسْلَمْتُمْ وَأَظْهَرْتُمُ الشَّهَادَتَيْنِ بِاللِّسَانِ، وَتَرَكْتُمُ الْمَقَاتِلَةَ: ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ وَدَخَلْنَا فِي السَّلَامِ وَالتَّقِيَّةِ مَخَافَةً أَنْفُسَنَا وَأَعْرَاضَنَا. كَيْفَ تَقُولُونَ آمَنَّا ﴿وَر﴾ الْحَالُ أَنَّهُ ﴿لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ﴾ بَعْدَ ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وَمَا بَاشَرَ الْيَقِينَ بِالتَّوْحِيدِ وَرِسَالَةِ الرَّسُولِ أَفْتَدَيْتُمْ.

قِيلَ: نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فِي سَنَةِ جَدَبٍ، فَأَظْهَرُوا الشَّهَادَتَيْنِ، وَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَتَنُكُ الْعَرَبُ بِأَنْفُسِهَا عَلَى ظُهُورِ رَوَاحِلِهَا، وَأَتَيْنَاكَ بِأَثْقَالِنَا وَعِيَالِنَا وَذُرَارِينَا، وَلَمْ تُقَاتِلْ كَمَا قَاتَلَتْ بَنُو فُلَانٍ، يُرِيدُونَ الصَّدَقَةَ^٤، وَيَمْتَنُونَ عَلَيْهِ مَا فَعَلُوا^٥.

فِي بَيَانِ الْاِخْتِلَافِ أَقُولُ: ذَهَبَ بَعْضُ الْعَامَّةِ إِلَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ^٦، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَسَيُفْرَقُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ أَعَمٍّ مِنَ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا فِي الْقَلْبِ، وَالْإِسْلَامَ يَحْصُلُ بِاللِّسَانِ^٧.

وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «الْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَعَقْدُ الْقَلْبِ، وَعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ» إِلَى أَنْ قَالَ: «فَقَدْ

١. تفسير روح البيان ٩: ٩٢.

٢. من لا يحضره الفقيه ٤: ٨٣٦/٢٨٢، تفسير الصافي ٥: ٥٥.

٣. اعتقادات الصدوق: ١٠٨، تفسير الصافي ٥: ٥٥. ٤. في تفسير روح البيان: يرون الصدق.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٢٣، تفسير روح البيان ٩: ٩٢. ٦. تفسير الرازي ٢٨: ١٤١.

٧. تفسير الرازي ٢٨: ١٤٢.

يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان، وهو يشارك الإيمان «الخبر»^١.

وعن الباقر عليه السلام، عن النبي ﷺ، قال: «الاسلام علانية، والايمان في القلب» وأشار إلى صدره^٢. وفي رواية: «الاسلام: هو الظاهر الذي عليه الناس، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، فهذا الاسلام والايمان: معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقربها ولم يعرف هذا الأمر، كان مسلماً، وكان ضالاً»^٣.

وعن الصادق عليه السلام: «أن الاسلام قبل الايمان، وعليه يتراوثون ويتناكحون، والايمان عليه يُثابون»^٤ ولذا قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ عن الايمان الخالص وترك النفاق ﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ ولا يُنْقِصُكُمْ ﴿مِنْ أَجُورِ أَعْمَالِكُمْ﴾ وثوابها ﴿ثَبْتًا﴾ يسيراً.

وقيل: إن أتيت بما يليق بضعفكم من الأعمال الحسنة المقرونة بالاخلاص وترك النفاق، فهو تعالى يأتكم بما يليق بفضل من الجزاء، لا يُنْقِصُ منه شيئاً، نظراً إلى ما في حسناتكم من النقصان والتقصير^٥.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ وَسَّارٌ﴾ لما فرط من المطيعين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ومتفضل عليهم بالثواب العظيم.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ
أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ [١٨-١٥]

ثم وصف سبحانه حقيقة الايمان إرشاداً للأعراب القائلين: أمانة بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الذين
يجقّ منهم دعوى الايمان، ويصدقون في دعواه، هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن صميم القلب ﴿بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ﴾ بالتوحيد والرسالة ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ ولم يشكوا بسبب تشكيك المشكك، ولم يختلج

١. الكافي ١/٢٣: ٥، تفسير الصافي ٥: ٥٥.

٢. مجمع البيان ٩: ٢٠٨، وتفسير الصافي ٥: ٥٦، عن النبي ﷺ.

٣. الكافي ٢: ٤/٢٠، تفسير الصافي ٥: ٥٥. ٤. الكافي ١: ٤/١٣٢، تفسير الصافي ٥: ٥٥.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٩٣.

ببالحكم كذب الرسول في دعوى الرسالة وفيما أخبر عن الله ﴿وَجَاهِدُوا﴾ الكفار والمنافقين ﴿يَأْتُوا إِلَهُم وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وفدوهما ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وطلباً لمرضاته وترويج شريعته ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفات الجليلة ﴿هُمْ﴾ بالخصوص ﴿الصَادِقُونَ﴾ في دعوى الايمان لا غيرهم. قيل: لَمَا نزلت الآية جاءت الأعراب، وحلفوا أَنَّهُمْ مؤمنون صادقون، فنزل^١ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم ردأ عليهم: أَيُّهَا الأعراب ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ﴾ وتُخْبِرُونَهُ ﴿بِدِينِكُمْ﴾ الذي أنتم عليه بقولكم: آمنا ﴿وَاللَّهِ﴾ باحاطته بجميع الموجودات وكل مخلوقاته ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يعزُب عنه مثقال ذرة فيهما ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ جليل وحقير، خفي أو أخفى ﴿عَلِيمٌ﴾ فكيف تخفى عليه ضمائرهم حتى يحتاج في الاطلاع عليها إلى إخباركم؟! وفيه توبيخ لهم على اجتهداهم في إخفاء نفاقهم.

ثم لَمَا أظهر الأعراب المنة على الرسول بإسلامهم حيث قالوا: إنا أتيناك بأنقالنا وعيالنا وذاريانا ولم نُقاتلك كما قاتلك بنو فلان، وكان قولهم ذلك في غاية القبح والشناعة، وبخهم الله سبحانه عليه بقوله: ﴿يَمُنُونَ﴾ هؤلاء الأعراب، ويظهرون التفضل ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ أَسْلَمُوا﴾ وحسبوا ببجلهم أن إسلامهم نعمة عليك ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الجُحَالُ: ﴿لَا تَمُنُوا﴾ ولا تُعدوا النعمة ﴿عَلَيْ إِسْلَامِكُمْ﴾ الظاهري المقرون بالنفاق، لأنه ليس بنعمة عليّ، ولا منة لي عليكم بدعوتكم إليه، لأنّي عملت بوظيفة رسالتي من قبل ربّي ﴿بَلِ اللَّهَ﴾ المَنان ﴿يَمُنُّ﴾ ويتفضل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأعظم النعم، وهو ﴿أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ وأرشدكم إليه بتبليغي ودعوتي، ووفقمكم لقبوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعوى الايمان.

عن القمي رحمه الله: أَنَّهُما نزلت في عثمان يوم الحندق، وقد ارتفع الغبار من الحفرة، فوضع عثمان كُفَّهُ على أنفه، فقال عمار:

لا يستوي من يعمر المساجدا فيصلي^٢ فيها راكعاً وساجداً

ومن يُمَرَّ بِالْغُبَارِ حائداً يعرض عنه جاحداً معانداً

فالتفت عثمان إليه، وقال: يا بن السوداء، إياي تعني؟ ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: لم ندخل معك تَسَبُّبَ أَعْرَاضِنا؟ فقال رسول الله: ﴿قد أقلتك إسلامك﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^٣. ثم أكّد الله سبحانه علمه بالمغيبات التي منها ما في ضمائر الناس من اعتقاد حقانية الاسلام وعدمه

٢. كذا، والظاهر: يُصَلِّي.

١. تفسير روح البيان ٩: ٩٦.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٢٢، تفسير الصافي ٥: ٥٦.

٢٦ نفحات الرحمن في تفسير القرآن ج ٦

بقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ» بذاته «غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» وخفياتها التي لا يعلم بها غيره أحد، فكيف يخفى عليه إسراركم وما في ضمائرکم من الكفر والإيمان «وَاللَّهُ بِعَصِيْرٍ» بغير جارحة «يَمَّا تَعْمَلُونَ» بجوارحكم من الخيرات والشرور والطاعة والعصيان.
عن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة الحجرات في كل ليلة أو كل يوم، كان من زُوار محمد ﷺ»
الحمد لله على التوفيق لاتمام تفسير السورة المباركة.

في تفسير سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا

شَيْءٌ عَجِيبٌ * إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ [١-٣]

ثم لما ختمت سورة الحجرات ببيان مئة الأعراب على النبي ﷺ باسلامهم الدال على عدم إيمانهم برسوله وكتابه واليوم الآخر، نُظِمَتْ بعدها سورة (ق) المبتدئة ببيان عظمة القرآن وجلالته، وبيان رسالة رسوله وأدلة التوحيد، وتهديد مكذبي رسوله بما نزل على الأمم الماضية من العذاب، فابتدأها بذكر الأسماء المباركات بقوله تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ثم افتتحها بذكر حرف ﴿ق﴾ جلباً لتوجه القلوب إلى ما يرد عليها فلا يفوتها حلاوة الكلمات الرائقة، وفهم المعاني الفاتقة، وقد مرَّ أن تلك الحروف رموزٌ.

عن ابن عباس: هو اسم من أسماء الله، أقسم الله به^١.

وقيل: هو رمزٌ عن كل اسم من الأسماء الحُسنى المصدرة بالقاف، كالقادر والقدير والقديم والقاهر والقهار والقائم بالقسط والقاضي بالحق والقريب والقاطض^٢ والقُدوس نحوها^٣، فإن العرب قد ترمز عن كلمة بحرف.

وقيل: هو قسم بقوة قلب حبيبه^٤.

وعن الصادق عليه السلام: «وأما ﴿ق﴾ فهو جبلٌ محيطٌ بالأرض» وخُصرة السماء منه، وبه يُمسك الله الأرض أن تميد بأهلها^٥.

وقال جمع من العامة: هو جبل محيطٌ بالأرض كاحاطة بياض العين بسوادها، وهو أعظم جبال الدنيا، خلقه الله من زُمُرٍ أخضر، أو زَبَرَجَدٍ أخضر، منه خُصرة السماء، والسماء ملتزقة به، وليس

١. تفسير روح البيان ٩: ٩٩.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٩٩.

٣. في تفسير روح البيان: والقهار والقريب والقاطض.

٤. معاني الأخبار: ١/٢٢، تفسير الصافي ٥: ٥٨.

٥. تفسير روح البيان ٩: ١٠٠.

مدينة من المدائن أو قرية من القرى إلا وفيها عرق من عروقه، ومَلَكٌ مُوَكَّلٌ به، واضعٌ يديه على تلك العروق، فإذا أراد الله بقوم هلاكاً أوحى إلى ذلك المَلَكِ فحرك عرقاً، فخنس بأهلها، والشياطين ينطلقون إلى ذلك الزُّبرجد، فيأخذون منه، فيَبْثُونه في الناس^١، ونُسِب ذلك القول إلى ابن عباس^٢. والظاهر أن حرف (ق) رمزٌ من كلمة قاف التي هي اسم للجبل، فلا يرد اعتراض الفخر الرازي أنه لو كان اسماً للجبل لكتب (قاف) بالالف والفاء^٣.

ثم عظم القرآن بالخلف به وتوصيفه بالعظمة بقوله: «وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ» والكتاب العظيم لعظم فوائده وكونه من الله العظيم، وآية عظمته حيث عجز الخلق عن الإتيان بمثله. وقيل: إن المجيد بمعنى الكريم، وتوصيفه بكثرة الكرم، لأنه لا يطلب أحد مقصوداً منه إلا وجده، ولا يتمسك به محتاج إلا أغناه^٤. وإنما لم يذكر قبل (ق) أداة القسم، قيل: لو كالة دخول الحرف على الحرف^٥.

وحاصل المفاد أقسم بالجبل العظيم الذي به بقاء دنياكم، وبالقرآن الذي به بقاء دينكم، أن محمداً رسولٌ منذرٌ من جانب الله، والعجب أن قريشاً أنكروا رسالته مع دلالة المعجزات الباهرات على صدقه، ولم يكتفوا بالانكار «بَلْ عَجِبُوا» لَحُبِّ ذاتهم وقلة عقولهم من «أَن جَاءَهُمْ» رسولٌ «مُنذِرٌ» مع كونه رجلاً «مِنْهُمْ» يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، وليس من جنس الملائكة «فَقَالَ» اولئك «الْكَافِرُونَ» لِنِعَم رَبِّهم بعضهم لبعض عناداً ولجاجاً: «هَذَا» الأمر الذي يدعيه محمد من رسالته مع كونه بشراً «شَيْءٌ عَجِيبٌ» يحق أن يتعجب منه، مضافاً إلى أنه يقول بما لا يقبله العقلاء من أننا نحييا بعد موتنا مرة أخرى، أنصفوا أيها العقلاء «إِذَا مِتْنَا» وأقبرنا «وَكُنَّا» بعد سنين «ثُرَاباً» نرجع إلى ما كنا عليه من الحياة؟ لا يكون ذلك أبداً، لأن «ذَلِكَ» الرجوع الذي يدعيه محمد «رَجْعٌ» وردٌ «بَعِيدٌ» عن العادة أو الإمكان والصدق، لاختلاط أجزاء الموتى عند صيرورتهم ثراباً بعضها ببعض، وعدم تميز أجزاء كل ميت عن أجزاء الآخرين، فكيف يمكن جمعها وإعادة خلق كل ميت من أجزائه التي كانت له حال حياته؟! وإعاده خلق كل ميت من أجزائه التي كانت له حال حياته؟! وإعاده خلق كل ميت من أجزائه التي كانت له حال حياته؟!

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ * أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا

١. تفسير روح البيان ٩: ١٠١.

٢. تفسير الجامع للقرطبي ١٧: ٢.

٣. تفسير الرازي ٢٨: ١٤٧.

٤. تفسير الرازي ٢٨: ١٤٨.

٥. كذا، والظاهر: لركاكة. ٦. تفسير الرازي ٢٨: ١٤٦ فيه إشارة إلى هذا.

وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ [٤-٦]

ثم رد سبحانه استبعادهم بأن عدم تميز الأجزاء إنما هو عندهم، لقصور علمكم، وأما نحن فإنا «قَدْ عَلَّمْنَا» وميزنا كل ذرة من تراب «مَا تَنْقُصُ» وتأكل «الْأَرْضُ» من أجزاء كل جسد «مِنْهُمْ» وتَصِير من لحومهم وعظامهم وتَغَيِّرنا تراباً مع التفرق في أقطارها وتَحُمِّها، واختلاط بعضها مع بعض «وَوَ» مع ذلك «عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ» وَمُصَوَّن من الغلط والتغيير والسهو، فيه تفاصيل الأشياء كلها جزء جزءاً، وهو اللوح المحفوظ.

وقيل: إن المراد تمثيل علمه تعالى بعلم من عنده كتاب مضبوط فيه تفاصيل جميع الموجودات في العالم^١، يعلم الناظر فيه بخصوصيات كل ذرة منها، بحيث لا يشبهه عليه جزء جزءاً، فكيف يُسْتَبْعَد مَنْ كان علمه بهذه السعة والكمال رجوعهم وإعادتهم أحياء؟ لا والله ليس الإعادة عندهم بذلك البعيد «بَلْ كَذَّبُوا» عِنَاداً وَلَجَاجاً «بِالْحَقِّ» ورسالة محمد الثابتة بالمعجزات الباهرات، أو القرآن الثابت كونه كلام الله باشماله على وجوه الإعجاز «لَمَّا جَاءَهُمْ» من غير تفكير وتأمل في براهمين صدقه «فَهُمْ» كائنون «فِي أَمْرِ مَرِيجٍ» قيل: إن المراد في رأيي مختلف وقول مختلف، حيث قالوا تارة إنه شاعر أو شاعر، وتارة إنه كاهن أو كهانة^٢.

وقيل: يعني في حال مضطرب، فأنهم تارة يُظْهِرون الشك في صدقه، وتارة يُظْهِرون الظن بكذبه، ويتعجبون من دعوته، وتارة يُظْهِرون الجزم بكذبه^٣.

ثم إنه تعالى بعد إبطال استبعادهم بقوله: «قَدْ عَلَّمْنَا» إلى آخره، استبعد منهم ذلك الاستبعاد مع ظهور قدرته بقوله: «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا» قيل: إن التقدير أكان المنكرون للبعث عمياناً فلم ينظروا نظراً منهيّاً «إِلَى السَّمَاءِ» وهي ظاهرة عندهم غير غائبة عنهم حيث إنها «فَوْقَهُمْ» فيروا أننا «كَيْفَ يَبَيِّنَّاهَا» ورفعناها مع عظمتها بغير عَمْدٍ؟! ومن المعلوم أن بناءها أصعب من بناء أساس أبدانهم «وَوَ» كيف «زَيَّنَّاها» بزينة الكواكب مع أن تزيينها أصعب وأكمل من تزيين أبدانهم باللحم والجلد والسمع والبصر «وَوَ» الحال أنه «مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» وفتوق ومسام وخَلَل، ولبدن الانسان خَلَل ومسامات، ومن الواضح أن تأليف ما خَلَل له ولا مَسَام أصعب من تأليف ماله خَلَل وفُرَج ومسَام، فكيف تستبعدون خلق الأبدان ثانياً مع كونه أهون؟!

١. تفسير البضاوي ٢: ٤٢٠، تفسير أبي السعود ٨: ١٢٦، تفسير روح البيان ٩: ١٠٥.

٢. تفسير الرازي ٢٨: ١٥٤.

٣. تفسير الرازي ٢٨: ١٥٤.

٤. تفسير روح البيان ٩: ١٠٦.

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *
تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ
جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ [٧-٩]

ثم بالغ سبحانه في الاستدلال على قدرته الموجب لرفع استبعاد المعاد بقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ فوق الماء، وبسطناها كالفرش، كما رفعنا السماء كالسقف ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾ في الأرض، كما تُلقى الحصى ﴿فِيهَا﴾ جبالاً ﴿رَوَاسِيَ﴾ وثوابت، لترسو الأرض، وتمنعها من الحركة والاضطراب فوق الماء.

رُوي أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ ثَمُورٌ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا هِيَ بِمَقَرٍّ أَحَدٍ عَلَى ظَهْرِهَا، فَأَصْبَحَتْ وَقَدْ أُرْسِيَتْ بِالْجِبَالِ^١ ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ بقدرتنا بعد يُسِّسها وزلاقتها ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ وصنف من النباتات ﴿بَهِيجٍ﴾ وذو حُسن ونظارة، وإِنَّمَا فعلنا تلك الأفعال البديعة، وخلقنا تلك الأشياء العجيبة، لتكون ﴿تَبْصِرَةً﴾ ومسبباً لمعرفة خالقهم، ومنبه بالتفكير فيها ﴿وَذِكْرَى﴾ وعظة وداعية إلى شكرها للناس، وإِنَّمَا الانتفاع بها ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ وراجع إلى رَبِّهِ بالتفكير في بدائع صنعه ونعمه الموجبة لشكره وأداء حقه ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ برحمتنا ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالأمطار ﴿مَاءً مُبَارَكًا﴾ كثير النفع، حيث إِنَّهُ به حياة كُلِّ شيءٍ من الأرض والنبات والحيوان والناس ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ في الأرض ﴿جَنَّاتٍ﴾ وبساتين من حيث أشجارها المثمرة وغير المثمرة وأنبتنا ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع ﴿الْحَصِيدِ﴾ في كُلِّ سنة من البَرِّ والشعير والدُّخْن وغيرها.

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْنًا كَذَلِكَ
الْخُرُوجُ [١٠ و ١١]

ثم خَصَّ النخل بالذكر مع دخولها في الجنات، لكثرة منافعها وشرفها على سائر الأشجار المثمرة بقوله: ﴿وَالنَّخْلَ﴾ أنبتنا ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ التي تكون ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ وطوالاً، أو حوامل بالثمار ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ وغنقود ﴿نَضِيدٌ﴾ وموضوع بعض الجيوب على بعض أكمامها، كسنبلة البُرِّ، فإن كانت أنثى تصير تلك الجيوب بُسراً وتمراً، وهو من العجائب، فَإِنَّ الأشجار الطوال أثمارها بارزة متميزة بعضها من بعض، لِكُلِّ واحدٍ منها أصلٌ يخرج منه، كالجوز واللوز وغيرهما، وإِنَّمَا أنبتنا الجيوب والثمار والنخل ليكون ﴿رِزْقًا﴾ ومعاشاً ﴿لِلْعِبَادِ﴾.

وقيل: إن الرزق بمعنى الإنبات، والمعنى أنبتنا إنباتاً للعباد^١.

وعلى أي تقدير إنما علل سبحانه خلق الثمار بكونها رزقاً مع أن فيها أيضاً بصرَةً وذكراً، لكون الارتفاق بها عند الناس أظهر فوائدها، ولأن الله تعالى بعد بيان كونه قادراً على خلق أجسادهم، بين نعمه عليهم المقتضية لغاية قُبْح تكذيبهم مُنعمهم.

ثم استدلل سبحانه على قدرته على إحيائهم بعد خلق أجسادهم بقوله: ﴿وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا﴾ وأرضاً يابسةً جَدْبَةً لا نبات ولا نَمَاء فيها، فتشَقَّقَتْ وخرج منها بالمطر أنواع النبات والأزهار ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء للأرض إحياءكم في القبور، وكخروج النباتات ﴿الْخُرُوجُ﴾ منها للحشر والحساب.

رُوي أن الله يُمطر السماء أربعين ليلة كَمَيَّي الرجال، يدخل في الأرض، فثَبَّتَ لحومهم وعروقهم وعظامهم، ثم يُحْيِيهم ويُخْرِجهم من تحت الأرض^٢.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ

*** وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ (١٢-١٤)**

ثم هدد سبحانه المكذِّبين للرسول ﷺ والمنكرين للمعاد من كفَّار قريش وغيرهم بما نزل من العذاب على أمثالهم من الأمم الماضية بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ بالرسول والمعاد ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ من بني شيث وبني قاييل ﴿وَو﴾ كذب ﴿أَصْحَابُ الرَّسِّ﴾.

في قصة أصحاب الرِّسِّ قيل: كان الرِّسُّ بئراً بعدن لأمة من بقايا ثمود، وكان لهم مَلِكٌ عادلٌ حَسَنُ السيرة، اسمه عليس، وكانت البئر كثيرة الماء بحيث تسقي المدينة وباديتها وجميع ما فيها

من أهاليها ودوابها وأنعامها، ولم يكن لهم ماء غيره، فطال عُمر المَلِكِ، فلَمَّا مات ضَجَّوا جميعاً بالبكاء، لَمَّا رَأَوْا أن أمرهم قد فَسَدَ، ثم طَلَّوْا جسده باللُّهُن لتبقى صورته، ولا يتغير، واغتنم الشيطان ذلك منهم، فدخل في جُثَّةِ المَلِكِ بعد موته بأيام كثيرة فكلَّمهم، وقال: إني لم أمت، ولكنِّي تَغَيَّيْتُ عنكم حتى أرى صنعكم بعدي. ففرحوا أَشَدَّ الفَرَحِ، وأمر خاصته أن يضربوا حِجَاباً بينه وبينهم، ويكلِّمهم من ورائه كيلا يَعْرِفَ الموت في صورته، فنصبوه صنماً من وراء الحِجَابِ، لا يأكل ولا يشرب، وأخبرهم أنه لا يموت أبداً، وأنه إلههم، ويتكلم الشيطان ذلك كله على لسانه، فصَدَّقَ كثيرٌ منهم، وارتاب بعضهم، وكان المؤمن المَكْذَّبُ أَقَلَّ من المصدِّق. فكلَّمَا تكلم ناصح

منهم زُجِرَ وقُهر، فاتَّقوا على عبادته، فبعث الله لهم نبياً كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة، وكان اسمه حنظلة بن صفوان، فاعلمهم أن الصورة صنم لا روح له، وأن الشيطان فيه، وأن الله لا يتمثل بالخلق، وأن الملك لا يكون شريكاً لله تعالى، ونصحهم وحذَّروهم سَطْوَةِ رَبِّهِمْ وَتَقِمَّتِهِ، فأذوه وعادوه، وهو يبالغ في نُصَحِهِمْ ووعظهم، حتى قتلوه وطرحوه في بئر، وعند ذلك حَلَّتْ عليهم النقمة، وأصبحوا والبشر [قد غار ماؤها، فصاحوا بأجمعهم، وضجَّ النساء والولدان والبهائم عطشاً حتى هلكوا، وتبدلت اشجارهم المثمرة بالشدر والشوك^١].
وقيل: إن الرُّسَّ بئرٌ قريب من اليمامة^٢.

وقيل: بئر أذربايجان^٣، أو اسم وادٍ، وقد سبقت قصتهم في سورة الفرقان.

﴿وَكَذَّبَ ثَمُودٌ * وَعَادَ وَفِرْعَوْنُ﴾ الذي كان مفترٍ ومستخفاً بقومه فأطاعوه وأتبعوه، ولذا لم يقل: قوم فرعون ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ وإنما عبَّرَ سبحانه عن قوم لوط بإخوان، لأنَّهم كانوا طائفةً من قوم إبراهيم، لهم سابقةٌ معروفةٌ بلوط، وكذا قيل^٤ ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ والغَيْظَةِ، وهم من قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ ثُعَيبٍ﴾ الجَمَيْرِيِّ مَلِكِ الْيَمَنِ ﴿كُلٌّ﴾ من أفراد هؤلاء الأَقْوَامِ ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ المبعوثين إليهم، أو الرسل جميعاً فيما أرسلوا به من التوحيد والبعث والشرائع ﴿فَحَقَّقَ﴾ وثبت، أو حلَّ عليهم ﴿وَعِيدِ﴾ الله، وما أنذروهم به من العذاب، وفي الآية تسلية للرسول، لئلا يَحْزَنَ بتكذيب قومه، ويصبر على أذاهم، كما صبر الرُّسل على أذى قومهم، ويطمئنُّ بالطُّفَرِ على أعدائه كما طَفَّرُوا.

أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ [١٥]

ثم إنَّه تعالى بعد تعداد الآيات الأفاقية الدالة على التوحيد وصحة البعث عاطفاً بعضها على بعض بالواو لكون جميعها من جنسٍ واحدٍ، استدللَّ بخلق أنفسهم عاطفاً له بالفاء لتأخُّره في الرُّتبة عن تلك الآيات بقوله: ﴿أَفَعَيْنَا﴾ وعَجَّزنا عن خلقكم ثاني مرة ﴿بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ وبسبب إيجادهم في الدنيا أو بخلق السماوات والأرض؟ لا والله إنَّهم لا يُنْكِرُونَ أَنَّا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنَّا خَلَقْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ وشكٍّ وشبهةٍ ﴿مِنْ خَلْقٍ﴾ لهم ﴿جَدِيدٍ﴾ وثاني مرة، لكونه على خلاف العادة في الدنيا، ويقولون: أَيْكَزَّرَ وَجَدَّدَ خَلْقَنَا، ونرجع ثانياً أحياء؟ ذلك رجَعٌ بعيدٌ.
قال بعض المتكلمين: إنَّ ابن آدم في كلِّ زمانٍ متلبسٌ بخلقٍ جديدٍ، فإنَّه تتحلَّلُ أجزاؤه، ويخلق لها

١. تفسير روح البيان ٩: ١٠٩.

٢ و٣. تفسير روح البيان ٩: ١١٠.

٥. تفسير الرازي ٢٨: ١٦١.

٤. تفسير روح البيان ٩: ١١٠.

بدل ما يتحلّل، فهو في هذا العالم يتجدّد خلقه، والله تعالى في كلّ يومٍ من خلقه، بل من خلق العالم في شأن، وعليه يكون معنى الآية أنّه لا يختصّ تجديد خلقهم بما بعد خروجهم من الدنيا، بل هم في هذه الدنيا متلبسون في كلّ يومٍ بخلقٍ آخر جديد^١.

وعن الباقر عليه السلام أنّه سُئِلَ عن هذه الآية فقال: «تأويل ذلك أن الله تعالى إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم، وسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، جدّد الله عالماً آخر غير هذا العالم، وجدّد خلقاً من غير فُحواله ولا إناث يعبّدونه ويوحّدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماءً غير هذه السماء تُظللهم، فلعلك ترى أن الله إنّما خلق هذا العالم الواحد، أو ترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، وأنت في آخر تلك العوالم، وأولئك الأدميين»^٢.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمَ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ
قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [١٦-١٨]

ثمّ بين سبحانه كمال قدرته وسعة علمه المبنيين لإمكان الخلق الجديد بقوله: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا» بقدرتنا الكاملة «الْإِنْسَانَ» في الدنيا من غير مثالٍ سابقٍ «وَنَعَلَمَ» بذاتنا «مَا تُوَسْوِسُ» وتحدّث «بِهِ نَفْسُهُ» وتخطّر على قلبه من خيرٍ أو شرٍّ، أو خطرات السوء الحاصلة باللقاء الشيطان «وَنَحْنُ أَقْرَبُ» علماً «إِلَيْهِ» من كلّ قريبٍ حتى «مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» والعرق المتصل بقلبه المخالط للحمه، وفيه مجاري روحه الحيواني، وهو كناية عن نهاية القرب، والمعنى أنّ الله تعالى أقرب إلى الانسان من روحه ونفسه «إِذْ يَتَلَقَّى» وحين يتلقن المَلَكَانِ «الْمُتَلَقِّيَانِ» والأخذان من الانسان فعله وقوله، وكاتبان عليه كلّما يصدّر منه، فليس توكيلهما عليه لكتابة أعماله للحاجة في الاطلاع على أعماله إلى ضبطهما وثبتهما أعماله، لأنّنا أقرب إليه من كلّ قريب، وأعلم بحاله من نفسه، بل لكونه بعد الاطلاع على أنّ عليه ملكين موكلين لكتابة أعماله، أدعى له إلى الطاعة، وأزجر له عن المعصية، وكلّ منهما «عَنِ الْيَمِينِ» من الانسان «وَعَنِ الشَّمَالِ» منه «قَعِيدٌ» وجالس.

«مَا يَلْفِظُ» وما يرمي به «مِنْ قَوْلٍ» وكلام خير أو شرٍّ «إِلَّا لَدَيْهِ» مَلَكٌ «رَقِيبٌ» يراقب ذلك القول ويكتبه في صحيفته، وهو «عَتِيدٌ» ومهيأ لكتابته، أو هو حاضرٌ عنده أينما كان، لا يفارقه ولا

يَعْقُلُ عَنْهُ.

روى بعض العامة عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «نَعُوا أَوْفَاكُمْ بِالْخِلَالِ، فَإِنَّهَا مَجْلِسُ الْمَلَائِكَةِ الْكَرِيمِينَ الْحَافِظِينَ، وَإِنْ مَدَادُهُمَا الرِّيقُ، وَقَلَمُهُمَا اللِّسَانُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمَا شَيْءٌ أَمَرَ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ بَيْنَ الْأَسْنَانِ»^١.

وروا عنه ﷺ في قوله تعالى: «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»^٢: قال: «عند نابه»^٣.
وروا عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَلَى يَمِينِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَلَى يَسَارِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ أَمِيرٌ وَأَمِينٌ عَلَى كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ، فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا مَلَكُ الْيَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ لَصَاحِبِ الشَّامِ: دَعِهِ سَبْعَ سَاعَاتٍ لَعَلَّهُ يُسَبِّحُ وَيَسْتَغْفِرُ»^٤ وروى أصحابنا عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه^٥.

وعن النبي ﷺ: «أَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةَ النَّهَارِ يُصَلُّونَ مَعَكُمْ الْعَصْرَ، فَتَصْعَدُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ وَتَمْكُثُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، فَإِذَا كَانَ الْفَجْرُ نَزَلَ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ وَيُصَلُّونَ الصُّبْحَ، فَتَصْعَدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَتَمْكُثُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَمَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلَى اللَّهِ مَا حَفِظَا فَيَرَى اللَّهُ فِي أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ خَيْرًا وَفِي آخِرِهَا خَيْرًا إِلَّا قَالَ لِمَلَائِكَتِهِ: اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَ طَرْفِي الصَّحِيفَةِ»^٦.
وعنه ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَّلَ بَعْدَهُ الْمُؤْمِنَ مَلَائِكَةً يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ، فَإِذَا مَاتَ قَالَ الْمَلَائِكَةُ لِلَّذِينَ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ: قَدْ مَاتَ فُلَانٌ، فَتَأْذَنُ لَنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلَائِكَتِي يُسَبِّحُونَ. فَيَقُولَانِ: فَأَيْنَ؟ فَيَقُولُ: قُومُوا عَلَى قَبْرِ عَبْدِي فَكَبِّرَانِي وَهَلِّلَانِي. وَاكْتُبَا ذَلِكَ لِعَبْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^٧.

وقيل: إِنَّ التَّلَقِّيَ بِمَعْنَى الِاسْتِقْبَالَ، وَالمَعْنَى بِنَاءٌ عَلَيْهِ: أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَائِكَةً يَسْتَقْبِلَانِ رُوحَهُ حِينَ مَوْتِهِ، فَيَأْخُذَانِ رُوحَهُ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ، أَحَدُهُمَا يَأْخُذُ أَرْوَاحَ الصَّالِحِينَ، وَيَنْقُلُهَا إِلَى دَارِ السَّرُورِ، وَالْآخَرُ يَأْخُذُ أَرْوَاحَ الطَّالِحِينَ، وَيَنْقُلُهَا إِلَى الْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، وَعِنْدَهُ مَلَكَانِ يَكْتُبَانِ أَعْمَالَهُ، فَإِذَا نَزَلَ الْمُتَلَقَّانِ يَسْأَلَانِ الْكَاتِبَيْنِ أَنَّ الَّذِي مَاتَ مِنَ الصَّالِحِينَ، أَوْ مِنَ الطَّالِحِينَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ يَأْخُذُ رُوحَهُ مَلَكُ السَّرُورِ، وَيَرْجِعُ إِلَى الْآخَرِ مَسْرُورًا، وَإِنْ كَانَ مِنَ الطَّالِحِينَ يَأْخُذُهَا مَلَكُ الْعَذَابِ، وَيَرْجِعُ إِلَى الْآخَرِ مُحْزُونًا»^٨.

١ و ٢. تفسير روح البيان ٩: ١١٦.

٣. جوامع الجامع: ٤٦١، تفسير الصافي ٥: ٦١، تفسير روح البيان ٩: ١١٥.

٤. الكافي ٢: ٣١٣، تفسير الصافي ٥: ٦١. ٥. تفسير روح البيان ٩: ١١٦.

٦. تفسير روح البيان ٩: ١١٧. ٧. تفسير الرازي ٢٨: ١٦٣.

أقول: فيه أن الظاهر أن الآيتين بيان لحال الانسان قبل خروج روحه.

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ^[١]

ثم لما استبعدوا البعث بين سبحانه بعض أهوال التزع وقيام الساعة بقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ وشدة المذهبة للعقول المزالة للظن الجاعلة للانسان كالسكران ﴿بِالْحَقِّ﴾ والموت الثابت الذي لا محيص عنه.

نقل رواية عامية في فضيلة علي عليه السلام
بما لم أره. فحبسه عمر، فبلغت قصته أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «يا عمر حبسته ظلماً» فقال: كيف ذلك؟ قال: «لأنه يحب المال والولد، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^١ ويكره الموت وهو الحق، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ويشهد بأن الله واحد وهو لم يره» فقال عمر: لولا علي لهلك عمر^٢ انتهى.

فيقول له ملك الموت، أو لسان حاله: يا إنسان ﴿ذَلِكَ﴾ الموت الذي نزل بك هو ﴿مَا كُنْتَ﴾ في الدنيا ﴿مِنْهُ تَحِيدُ﴾ وتميل وتهرب، بل تحسب أن لا ينزل عليك لانغمارك في شهوات الدنيا وحبها، والتعبير بالماضي للإيذان بتحقيقه وقربه، وإسناد إتيان الموت إلى سكرته ليبان غاية شدتها، فكان شدة حال التزع اقتضت الموت، وأما ذلك الانسان.

وقيل: إن المراد بالحق الدين الذي جاء به الرسول^٣، فإن الانسان حال احتضاره يظهر له حقائقته، فكفى سبحانه عن ظهور الحق بالسكرة باتيانها به، أو المراد من الحق العذاب المعد للكفار، فإنه ينزل عليه بالموت، أو يراه في حال الاحتضار وميله عن الحق على التقديرين إنكاره إياه.
عن القمي عليه السلام، قال: نزلت في الأول^٤.

أقول: يعني أنه أظهر من تنطبق عليه الآية، روت العامة عن عائشة، أنها قالت: أخذت أبا بكر غشيته من الموت، فبكيت عليه، فافاق أبو بكر، فقال: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^٥.

وَنَفْعٌ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ *
لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ

٣. تفسير الرازي ٢٨: ١٦٤.

٢. تفسير روح البيان ٩: ١١٨.

١. التباين: ١٥/٦٤.

٥. تفسير روح البيان ٩: ١١٨.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٢٤، تفسير الصافي ٥: ٦١.

قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
مُرِيبٍ * أَلَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ
رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ [٢٠-٢٩]

ثم ذكر سبحانه أهوال البعث بعد الموت بقوله: «وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ» النفخة الثانية، وهي نفخة
البعث والنشور، فيقول لهم المَلَكُ تهريلاً: «ذَلِكَ» الوقت الذي يُعْثَمُ فيه «يَوْمٌ» إنجاز «أَلْوَعِيدِ»
الذي أوعدكم الله على لسان رسله به من العذاب والأهوال «وَجَاءَتْ» من القبور إلى المحشر «كُلُّ
نَفْسٍ» من النفوس البرّة والفاجرة و«مَعَهَا» مَلَكٌ «سَاتِقٌ» له يسوقه إلى المحشر، وإن اختلفت
كيفية سوق المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي «وَمَلَكٌ شَهِيدٌ» على أعمالها أنها خيرٌ تستحقُّ
بها الجنة، أو شرٌ تستحقُّ بها النار.

وفي (نهج البلاغة): «سائق يسوقها إلى المحشر، وشاهد يشهد عليها بعملها»^١.
قيل: إنهما المَلَكَانِ الكاتبان^٢. وقيل: مَلَكٌ واحدٌ يسوقها ويشهد على عملها^٣. وقيل: السائق مَلَكٌ،
والشاهد جوارحه^٤.

ثم يقال لذلك المَسْئُوقُ: «لَقَدْ كُنْتَ» في الدنيا غائراً «فِي غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ» مِنْ هَذَا اليوم وما فيه
من الأهوال «فَكَشَفْنَا» وَأَزَلْنَا «عَنكَ» غفلتك التي كانت «غِطَاءَكَ» وحجابك الذي يمنعك عن
اليقين بمجيء هذا اليوم، ويحتمل كون المراد من الغطاء الجهل والشهوة وحب الدنيا «فَبَصَّرُكَ
أَلْيَوْمَ» لاكتشاف الغطاء عنه «حَدِيدٌ» ونافذ، تبصّر ما كنت منكراً وتستعبد وتتعجب ممن يُخبر
به، ولكن لا ينفك اليوم إِبْصَارَ «وَقَالَ» المَلَكُ الذي هو «قَرِينُهُ» في الدنيا يكتب أعماله، أو
المَلَكُ الشهيد عليه، كما عنهما عَلَيْهِ السَّلَامُ^٥: «هَذَا» الكتاب الذي فيه أعمالك «مَا لَدَيَّ» وهو الذي
عندي «عَتِيدٌ» وحاضرٌ، أو مهيناً جميعاً للعرض.

وقيل: إن المراد بالقرين الشيطان المَقْبُضُ له^٦. يقول هذا الشخص العاصي الطاغى: ما لدي والذي
عندي وفي ملكتي ومقدوري عتيد ومهياً لورود جهنم، قد هيأته له بإغواني وإضلالني، فيقول الله
تعالى للسائق والشهيد، أو المَلَكَيْنِ من خَزَنَةِ النار: «أَلْقِيَا» أيها المَلَكَانِ «فِي جَهَنَّمَ» هذا الكافر

٢. تفسير روح البيان ٩: ١٢١.

٥. مجمع البيان ٩: ٢٢٠، تفسير الصافي ٥: ٦٢.

١. نهج البلاغة: ١١٦، الخطبة ٨٥، تفسير الصافي ٥: ٦١.

٣ و ٤. تفسير البضاوي ٢: ٤٢٢.

٦. تفسير أبي السعود ٩: ١٣١، وفي النسخة: المقبض له.

و﴿كُلُّ كَفَّارٍ﴾ وكثير الطغيان على المُنعم ومبالغ في التضييع لحقوقه بانكار توحيده ونعمه.
وقيل: يعني كل كافر حامل غيره على كفره^١، عنيد ومبغض للحق، أو منحرف عن الطاعة، أو معجب بما عنده.

وعن القمي: أنه خطاب للنبي ﷺ وعلي ﷺ^٢.

وعن السجاد ﷺ، عن أبيه، عن جده أمير المؤمنين ﷺ، قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد كنت أنا وأنت عن يمين العرش، ثم يقول الله تبارك وتعالى لي ولك: قُوما فإلقيا من أبغضكما وكذبكما في النار»^٣.

وفي (المجمع) و(الأمالى) من طرق العامة مثله، وزادا: «وأدخلنا في الجنة من أحبكما، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلْقَيْنَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾»^٤.

﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ وكثير البخل بالمال، الممتنع عن أداء حقوق الله من الزكاة والخمس وغيرهما من الواجبات المالية.

وقيل: إن المراد بالخير الاسلام. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه منه، وكان يقول: من دخل منكم في الاسلام لم أنفعه بخير ما عشت^٥.

﴿مُعْتَدٍ﴾ ومجاوز عن حدود العقل، ظالم على نفسه وعلى العباد، ومعاند لآيات الله ولأهل الحق ﴿مُرِيْبٍ﴾ وشاك في دين الاسلام، أو في البعث ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ واختلق من قبل نفسه وهواه ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ وأشرك به في العبادة ﴿إِلَٰهًا آخَرَ﴾ ومعبوداً غيره من مخلوقاته، كالكواكب والأصنام، فكل من كان من الناس بهذه الصفات ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ هذا الأمر تأكيد لما سبق.

ثم قيل: إن الكفار يعتذرون إلى الله بأن الشيطان الذي كان قريننا في الدنيا أضلنا وأطغانا، فهو المستحق للعذاب دوننا ﴿قَالَ﴾ الشيطان الذي هو ﴿قَرِينُهُ﴾ ومصاحبه في الدنيا ﴿وَرَيْنَا﴾ ما أضلته و﴿مَا أَطَقْنَاهُ﴾ بالقهر والجبر ﴿وَلَكِنْ كَانُ﴾ هو لخبث ذاته وسوء أخلاقه مستقراً ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ وانحراف ظاهر عن صراطك المستقيم ﴿بَعِيدٍ﴾ عن طريق الحق القويم، بحيث لا يرجي منه الرجوع إليه، وأنا أعتته على ضلاله وطغيانه بالإغواء والدعوة لا عن قهر وإلجاء. ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿لَا تَخْتَصِمُوا﴾ ولا تنازعوا ﴿لَدَيَّ﴾ وفي محضر عدلي وموقف حكومي، إذ لا فائدة فيه، ولا عذر

٢. تفسير القمي ٢: ٣٢٤، تفسير الصافي ٥: ٦٢.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٢٣.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٢٤، تفسير الصافي ٥: ٦٢.

٥. تفسير روح البيان ٩: ١٢٤.

٤. أمالي الطوسي: ٥٦٣/٢٩٠، مجمع البيان ٩: ٢٢٠، تفسير الصافي ٦٢: ٥.

مقبول ﴿و﴾ الحال آتِي ﴿قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ وأعلمتكم في دار الدنيا بتوسط رسلي وكتبي ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ والعذاب الشديد على الشرك والطغيان، وأتممت الحجة عليكم، وقطعت عُذرکم، فالיום ﴿مَا يَبْدُلُ﴾ ولا يَغَيِّرُ ﴿الْقَوْلُ﴾ الذي قلته، والوعيد الذي وعدته على الشرك والكفر والطغيان في كتابي بقولي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^١ وقولي: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾^٢ ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^٣.

﴿لَدَيَّ﴾ بوقوع الخلف فيه ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ بتعذيبهم بغير استحقاق أشدَّ العذاب مع كونهم أهلين للرحمة والعطفة وإنما نفى كثرة الظلم عن نفسه مع أنه لا يصدر منه أقله؛ لأنه لو عذبهم بهذا العذاب الشديد بغير استحقاق، كان أكثر ظلاماً من كل ظالم. قيل: إن كثرة الظلم المنفي باعتبار كثرة العبيد^٤. وقيل: إن المبالغة راجعة إلى النفي، لا إن النفي وارد على صيغة المبالغة^٥. وقيل: إن الظلام بمعنى الظالم، كالتعازر بمعنى التامر. وقيل: إن الظلام تقدير، والمعنى آتِي لو ظلمت عبيدي الضعيف المستحق لغاية الرحمة، لكان ذلك غاية الظلم، وما أنا بذلك^٦. وقيل: إن نفي كونه ظالماً لا ينافي نفي كونه ظالماً، ونفيه للعبيد لا ينافي عدم كونه ظالماً لغيرهم^٧.

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ [٣٠-٣٢]

وذكر العبيد والتخصيص بهم لكونهم أقرب إليه، وكونه أقيح منه، كما أنه لا ينافي نفي كونه ظالماً في جميع الأزمنة تخصيص نفيه بيوم القيامة بقوله: ﴿يَوْمَ﴾ والمعنى ما أنا بظلام للعبيد في يوم ﴿نَقُولُ﴾ في ذلك اليوم مع عظمتنا، طلباً^٨ لتصديقنا في أخبارنا، وتحقيق وعدنا، وتقريع أهل العذاب ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ ودار العذاب بعد إلقاء جميع الكفار من الجن والإنس فيها: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ بمن ألقينا فيك، وهل وفينا بوعدنا إياك أن نملأك من الجنة والناس؟ ﴿وَتَقُولُ﴾ جهنم مجيبة لنا، واستكثاراً لما ألقى فيها مع غاية سعتها وتباعد أقطارها وأطرافها: يا رب ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ وموضع يُمكن أن يلقى فيه^٩ زيادة على ما ألقى في، لا وعزتك لم يبق في موضع يَسعُ إبرة. وقيل: إن الاستفهام لطلب الزيادة غيضاً على الكفار والعصاة، وكان السؤال قبل إدخال الكل فيها، أو

١. النساء: ٤٨/٤ و ١١٦. ٢. النساء: ٤٨/٤ و ١١٦. ٣. البقرة: ٨١/٢. ٤. تفسير روح البيان ٩: ١٢٦. ٥ و ٦. تفسير الرازي ٢٨: ١٧٢. ٧. تفسير الرازي ٢٨: ١٧٣. ٨. في النسخة: طالباً. ٩. في النسخة: في.

كان بعد إدخال الكل، وهي تطلب الزيادة في سعتها والقاء الكفار فيها^١.

وقيل: إنه لا يكون سؤال وجواب، وإنما ذكر الله سبحانه ذلك على سبيل التمثيل والتخيّل^٢.
إظهاراً لامتلاء جهنّم، واشتياقها إلى الكفار، والحقّ أنّه بيان الحقيقة والواقع، حيث إنّ جهنّم بل جميع ما في عالم الآخرة لها شعور وحياة وقوة نطق، كما دلّ عليه بعض الأخبار.

ثمّ إنّه تعالى بعد بيان شدة غضبه وعذابه على الكفار، بين كثرة لطفه ورحمته للمؤمنين المتقين بقوله: ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾ وقربت ﴿الْجَنَّةُ﴾ في ذلك اليوم ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ والمحترزين عن الشرك والكفر والعصيان، بحيث يرونها من الموقف، ويطلعون على ما فيها من المحاسن والبهجة والشّع، ليزيد فرحهم وابتهاجهم، وهي تكون شيئاً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ عنهم، وفيه تأكيدٌ لكمال قربها منهم وإكرامهم لهم، وأيضاً في صدر الآية دلالة على أنّ الجنة تقرب إليهم، لا أنّهم يقربون إلى الجنة، ويحتمل أن يكون المراد بالقرب هنا كناية عن سهولة دخولهم فيها.

وعن القمي عليه السلام: أنّ المعنى زُيِّنَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ بسرعة^٣.

ثمّ يقال لهم تفرّحوا لقلوبهم: ﴿هَذَا﴾ الذي تُشاهدونه من الجنة ونعيمها ﴿مَا﴾ كنتم في الدنيا ﴿تُوعَدُونَ﴾ وتُبشّرون به على إيمانكم وطاعتكم، في كتابنا المنزل على لسان النبي المرسل. ثمّ أبدل سبحانه عن المتقين بقوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ ورجّاع إلى ربّه بالتوبة والاستغفار من ذنوبه ﴿حَفِيفٍ﴾ يحفّظ توبته من النقص، وعهده مع الله بالطاعة من الرفض، وقيل: الرجّاع إلى الله بالفكر والتوجّه بالقلب، شديد التحفّظ على طاعة أحكامه وأوامره ونواهيّه.

مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ

الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ [٣٥-٣٣]

ثمّ بالغ سبحانه في توضيح المتقين بقوله: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾ وخاف من الله العظيم، مع كونه الرحمن المبالغ في الرحمة والعطوفة بعبده حال كونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ من خلقه لا يرونه بالحواس الظاهرة، أو خشي الرحمن من أن يُقابله حال كون عقابه بالغيب لم يره بعينه ﴿وَجَاءَ﴾ ربه في الآخرة ﴿بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ وحضر عنده مع قلب سليم من الشرك وذنابل الأخلاق والشكّ والنفاق.
ثمّ يقال لهم على رؤوس الأشهاد من قبل الله تبارك وتعالى: أيّها المتقون، اذهبوا إلى الجنة التي

١. تفسير الرازي ٢٨: ١٧٤.

٢. تفسير البياضوي ٢: ٤٢٤، تفسير أبي السعود ٨: ١٣٢، تفسير روح البيان ٩: ١٢٧.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٢٧، تفسير الصافي ٥: ٦٣. ٤. تفسير الرازي ٢٨: ١٧٦.

ترونها و﴿أَدْخُلُوها﴾ حال كونكم مُكْرَمِينَ ﴿بِسَلَامٍ﴾ من الله وملائكته، أو متلبسين بسلامة من العذاب والآفات وزوال النعم وحلول النعم، آمين منها ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي أنتم فيه ﴿يَوْمَ الْغُلُودِ﴾ في الجنة ونعمها والبقاء فيها أبداً.

ثم بشر الله سبحانه في الدنيا المتقين بنعمه التي أعدت لهم في الجنة بقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ ويستهنون ﴿فِيهَا﴾ من المأكَل اللذيذة، والأشربة الطيبة، والملابس الناعمة الفاخرة، والخور والفُصور، والسُرر المرفوعة، والثمار المصفوفة وغيرها في أي زمانٍ وحالٍ. ويُحتمل أن يكون ذلك خطاباً للملائكة الموكلين بخدمتهم، والمراد اعلموا يا ملائكتي أن لهم ما يشاءون، فأحضروا عندهم ما يشتهون ﴿وَلَدَيْنَا﴾ على ذلك ﴿مَزِيدٌ﴾ مما لا يخطر ببالهم، ولا تقدرون أنتم عليه، ولا يندرج تحت مشيئتهم من أنواع اللذات والكرامات.

قيل: إنهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطيهما ما شاءوا، ثم يزيدهم من عنده ما لم يسألوه، ولم تبلغه أمانيتهم^١.

قيل: إن السُّحاب تمرُّ بأهل الجنة فتُمطرهم الخور، فتقول: نحن المزيدي الذي قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^٢. وروي أن هذه الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى^٣. وعن القمي عليه السلام، قال: النظر إلى رحمة الله^٤.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ [٣٦ و ٣٧]

ثم إنه تعالى بعد تهديد المشركين المنكرين للبعث بعذاب الآخرة وأهوالها، وترغيبهم إلى الإيمان والتقوى ببيان حُسن عاقبة المتقين، هَدَّاهُمْ بما نزل على أمثالهم من الأمم الماضية من العذاب بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وكثيراً ما عَذَّبْنَا بعذاب الاستئصال ﴿قَبْلَهُمْ﴾ وفي الأعصار السابقة على عصر قومك ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ وجماعات مقترنين في العصر ﴿هُمْ أَشَدُّ﴾ من قومك وأكثر ﴿مِنْهُمْ بَطْشاً﴾ وقوة في الجسم، كعاد وثمود وغيرهم، لكفرهم وتكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث ﴿فَنَقَّبُوا﴾ وبحوثوا وتصرفوا، أو جالوا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ وأذلوا أهلها وقهروهم وأستولوا عليهم، وهم قائلون حين نزول

٢ و ٣. تفسير روح البيان ٩: ١٣٢.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٣٢.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٢٧، تفسير الصافي ٥: ٦٤.

العذاب عليهم ﴿هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ ومَقَرَّ أو ملجأ منه؟ ولم يجدوه.
وقيل: إنه من كلام الله تعالى مخاطباً لقوم النبي ﷺ، والمعنى: أن الأمم الماضية أهلكوا مع قوة بطشهم، فهل لكم يا قوم محمد من مَحِيصٍ ومَهْرَبٍ عن العذاب؟
﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من إهلاك الأمم لكفرهم وطغيانهم، والله ﴿لَذِكْرٌ﴾ وعِظَةٌ ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ يَفْقَهُ به ويتفكر فيما يرد فيها، ويذكر سوء عاقبة الكفر والطغيان، أو لمن كان له عقل، كما عن الكاظم عليه السلام. وعن ابن عباس^٢ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعُ﴾ ولم يمسكه عن سَمَاعٍ ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وحاضرٌ بذهنه ليفهم معانيه، أو شاهدٌ بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجه.

وقيل: يعني والمندر الذي تعجبتم منه شهيدٌ، كما قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾^٣.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ
* فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ
* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ * وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ
قَرِيبٍ [٣٨-٤١]

ثم عاد سبحانه إلى الاستدلال على إمكان إعادة الخلق للحساب بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ﴾ بطبقاتها ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الموجودات ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وأوقات بلا استعانة بالغير ﴿وَمَا مَسَّنَا﴾ وما أصابنا بذلك شيء ﴿مِنْ لُغُوبٍ﴾ وتعِبٍ وَنَصَبٍ حتى نعجز من إعادة الخلق ثانياً، فَإِنَّ خَلْقَ كُلِّ مِنْهَا بِالْإِرَادَةِ الْمُعْبَرِ عَنْهَا بِأَمْرٍ (كُنْ) بلا حاجة إلى حركة وتحمل كلفة ومشقة، لاستحالة الحاجة في الواجب، وفيه أيضاً ردٌّ على اليهود حيث زعموا أن الله بدأ خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، واستلقى يوم السبت على العرش واستراح.

ثم لما كان شدة إنكار المشركين رسالة الرسول والبعث والمعاد ثقیلاً على قلب النبي ﷺ، أمره سبحانه بالصبر وتنزيهه تعالى عن العجز بقوله: ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ﴾ أذى المشركين ﴿وَمَا يَقُولُونَ﴾ في شأنك وشأن البعث من التعجب من رسالتك واستبعاد البعث والإعادة بعد الموت، كما

١. تفسير الرازي ٢٨: ١٨٢.

٢. الكافي ١: ١٢/١٢، تفسير الصافي ٥: ٦٤، تفسير روح البيان ٩: ١٣٥.

٣. تفسير الرازي ٢٨: ١٨٣، والآية من سورة الفتح: ٨/٤٨.

صبر أولو العزم من الرسل، فإِنَّكَ تَظْفَرُ عَلَى أَعْدَاكَ كَمَا ظَفَرُوا ﴿وَسَبِّحْ﴾ ونَزَّهَ اللهُ مِنَ الْعَجْزِ مِنْ تَجْدِيدِ الْخَلْقِ وَسَائِرِ الصِّفَاتِ الْمُمْكِنَاتِ، وَأَقْرَنَ تَسْبِيحَهُ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ مِنَ الرِّسَالَةِ وَإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي الْوَقْتَيْنِ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وَهُوَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَأَنْهَمَا أَشْرَفُ الْأَوْقَاتِ ﴿وَمِنْ﴾ أَوَّلِ ﴿اللَّيْلِ﴾ أَوْ بَعْضُهُ ﴿فَسَبِّحْهُ وَادْبَارَ السُّجُودِ﴾ وَأَعْقَابَهُ.

قيل: إِنَّ الْمُرَادَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ بِإِظْهَارِ عِظَمَةِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ مِنَ الْعَجْزِ بِالْبَرَهَانِ فِي مَجَامِعِ الْعَرَبِ، وَأَنْ لَا يَسْأَمَ عَنِ التَّبْلِيغِ بِسَبَبِ أَقْوَالِهِمُ الْبَاطِلَةَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي تِلْكَ الْأَوْقَاتِ^١.

وقيل: إِنَّ الْمُرَادَ بِالتَّسْبِيحِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَقَبْلَ الْغُرُوبِ صَلَاةَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَفِي بَعْضِ اللَّيْلِ أَوْ أَوَّلِهِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَبِالتَّسْبِيحِ فِي أَدْبَارِ السُّجُودِ صَلَاةَ التَّوَافُلِ أَدْبَارِ الْفَرَائِضِ^٢.

وعن الباقر عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ قَالَ: «رَكَعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ»^٣.

وعن الرضا عليه السلام، قَالَ: «أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْمَغْرِبِ»^٤.

وعن الصادق عليه السلام أَنَّهُ الْوَتْرُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ»^٥.

وقيل: إِنَّ الْمُرَادَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ قَوْلَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ^٦.

وعن الصادق عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: «تَقُولُ حِينَ تُمَسِّي وَحِينَ تُصْبِحُ عَشْرَ مَرَّاتٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^٧.

قيل: إِنَّ وَظِيفَةَ النَّبِيِّ ﷺ هِدَايَةُ الْخَلْقِ وَعِبَادَةُ الْحَقِّ^٨، وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ إِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهَدَايَتِكَ، فَاسْتَغْلَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ ﴿وَأَسْتَمِعْ﴾ يَا مُحَمَّدُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ، أَوْ اسْتَمِعِ الدَّعَاءَ ﴿يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادُ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاهُمْ﴾^٩ أَوْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنِيْدٍ﴾^{١٠} وَقَوْلِهِ لِلْمُتَّقِينَ: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾^{١١} أَوْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ شَرَّكُمْ لِلَّذِينَ كُفِّرْتُمْ﴾^{١٢} وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْوُجُوهُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى كَوْنِ الْمُنَادِي هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أَوْ بِقَوْلِهِ: إِنِّي أَنَا الْعَظَامُ النَّخْرَةُ، اجْتَمَعْنَ وَأَتَّصَلْنَ وَاحْشَرْنَ لِلْحِسَابِ، بِنَاءً عَلَى كَوْنِ الْمُنَادِي إِسْرَافِيلَ.

١. تفسير الرازي ٢٨: ١٨٥.

٢. تفسير روح البيان ٩: ١٤٠.

٣. الكافي ٣: ١١/٤٤٤، تفسير الصافي ٥: ٦٥.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٢٧، تفسير الصافي ٥: ٦٥.

٥. مجمع البيان ٩: ٢٢٥، تفسير الصافي ٥: ٦٥.

٦. تفسير الرازي ٢٨: ١٨٥.

٧. مجمع البيان ٩: ٢٢٥، تفسير الصافي ٥: ٦٥.

٨. تفسير الرازي ٢٨: ١٨٥.

٩. الصافات: ٢٢/٣٧. ١٠. سورة ق: ٢٤/٥٠.

١١. سورة ق: ٣٤/٥٠. ١٢. الأنعام: ٢٢/٦.

قيل: إن إسرأفيل يقوم على الصخرة وينادي: أيها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء^١.
وقيل: إن جبرئيل ينادي بالحق^٢. «مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ» من جميع الناس يسمعه كلهم على حد سواء.

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
وَالْإِنَّا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ *
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ
وَعِيدِ [٤٢-٤٥]

ثم بين سبحانه يوم نداء المنادي بقوله: «يَوْمَ» يخرج جميع الناس من القبور و«يَسْمَعُونَ» من إسرأفيل «الصَّيْحَةَ» والنفخة الثانية في الصور، وهي مقرونة ومتلبسة «بِالْحَقِّ» والتحقق، أو مصحوبة باليقين والقطع، لا بالظن والشك، أو المراد بالصيحة بالحشر الذي هو الحق بقوله: يا عظام اجتمعي.

أقول: هذا التفسير لا يوافق سماع الناس تلك الصيحة.
«ذَلِكَ» اليوم الذي تسمع فيه الصيحة «يَوْمَ الْخُرُوجِ» من القبور والسوق إلى المحشر والحساب، ثم إلى الجنة، أو النار.

وعن القمي «يُنَادِ الْمُنَادُ» باسم القائم واسم أبيه^٣ «مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ» بحيث [يصل] نداؤه إلى الكل سواء «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ» قال: صيحة القائم من السماء «ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ»^٤.
وعنه، عن الصادق عليه السلام قال: «هي الرجعة»^٥.
أقول: هذا تأويل الآية لا تفسيرها.

ثم قرر سبحانه دليل البعث والنشور بقوله: «إِنَّا نَحْنُ» بقدرتنا الكاملة «نُحْيِي» الناس جميعاً في الدنيا «وَنُمِيتُ» جميعهم فيها «وَرَبِّ» بعد ذلك «إِلَيْنَا» لا إلى غيرنا «الْمَصِيرُ» والمرجع في الآخرة لحساب أعمالهم وجزائهم، وذلك الرجوع إلينا يكون «يَوْمَ» يحيا الناس في قبورهم «تَشَقُّقُ

٢. تفسير روح البيان ٩: ١٤٢.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٤٢.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٢٧، تفسير الصافي ٥: ٦٥، وفي النسخة: واسم الله.

٤ و ٥. تفسير القمي ٢: ٣٢٧، تفسير الصافي ٥: ٦٥.

الْأَرْضُ﴾ ونكشف حجاب التراب ﴿عَنْهُمْ﴾ ويخرجون من القبور ﴿سِرَاحاً﴾ بلا ريث ويُطء ﴿ذَلِكَ﴾ الإحياء والخروج ﴿حَشَرٌ﴾ ويعث عوداً، وهو ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ وهين لا عسر وصعب.

ثم سلى سبحانه نبيه وحبيه ﷺ بقوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾ من كل أحد ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ هؤلاء الكفار من إنكار الرسالة، واستبعاد البعث بعد الموت، وتكذيب الآيات الناطقة به، وأنت لا تتعب نفسك بدعوتهم إلى الإيمان بك وكتابك وبالأخرة، لأنك لا تكون عليهم رقيباً ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ تُجبرهم على تصديقك، وتُفهر على الإقرار بالمعاد والبعث، وإنما عليك البلاغ والتذكير ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ الذي أنزل إليك، المشتمل على أدلة رسالتك بجهات إعجازه، وأدلة قاطعة وبراهين واضحة على صحة البعث وجزاء الأعمال، وعظ بما فيه من المواعظ الشافية والعبير الوافية ﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ الله وتهديده بالعذاب الأخروي والديني، فإنهم المتنفعون بمواعظ الله ورسله، وأما من عداهم ففوّض أمرهم إلينا، فإنّا نعاملهم بما يستحقّون، ونفعل بهم ما يستوجبون له.

قيل: كان رسول الله ﷺ يخطب في كثير من الأوقات بسورة (ق) لاشتمالها على ذكر الله والثناء عليه، وعلمه بما تُوسوس به النفوس، وما تكتبه الملائكة، وتذكر الموت وسكرته وشدته، وتذكير القيامة وأهوالها، والشهادة على الخلاق بأعمالهم، وتذكير الجنة والنار والصيحة والنشور والخروج من القبور، والمواظبة على الصلوات^١.

وفي الحديث: «من قرأ سورة (ق) هَوّن الله عليه تارات الموت وسكراته»^٢.

وعن الباقر عليه السلام: «من أدام في فرائضه ونوافله سورة (ق) وسع الله عليه في رزقه، وأعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه حساباً يسيراً»^٣.

الحمد لله الذي مَنّ عليّ بالتوفيق لإتمام تفسير السورة المباركة، وأسأله التوفيق لإدمان قراءتها.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٤٥.

٢. تفسير روح البيان ٩: ١٤٥، ونقل عن حواشي سعدى المفتي، تارات الموت: إفاقاته وغشياته.

٣. ثواب الأعمال: ١١٥، مجمع البيان ٩: ٢١٠، تفسير الصافي ٥: ٦٦.

في تفسير سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسَّمَاتِ
أَمْرًا [١-٤]

ثم لما خُتِمت سورة (ق) المُصدرة بالحلف على صدق رسالة رسوله وإثباته، وإثبات البعث، وتهديد المكذّبين بما نزل على قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط، وإثبات التوحيد ببناء السماء ومد الأرض وغيرها من الآيات، أردفت بسورة الذاريات المُصدرة بالحلف على صدق المعاد، وتهديد المنكرين بما نزل على أولئك الأمم مع شِرْذِمَةٍ من تفصيل العذاب الواقع بهم، وإثبات التوحيد ببناء السماء وفرش الأرض، وبعض آخر من المطالب المهمة المربوطة بمطالب السورة السابقة.

قيل: لَمَّا بَيَّنَّ الله الحشر بدلائله في السورة السابقة، وقال: ﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾^١ وذكر إصرار المشركين على الإنكار بقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾^٢ لم يبق إلا اليمين، فنظمت بعدها سورة والذاريات^٣، المُصدرة بالحلف على المعاد، وصدق البعث والحساب، فابتدأها بذكر الاسماء الحسنى، بقوله تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع سبحانه بالحلف على صدق المعاد، فابتدأ بالحلف بالرياح التي تَذَرُ التراب وتفرقه في أقطار الأرض بقوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ والمُطِيرَاتِ لِلتُّرَابِ والأشياء الخفاف كالحشائش والتبن^٤ في أطراف الأرض ﴿ذُرُوءًا﴾ وإطارة خاصة بها، وإنما قدّم سبحانه الحلف بها لكونها أدل على كمال قدرته، ثم حلف بقطعات السحاب الحاملات للأمطار بقوله: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ وحملاً ثقيلاً من الماء، وإنما قدّمها لكونها أنفع للناس بعد الرياح، ثم حلف سبحانه بالسفن الجارية بتوسط الرياح

٣. تفسير الرازي ٢٨: ١٩٣.

٢. سورة ق: ٤٥/٥٠.

١. سورة ق: ٤٤/٥٠.

٤. في النسخة التبيين.

بقوله: «فَالْجَارِيَاتِ» في البحار جرياناً «يُسْرًا» وسهلاً. ثم حلف بالملائكة الذين يُقَسِّمون الأمطار والأرزاق بقوله: «فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا» والمراد بالأمر جنسه، فيشمل جميع الأمور المنقسمة بين الخلائق.

روى بعض العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الذاريات هي الرياح، والحاملات هي السحاب، والجاريات هي السفن، والمقسمات هي الملائكة الذين يُقَسِّمون الأرزاق»^١.

وعن القمي عليه السلام، عن الصادق عليه السلام: «أن أمير المؤمنين سئل عن (الذاريات ذرواً) قال: الريح، وعن (الحاملات وقرأ) قال: السحاب، وعن (الجاريات يسراً) قال: هي السفن، وعن (المقسمات أمراً) قال: الملائكة»^٢. وعن (الاحتجاج) عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله^٣.

والعجب من الفخر الرازي أنه نقل هذا التفسير عن أمير المؤمنين عليه السلام، ومع ذلك اختار غيره، مع رواية العامة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها»^٤ وأنه مع الحق والحق معه»^٥.

قال الناصب: الأقرب أن هذه صفات أربع للرياح التي تُنشئ السحاب أولاً، والحاملات هي الرياح التي تحمل السحب التي هي بخار المياه التي إذا سحت جرت السيول العظيمة، وهي أوقار أثقل من الجبال، والجاريات هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها، والمقسمات هي الرياح التي تُفرّق الأمطار على الأقطار^٦.

وفيه مع أنه تفسير بالرأي ومن فسر القرآن برأيه فليتأوه مقعده من النار ومخالف لما فسره به نفس الرسول صلى الله عليه وآله ولسانه وعبية علمه، على تقدير ثبوته، فاسدٌ في نفسه لظهور أن الذاريات غير المنشئات، والسائقات غير الحاملات، والجاريات غير المجريات، والمقسمات مطلق الأمر الشامل للأمطار والأرزاق وغيرها، غير مقسمات خصوص المطر، فالمقسمات أمراً كالمدبرات أمراً، قيل: هم أربعة: جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل^٧. والظاهر أن هؤلاء عمدة المدبرات، وإلا فالمدبرات أكثر.

قيل: إن هذه الأمور دلائل التوحيد أخرجها بصورة القسم^٨.

٢. تفسير القمي ٢: ٣٢٧، تفسير الصافي ٥: ٦٧.

١. تفسير الرازي ٢٨: ١٩٥.

٣. الاحتجاج: ٢٥٩، تفسير الصافي ٥: ٦٧.

٤. مستدرک الحاكم ٣: ١٢٦ و ١٢٧، جامع الاصول ٩: ٦٤٨٩/٤٧٣، أسد الغابة ٤: ٢٢، تاريخ بغداد ١١: ٤٩ و ٥٠.

٥. مناقب الخوارزمي: ٥٧، ترجمة الامام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٣: ١١٧٢/٥٣.

٦. تفسير الرازي ٢٨: ١٩٥.

٧. تفسير روح البيان ٩: ١٤٨.

٨. تفسير الرازي ٢٨: ١٩٤.

قيل: إنَّ الرياح في الدلالة على كمال القدرة أتمَّ لكونها أسباباً للشَّعب، والشَّعب أتمَّ دلالة عليه من السفن لكونها أغرب ماهيةً وأكثر نفعاً، وهذه الثلاثة لكونها من المحسوسات غير القابلة للانكار أتمَّ دلالة من الملائكة، لإمكان إنكار المُنكر وجودهم، ولذا صَدَّر الثلاثة بالفاء^١.

وقيل: إنَّ الترتيب المترقي من الأضعف إلى الأقوى، فإنَّ السُّحب أقوى دلالةً على كمال القدرة من الرياح، لتألفها من الأجزاء المائية والهوائية. وقليل من الأجزاء الأرضية والنارية، وفيها غرائب من الآثار العلوية، والسُّفن أقوى دلالةً من السُّحب، لتألفها [من] جميع العناصر على ما فيها من الصنعة البديعة والأمور العجيبة من حمل الأثقال مع خفة الحامل، وقطعها المسافة البعيدة في زمانٍ يسير بهبوب الرياح العاصفة، والأدل من الجميع إقداره الروحانيات مع لطافتهم على التصرف في الجسمانيات مع كثافته، ولا اعتبار بانكار من لا عبرة به^٢.

وقيل: إنَّ وجه الترتيب كون حركة السُّحب والسفن من آثار الرياح، وبعد الحلف بما يكون سبباً للرزق ذكر مُقسَّمات الأرزاق^٣.

وقيل: إنَّ المراد بالذاريات الكواكب السريعة في السير من ذرا يذرو، بمعنى أسرع. وقيل: إنَّ المراد الملائكة. وقيل: إنَّ التقدير: وربَّ الذاريات^٤.

إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أَفِكَ [٩-٥]

ثم ذكر سبحانه المُقسَّم عليه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ﴾ أيها المشركون من البعث والحشر والحساب ﴿لَصَادِقٍ﴾ ومطابق للواقع، لا مجال للشك فيه. قيل: إنَّ الصادق بمعنى ذو صدق^٥. وقيل: إنَّ في وصف المصدر بما يُوصَف به الفاعل غاية المبالغة^٦. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ وجزاء الأعمال في الآخرة ﴿لَوَاقِعٌ﴾ وكأنَّ لا محالة.

ثم حكى سبحانه اختلاف طريقة المشركين في تكذيب الرسول والمعاد والقرآن، مؤكِّداً بالخلف بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ﴾ والطرائق المختلفة للكواكب، أو ذات الأشكال المختلفة بسبب النجوم.

وعن ابن عباس: ذات الخلق الحسن المستوي^٧.

٢. تفسير روح البيان ٩: ١٤٨.

٤. تفسير الرازي ٢٨: ١٩٥.

٧. تفسير أبي السعود ٨: ١٣٧، تفسير روح البيان ٩: ١٥٠.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٤٨.

٣. تفسير روح البيان ٩: ١٤٨.

٥ و ٦. تفسير الرازي ٢٨: ١٩٦.

﴿إِنكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿لَقِيَ قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ﴾ ومتناقض في شأن الرسول، فتارة تقولون: إنه ساحر، وتارة تقولون: إنه كاهن، وتارة تقولون: إنه شاعر، وتارة تقولون: إنه مجنون، ومرة تقولون: إنه مجادل ونحن عاجزون من الجدل، وسادسة تقولون: إنه أمين، وسابعة تقولون: إنه كاذب. وفي شأن القرآن تارة تقولون: إنه سحر، وتارة تقولون: إنه شعر، وتارة تقولون: إنه كهانة، وتارة تقولون: إنه أساطير.

وفي شأن المعاد تارة تقولون: إنه متيقن والأصنام شفعاءنا عند الله، وتارة تقولون: إنه مظنون، وتارة تقولون: إنه مشكوك، وتارة تقولون: إنه مقطوع العدم.

وقيل: إن المراد أنكم غير ثابتين على قول، ومن يكون كذلك لا يكون متيقناً في اعتقاده.^١ ثم بالغ سبحانه في ذمهم بقوله: ﴿يُؤَفِّكُ﴾ عن الرسول، أو عن القرآن، أو عن القول بالحشر، ويصرف ﴿عَنهُ﴾ مع كونه حقاً يجب الإيمان به ﴿مَنْ أُولَئِكَ﴾ وصرف عن كل خير وسعادة، إذا لا صرف أقطع وأشنع منه.

وقيل: إنه مدح للمؤمنين، فإنهم يصرفون عن القول المختلف [ويصرفون] من صرف عن كل باطل، ويرشدون إلى القول المستوي^٢، وفيه ما لا يخفى من الضعف.

قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ *

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

تَسْتَعْجِلُونَ] [١٠-١٤]

ثم أظهر سبحانه الغضب على منكري رسالة الرسول والقرآن بالدعاء عليهم بقوله: ﴿قُتِلَ﴾ ولعين ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾ والمعتمدون على الخدس والتخمين في دينهم، والمتبعون فيه لهوى أنفسهم، مع أن الدين لا بد فيه من اليقين والاعتماد على البراهين.

ثم لما كانت توصيفهم بالخرص غير صريح في الذم، وصفهم بما فيه التصريح به بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾ كانوا في غمرة^٣ وشدة جهل وضلال و﴿سَاهُونَ﴾ وغافلون عما يراد بهم، بل عن أنفسهم، أو عما أمروا به من قبل ربهم.

ثم حكى سبحانه ما يدل على شدة جهالتهم ويغضبهم للحق بقوله: ﴿يَسْأَلُونَ﴾ أولئك المشركون عنك استهزاء بقولك: (إن الدين لواقع) ويقولون: يا محمد ﴿أَيَّانَ﴾ ومتى يقع ﴿يَوْمُ الَّذِينَ﴾ ووقت

جزاء الأعمال وابتلائنا بالعذاب.

نَمْ لَمَّا كَانَ غَرَضُهُمْ مِنَ السُّؤَالِ الِاسْتِهْزَاءَ، هَدَّدَهُمْ بِمَا يُشَبِّهُ الْجَوَابَ وَلَيْسَ بِجَوَابٍ بِقَوْلِهِ: «يَوْمَ هُمْ» فِيهِ «عَلَى النَّارِ يُقْتَتُونَ» وَيُعَذَّبُونَ بِهَا، كَمَا يَفْتَنُ الذَّهَبَ بِالنَّارِ وَيُحْرَقُ خَبْتُهُ. قِيلَ: يَعْنِي يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ كَعَرْضِ الْمُجْرِبِ لِلذَّهَبِ الْمُدْهَبِ عَلَيْهَا، كَأَنَّهُمْ يُجْرَبُونَ عَلَيْهَا، وَقَوْلُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ حِينَ تَعَذِّبُهُمْ: «ذُوقُوا» أَيُّهَا الْمُنْكَرُونَ لِلْحَشْرِ «فَتَنَتَكُمْ» وَعَذَابِكُمْ، أَوْ مَا بِهِ امْتِحَانُكُمْ وَابْتِلَاؤُكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ «هَذَا» الْعَذَابُ «الَّذِي» يَنْدُوقُونَهُ الْآنَ مَا «كُتِبَتْ بِهِ» فِي الدُّنْيَا «تَسْتَغْفِرُونَ» اسْتِهْزَاءً بِالرَّسُولِ وَيَاخْبَارُنَا بِهِ فِي كِتَابِنَا، وَسُخْرِيَةً مِنْهُ حَيْثُ كُتِبَتْ تَقُولُونَ: مَتَى هَذَا الْوَعْدُ، أَوْ آيَاتُ يَوْمِ الدِّينِ.

إِنَّ أَلْمُتَّقِينَ فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ * أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ
مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ [١٥-١٨]

نَمْ إِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ بَيَانِ سُوءِ عَاقِبَةِ الْمُشْرِكِينَ وَشِدَّةِ عَذَابِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، بَيَّنَّ حُسْنَ عَاقِبَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْمُجْتَنِبِينَ عَنِ الشَّرِكِ وَالْكَفْرِ وَالْعِصْيَانِ فِي الدُّنْيَا، الْمُحْتَزِّزِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ» الْمُؤْمِنِينَ «أَلْمُتَّقِينَ» عَنِ الشَّرِكِ وَالْعِصْيَانِ فِي الدُّنْيَا، مَتَمَكِّنُونَ فِي الْآخِرَةِ «فِي جَنَاتٍ» وَبَسَاتِينَ ذَاتِ قُصُورٍ وَبِهَاءٍ وَبِهَجَةٍ لَا يُمْكِنُ تَوْصِيفُهَا «وَو» فِي ظِلَالٍ «عُيُونٍ» غَرِيزَةٍ، وَأَنْهَارٍ جَارِيَةٍ فِي أَطْرَافِهِمْ بَحِيثٍ يَزَوْنَهَا وَيَفْرَحُونَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا حَالِ كَوْنِهِمْ «أَخَذِينَ» وَقَابِلِينَ «مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ» بِفَضْلِهِ مِنَ النُّعْمِ الْجِسَامِ، وَرَاضِينَ بِهِ لِعَاقِبَةِ جُودَتِهِ وَكَمَالِهِ.

قِيلَ: فِي قَوْلِهِ: «مَا آتَاهُمْ» بِصِغَةِ الْمَاضِي، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِعْطَاءَ وَالتَّمْلِيكَ كَانَ فِي الدُّنْيَا، وَالْقَبُولَ وَالْأَخْذَ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ^٢.

نَمْ بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِلَّةَ الْإِنْعَامِ عَلَى الْمُتَّقِينَ بِتِلْكَ النُّعْمِ الْعَظِيمَةِ الْجَسِيمَةِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّهُمْ كَانُوا» فِي الْعَالَمِ الَّذِي كَانَ «قَبْلَ ذَلِكَ» الْعَالَمِ، وَهُوَ عَالَمُ الدُّنْيَا «مُحْسِنِينَ» فِي عِقَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، فَأَعْطَا بِذَلِكَ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ، وَكَانَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ أَنَّهُمْ «كَانُوا» فِي الدُّنْيَا مُقَدَّارًا وَزَمَانًا «قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ» وَوَقْتُ نَوْمِ جَمِيعِ النَّاسِ «مَا يَهْجَعُونَ» وَيَنَامُونَ، وَزَمَانًا كَثِيرًا مِنْهُ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، وَيُصَلُّونَ وَيُعْبُدُونَ.

٥٠ نفحات الرحمن في تفسير القرآن ج ٦

قيل: إن كلمة (ما) في (ما يهجمون) زائدة مؤكدة للقلة^١. وقيل: إنها مصدرية، والمعنى قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم^٢.

قيل: نزلت في شأن الأنصارين حيث كانوا يُصلّون في مسجد النبي ﷺ، ثم يمشون إلى قُبَا، وبينهما ميلان^٣. وقيل: إنهم كانوا لا ينامون حتى يُصلّوا العشاء الآخرة^٤.

وروى بعض العامة عن الصادق عليه السلام، أنه قال: «من يهجع ما بين المغرب والعشاء حتى يشهد العشاء فهو منهم»^٥.

وفي (الكافي) عنه عليه السلام: «كانوا أقلّ الليالي تفوتهم لا يقومون فيها»^٦.

وعن الباقر عليه السلام: «كان القوم ينامون، ولكن كلما انقلب أحدهم قال: الحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^٧.

«وَبِالْأَسْحَارِ» والثالث الآخر من الليالي «هُمْ» على الدوام «يَسْتَغْفِرُونَ» رُبَّمَا لذنوبهم. وقيل: يعني بالأسحار يُصلّون طلباً لمغفرة ذنوبهم^٨.

في فضيلة الاستغفار روي أن الله تعالى قال: «إِنْ أَحَبَّ أَحْبَابِي إِلَيَّ هُم الَّذِينَ يَسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ أُولَئِكَ الَّذِينَ إِذَا أُرِدْتُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ شَيْئاً ذَكَرْتَهُمْ فَصَرَفْتُ بِهِمْ عَنْهُمْ»^٩.

قيل: يا رسول الله، كيف الاستغفار؟ قال عليه السلام: «قولوا: اللهم اغفر لنا، وأرحمنا، وتُب علينا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^{١٠}.

وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ [١٩-٢١]

ثم إنّه تعالى بعد مدح المتّقين بعبادة ربّهم وتعظيمه، وشفقتهم على أنفسهم بطلب مغفرة ذنوبهم، مدحهم بشفقتهم على الخلق وإحسانهم إلى العباد بقوله: «وَفِي أَمْوَالِهِمْ» التي أعطاهم الله إياها، وخصّهم الله بها «حَقٌّ» عظيم ونصيب وافر يُوجِبونه على أنفسهم «لِلْسَّائِلِ» والفقير الذي يستعطيهم «وَالْمَحْرُومِ» الذي لا يستعطيهم، بل يتعقّف عن السؤال والطلب، بحيث يُحسّبه الناس غنياً فيُحرّم الصدقات.

١. تفسير الرازي ٢٨: ٢٠١، تفسير روح البيان ٩: ١٥٣. ٢. تفسير الرازي ٢٨: ٢٠٢، تفسير أبي السعود ٨: ١٣٨.

٣- ٥. تفسير روح البيان ٩: ١٥٣. ٦. الكافي ٣: ١٨/٤٤٦، تفسير الصافي ٥: ٦٩.

٧. التهذيب ٢: ١٣٨٤/٣٣٥، تفسير الصافي ٥: ٦٩. ٨. تفسير الرازي ٢٨: ٢٠٥، تفسير روح البيان ٩: ١٥٥.

٩. تفسير روح البيان ٩: ١٥٤. ١٠. تفسير روح البيان ٩: ١٥٤.

عن الصادق عليه السلام، قال: «المحروم المحارِف^١ الذي حُرِمَ يده من الشراء والبيع^٢.
وعن الباقر عليه السلام: «المحروم الذي ليس بعقله بأس، ولا يَبْسُطُ له الرزق، وهو مُحارِف^٣.
ثم إنَّه تعالى بعد بيان عبادة المتقين وحُسن أعمالهم وحُسن جزائهم، بيَّن استحقاقه للعبادة
والجُهد في الطاعة وطلب مرضاته بقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ سهلها وجبلها، وبَرَّها وبحرها، وعيونها
وأَنْهارها، ومسالكها وفجاجها، ونباتها وأشجارها، وأنماها ومعادنها، وما رَتَّبَ فيها ودَبَّرَ لمنافعها
لشكَّانها ﴿آيَاتٌ﴾ عظيمة، ودلائل واضحة على وجود صانعها ووحدانيته، وقُدْرته وعلمه وحكمته،
وإرادته ورحمته، وإنَّما يكون الانتفاع بتلك الآيات ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بتوحيد الله، فإنَّهم لا يغفلون عنه في
حال، ويرون له في كلِّ شيء آية ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ خصوصاً آيات ودلائل على أن لها صانعاً
مُستجماً لجميع الكمالات، حيث إنَّه انطوى في كلِّ فردٍ منكم نظير كلِّ موجودٍ يكون في العالم، مع
ماله من الأفعال البدیعة والصناعات المختلفة العجيبة، والعلوم الشريفة، والمعارف العالية، والكمالات
النفسانية الانسانية، أنتم عمون ﴿أَفَلَا تَبْصِرُونَ﴾ تلك الآيات بعين البصيرة حتى تعتبروا وتستدلُّوا
بالصنعة على الصانع وبالنقش على النقاش وكماله.

نفس فضيلة روى بعض العامة: أن علياً عليه السلام صَعِدَ يوماً على العِشْبَرِ فقال: «سلوني عمَّا دون
علي عليه السلام العرش، فإنَّ ما بين جوانحي علمٌ جَمٌّ، هذا لُعَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في فمي، هذا ما
رَزَقَنِي الله من رسول الله ﷺ رزقاً» وفي رواية: «هذا ما رَزَقَنِي رسول الله زقاً، فوالذي نفسي بيده، لو
إِذْنُ الله للتوراة والانجيل أن يتكلَّما، فأخبرتُ بما فيهما لصدَّقاني». وكان في المجلس رجلٌ يمانِي، فقال: ادَّعى هذا الرجل دعوى عريضةً لأفصحته. فقام وقال: يا
علي، أسأل؟ قال «سَلْ تَفْهَمْ ولا تسأل تَعْتَمَلْ».

فقال: أنت حملتني على ذلك، هل رأيت ربَّك يا علي؟ قال: «ما كنت أعْبُدُ رباً لم أره». فقال: كيف
رأيت؟ فقال: «لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأيت القلوب بحقيقة الإيمان، ربِّي واحدٌ لا
شريك له، أحدٌ لا ثاني له، فَرَدُّ لا مثل له، لا يحويه مكان، ولا يداوله زمان، ولا يَدْرِكُ بالحواس، ولا
يُقَاسُ بالقياس» فسقط اليماني مغشياً عليه، فلما أفاق، قال: عاهدت الله أن لا أسأل تَعْتَمَلْ^٤.

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا

١. المحارِف: المحروم يطلب فلا يَرْزُق. ٢. الكافي ٣: ١٢/٥٠٠، تفسير الصافي ٥: ٧٠.
٣. الكافي ٣: ١٢/٥٠٠، وتفسير الصافي ٥: ٧٠، عن الباقر والصادق عليهما السلام.
٤. تفسير روح البيان ٩: ١٥٩.

أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَتِيَهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ * مَسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُؤْسَرِفِينَ [٢٢-٣٤]

ثم لما مدح الله سبحانه المتقين بأن في أموالهم حقاً معلوماً، حث الناس على إنفاق أموالهم بقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ﴾ مكتوب ومقدّر ﴿رِزْقُكُمْ﴾ وما يلزم لمعاشكم، ولولا التقدير لما حصل لكم في الأرض حبة قوت، ولو بذلت في تحصيله غاية الجهد. وقيل: يعني أسباب رزقكم^١ من المطر وغيره ﴿وَمَا تُوْعَدُونَ﴾ من خيرٍ وشرٍّ ورخاءٍ وثوابٍ وعقاب.

وعن المجتبى عليه^٢ أنه سُئِلَ عن أرزاق الخلائق، فقال: «في السماء الرابعة، تنزل بقدرٍ وتُبْسَطُ بقدر»^٣.

﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي يربيهما ويربّي ما فيهما بإيصال ما يوجب بقاءها وكمالها ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ وصدق.

قيل: الضمير راجع إلى (يوم الدين) حيث قالوا: (ايان يوم الدين)^٤.

وقيل: إنه راجع إلى القرآن حيث قال سبحانه: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَن أُولِكُ﴾ ومعنى المقسم عليه أنه حقّ يُكَلِّمُ به المَلَكُ من قبل الله، وينطق^٥ به ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ وتتكلمون^٦. وقيل: إنه راجع إلى ما يُوعَدُونَ من الجنة^٧. والمعنى كما أنكم تتكلمون ولا تُشْكُونَ في كلامكم.

وقيل: إنه راجع إلى ما أخبر به من كون الأرزاق في السماء^٨، وهو الأظهر.

في الحديث: «أبى ابن آدم أن يُصدّق ربه حتى أقسم له فقال: ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ﴾» الآية^٩.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم الله لهم بنفسه فلم يُصدّقوه» انتهى^{١٠}.

٢. تفسير القمي ٢: ٢٧١، تفسير الصافي ٥: ٧١.

٤. في النسخة: ونطق.

٧. تفسير روح البيان ٩: ١٥٩.

٩. تفسير روح البيان ٩: ١٥٩.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٥٩.

٣. تفسير الرازي ٢٨: ٢٠٩.

٥ و ٧. تفسير الرازي ٢٨: ٢٠٩.

٨. تفسير روح البيان ٩: ١٥٩.

قيل: لو أن يهودياً وعد لانساني رزقه، وأقسم به عليه، لاعتمد بوعده وقسمه، فقاتله الله كيف لا يعتمد على وعد الله وقسمه برزقه؟^١

حكى أن هَرم بن سنان قال لأويس القرني: أين تأمرني أن أكون؟ فأوما إلى الشام، فقال هَرم: كيف المعيشة بها؟ قال أويس: أف لهذه القلوب التي قد خالطها الشك، فما تنفعها العظة.^٢

فصة ضيف إبراهيم وطغيانهم من العذاب بقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد وسَمِعْتَ من أحدٍ ﴿حَدِيثُ﴾

ضَيْفٌ جَدَّكَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ الذين كانوا عند الله من ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ ومعظمين بالصعامة والاصطفاء والقرب، حيث كانوا من الملائكة الذين وصفهم الله بأنهم عباد مكرمون.

وقيل: يعني كانوا مكرمين عند إبراهيم عليه السلام حيث خَدَمَهُم بنفسه بحُسان أنهم ضيف.^٣ قيل: لم يُكذِّبه الله في حُسابه إكراماً له.^٤

﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ وحين وردوا ﴿عَلَيْهِ فَقَالُوا﴾ بعد دخولهم تأدباً وتحيّة له: سَلِّمْ عَلَيْكَ ﴿سَلَاماً﴾ فردَّ إبراهيم تحيتهم و ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ عليكم. قيل: إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَدَّ عَلَيْهِمْ قال في نفسه: هؤلاء ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ غير معروفين في هذا البلد، حيث كان أهله كفّاراً، ولم تكن تحيتهم السلام.^٥

وقيل: إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لهم: أنتم قوم منكرون، لم أرَ مثلكم في حُسن الصورة والقامة، فعزفوني أنفُسكم. قالوا: نحن أضيافك.^٦

﴿قَرَأَ﴾ وذهب ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ وزوجته سارة خفية من أضيافه، لئلا يمنعه من إتيان الطعام وتحمل الكلفة ﴿فَجَاءَ﴾ إليهم ﴿بِعِجْلٍ﴾ وولد بقرٍ ﴿سَمِينٍ﴾ كثير اللحم مشوي؛ لأنه كان عامة ماله البقر ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ ووضعه بين أيديهم ليأكلوا منه، فلم يَمْدُوا أيديهم إليه، ولم يأكلوا منه ﴿قَالَ﴾ إبراهيم حنّاً لهم على الأكل: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ من اللحم المشوي؟

روي أنهم قالوا: لا نأكل منه بغير إذن. قال إبراهيم: كُلُوا وأعطوا ثمنه. قالوا: وما ثمنه؟ قال إبراهيم: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا: الحمد لله، فتعجبوا من قوله، ثم أنهم مع ذلك لم يأكلوا منه ﴿فَأَوْجَسَ﴾ وأضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لئلا يَؤْخِذَهُمْ أنهم اعدوه جاءوا بالشّر، لكون العادة أن من يجيء بالشّر ما كان يأكل من طعام من يُريد إضراره.^٧ وقيل: وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا

٢. تفسير روح البيان ٩: ١٦٠.

٤. تفسير الرازي ٢٨: ٢١٠.

٦. تفسير روح البيان ٩: ١٦٢.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٦٠.

٣. تفسير روح البيان ٩: ١٦١.

٥. تفسير روح البيان ٩: ١٦٢.

٧. تفسير روح البيان ٩: ١٦٢.

للعذاب^١، فلما أحسوا بخوفه ﴿قَالُوا﴾ يا إبراهيم ﴿لَا تَخَفْ﴾ من شركنا وضركنا، إنا رسل ربك. قيل: مسح جبرئيل العجل بجانحه فقام يمشى حتى لحق بأمه، فعرفهم وأمين منهم^٢.
 ﴿وَبَشِّرُوهُ﴾ تطيباً لقلبه ﴿بِإِسْلَامٍ﴾ وولد ذكر ﴿عَلِيمٍ﴾ من سارة قيمة لم تلد له ﴿فَأَقْبَلَتْ آمْرًا﴾ سارة على أهلها لما سمعت البشارة، وهي ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ وصيحة تقول: يا ويلنا. وعن الصادق عليه السلام: «في جماعة^٣ من نساها» ﴿فَصَكَّتْ﴾ ولطمت ﴿وَجَهَّهَا﴾ تعجباً من قولهم، كما هو عادة النساء إذا أنكرن وتعجبين من شيء ﴿وَقَالَتْ﴾ استبعاداً لما بشرت به بحكم العادة: كيف ألد الآن وأنا ﴿عَجُوزٌ﴾ قد بلغت من العمر تسعاً وتسعين سنة، على ما قيل^٤: ﴿عَقِيمٌ﴾ لم ألد مدة عمري قط؟ فأجابها الملائكة و﴿قَالُوا﴾ لها ردعاً لها عن الاستبعاد والتعجب: ما قلنا ذلك من قبل أنفسنا، بل ﴿كَذَلِكَ﴾ الذي بشرناك ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ الذي خلقك بقدرته، وبلغك برحمته إلى المرتبة العالية من الكمالات الجسمانية والروحانية، ونحن أخبرناك بما قال ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في فعاله ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوال عباده، فلا محالة يكون حقاً، وفعله محكماً، فليس لك أن تقول: لم يعطيني الولد في شبابي، وبشرني به في زمان كبري وعجزي.

رُوي أن جبرئيل قال لها: انظري إلى سقف بيتك، فنظرت فإذا جذوة موقرة ومثمرة، فأيقنت^٥.
 قيل: لما عرف إبراهيم الرسل وأنس بهم، استعجلوا في الخروج من عنده ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ وأي الأمر العظيم عجل بكم بعد هذا الأنس^٦ ﴿أَيُّهَا﴾ الملائكة ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ لبشارتي؟ ﴿قَالُوا﴾ ما أرسلنا لبشارتك فقط، بل ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ من جانب ربك ﴿إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ومُضْرِينَ على الكفر والطغيان، وهم قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ﴾ ونُطْمِر ﴿عَلَيْهِمْ﴾ من السماء ﴿حِجَابَةً﴾ مخلوقة ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متحجرة مطبوخة بنار جهنم، على ما قيل^٧، فلا يتوهم أنها من برد، كما قيل^٨ إن الحجارة قد تُطْلَق عليه، وتلك الحجارة تكون ﴿مُسَوَّمَةً﴾ ومُعلَّمة كل واحدة منها باسم من يقتل بها، أو المراد مخلوقة لتعذيبهم ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ وبقدرته، لا للارتفاع بها كساثر الأحجار، أو مرسلة في علم الله ﴿لِلْمُشْرِفِينَ﴾ ولإهلاك المجاوزين عن الحد في الفجور.

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٤٠، تفسير روح البيان ٩: ١٦٢.

٢. تفسير أبي السعود ٨: ١٤٠، تفسير روح البيان ٩: ١٦٢.

٣. مجمع البيان ٩: ٢٣٨، تفسير الصافي ٥: ٧١، تفسير القمي ٢: ٣٣٠، لم ينسبه إلى أحد.

٤. تفسير روح البيان ٩: ١٦٣.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٤٠، تفسير روح البيان ٩: ١٦٣.

٦. تفسير الرازي ٢٨: ٢١٦.

٧. تفسير الرازي ٢٨: ٢١٧، تفسير روح البيان ٩: ١٦٤.

عن ابن عباس: أي للمشركين، فاللشرك أسرف الذنوب وأعظمها^١.

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * وَفِي مُوسَى إِذْ
أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ *
فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ * وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ * وَفِي نُوحٍ إِذْ
قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ * فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ * وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [٣٥-٤٦]

ثم أخبر الله سبحانه بلطفه بلوط بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ قبل نزول العذاب على القرى الخمسة، أو
السبعة ﴿مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن قلنا للوط: ﴿أَسِرْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾^٢.
﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا﴾ أهلاً للنجاة من العذاب ﴿غَيْرَ﴾ أهل ﴿بَيْتٍ﴾ واحد ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم
لوط وأهله، كما عن النبي ﷺ^٣، قيل: أهله بنتاه، وقيل: كانوا ثلاثة عشر سوى امرأته الكافرة^٤،
﴿وَتَرَكْنَا﴾ بتعذيب أهل القرى ﴿فِيهَا آيَةً﴾ عظيمة ودلالة واضحة على التوحيد وبطلان الشرك،
وهي تلك الحجارة المسومة، أو ماء أسود مئين خرج من أرضهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾
فإنهم يرون آثار العذاب آية، ويعتبرون بها، لسلامة فطرتهم، وتنور قلوبهم، وقوة بصيرتهم دون من
عداهم.

﴿وَفِي﴾ حديث ﴿مُوسَى﴾ بن عمران عليه السلام أيضاً آية وعبرة - وقيل: إنه عطف على قوله: ﴿وَفِي
الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾^٥ - ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ﴾ من جانب الطور الأيمن ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ملك مصر مستدلاً على
رسالته ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ ومعجز باهر ﴿مُبِينٍ﴾ كالعصا واليد والبيضاء وغيرهما ﴿فَتَوَلَّى﴾ فرعون،
وأعرض عن دعوة موسى عليه السلام ﴿بِرُكْنِهِ﴾ وجانبه، ولم يقبل دعوته، ولم يعتن به. وقيل: يعني وتقوى
على معارضة موسى بقومه وجنده^٦، أو تصدى للدفع^٧ موسى بقوة نفسه حيث قال: ذروني أقتل

٢. هود: ٨١/١١.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٦٤.

٤. مجمع البيان ٩: ٢٣٨، تفسير روح البيان ٩: ١٦٤.

٣. علل الشرائع: ٥/٥٥٠، تفسير الصافي ٥: ٧٢.

٦. تفسير روح البيان ٩: ١٦٥.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٤١، تفسير روح البيان ٩: ١٦٥.

٨. في النسخة: دفع.

٧. تفسير روح البيان ٩: ١٦٦.

موسى ومن معه ﴿قَالَ﴾ لقومه في حق موسى ﷺ: إِنَّهُ «سَاحِرٌ» يفعل ما يفعل من خوارق العادات بالسر والسُحرة، ﴿أَوْ﴾ هو «مَجْنُونٌ» فاقد العقل حيث يقول قولاً لا يقبله^١ منه عاقل، مع أن فيه هلاك نفسه وقومه.

قيل: إن الساحر والمجنون كلاهما يستعينا بالجن، والفرق أن الساحر يأتي الجن باختياره، والمجنون يأتيه الجن بغير اختياره، وغرضه من التردد صيانة كلامه من الكذب^٢.

وقيل: إِنَّهُ لغاية جهله طعن على موسى ﷺ بالتضادين، حيث إن السحر مستلزم للعقل وجودة الذهن وكمال الحذاقة والجنون هو زوال العقل وعدم الفهم والادراك، وهما ضدان^٣.

وقيل: إن كلمة (أو) بمعنى الواو؛ لأنه نسب إليهما جميعاً^٤، وعلى أي تقدير عصى فرعون وطفى ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ﴾ بذنبهم، كما يأخذ أحدكم الحُصيات الصغار بكفه ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ وطرحناهم ﴿فِي أَيْمِهِمْ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ومستحق للملامة عند العقلاء وعند نفسه بما ارتكب من معارضة موسى ﷺ وطفئانه بالكفر والعصيان.

﴿وَفِي﴾ قِصَّة قوم ﴿عَادٍ﴾ الذين عارضوا هود آيات وعبر للناس إلى يوم القيامة ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ عقوبة على كفرهم وطفئانهم ومعارضة رسولهم هود ﴿الرَّيْحَ الْعَاقِمِ﴾ والصَّرَصِر العاتية التي لم تلد خيراً من إنشاء مطر أو تلقيح شجر، وكيف يَتَوَقَّع منها الخير؟ وقيل: وُصِفَت بالعقيم لأنها قَطَّعَت دابرهم^٥، فَسُبَّهَت بالنساء العقيقات اللاتي لا يلدن، لأنها كانت سبب قطع الأرحام من الولادة بإهلاكهم، والحال أَنَّهُمَا تَذَرُ ﴿مَا تَذَرُ﴾ وما تترك ﴿مِنْ شَيْءٍ أَنتَ﴾ وجرت ﴿عَلَيْهِ﴾ من انفسهم وأموالهم وأبنيتهم ومواشيهم ﴿إِلَّا جَعَلْنَاهُ﴾ وصيرته لشدة بُغَاها ﴿كَالزَّمِيمِ﴾ ومثل الحشيش اليابس المتفتت.

عن أمير المؤمنين ﷺ: «الرياح خمسة: الريح العقيم، فتعوزوا بالله من شرها»^٦.

وعن الباقر ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ جُنُوداً مِنَ الرِّيحِ، يُعَذِّبُ بِهَا مَنْ عَصَاهُ»^٧.

﴿وَفِي﴾ حديث قوم ﴿نَمُودَ﴾ وهم قوم صالح آيات أو آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ والقاتل صالح بعد عَقْرهم ناقة الله: ﴿نَمَتُوا﴾ وانتفعوا أَنَّهُا القوم بالحياة ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ وإلى وقت نزول العذاب، وهو آخر ثلاثة أيام، أو إلى انقضاء آجالكم المقدرة، فإن أحسستم حصل لكم التمتع في الدارين، وإلا فما لكم في الآخرة من نصيب ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ وطفَّؤا على خالقهم وبنيتهم، ولم يعتنوا بإنذاره،

١. في النسخة: لا يقبل. ٢. تفسير الرازي ٢٨: ٢٢١.

٣ و٦. تفسير روح البيان ٩: ١٦٦. ٥. تفسير روح البيان ٩: ١٦٧.

٦. من لا يحضره الفقيه ١: ١٥٢٧/٣٤٥، تفسير الصافي ٥: ٧٣.

٧. الكافي ٨: ٦٣/٩١، من لا يحضره الفقيه ١: ١٥٢٥/٣٤٤، تفسير الصافي ٥: ٧٣.

حيث قال لهم صالح: تُصبح غداً وجوهكم مُصفرة، وبعد غدٍ مُحمرّة، وفي اليوم الثالث مُسودة، ثم يُصّبحكم العذاب.

قيل: لمّا رأوا وجوههم كما قال صالح، عَمَدوا إلى قتله، فنجّاه الله إلى ارض فِلَسْطِين، ولمّا كان اليوم الرابع تَحَنَطُوا وَتَكَفَّنُوا^١ «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ» والنار النازلة من السماء «وَهُمْ يَنْظُرُونَ» إليها حين نزولها.

وقيل: إنّ المراد بالصاعقة صيحة جَبْرِئِيل مجازاً، ويُحتمل أنّه كانت الصاعقه مع الصيحة، فإنّ الصيحة لا يُنظر إليها، بل تُسمع بالأذن^٢.

وقيل: هو من الانتظار، والمعنى: هم يتظنون ما أوعدوا به من العذاب، حيث شاهدوا علامات نزوله^٣.

وقيل: إنّ معنى يَنْظُرُونَ يتَحَيَّرُونَ، فأهلكوا جميعاً «فَمَا اسْتَطَاعُوا» شيئاً قليلاً «مِنْ قِيَامٍ» وما قَدَرُوا عليه، فضلاً عن الهرب، أو المراد ما قَدَرُوا على قليلٍ من المقاومة والثبات له «وَمَا كَانُوا» حِيثُذٍ «مُتَنَصِّرِينَ» بغيرهم في دفع العذاب، أو ما كانوا مدافعين عن أنفسهم، أو ممّن له شائبة الدفاع.

﴿وَأَهْلَكْنَا قَوْمَ نُوحٍ﴾ بالغرق، أو اذكّرهم «مِنْ قَبْلِ» وفي عصرٍ سابقٍ على أعصار هؤلاء المهلكين، ثم ذكر سبحانه سبب إهلاكهم بقوله: «إِنَّهُمْ كَانُوا» حال حياتهم «قَوْمًا فَاسِقِينَ» وخارجين عن طاعة الله ورسوله، وفي ذكر القضايا الخمسة تسليّة للنبي ﷺ، كيلا لا يشقّ عليه كفر وعنادهم، فإنّ البلية إذا عَمَّت طابت.

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ *
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَبَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ
نَذِيرٌ مُبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ [٤٧-٥١]

ثم إنّ تعالى بعد إثبات الحشر وتهديد منكبيه، شرع في إثبات التوحيد بالموجودات بقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ المرفوعة التي تَرَوْنَهَا لهذا العام والدار الدنيا سقفاً محفوظاً، لاشكّ في أنّه ما بنتها الكواكب التي فيها، ولا الأصنام التي تحتونها، بل نحن «بَنَيْنَاهَا» ورفعناها «بِأَيْدٍ» وقوة وقدرة لنا

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٤٢، تفسير روح البيان ٩: ١٦٩.

٢ - ٤. تفسير روح البيان ٩: ١٦٩.

﴿وَأِنَّا لَمَوْسَوْنَ﴾ ها بحيث تُحيط بجميع كُرات العناصر، بل كلّها بالنسبة إليها كخَلْقَةٍ فِي فَلَاةٍ، أو لموسعون الرزق على الخلق منها، أو المراد لقادرون على خلق أمثالها ﴿وَوَالْأَرْضِ﴾ البسيطة التي تَشْكُونُهَا، نحن ﴿فَرَشْنَاهَا﴾ وبسطناها تحتكم، لتستقروا عليها، ومهدناها لكم كالقَرَارِشِ، تنامون وتقبلون عليها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ نحن، أو ماهدها.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء، وجنس من الاجناس ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ونوعين، كالجواهر والعرض، والمجرد والمادي، والجماد والنامي، والمدرك والنبات، والناطق والصامت، والذكر والأنثى، إلى غير ذلك، وإِنَّمَا فعلنا جميع ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أيها الناس ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ وتنبهون أن رِكم قادرٌ على كُلِّ شَيْءٍ، وفردٌ لا زوج له، وأنه خلق للذينا زوجاً، وهو الآخرة، وأنه مستحق للعبادة، ومتفرد في الألوهية، فقل يا محمد إذا ظهر لكم أن الأمر كذلك: ﴿فَقَرُّوا﴾ وأهروا من العذاب، ومن كل ما تخافون منه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ القادر المُنِيع عليكم وحده، واسرعوا في الايمان بتوحيده والتسليم لأحكامه، وبادروا إلى عبادته، كي تنجوا من عقابه، وتفوزوا بشوابه ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ يا عباد الله ﴿مِنهُ نَذِيرٌ﴾ ومخوَّفٌ من عذابه على الشرك ﴿مُبِينٌ﴾ وظاهر رسالتي عنه ببرهان قاطع ومعجز باهر، لا عذر لكم في تكذبي وعدم اتباع قولي.

ثم أكد الأمر بالتوحيد بالنهي عن الشرك بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا﴾ بهوى أنفسكم ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ الواحد الأحد في الألوهية والربوبية والمعبودية ﴿إِلَهاً﴾ ومعبوداً ﴿آخَرَ﴾ من مخلوقاته، كالكواكب والأصنام وغيرهما، ولا تدعوا معه غيره ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ *
أَتَوَصَّوْا بِهِ بِلِ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ * وَذَكَرْ فَإِنَّ
الَّذِينَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ [٥٢-٥٥]

ثم لما كان النبي ﷺ كلما دعا قومه إلى التوحيد والايان بالبعث بعد الموت، قالوا إنه مجنون وكما أتى بالمعجزات قالوا: إنه ساحر، وكان يتأثر قلبه الشريف من ذلك، سلاه سبحانه بالإخبار بأن سائر الأمم كان دأبهم ذلك بقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أمر سائر الأمم، فإنه ﴿مَا أَتَى﴾ الأمم ﴿الَّذِينَ﴾ كانوا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من زمان نوح ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ مبعوث لهدايتهم ﴿إِلَّا قَالُوا﴾ في حقّه إذا أتاهم بمعجزة: إنه ﴿سَاحِرٌ أَوْ﴾ إذا دعاهم إلى التوحيد والمعاد: إنه ﴿مُجْنُونٌ﴾ فلا تحزن على ما قال قومك في حقك. والعجب من اتفاق جميع الأمم على هذا القول الشنيع في حقّ رسلهم ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ وتعاهد

بعضهم مع بعض أن يقولوا هذا القول، لا ليس توافقه عليه لتوصيته بذلك، لبعد زمانهم، وعدم تلاقيهم في وقت ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ مشركون في عداوة الله والإعراض عن الحق، فاشتركوا في التفوه بتلك الكلمة الشنيعة ﴿فَقُولُ﴾ يا محمد وأعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ فإنك قد بالغت في دعوتهم، وأتعبت نفسك في نصيحهم ووعظهم، وأتممت الحجة عليهم ﴿فَمَا أَنْتَ﴾ بعد ذلك ﴿بِمَلُومٍ﴾ في تركهم والإعراض عنهم، فإن كنت رحيماً وعطوفاً بهم، ولا تريد أن تدعهم بالكليّة ﴿وَذَكِّرْ﴾ وعظ الناس ﴿فَإِنَّ الدُّكْرَى﴾ والعظة وبيان العلوم والمعارف وأمور الآخرة ﴿تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حيث إنها تنور قلوبهم، وتزيد في إيمانهم ورغبتهم إلى الطاعة والعبادة.

عنهما عليهما السلام قالوا: «إِنَّ النَّاسَ لَمَّا كَذَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَمَّ اللَّهُ بِإِهْلَاكِ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا عَلِيًّا فَمَا سِوَاهُ يَقُولُ: ﴿فَقُولْ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ثُمَّ بَدَّلَهُ فَرَجَمَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾»^١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿فَقُولْ عَنْهُمْ﴾ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَّا إِلَّا أَيَقُنُ بِالْهَلَكَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ ﴿وَذَكِّرْ﴾ ... الآية طَابَتْ أَنْفُسُنَا»^٢.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [٥٦]

ثم لما كان ازدياد المعرفة ورغبة المؤمنين في العبادة من منافع التكبير، بين سبحانه أن معرفته وعبادته هو الغرض من الخلقة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ أولاً وهم أعم من المملك والانس بعدهم لغرض من الأغراض وحكمة من الحكم ﴿إِلَّا﴾ ليعرفون ربهم بالوجود والحكمة والقدرة وسائر الصفات الجمالية والجلالية و﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ خالقهم، فيستكملوا بالعلم والعبادة، ويستعدوا للنيل بالفيوضات الأبدية، ويستأهلوا للحياة الدائمة والنعم الباقية، والكرامات الفائقة غير المنتهية. عن الصادق عليه السلام قال: «خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه، فقال: أيها الناس، إن الله ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه» فقال رجل: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمي، فما معرفة الله؟ قال: «معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته»^٣.

وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: «خلقهم ليأمرهم بالعبادة» قيل: قوله تعالى: ﴿وَلَا

٢. مجمع البيان ٩: ٢٤٣، تفسير الصافي ٥: ٧٥.

١. الكافي ٨: ٧٨/١٠٣، تفسير الصافي ٥: ٧٤.

٣. علل الشرائع: ١/٩، تفسير الصافي ٥: ٧٥.

يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^١؟ قال: «خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون رحمته [فيرحمهم]»^٢.

أقول: بعد ما بينا أن معرفة الله مستلزمة لعبادته، وعبادته مستلزمة لاستحقاق رحمته، والغرض من الخلق أن يستكملوا أنفسهم وترقى من حضيض الحيوانية إلى كمال الإنسانية حتى تستأهل للرحمة الدائمة والفيوضات الأبدية، صح أن يقال: خلقهم الله لمعرفة ولعبادته، ولما كان حصول العبادة متوقفاً على أمر الله ونهيه، وتعليمه كيفية عبادته، كترفعه على معرفته، صح أن يقال: خلقهم ليأمرهم بالعبادة، للتنبيه على أن العبادة التي هي المقصودة من الخلق، هي العبادة الاختيارية لا الجبرية والاضطارية، فظهر ممّا ذكر صحّة تعليل الخلق بكل من المعرفة والأمر بالعبادة، والعبادة والرحمة، ولما كان ظاهر الآية المباركة كون العبادة غاية الغايات، بين سبحانه بقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أن غاية الغايات نيلهم بالرحمة والنعم لا نفس العبادة، ومن ذلك يصح إطلاق الناسخ على الآية الثانية، كما ورد في حديث «أن الآية منسوخة بقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾»^٣ فلا تنافي بين الروايات.

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ
الْمَتِينِ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ *
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ [٥٧-٦٠]

ثم لما كانت الآية موهمة لحاجته تعالى إلى عبادة خلقه، صرح سبحانه بأن الغرض استكمال الخلق لا استكمال نفسه بقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ﴾ شيئاً ﴿مِنْ رِزْقٍ﴾ ومالٍ يكتسبون لي لأنظّم به أمور معيشتي، كما يريد الموالى من عبيدهم ذلك ﴿وَمَا أُرِيدُ﴾ منهم أقل من ذلك، مثل ﴿أَنْ﴾ يطبخوا لي طعاماً ﴿يُطِيعُونِ﴾ وحاصل مفاد الآية والله أعلم: إنّي لا أريد منهم مالا ارتزق به، أو عملاً أقضي به حاجتي ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ الذي هو خالق كلّ شيء ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ لعباده، فكيف يريد منهم الرزق وهو ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ والشديد على جميع خلقه، فكيف يحتاج إلى عملهم له؟

وإذا علّم أن خلق التقلين للعبادة ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولم يعتنوا بالغرض الذي خلّقوا له، ووضعوا عبادتهم في غير موضعها، بأن عبدوا غير الله، ووضعوا مكان تصديق النبي ﷺ تكذيبه، أو ضيعوا

١. علل الشرائع: ١٣/١٠، تفسير الصافي ٥: ٧٥.

٢. تفسير القمي ٢: ٣٣١، تفسير الصافي ٥: ٧٥، والآية من سورة هود: ١١/١١٨.

حَقَّ أَنْفُسَهُمْ بَتْعَرِضِهَا لِلْعَذَابِ الدَّائِمِ ﴿ذُنُوبًا﴾ وَنَصِيبًا وَافِرًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ وَأَنْصِبَاءَ نَظَرَانِهِمْ مِنَ الْأَمَمِ الْمُتَهَلِّكَةِ، أَوْ الْمَرَادُ أَنَّ لَهُمْ تَبِعَاتٍ مِنَ الْعَذَابِ مِثْلَ تَبِعَاتِ أَصْرَابِهِمْ مِنَ الطُّغَاةِ الَّذِينَ أَسْتَأْصَلَهُمُ الْعَذَابُ ﴿فَلَا يَسْتَفْجِلُونَ﴾ وَلَا يَسْأَلُونَ سُرْعَةً مَجِيئِهِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿فَاتَنَا بِمَا تَعَدَّنَا﴾^١ أَوْ ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾^٢ فَانَّهُ نَازَلَ بِهِمْ فِي الْوَقْتِ الْمَعْتَيْنِ عِنْدَنَا.

ثُمَّ عَظَّمَ سَبْحَانَهُ ذَلِكَ الْعَذَابَ الْمَوْعُودَ تَهْوِيلًا لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَوَيْلٌ﴾ أَيِ وَيْلٌ ﴿لِلَّذِينَ﴾ اسْتَحَقُّوا أَشَدَّ الْعَذَابِ، لِأَنَّهُمْ ﴿كَفَرُوا﴾ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ زَمَانَ الرَّجْعَةِ، فَوَافَقَ أَوَّلَ السُّورَةِ آخِرَهَا، حَيْثُ قَالَ فِي أَوَّلِهَا: ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ﴾^٣ وَفِي آخِرِهَا: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ وَالذَّارِيَاتِ فِي يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ، أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ مَعِيشَتَهُ، وَأَتَاهُ بَرَزُقِي وَاسِعٌ، وَنُورٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ بِسَرَّاجٍ يَزْهَرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^٤.

١. الأعراف: ٧٠/٧. ٢. الأنبياء: ٣٨/٢١. ٣. الذاريات: ٥١/٥.

٤. ثواب الأعمال: ١١٥، مجمع البيان: ٩: ٢٢٨، تفسير الصافي: ٥: ٧٦.

the first of these is the fact that the
the second is the fact that the
the third is the fact that the
the fourth is the fact that the
the fifth is the fact that the
the sixth is the fact that the
the seventh is the fact that the
the eighth is the fact that the
the ninth is the fact that the
the tenth is the fact that the

the eleventh is the fact that the
the twelfth is the fact that the
the thirteenth is the fact that the
the fourteenth is the fact that the
the fifteenth is the fact that the
the sixteenth is the fact that the
the seventeenth is the fact that the
the eighteenth is the fact that the
the nineteenth is the fact that the
the twentieth is the fact that the
the twenty-first is the fact that the
the twenty-second is the fact that the
the twenty-third is the fact that the
the twenty-fourth is the fact that the
the twenty-fifth is the fact that the
the twenty-sixth is the fact that the
the twenty-seventh is the fact that the
the twenty-eighth is the fact that the
the twenty-ninth is the fact that the
the thirtieth is the fact that the
the thirty-first is the fact that the
the thirty-second is the fact that the
the thirty-third is the fact that the
the thirty-fourth is the fact that the
the thirty-fifth is the fact that the
the thirty-sixth is the fact that the
the thirty-seventh is the fact that the
the thirty-eighth is the fact that the
the thirty-ninth is the fact that the
the fortieth is the fact that the
the forty-first is the fact that the
the forty-second is the fact that the
the forty-third is the fact that the
the forty-fourth is the fact that the
the forty-fifth is the fact that the
the forty-sixth is the fact that the
the forty-seventh is the fact that the
the forty-eighth is the fact that the
the forty-ninth is the fact that the
the fiftieth is the fact that the
the fifty-first is the fact that the
the fifty-second is the fact that the
the fifty-third is the fact that the
the fifty-fourth is the fact that the
the fifty-fifth is the fact that the
the fifty-sixth is the fact that the
the fifty-seventh is the fact that the
the fifty-eighth is the fact that the
the fifty-ninth is the fact that the
the sixtieth is the fact that the
the sixty-first is the fact that the
the sixty-second is the fact that the
the sixty-third is the fact that the
the sixty-fourth is the fact that the
the sixty-fifth is the fact that the
the sixty-sixth is the fact that the
the sixty-seventh is the fact that the
the sixty-eighth is the fact that the
the sixty-ninth is the fact that the
the seventieth is the fact that the
the seventy-first is the fact that the
the seventy-second is the fact that the
the seventy-third is the fact that the
the seventy-fourth is the fact that the
the seventy-fifth is the fact that the
the seventy-sixth is the fact that the
the seventy-seventh is the fact that the
the seventy-eighth is the fact that the
the seventy-ninth is the fact that the
the eightieth is the fact that the
the eighty-first is the fact that the
the eighty-second is the fact that the
the eighty-third is the fact that the
the eighty-fourth is the fact that the
the eighty-fifth is the fact that the
the eighty-sixth is the fact that the
the eighty-seventh is the fact that the
the eighty-eighth is the fact that the
the eighty-ninth is the fact that the
the ninetieth is the fact that the
the ninety-first is the fact that the
the ninety-second is the fact that the
the ninety-third is the fact that the
the ninety-fourth is the fact that the
the ninety-fifth is the fact that the
the ninety-sixth is the fact that the
the ninety-seventh is the fact that the
the ninety-eighth is the fact that the
the ninety-ninth is the fact that the
the hundredth is the fact that the

في تفسير سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّافِرِ
الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ [١-٦]

ثم لما ختمت سورة والذاريات المبتدئة بأربعة أيمان على أن وعد الله بالعذاب والحشر صادق، وبيان كون يوم القيامة يوم يُفْتَنُونَ على النار، الْمُتَضَمِّنَةُ بسوء عاقبة الكفار، وحسن عاقبة المتقين، الْمُخْتَتِمَةُ بذكر الويل للكافرين، أُرِدَتْ بسورة الطور المبتدئة بخمسة أيمان على أن العذاب في القيامة واقع لا محالة، وبيان كون القيامة فيه أهوال عظيمة، وذكر الويل للمكذِّبين بيوم الدين، إلى غير ذلك من المطالب المناسبة للسورة السابقة، فابتدأها بذكر الأسماء الحسنى بقوله تبارك وتعالى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم لما كان العرب يتحرزون عن الأيمان الكاذبة، وأن الشخص العظيم لا يحلف إلا على الأمر العظيم الذي لا يرتدع^١ المنكر بالبرهان لنسبته إلى الجدل، أكد سبحانه البرهان على الحشر بالأيمان بقوله: ﴿وَالطُّورِ﴾ وهو على ما قيل: الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، أو طور سينين، أو مطلق الجبل^٢. وعن ابن عباس: الطور كل جبل يُنْبِتُ^٣. ﴿وَكِتَابٍ﴾ كريم ﴿مَسْطُورٍ﴾ ومكتوب على وجه الانتظام. قيل: هو التوراة المكتوب في الألواح^٤. وقيل: هو القرآن^٥ المكتوب ﴿فِي رَقٍّ﴾ وجلد رقيق ﴿مَنْشُورٍ﴾ وميسوط وقيل: هو اللوح المحفوظ^٦. وقيل: هو صحائف الأعمال^٧ المبسوطة للناس يوم القيامة، أو مفتوحة له لا ختم عليها^٨.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ الذي يكون تحت العرش، أو في السماء السابعة، أو الرابعة بحيال الكعبة، وعمرانه بطواف الملائكة، يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك، ويصلون فيه، ولا يعودون إليه أبداً،

٣. تفسير روح البيان ٩: ١٨٤.

١. كذا، والظاهر لا يرتدع. ٢. تفسير الرازي ٢٨: ٢٣٩.

٦ و٧. جوامع الجامع: ٤٦٦.

٤ و٥. تفسير روح البيان ٩: ١٨٥.

٨. تفسير روح البيان ٩: ١٨٥.

وحرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض.

عن الباقر عليه السلام: «أن الله وضع تحت العرش أربع أساطين، وسماهن الضراح، وهو البيت المعمور، وقال للملائكة: طوفوا به، ثم بعث ملائكة، وقال: ابنوا في الأرض بيتاً بمثاله وقدره، وأمر [من] في الأرض أن يطوفوا بالبيت»^١.

وعن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المعراج: «أنه في السماء السابعة»^٢. وعن القمي: أنه في السماء الرابعة^٣. وعن النبي صلى الله عليه وآله في رواية: «أنه في السماء»^٤. وفي رواية أخرى عنه صلى الله عليه وآله: «أنه في السماء الدنيا»^٥.

وعنه صلى الله عليه وآله: «البيت الذي في السماء يقال له الضراح، وهو بفناء البيت الحرام، لو سقط لسقط عليه، يدخله كل يوم ألف ملك لا يعودون فيه أبداً»^٦.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه أبداً»^٧. وقيل: إن المراد منه بيت الله الحرام^٨.

«وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» عن الأرض، وهو السماء، أو العرش، وفي إرداف السقف بالبيت ما لا يخفى من الحسن «وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» والمملوء من الماء. قيل: هو البحر المحيط الذي هو مادة سائر البحار^٩.

وروي بعض العامة، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «هو بحر تحت العرش، عمقه كما بين سبع سماوات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ، يقال له بحر الحيوان، وهو بحر مكفوف، يطرر منه على الموتى ماء كالمَني بعد النفحة الأولى أربعين صباحاً، فينبئون في قبورهم»^{١٠}.

وقيل: هو بحر في السماء الدنيا، لولاه لأحرقت الشمس الدنيا^{١١}. وقيل: المسجور بمعنى الموقد، لما روي أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً، يُسَجَّرُ بها نار جهنم^{١٢}.

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ

٢. تفسير القمي ٢: ٩، تفسير الصافي ٥: ٧٧.

٤. الجامع للقرطبي ١٧: ٥٩، مجمع البيان ٩: ٢٤٧.

١. مجمع البيان ١: ٣٨٩، تفسير الصافي ٥: ٧٧.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٣١، تفسير الصافي ٥: ٧٧.

٥. مجمع البيان ٩: ٢٤٧، تفسير الصافي ٥: ٧٧.

٦. مجمع البيان ٩: ٢٤٧، تفسير الصافي ٥: ٧٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٧. مجمع البيان ٩: ٢٤٧، تفسير الصافي ٥: ٧٧.

٨. تفسير الرازي ٢٨: ٢٣٩.

١٠. تفسير روح البيان ٩: ١٨٦.

٩. تفسير روح البيان ٩: ١٨٦.

١٢. تفسير الصافي ٥: ٧٨، تفسير روح البيان ٩: ١٨٦.

١١. تفسير روح البيان ٩: ١٨٦.

الْجِبَالُ سَيْرًا * قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ
يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً [٧-١٣]

ثم ذكر سبحانه المُقَسَّم عليه بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ونازل لا محالة، وفي لفظ (ربك) تأمين للرسول منه.

قيل: إنَّ الحَلْفَ بالطُّور والبيت المعمور الذي هو ملاذ الملائكة، وبالسَّماء والبحر، مع أن وجود كلِّ منها ويقانه بقدرة الله، مُشْعِرٌ بأنَّ لا مَهْرَبَ من ذلك العذاب^١، كما صرح به سبحانه بقوله: ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ حيث إنَّ التحصن منه إما بالذهاب إلى شاطئ الجبل، أو بالتحصين في البيت، أو بالصعود إلى السماء، أو بالغوص في البحر، ومن المعلوم أنَّ كلَّها تحت قدرة الله وإحاطته، حيث وصف زمان وقوع ذلك العذاب بقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ﴾ وتضطرب، وتجيء وتذهب ﴿مَوْرًا﴾ واضطراباً شديداً عجيباً. قيل: تدور السماء كما تدور الرُّحَى، وتتكَفَّ بأهلها تكفُّ السفينة^٢ ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ﴾ كالريح كما عن القمي^٣، أو كالسحاب كما عن بعض العامة^٤ ﴿سَيْرًا﴾ سريعاً، ثم تصير كالعين، وذلك لانقضاء الدنيا، وعدم انتفاع بني آدم بها، وعدم عودهم إليها، فاذا كان الأمر كذلك ﴿قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بتوحيد الله ورسله.

ثم ذمهم سبحانه بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾ مستقرُّون ﴿فِي خَوْضٍ﴾ واندفاعٍ عجيبٍ عظيم، وانغماسٍ في الأباطيل والأكاذيب، كما يَغاص في الماء و﴿يَلْعَبُونَ﴾ ويلهون بالدنيا ويتشاغلون بما يصرفهم عما فيه خيرهم وسعادتهم الأبدية، ثم وصف سبحانه ذلك اليوم الذي فيه الويل للمكذِّبين بقوله: ﴿يَوْمَ﴾ كأنه قال ذلك اليوم يكون يوم ﴿يَدْعُونَ﴾ ويُدْفَعُ الْمُكَذِّبُونَ بالعنف والشدة ﴿إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ ودفعاً شديداً حتى يُصَلُّون فيها على وجوههم وأقفيتهم. وقيل: إنَّ اليوم بدل عن قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ أو ظرف للقول المقدَّر فيما بعده^٥.

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ * أَصَلُّوْهَا
فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِيهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ

١. مجمع البيان ٩: ٢٤٨. ٢. تفسير أبي السعود ٨: ١٤٧، تفسير روح البيان ٩: ١٨٩.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٣٢، تفسير الصافي ٥: ٧٨. ٤. تفسير روح البيان ٩: ١٨٩.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٤٧، تفسير روح البيان ٩: ١٨٩.

الْجَحِيمِ [١٨-١٤]

ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ خَازِنُ النَّارِ تَقْرِيباً وَتَوْبِيخاً: ﴿هَذِهِ النَّارُ﴾ الَّتِي تَصْلَوْنَهَا فِي النَّارِ ﴿أَلَيْسَ كُنتُمْ فِي الدُّنْيَا بِالنَّبِيِّ الَّذِي كَانَ يُهَدِّدُكُمْ ﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ وَتَسْتَهْزِئُونَ، وَكُنتُمْ تَنْسُبُونَ الْقُرْآنَ النَّاطِقَ بِهِ إِلَى السَّحَرِ ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ الَّذِي تَرَوْنَ ﴿أَمْ أَنْتُمْ عَمِيٍّ لَا تُبْصِرُونَ﴾ النَّارَ الَّتِي وُعدتم بِهَا، كَمَا كُنتُمْ فِي الدُّنْيَا عُمِيّاً عَنْ مُعْجَزَاتِ الرُّسُولِ وَأَيَّاتِ التَّوْحِيدِ وَالْمَعَادِ. فَلَمَّا ثَبِتَ أَنَّهَا نَارٌ فِي الْوَقَاعِ وَلَا خِلَلُ فِي أَبْصَارِكُمْ، ذُقُوا حَرَّهَا وَأَلْمَهَا ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا﴾ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ عَلَى النَّارِ وَشِدَائِهَا ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ لَا خَلَاصَ لَكُمْ مِنْهَا أَبَداً ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الْأَمْرَانِ الصَّبْرُ وَالْجَزَعُ، لَا الصَّبْرُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا، وَلَا الْجَزَعُ يَدْفَعُهَا عَنْكُمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ تَعْذِيبَكُمْ بِهَا لَيْسَ ظُلْماً عَلَيْكُمْ، بَلْ هُوَ مَا اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ﴾ وَتَرْكِبُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ، بَلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ بَيَانِ سُوءِ حَالِ الْكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ لِلْآيَاتِ فِي الْآخِرَةِ، بَيَّنَّ حَسَنَ حَالِ [الْمُتَّقِينَ] بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ [الْمُتَّقِينَ] مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ، وَالْمُصْذِقِينَ بِالرُّسُولِ وَالْمَعَادِ، يَوْمَئِذٍ طُوبَى لَهُمْ، فَانْتَهَمَ حِينَ ابْتِلَاءِ الْكُفَّارِ بِعَذَابِ النَّارِ فِي جَهَنَّمَ، مَتَمَكِّنُونَ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَ﴾ بِسَاتِينَ عَدِيدَةٍ، وَمُسْتَغْفِرُونَ فِي ﴿نَعِيمٍ﴾ دَائِمٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ حَالِ كَوْنِهِمْ ﴿فَآكِهِينَ﴾ وَمَتَلَذِّذِينَ ﴿بِمَا آتَاهُمْ﴾ وَأَعْطَاهُمْ ﴿رُبُّهُمْ﴾ اللَّطِيفُ بِهِمْ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ، وَمُسْرُورِينَ بِهِ، ﴿وَوُ﴾ بِأَنَّهُ ﴿وَقَاهُمْ﴾ وَحَفِظَهُمْ ﴿رُبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ وَالْإِحْتِرَاقَ بِالنَّارِ الْجَا حِمَةِ^١.

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ

وَزَوْجَتَانِهِمْ بِحُورٍ عِينٍ [١٩ و ٢٠]

ثُمَّ يَقُولُ لَهُ خَازِنُ الْجَنَّةِ أَوْ خَالِقُهَا إِذَا وَابَاحَةً وَإِكْرَاماً لَهُمْ: ﴿كُلُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ مِنْ أَيِّ مَا أُكُلٍ اشْتَهَيْتُمْ ﴿وَاشْرَبُوا﴾ مِنْ أَيِّ مَشْرُوبٍ أَحْبَبْتُمْ، أَكْلاً وَشَرْباً ﴿هَنِيئاً﴾ سَانِعاً لَا تَكْدِيرَ فِيهِ مِنَ التَّحَمُّمِ وَالسَّقَمِ وَالْمَرَضِ وَالْثَّكْبِ وَخَوْفِ الْإِنْقِطَاعِ ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَتَرَكِ الْمُسْتَهْزِئَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَيَكُونُ أَكْلُهُمْ وَشَرْبُهُمْ حَالِ كَوْنِهِمْ ﴿مُتَكِينِينَ﴾ وَمُسْتَنْدِينَ كَالسَّلَاطِينِ عَلَى تَعَارُقِ وَوَسَائِدِ مَوْضُوعَةٍ ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ وَعُرُوشٍ مُتَعَدَّةٍ ﴿مَصْفُوفَةٍ﴾ وَمُصْطَفَاةٍ مُتَّصِلَةٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. قِيلَ: طُولُ كُلِّ سُرِيرٍ فِي السَّمَاءِ

١. النَّارُ الْجَا حِمَةُ: الشَّدِيدَةُ الْحَرِّ، وَفِي النُّسخَةِ: الْمَا حِمَةُ.

مائة ذراع، إذا أراد المؤمن الصعود عليه اتَّضَع له، فإذا قَعَدَ عليه ارتفع إلى أصل حاله^١. وقيل: إن المصفوفة بمعنى المزيّنة بالذهب والفضة والجواهر^٢.

﴿وَرَوَّجْنَاهُمْ﴾ وقرّناهم ﴿بِحُورٍ﴾ ونساء يحار الناظر في حُسْنهنَّ ﴿عَيْنٍ﴾ واسعات الأحداق، وفيه إظهار غاية اللطف بهم، حيث نسب تزويجهم إلى نفسه، وبين أنّه المتصدّي له، ثم وصف أزواجهم بغاية الحُسْن، فإن أحسن الأعضاء الوجه، وأحسن ما في الوجه العين، وأحسن العيون العين الواسعة. قيل: إن سَعَةَ العين سبب كثرة الروح المصوّبة^٣ إليها^٤.

فبين سبحانه إتمام النعم على المتقين، فإن أول ما يحتاج إليه المسكن، ثم المأكل والمشروب، ثم الفرش والبسط، ثم الأزواج، فذكر سبحانه جميعها على الترتيب، ووصف كلّ منها بغاية الكمال.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ [٢١]

ثم لما كان شفقة المؤمنين في الآخرة على الأولاد كشفتهم في الدنيا عليهم، طيب سبحانه قلوب المؤمنين بأنه يجمع بينهم في الجنّ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بل إنه عطف على قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ وقيل: على قوله: ﴿بِحُورٍ عَيْنٍ﴾ والمعنى: وقرّناهم بحورٍ عَيْنٍ وبالذين آمنوا^٥ ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾ ووافقتهم ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ وأولادهم ﴿بِإِيمَانٍ﴾ حكمي كما في غير المُمَيِّز، أو حقيقي كما في المُمَيِّز، ولو كان قليلاً وضعيفاً ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ وجعلنا في درجتهم ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يتنعمون بما يتنعمون به آبائهم ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ وما أنقصنا بالحق أولادهم بهم ﴿مِنْ﴾ ثواب ﴿عَمَلِهِمْ﴾ في الدنيا ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ قليل، بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم، بل لا يكون رفعهم إلى درجة آبائهم إلا بالاحسان والتفضل عليهم، لكون فطرتهم فطرة الاسلام، والتفضل عليهم تفضل على والديهم.

رُوي عن النبي ﷺ أنّه قال: «يرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه، لتقرّ بهم عينه» ثم تلا هذه الآية^٦.

ورُوي أنّه سألت خديجة رسول الله ﷺ عن ولدين لها ماتا في الجاهلية، فقال ﷺ: «هما في النار» فكرهت. فقال ﷺ: «لو رأيت مكانهما لأبغضيهما» قالت: فالذي منك؟ قال: «في الجنة، إن

٢. تفسير روح البيان ٩: ١٩١.

٤. تفسير الرازي ٢٨: ٢٤٩.

٦. تفسير الصافي ٥: ٧٩، تفسير روح البيان ٩: ١٩٢.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٩١.

٣. في النسخة: المصبوبة.

٥. تفسير الرازي ٢٨: ٢٥١.

المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار^١.

عن الصادق عليه السلام: قال: «أطفال المؤمنين يُهدّون إلى آباتهم يوم القيامة»^٢.

وعنه عليه السلام: «قصرت الأبناء عن عمل الآباء، فألحقوا^٣ الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم»^٤.

وعنه عليه السلام: قال: «إن الله تبارك وتعالى كفّل إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين، يغذونهم بشجرة في الجنة، لها أخلاف كأخلاف البقر، في قصرٍ من درة، فإذا كان يوم القيامة أُلِيسوا وطُيِّبوا وأُهدوا إلى آباتهم، فهم ملوك في الجنة مع آباتهم، وهذا قول الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمُ﴾ الآية^٥. أقول: الظاهر أن الوعد لا يختص بالآباء المؤمنين، بل إذا كانت الأم مسلمة، ولحق بها الولد في الدنيا، لحق بها في الآخرة أيضاً.

ثم لما ذكر سبحانه لحق الأولاد بآباتهم في درجة الجنة، وإن لم يكن لهم إيمان حقيقي وعمل صالح، بل إيمان تبعي وحكمي، بين سبحانه أن الإيمان الحقيقي والعمل الصالح لا يطلب إلا من بلغ مبلغ الرجال بقوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ﴾ ورجل بالغ ﴿بِمَا كَسَبَ﴾ من الإيمان والعمل الصالح ﴿زَهِيٍّ﴾ ومحبتس عند الله، فإن أدى ما عليه من الاحسان وصالح الأعمال فك وخُص من الرهانة والحبس ودخل الجنة، وكذا المرأة، دون الصبي والصبية، فأنهما يدخلان الجنة بعمل الآباء والأمهات.

وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُزْلُوفٌ مَكْنُونُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنْ اللَّهُ عَالِمُنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْكَبِيرُ الرَّحِيمُ [٢٨-٢٢]

ثم لما ذكر سبحانه عدم تنقيص ثواب أعمال المؤمنين بالحاق أولادهم بهم، بين أنه لا يقتصر على إعطاء ثواب أعمالهم، بل يزيدهم أنا فأنا من فضله بقوله: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾ وزدناهم على ما ذكر من النعم بأن تنفصل عليهم ﴿بِفَاكِهَةٍ﴾ كثيرة طيبة دائمة من ثمار الجنة ﴿وَلَحْمٍ﴾ كثير طيب، وهما أرفع

١. تفسير روح البيان ٩: ١٩٣.

٢. تفسير المقي ٢: ٣٣٢، مجمع البيان ٩: ٢٥١، تفسير الصافي ٥: ٧٩.

٣. في التوحيد ومن لا يحضره الفقيه: فالحق لله عز وجل.

٤. التوحيد: ٧/٣٩٤، من لا يحضره الفقيه ٣: ١٥٣٧/٣١٦، الكافي ٣: ٥/٢٤٩، تفسير الصافي ٥: ٧٩.

٥. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٥٣٦/٣١٦، تفسير الصافي ٥: ٧٩.

أنواع المأكولات للمتنعمين، ولا يقتصر على نوع خاص، بل يُعطون ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ويرغبون إليه من أنواع الفواكه واللحوم. رُوي أنَّ المؤمن إذا اشتهى الطير يخز بين يديه مشروباً ﴿يَتَنَزَّعُونَ﴾ ويتعاطون ﴿فِيهَا﴾ بنحو التجاذب والتلاعب ﴿كَأَسَاءَ﴾ مملوءة من خمر الجنة، لكن ﴿لَا لَغْوَ﴾ وكلام باطل وواه ﴿فِيهَا﴾ كما يكون في شرب خمر الدنيا ﴿وَلَا﴾ يكون فيها ﴿تَأْتِيمٌ﴾ وفعل قبيح من السبِّ والفحش، كما هو لازم السكر في الدنيا، بل لا يتكلمون إلا بأحسن الكلام، ولا يفعلون إلا ما يفعله الكرام، لعدم حصول نقص في عقولهم، فضلاً من زوالها. وقيل: لا يكون في شربها إثم وعصيان.^٢

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ ويدور حولهم لخدمتهم، أو بكؤوسهم ﴿غِلْمَانٌ﴾ وخدم حسناً الوجوه، مخلوقون ﴿لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في البياض والصفاء ﴿لُؤْلُؤٌ﴾ رطب ﴿مَكْنُونٌ﴾ ومصون في الصدف عن الغبار ومس الأيدي، أو مخزون فأنه لا يُخزَن إلا الثمين الغالي القيمة.

روي أنه قيل لرسول الله ﷺ: هذا لخدام، فكيف المخدوم! فقال: «والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».^٣

ورُوي أنه ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من يُنادي الخادم من خُدَّامه، فيجيبه ألف بابه: لبيك لبيك».^٤

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ آخر، وتوجه إليه، وهم يتحادثون و ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ تَلَدَّذاً وتفكهاً واستئناساً، ويتذكرون أحوالهم وأعمالهم في الدنيا، وبأنه نالوا الكرامة في الآخرة ﴿قَالُوا﴾ جواباً للسائلين عن أحوالهم: يا إخواننا ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ في زمان حياتنا ﴿قَبْلُ﴾ وفي دار الدنيا ﴿فِي أَهْلِنَا﴾ وأقاربنا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ وخائفين من مخالفة أحكام الله وسوء عاقبتنا وأحوال الآخرة ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالتوفيق لطاعته ﴿وَوَقَّانَا﴾ بذلك وحفظنا به من ﴿عَذَابِ السُّمُومِ﴾ والاحتراق بالنار الحارة النافذة في منافذ الجسد، كالريح الحارة النافذة فيها ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ وفي دار الدنيا نعبُد الله و﴿نَدْعُوهُ﴾ أن يقينا من العذاب، فَوَقَّانَا واستجاب داعمانا، وأدخلنا في جنته ورحمته ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿هُوَ أَلْبَرُّ﴾ والمُحْسِن بعباده ﴿الْزَّحِيمِ﴾ بمن آمن به وأطاعه، الكثير الرحمة على من أقبل إليه.

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ

٢. مجمع البيان ٩: ٢٥١.

١. تفسير روح البيان ٩: ١٩٥.

٤. تفسير أبي السعود ٨: ١٤٩، تفسير روح البيان ٩: ١٩٦.

٣. مجمع البيان ٩: ٢٥١، تفسير الصافي ٥: ٨٠.

رَبِّ الْمَتُونِ * قُلْ تَرْبُّوْا فِائِي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرْبِّصِيْنَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَخْلَافُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوْنَ [٢٩-٣٢]

ثم لما أمر سبحانه في آخر السورة السابقة بتذكير الخائفين من الوعيد، وذكر هنا حال الخائفين من عذابه، أمره بوعظهم وتذكيرهم بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد وعظ الخائفين من الله بآيات الكتاب الكريم، ولا تعتن بما يقوله الكفار من أن محمداً كاهن أو مجنون ﴿فَمَا أَنْتَ﴾ بحمد الله و﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ التي أنعمها عليك من كمال العقل ومنصب الرسالة ﴿بِكَاهِنٍ﴾ ومُخْبِرٍ بالغيب بتوسط الجن ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وفاسد العقل.

ثم ويخبرهم سبحانه على بعض أقاويلهم الشيعة تعجباً منها بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أولئك الطغاة إذا سمعوا القرآن: إن محمداً ﴿شَاعِرٌ﴾ ومُلَفَّقُ الكلمات الموزونة المزينة الموهبة^١ لطلب المال، ولا تعارضه خوفاً من أن يغلبنا بقوة شعره، أو يهجوننا، بل ﴿تَنْزِيلُ﴾ وننتظر ﴿يَهُ﴾ في خلاصنا من شره ﴿رَبِّ الْمَتُونِ﴾ وحوادث الدهر، أو موته وهلاكه ﴿قُلْ﴾ يا محمد، لهؤلاء المعاندين: ﴿تَرْبُّوْا﴾ وانتظروا هلاكي بحوادث الدهر ﴿فِائِي مَعَكُمْ﴾ أيضاً متربص ﴿مِّنَ﴾ جملة ﴿الْمُتَرْبِّصِيْنَ﴾ لهلاككم بالعذاب النازل عليكم من الله أو بأيدينا.

ثم ويخبرهم سبحانه على ضعف عقولهم بقوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ وتبعثهم ﴿أَخْلَافُهُمْ﴾ وعقولهم ﴿بِهَذَا﴾ القول الشنيع، وإلى التكلم بالمتناقضات، حيث إن لازم الكهانة الفطنة والعقل والدقة في الأمور، ولزام الجنون عدم الفهم واختلال الفكر، ولزم الشاعر القدرة على الكلام الموزون المتسق المخيل بقوة الفكر، ولا يمكن اجتماع الثلاثة في شخص واحد، لا والله لا يجوز العقل التكلم بها ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوْنَ﴾ وهل هم إلا طائفة معاندون لله ولكل حق وصواب، يبعثهم عنادهم إلى التكلم بالخرافات التي لا تصدر من ذي شعور، والمكابرة بالنفوة بكل كلام باطل لإطفاء الحق مع ظهوره.

أَمْ يَقُولُونَ فَقَوْلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَاثُوا بِحَدِيثِ مَثَلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ * أَمْ
خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا
يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ
يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ [٣٣-٣٨]

ثُمَّ وَيُخَبِّرُهُمْ سُبْحَانَهُ عَلَى الطَّعْنِ عَلَى الْقُرْآنِ الَّذِي فِيهِ وَجْهُهُ مِنَ الْعَاجَازِ يَقُولُهُ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ جِبْرِئِيلُ مِمَّا ﴿تَقُولُهُ﴾ مُحَمَّدٌ، وَاسْتَلْقَاهُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، وَيَنْسِبُهُ كَذِبًا إِلَى اللَّهِ؟ لَا وَاللَّهِ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ ﴿قِيلَ﴾ هُمْ قَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بآيَةِ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ مُعْجَزَةَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ، فَإِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِمَّا تَقُولُهُ مُحَمَّدٌ كَمَا يَقُولُونَ الْكَفَّارُ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ وَكَلَامٍ مَرْكَبٍ ﴿مِثْلِهِ﴾ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَحُسْنِ الْأُسْلُوبِ، وَالِاسْتِمَالِ عَلَى الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ فِي مَا يَقُولُونَ مِنْ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ، مَعَ أَنَّهُمْ مَهْرَةٌ الْكَلَامِ وَفُرْسَانُ مِيدَانِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَطُولِ مِمَارَسَتِهِمُ الْخُطْبِ وَالْأَشْعَارِ، وَكَثْرَةِ مَزَاوِلَتِهِمْ لِأَسَالِبِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ، وَشِدَّةِ اهْتِمَامِهِمْ بِحِفْظِ الْوَقَائِعِ وَالْأَيَّامِ وَلَا يُمَكِّنُهُمُ الْإِتْيَانُ بِسُورَةٍ مِنْهُ فَضْلًا عَنْ جَمِيعِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ تَوْيِخِ الْمَشْرِكِينَ عَلَى الطَّعْنِ عَلَى رَسُولِهِ وَكِتَابِهِ، وَيُخَبِّرُهُمْ عَلَى إِنْكَارِ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُهُ: ﴿أَمْ خُلِقُوا﴾ قِيلَ: إِنَّ التَّقْدِيرَ أَمَا خُلِقُوا أَصْلًا، أَمْ خُلِقُوا وَقُدِّرُوا وَوَجِدُوا ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ يَكُونُ خَالِقَهُمْ وَمَقْدَرًا وَمَوْجِدًا لَهُمْ ﴿أَمْ﴾ لَهُمْ مَوْجِدٌ وَخَالِقٌ، وَلَكِنْ هُمْ ﴿هُمْ﴾ أَنْفُسُهُمْ ﴿الْخَالِقُونَ﴾ لِأَنْفُسِهِمْ؟ وَكُلِّ الصُّورِ الثَّلَاثِ بَاطِلٌ بِالْبَدَاهَةِ، لِتَحَقُّقِ خَلْقِهِمْ، وَامْتِنَاعِ وَجُودِ الْمَخْلُوقِ بِغَيْرِ خَالِقٍ، وَامْتِنَاعِ كَوْنِ أَنْفُسِهِمْ خَالِقًا لَهُمْ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ مِنْ غَيْرِ حِكْمَةٍ، وَعَبَثًا لَا لَشَيْءٍ^٢. وَقِيلَ: يَعْنِي خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ أَبِي وَأُمٍّ^٣.

وَقِيلَ: فِي وَجْهِهِ ارْتِبَاطُ الْآيَةِ: إِنَّهُ لَمَّا كَذَّبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَنَسَبُوهُ إِلَى الْكِبْهَانَةِ وَالْجَنُونِ وَالشَّعْرِ، ذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَى صِدْقِهِ^٤، حَيْثُ إِنَّهُ يَدْعِي التَّوْحِيدَ وَالرَّسَالَهَ وَالْحَشْرَ، وَدَلِيلُ كُلِّ مِنْهَا ظَاهِرٌ فِي أَنْفُسِهِمْ، أَمَّا دَلَالَةُ وَجُودِهِمْ عَلَى التَّوْحِيدِ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا دَلَالَتُهُ عَلَى الْحَشْرِ فَلَاَنَّ الْخَلْقَ الْأَوَّلَ دَلِيلٌ عَلَى الْخَلْقِ الثَّانِي، وَالْمُرَادُ: أَمَا خُلِقُوا أَصْلًا، فَيُنْكِرُونَ التَّوْحِيدَ لِانْتِفَاءِ الْإِبْدَادِ، وَيُنْكِرُونَ الْحَشْرَ لِانْتِفَاءِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ، أَمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مَا خُلِقُوا لِشَيْءٍ فَلَا إِعَادَةَ، أَوْ مَا خُلِقُوا مِنْ تُرَابٍ وَمَاءٍ أَوْ مِنْ نُطْفَةٍ حَتَّى يَخْفَى عَلَيْهِمْ أَنَّ لَهُمْ خَالِقًا وَيَقُولُونَ: إِنَّ خَلْقَنَا كَانَ اتِّفَاقِيًّا، أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ لِلْمَوْجُودَاتِ، فَيُعْجِزُونَ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ عَنِ الْخَلْقِ الثَّانِي مَرَّةً، كَمَا أَنَّ الْإِعْيَاءَ^٥ دَابَّ الْإِنْسَانَ؟

٢. تفسير الرازي ٢٨: ٢٦٠.

١. تفسير الرازي ٢٨: ٢٦٠.

٣. تفسير الرازي ٢٨: ٢٦٠، تفسير روح البيان ٩: ٢٠٢.

٤. تفسير الرازي ٢٨: ٢٥٩.

٥. فِي النُّسخَةِ الْأَعْيَاءِ.

﴿أَمْ﴾ هم ﴿خَلَقُوا﴾ بقدرتهم ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يستدلون بهما على وجود الصانع القادر الحكيم؟ لا والله لا يقولون بأنهم خالقهما ﴿بَلْ﴾ يَشْكُونَ في خالقهما ﴿وَلَا يُوقِنُونَ﴾ بالنظر إلى الآيات الأفاقية والأنفسية المذكورة بأن الله خالقهما وخالق كل شيء، وإلا لما أعرضوا عن عبادته، وما أنكروا قدرته على البعث ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ﴾ وتحت تصرفهم ﴿خِزَانِينَ﴾ رحمة ﴿رَبِّكَ﴾ حتى يُعْطُوا النبوة من شاءوا ويمنعوها عن من شاءوا؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُّونَ﴾ والغالبون على من له الخزانين حتى يجبروه على الاعطاء والمنع على وفق إرادتهم وهوى أنفسهم؟ ﴿أَمْ﴾ لا يحتاجون إلى الرسول، بل ﴿لَهُمْ سُلَمٌ﴾ يصعدون فيه إلى السماء، و﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ من الملائكة ما يحتاجون إلى العلم به من الأحكام وسائر الأمور حال كونهم صاعدين ﴿فِيهِ﴾؟ فان كانوا يدعون ذلك ﴿فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ من الملائكة بصعوده إلى السماء ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ وبرهان واضح على استماعه وصدقه في دعواه.

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٣٩-٤٣]

ثم ويخ جماعة من قريش على قولهم: إن الملائكة بنات الله، وعبادتهم إياهم لكونهم أولاده بقوله: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ﴾ اللاتي هن أحسن الأولاد عندهم ﴿وَلَكُمْ﴾ أيها السفهاء ﴿الْبَنُونَ﴾ الذين هم أشرف الأولاد: قيل: إن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للتشديد والتوبيخ^١. قيل: فيه إيذان بأن من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلاً عن أن يرقى إلى السماء ويطلع على الأسرار الغيبية^٢.

ثم لما كان ظهور نبوة النبي ﷺ بحيث لم يبق لأحد مجال الشك والانكار، أعرض سبحانه عن المشركين، ووجه خطابه للنبي ﷺ بقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ وتطلب منهم على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا﴾ ويجعل من المال ﴿فَهُمْ﴾ لأجل ذلك ﴿مِنْ مَغْرَمٍ﴾ ومال ألزمتهم بأدائه إليك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ ومتقاعدون عن الإيمان بك واتباعك، النقل أجرك عليهم؟ وفيه تسلية النبي ﷺ وإظهار عدم تقصيره في أداء وظيفته ﴿أَمْ﴾ لا يحتاجون إلى الرسول؛ لأن ﴿عِنْدَهُمْ﴾ اللوح المحفوظ الذي فيه ﴿الْغَيْبُ﴾ وما لا يعلم به إلا بإعلام الله ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه ليبقى في حفظهم، ويراجعون إليه عند نسيانهم شيئاً منه، ولذا لا يتبعونك؟ أيكف المشركون بتلك الترهات ولأقاويل الباطلة ﴿أَمْ يُرِيدُونَ﴾ مع ذلك

﴿كَيْدًا﴾ وإساءة إليك في الخفاء منك، كالقتل والحبس والاعراج من البلد، أو حيلة وتدبير سوء في إطفاء نورك والاخلال في أمر رسالتك؟

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأنكروا رسالتك ﴿هُمْ أَلْمَكِيدُونَ﴾ ومستحقون لما ينزل بهم من العذاب غفلةً وبغتةً، أو هم الذين يعود إليهم وبإل مكرهم وكيدهم من القتل والعذاب بعلّة كفرهم، لا من يريدون أن يكيدوه، فإنه المنصور من الله قولاً وفعلًا وحجةً وسيقاً، أو هم المغلوبون في الكيد، ألهم صبراً على ما ينزل عليهم من العذاب ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يحزّسهم منه؟ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ ونزّهه ﴿عَنْ﴾ شركة ﴿مَا يُشْرِكُونَ﴾ به، أو عن إشراكهم.

وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ * فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [٤٧-٤٤]

ثم بين كيفية نزول العذاب عليهم غفلةً وبغتةً بقوله تعالى: ﴿وَأَن يَرَوْا﴾ حين انقضاء مدة إمهالهم ﴿كِسْفًا﴾ وقطعةً من العذاب، نازلاً عليهم ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أو قطعةً منها، ﴿سَاقِطًا﴾ عليهم ﴿يَقُولُوا﴾ من فرط الغفلة: هذا الذي نرى ﴿سَحَابًا﴾ غليظاً ﴿مَّرْكُومًا﴾، ومُنضمّ بعضه ببعض، أو ملقى بعضه فوق بعض يُمطرنا الساعة.

وقيل: إنه بيان لغاية لجاجهم وعنادهم، والمراد أنهم في اللجاج والعناد بحيث لو أسقطنا عليهم قطعةً من السماء حسبما قالوا: (أو تسقط علينا كسفاً من السماء لقالوا هذا سحاب مركوم) ولم يصدقوا أنه كِسْفٌ من السماء ساقطٌ عليهم لتعذيبهم^١. فإذا كان لجاجهم وعنادهم إلى هذا الحدّ ﴿فَذَرَهُمْ﴾ واتركهم على حالهم، ولا تتعب نفسك بالاصرار على دعوتهم ﴿حَتَّى يَلَاقُوا﴾ ويعانينا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ويهلكون بالعذاب، أعني ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ ولا يكفي في دفع العذاب ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ﴾ ومكرهم وتدبيرهم ﴿شَيْئًا﴾ من الإغواء ﴿وَلَا هُمْ﴾ من جهة الغير ﴿يُنصَرُونَ﴾ ويُخَفَّظُونَ من العذاب.

ثم بين سبحانه أنه لا يقتصر في حقّ المصّرّين على العناد واللجاج على عذاب الآخرة، بل لهم في الدنيا عذاب أخفّ من عذاب الآخرة بقوله: ﴿وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ على أنفسهم بالاصرار على الكفر والعناد، وعلى الله تعالى بتضييع حقّ ربييته ونعمته، وعلى الرسول بتكذيبه وكفران نعمة هدايته.

القي: ظلموا آل محمد^١ ﴿عَذَابًا﴾ أليماً في الدنيا ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ العذاب الموعود في الآخرة وقبله، أو أخف منه. عن القي: عذاب الرجعة بالسيف^٢. وقيل: يعني عذاباً أخف قبل العذاب بالقتل، وهو العذاب بالخط^٣. وقيل: يعني وراء عذاب الدنيا، وهو عذاب الآخرة^٤.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ لفرط جهلهم وعنادهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، وإنما يعلمه أقلهم، وهم الذين آمنوا. وقيل: يعني أنهم في أكثر أحوالهم - وهو حال اشتغالهم بالدنيا - لا يعلمون، وفي أقلها - وهو حال احتضارهم - يعلمون. وقيل: إن أكثر هنا بمعنى الكل^٥.

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ [٤٨ و ٤٩]

ثم لما ذكر سبحانه عناد القوم وكيدهم في شأن رسوله، سلّاه بقوله: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ يا محمد، على عناد القوم وأذاهم ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمھالهم إلى اليوم الموعود، ولا يضيق صدرك بما يقولون، ولا تخف من كيدهم ﴿فَإِنَّكَ﴾ محفوظ من الآفات جميعها ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ وفي مرآنا، أو بحفظنا وفي حمايتنا. وجَمَعَ العين لجمع الضمير، وللإيدان بغاية الاعتناء بحفظه وبكثرة أسبابه.

ولا تدع على أعدائك، ولا تشغل قلبك بالتفكر في سوء فعالمهم وأقوالهم، بل فرغه للعبادة ﴿وَسَبِّحْ﴾ الله ونزهه عن النقائص الإمكانية، واقرن تسبيحك ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ على نعمة عليك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من النوم لصلاة الليل، كما عن القي^٦. أو تقوم من النوم في أي وقت، كما زوي أنه ﷺ كان يسبح بعد الانتباه^٧. أو تقوم من مجلسك، لما زوي عنه ﷺ أنه قال: «من جلس مجلساً فكثّر فيه لغظه، فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك، كان كفارة لما بينهما»^٨. أو تقوم إلى الصلاة، لما زوي عنه ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة، فقل: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»^٩.

أقول: أو في جميع تلك الأوقات المذكورة في الروايات. ﴿و﴾ بعضاً ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ أوله، أو آخره ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ فإنه أفضل أوقات العبادة. وقيل: القدر الذي

١ و ٢. تفسير القي ٢: ٣٣٣، تفسير الصافي ٥: ٨٣ ٣. تفسير أبي السعود ٨: ١٥٢، تفسير روح البيان ٩: ٢٠٥.

٤. تفسير الرازي ٢٨: ٢٧٣، تفسير أبي السعود ٨: ١٥٣، تفسير روح البيان ٩: ١٠٥. ٥. تفسير الرازي ٢٨: ٢٧٤.

٦. تفسير القي ٢: ٣٣٣، تفسير الصافي ٥: ٨٣ ٧. تفسير الرازي ٢٨: ٢٧٥.

٨. تفسير روح البيان ٩: ٢٠٧. ٩. تفسير الرازي ٢٨: ٢٧٥.

يكون فيه يقظان^١. وعن القمي: صلاة الليل^٢. ﴿و﴾ كذا ﴿إِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ وحين يخفى ضياؤها وهو وقت الصبح. وقيل: إن المراد من التسبيح في الليل صلاة العشاءين، ومن التسبيح إدبار النجوم صلاة الفجر^٣. وقيل: إنه ركعتان قبل الفجر^٤.

وعنهما عليهما السلام: «﴿وإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ يعني الرُّكْعَتَيْنِ قبل صلاة الفجر»^٥. وعن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والآخرة»^٦. الحمد لله الذي وفقني لتفسيرها.

١. تفسير الرازي ٢٨: ٢٧٦.
 ٢. تفسير القمي ٢: ٣٣٣، تفسير الصافي ٥: ٨٣.
 ٣. تفسير أبي السعود ٨: ١٥٣، تفسير روح البيان ٩: ٢٠٨.
 ٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٠٨.
 ٥. مجمع البيان ٩: ٢٥٧، تفسير الصافي ٥: ٨٣.
 ٦. ثواب الأعمال: ١١٦، عن الباقر والصادق عليهما السلام، مجمع البيان ٩: ٢٤٥، عن الباقر عليه السلام، تفسير الصافي ٥: ٨٣.

The following are the names of the persons who have been
 named in connection with the above mentioned case:
 [Name] [Address] [City] [State] [Zip]
 [Name] [Address] [City] [State] [Zip]
 [Name] [Address] [City] [State] [Zip]

6. *Chlorophyll a* and *Chlorophyll b* were determined by the method of Arar and Collins (1971).

1. *Chlorophyll a* and *Chlorophyll b* were determined by the method of Arar and Collins (1971) using a Shimadzu 1601 UV-Visible Spectrophotometer. The concentration of chlorophylls was expressed in mg/L.

1. *Chlorophyll a* and *Chlorophyll b* were determined by the method of Arar and Collins (1971) using a Shimadzu 1010 spectrophotometer.

...and the fact that the *Journal* is a journal of the American Psychological Association, the largest and most influential of the professional organizations in the field of psychology, is a source of great strength and authority.

Journal of Management Education 30(6)p.789-804

1. The first step is to identify the problem or question that needs to be answered. This involves understanding the context and the specific requirements of the task.

في تفسير سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ [١-٤]

ثُمَّ لَمَّا خُتِمَت سُوْرَةُ الطُّوْرِ الْمُتَضَمِّنَةُ لِبَيَانِ إِنْْعَامِ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ بِإِنْعَمَةِ الرِّسَالَةِ، وَرَدَّ مِنْ قَالِ إِنَّهُ ﷺ كَاهِنٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَوْ شَاعِرٌ، وَمَنْ قَالِ بَأْنَ الْقُرْآنَ اخْتَلَقَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَتَوْبِيخِ الْمَشْرِكِينَ عَلَى إِنْكَارِهِمْ تَوْحِيدَ اللَّهِ، وَقَوْلِهِمْ بَأْنَ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ، وَرَدَّ قَوْلَهُمْ بِعَدَمِ حَاجَتِهِمْ إِلَى الرُّسُولِ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ حَتَّى لَا يَحْتَاجُوا إِلَى الْمُبَلِّغِ عَنِ اللَّهِ، وَأَمَرَ الرُّسُولَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُصْرِّينَ عَلَى الْكُفْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا﴾^١ نُظِمَت سُوْرَةُ النَّجْمِ الْمُتَضَمِّنَةُ لِإثْبَاتِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَنَفْيِ الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ عَنْهُ، وَأَنْ مَا يَقُولُهُ لَيْسَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَنْ مَا يَعْلَمُهُ لَيْسَ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ بِتَوْسِطِ جَبْرَائِيلَ لَا بِالْكِهَانَةِ، وَإثْبَاتِ التَّوْحِيدِ وَنَفْيِ الْوَهْمِ اللَّاتِ وَالْعُزَى وَسَائِرِ الْأَصْنَافِ، وَتَوْبِيخِ الْمَشْرِكِينَ عَلَى قَوْلِهِمْ بَأْنَ لَهُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى، وَإِنْكَارِ كَوْنِهِمْ عَالَمِينَ بِالْغَيْبِ حَتَّى لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الرُّسُولِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾^٢، وَأَمَرَ الرُّسُولَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمَعْرُضِينَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَطَالَبِ الْمُنَاسِبَةِ لِلْسُوْرَةِ السَّابِقَةِ، فَابْتَدَأَهَا بِذِكْرِ الْأَسْمَاءِ الْمُبَارَكَاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثُمَّ افْتَتَحَهَا بِالْحَلْفِ عَلَى صَدَقِ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي الرِّسَالَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ قِيلَ: هُوَ الثُّرَيَّا، وَالْحَلْفُ بِهِ لِكَوْنِهِ أَحْسَنَ النُّجُومِ عِنْدَ قُرَيْشٍ وَأَظْهَرَهَا لِلرَّائِي، لِأَنَّهُ لَهُ عَلَامَةٌ لَا يَلْتَبِسُ بِغَيْرِهِ^٣، وَتَخْصِيصُ الْحَلْفِ بِحَالِ هَوَايِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ وَسَقَطَ وَمَالَ إِلَى الْغُرُوبِ؛ لِأَنَّهُ يَهْتَدِي السَّارِيَ بِهِ حِينَ الزَّوَالِ، كَمَا يَهْتَدِي بِالنَّبِيِّ بِخَفْضِ جَنَاحِهِ وَلِيْنِ جَانِبِهِ.

قِيلَ: لَمَّا كَانَ بَعْضُ الْمَشْرِكِينَ يَعْْبُدُونَهُ، فَقَرْنَ سُبْحَانَهُ تَعْظِيمَهُ بِالْحَلْفِ بِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ قَابِلِيَّتِهِ

للعادة، لكونه هاوياً آفلاً، كما قال إبراهيم: ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^١.

وقيل: إن المراد بالنجم جنسه الثابت في السماء للاعتداء^٢.

وقيل: جنس النجوم المنقضة التي هي رجوم للشياطين^٣، كما أن النبي ﷺ مُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ.

وقيل: إن الحَلَفَ برَبِّ النجم، والتقدير: وربِّ النجم^٤ وعن ابن عباس: قال: يقول: وخالق النجم^٥.

وقيل: إن المراد بالنجم النباتات التي لا ساق لها^٦، وهواه سقوطه على الأرض^٧، وهو سجوده.

وقيل: إنه نجوم القرآن^٨، والحَلَفُ به استدلالٌ بأعظم معجزات النبي ﷺ على صدقه.

ثم ذكر سبحانه المحلوف عليه بقوله: ﴿مَا ضَلَّ﴾ وما عدل عن الصراط المستقيم الموصول إلى كل خير، وما انحرف عن طريق القرب إلى الله والنيل بنعم الآخرة لنقص عقله محمد ﷺ الذي هو ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ ومُعاشركم من أول عمره إلى الآن، وما رأيتم منه كذباً ولا خيانة. وقيل: يعني سيديكم^٩ ومالك أمورك ﴿وَمَا غَوَى﴾ وما وقع في أمرٍ باطلٍ وفاسدٍ باغواء الشياطين ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ بشيء ولا يتكلم بكلمة صادرة ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ وميل نفسه وشهوته.

وقيل: إنه دليلٌ على عدم ضلّالته، والمراد أنه كيف يضلّ ويغوي وهو لا ينطق عن الهوى؟ وإنما يضلّ من أتبع الهوى، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^{١٠}.

وقيل: إن كلمة (عن) بمعنى باء، والمعنى لا ينطق بسبب الهوى^{١١}.

﴿إِنْ﴾ الذي ينطق به، وما ﴿هُوَ﴾ شيءٌ ﴿إِلَّا وَحْيٌ﴾ من الله تعالى ﴿يُوحِي﴾ إليه حقيقةً بواسطة جبرئيل لا مجازاً، وما هو بكاهن ولا شاعر ولا مجنون.

ذكر فضيلة
لمعليه السلام ونص
الامامة

وقال العلامة ﷺ في (نهج البلاغة): روى الجمهور عن ابن عباس، قال: كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي ﷺ، إذ انقض كوكب، فقال رسول الله ﷺ: «من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي» فقام فتية من بني هاشم فنظروا، فإذا الكوكب انقض في منزل علي بن أبي طالب عليه السلام. فقالوا: يا رسول الله، غويت في حب علي.

٢. تفسير الرازي ٢٨: ٢٧٩.

١. تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٠، والآية من سورة الأنعام: ٧٦/٦.

٣. تفسير الرازي ٢٨: ٢٧٩.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٠٩.

٥. أمالي الصدوق: ٨٩٣/٦٦٠، تفسير الصافي ٥: ٨٤.

٦. تفسير روح البيان ٩: ٢١١.

٧. جوامع الجامع: ٤٦٨، تفسير الرازي ٢٨: ٢٧٩.

٨. تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٠، والآية من سورة ص: ٢٦/٣٨.

٩. تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٠.

١٠. تفسير روح البيان ٩: ٢١٣.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾^١.

وعن (المجالس) عن ابن عباس، قال: صُلينا العشاء الآخرة مع رسول الله، فلَمَّا سَلَمَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: «سَيَقْضَىٰ كَوْكَبٌ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَيَسْقُطُ فِي دَارِ أَحَدِكُمْ، فَمَنْ سَقَطَ ذَلِكَ الْكَوْكَبُ فِي دَارِهِ فَهُوَ وَصِيِّ وَخَلِيفَتِي وَالْإِمَامُ بَعْدِي» فَلَمَّا قَرَّبَ الْفَجْرَ، جَلَسَ كُلُّ أَحَدٍ مَنَا فِي دَارِهِ، وَكَانَ أَطْمَعُ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ انْقَضَ الْكَوْكَبُ مِنَ الْهَوَاءِ، فَسَقَطَ فِي دَارِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «يَا عَلِيُّ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنَّبُوَّةِ، لَقَدْ وَجِبَتْ لَكَ الْوَصِيَّةُ وَالْخَلَاةُ وَالْإِمَامَةُ بَعْدِي». فَقَالَ الْمَنَافِقُونَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي وَأَصْحَابَهُ: لَقَدْ ضَلَّ مُحَمَّدٌ فِي مَحَبَّةِ ابْنِ عَمِّهِ وَغَوَى، وَمَا يَنْطِقُ فِي شَأْنِهِ إِلَّا بِالْهَوَى. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ فِي مَحَبَّةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﴿وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ فِي شَأْنِهِ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^٢. وَرَوَى مَا يَقْرُبُ مِنْهُ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام^٣.

وَرَوَى عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: «مَا ضَلَّ فِي عَلِيٍّ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ فِيهِ عَنِ الْهَوَى، وَمَا كَانَ مَا قَالَهُ فِيهِ إِلَّا بِالْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ»^٤.

وعن الصادق عليه السلام، قَالَ: «إِنْ رَضِيَ النَّاسُ لَا يُمْلِكُ، وَأَلَسْتُمْ لَا تُضَبِّطُ، وَكَيْفَ يَسْلَمُونَ مِمَّا لَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ وَحُجَجُ اللَّهِ... أَلَمْ يَنْسِبُوا نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى أَنَّهُ يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى فِي ابْنِ عَمِّهِ عَلِيٍّ عليه السلام حَتَّى كَذَّبَهُمُ اللَّهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾»^٥.

وعن الرضا عليه السلام فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ: «النَّجْمُ رَسُولُ اللَّهِ»^٦.

وعن الباقر عليه السلام: «أَقْسَمَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا قُبِضَ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ لِنَفْضِيلِهِ أَهْلَ بَيْتِهِ ﴿وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ يَقُولُ: مَا يَتَكَلَّمُ بِفَضْلِ أَهْلِ بَيْتِهِ بِهَوَاهُ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾»^٨.

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ

١. نهج الحق: ١٩٣. ٢. أمالي الصدوق: ٨٩٣/٦٥٩، تفسير الصافي ٥: ٨٤.

٣. أمالي الصدوق: ٨٩٤/٦٦٠، تفسير الصافي ٥: ٨٥. ٤. تفسير القمي ٢: ٣٣٤، تفسير الصافي ٥: ٨٥.

٥. أمالي الصدوق: ١٦٣/١٦٤، تفسير الصافي ٥: ٨٥.

٦. تفسير القمي ٢: ٣٣٣، ولم ينسبه إلى أحد، تفسير الصافي ٥: ٨٥.

٧. في الكافي: أقسم بقبض محمد، في تفسير الصافي: أقسم بقبر محمد.

٨. الكافي ٨: ٥٧٤/٣٨٠، تفسير الصافي ٥: ٨٥.

مَا رَأَى [٥-١١]

ثم لما كان بعض المشركين يقولون: إنما علم محمد ما ينطق وما يقول من العلوم بعض أهل الكتاب في أسفاره إلى الشام، ردهم الله سبحانه بقوله: ﴿عَلَّمَهُ﴾ جَبْرَيْلُ الذي هو ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ في العلوم والأعمال، لا البشر الذي هو ضعيف القوة وقليل العلم، وذلك الْمَلَكُ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ وكمال في الجسم والعقل والدين وحسن الأخلاق واستحكام الأركان ﴿فَاسْتَوَى﴾ ذلك الْمَلَكُ واستقام متوجهاً إلى تعليم محمد ﷺ، واستقر على صورته الأصلية التي خُلِقَ عليها، أو استقر محمد ﷺ على التعلُّم منه، كما عن القمي^١.

وقيل: إنَّ فاعل (عَلَّمَهُ) الله، والمعنى عَلَّمَهُ الله الذي هو شديد القوى في العلوم، وما بعده أوصاف الرسول ﷺ والمعنى: أَنَّ الرسول ذُو مِرَّةٍ، فاستوى: وأستقام للتعلُّم من الله^٢.

عن الرضا عليه السلام: «ما بعث الله نبياً إلا صاحب مِرَّةٍ سوداء صافية»^٣.

﴿وَهُوَ﴾ متمكِّن ﴿بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ أو المقام الأرفع من الكلمات الانسانية، والمرتبة الأسنى من الفضائل الجسمانية والروحانية بحيث لا يُدانيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيُّ مرسل ﴿فَمَ دَنَا﴾ رسول الله وقرب من الله بالعلم والكمال الصفاتي ﴿فَتَدَلَّى﴾ الله وقرب منه.

عن الكاظم عليه السلام: قال: «هذه لغة قریش، إذا أراد الرجل أن يقول: سَمِعْتُ، يقول: تَدَلَّيْتُ، وإِنَّمَا التَدَلَّى: الْفَهْمُ»^٤.

أقول: وعليه يكون المعنى: ثم دنا رسول الله ﷺ فسمع وَفَهم من الله.

﴿فَكَانَ﴾ مقدار المسافة بين الله وبين رسوله ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ وقدر ما بين سِيَةِ القوس إلى رأسها، كما عن الصادق عليه السلام^٥. وقيل: مقدار ما بين الوتر والقوس^٦. وهو حدّ الفصل في مجالسة الأحباء المتأدِّبين^٧.

قيل: مثل لغاية القرب، وأصله أَنَّ الحليفين كانا إذا أراد عقد الصفاء أخرجا قوسيهما، فألصقا بينهما، وهو إشارة إلى كونهما متظاهرين يحامي كلُّ منهما صاحبه^٨.

وقيل: إنَّ الكبيرين من العرب إذا اصطلحا وتعاهدا، أخرجا قوسيهما، ووتر كلٍّ واحدٍ منهما طرف

٢. تفسير القمي ٢: ٢٣٤.

١. تفسير القمي ٢: ٣٣٤، تفسير الصافي ٥: ٨٥.

٤. الاحتجاج: ٣٨٧، تفسير الصافي ٥: ٨٧.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٣٤، تفسير الصافي ٥: ٨٥.

٦. الكافي ١: ١٣/٣٦٨، تفسير الصافي ٥: ٨٧.

٥. سِيَةِ القوس: ما عُظِفَ من طرفيها.

٨. تفسير روح البيان ٩: ٢١٨.

٧. تفسير روح البيان ٩: ٢١٧.

٩. تفسير روح البيان ٩: ٢١٧.

قوسه بطرف قوس صاحبه^١. فجعل سبحانه نفسه ونبيه ﷺ بمنزلة أميرين كبيرين اجتماعا للتعاهد والتصافي والتعاقد.

في (الامالي) عن النبي ﷺ، قال: «لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ دَنَوْتُ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مِنْ تُحِبُّ مِنَ الْخَلْقِ؟ قُلْتُ: يَا رَبِّ، عَلِيًّا. قَالَ: فَالْتَفَتَ يَا مُحَمَّدُ. فَالْتَفَتَ عَنْ يَسَارِي، فَاذَا عَلِيٌّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ»^٢.

وعن السجاد ﷺ: «أَنَا بَنٌ مِنْ عَلَا فَاسْتَعَلَا، فَجَازَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَكَانَ مِنْ رِثَةِ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»^٣.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَعُرِجَ بِهِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِ لَيْلَةٍ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ، فَدَنَا بِالْعِلْمِ فَتَدَلَّى، فَدَنَا لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ رَفْرَفٌ أَخْضَرَ، وَغَشِيَ النُّورَ بَصْرَهُ، فَرَأَى عِظْمَةَ اللَّهِ بِفَوَّادِهِ، وَلَمْ يَرَهَا بَعِينَهُ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ أَوْ أَدْنَى»^٤.

وفي رواية عن الصادق عليه السلام، قال: «وَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾» قيل: مَا قَابَ قَوْسَيْنِ؟ قَالَ: «مَا بَيْنَ سَيْتَيْهَا إِلَى رَأْسِهَا» قَالَ: «فَكَانَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ يَتَلَاكَ يُخَفِّقُ - وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا وَقَدْ قَالَ: زَرَجِدٌ - فَنَظَرَ فِي مِثْلِ سَمِّ الْإِبْرَةِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ نُورِ الْعِظْمَةِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لِيَبْكُ رَبِّي. قَالَ: مِنْ لَأَمَتِكَ مِنْ بَعْدِكَ؟ قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. قَالَ: عَلِيٌّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَائِدُ الْفِرِّ الْمُحَجِّلِينَ».

ثم قال الصادق عليه السلام: «مَا جَاءَتْ وَلَايَةَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَكِنْ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ مُشَافَهَةً»^٥. أقول: الظاهر أنَّ أول حضوره في الحضرة كان قربه قَابَ قَوْسَيْنِ، ثم صار أقرب، ولذا أُضْرِبَ سبحانه عن الحدِّ الأول بقوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ وأقرب. عن الصادق عليه السلام في رواية: «وَكَانَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أَيُّ بَلِّ أَدْنَى»^٦.

وقيل: كلمة (أو) للتريد، والمعنى: أو أقرب على تقدير كرم أيها المخاطبون، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾^٧ فالتريد والشك من جهة العباد، لا من الله، لامتناع الشك^٨.

وقيل: إنَّ المعنى فدنا من جَبْرِئِيلَ فتدلى واسترسل جَبْرِئِيلُ نفسه من الأفق الأعلى، وهو مَطْلَعُ

٢. أمالي الطوسي: ٧٢٧/٣٥٢، تفسير الصافي ٥: ٨٦

٤. الاحتجاج: ٢٢٠، تفسير الصافي ٥: ٨٧

٦. تفسير الصافي ٥: ٨٦ ٧. الصفات: ١٤٧/٣٧

١. تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٦

٣. الاحتجاج: ٣١١، تفسير الصافي ٥: ٨٦

٥. الكافي ١: ١٣/٣٦٨، تفسير الصافي ٥: ٨٧

٨. تفسير روح البيان ٩: ٢١٨

الشمس، كما أن أفق المغرب الأدنى، فدنا من النبي ﷺ^١.

وقيل: إن النبي ﷺ أحب أن، يرى جبرئيل في صورته التي خُلق عليها، وكان ﷺ بجبل جراء، المسمى بجبل النور في قرب مكة، فقال جبرئيل: إن الأرض لا تسعني، ولكن انظر إلى السماء، فطلع له جبرئيل من المشرق، فسَدَّ الأرض من المغرب، ومَلَأَ الأفق، فخرَّ رسول الله ﷺ كما خرَّ موسى في الطور، فنزل جبرئيل في صور الأدميين، فضمَّه إلى نفسه، وجعل يسمح الغبار عن وجهه^٢.

وقيل: إن الله تعالى نزل جبرئيل والنبي ﷺ في لقائهما منزلة كبيرين من الناس، إذا قربا للتعاهد والتعاقد، ثم لما كان جبرئيل بالنسبة إلى النبي ﷺ بمنزلة الرعية إذا أراد أن يبايع السلطان، فإنه يقرب منه ويُمَدُّ يده ليعضعها في كَفِّ السلطان، فإنه يقرب منه بقدر الباع، وهو أقصر من القوسين^٣. وقيل: إن البعد المقدَّر بين النبي ﷺ وجبرئيل هو بُعْدُ البشرية عن حقيقة المَلَكِيَّة، فإن النبي ﷺ وإن تنزَّه عن نقائص البشرية [وزال عن الصفات التي تخالف صفات المَلَك] من الشهوة والغضب والجهل والبعد عن الله وغيرها من الرذائل [لكن بشريته باقية]، وجبرئيل [وإن ترك الكمال واللفظ الذي يمنع الرؤية والاحتجاب، لكن لم يخرج عن كونه مَلَكًا، فارتفع النبي ﷺ حتى بلغ الأفق الأعلى من البشرية وجبرئيل] تدلَّى إلى الأفق الأدنى من المَلَكِيَّة، فتقاربا ولم يبق بينهما إلَّا [اختلاف] حقيقةهما^٤.

قيل: إن معنى الآيات: علَّم النبي ﷺ جبرئيل الذي هو كامل القوى للتعليم، وذو حصافة^٥ في العقل، فاستوى محمد ﷺ وتكامل للرسالة، أو استقام جبرئيل على صورته الأصلية في حال كان محمد ﷺ في الأفق الأعلى من مراتب كمال الانسانية، وهو مرتبة النبوة، ثم دنا من جبرئيل وتخلَّع بخِلعة الرسالة، ثم تدلَّى إلى أُمَّته بالرفق واللين^٦.

عن السجاد عليه السلام - في رواية - «فتدلَّى فنظر في تحته ملكوت الأرض حتى ظنَّ أنه في القرب من الأرض كقَاب قَوْسَيْنِ أو أدنى»^٧.

﴿فَأَوْحَى﴾ الله بلا واسطة جبرئيل ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ محمد، أو جبرئيل إلى رسول الله وعبدِه ﴿مَا أَوْحَى﴾ من عظام الأمور التي لا تَسَعُها العبارات على الأول، أو ما أوحى الله إلى جبرئيل على الثاني. قيل: إن ما أوحى هو الصلاة^٨.

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٥٥.

٢. تفسير أبي السعود ٨: ١٥٥، تفسير روح البيان ٩: ٢١٤.

٣. تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٧ و ٢٨٨.

٤. تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٦.

٥. تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٧.

٦. تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٦ و ٢٨٧.

٧. الحصافة: استحكام العقل وجودة الرأي.

٨. علل الشرائع: ١/١٣٢، تفسير الصافي ٥: ٨٦.

وعن (الاحتجاج): هو آية ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾... الآية^١.

وقيل: كلما جاء به جبرئيل^٢.

ويُحتمل أنه الولاية، عن القمي: سئل رسول الله ﷺ عن ذلك الوحي، فقال: «أوحى الله إلي أن علياً سيد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وأول خليفة يخلفه خاتم النبيين»^٣.

﴿مَا كَذَبَ﴾ وما أخطأ الفؤاد الذي لمحمد ﴿مَا رَأَى﴾ محمد ﷺ من نور عظمة الله في العرش، كما زوي عن النبي ﷺ^٤، أو جبرئيل في الأرض على صورته الأصلية^٥.

وعن الرضا عليه السلام: «ما رأيت عيناه [ثم أخبر بما رأى] فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ فأيات الله غير الله^٦.

وقيل: ما رأى فؤاد محمد ﷺ بحقيقة الايمان هو ربه^٧، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لم أعبد رثاً لم أراه»^٨.

عن الكاظم عليه السلام أنه سئل: هل رأى رسول الله ربه عز وجل؟ فقال «نعم، بقلبه رآه، أما سمعت الله يقول: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾؟ ما رآه بالبر، ولكن رآه بفؤاده»^٩.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أن محمداً ﷺ رأى ربه بفؤاده»^{١٠}.

فَتَمَّازُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى [١٢-١٤]

ثم ويَنج سبْحانه المشركين على مجادلتهم رسوله فيما أخبر به من رؤيته جبرئيل بقوله: ﴿أَفْتَمَّازُونَهُ﴾ وتجادلونه أيها المشركون ﴿عَلَى مَا يَرَى﴾ من جبرئيل على صورته.

زوي أن النبي ﷺ لما أخبر برؤيته جبرئيل تعجبوا منه وأنكروا^{١١}.

وعن القمي: بعد الإخبار بما قال الله في علي عليه السلام دخل القوم في الكلام، فقالوا: أمن الله، أو من رسوله؟ فقال جل ذكره لرسوله ﷺ: قل لهم: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ثم رد عليهم فقال:

١. الاحتجاج: ٢٢٠، تفسير الصافي ٥: ٨٨، والآية من سورة البقرة: ٢٨٤/٢. ٢. تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٨.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٣٤، تفسير الصافي ٥: ٨٩. ٤. مجمع البيان ٩: ٢٦٥، تفسير الصافي ٥: ٨٩.

٥. مجمع البيان ٩: ٢٦٦. ٦. الكافي ١: ٢٧٥، التوحيد: ٩/١١١، تفسير الصافي ٥: ٨٩.

٧. تفسير الرازي ٢٨: ٢٩٠، تفسير روح البيان ٩: ٢٢٢.

٨. التوحيد: ١٣٠٥، و: ٢٣٠٨، أمالي الصدوق: ٤٢٣/٥٦٠.

٩. التوحيد: ١٧/١١٦، تفسير الصافي ٥: ٨٩. ١٠. مجمع البيان ٩: ٢٦٤، تفسير الصافي ٥: ٨٩.

١١. تفسير روح البيان ٩: ٢١٨.

﴿أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾^١.

وقيل: إن المعنى: كيف توردون الشك على ما يراه بعين اليقين، ولا شك بعد الرؤية، وأنتم تقولون أصابه الجن^٢.

ثم أكد سبحانه رؤية محمد ﷺ ربه بقوله: «وَلَقَدْ رَأَاهُ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿نَزْلَةً﴾ وَمَرَّةً ﴿أُخْرَى﴾ حين رجوعه من العرش، فإن له نزولات وعروجات لسؤال التخفيف على ما قيل^٣. وعن كعب: أن النبي ﷺ رأى ربه مرتين^٤ «عِنْدَ شَجَرَةٍ ﴿سِدْرَةِ﴾ كَانَتْ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ أَوْ السَّابِعَةِ ﴿الْمُتَنَهَى﴾ إِلَيْهَا صُعُودُ الْمَلَائِكَةِ وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ، وَهُوَ مَقَامُ جَبْرِئِيلَ بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُهُ التَّجَاوُزُ، وَلِذَا تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عُرِجَ إِلَى الْعَرْشِ، وَقَالَ: لَوْ دُنُوتُ أَنْمَلَةٌ لَاحْتَرَقَتْ.

عن الباقر عليه السلام، قال: «فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَنَهَى تَخَلَّفَ عَنْهُ جَبْرِئِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا جَبْرِئِيلُ، فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ تَخَذَّلْنِي؟ فَقَالَ: تَقَدَّمَ أَمَامَكَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغْتَ مَبْلَغًا لَمْ يَبْلُغْهُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ [اللَّهِ] قَبْلَكَ، فَرَأَيْتَ مِنْ نُورِ رَبِّي، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ السَّبِيحَةُ، قِيلَ: وَمَا السَّبِيحَةُ؟ فَأَوْمَأَ بِوَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَبِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: جَلَالُ رَبِّي، جَلَالُ رَبِّي، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^٥.

وعنه عليه السلام، قال: «وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَنَهَى» يعني عندها وافى به جبرئيل حين صعد إلى السماء، فلما انتهى إلى محل السدرة وقف جبرئيل دونها، وقال: يا محمد، إن هذا موقعي الذي وضعني الله عز وجل فيه، ولم أقدر على أن أتقدسه، ولكن أمض أنت أمامك إلى السدرة، فوقف عندها» قال: «فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّدْرَةِ، وَتَخَلَّفَ جَبْرِئِيلُ».

قال: «إِنَّمَا سُمِّيَتْ سِدْرَةُ الْمُتَنَهَى؛ لِأَنَّ أَعْمَالَ أَهْلِ الْأَرْضِ تَصْعَدُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الْحَفَظَةُ إِلَى مَحَلِّ السَّدْرَةِ، وَالْحَفَظَةُ الْكَرَامُ الْبَرَّةُ دُونَ السَّدْرَةِ يَكْتُبُونَ مَا يَرْفَعُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فِي الْأَرْضِ». قال: «فَيَسْتَهْوُونَ بِهَا إِلَى مَحَلِّ السَّدْرَةِ».

قال: «فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى أَغْصَانَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ وَحَوْلَهُ، فَتَجَلَّى لِمُحَمَّدٍ ﷺ نُورُ الْجَبَّارِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا غَشِيَ النُّورَ مُحَمَّدٌ ﷺ شَخَّصَ بَصَرَهُ، وَارْتَدَعَتْ فَرَائِصُهُ» قال: «فَشَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ قَلْبَهُ، وَقَوَّى لَهُ بَصَرَهُ حَتَّى رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ مَا رَأَى، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَنَهَى﴾.

١. تفسير القمي ٢: ٣٣٤، تفسير الصافي ٥: ٨٩.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٤.

٥. تفسير القمي ٢: ٢٤٣، تفسير الصافي ٥: ٩٠.

٢. تفسير الرازي ٢٨: ٢٩٠.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٥، ولم ينسبه إلى أحد.

إلى أن قال: «وإن غلظ السدرة لمسيرة مائة عام من أيام الدنيا، وإن الورقة منها تغطي أهل الدنيا»^١. وعن النبي ﷺ قال: «رأيت على كل ورقة منها ملكاً قائماً يسبح الله»^٢. وقيل: إنها شجرة طوبى^٣، وقيل: إنها في منتهى الجنة^٤. وقيل: ينتهي إليها ما يهبط من فوقها من الأحكام، ويصعد من تحتها من الآثار^٥. وعن أبي هريرة: لما أسرى بالنبي ﷺ انتهى إلى السدرة، ف قيل له ﷺ: هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد من أمتك مات على سنتك^٦. وعن كعب الأحبار: أنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حَمَلَة العرش، وإليها ينتهي الخلائق، وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله^٧. وقيل: إنه منتهى العلوم^٨. وقيل: إن ضمير (رأه) راجع إلى جبرئيل والمعنى: والله لقد رأى محمد ﷺ جبرئيل بصورة الأصلية مرة أخرى من نزوله^٩. تُقَال عن عائشة أنها قالت: أنا سألت النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «رأيت جبرئيل نازلاً في الأفق على خلقته وصورته»^{١٠}.

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى

* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى [١٥-١٨]

ثم عظم سبحانه السدرة بقوله: «عِنْدَهَا جَنَّةُ» هي «الْمَأْوَى» والمرجع والمقر للمؤمنين والشهداء والصالحين: أو مأوى آدم وحواء.

ثم بالغ سبحانه في تعظيم السدرة ببيان وقت رؤية النبي ﷺ ما رأى من نور عظمة الله، أو جبرئيل، بقوله: «إِذْ يَغْشَى» قيل: معناه لقد رآه حين يغطي ويستتر^{١١} «السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى» ويُغْطِيهَا مَا لَا يَفِي البيان كيفاً ولا كمّاً من نور عظمة الله. قيل: لما وصل النبي ﷺ إليها تجلّى ربه لها، كما تجلّى للجبل، ولما كانت أقوى من الجبل، وقلب محمد ﷺ أربط من قلب موسى عليه السلام لم تندك السدرة، ولم

١. علل الشرايع: ١/٢٧٧، تفسير الصافي ٥: ٩٠.

٢. مجمع البيان ٩: ٢٦٥، تفسير الصافي ٥: ٩٠.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٥.

٤. تفسير أبي السعود ٨: ١٥٦، تفسير روح البيان ٩: ٢٢٤.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٤.

٦. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٥.

٧. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٥.

٨. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٥.

٩. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٤.

١٠. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٥.

١١. تفسير روح البيان ٩: ٢٢٧.

يتزلزل محمد ﷺ. كما اندك الجبل، وخز موسى صِعقاً^١.

وعن القمي عليه السلام، لما رُفِعَ الحِجَابُ بينه وبين رسول الله ﷺ غشي نوره السُدرة^٢.

وقيل: غَشَّهَا الملائكة^٣.

عنه عليه السلام: «رَأَيْتُ السُّدْرَةَ يَغْشِيهَا فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ، وَرَأَيْتُ عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْهَا مَلَكٌ قَائِمًا يُسَبِّحُ اللَّهَ»^٤.

وعنه عليه السلام: «يَغْشِيهَا زَفَرٌ مِنْ طُيُورٍ خُضِرَ»^٥.

وقيل: يَغْشِيهَا جَبْرِئِيلُ^٦.

وهو عليه السلام ما شاهد هناك من الأمور المحيرة «مَا رَأَى» وما مال منه «أَلْتَبَصَّرُ» أدنى ميل عما رآه من العجائب، وما التفّت إلى يمين وشمال لعظمة الهيبة «وَمَا طَفَعَنِي» محمد ﷺ وما جاوز عن حد الاستقامة والثبات، ولم يتوجّه إلى شيء سواه، بل استغرق في التوجّه إلى الحقّ واسمائه وصفاته وتجلياته، أو إلى عجائب مبدعائه بالله «لَقَدْ رَأَى» محمد ﷺ في عروجه إلى السماء «مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ» الآية «أَلْكَثَرَتْنِي» أو آيات هنّ أكبر الآيات. عن الباقر عليه السلام: «يعني أكبر الآيات»^٧.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال بعد ذكر الآية: «رَأَى جَبْرِئِيلَ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ، هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَمَرَّةً أُخْرَى، وَذَلِكَ أَنَّ خَلَقَ جَبْرِئِيلَ عَظِيمٌ، وَهُوَ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ الَّذِينَ لَا يُدْرِكُ خَلْقَهُمْ وَصْفَتَهُمْ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»^٨.

وعن الصادق عليه السلام، أنّه سُئِلَ عن هذه الآية فقال: «رَأَى جَبْرِئِيلَ عَلَى سَاقَةِ الدَّرِّ، مِثْلَ الْقَطْرِ عَلَى الْبَقْلِ، لَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ، قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^٩.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا لِلَّهِ آيَةٌ أَكْبَرَ مِنْي»^{١٠}.

عن القمي، عن النبي ﷺ، قال لعلي: «يا علي، إِنَّ اللَّهَ أَشْهَدُكَ مَعِيَ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ، أَمَّا أَوَّلُ ذَلِكَ فَلِيلَةُ أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ لِي جَبْرِئِيلُ: أَيْنَ أَخُوكَ؟ فَقُلْتُ: خَلْفَتَهُ وَرَائِي. قَالَ: أَدْعُ اللَّهَ فَلْيَأْتِكَ بِهِ. فَدَعَا اللَّهَ، فَإِذَا مِثَالُكَ مَعِيَ، وَإِذَا الْمَلَائِكَةُ وَقُوفٌ صَفُوفٌ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِئِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هُمْ

١. تفسير الرازي ٢٨: ٢٩٣. ٢. تفسير القمي ٢: ٣٣٨، تفسير الصافي ٥: ٩١.

٣. الرازي ٢٨: ٢٩٣، تفسير البضاوي ٢: ٤٣٩، تفسير أبي السعود ٨: ١٥٧.

٤. تفسير أبي السعود ٨: ١٥٧، تفسير روح البيان ٩: ٢٢٧.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٥٧، تفسير روح البيان ٩: ٢٢٧.

٦. مجمع البيان ٩: ٢٦٦.

٧. علل الشرائع: ١/٢٧٨، تفسير الصافي ٥: ٩٠. ٨. التوحيد: ٥/٢٦٣، تفسير الصافي ٥: ٩١.

٩. التوحيد: ١٨/١١٦، تفسير الصافي ٥: ٩١. ١٠. الكافي ١: ٣/١٦١، تفسير الصافي ٥: ٩٢.

الذين يُباهيهم الله بك يوم القيامة فدنوت فدنطت بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، والثاني حين أُسر بي في المرة الثانية، فقال لي جبرئيل: أين أخوك؟ قلت: خلّفته ورائي. قال: ادعُ الله فليأتك به. فدعوت الله، فإذا مثالك معي، فكشّط لي عن سبع سموات حتى رأيت سكّانها وعمّارها وموضع كلّ ملك منها^١ الخبر.

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ *
تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ [١٩-٢٣]

ثمّ لما قرّر سبحانه النبوة، ذكر بطلان الشّرك الذي هو أهم ما يكون الرسول مأموراً بتبليغه، بإظهار سَفَهَ القائلين بألوهية الأصنام المعروفة بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ﴾ وهي صنم تُعَيف في الطائف ﴿وَالْعُزَّىٰ﴾ وهي صنم، أو سَمُرَة عبدتها قبيلة غطفان ﴿وَمَنَاةَ﴾ وهي صخرة يعبدها هذيل وخزاعة، أو صنم للأوس والخزرج، وهي تكون ﴿الثَّالِثَةَ﴾ للأولين ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ والأدون والأذلّ منها بنات الله وأهلات للعبادة، أو إنكم رأيتم حقارتها، فكيف تُشركون بها مع الله تعالى مع كمال عظمتها؟ عن القمي^٢: اللات رجل، والعزى امرأته، ومناة صنم بالمسلك الخارج عن الحرم على ستة أميال^٣.

قيل: إنّ كون مناة أذلّ من الأولين؛ لأنّ اللات على صورة الأدمي، والعزى على صورة نبات، ومناة على صورة صخرة، والجمااد أدون وأذلّ من الأدمي والنبات، ومتأخّر رتبةً منهما^٤.

وقيل: إنّ المعنى أفرأيتم اللات والعزى المعبودين بالباطل ومناة الثالثة المعبودة الأخرى^٥. ثمّ لما كان مُحال أن يقول المشركون: نحن نعرف بأنّ الله تعالى أعظم من كلّ شيء، ولكن لما كانت الملائكة بنات الله صوّرنّا لهنّ صوراً نعبدّها تعظيماً لهنّ، فويخّهم الله على ذلك القول الشنيع بقوله: ﴿أَلَكُمُ﴾ أيّها الجهال الولد ﴿الذَّكْرُ﴾ الذي هو أشرف الاولاد وأكملهم وأنفعهم مع كونكم مخلوق الله وعبده ﴿وَلَهُ﴾ تعالى مع كمال عظمته وقدرته الولد ﴿الْأُنثَىٰ﴾ الذي هو أخسّ الاولاد وأنقصهم^٥ بحيث إذا بُشّر أحدكم به ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم ﴿تِلْكَ﴾ القسمة أو نسبة البنات إلى الله مع اعتقادكم أنّهنّ ناقصات، واختياركم البنين مع اعتقادكم أنّهم كاملون ﴿إِذَا﴾ وفي حال كونكم

٢. تفسير القمي ٢: ٣٣٨، تفسير الصافي ٥: ٩٢.

٤. تفسير الرازي ٢٨: ٢٩٦.

١. تفسير القمي ٢: ٣٣٥، تفسير الصافي ٥: ٩١.

٣. تفسير الرازي ٢٨: ٢٩٦.

٥. في النسخة: وأنقصه.

في غاية النقص والحقارة، وكون الله تعالى في نهاية الكمال والعظمة ﴿قِسْمَةٌ خِصْرَى﴾ وجائرة، حيث إن العقل حاكمٌ بأن الله لا يلد، وعلى فرض الولادة لا يختار لنفسه إلا الولد الكامل ﴿إِنْ﴾ الالفاظ التي تُديرونها على ألسنتكم من قولكم: إن الملائكة بنات الله وشغافؤكم، وإن الأصنام آلهة، وما هي ﴿في الواقع والحقيقة﴾ إلا أسماءٌ لا مُسميات لها، والألفاظ لا معنى تحتها ﴿سَمِئْتُهُمَا﴾ ووضعتوما ﴿أنتم﴾ تقليداً لأبائكم، ﴿و﴾ وضعها ﴿آبَاؤُكُمْ﴾ تبعاً لكبرائهم، والحال أنه ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ وحجة وبرهانٍ تتمدون به وتعتمدون عليه.

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى * أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى [٢٣-٢٦]

ثم أعرض سبحانه عنهم إيداناً بسقوطهم عن قابلية الخطاب بسفاههم، ووجه الخطاب إلى العقلاء بقوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ هؤلاء السفهاء في تسمية الملائكة الذين هم عباد الله المكرمون بنات الله، واللات والعزى ومناة اللاتي كُلهن عجزة وغير شاعرات بالآلهة ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ السياء والحسبان الباطل ﴿وَمَا تَهْوَى﴾ وتشتهي ﴿الْأَنْفُسُ﴾ الأماراة بالسوء ﴿و﴾ الحال أنه بالله ﴿لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ﴾ جانب ﴿رَبِّهِمْ﴾ اللطيف بهم ﴿الْهُدَى﴾ وأسباب الرشد إلى الحق من رسولٍ عليمٍ كريمٍ وكتابٍ حكيمٍ، وهم لكثرة جهلهم وعنادهم كذبوها واستهزؤا بهما.

ثم أنكر سبحانه عليهم اتباع الهوى واشتهاء الأنفس بقوله: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ﴾ وهل له ﴿مَا تَمَنَّى﴾ وتشتهيه من القول بأن الملائكة بنات الله والشفعاء عنده، وأن الأصنام آلهة، لا والله لا يحصل لهم ما يشتهونه.

ويُحتمل أن لا تكون كلمة (أم) منقطعة، بل متصلة، والمعنى: الله القادر على كل شيء ما أراد، أم للإنسان العاجز عن كل ما يشتهيه، فاذا كانوا متبعين لهواهم وظنونهم ﴿فَلِلَّهِ﴾ وحده الدار ﴿الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ يُعاقبهم فيها على مخالفتهم لله.

قيل: إن الآية بيان العلة لاتقاء أن يكون للإنسان ماتمناه^١، والمعنى: ليس للإنسان ما تمناه، لاختصاص أمور العالمين به، فيعطي من أيهما ما يُريد لمن يُريد، وليس لأحد أن يحكم عليه في شيءٍ منهما.

ثُمَّ أَقْطَعُ لَهُمْ سَبْعَانَ عَنْ الطَّمَعِ فِي شَفَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ فَضْلاً عَنْ الْأَصْنَامِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ وَكَثِيرٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ السَّبْعِ ﴿لَا تُغْنِي﴾ وَلَا تَنْفَعُ ﴿شَفَاعَتُهُمْ﴾ عِنْدَ اللَّهِ لِأَحَدٍ ﴿شَيْئاً﴾ مِنَ الْإِغْنَاءِ وَالنَّفْعِ، وَفِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أَنْ يَشْفِعُوا لَهُ ﴿وَيُزَيِّنُ﴾ عَنْهُ بِتَدْيِينِهِ بِالْإِيمَانِ الْمَرْضِيِّ عِنْدَهُ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

وقيل: يعني من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة، ولا يؤذن لهم إلا في الشفاعة لأهل الإيمان بالتوحيد^١ ورسالة خاتم النبيين، فإنهم آهلين للشفاعة دون الكفار والمشركين، هذا حال أعظم المخلوقات عند الله، فكيف حال الأصنام اللآتي هُنَّ أَحْسَاهَا؟

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى * وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً * فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى [٢٧-٣٠]

ثُمَّ ذَمَّ سَبْحَانَهُ الْقَائِلِينَ بَانُوَّةِ الْمَلَائِكَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عَنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ وَخُلُوصِ النِّيَّةِ ﴿بِالْآخِرَةِ﴾ ودار الجزاء ﴿لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ تَسْمِيَةً تُشَبِّهُ ﴿تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ وَيَقُولُونَ لَهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ.

قيل: إن القائلين بأن الملائكة بنات الله، لم يكونوا معتقدين بالمعاد ودار الجزاء، بل كانوا يقولون لا حشر ولا بعث^٢، ولو فُرض تحقيقه كانت الملائكة والأصنام شفعائنا، ولذا اجترعوا على هذا القول ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ شَيْءٌ ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ وَأَقْلَ مِنْ رَتَبَةٍ مِنَ الْيَقِينِ، بَلِ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ وَلَا يُوَافِقُونَ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ وَالْحُسْبَانَ، كَمَا لَمْ يَتَّبِعُوا فِي الْقَوْلِ بِالْوَهْمِ الْأَصْنَامَ إِلَّا ذَلِكَ ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ﴾ مطلقاً، أَيُّ ظَنٍّ كَانَ ﴿لَا يُغْنِي﴾ وَلَا كُفِيَ ﴿مِنْ﴾ الْوَصُولِ إِلَى ﴿الْحَقِّ﴾ وَالْوَاقِعِ فِي الْعَقَائِدِ ﴿شَيْئاً﴾ يسيراً مِنَ الْإِغْنَاءِ وَالْكَفَايَةِ. قيل: إن المعنى: لا يُغْنِي الظَّنَّ شَيْئاً مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ الْحَقَّاقَ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِلْمِ^٣.

فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ لَا يُصْغَوْنَ إِلَى الْبِرْهَانِ، وَلَا يَعْتَنُونَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَنْصَرِفُونَ عَنْ اتِّبَاعِ الظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ ﴿فَأَعْرِضْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿عَنْ﴾ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، لِعَدَمِ التَّأْثِيرِ فِي

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٦٠، تفسير روح البيان ٩: ٢٣٧.

٢. تفسير الرازي ٢٨: ٣٠٨، تفسير روح البيان ٩: ٢٣٧. ٣. تفسير أبي السعود ٨: ١٦٠، تفسير روح البيان ٩: ٢٣٨.

قلوبهم، فأنهم ^١ «مَنْ تَوَلَّى» وأعرض بقلبه «عَنْ ذِكْرِنَا» والمبهمات النازلة منا من القرآن الذي فيه تبيان كل شيء، والبراهين المتقنة المثبتة للحق «وَوَ» ذلك لأنه «لَمْ يُرَدْ» ولم يطلب «إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» ومشتبهاتها، فأغفلته شدة طلبها والانهماك في لذاتها عن التفكير في مآلها وتبعاتها، والاعتقاد بعالم الآخرة ودار الجزاء، ومن غفل عن الآخرة وترك التفكير فيها، لا يخاف العقوبة على سيئاته، ولا يرجع عما هو عليه من الباطل «ذَلِكَ» المذكور من حياة الدنيا وشهواتها المحسوسة «مَبْلَغُهُمْ» وحد ما وصلوا إليه «مِنْ أَعْلَمٍ» والادراك، لا يكاد يُجاوزونه إلى المعقولات حتى ينفعهم التعليم والارشاد «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ» خُبْتُ طبيته، وقل عقله، وساءت أخلاقه من كل عالم لو فرض وجوده، ولذا «ضَلَّ» وانحرف «عَنْ» دين الله الذي هو «سَبِيلُهُ» المؤدِّي إلى قربه ورحمته ضلالاً أبدياً بحيث لا يرجى أن يرجع إليه «وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ» طابت طبيته، وتنور قلبه، وانشرح صدره، وحسنت أخلاقه، ولذا «أَهْتَدَى» إلى دين الحق، وسلك سبيلاً، ونال خير الدنيا والآخرة، وفي تكرير قوله: «وَهُوَ أَعْلَمُ» زيادة التقرير والايذان بتباين المعلومين.

قيل: إن معنى (أعلم) هنا العالم الذي لا عالم مثله ^٢، وإنما قدّم سبحانه بيان علمه بضلال الضالين؛ لأن المقصود تهديدهم وتسليّة النبي ﷺ.

وَلِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَسَاءُوْا بِمَا عَمِلُوْا
وَيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا بِالْحُسْنٰى * الَّذِيْنَ يَجْتَنِبُوْنَ كَبٰثِرَ الْاَنۡمِ
وَالْفَوَاحِشِ اِلَّا اللَّغۡمَ اِنَّ رَبَّكَ وَّاسِعُ الْمَغۡفِرَةِ [٣١ و ٣٢]

ثم لما لم يكن العلم بالضلال مربعاً إلا مع القدرة على العقوبة، بيّن سبحانه كمال قدرته بقوله: «وَلِلّٰهِ» تعالى وحده «مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ» إيجاداً وإعداماً وتصرفاً، ومن الواضح أنه لم يكن خلقهما عبثاً، بل إنما خلق جميع ذلك «لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَسَاءُوْا» السوء «بِمَا عَمِلُوْا» في الدنيا. وقيل: إن التقدير بعقوبة ما عملوا ^٣ «وَيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا» وأطاعوا ربهم «بِالْحُسْنٰى» والثمّة العظيمة، وهي الجنة والثّم الدائمة. وقيل: يعني بالأعمال الحسنى ^٤.

ثم بيّن سبحانه المحسنين بقوله تعالى: «الَّذِيْنَ يَجْتَنِبُوْنَ» الأفعال التي تكون «كَبٰثِرَ الْاَنۡمِ» وعظائم المعاصي من حين بلوغهم أو إسلامهم إلى الموت سواء كانت ترك الواجبات أو إتيان

١. في النسخة: فان هم. ٢. تفسير الرازي ٢٩: ٣. ٣. تفسير أبي السعود ٨: ١٦١.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٦.

المُحَرَّمات. ويُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ لِبَيَانِ اشْتِرَاطِ قَبُولِ الْحَسَنَاتِ بِالاجْتِنَابِ عَنِ الْمَعَاصِي الْكَبِيرَةِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ حَالَ الْمُسِيئِينَ وَحَالَ الْمُحْسِنِينَ، بَيَّنَّ حَالَ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِالْحَسَنَاتِ وَلَمْ يَرْتَكِبِ الْمُحَرَّمَاتِ الْكَبِيرَةَ^١ ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ وَالْقَبَائِحَ الشَّدِيدَةَ الْقُبْحِ، كَالشَّرْكَ وَالزُّنَا وَاللُّوَاطِ وَقَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ وَسَبِّ النَّبِيِّ أَوْ أَحَدٍ مِنَ الْمُعْصُومِينَ، فَأَنَّهَا أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ ﴿إِلَّا اللَّئِمَّ﴾ وَمَا يَفْعَلُهُ مَرَّةً وَاتِّفَاقاً مِنْ غَيْرِ عَادَةٍ وَلَا اسْتِمْرَارٍ عَلَيْهِ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَعْنَاهُ إِلَّا أَنْ يُلَمَّ بِالْفَاحِشَةِ مَرَّةً ثُمَّ يَتُوبَ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ^٢. عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ: «الْفَوَاحِشُ: الزُّنَا وَالسَّرَقَةُ، وَاللَّئِمُّ: الرَّجُلُ يُلَمُّ بِالذَّنْبِ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ»^٣. أَقُولُ: يُلَمُّ بِالذَّنْبِ. أَيُ يَقْرَبُهُ وَيُرْتَكِبُهُ وَلَا يُقِيمُ عَلَيْهِ.

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَقَدْ طُغِيَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ، يَهْجُرُهُ الزَّمَانُ ثُمَّ يُلَمُّ بِهِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّئِمَّ﴾» قَالَ: «اللَّئِمُّ: الْعَبْدُ الَّذِي يُلَمُّ بِالذَّنْبِ بَعْدَ الذَّنْبِ، لَيْسَ بِسَلِيقَتِهِ» أَيُ مِنْ طَبْعِهِ^٤.

أَقُولُ: «وَقَدْ طُغِيَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ» أَيُ يَرْغَبُ إِلَيْهِ بِطَبْعِهِ وَقَوْلُهُ: «ثُمَّ يُلَمُّ بِهِ» أَيُ يَرْتَكِبُهُ وَيَقَعُ فِيهِ اتِّفَاقاً، وَقَوْلُهُ «يُلَمُّ بِالذَّنْبِ بَعْدَ الذَّنْبِ» أَيُ يَقْرَبُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ مِنْ بَابِ الْإِتِّفَاقِ لَا لِلْعَادَةِ كَمَا عَنْ بَعْضٍ، قَالَ: اللَّئِمُّ وَالْإِلْمَامُ: مَا يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ الْحَيُّ بَعْدَ الْحَيِّ، وَلَا يَكُونُ لَهُ عَادَةٌ وَلَا إِقَامَةٌ عَلَيْهِ^٥.

أَقُولُ: عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْإِسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلاً وَقِيلَ: إِنَّ كَلِمَةَ (إِلَّا) بِمَعْنَى غَيْرٍ، وَالْمَعْنَى وَالْفَوَاحِشُ غَيْرُ اللَّئِمِّ^٦. وَقِيلَ: إِنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ، وَالْمُرَادُ بِاللَّئِمِّ الْمَعَاصِي الصَّغِيرَةَ^٧.

وَرَوَى أَنَّ نُبَهَانَ التَّمَارِ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ لِتَشْتَرِيَ التَّمْرَ، فَقَالَ لَهَا: ادْخُلِي الْحَانُوتَ، فَعَانَقَهَا وَقَبَّلَهَا، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: خُذْتُ أَخَاكَ وَلَمْ تُصَبِّحْ جَانَتَكَ، فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَتْ^٨.

أَقُولُ: نَزُولُ الْآيَةِ فِي مَوْرَدِ الصَّغِيرَةِ الْوَاقِعَةِ مِنْ بَابِ الْإِتِّفَاقِ، لَا يَنَافِي شُمُولُهَا الْكَبِيرَةَ الْإِتِّفَاقِيَّةَ، وَدَلَالَةُ الْآيَةِ عَلَى قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْ جَمِيعِهَا، بَلْ مَغْفِرَتُهُ بِلَا تَوْبَةٍ ﴿إِنَّ رِزْقَكَ وَاسِعٌ الْمَغْفِرَةِ﴾ لَا تَضِيقُ مَغْفِرَتُهُ عَنْ ذُنُوبِ جَمِيعِ الْخَلْقِ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى أَوْجِبَ التَّوْبَةَ وَوَعَدَ بِقَبُولِهَا.

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا

١. تفسير الرازي ٢٩: ٦. ٢. تفسير روح البيان ٩: ٢٤٢.

٣. الكافي ٢: ٧/١٢، تفسير الصافي ٥: ٩٤. ٤. الكافي ٢: ٥/٣٢٠، تفسير الصافي ٥: ٩٤.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٢٤٢. ٦. تفسير الرازي ٢٩: ٨.

٧ و ٨. تفسير روح البيان ٩: ٢٤٢.

تَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى [٣٢]

ثم قرر سبحانه علمه بأعمال عباده وأحوالهم بقوله: ﴿هُوَ﴾ تعالى ﴿أَعْلَمُ﴾ من كل أحد ﴿بِكُمْ﴾ أيها الناس وبأحوالكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ﴾ وحين خلقكم في ضمن خلق أبيكم آدم ﴿مِنْ﴾ ثراب ﴿الْأَرْضِ﴾ ثم من نطفة ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ ووقت كونكم أولاداً مستوزين ومتمكنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وظلمات أرحامهن على أطوارٍ مختلفة، فإذا كان الأمر كذلك ﴿فَلَا تَزْكُوا﴾ ولا تنزهوا ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ من الضلالة والمعصية وذمائم الأخلاق ﴿هُوَ﴾ تعالى ﴿أَعْلَمُ﴾ من كل أحد ﴿بِمَنِ اتَّقَى﴾ وأحترز من الضلالة والشرك والمعاصي قبل أن يُخرجه من صلب آدم. قيل: كان ناس يعملون أعمالاً حسنة، ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا، فنزلت الآية^١.

عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: «لا يفخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه؛ لأن الله يقول: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾»^٢.

وعن الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ عنها فقال: «قول الانسان: صليْتُ البارحة، وصُمتُ أمس، ونحو هذا» ثم قال: «إن قوماً يُصبحون فيقولون: صليتنا البارحة، وصُمتنا أمس، فقال علي: أنام الليل والنهار، ولو أجد بينهما شيئاً لنمته»^٣.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّة، تعرفها قلوب المؤمنين، وتمجّجها أذان السامعين»^٤.

قيل: لما نزل ﴿فَاعْرُضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى﴾ قال لبيّه عليه السلام: قد عَلِمَ الله كونك ومن معك على الحق، وكون المشركين على الباطل، فأعرضوا^٥ عنهم، ولا تقولوا: نحن على الحق وأنتم على الضلال؛ لأنهم يقابلونكم بمثل ذلك، وفوّض الأمر إلى الله فإنه أعلم بمن اتقى ومن طغى^٦.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَخَذَ [٣٣ و ٣٤]

ثم لما أمر سبحانه النبي ﷺ بالتولي عن المتولين عن ذكره، أظهر العجب من غاية شقاء بعض المتولين عن ذكره بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ يا محمد، الكافر ﴿الَّذِي تَوَلَّى﴾ وأعرض عن ذكرنا حتى تتعجب من أنه كيف تولى تولى فظيلاً، وأعرض إعراضاً شنيعاً ﴿وَأَعْطَى﴾ شيئاً ﴿قَلِيلاً﴾ من ماله

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٦٢، تفسير روح البيان ٩: ٢٤٤.

٢. علل الشرائع: ٨١/٦١٠، تفسير الصافي ٥: ٩٤.

٣. معاني الأخبار: ١/٢٤٣، تفسير الصافي ٥: ٩٤.

٤. الاحتجاج: ١٧٧، تفسير الصافي ٥: ٩٥.

٥. في تفسير الرازي: فأعرض.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ١٠.

لغيره، ليتحمل عنه وزره وعذاب الآخرة ﴿وَأَكْذَى﴾ ويخجل بإعطاء باقي ما شرط إعطائه فخالف حكم العقل؛ لأنه أعطى ليحمل الوزر، وهو لا يحصل له، وخالف العرف لأنه خالف عهده.

ذكر طعن في عثمان حكى الفخر الرازي عن بعض المفسرين: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، قالوا: إنه ورد الفخر جلس عند النبي ﷺ، وسمع وعظة، فأثرت الحكمة فيه تأثيراً قوياً، فقال له رجل: الرازي
لِمَ تترك دين آبائك؟ ثم قال له: لا تخف أعطني كذا وأنا أتحمل أوزارك، فأعطاه بعض ما التزمه، وتولى عن الوعظ وسمع الكلام من النبي ﷺ.

ثم قال الفخر: وقال بعض المفسرين: نزلت في عثمان، كان يعطي من ماله عطاءً كثيراً، فقال له أخوه من أمه عبدالله بن سعد بن أبي سرح: يوشك أن يفنى مالك، فأمسك. فقال عثمان: إن لي ذنباً أرجو أن تغفر لي بسبب العطاء فقال له أخوه: أنا أتحمل عنك ذنبك على أن تُعطيني ناقتك مع كذا. فأعطاه ما طلب، وأمسك يده عن العطاء، فنزلت.

ثم قال الفخر: وهذا قول باطل؛ لأنه لم يتواتر ذلك، ولا اشتهر، وظاهر حال عثمان يأبى ذلك^١. أقول: ظاهر حال عثمان من شدة حماقته مؤيد لصديق الرواية، لوضوح أن عثمان كان أشد حُمقاً من الوليد بن المغيرة الذي كان عند قريش مشهوراً بالعقل والرزانة والبطنة، فكيف يقبل هذا العمل من الوليد، ولا يقبل من عثمان مع صدور ما هو أقبح منه، حيث إن السدي الذي كان من قدماء المفسرين وعظمائهم روى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ إلى آخر الآيات أنه نزلت في عثمان بن عفان، قال: لما فتح رسول الله ﷺ بني النضير، فقسّم أموالهم، فقال عثمان لعلي: إئت رسول الله ﷺ واسأله أرض كذا وكذا، فأعطاكها فأشركني فيها، وأنا آتيه وأسأله، فأنت شريكي فيها، فسأله عثمان أولاً فأعطاه إياها، فقال علي عليه السلام: «أشركني» فأبى عثمان، فقال: بيني وبينك رسول الله ﷺ، فأبى أن يخاصمه إلى النبي ﷺ، فقيل له: لم لا تنطلق معه إلى النبي ﷺ؟ فقال: هو ابن عمه، فاخاف أن يقضي له، فنزلت ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الخبر^٢.

أَعِنْدَهُ عِلْمٌ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ
الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ
سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْآوْفَى * وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَى [٤٢-٣٥]

ثم أنكر سبحانه عليهم اعتقادهم، بتحمل الغير وزرهم بقوله: ﴿أَعْنَدَهُ هَلِمَ الْغَيْبِ﴾ من أنه يحمل الغير وزره يوم القيامة مع أنه غائب عنهم ﴿فَهُوَ يَرَى﴾ بقلبه ويعتقد بجنانه أنه يتخلص من العقوبة على سيئاته بتحملها غيره ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ﴾ ولم يُخبر بتوسط النبي ﷺ، أو غيره من أهل الكتاب ﴿يَمَّا فِي صُحُفٍ مُّوسَى﴾ وأسفار التوراة أو ألواحها ﴿وَوُ﴾ بما في صُحُفِ ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ بما عاهد الله، وبالغ في العمل بأوامره. وقيل: يعني وفَّى وأتم ما ابتلي به من الكلمات^١.

وعن الباقر عليه السلام، أنه سُئِلَ ما معنى بقوله: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾؟ قال: «كلمات بالغ فيهن» قيل: وما هن؟ قال: «كان إذا أصبح قال: أصبحت وربِّي محمود، أصبحت لا أشرك بالله شيئاً، ولا ادعوا مع الله إلهاً، ولا أجد من دونه ولياً - ثلاثاً - وإذا أمسى قال ثلاثاً»^٢.

وروى بعض العامة عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لِمَ سَمَّى الله الخليل الذي وفَّى؟ كان يقول إذا أصبح وأمسى: ﴿فسبحان الله حين تُمسون وحين تُصبحون﴾ * وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تُظهرون»^٣.

ثم بيّن سبحانه ما في صُحُفهما بقوله: ﴿أَلَّا تَرَوْا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ ولا يُعَاقَبُ أَحَدٌ بذنب غيره ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ﴾ ثواب وأجر ﴿إِلَّا﴾ ثواب ﴿مَا سَعَى﴾ وله جَدٌّ في تحصيله، فلا يُثَابُ أَحَدٌ على عمل غيره، وأما إثابهم على عمل من ناب عنهم، فإن كانت النيابة باستدعاء الثناب عنه فهو ثواب على عملهم، وإن كان عمل النائب تبرعاً وبغير الاستدعاء فهو من آثار إيمانهم المكتسبة بسعيهم.

وعن ابن عباس وعكرمة: أنه منسوخ في شريعة خاتم النبيين ﷺ، فإن المؤمنين يُثابون بصدقات إخوانهم المؤمنين وعبادتهم عنهم في هذه الشريعة^٤.

وقيل: إن الآثابة في المورد وأمثاله بالفضل^٥، فلا نسخ على هذا وعلى الأول.

﴿و﴾ فيها ﴿أَنْ سَعَى﴾ وعين ما عمله محفوظ عند ربه و ﴿سَوْفَ يَرَى﴾ ويُعَاقِبُ ذلك العمل بصورته الواقعية في القيامة ﴿ثُمَّ يُجْزَاءُ﴾ ويُثَابُ عليه في ذلك اليوم ﴿الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ والثواب الأكمل الأوفر الذي لا يمكن أكمل ولا أوفر منه ﴿و﴾ فيها ﴿أَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا محمد، أو أيها العاقل، لا إلى غيره ﴿أَلَمْ تَنْتَهَى﴾ أو المصير لجميع الخلائق بعد الموت وحين البعث، فيجازي كلاً منهم على

١. تفسير روح البيان ٩: ٢٤٦. ٢. الكافي ٢: ٣٨٨/٣٨، تفسير الصافي ٥: ٩٥.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٢٤٦، والآيتان من سورة الروم: ١٧/٣٠ و١٨. ٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٤٧.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٢٤٨.

حسب أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّاً.

وقيل: إن المراد أن ينتهي جميع الممكنات في الوجود إلى الواجب، ولو بالوسائط، لوضح أن ما بالغير لابد أن ينتهي إلى ما بالذات^١.

وعن أبي بن كعب: أنه قال النبي ﷺ: «أَنَّ إِلَى رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَى» لا فكرة في الرب^٢.

وعن أنس، عنه ﷺ، أنه قال: «إِذَا ذُكِرَ الرَّبُّ فَانْتَهَوْا» أي اقطعوا التكلم فيه^٣.

وعن الصادق عليه السلام: «أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَى» فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا»^٤.

وعن الباقر عليه السلام: قيل له: إن الناس قبلنا قد أكثروا في الصفة، فما تقول؟ قال: «مكروه، أما تسمع الله عز وجل يقول: «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَى» تكلموا دون ذلك»^٥.

أقول: يعني النظر في ذاته وصفاته، فإنه لا تزيد إلا تحيراً لقصور العقول بالغة ما بلغت عن إدراكها بكنهها، فإذا انتهى النظر إليها فقفوا.

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ
الدَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى * وَأَنَّهُ هُوَ
أَغْنَى وَافْقَى * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَتَمُودَ فَمَا
أَبْقَى * وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى *
فَغَشَّاهَا مَا عَشَى [٥٤-٤٣]

ثم بين سبحانه كمال قدرته الموجبة لأرغاب القلوب بقوله: «وَأَنَّهُ هُوَ» تعالى بقدرته الكاملة «أَضْحَكَ» الانسان «وَأَبْكَى» روي عن عائشة: أن النبي ﷺ مرَّ على قوم يضحكون، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً، ولضحكتكم قليلاً» فنزل جبرئيل فقال: إن الله يقول: «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى» فرجع ﷺ إليهم، فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبرئيل فقال: إئت هؤلاء القوم، فقل لهم: إن الله يقول: «هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى»^٦.

قيل: أي أضحك الأرض بالنبات والأشجار والأنوار، وأبكى السماء بالمطار، كما عن القمي^٧. فمن قدر على إيجاد الضدين، لا نهاية لقدرته؟

١ و ٢. تفسير الرازي ٢٩: ١٧.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ١٧.

٤. الكافي ١: ٢٧٢، التوحيد: ٩/٤٥٦، تفسير الصافي ٩٦: ٥.

٥. التوحيد: ١٨/٤٥٧، تفسير الصافي ٩٦: ٥.

٦. تفسير القمي ٢: ٣٣٩، تفسير الصافي ٩٦: ٥.

٧. تفسير القمي ٢: ٣٣٩، تفسير الصافي ٩٦: ٥.

﴿وَأَنَّهُ﴾ تعالى وحده ﴿هُوَ أَمَاتَ﴾ الأحياء ﴿وَأَحْيَا﴾ الموتى، ولا يقدّر عليهما غيره ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ﴾ والصنفين من كل حيوان ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ مع كونهما متضادين ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وماء متكوّن في الصُّلب ﴿إِذَا تُنْفِثُ﴾ وتُدَقّ في الرّحم، أو تتحوّل من الدم مع اتخاذ صورتها. وقيل: معنى (إذا تمنى) إذا قدّر منها الولد^١.

﴿وَأَنَّ﴾ الله يجب ﴿عَلَيْهِ﴾ بحكم العقل ويمقتضى الحكمة أن يوجد ﴿النَّشْأَةُ الْآخِرَى﴾ ويُعيد الخلق فيها تارة أخرى، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالمشوية الحسنی. وقيل: إنّ المراد من النشأة الأخرى نفخ الروح الانساني في الجسد^٢ بعد خلقه وتكميل أجزائه وصورته، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^٣.

﴿وَأَنَّهُ﴾ تعالى ﴿هُوَ أَغْنَى﴾ الإنسان، وأعطاه جميع ما يحتاج إليه في تعيشه ﴿وَأَقْنَى﴾ وأعطاه القنّة والأموال المدخرة الباقية كالإبل والبقر والغنم والمرعى الطيب والرياض الثمرة. وعن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في هذه الآية. قال: «أغنى كلّ إنسان بمعيشته، وأرضاه بكسب يده»^٤.

﴿وَأَنَّهُ﴾ تعالى ﴿هُوَ﴾ بالخصوص ﴿رَبُّ﴾ الكوكب ﴿الشُّعْرَى﴾ قيل: إنّ كوكب يطّلع خلف الجوزاء، تعبده خزاعة^٥.

وعن القمي عليه السلام، قال: نجم في السماء يُسمّى الشعري، وكانت قريش وقوم من العرب يعبدونه، وهو نجم يطّلع في آخر الليل^٦. والمعنى: أعبدوا الربّ دون المربوب.

وقيل: في النجوم شعريان: أحدهما شامية، والأخرى يمانية، وكان العرب يعبدون اليمانية^٧. ﴿وَأَنَّهُ﴾ تعالى ﴿أَهْلَكَ﴾ بالعذاب ﴿عَادًا أَوَّلَى﴾ وهم قوم هود، قدّم ذكرهم ووصفهم بالأولى؛ لأنّهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح. وقيل: إنّ عاداً الأخرى من نسلهم، وهي التي قاتلها موسى بأريحا^٨.

﴿وَ﴾ أهلك ﴿ثَمُودَ﴾ بالصيحة ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ على وجه الأرض منهم، أو من الفريقين أحداً، لكفرانهم نعم ربّهم، وطغيانهم عليه بعد إغنائهم وإقنائهم ﴿وَ﴾ إنّ أهلك ﴿قَوْمَ نُوحَ﴾ بالطوفان والغرق ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وفي العصر السابق على أعصار سائر الأمم المهلكة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ على نبيهم

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢١.

١. تفسير روح البيان ٩: ٢٥٥.

٣. المؤمنون: ١٤/٢٣. ٤. تفسير القمي ٢: ٣٣٩، معاني الأخبار: ١/٢١٤، تفسير الصافي ٥: ٩٧.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٢٥٧. ٦. تفسير القمي ٢: ٣٣٩، تفسير الصافي ٥: ٩٧.

٧. تفسير الرازي ٢٩: ٢٣، تفسير روح البيان ٩: ٢٥٧. ٨. تفسير روح البيان ٩: ٢٥٧.

نوح ﴿هُمَّ أَظْلَمُ﴾ من الفريقين، حيث كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يبقى له حراك ﴿وَأَظْفَى﴾ عليه، أو على ربهم منهم. قيل: كانوا يُنفِزون الناس عنه، ويَحْذَرُونَ صبيانهم من أن يقربوا منه ويستمعوا وعظه^١.

﴿وَأَهْلَكَ الْقَرَى﴾ **﴿الْمُؤْتَفِكَةَ﴾** والمُنْقَلَبَةَ بأهلها بحيث جعل عاليها سافلها، وهي قرى قوم لوط، فإن الله **﴿أَهْوَى﴾** وأسقطها إلى الأرض بعد رفعها إلى السماء على جناح جَبْرَائِيل. وقيل: يعني ألقاها في الهاوية^٢. وقيل: كانت بيوتهم مرتفعة، فأهواها الله بالزلزلة، وجعل عاليها سافلها^٣.

وقيل: إن المراد من المؤتفكة كل قوم انقلب مساكنهم، وخرت منازلهم^٤، وهو خلاف الظاهر، بل الظاهر أن المراد القرى المعهودة لقوم لوط.

﴿فَقَشَاهَا﴾ وأحاط بها **﴿مَا عَشَى﴾** ها، وأحاط بها من أنواع العذاب، وفي إبهام عذابهم ما لا نهاية له من التهويل.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى * هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى * أَزِفَتِ الْآزِفَةُ *

لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ [٥٨-٥٥]

ثم إنه تعالى بعد تعداد نعمه على الانسان من خلق الذكر والأنثى، وإغنائه وإقنائه، وإهلاك الظلمة والطغاة، ونصرة أنبيائه ورسله، نبه على أنه لا مجال للشك في نعمه بقوله تعالى: **﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ﴾** ونعمه أيها الانسان **﴿تَتَمَارَى﴾** وتشك أو تُجادل إنكاراً له.

وقيل: إن الخطاب للنبي ﷺ من باب التعريض بالغير^٥ على طريقة: إياك أعني واسمعي يا جارة. قيل: إن الله عدّ النعم التي ذكرها قبل الآلاء نعماً من أجل أنها عبر للمعتبرين، ونصرةً للأنبياء والمرسلين والمؤمنين^٦.

ثم لما ذكر سبحانه إهلاك الأمم المكذبة لرسولهم أشار إلى النبي ﷺ بقوله: **﴿هَذَا﴾** الشخص الشريف الذي يدعوكم أيها الناس إلى التوحيد ودين الحق، ويُرشدكم إلى سعادة الدارين **﴿نَذِيرٌ﴾** لكم من الله تعالى، ورسول مبعوث من قبله **﴿مِنْ﴾** جملة **﴿النَّذْرِ الْأُولَى﴾** ومن قبيل الرسل السابقة، فلا تكذبوه فإنه يُصيبكم ما أصاب الأمم المكذبة لرسولهم.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٢٥٨.

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٦٥، تفسير روح البيان ٩: ٢٥٨.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٦٥، تفسير روح البيان ٩: ٢٥٨.

٦. تفسير البياضوي ٢: ٤٤٣، تفسير أبي السعود ٨: ١٦٥، تفسير روح البيان ٩: ٢٥٨.

عن الصادق عليه السلام - في رواية -: أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْآيَةِ، فَقَالَ: «بِعَنِي مُحَمَّدًا»^١.

وقيل: إِنَّ كَلِمَةَ (هَذَا) إِشَارَةً إِلَى الْقُرْآنِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي تُشَاهِدُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ إِذَا دُرِّ مِنْ قِبَلِ الْإِنذَارَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي سَمِعْتُمْ عَاقِبَتَهَا^٢، فَإِنَّ اتَّعَظْتُمْ بِهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَسَعَادَتُكُمْ، وَالْأَفْلُ فَرُضَ أَنَّا لَا نَعْذِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا نَعْذِبُكُمْ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ «أُزِفَتْ» وَقَرُبَتْ تِلْكَ الْقِيَامَةُ الَّتِي هِيَ «الْآزِفَةُ» وَالْقَرِيبَةُ مِنْكُمْ كُلِّ يَوْمٍ وَكُلِّ سَاعَةٍ بِحَيْثُ تَضَيِّقُ عَلَيْكُمْ وَقْتُ التَّدَارُكِ لَهَا وَ «لَيْسَ» فِي عَالَمِ الْوُجُودِ «لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ» وَمَنْ قَبْلَ غَيْرِهِ نَفْسٌ «كَاشِفَةٌ» وَمُخْبِرَةٌ عَنْهَا كَمَا هِيَ وَمَتَى يَكُونُ وَقْتُهَا، أَوِ الْمَعْنَى: لَيْسَ لَهَا نَفْسٌ قَادِرَةٌ عَلَى رَدِّهَا وَإِزَالَتِهَا عِنْدَ وَقْعِهَا فِي الْوَقْتِ الْمَقْدَرِ لَهَا إِلَّا اللَّهُ.

أَقِمْنَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعَجُّبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ

*** فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا [٥٩-٦٢]**

ثُمَّ أَنْكَرَ سَبْحَانَهُ عَلَى الْمَشْرِكِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْقُرْآنِ، أَوْ بِالْأَخْبَارِ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَقِمْنَ هَذَا» الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ «الْحَدِيثِ» أَوْ مِنْ حَدِيثِ قُرْبِ الْقِيَامَةِ، أَوْ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنْ الْأَخْبَارِ، كَمَا عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام^٣.

أَنْتُمْ «تَعَجُّبُونَ» إِنْكَارًا «وَتَضْحَكُونَ» سُخْرِيَةً وَاسْتَهْزَاءً «وَلَا تَبْكُونَ» عَلَى سُوءِ حَالِكُمْ وَوُخَامَةِ عَاقِبَتِكُمْ وَقُرْبِ ابْتِلَاكُمْ بِالْعَذَابِ وَالشَّدَائِدِ «وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ» وَغَافِلُونَ عَنْ نَتَائِجِ أَعْمَالِكُمُ الْقَبِيحَةِ، أَوْ مُسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُولِ وَالْقُرْآنِ وَالْحَشَرِ، مَعَ أَنَّ الْحَقَّ أَنَّ تَبَكُّوًا كَثِيرًا، وَتَضَحُّكُوا قَلِيلًا، وَتُؤْمِنُوا بِهِ سَرِيعًا، وَتَخْشَعَ لَهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَخْضَعَ لَهُ جَوَارِحُكُمْ. رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَزْ ضَاحِكًا بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ^٤.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ بِكَيْ أَهْلِ الصُّفَّةِ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُمْ عَلَى خَدُودِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَنِينَهُمْ بِكَيْ مَعَهُمْ، وَكَيْفَا لِبَكَائِهِ، فَقَالَ ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصْرَرًا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ»^٥. الْخَبَرُ^٦.

سَجْدَةٌ وَاجِبَةٌ ثُمَّ لَمَّا وَتَّخَ سَبْحَانَهُ الْمَشْرِكِينَ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ كَوْنِ الْقُرْآنِ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى اسْتَهْزَائِهِمْ بِهِ، أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَةِ نَزُولِهِ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «فَاسْجُدُوا لِلَّهِ» أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

٢. تفسير أبي السعود ٨: ١٦٥، تفسير روح البيان ٩: ٢٥٩.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٦٠.

١. تفسير القمي ٢: ٣٤٠، تفسير الصافي ٥: ٩٨.

٣. مجمع البيان ٩: ٢٧٧، تفسير الصافي ٥: ٩٨.

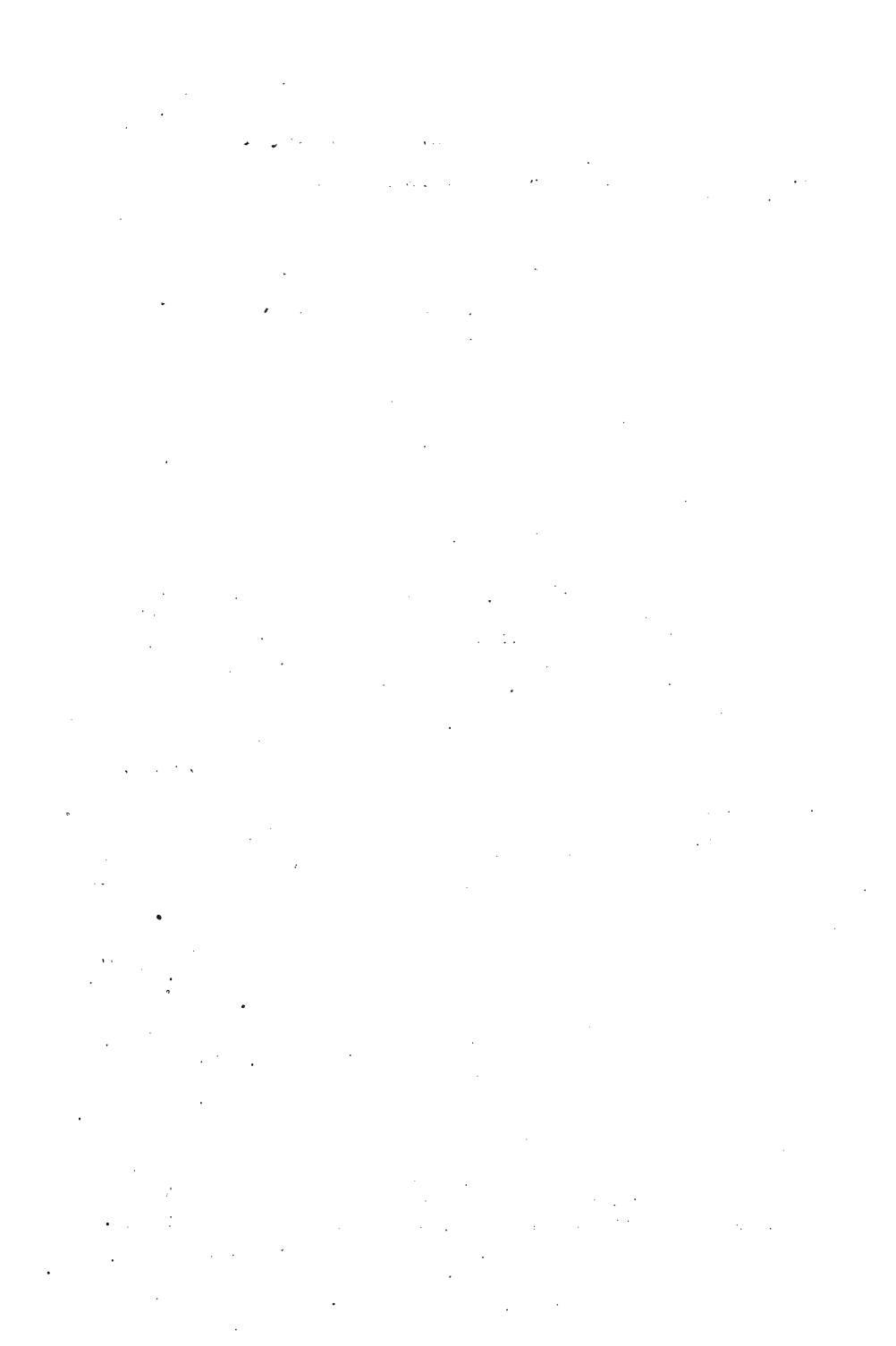
٥. تفسير روح البيان ٩: ٢٦٠.

شُكراً على هدايتكم بالقرآن ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ الله خالصة مخلصاً له الدين، ولا تعبدوا غيره.
قد حكى كثيرٌ من الأصحاب وجوب السجود على من تلاها، أو استمع تلاوتها، ودلت عليه
الأخبار المعتبرة.

عن الصادق عليه السلام: «من كان يُدمن قراءة سورة النجم في كل يوم، أو في كل ليلة، عاش محموداً بين
الناس، وكان مغفوراً له^١ ومحبوياً بين الناس، أو عند الله تعالى»^٢.

١. في ثواب الاعمال: موفوراً له.

٢. ثواب الاعمال: ١١٦، مجمع البيان ٩: ٢٥٨، تفسير الصافي ٥: ٩٨، في ثواب الاعمال إلى كلمة: الناس، وفي تفسير
الصافي: الناس إن شاء الله.



في تفسير سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ [١]

ذكر معجزة شق القمر
توحيخ
المشركين على إنكارها، نُظمت سورة القمر المبدوءة بالإخبار بقرب يوم القيامة، والاستدلال عليه بانشقاق القمر باعجاز النبي ﷺ الذي هو من أشراط الساعة، وتوحيخ المشركين على إنكار نبوته، ونسبة معجزاته إلى السحر وأتباعهم هوى أنفسهم، فابتدأها بذكر الأسماء الحسنى بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم افتتحها بالإخبار بقرب القيامة بقوله: ﴿أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ودنت القيامة، وقرب قيامها ووقوعها. روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا والساعة كهاتين»^١ وضمّ وجمع بين سبابه ووسطاه.

وعنه ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدُّنْيَا قَلِيلًا، فَمَا بَقِيَ مِنْهَا قَلِيلٌ مِنْ قَلِيلٍ»^٢.

وعنه ﷺ: «مِثْلِي وَمِثْلُ السَّاعَةِ كَفَرَسِي رَهَان»^٣.

ثم لما كان انشقاق القمر من أشراط الساعة، قرن سبحانه الإخبار به باقترابها بقوله: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وصار فلقتين، وحصلت آية اقترابها.

روي أنّه خطب حذيفة بن اليمان بالمداثن، وكان من خطبته: أَلَا إِنَّ السَّاعَةَ قَدْ أَقْتَرَبَتْ، وَإِنَّ الْقَمَرَ قَدْ انْشَقَّ عَلَى عَهْد نَبِيِّكُمْ^٤.

وعن ابن عباس رضوان الله عليه: أنّه اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَشُقُّ لَنَا الْقَمَرُ فَرَقَتَيْنِ. فقال لهم: «إِنْ فَعَلْتَ تَوْمَنُوا؟» فقالوا: نعم. وكانت ليلة بدر، فسأل ربه أَنْ يُعْطِيَهُ مَا قَالُوا، فانشقَّ القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي: يَا فُلَانُ، يَا فُلَانُ، اشْهَدُوا^٥.

٢ و٣. تفسير روح البيان ٩: ٢٦٢.

٥. مجمع البيان ٩: ٢٨١، تفسير الصافي ٥: ٩٩.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٩ و٣٠.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٦٣.

وفي رواية: فرفع رسول الله ﷺ إصبعه، وأمر القمر بأن ينشق نصفين، فانفلق فلقين: فلق ذهب عن موضع القمر، وفلق بقيت في موضعه^١.

وعن جبير بن مطعم: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل، فقال ناس: سحرنا محمد. فقال رجل: إن كان سحركم، فلم يسحر الناس كلهم^٢.

وفي رواية، قال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم: إن كان محمد سحر القمر بالنسبة إليكم، فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر جميع أهل الأرض، فاسألوا من يأتيكم من البلاد، فاسألوا أهل الآفاق فأخبروا كلهم بذلك^٣.

وعن ابن مسعود: رأيت جِراء بين فلقتي القمر^٤.

قال بعض العامة: عليه عامة الصحابة وجلّ المفسرين^٥.

وعن (شرح المواقب): أن خبر انشقاق القمر متواتر^٦.

في ردّ الشك في أقول: كفى في ثبوته اشتهاره بين المسلمين من قديم الدهر، بحيث كان من صفة شق القمر المُسلّمات، والتشكيك فيه بآئه لو كان واقعاً لنقله جميع الفرق وأهل التواريخ من سائر الأديان، لكونه من عظام الأمور، وتوفّر الدواعي إلى نقله، ساقطاً عن الاعتبار، لوضوح عدم النفاذ كثير من الناس إلى الأوضاع الفلكية، كما نرى أن كثيراً ما لا يلتفتون إلى كسوف القمر، كما أنه يُمكن وقوعه في وقت كان أكثر الناس نياماً، أو اختفاؤه^٧ عن قوم دون قوم بسبب الغيم واختلاف الأفق، واقتضاء حكمته تعالى صرف كثير من الناس عن التوجّه إليه، لتبَيّن الحجة على الحاضرين والمقترحين، ويقع الاختلاف في غيرهم، مع اخبار الله به في كتابه ونقل الثقة بإياه.

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنْدُرُ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ * خُشِعَ أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسَرُ [٢-٨]

٢. مجمع البيان ٩: ٢٨٢، تفسير الصافي ٥: ٩٩.
٤. تفسير أبي السعود ٨: ١٦٧، تفسير روح البيان ٩: ٢٦٤.
٦. تفسير روح البيان ٩: ٢٦٣.

١. تفسير روح البيان ٩: ٢٦٤.
٣. تفسير روح البيان ٩: ٢٦٤.
٥. تفسير روح البيان ٩: ٢٦٣.
٧. في النسخة: واختفاؤه.

ثم إنه تعالى بعد إخباره بهذه الآية العظيمة والمعجزة الباهرة، ويخ الكفار على إنكاره ونسبتها إلى السحر بقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا﴾ بأعينهم ﴿آيَةً﴾ ومعجزة عظيمة دالة على صدق النبي ﷺ كشق القمر، وحنين الجذع اليابس، والإخبار بالمغيبات وغيرها ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن التأمل فيها، ولا يعتنوا بها عناداً ولجاجاً ﴿وَيَقُولُوا﴾ دعفاً لدلائلها على صدق النبي ﷺ: هذه الخوارق للعادات التي يعجز الناس عن الاتيان بمثلا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ومُطَرَّد يأتي به محمد على مر الزمان بحيث يتبع بعضه بعضاً، أو سحر قوي محكم بحيث يؤثر في السماويات والفلكيات، أو سحر ما ز داهب لا بقاء له، وذلك القول لأنهم أنكروا نبوة محمد ﷺ عناداً ولجاجاً ﴿وَكَذَّبُوا﴾ ه في دعوى رسالته، أو في إخباره بقرب الساعة، أو كذبوا معجزاته ونسبوها إلى السحر والكهانة ﴿وَأَتَّبَعُوا﴾ في تكذيبه ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ وشهوات أنفسهم على عاداتهم القديمة ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُسْتَفِرٌّ﴾ وثابت متو بالآخرة إلى خذلان ونصرة في الدنيا وشقاوة وسعادة في الآخرة.

ثم لما حثهم سبحانه إلى الايمان والعمل ببيان اقتراب الساعة وإقامة الدليل عليه بوقوع انشقاق القمر، وهو من أشرط الساعة، وتوبيخهم على إنكار المعجزات وتكذيب الرسول ﷺ واتباعهم هوى أنفسهم، بين سبحانه غاية خبثهم وعدم تأثرهم بالمواعظ بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ في القرآن وسائر الكتب السماوية ﴿مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ الموحشة والأخبار العظيمة الهائلة من ابتلاء الأمم الماضية بأنواع العذاب في الدنيا على تكذيبهم الرسل ﴿مَا فِيهِ مُّزْدَجَرٌ﴾ وراذع عن التكذيب والعصيان، ومانع عن السوء والطغيان، وصارف عن اتباع الهوى، ومن الواضح أن تلك الأمور التي فيها عظة، أو الأنباء التي في القرآن ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ غايتها لا خلل فيها، أو بالغة غاية الإنذار والوعظ ﴿فَمَا تُقِنِّ﴾ ولا تفيد هداية النفوس الخبيثة والقلوب القاسية ﴿الْأَنْذَرُ﴾ والرسل والمواعظ والتخويفات شيئاً.

وقيل: إن كلمة (ما) استفهامية إنكارية، والمعنى أي إغناء وفائدة في النذر إذا خالفوا وكذبوا^١، وعاندوا ولجأوا، إذن لا تُتبع نفسك الشريفة بالاصرار في دعوتهم إلى الايمان والانتعاظ ﴿فَتَوَلَّ﴾ وأعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ ولا تعتن بهم، وانتظر ﴿يَوْمَ يَدْعُ﴾ إسرافيل الذي هو ﴿الدَّاعِ﴾ لجميع الخلق بنفخة في الصور ﴿إِلَى﴾ المحشر و﴿شَيْءٍ نُّكِّرٍ﴾ وفطيع لا سابقة لهم به، وهو أهوال يوم القيامة، وهم يجيبونه في حال كونهم ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ وأدلة جوارحهم عند رؤية العذاب، وإجابتهم له بأنهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ والقبور انقياداً له، ويتشرون في الأرض، ويتفرقون في أقطارها ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ ومتفرق فيها كثرة وتفرقاً وهم مع ذلك يكونون ﴿مُهْطِعِينَ﴾ ومسرعين في

المشي ﴿إِلَى﴾ جهة ﴿الدَّاعِ﴾ ما دین أعناقهم إليه، أو ناظرین إليه غیر قالین أبصارهم عنه، وعند ذلك ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ بالله والرسول واليوم الآخر: ﴿هَذَا﴾ اليوم الذي ابتلينا به ﴿يَوْمَ عِيسَى﴾ وصعب علينا، شديدة أهواله لنا، وأما المؤمنون فأنهم يقولون: هذا يومٌ يسيرٌ.

عن السجّاد عليه السلام، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث - يذكر [فيه] أهوال يوم القيامة: «يُشْرِفُ الْجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ فِي ظِلَالٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَأْمُرُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِينَادِي فِيهِمْ: يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، أَنْصِتُوا وَاسْتَمِعُوا مَنَادِيَ الْجَبَّارِ» قال: «فِيَسْتَمِعُ آخِرَهُمْ كَمَا يَسْتَمِعُ أَوَّلَهُمْ فَتَنْكَسِرُ أَصْوَاتُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَتَخْشَعُ أَبْصَارُهُمْ، وَتَضْطَرِبُ فَرَانِصُهُمْ، وَتَفْرَغُ قُلُوبُهُمْ، وَيَرْفُونَ رُؤُوسَهُمْ إِلَى نَاحِيَةِ الصَّوْتِ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي» قال: «فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُونَ: هَذَا يَوْمٌ عِيسَى».

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَقَدَا رَبُّهُ أَنَّى
مَغْلُوبٌ فَانْتَصَرَ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا
فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَّاحِ وَدُوسِرَ * نَجْرِي
بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ [٩-١٥]

ثم لما ذكر سبحانه المشركين نبوة نبيه ﷺ ونسبتهم معجزاته إلى السحر، ذكر حال الأمم المهلكة الذين كانوا قبل كفار مكة تهويلًا لهم وتسليًا لحبيبه محمد ﷺ بقوله: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» بالرسول والآيات «قَوْمُ نُوحٍ» في دعوى رسالته وتوحيد الله، كما كذبت قومك رسالتك وآية انشقاق القمر «فَكَذَّبُوا» لتكذيبهم جميع الرسل «عَبْدَنَا» ورسولنا نوح في دعوى رسالته مع علو شأنه، وبالغوا في تكذيبه حتى رموه بزوال العقل «وَقَالُوا» إنه «مَجْنُونٌ» حيث يتكلم بما لا يتكلم به عاقل، ويدعوا إلى ما لا يقبله أحد «وَازْدُجِرَ» ومنع عن تبليغ رسالته بالشتم والضرب وأنواع الأذى، حين يش من إيمانهم، وترك دعوتهم. وقيل: إنه من كلام القوم، والمعنى: ازدجره الجن، وتخبطه وأفسدته.^٢

«فَدَا رَبُّهُ» بعد يأسه عن إيمانهم، وكان دعاؤه «أَنَّى» يا رب «مَغْلُوبٌ» من جهة قومي، ولا أقدر على دفعهم ومنعهم عن إيذائي، وعيّل صبري «فَانْتَصَرَ» إذن لعبدك^٣ نوح، وانتقم له من أعدائه، أو انتصر لنفسك من أعدائك، فاستجبنا دعاءه «فَفَتَحْنَا» لاهلاك قومه «أَبْوَابَ السَّمَاءِ»

٢. تفسير روح البيان ٩: ٢٧١.

١. الكافي ٨: ٧٩/١٠٤، تفسير الصافي ٥: ١٠٠.

٣. في النسخة: عبدك.

وطرفها من طرف المجرة على ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام^١ وكان فتحها **بِمَاءٍ** كثير **مُنْهَمِرٍ** ومنصب على الأرض انصباباً شديداً، فصار صب الماء كالمفتاح للأبواب. قيل: كان القوم يطلبون المطر سنين، فكان مطلوبهم جاء إلى الباب ففتحه^٢، أو المراد فتحنا الأبواب مقرونة بماء منصب^٣ **وَفَجَّرْنَا** وشققنا **الْأَرْضَ** بحيث صارت كلها **عُيُونًا** تجري منها الماء.

فَالْتَقَى الْمَاءُ النازل من السماء، والماء النابع من الأرض، واتصلا واختلطا، فصارا **عَلَى أَمْرٍ** وحال **قَدْ قُدِرَ** من جانب الله لإهلاك القوم، أو على حال صار كل من الماءين بقدر الآخر، أو على قدره لا يعلم مقداره كانا متساويين، أو أحدهما أزيد من الآخر.

فلما غرقت الأرض بدعاء نوح نجيته **وَحَمَلْنَاهُ** ومن آمن معه **عَلَى** سفينة **ذَاتِ الْوُحُجِ** وصاحبة قطعات من الخشب، **وَوُجُوهٌ** ذات **دُسُرٍ** ومسامير، فهي مع سهولة انفكاكها **تَجْرِي** وتسير في الطوفان **بِأَعْيُنِنَا** وحفظنا، أو بمرأى منا، وإنما كان ذلك الحمل والنجاة من الغرق، أو حفظ السفينة من الانفكاك والغرق، أو إجابة دعائه وفتح أبواب السماء، أو جميع ما ذكر **جَزَاءً لِمَن كَانَ** وجوده وبعثه في الخلق نعمة عظيمة من الله تعالى، ثم **كُفِّرَ** ذلك الشخص بترك إطاعته، والقيام بعداوته، والتظاهر على إيدائه، فصبر على جميع ذلك، فتصبر على أعدائه بغرقهم، وإنجائه بوسيلة السفينة.

وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا وأبقيناها على وجه الأرض دهرأ طويلاً، لتكون **آيَةً** وعبرة يعتبر بها من نظر إليها. قيل: بقيت إلى أوائل هذه الأمة^٤. وقيل: يعني جعلناها آية عظيمة يعتبر بها من يقف على خبرها **فَهَلْ** في الناس **مِن مَّدْكِرٍ** ومعتبر بالغير ومتعظ بالمواعظ الإلهية، فيخاف من الله المتعظم، ويتزك عصىانه.

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي * وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ * كَذَّبَتْ
عَادَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ
مُسْتَمِرٍّ * تَنزِيلُ النَّاسِ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذْرِي [٢١-١٦]

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٣٧.

١. تفسير روح البيان ٩: ٢٧٢.

٤. تفسير أبي السعود ٨: ١٧٠، تفسير روح البيان ٩: ٢٧٣.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٣٧.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٧٠، تفسير روح البيان ٩: ٢٧٣.

ثم أظهر سبحانه عظمة عذابه، والتعجب منه، ومن كيفية إنذاراته بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾ يا محمد، أو أيها الناس بعد اطلاعهم على غرق أهل الأرض ﴿عَذَابِي﴾ في العظمة والشدة ﴿وَتُذَرِّي﴾ ومواعظي التي أنزلتها إليكم في الكثرة والكمال، أو رسلني في عظمة الشأن، والصبر على اذي قومهم، وصدق مواعيدهم، فاصبر أنت يا محمد، فإن عاقبة أمرك كعاقبة أولئك الرسل ﴿وَقَدْ تَالَاهُ﴾ تالاه ﴿لَقَدْ يَسْرُنَا﴾ وسهلنا ﴿الْقُرْآنَ﴾ النازل عليكم، بأن جعلناه بلسانكم، وصرفنا فيه من أنواع المواعظ والوعيد ﴿لِلذِّكْرِ﴾ والاتعاظ، حيث أتينا فيه بكل حكمة، أو للحفظ على ظهر القلب ﴿فَهَلْ مِنْكُمْ﴾ مذكور، ومتعظ بالقرآن، أو حافظ له.

ثم وعظ سبحانه بذكر قصة قوم عاد بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ هُودَ﴾ واسمهم ﴿عَادٌ﴾ بجميع الرسل، وإنما لم يذكر سبحانه هنا تكذيبهم هوداً للاختصار، وإنما ذكر فيما قبل اسم نوح وتكذيبه ليبين شأنه، وطول مدة دعوته، وتحمله أذى قومه، كذا قيل^١.

ثم سأل سبحانه عن كيفية تعذيبهم، توجيهاً للسامعين إلى إصغاء ما يلقى إليهم بقوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾ أيها المستمعون ﴿عَذَابِي﴾ النازل عليهم ﴿وَتُذَرِّي﴾ لهم، وتخويفاتي إياهم؟ ثم كأنه قيل: بين لنا يا رب كيف كان عذابهم، فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ وسلطنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ غضباً وسخطاً ﴿وَرِيحاً صَرْصَرًا﴾ شديدة الصوت والهبوب، أو باردة ﴿فِي يَوْمٍ نَخْسٍ﴾ وشؤم ﴿مُستَمِرٍّ﴾ شؤمه عليهم، أو إلى آخر الدهر، وهو آخر أربعاء من الشهر. عن ابن عباس: آخر أربعاء في الشهر يوم نخس مستمر^٢.

وعن الباقر عليه السلام: «أنه كان في يوم الأربعاء، في آخر الشهر لا يدور»^٣. وعن الصادق عليه السلام: «الأربعاء يوم نخس مستمر؛ لأنه أول يوم وآخر يوم من الأيام التي قال الله عز وجل: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾»^٤.

وكانت شدة تلك الريح بحيث ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ وتقلعهم من الأرض، وتضرعهم موتى ﴿كَانَهُمْ﴾ أعجاز نخل، وأصوله ﴿مُتَقَعِرٍ﴾ ومنقطع عن مغرسه، أو ذاهب في فقر الأرض.

روى الكلبي^٥: أنه كان طول كل واحد سبعين ذراعاً، فاستهزءوا حين ذكر لهم الريح، فخرجوا إلى الفضاء، وضربوا بأرجلهم وغيبوا في الأرض إلى قريب من الركبة، فقالوا لهود: قل للريح حتى ترفعنا، فجاءت الريح، فدخلت تحت الأرض، وجعلت ترفع كل اثنين، وتضرب أحدهما بالآخر

٣. تفسير روح البيان ٩: ٢٧٥.

١. أي تكذيبهم إياه. ٢. تفسير الرازي ٢٩: ٤٣.

٤. مجمع البيان ٩: ٢٨٧، تفسير الصافي ٥: ١٠٢.

٥. علل الشرائع: ٢٣٨١، تفسير الصافي ٥: ١٠١، والآية من سورة الحاقة: ٧/٦٩. ٦. في النسخة: الكليني.

بعدما ترفعهما في الهواء، ثم تلقيهما على الأرض، والباقيون ينظرون إليهما، حتى رفعتهما كلهم، ثم رمت بالرمل والتراب عليهم^١.

وقيل: شَبَّهت أجسادهم بالنخل لطول قامتهم، ولأنَّ الريح كان تقلعهم وتصرعهم على رؤوسهم، فتدقُّ رقابهم، فتبين الرؤوس من أجسادهم، فيتقى أجساداً بلا رؤوس^٢.

ثم كَرَّرَ سبحانه قوله: ﴿فَكَيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ تهويلاً لهما، وتعجبياً من أمرهما^٣. وقيل: إنَّ الأول في الدنيا، والثاني في العقبى^٤.

وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنُ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَرًا
مِثْلَنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ [٢٢-٢٤]

ثم أكد سبحانه كون القرآن أكمل المذكرات وأوفى المواعظ بتكرار قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنُ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

ثم ذكر سبحانه طغيان قوم صالح بقوله: ﴿كَذَّبَتْ﴾ ثم صالح، اسمهم ﴿ثُمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ والمواعظ التي استمعوها من صالح، أو بالرسل جميعاً من صالح ومن قبله من الرسل، لانكارهم صلاحية: البشر للرسالة، كما حكاه سبحانه بقوله: ﴿فَقَالُوا﴾ إنكاراً واستعجاباً ﴿أَبَشَرًا مِثْلَنَا﴾ وإنساناً كأننا من جنسنا مع كونه ﴿وَاحِدًا﴾ مثلاً، لا فضيلة له علينا، حيث إنه يأكل ويمشي في الأسواق، أو واحداً لا تبع له، ومنفرداً لا أحد من الملائكة معه ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ ونطيعه في أوامره ونواهيه، ونقتدي به في عقائده وأعماله ﴿إِنَّا﴾ مع كثرتنا وشوكتنا ﴿إِذَا﴾ وعلى تقدير انقيادنا له واتباعنا إياه مع تفرده في الرأي والاعتقاد، وكونه مثلاً في البشرية والحاجة ﴿لَفَى ضَلَالٍ﴾ وانحراف عن طريق الصلاح والصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ ونيران الذل والهوان. قيل: كان صالح يقول لهم: إن لم تتبعوني تكونوا في ضلالٍ عن الحق في الدنيا، ونيرانٍ في الآخرة، فعكسوا عليه عتواً وقالوا: إن اتبعناه كنا في ضلالٍ وسُعُرٍ، أو المراد كنا في سُعُرٍ وجنونٍ، لكون أتباعه خلاف حكم العقل.

أَلْفَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ
الْأَشِرِّ * إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةِ فَنَنَّةٍ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ أَلْمَاءَ
قِسْمَةً بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌّ * فَنادوا أصحابهم فَعَاطَى فَعَقَرٌ * فَكَيفَ كَانَ

١. تفسير روح البيان ٩: ٢٧٦.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٢٧٥.

٣ و ٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٧٦.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٧١، تفسير روح البيان ٩: ٢٧٧.

عَذَابِي وَنُذِرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمَحْتَضِرِ *
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ [٢٥-٣٢]

ثم بالغوا في إنكار رسالته بقولهم: ﴿أَمْ لَيْسَ الذِّكْرُ﴾ وأنزلت الرسالة والوحي ﴿عَلَيْهِ﴾ وانتخب لهذا المنصب الجليل ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ وفيما من هو فوقه في الشرف وأحق به؟ لا والله ليس كما يقول ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ ومُصَرَّ على القول بخلاف الواقع والدعوى الباطل، و﴿أَشِيرٌ﴾ ويَطِر في كذبه حمله عليه حب الترفع والرئاسة علينا، لا ضرورة وحاجة، أو متجبر.

ثم هددهم سبحانه حين قولهم ذلك بالوحي إلى صالح بقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ هؤلاء الطغاة، ﴿فِيمَا بَعْدَ هَذَا الزَّمَانِ﴾ وهو زمان نزول العذاب ﴿مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشِيرُ﴾ والمُصَرَّ

وسهلنا لكم فهمه، بأن جعلناه بلسانكم أيها العرب ﴿لِلذِّكْرِ﴾ والانتعاض، أو للحفظ على ظهر القلب ﴿فَهَلْ﴾ فيكم ﴿مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ ومُتَعَطٍ فيرتدع عن الكفر والعصيان، وفي التكرار تأكيداً ومبالغة في التذكير.

قيل: إن الله تعالى أطال قصة صالح من بين القصص الخمس التي ذكرها في هذه السورة، لكون معجزة صالح - وهي إخراج الناقة العظيمة من الجبل، أو الصخرة غير القابلة للحياة - أعجب من معجزات سائر الأنبياء، كما أن شق القمر الذي هو معجزة نبينا ﷺ، والمُصدرة به السورة أعجب من معجزاتهم، حيث إن جميع معجزاتهم كانت أرضية، ومعجزة نبينا ﷺ كانت سماوية، مع أن المشركين والفلاسفة قائلون بامتناع تصرف أحد في السماويات، واستحالة الشق والخرق فيها، فأشبه حال صالح حال نبينا ﷺ، فكان تسليبه بيان حال صالح أتم وأكمل فأطاله^١.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ
* نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنَّذْرِ * وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنَذْرِي [٣٧-٣٣]

ثم ذكر سبحانه قصة قوم لوط، وإطافه به، وابتلائهم بالعذاب بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ والتخويفات والمواعظ الإلهية، أو بالمندرين والرسل.
ثم بين سبحانه كيفية تعذيبهم بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ غضباً وانتقاماً منهم عذاباً أو ريحاً ﴿حَاصِبًا﴾ ورامياً لهم بالحجارة الصغار ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وأهله، فإننا ﴿نَجَّيْنَاهُمْ﴾ من العذاب ﴿بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، وإنما كان إنجاؤهم ﴿نِعْمَةً﴾ عظيمة كائنة ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ وتفضلاً عليهم من قبلنا لإيمانهم وطاعتهم لنا، كما أن تعذيب القوم كان عدلاً منا، وأداءً لما يستحقون علينا ﴿كَذَلِكَ﴾ الإنجا من العذاب الذي كان نعمة ﴿نَجْزِي﴾ في الدنيا ﴿مَنْ شَكَرَ﴾ نعمنا بالإيمان والطاعة من أي قوم وأية أمة كان.

وقيل: يعني كما نجَّيناهم من عذاب الدنيا، نجزي من آمن بالنجاة من عذاب الآخرة.
ثم بين سبحانه أن عذابهم كان بعد إتمام الحجة عليهم وطفيتهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ وخوفهم لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ وأخذتنا الشديدة بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾ أولئك الطغاة وكذبونا ﴿بِالنَّذْرِ﴾

والتخويفات بالعذاب الديني والأخروي، مع كونهم شاكّين فيه.

ثم إن القوم لما سمعوا بورود شَبَّانِ حَسَانِ الوجوه على لوط ضيقاً له، وطمعوا في أن يُمكنهم لوط من عمل الفحشاء بهم ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تالله ﴿لَقَدْ رَأَوْهُ﴾ وطالبوه عن تمكينهم ﴿عَنْ صَيفِهِ﴾ وهم الملائكة أن يفجروا بهم ومعهم جَبْرِئِيلُ ﴿فَطَمَسْنَا﴾ ومسحنا ﴿أَعْيُنَهُمْ﴾ وسويناها كسائر وجوههم بحيث لم يزل لها شق، بضرب جبرئيل جناحه عليها، أو بإشارته إليها، أو بضرب كف من البطحاء على وجوههم، وقلنا لهم بلسان الملائكة: إذا بلغ طغيانكم إلى هذا الحد ﴿فَذُوقُوا﴾ أيها الطغاة ﴿عَذَابِي﴾ وهو الطمس ﴿وَنُذِرُ﴾ أي، ومأل تخويفاتي بلسان لوط إياكم، لا خلاص لكم منه بالصراخ والضراعة.

وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ * وَلَقَدْ يَسْرَنَّا
الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ هُمْ مِنْ مُدْرِكٍ * وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا
فَأَخَذْنَا هُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ [٣٨-٤٢]

قيل: إن المراد بمأل الانذارات عذاب الآخرة، فإن أوله متصل بآخر عذاب الدنيا، فهما كالواقع في زمان واحد^١.

ثم إنّه تعالى بعد ذكر العذاب الخاص بالداخلين على لوط المراءدين له عن ضيفه، ذكر العذاب العام لجميع القوم بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ﴾ وجاءهم حين طلوع الفجر ﴿بُكْرَةً﴾ من البكر، أو أول طلوعه بلا تأخير ﴿عَذَابٌ﴾ عام ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾ وثابت ودائم عليهم، متصل بعذاب الآخرة، أو ثابت لأم دفع له، أو ثابت عليهم لا يتعدى غيرهم، وهو جعل أعلى قريتهم أسفلها، وإمطار الحجارة عليهم، وقلنا لهم تشديداً لعذابهم: إذن ﴿فَذُوقُوا﴾ أيها الكفرة الطغاة ﴿عَذَابِي﴾ على كفركم وطغيانكم ﴿وَنُذِرُ﴾ أي وإيعاداتي.

ثم بالغ سبحانه في التنبيه على كون القرآن المشتمل على تلك القصص أكمل المواضع بتكرار قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ هُمْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾ والعظة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾ فإن في التكرير مبالغة في التنبيه والايقاظ، وتقريراً للمعاني في الأسماع والقلوب، وتثبيتاً لها في الصدور، وكلما زاد ازدادت للأمور المذكورة.

ثم ذكر سبحانه شدة طغيان فرعون وقومه، وابتلاءهم بالعذاب بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وأشرف قومه الذين شاركوه في الطغيان وإضلال الناس ﴿النُّذُرُ﴾ والأيعادات والتخويفات من قبل

الله على لسان موسى، أو المنذرون والرسول كموسى وهارون.

ثم كانه قيل: فما فعلوا حينئذ؟ فأجاب سبحانه بقوله: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ومعجزات رسلنا ﴿كُلَّهَا﴾ عناداً ولجاجاً ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب بسبب تكذيبهم ﴿أَخَذَ﴾ مَلِكٌ ﴿عَزِيزٌ﴾ وقاهر لا يقهر و﴿مُقْتَدِرٌ﴾ لا يعجزه شيء.

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ * سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ [٤٦-٤٣]

ثم لما بين سبحانه ابتلاء مكذبي الرسل بأنواع العذاب، وجه الخطاب إلى كفار العرب، أو المكذبين لخاتم النبيين ﷺ من قريش وأهل مكة، وبين أنهم في استحقاق العذاب كمن تقدمهم من الأمم المهلكة المكذبة للرسول بقوله تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ أيها العرب المصرون على تكذيب رسولنا، أو يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ﴾ عند الله، وأقل استحقاقاً للعذاب ﴿مِنْ أُولَئِكَ﴾ الطغاة الذين أهلوا بما سمعتم من أنواع العذاب حتى تأمنوا منه ﴿أَمْ﴾ لا تكونون خيراً منهم، ولكن ﴿لَكُمْ﴾ من جانب الله ﴿بَرَاءَةٌ﴾ وأما من عذاب الله مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ والكتب السماوية التي نزلت على الرسل إن أصرتم على الكفر وتكذيب الرسل، فلذا تُصرون على الشرك وتكذيب محمد ﷺ وتجترون على المعاصي، ولا تخافون من نزول العذاب عليكم، وأن يكون حالكم حال الأمم الذين كانوا قبلكم، لا والله ليس لكم تلك البراءة في كتاب من الكتب السماوية فضلاً عن جميعها.

ثم أعرض سبحانه عن خطابهم إيداناً بعدم قابليتهم للخطاب لغاية الجهل، وجه خطابه إلى العقلاء بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أولئك الجهال الحمقاء: إن نزل العذاب فانا ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ وكثير متفقون على دفعه ﴿مُنتَصِرُونَ﴾ ومتعاونون بعضنا مع بعض^١، أو ممتنع بقوتنا عن الابتلاء به، وإنما أفرد لفظ المنتصر إما باعتبار لفظ (الجميع)، والمعنى نحن جميع جنس منتصر، أو باعتبار أن (جميع) بمعنى كل واحد، والمعنى كل واحد منا منتصر يغلب محمداً، أو يدفع عن نفسه العذاب.

ثم رد الله قولهم الفرضي^٢ بقوله تعالى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ﴾ وتنكسر البتة شوكتهم ﴿وَيُوَلُّونَ﴾ وينصرفون في حرب محمد ﷺ ﴿الدُّبُرَ﴾ وإفراده لإرادة الجنس، كما وقع يوم بدر.

عن عمر بن الخطاب، قال: لما نزلت (سيهزم الجمع) كنت لا أدري أي جمع، فلما كان يوم بدر

١. في النسخة: ببعض. ٢. في النسخة: الفرضية.

رأيت رسول الله ﷺ يلبس الدرع ويقول: (سيهزم الجمع).^١

وقال ابن عباس: كان بين نزول الآية وبين يوم بدر سبع سنين.^٢ وهذا من معجزاته ﷺ، حيث أخبر عن الغيب، فكان كما أخبر.

وقيل: إن الدبر بملاحظة كل واحد، أو لتزليل فرار جميعهم منزلة فرار شخص واحد، والمراد أنهم في التولية كنفس واحد لا يتخلف أحدهم من الجميع.^٣

ثم أخبر سبحانه بأنه ليس ذلك تمام عقوبتهم بقوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةِ﴾ ويوم القيامة ﴿مَوْعِدُهُمْ﴾ ووقت عذابهم، وهذا العذاب في الدنيا من طلائعه ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَنُ﴾ وأعظم فظيعة ﴿وَأَمْرٌ﴾ وأشد عذاباً من يوم بدر وأدوم.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ
ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [٤٧-٤٩]

ثم بين سبحانه حال المشركين المعارضين للنبي ﷺ في ذلك اليوم بقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ والطغاة في ذلك اليوم مستقرون ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ وهلاك، أو بُعد من طريق الوصول إلى الرحمة والجنة ﴿و﴾ في ﴿سُعْرٍ﴾ ونيران مؤقّدة. وقيل: إن المراد أن المشركين المجرمين في الدنيا في ضلال وجنون لا يعقلون ولا يهتدون إلى الحق، وفي الآخرة في سَعَرٍ ونيران.^٤

ويقال لهم ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ وَيُجْرَوْنَ ﴿فِي النَّارِ﴾ بَعْنُ ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أيها المجرمون ﴿ذُوقُوا﴾ وأدركوا أكمل الإدراك ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ ولمس نار جهنم وألمها. قيل: إن سَقَرَ عَلَمٌ لجهنم.^٥

وعن الصادق عليه السلام: «أَنْ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِيًا [للمتكبرين] يقال له سَقَر، شكا إلى الله شدة حره، وسأله أن يأذن له أن يتنفس، فتنفس فأحرق جهنم».^٦

ثم بين سبحانه كمال قدرته تهويل العباد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ وموجود في عالم الأجسام والأرواح والمُلْك والملكوت من الجواهر والأعراض نحن ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ وأوجدناه ﴿بِقَدَرٍ﴾ وحدد معين اقتضته الحكمة، مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وجوده.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٢٨٢.

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٧٤، تفسير روح البيان ٩: ٢٨٢.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٧١.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٦٨.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٧٤، تفسير روح البيان ٩: ٢٨٣.

٦. عقاب الأعمال: ٢٢٢، تفسير روح البيان ٥: ١٠٤.

في الحديث: «كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»^١.

وقيل: إن المراد بالقدر القدر المستعمل في جنب القضاء والقضاء علمه بصلاح إيجاد الموجودات المكتوب في اللوح المحفوظ والقدر إرادة إيجاد كل موجود^٢.

عن النبي ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثت بالحق، ويؤمن بالبعث، ويؤمن بالقدر خيره وشره»^٣.

أقول: الظاهر أن المراد الايمان بأن كل ما يوجد بإرادة الله.

وعنه ﷺ: «القدرُ خيرُهُ وشرُّهُ من الله»^٤.

قل: إن أكثر المفسرين اتفقوا على أن آية: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ نزلت في القدرة^٥. وعن أبي هريرة، قال: جاء مشركو قريش يُخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فانزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^٦.

وعن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «مجوس هذه الأمة القدرة» وهم المجرمون الذين سبّاهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾^٧.

وعن الصادق عليه السلام قال: «إن القدرة مجوس هذه الأمة، وهم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعبده فأخرجوه عن سلطانه، وفيهم نزل ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾»^٨.

وسئل عن الرُّقَى^٩ أتدفع من القدر شيئاً؟ فقال: «هي من القدر»^{١٠}.

وعنه عليه السلام قال: «ما أنزل الله هذه الآيات إلا في القدرة ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾»^{١١}.

وعن الباقر عليه السلام: «نزلت هذه الآية في القدرة ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»^{١٢}.

وعن الصادق عليه السلام قال: «وجدت لأهل القدر اسماً في كتاب الله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله:

﴿بِقَدَرٍ﴾ قال: «فهم المجرمون»^{١٣}.

أقول: مقتضى قول الصادق عليه السلام: «هم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعبده، فأخرجوه من سلطانه» كون

١. تفسير روح البيان ٩: ٢٨٤.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٢٨٤.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٢٨٤.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٨٤.

٥. تفسير الرازي ٢٩: ٦٩.

٦. التوحيد: ٢٩/٣٨٢، تفسير الصافي ٥: ١٠٥.

٧. الرُّقَى: جمع رُقِيَّة، وهي المعوذة التي يُرَقَى بها.

٨. بحار الأنوار ٥: ٢٤/٩٨.

٩. عقاب الأعمال: ٢١٢، تفسير الصافي ٥: ١٠٥.

١٠. عقاب الأعمال: ٢١٣، تفسير الصافي ٥: ١٠٥.

١١. تفسير القمي ٢: ٣٤٢، تفسير الصافي ٥: ١٠٥.

المعتزلة القائلين بأن العبد مستقل في أفعاله، ولا يقدر الله على منعه منها وصرفه عنها، هم القدرية، لأنهم اشركوا بالله خلقه في أفعالهم.

ومقتضى حديث أمير المؤمنين عليه السلام مع الشيخ الذي منعه عن المسير إلى الشام - حيث قال: أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا إلى الشام، ألقضاء^١ من الله وقدر؟ فقال علي عليه السلام: «يا شيخ، ما علوتم تلعة، ولا هبطتم بطن وادٍ، إلا بقضاء من الله وقدر».

فقال الشيخ: عند الله أحسب عنائي.

فقال علي عليه السلام: «وتظنُّ أنه قضاءٌ حتمٌ، أو قدر لازمٌ، لا إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي، والزجر من الله، وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة من الله للمذنب، ولا مَحْمُدة للمُحسِن، تلك مقالة عبدة الأوثان، ونُخصماء الرحمن، وقدرية هذه الأمة»^٢. أن الأشاعرة القائلين بأن أفعال العباد مخلوقة لله.

وقال بعض الأفاضل: «تلك مقالة عبدة الأوثان» إشارة إلى الأشاعرة. وقوله: «قدرية هذه الأمة» إشارة إلى المعتزلة^٣.

وقال بعض الأجلة: «القدرية هم المنسوبون إلى القدر، ويزعمون أن كلَّ عبد خالق فعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله ومشيئته، فُتسبوا إلى القدر لأنه بدعتهم وضلاتهم»^٤.

وقال شارح (المواقف): قيل: القدرية هم المعتزلة لاسنادهم أفعالهم إلى قدرتهم.

وفي الحديث: «لا يدخل الجنة قدرى، وهو الذي يقول: لا يكون ما شاء الله، ويكون ما شاء إبليس».

وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلَمَحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ *
وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ * إِنَّ الْأُمْتَقِينَ فِي
جَنَابٍ وَنَهْرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ [٥٠-٥٥]

ثم بين سبحانه كمال قدرته بقوله: ﴿وَمَا أَمَرْنَا﴾ لشيء إذا تُريد إيجاده ﴿إِلَّا﴾ كلمة ﴿وَاحِدَةً﴾ لا تكرر فيها، وهي كلمة (كن) التي يعبر بها عن الإرادة التكوينية، فاذا يكون الشيء المراد وجوده ويوجد بسرعة ويسير ﴿كَلَمَحٍ﴾ ونظير سريع ﴿بِالْبَصَرِ﴾.

قيل: لما اشتملت الآيات السابقة على وعيد الكفار بالهلاك عاجلاً وآجلاً، والوعد للمؤمنين

بالانتصار منهم جيء بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ تأكيداً للوعيد والوعد، يعني أن الوعيد والوعد حقٌ وصدق، والموعود مثبت في اللوح المحفوظ، مقدّر عند الله، لا يزيد ولا ينقص، وذلك على الله يسير، لأن قضاءه في خلقه أسرع من لمح البصر^١.

﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَانُوا أَكْفَرًا﴾ بأنواع العذاب في الأعصار السابقة ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ وأشباهكم في الكفر والطغيان من الأمم الذين كانوا أقوى منكم ﴿فَقَهْلٌ﴾ فيكم أيها الكفار الحاضرون ﴿مِنْ مُذْكَرٍ﴾ ومتعظ بما نزل عليهم ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ وعمل من الكفر والعصيان ﴿فَعَلُوهُ﴾ في الليل والنهار والخلوة والجلوة مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ ودواوين الحفظة الكرام البررة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ﴾ من أعمالهم وأعمال غيرهم في مدة أعمارهم ﴿وَكَبِيرٍ﴾ منها، كل بتفاصيلها ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ ومثبت في كتاب لا يترك كتب عمل صغير لصغيره، ولا كبير للاعتقاد بعدم نسيانه.

رُوي أن النبي ﷺ ضرب لصغائر الذنوب مثلاً، وقال ﷺ: «إِنْ مِثْلَ مُحْضَرَاتِ الذُّنُوبِ كَمِثْلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بِقَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَحَضَرَ جَمِيعُ الْقَوْمِ، فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحِطُّ بِفَعْلِ الرَّجُلِ يَحْيَى بِالْعُودِ وَالْآخِرَ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، وَأَجْبُوا نَارًا، فَشَوْوا خُبْزَهُمْ، وَإِنْ ذَنْبُ الصَّغِيرِ يَجْتَمِعُ عَلَى صَاحِبِهِ فَيَهْلِكُهُ، إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ، اتَّقُوا مُحْضَرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنْ اللَّهِ طَالِبًا»^٢.

ثم إنه تعالى بعد بيان سوء حال الكفار في الآخرة، وأنهم يُسحبون على وجوههم في النار، بين حسن حال المتقين والمحتريين من الكفر والعصيان بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَمُتِّينَ﴾ والمعرضين عن الكفر والعصيان في الدنيا مستقرّون في الآخرة ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ وبساتين كثيرة الأشجار، لا يُوصف حسنها ونظارتها ونعمها ﴿وَوَيْلٌ﴾ في خلال «نهر» أعظم الأنهار وأصفاهها، جارٍ من الكوثر على قول، أو من عين الرضوان على آخر^٣.

وقيل: إن المراد من النهر جنسه، وإفراده لرعاية الفواصل^٤.

وهو قاعد ﴿فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ﴾ ومجلس صالح مرضي، أو مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وكان ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ وسلطان عظيم الشأن، وفي قرب من مالك الملوك ﴿مُقَدَّرٍ﴾ لا نهاية لقدرته ومملكه وسلطانه، فأني منزلة أكرم من تلك المنزلة، وأجمع للغبطة والسعادة، وألذ واشرف منها. عن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة (اقتربت) أخرجه الله من قبره على ناقه من ثوق الجنة»^٥.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٢٨٥.

١. تفسير روح البيان ٩: ٢٨٤.

٤. تفسير أبي السعود ٨: ١٧٥، تفسير روح البيان ٩: ٢٨٥.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٧٩.

٥. ثواب الأعمال: ١١٦، مجمع البيان ٩: ٢٧٩، تفسير الصافي ٥: ١٠٥.



في تفسير سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْقَبَائِلَ [١-٤]

ثم لما ختم سبحانه سورة القمر المبتدئة باظهار المهابة بالإخبار باقتراب الساعة، وذكر أعظم معجزات النبي ﷺ وهو انشقاق القمر، وتكرار ذكر تسهيل نعمة القرآن للذكر والاعتاظ به، وتكرار شدة عذابه وكثرة إنذاره بقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾^١ مرة بعد مرة، وتعداد ما نزل على الأمم السالفة من أنواع العذاب، وختمها بذكر أسمائه الدالة على كمال عظمته واقتداره المشعر بشدة انتقامه، نُظِمَت سورة الرحمن المبتدئة باظهار كمال رحمته، وذكر أعظم المعجزات العقلية لنبيها، وهو تعليم القرآن الذي فيه صفاء القلوب وشفاء الصدور، وتكرار تذكير آلائه ونعمه بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾^٢ وتعداد تفصيل نعمه الدنيوية والأخروية على المؤمنين، فابتدأها بذكر الأسماء المباركات بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم أعلن برحمته الواسعة لجميع الموجودات بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ والذات العطوف على جميع الخلق بالايجاد أولاً، والرزق وتهينة أسباب البقاء ثانياً، وموجبات السعادة والهداية ثالثاً. وإنما خص هذا الاسم الاعظم بذاته المقدسة بحيث لا يجوز إطلاقه على غيره، لكون سائر أسمائه تحت هذا الاسم، ولا يكون أحد قابلاً لتسميته به، كاسم الله الدال على الذات، والمستجمع لجميع الصفات الكمالية، ولذا أقرنهما في قوله: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾^٣.

ثم شرع سبحانه في تعداد نعمه الدنيوية والأخروية والجسمانية والروحانية اللاتي كلها من شؤون الرحمانية، ولما كان أعظمها قدراً وأرفعها شأنًا القرآن الذي هو مدار السعادة الدنيوية والأخروية، ومظهر لحقائق الكتب السماوية، ومناطق لكون سائر النعم نعماً، بدأ بإظهار المنّة بتعليمه بقوله: ﴿عَلَّمَ﴾ بتوسط جبرئيل محمداً ﷺ، وبتوسطه غيره ﴿الْقُرْآنَ﴾ العظيم الشأن.

١. الإسراء: ١٧/١١.

٢. الرحمن: ٥٤/١٣.

٣. القمر: ٥٤/١٦.

قيل: يعني الذي علّم آدم الأسماء وفَضّله بها على الملائكة، هو الذي علّمكم القرآن، وفَضّلكم به على جميع الأمم^١.

وقيل: إنّ المعنى جعل القرآن علامةً لنبوّة محمد ﷺ ومعجزةً له، كما جعل شق القمر الذي أخبر به في أوّل السورة السابقة علامةً لنبوته ومعجزةً له^٢.

وقيل: إنّ المراد أنّه تعالى علّم القرآن أولاً ملائكته المقرّبين^٣، ثمّ بيّن أنّه علّمه ثانياً الإنسان بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾. قيل: إنّ المراد جنسه^٤، وقيل: إنّ المراد محمد^٥. و﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وهو القرآن الذي فيه تبيان كلّ شيء.

وقيل: إنّّه تعالى ذكر أولاً أعظم النعم، وهو تعليم القرآن^٦، ولم يذكر من علمه لعظم نعمة التعليم، ثمّ بيّن من علمه بقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ثمّ بيّن كيفية تعليمه بقوله: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وطريق كشف ما في الضمير بالنطق وفهمه، والحق أنّ المراد تعداد عظام نعمه على الإنسان ومطالبتة بالشكر فذكر أولاً أعظم النعم التي لا نعمة لأحدٍ مع فقدها، ثمّ أعظم النعم الداخلية بعدها، وهو نعمة وجود الإنسان، ثمّ أعظم النعم بعد نعمة الوجود، وهو نعمة البيان والمنطق، فإنّه به يمتاز عن غيره من الحيوانات.

الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ [٦٥ و ٦٦]

ثمّ ذكر بعد النعمتين الداخلتين نعمتين خارجتين ظاهريتين سماويتين بقوله: ﴿الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ بجرّيهما ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ وحركات مقدّرة في بُرجهما ومنازلهما، آتيتين لها في فلكيهما، بحيث يتنظم بها أمور العالم السفلى، وتختلف الفصول والأوقات، ويُعلّم بها السنين والشهور، مع أنّ لوجودهما وكونهما فوق الأرض منافع مهمّة لا تُحصى، كزوال الظلمة، وتربية الأجسام، وتنمية النباتات والأشجار، وتربية المعادن والزراعات، ونضج الثمار وغير ذلك.

ثمّ بيّن نعمتين ظاهريتين أرضيتين، بهما بقاء الإنسان والحيوان ومعاشهما بقوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ وهو النبات الذي لا ساق له، كالبقول والحشيش والعُشب المنبسطة على الأرض ﴿وَالشَّجَرُ﴾ وهو النبات الذي له ساق كالحنطة والشعير والشجر والنخل وغيرها ﴿يَسْجُدَانِ﴾ ويتقادان لأمره تعالى وإرادته

١. تفسير روح البيان ٩: ٢٨٨.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٨٤.

٥. تفسير الرازي ٢٩: ٨٥.

٧. في النسخة: الذي.

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٨٢.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٨٥، تفسير روح البيان ٩: ٢٨٩.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ٨٥.

انقياد الساجد، وقيل: إن المراد من سجودهما سجود ظلالهما. وقيل: غير ذلك.^١
 وإخلاء الجملة الأولى عن العاطف، لكون النظر فيها إلى تعداد النعم، وذكره في هذه الجملة لتناسبها مع سابقتها من حيث التقابل؛ لأن الشمس والقمر علويان، والنجم والشجر سفليان، وكون فعل الجميع من الجريان والسجود من باب الانقياد لأمر الله، وإنما قدم النجم لمناسبته اللفظية مع الشمس والقمر، ولأن حال السجود فيه أظهر لانبساطه على الأرض، كما أن تقديم الشمس على القمر لأشرفيتها منه، ولأن الحساب فيها أظهر.

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ [٧-٩]

ثم ذكر واحداً من نعمه المهمة السماوية بقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ المُنطَلَّة ﴿رَفَعَهَا﴾ وخلقها فوق الأرض، لتكون سقفاً محفوظاً. وقيل: أريد من رفعها رفع رتبها، لكونها محل ملائكته، ومنشأ أفضيته، ومنتزل أوامره وأحكامه.^٢

ثم ذكر واحداً من نعمه المهمة الأرضية بقوله: ﴿وَوَضَعَ﴾ في الأرض، وجعل فيها ﴿الْمِيزَانَ﴾ لتعيين الحقوق وتسويتها، ولولاه لوقع بين الناس العداوة والبغضاء، فإن العدل سبب لبقاء عِمارَةِ العالم، وأخص أسبابه الميزان، ولذا عدّه من النعم العظيمة، فكأنه قال: نشر سبحانه العدل الذي أخص أسبابه الميزان، وإنما جعل ذلك لأجل ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ ولا تتجاوزوا عن الحدّ الواجب من الحقوق ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ بأن لا تنقصوا من حق الغير، ولا تتعدّوا على الغير بأخذ الزائد عن حَقِّكم. ثم قرّر سبحانه ذلك بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ﴾ وداروا معرفة قدر الحقوق ﴿بِالْقِسْطِ﴾ والعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا﴾ ولا تنقصوا ﴿الْمِيزَانَ﴾ قيل: لا تنقصوا الموزون في الميزان، وإنما كرّر لفظ الميزان تشديداً للصيغة به، وحثاً على استعماله.^٣

وقيل: إن لفظ (ميزان) أريد به في كلّ آية معنى، ففي الآية الأولى أريد به الآلة أو العدل، وفي الثانية أريد به الوزن أو الآلة، وفي الثالثة أريد به الموزون.^٤

وعن الرضا عليه السلام - في تأويل الآيات وبيان بطنها في رواية - قيل له: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾؟ قال: «ذلك أمير المؤمنين عليه السلام» قيل: ﴿عَلَّمَهُ الْكِتَابَ﴾؟ قال: «علّمه بيان كلّ شيء يحتاج إليه الناس».

٢. تفسير أبي السعود ٨: ١٧٧، تفسير روح البيان ٩: ٢٩.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٨٩.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ٩٠.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٧٧.

٣ و ٤. في النسخة: عن.

قيل: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» قال: «هما بعذاب الله». قيل: الشمس والقمر يُعَدَّبان؟ قال: «سألت عن شيءٍ فأنته، إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره، مطيعان له، ضوءهما من نور عرشه، وحرَّهما من جهنم، فإذا كانت القيامة عاد إلى العرش نورهما، وعاد إلى النار حرَّهما، فلا يكون شمس ولا قمر، وإئتما عناهما لعنهما الله، أو ليس قد روى الناس أن رسول الله ﷺ قال «الشمس والقمر نوران في النار» قيل: بلى. قال: «أما سَمِعْتَ قول الناس: فلان وفلان شمسا هذه الأمة ونورهما؟ فهما في النار، والله ما عنى غيرهما».

قيل: «النَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ»؟ قال: «النجم: رسول الله ﷺ، وقد سَمَّاهُ الله في غير موضع فقال: «وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ»^١ وقال: «وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»^٢ فالعلامات الأوصياء، والنجم رسول الله ﷺ». قيل: «يَسْجُدَانِ»؟ قال: «يَعْبُدَانِ».

قيل: «وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ»؟ قال: «السماء: رسول الله ﷺ، رفعه الله إليه، والميزان: أمير المؤمنين عليه السلام، نصبه في خلقه».

قيل: «أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ»؟ قال: «لا تعصوا الامام». قيل: «وَأَقِيمُوا الزُّنْنَ بِالْقِسْطِ»؟ قال: «أقيموا الامام بالعدل». قيل: «وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ»؟ قال: «لا تخسروا الإمام حقَّه ولا تظلموه»^٣ الخبر.

وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ [١٠ و ١١]

ثم بعد المنة بذكر وضع الميزان من سبحانه على الناس بذكر وضع الأرض بقوله تعالى: «وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا» وبسطها لتكون مهاداً و فراشاً «لِلْأَنَامِ» من الجن والانس على قول^٤. وعن الرضا عليه السلام قال: «للناس»^٥. وقيل: إن الأرض موضوعة لكل ما عليها، وإئتما خصَّ الانسان بالذكر، لأن انتفاعه بها أكثر^٦.

قيل: كلما كان من النعم العظام مختصاً بالانسان، قدَّم سبحانه الفعل بالآية كقوله: «عَلَّمَ الْقُرْآنَ» * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ أَنْبَاءً * وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * وكلما لم يكن مختصاً بالانسان، أو لم يكن نفعه عظيماً كثيراً، قدَّم الاسم كقوله: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» إلى قوله: «وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ» فإن نفع الأرض مشترك بين الانسان وسائر الحيوانات^٧.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٤٣، تفسير الصافي ٥: ١٠٧.

٢. النحل: ١٦/١٦.

١. النجم: ١/٥٣.

٥. تفسير القمي ٢: ٣٤٣، تفسير الصافي ٥: ١٠٨.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٩١.

٧. تفسير الرازي ٢٩: ٩٢.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ٩٢.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ وأشجار كثيرة تلتذّ النفوس بشمارها الطيبة ﴿و﴾ فيها ﴿النَّخْلُ﴾ بأصنافها، وإنما نكّر الفاكهة لإظهار قلّة نفعها بالنسبة إلى النخل، أو للإشارة إلى كثرة أنواعها، وإنما ذكر الفاكهة دون شجرها بخلاف النخل فإنّ منافعها كثيرة جداً.

ثمّ نبّه سبحانه على تكميل نعمة النخل بتوصيفها بقوله: ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ والأوعية للتمر، فإنّ في جعل ثمارها في الأوعية سهولة جمعها والانتفاع بها، حيث إنّ النخل شجرة عظيمة لا تسقط ثمارها بهزّها، فلا بدّ من قطفها، فلو كان حبّات ثمرها متفرقة لصعب قطفها واحدة بعد واحدة^١، فجعله الله في وعاء إذا اقتطف ذلك الرعاء والكمّ اقتطف قدر كثير من الرطب والتمر.

وقيل: إنّ الكمّ بالضمّ: كلّما يغطّي النخل من ليف وسعف وغيرهما^٢، فانه يستفّع به كما يستفّع بجذوعهما.

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٢ و ١٣)

ثمّ ذكر سبحانه بعد نعمة الأشجار نعمة الزرع، ارتقاء من النعمة الأنزل وهي الفاكهة والنخل إلى النعمة الأعلى بقوله: ﴿وَالْحَبُّ﴾ من البزّ والشعير والأرز وغيرهما ممّا يقتات به أو يؤدّم به ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ والطين، كما عن الرضا عليه السلام^٣. ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ قيل: إنّ الريحان هنا بمعنى الرزق، كما عن ابن عباس^٤. وقيل: إنّ الحبّ المأكول^٥. وقيل: إنّ كلّما طابت رائحته من النباتات^٦. وقيل: هو الريحان المعروف، فإنّ بزره من الأدوية النافعة، فالعصف علف الدواب والريحان دواء الانسان^٧.

ثمّ إنّ تعالى بعد تعداد نعمه طالب من الثقلين الإقرار بنعمه والشكر عليها بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ أيّها الجنّ والانس، وبأي النعم الظاهرة والباطنة التي أنعم عليكم ما لكم وما لم يكن لكم ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ وتكفران؟ عن الصادق عليه السلام^٨ - في تأويل الآية - «فبأي النعمتين تكفران؟ بمحمد ﷺ أم بعلي عليه السلام^٩». وفي رواية (الكافي): «أبالنبي، أم بالوصي»^{١٠}.

عن جابر، أنّه قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمتها، ثمّ قال: «مالي أراكم سكوتاً؟ فإنّ الجنّ أحسن منكم رداً ما قرئت عليهم هذه الآية مرة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: لا بشيء من نعمك ربّنا نكذب، فله الحمد»^{١١}.

١. في النسخة: واحداً بعد واحد.
٢. تفسير أبي السعود ٨: ١٧٨.
٣. تفسير القمي ٢: ٣٤٤، تفسير الصافي ٥: ١٠٨.
٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٩٢.
٥. تفسير القمي ٢: ٣٤٤، تفسير الصافي ٥: ١٠٨.
٦. تفسير الرازي ٢٩: ٩٤.
٧. الكافي ١: ٢/١٦٩، تفسير الصافي ٥: ١٠٨.
٨. تفسير روح البيان ٩: ٢٩٣، وفيه: فلك الحمد.
٩. تفسير أبي السعود ٨: ١٧٨.

وقيل: إن الخطاب للعدو والولي بقوله ﴿فَبَآئِيَ آلَهُ رَبُّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾. وقيل: إن الخطاب للذكر والأنثى. وقيل: غير ذلك^١.

قيل: كُثِّرَت الآية في هذه السورة المباركة إحدى وثلاثين مرة، ثمان منها بعد تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم مبالغة في الحث على الشكر، ثم سبع منها غريب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم، وذكر الآلاء عقيبها؛ لأن في التخويف بها والبعث على دفعها نعمة تُوازى النعم المذكورة، أو لأن ابتلاء الأعداء بها نعمة على المؤمنين، ثم ثمان منها بعد ذكر الجنات ونعمها على عدد أبواب الجنة، وثمان منها بعد ذكر الجنتين اللتين دونها ونعمها^٢.

وقيل: إنما التفت سبحانه من الغيبة إلى الخطاب، لكونه أبلغ في التقرع والزجر عن الكفران والتكذيب، حيث إنه تعالى تبه المكذب الغافل على أنه كالواقف بين يدي ربه، وهو يقول له: إنني أنعمت عليك بكذا وكذا، فكيف تكذب نعمائي؟ ولاشك أن المكذب يكون عند ذلك أشد استحياء^٣، وأما وصف سبحانه ذاته المقدسة بالربوبية في الآية، لكونه المناسب لتعداد نعمائه التي من شؤون ربوبيته.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ * فَبَآئِيَ آلَهُ رَبُّكُمْ تَكْذِبَانِ [١٤-١٦]

ثم لما ذكر سبحانه نعمة خلق الإنسان وبسط الأرض لأنتفاع الجن والإنس، ذكر مبدأ خلقهما إظهاراً لكمال قدرته، وبياناً لاتمام نعمته بقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أولاً وفي البدو ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ وطينٍ نثني أو يابس، له صليلٌ وصوتٌ إذا وقع بعضه على بعض ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ والطين المطبوخ بالنار، فإن مبدأ خلق آدم من تراب جعله طيناً، ثم صيره حمأً مسنوناً، ثم صيره صَلْصَالاً ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ وهو أبو الجن، أو جنسه ﴿مِنْ مَّارِجٍ﴾ وخالص ﴿مِنْ نَّارٍ﴾ لا يخالطها دُخانٌ، أو من مختلطٍ منها بالدخان، أو الهواء. قيل: خلق الجن من عُصْصِرِينَ: النار والهواء، وخلق الإنسان من عُصْصِرِينَ: التراب والماء^٤.

وعن مجاهد: المارج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار^٥.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٢٩٣.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٢٩٤.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٩٥.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٩٦.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٢٩٤.

ثم أنكر سبحانه عليهما الكفران لنعمه بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ أيها الجنّ والانس ﴿تُكَذَّبَانِ﴾ وتكفّران؟

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالزَّيْتُونَ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ [١٧-٢٣]

ثم من المعلوم أن الرب الذي له هذه المَرتبة من القدرة لا يختص ربوبيته بكما، بل هو ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الصيف ومشرق الشتاء، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام، أو مشرق الشمس ومشرق القمر.

وعن الصادق عليه السلام: «تأويل المشرقين برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام»^٢.

﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ لكل من المشرقين، وعنه عليه السلام: «المغربين الحسن والحسين عليه السلام»^٣.

ومن المعلوم أن لازم ربوبيته لها ربوبيته لجميع ما بينها من الموجدات والنعم التي لا تُحصى ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ ونعمه أيها الثقلان ﴿تُكَذَّبَانِ﴾ وأيها تُنكران؟

ثم لما ذكر الشمس والقمر اللذين لهما جريان، ذكر نعمة البحر الذي له جريان بقوله: ﴿مَرَجَ﴾ وأرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ بحر السماء وبحر الأرض، أو بحر العذب وبحر الملح الأجاج، أو بحر الروم وبحر فارس أحدهما إلى الآخر بحيث ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ ويتماس سطحاهما، أو بحيث يكون من شأنهما الالتقاء والاختلاط، ومع ذلك ﴿بَيْنَهُمَا﴾ في الواقع من الأرض أو غيرها بقدرة الله ﴿بَرْزَخٌ﴾ وحاجزٌ ومانع من الاختلاط.

قيل: إن الماء ينجذب بعضه إلى بعض كأجزاء الزئبق^٤. ولذا لا يكون له إلا حيزٌ ومكانٌ واحدٌ، فلذا من طبع البحرين وشأنهما أن يلتقيا ويختلطا، ومع ذلك يبقى كلٌّ في مكانٍ متميزٍ لمانعٍ جعله الله بقدرته الكاملة، وقد رؤي في صورة جريان الماء العذب في الماء المالح أو بالعكس، وفي جريان الماء الصافي في الماء المختلط بالطين وبالعكس، لا يختلطان في مقدارٍ من الزمان أو مطلقاً، لمانعٍ جعله الله بينهما بقدرته، كقطعةٍ من الأرض ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ ولا يتجاوزان حديهما حتى يمتزجا أو يُغرِقا ما بينهما من الأرض، ولا يطلبان غير ما قُدرَ لهما.

٢. تفسير القمي ٢: ٣٤٤، تفسير الصافي ٥: ١٠٨.

١. الاحتجاج: ٢٥٩، تفسير الصافي ٥: ١٠٨.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ١٠٠.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٤٤، تفسير الصافي ٥: ١٠٨.

﴿فَبَآئِيَ آلَهُ رِيحًا تَكْذِبَانِ﴾ مع أنه ليس شيء مما ذكر قابلاً للتكذيب لظهوره وظهور منافعه ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ﴾ وهو الكيار من الدرّ ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ وهو صفاره، أو الخرز الأحمر.

قيل: إن المشهور بين الغواصين أنهما يخرجان من البحر الأجاج، من الموضع الذي يقع فيه النهر من الماء العذب^١.

وعن ابن عباس: أنه يكون اللؤلؤ والمرجان في البحر بنزول المطر، لأن الصدف تفتح أفواهها للمطر^٢.

وعن الصادق عليه السلام عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ قال: «من ماء السماء، ومن ماء البحر، فإذا أمطرت فتحت الأصداف أفواهها [في البحر] فيقع فيها من ماء المطر، فيخلق اللؤلؤ، الصغير من القطرة الصغيرة، واللؤلؤ الكبير من القطرة الكبيرة»^٣.

أقول: ويؤيد ذلك ما أشتهر من أنه إذا أجذبت السنة هزّلت الحيتان وقلّت الأصداف والجواهر.

ذكر متقبة علي وعن الصادق عليه السلام في بيان بطن الآية قال: «علي وفاطمة عليهما السلام بحران يلتقيان، لا يبغي وفاطمة وبنهما عليهما السلام أحدهما صاحبه ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾» قال: «الحسن والحسين عليهما السلام»^٤.

وقال العلامة في (نهج الحق) روى الجمهور عن ابن عباس، أنه قال: البحرين علي وفاطمة عليهما السلام ﴿الحسن والحسين، ولم

١. تفسير روح البيان ٩: ٢٩٥.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٢٩٦.

٣. قرب الاستناد: ٤٨٥/١٣٧، تفسير الصافي ١٠٩: ٥.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٤٤، تفسير الصافي ١٠٩: ٥.

خديجة بفاطمة كانت فاطمة عليها السلام تحدّثها من بطنها، وتونسها في وحدتها، وكانت تكتم ذلك عن رسول الله ﷺ، فدخل النبي ﷺ يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة، فقال لها: «يا خديجة، لمن تحدّثين؟» قالت: أحدث الجنين الذي في بطني، فأنه يُحدّثني ويؤنّسني. قال: «يا خديجة، أبشري فأنت أنثى، وإنّها النسلة الطاهرة الميمونة، فإن الله تعالى قد جعلها من نسلي، وسيجعل من نسلها خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه».

فما برح ذلك النور يعلو، وأشعته في الافاق تنمو، حتى جاءه المَلَك فقال: يا محمد، أنا الملك المحمود، وإن الله بعثني أن أزوّج النور من نور. فقال رسول الله ﷺ: «ممن» قال: علي من فاطمة، فإن الله قد زوّجها من فوق سبع سمواته، وقد شهد ملاكها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في سبعين ألفاً من الكروبين، وسبعين ألفاً من الملائكة الكرام الذين إذا سجد أحدهم سجدة لا يرفع رأسه إلى يوم القيامة، أوحى الله تبارك وتعالى إليهم: أن ارفعوا رؤوسكم، واشهدوا ملاك علي بفاطمة، فكان الخاطب جبرئيل، والشاهدان ميكائيل وإسرافيل.

ثم أمر الله عز وجل بحور العين أن يحضرن تحت شجرة طوبى، وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثري ما فيك، فثرت ما فيها من جوز ولوز وسكر، فاللوز من دُرّ، والجوز من ياقوت، والسكر من سكر الجنة، فالتقطته حور العين، فهو عندهن في الاطباق يتهادينه، يقُلن: هذا من نثار تزويج فاطمه بعلي.

فعند ذلك أحضر النبي أصحابه، وقال: «أشهدكم أنّي زوّجت فاطمة من علي» فلما التقى البحرين: بحر ماء النبوة من فاطمة، وبحر ماء الفتوة من علي كرم الله وجهه، هناك «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ» بَرْزَخُ التقوى، لا يبغي علي عليه السلام على فاطمة بدعوى، ولا فاطمة على علي عليه السلام بشكوى «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» اللؤلؤ الحسن، والمرجان: الحسين عليه السلام، فجاء السبطين شهيدين حبيبين إلى سيد الكونين، فهما روحاه وريحانته، كلّما راح عليهما وارتاح إليهما يقوله: «هذان ريحانتي من الدنيا» وكلّما اشتاق إليهما يقول: «ولداي هذان سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما» وفاطمة بضعة مني يربيني ما رابها، ويؤذيها ما يؤذيها، ويسرنني ما يسرها «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ١.

ثم قال القاضي رحمته: وبه ظهر أيضاً وجه كون النبي ﷺ بَرْزَخاً بينهما، فإن وجوده ﷺ مؤكّد لعصمتها وعدم صدور خلاف الأولى من أحدهما على الآخر ٢.

وقال شارح (نقش الفصوص في شرح كلمة حكمة إلهية في كلمة آدمية) على ما حكاه القاضي رحمته قالوا: الانسان الكامل البرزخ بين البحرين، والحاجز بين العالمين، وإليه الإشارة بقوله سبحانه: ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾^١.

وقال إسماعيل حقي في (تفسير روح البيان) قيل: البحرين علي وفاطمة رضي الله عنهما، والبرزخ النبي عليه السلام ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين رضي الله عنهما، انتهى^٢.
ثم طالب سبحانه بعد ذكر النعمة العظيمة الشكر عليها، وأنكر الكفران بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [٢٨-٢٤]

ثم بعد ذكر نعمة البحر ذكر سبحانه نعمة السفن بقوله: ﴿وَلَهُ﴾ تعالى السفن ﴿الْجَوَارِ﴾ والسائرات و﴿الْمُنشَآتُ﴾ والمخلوقات لرفع العباد، أو مرفوعات الشراع، أو المرفوعات على الماء ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ وهن في الارتفاع والعظمة ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ والجمال الطوال، فالسفن في البحر كالجمال، كما أن الابل في البر كالسفن في البحر.

ثم لما كان في خلق مواد السفن وأجزائها، والأرشاد إلى تركيبها وصنعها، وإجرائها في البحر بقطع المسافات البعيدة في الأوقات القليلة، وحمل الأشياء النافعة الكثيرة إلى البلاد النائية، وتيسير المعاملات والتجارات بسببها، نعم عظيمة لا مدخل لغير الله تعالى فيها، حت الثقلين على الإقرار بها وشكرها بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ثم لما ذكر سبحانه البحر الذي هو من المهالك للبشر؛ وبته على أن النجاة منه بالسفن من نعم الله تعالى، بته سبحانه على أنه ليس لأحد أن يغتر بالنجاة من المهالك في مدة عمره المقدّر له، فإن مآل كل أحد إلى الفناء والموت بقوله: ﴿كُلُّ مَنْ﴾ تمكّن في الأرض، واستقرّ عليها من الموجودات: العقلاء وغيرهم ﴿فَانٍ﴾ وزائل من وجه الأرض لا محالة، فلا يغترّ العاقل ببقائه في الدنيا وبقاء ماله من الصحة والعز والغنى والمال والولد، فإن الذي يدوم ﴿وَيَبْقَى﴾ ولا يزول ولا يفنى ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أيها الانسان وذاته المقدّسة عن الحاجة والنقص الامكانية، ووجوده المنزّه عن شوب العدم

والعوارض الجسمانية والروحانية، المتّصف بصفة الربوبية التي من شؤونها الإنعام على خلقه، والاحسان على عباده، فذلك الباقي بعد فناء كل شيء، والمنعم على ما سواه، وهو ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ والعظمة التي لا نهاية لها ﴿وُ﴾ ذو ﴿الْإِكْرَامِ﴾ والفضل الذي لا حد له ولا إحصاء، فعلى الخلق أن يخضعوا له ويتضرّعوا إليه.

عن الجواد عليه السلام في حديث: «وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصور والهجاء والتقطيع^١، ولا يزال من لم يزال عالماً»^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «وَيَقَعُ وَجْهُ رَبِّكَ» نحن وجه الله»^٣.

وعن السجاد عليه السلام: «نحن وجه الله الذي يؤتى منه»^٤.

قيل: إن وصفه بالوصفين مرتّب على الأمرين السابقين، فذو الجلال مرتّب على فناء ما في الأرض، وذو الإكرام مرتّب على بقاءه بعد فناء كل شيء، فيوجد من يريد ويُفيض عليه بعد إعادته أنواع رحمته ونعمه^٥.

ثم لما كان الموت والخروج من الدنيا الدنية، والتنبيه على ذلك، والإعلام ببقاء ذاته المقدّسة وغاية عظمتها وإفضاله من النعم العظام، حتّى سبحانه على الإقرار بنعمه وشكرها بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [٢٩ و ٣٠]

ثمّ بيّن سبحانه سعة كرمه وإنعامه وكمال قدرته وجوده وغناه بقوله: ﴿يَسْأَلُهُ﴾ ويطلب منه ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ السبع من الملائكة وسائر الموجودات التي فيها ﴿وُ﴾ من في ﴿الْأَرْضِ﴾ من الانس والجنّ وسائر الحيوانات والموجودات بلسان الحال والمقال جميع ما يحتاجون إليه في بقائهم وكمالهم فيعطيهن ما يسألونه من خزائن كرمه.

عن ابن عباس: فأهل السماوات يسألونه المغفرة، وأهل الأرض يسألونه الرزق والمغفرة^٦، فهو ﴿كُلُّ

١. في النسخة: وينقطع، وفي التوحيد: ولا يتقطع، وما أثبتناه من الكافي، والمراد صور الحروف وهجاها وتقطيعها، كما في صدر الرواية.

٢. الكافي ١: ٧/٩١، التوحيد: ٧/١٩٣، تفسير الصافي ٥: ١١٠.

٣. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٢٧٢، تفسير الصافي ٥: ١١٠.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٤٥، تفسير الصافي ٥: ١١٠.

٥. تفسير الرازي ٢٩: ١٠٧.

٦. تفسير روح البيان ٩: ٢٩٩.

يَوْمٍ وَأَنْ كَانَتْ «هُوَ فِي شَأْنٍ» مِنْ شُؤْنٍ رَحْمَانِيَةٍ وَرَبُّوبِيَةٍ وَفِيَاضِيَةٍ، وَلَا يَشْفُلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ.
 عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ الرَّبَّ لَيَنْظُرُ إِلَى عِبَادِهِ كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَمِائَةِ وَسِتِينَ نَظْرَةً، يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيَحْيِي وَيُمِيتُ وَيَمُزُّ وَيَذَلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾».^١
 وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ».^٢
 عَنْ مِقَاتِلٍ، قَالَ: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي الْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْضِي يَوْمَ السَّبْتِ شَيْئًا، فَبِهَا رَدُّ لَهُمْ.^٣
 وَقِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: «هُوَ فِي شَأْنٍ» صِفَةُ الْيَوْمِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ فِي شَأْنٍ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي يُهْلِكُ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ، وَيَقُولُ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ﴾^٤ فَإِنْ فِيهِ لَا يَبْقَى أَحَدٌ يَسْأَلُهُ، فَهُوَ السَّائِلُ وَهُوَ الْمَجِيبُ.^٥
 أَقُولُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ إِخْبَارٌ بَعْدَ إِخْبَارٍ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ إِفَاضَتَهُ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ بِنِعْمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى، طَالِبُهُمُ بِالْإِقْرَارِ وَالشُّكْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

سَنَفَرُغُ لَكُمْ آيَةَ النَّقْلَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [٣١ و ٣٢]

ثُمَّ لَمَّا أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ بِتَوَجُّهِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَى شُؤْنِ خَلْقِهِ، أَخْبَرَ بِأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ يُصَرِّفُ عَنْ تِلْكَ الشُّؤْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى شُؤْنِهِمْ مِنَ الْحِسَابِ وَجِزَاءِ الْأَعْمَالِ بِقَوْلِهِ: «سَنَفَرُغُ لَكُمْ» وَعَنْ قَرِيبٍ نَتَجَرَّدُ عَنِ الْإِشْتَغَالِ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ لِحِسَابِ أَعْمَالِكُمْ وَمَجَازَاتِكُمْ عَلَيْهَا «آيَةَ النَّقْلَانِ» وَنَسْقِصُكُمْ أَتِيهَا الْجَنِّ وَالْإِنْسِ.

وَأَتِمَّا سَمِيًّا بِالثَّقَلَيْنِ لِرِزَانَةِ رَأْيِهِمَا عَلَى قَوْلٍ، أَوْ لَعَلُّهُمَا قُدْرُهُمَا فِي الْمَوْجُودَاتِ عَلَى آخِرٍ، أَوْ لِتَشْبِيهِ الْأَرْضِ بِالْحَمُولَةِ، وَجَعَلَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أَثْقَالًا مَحْمُولَةً عَلَيْهَا عَلَى ثَالِثٍ.^٦

وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَمِيًّا ثَقَلَيْنِ لِأَنَّهُمَا يَثْقُلَانِ بِالذُّنُوبِ».^٧

وَقِيلَ: إِنَّ الْكَلَامَ مَسْوُوقًا لِلتَّهْدِيدِ^٨ بِشِدَّةِ الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِهِمْ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ حَقِيقَةُ الْفَرَاغِ، فَإِنَّ السَّيِّدَ يَقُولُ عِنْدَ الْغَضَبِ لِعَبْدِهِ: سَأَفَرُغُ لَكَ، مَعَ كَوْنِهِ فَارِعًا جَالِسًا لَا يَمْنَعُهُ شُغْلٌ.^٩

ثُمَّ لَمَّا كَانَ تَعَذِيبُ الْكَفَّارِ فِي الْقِيَامَةِ، وَصَرَفَهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ نِعْمَةً عَظِيمَةً عَلَيْهِمْ، وَالتَّوْبِيهِ عَلَيْهِمَا

١. مجمع البيان ٣٠٦: ٩، تفسير روح البيان ٣٠٠: ٩.

٢. مجمع البيان ٣٠٦: ٩، تفسير الصافي ١١٠: ٥، تفسير روح البيان ٣٠٠: ٩.

٣. مجمع البيان ٣٠٦: ٩، تفسير الصافي ١١٠: ٥، تفسير روح البيان ٣٠٠: ٩، غافر: ١٦/٤٠.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ١٠٩.

٥. تفسير روح البيان ٣٠١: ٩.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ١١٠.

٧. تفسير روح البيان ٣٠١: ٩.

٨. تفسير الرازي ٢٩: ١١١.

نعمة عظيمة أخرى، حث الناس على الإقرار بها والشكر عليها بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [٣٤ و ٣٣]

ثم بيّن سبحانه لطفاً بالعباد بعض أهوال القيامة وشدائدها بقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وأيتها الجماعة العظيمة من الجنسين ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقدرتم ﴿أَنْ تَنْفُذُوا﴾ وتخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وجوانبهما وأطرافهما فراراً من عذاب الله ونكاله، وتهربوا من ملك الله وسلطانه ﴿فَانْفُذُوا﴾ أو اخرجوا فازين منه، ومن الواضح أنكم ﴿لَا تَنْفُذُونَ﴾ ولا تخرجون منهما ولا تتخلصون من أخذ الله وعذابه ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ وقوة وقهر، وأنى لكم ذلك؟ وإنما قدم الجن على الإنس لكونهم أقدم خلقاً، وأقوى نفوذاً، وأشد بطشاً من الإنس.

رؤي أنّ الملائكة تنزل وتُحيط بجميع الخلائق، فيهرب الإنس والجنّ، فلا يأتون وجهاً إلا وجدوا الملائكة أحاطت به، فيقول لهم الملائكة ذلك^١.

وعن (المجمع): قد جاء في الخبر: يُحاط على الخلق بالملائكة ولسانٍ من نار، ثم يُنادون: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ إلى قوله: ﴿شَواظٍ من نارٍ﴾^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد، وذلك أنه يُوحى إلى السماء الدنيا: أن أهبطي بمن فيك، فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلٍ من في الأرض من الجنّ والإنس والملائكة، فلا يزالون كذلك حتى يهبط^٣ أهل سبع سماوات، فيصير الجنّ والإنس في سبع سرادقات من الملائكة، ثم ينادي منادٍ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الآية، فينظرون فإذا أحاط بهم سبع أطواق^٤ من الملائكة»^٥.

ثم لما ذُكر قال سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة.

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
* فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ [٣٧ و ٣٥]

٢. مجمع البيان ٩: ٣١١، تفسير الصافي ٥: ١١١.

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٢.

٣. في النسخة: يحيط. ٤. في مجمع البيان: سرادقات.

٥. مجمع البيان ٩: ٣١١، تفسير الصافي ٥: ١١١.

ثم يقول المنادي لهم تهويلًا في ذلك اليوم: اليوم ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ يا عَصَا الجَنِّ والإِنس ﴿شَوَاطِئٌ﴾ وَلَهَبٌ عَظِيمٌ بلا دُخَانٍ مُتَصَاعِدٍ ﴿مِنْ نَارٍ﴾ لِيُسَوِّفَكُم إِلَى الْمَحْشَرِ، كما عن ابن عباس^١.
وقيل: إِنَّ الشَّوَاطِئَ هُوَ اللَّهَبُ الْمُخْتَلَطُ بِالدُّخَانِ^٢ ﴿وَنَحَاسٌ﴾ وَفِطْرُ مُذَابٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ.
وقيل: إِنَّهُ الدُّخَانُ الْخَالِصُ^٣ ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ وَلَا تَمْتَنِعَانِ مِنَ الْعَذَابِ.

وقيل: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَا تَنْفَذُونَ﴾ إشارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ^٤. وقوله: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ إشارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا نَاصِرَ وَلَا مَنَجَ لَهُمْ مِنْهُ بَعْدَ نَزْوِلِهِ.

ثم لَمَّا كَانَ بَيَانُ عَاقِبَةِ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ وَالتَّحْذِيرُ عَنْهَا مِنَ الْإِلْفَافِ الْعَظِيمَةِ وَالتَّعْمِ الْجَسِيمَةِ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ثم بالغ سبحانه في إرعاب القلوب بقوله: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ﴾ وَانْصَدَعَتْ ﴿السَّمَاوَاتُ﴾ وَانْفَكَ عَنْهَا بَعْضُ لَعْمٍ لَعْدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَالدَّلَالَةِ عَلَى انْقِرَاضِ الدُّنْيَا الْمُحْتَاجَةِ إِلَى السَّقْفِ وَالْكَوَاكِبِ، أَوْ لِنَزُولِ الْمَلَائِكَةِ ﴿فَنُكَانَتْ﴾ وَصَارَتْ حَمْرَاءَ تُشَبِّهُ ﴿وَرْدَةً﴾ حَمْرَاءَ - وَالزَّهْرَةُ الْمَعْرُوفَةُ الَّتِي تُشَمُّ - فِي اللَّوْنِ قِيلَ: إِنَّ السَّمَاءَ لَوْنُهَا فِي الْوَاقِعِ الْحُمْرَةُ، وَإِنَّمَا تُرَى زُرْقَاءَ لِلْبُعْدِ^٥. وقيل: يَعْنِي تَقَلُّبُ حَمْرَاءَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صَفْرَاءَ ﴿كَالَّذِينَ هَانُوا﴾، أَوْ صَارَتْ كَلَوْنِ الْوَرْدِ تَتَلَوَّنُ كَالْأُدْهَانِ الْمُخْتَلِفَةِ. وقيل: يَعْنِي تَصْبِيرُ حَمْرَاءَ كَالْوَرْدِ مِنْ حَرَارَةِ جَهَنَّمَ، وَتَذَوُّبٌ وَتَجَرِّي كَالَّذِينَ الْمَذَابِ^٦. وَجَوَابُ (إِذَا) مُحذُوفٌ، وَالْمَعْنَى: إِذَا صَارَتْ السَّمَاءُ كَذَلِكَ، يَكُونُ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَهْوَالِ مَا لَا تُحِيطُ بِهِ دَائِرَةُ الْمَقَالِ، أَوْ رَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا هَائِلًا.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ * فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَعْرِفُ الْمُسْجِرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
وَالْأَقْدَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
الْمُسْجِرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ [٣٨-٤٥]

ولمَّا كَانَ الْإِخْبَارُ بِمَا ذَكَرَ مِنَ الزَّوَاجِرِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ النَّعَمِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

٢. تفسير الرازي ٢٩: ١١٤، تفسير أبي السعود ٨: ١٨٢.

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٢.

٣. تفسير أبي السعود ٨: ١٨٢، تفسير روح البيان ٩: ٣٠٢، وفيهما: اللهب الخالص. ٤. تفسير الرازي ٢٩: ١١٤.

٥ و ٦. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٢.

تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾ مع غاية ظهورها ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ وحينئذ ﴿لَا يُسْأَلُ﴾ أحدٌ من قبل الله أو غيره ﴿عَنْ ذَنْبِهِ﴾ الذي ارتكبه في الدنيا، لا ﴿إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ لأنَّ العُصاة معروفون بسيماهم، فلا يحتاج عرفانهم إلى السؤال عن ذنبهم. قيل: لا يسألون في أول حشرهم إلى الموقف، ويسألون حين المحاسبة. عن ابن عباس: لا يسألهم: هل عملتم كذا وكذا؟ فإنه أعلم بذلك، ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا؟^١ وعنه أيضاً: لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.^٢

عن الرضا عليه السلام - في هذه الآية - قال: «من اعتقد الحقَّ ثمَّ أذنب ولم يُبَّ في الدنيا عُذِّبَ [في البرزخ] ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه»^٣ ﴿فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ثمَّ يبين سبحانه علَّةَ عدم السؤال من الجن والإنس عن ذنبه بقوله: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ﴾ والعُصاة في ذلك اليوم ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ وعلامة الذنب الظاهرة في وجوههم من السواد وزرقة العين والعُبرة والفترة والحزن والنكابة ﴿فَيُؤْخَذُ﴾ أولئك العُصاة ﴿بِالنَّوَاصِي﴾ وشعور مُقَدَّم رؤوسهم ﴿وَالْأَقْدَامِ﴾ قيل: يأخذ الملائكة شعر رؤوسهم وأقدامهم، فيَقْذِفُونهم في النار. أو المراد تسحيهم الملائكة وتَجْرَهُم إلى النار تارةً بالأخذ بنواصيهم وتارةً بالأخذ بأقدامهم^٤ ﴿فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من المواعظ والزواجر مع كون منافعها في غاية الظهور؟ ثمَّ يقال لهم توبيخاً وتقريعاً ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي تَرَوْنَهَا وَتَدْخُلُونَهَا هِيَ﴾ جَهَنَّمُ الَّتِي وعد الله بها العُصاة في الدنيا على لسان رسله، وكان ﴿يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ والمُصْرُونَ على الكفر والعصيان، فانظروا اليوم إلى المكذِّبين أَنهم ﴿يَطُوفُونَ﴾ ويدورون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَيْمٍ﴾ وماءٍ حارٍّ ﴿أَنِ﴾ وبالحق انتهى الحرارة وأقصاها، يُصَبِّ عليهم، أو يُسْقَوْن منه.

عن كعب الأحبار: أنَّ وادياً من أودية جهنم يُجَمِّع فيه صديد أهل النار، فيُنْطَلَقُ بهم في الأغلال، فيغمسون فيه حتى تتخلع أوصالهم، ثمَّ يُخْرَجُونَ منه، وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً، فيلقون في النار.^٥ ومن الواضح أنَّ الإخبار بهذه الأمور العظام من نعم الله على الأنام ﴿فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا﴾ أيها الثقلان ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ وقيل: يعني ﴿فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا﴾ ممَّا عدده الله من أول السورة ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ فتستحقان هذا العذاب الشديد.^٦

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٣.

٢. مجمع البيان ٩: ٣١٢، تفسير الصافي ٥: ١١٢.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٣.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ١٢١، تفسير أبي السعود ٩: ١٨٣، تفسير روح البيان ٩: ٣٠٣.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٣ و ٣٠٤.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ١٢١.

وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ *
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [٤٦-٤٩]

ثُمَّ لَمَّا حَذَّرَ اللَّهُ الْعَصَا بِذِكْرِ سُوءِ عَاقِبَتِهِمْ وَعَذَابِ عِصْيَانِهِمْ، زَجَرَ لَهُمْ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، بَيْنَ سُبْحَانِهِ حُسْنِ عَاقِبَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَائِفِينَ مِنْ عِصْيَانِهِ، تَرْغِيباً لَهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ وَحِينَ الْحُضُورِ فِي مَوْقِفِ فَصْلِ قَضَائِهِ فِي الْقِيَامَةِ، وَظُهُورِ آثَارِ قُدْرَتِهِ وَسُطُوْتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهَتْكَ السُّورِ، وَكَشَفِ حَقَائِقِ الْأُمُورِ، وَقِيَامِ الْأَشْهَادِ، فَاجْتَنَّبَ لَخَوْفِهِ ذَلِكَ مَخَالَفَتَهُ وَعِصْيَانَهُ فِي الدُّنْيَا ﴿جَنَّاتٍ﴾ قِيلَ: جَنَّةٌ لَتَرْكِهِ الْمَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ، وَجَنَّةٌ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ^١. وَقِيلَ: جَنَّةٌ لِإِيمَانِهِ، وَجَنَّةٌ لِعَمَلِهِ^٢، وَأَمَّا الْجَنَّاتُ فَجَنَّةُ عَدْنٍ، وَجَنَّةُ نَعِيمٍ^٣. وَقِيلَ: جَنَّةٌ دَاخِلُ الْقَصْرِ، وَجَنَّةٌ خَارِجَةُ^٤. وَقِيلَ: جَنَّةٌ لِسُكُونَتِهِ، وَجَنَّةٌ لِسُكُونَةِ أَزْوَاجِهِ وَخَدَمِهِ^٥. وَقِيلَ: جَنَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَجَنَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ^٦، يَطُوفُ بَيْنَهُمَا كَمَا يَطُوفُ الْمُجْرِمُ بَيْنَ جَهَنَّمَ وَحَمِيمٍ، وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ يَطُوفُ بَيْنَهُمَا الْخَائِفُونَ، لَوْضُوحِهِ وَإِلْظَاهَرِ أَنَّهُمْ مَلُوكٌ يُطَافُ عَلَيْهِمْ احْتِرَاماً لَهُمْ وَإِكْرَاماً فِي حَقِّهِمْ، وَلَا يُطَافُ بِهِمْ.

عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: «مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَيَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَحُجِرَ ذَلِكَ عَنِ الْقَبِيحِ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَذَلِكَ الَّذِي خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ [وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى]»^٧. وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ عَرَضَتْ لَهُ فَاحِشَةٌ أَوْ شَهْوَةٌ فَاجْتَنَبَهَا مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ، وَأَمَنَهُ مِنَ الْفِرَاقِ الْأَكْبَرِ، وَأَنْجَزَ لَهُ مَا وَعَدَهُ فِي كِتَابِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾»^٨. **﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾** مِنْ نَعَمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ **﴿تُكَذِّبَانِ﴾**.

ثُمَّ وَصَفَ سُبْحَانَهُ الْجَنَّتَيْنِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ وَصَاحِبَتَا أَغْصَانٍ مُنْشَعِبَةٍ مِنَ الشَّجَرَةِ، عَلَيْهِمَا أَوْرَاقٌ عَجِيْبَةٌ، وَأَثْمَارٌ طَيِّبَةٌ مِنْ غَيْرِ سُوقٍ غِلَاطٍ، مَانِعَةٌ عَنِ التَّرَدُّدِ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ، كَذَا قِيلَ^٩. وَقِيلَ: يَعْنِي صَاحِبَتَا أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَشْجَارِ الْمُثْمَرَةِ **﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾** مِنَ الْآلَاءِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ **﴿تُكَذِّبَانِ﴾**.

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى

١. تفسير الرازي ٢٩: ١٢٣، تفسير روح البيان ٩: ٣٠٤. ٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٤، وفيه: لعقيدته، بدل لإيمانه.

٣. مجمع البيان ٩: ٣١٤. ٧. الكافي ٢: ١٠/٥٧، تفسير الصافي ٥: ١١٣.

٨. من لا يحضره الفقيه ٤: ١/٧، تفسير الصافي ٥: ١١٣. ٩. تفسير الرازي ٢٩: ١٢٤.

الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَيَأْيِ آلَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ [٥٥-٥٢]

ثم وصف سبحانه الجنتين بغاية الصفا والنزاهة بقوله: «فِيهِمَا عَيْنَانِ» من ماء غير آسن «تَجْرِيَانِ» من جبلٍ من مِسْكٍ على ما قيل^١، وعن ابن عباس: تجريان بالماء الزلال، إحداهما الشنيم، والآخر السلسبيل^٢. قيل: تجري في كل جنة عين^٣، كما قال تعالى: «فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ»^٤. «فَيَأْيِ آلَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ».

ثم لما وصف الجنتين بغاية النزاهة التي هي الأهم في نظر المتنعمين، وصفها باستجماعهما لجميع الفواكه بقوله: «فِيهِمَا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ فَاكِهَةٍ» متصورة من الفواكه «زَوْجَانِ» وصفان: حُلُوٌّ وحامضٌ، أو رطبٌ ويابسٌ، أو معهودٌ وغير معهود.

عن ابن عباس: ما في الدنيا حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل، إلا أنه حُلُوٌّ^٥ «فَيَأْيِ آلَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ».

ثم بين سبحانه حال استراحة الخائفين في الجنة بقوله: «مُسْكِينِ» ومعتمدين كالمملوك حال جلوسهم «عَلَى فُرَشٍ» مبسوطة تحتهم بعضها على بعض، وتلك الفرش «بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ» وديباغ نخين، فما ظنكم بظواهرها التي لا بد أن تكون أعلى وأشرف من البطائن: قيل: إن ظواهرها من سندس^٦ وحرير رقيق، وقيل: من نور^٧ «وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ» وثمارها التي تُقَطَفُ «دَانٍ» وقريب بحيث يُجْتَنَى في كل حالٍ بلا كلفة القيام والمشي واستعمال الآلة.

عن ابن عباس. قال: تدنو الشجرة حتى يجتنىها ولي الله، إن شاء قائماً، وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعا^٨ «فَيَأْيِ آلَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ».

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قُلُوبُهُمْ وَلَا جَانٌ * فَيَأْيِ آلَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَيَأْيِ آلَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَيَأْيِ آلَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ [٥٦-٦١]

ثم وصف سبحانه أزواجهن في الجنة بقوله: «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» على أزواجهن، لا تتجاوز أعينهن إلى غيرهم، ولا ينظرن إلى سواهم لشدة حبهن لهم. قيل: تقول كلٌّ منهن لزوجها: وعزة ربي

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٨٤، تفسير روح البيان ٩: ٣٠٦.

٢. تفسير أبي السعود ٨: ١٨٤، تفسير روح البيان ٩: ٣٠٦.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٦ و٣٠٧.

٦. تفسير أبي السعود ٨: ١٨٥، تفسير روح البيان ٩: ٣٠٧.

٤. الغاشية: ١٢/٨٨.

ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعلني زوجك^١.
وعن القمي: الحور العين يقصر الطرف عنها من ضوء نورها^٢. وقيل: إن قصر الطرف كناية عن
الحياء والدلال^٣. وقيل: إن المراد أنهن مانعات أبصارهن عند الخروج عن النظر إلى اليمين والشمال
لغاية عفتن^٤.

﴿لَمْ يَطْمِئْنُوهُنَّ﴾ ولم يمتسهن، أو لم يفضلن ﴿إِنْسٍ﴾ غير أزواجهن ﴿قَبْلَهُنَّ﴾ في الجنة ﴿وَلَا
جَانٍ﴾ بل هن باكرات غير ملموسات ﴿فَيَأْتِي آلَهُنَّ رِيكُمَا تَكْذِبَانِ﴾.

ثم بين سبحانه كمال جمالهن بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في الصفاء والحسن ﴿الْيَاقُوتُ﴾ الأحمر
﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ واللؤلؤ الصغار الأبيض، فإنه أصفى من اللؤلؤ الكبير.

عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة ومُنْهَا، إن
الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾^٥ ﴿فَيَأْتِي آلَهُنَّ رِيكُمَا تَكْذِبَانِ﴾.

ثم أكد سبحانه وعده المؤمنين بالجنة والتعم المذكورة ببيان حكم العقل بوجوب كون جزاء
المحسن هو الاحسان بقوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾ إلى الغير بحكم العقل السليم أيها العقلاء ﴿إِلَّا
الْإِحْسَانُ﴾ إلى المحسن، لا والله لا يكون جزاء المحسن على إحسانه إلا الاحسان إليه، فلا بد من أن
يجازي المؤمن المحسن بعمله من الله بالجنة والتعم الدائمة.

عن أنس، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ...﴾ الآية، ثم قال: «هل تدرون ما قال
ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: يقول هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن
اسكنه جنتي وحظيرة قُدسي برحمتي^٦.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة»^٧.
وعن الصادق عليه السلام: «أن هذه الآية جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر، من صُنِعَ إليه معروف
فعليه أن يكافئه، وليس المكافاه أن تصنع كما صَنَعَ حتى تربى، فإن صنعت كما صنع كان له الفضل
بالابتداء»^٨.

﴿فَيَأْتِي آلَهُنَّ رِيكُمَا﴾ من النعم العقلانية والنفسانية والروحانية والجسمانية ﴿تَكْذِبَانِ﴾.

١. مجمع البيان ٩: ٣١٥، تفسير روح البيان ٩: ٣٠٧.
٢. تفسير القمي ٢: ٣٤٦، تفسير الصافي ٥: ١١٣.
٣. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٨.
٤. تفسير الرازي ٢٩: ١٢٩.
٥. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٩.
٦. تفسير روح البيان ٩: ٣٠٩.
٧. علل الشرائع: ٨/٢٥١، تفسير الصافي ٥: ١١٤.
٨. مجمع البيان ٩: ٣١٦، تفسير الصافي ٥: ١١٤.

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [٦٣ و ٦٢]

ثمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بعد بيان جزاء الخائفين المقرَّبين بأنَّ لهم جنتين موصوفتين بأعلى مراتب الحُسْن، بين جزاء من دونهم في القُرب بقوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ وأنزل منهما شرفاً وحُسنًا ﴿جَنَّتَانِ﴾ آخرين لمن دون الخائفين رُتَبَةً ومنزلةً عند الله.

قال بعض المفسرين: من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان من فَضَّة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما^١.

وروى (المجمع) عن النبي ﷺ ما يقرب منه^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «لا تقولنَّ الجنة واحدة، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ولا تقولنَّ واحدة، إنَّ الله يقول: (درجات بعضها فوق بعض)^٣ إنما تفاضل القوم بالأعمال»^٤.

وعنه عليه السلام قيل له: الناس يتعجبون مِنَّا، كُنَّا إذا قلنا يخرج قومٌ من النار فيدخلون الجنة، فيقولون لنا: فيكونون مع أولياء الله في الجنة؟ فقال عليه السلام: «إنَّ الله يقول: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ لا والله ما يكونون مع أولياء الله»^٥.

وقيل: إنَّ الجنتين الأدنىين^٦ لذريتهم الذين أحقهم بهم ولأتباعهم، وإنَّما جعلهما الله لهم إنعاماً على المؤمنين، كأنه يقول الله لهم: هاتان الأخريان لكم، أسكنوا فيهما من تُريدون^٧.

وقيل: إنَّ لكل من المؤمن والمؤمنة أربع جنات عن يمين ويسار، وقُدَّام وخلف، ليتضاعف له السرور بالانتقال من جنةٍ إلى جنةٍ، فإنَّه أبعد من المَلَل فيما طُبِعَ عليه من البشرية^٨.

وعن القمي، عن الصادق عليه السلام، أَنَّهُ سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال: «خضراوان في الدنيا يأكل المؤمنون منهما حتى يفرُّغوا من الحساب»^٩.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ من الآلاء الأخروية والجنَّات العديدة ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

مُذَاهِمَاتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

١. تفسير روح البيان ٩: ٣١٠. وفي النسخة: أبينتهما وما فيهما، وجنتان أوليان من ذهب أبينتهما.

٢. مجمع البيان ٩: ٣١٨، تفسير الصافي ٥: ١١٤.

٣. في سورة الانعام: ١٦٥/٦ «ورفع بعضكم فوق بعض درجات».

٤ و ٥. مجمع البيان ٩: ٣١٨، تفسير الصافي ٥: ١١٥. ٦. في النسخة: الأدونين. ٧. تفسير الرازي ٢٩: ١٣٣.

٨. تفسير روح البيان ٩: ٣١٠. ٩. تفسير القمي ٢: ٣٤٥، تفسير الصافي ٥: ١١٥.

تُكَذَّبَانِ [٦٤-٦٩]

ثم وصف سبحانه الجنتين الاذنين^١ بصفات أدون من صفات الجنتين الأوليين، حيث وصف الأوليين بقوله: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ووصف الآخرين بقوله: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ ومُخَضَّرَتَانِ غَايَةُ الْخَضْرَاءِ بحيث تضربان الى السواد.

قيل: هذا الوصف يدل على أَنَّ الآخرين دون الأوليين مكاناً^٢، فالمؤمنون إذا نظروا إلى فوقهم يَرَوْنَ الْأَفْنَانَ والأغصان تُظَلِّهْم، وإذا نظروا إلى تحتهم يَرَوْنَ أرضاً مُخَضَّرَةً ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ من خضرة نباتات هاتين الجنتين، فتمتع أبصاركم بهما، وانتفاع أنوفكم بشم ريحيهما ﴿تُكَذَّبَانِ﴾. ثم وصف سبحانه نزاهتهما وصفاتهما بقوله: تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَاَنِ﴾ وفؤارتان إلى جهة الفوق بالماء. وقيل: بالخير والبركة^٣. وعن ابن عباس: بالمسك والعنبر^٤ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ من رِيحِكُم بالشراب، والتذاذكم بنزعة الجنتين ﴿تُكَذَّبَانِ﴾.

في مدح الزمان ثم وصف سبحانه المأكول فيهما بقوله: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ﴾ كثيرة، وما يتلذذ به من ثمار الأشجار، ثم خَصَّ النوعين منهما بالذكر بقوله: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ لفضلهما على سائر الفواكه، فَأَنَّ الرُّطْبَ والتمر فاكهة وغذاء، والرمان فاكهة ودواء. قيل: إِنَّ الفواكه أرضية وشجرية، فالأرضية كالبَطِيخِ داخلية في قوله: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ والشجرية كالتفاح والسُّفْرَجِل والعنب وغيرها^٥ هي المراد من الآية.

عن ابن عباس: نخل الجنة جُذوعها من زُمُرَد أخضر، وكَرَبِها من ذهب أحمر، وَسَعَفُها كُسُورَةٌ لأهل الجنة، وثمرها أمثال القلال^٦ أو الدُّلَا، أَشَدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزُّبْد، ليس له عَجَم^٧، كُلَّمَا نَزَعَتْ ثَمَرَةً عَادَتْ مكانها أخرى^٨. وعنه: ما لَقِحت رُمانة قط إلا بحبة من الجنة^٩.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أكلتم الرمان، فكلوه ببعض شَحْمه، فإنه دِباغ للمعدة، وما من حبة منه تُعْطِم في جوف مؤمن إلا أنارت قلبه، وأخرجت شيطان الوسوسة منه أربعين يوماً»^{١٠}. وعن النبي صلى الله عليه وآله: «من أكل رُمانة أنار الله قلبه أربعين يوماً»^{١١}.

١. في النسخة: الأذنين. ٢. تفسير روح البيان ٩: ٣١١.

٣ و ٤. تفسير روح البيان ٩: ٣١١. ٥. تفسير الرازي ٢٩: ١٣٤.

٦. القلال: جمع قَلَّة، وهي إناء من الفَخَّار يُشْرَب منه.

٧. العَجَم: جمع عَجَمَة، وهي نواة التمر أو الرمان أو العنب وغيرها.

٨- ١٠. تفسير روح البيان ٩: ٣١٢. ١١. تفسير روح البيان ٩: ٣١٢.

وعن الصادق عليه السلام: «الفاكهة مائة وعشرون لوناً، سيدها الرُّمَّان»^١.
وعنه عليه السلام: «خمس من فواكه الجنة في الدنيا: الرُّمَّان الأملِس»^٢ «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي
الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [٧٣-٧٠]

ثم وصف سبحانه المنكوحات في الجنة بقوله: «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ» أخلافهن «حِسَانٌ» وجوههن. عن (المجمع) عن النبي ﷺ: «أي نساء خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»^٣.
وقيل في تفسير الخيرات: لسن بدميرات ولا بخرات ولا مُتَطَّلَعَات ولا مُتَشَوِّفَات ولا ذَرِبَات ولا سَلِيطَات ولا طَمِيحَات ولا طَوَافَات في الطُّرُق^٤. وفي تفسير الحسان: حسان الخلق والخلق^٥.
عن الصادق عليه السلام: «هن صوالح المؤمنات العارفات»^٦.

وعنه عليه السلام: «الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا، وهن أجمل من حور العين»^٧.
روى بعض العامة: أن حور العين يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كئله؛ فإذا قلن هذه [المقالة] أجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتصدقات وما تصدقن، فغلبهن، والله غلبهن^٨.
وقيل: إن المراد من الخيرات الحور العين^٩ «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» وقد أنعم الله عليكم بالخيرات الحسان.

ثم بالغ سبحانه في وصف نساء الجنة بقوله: «حُورٌ» ونساء بيض «مَقْصُورَاتٌ» ومُخَدَّرَات «فِي الْخِيَامِ» والمُخَدَّرَات أو مستورات في الجبال، لا يظهرن لغير أزواجهن، ولا يخرجن من سورهن لغاية عظمتهن وعِفَّتِهِنَّ على ما قيل^{١٠}.
عن الصادق عليه السلام، قال: «الحور هن البيض، والمقصورات المخدَّرات في خيام الدَّر والياقوت

١. الكافي ٦: ٢٣٥٢، تفسير الصافي ٥: ١١٥.

٢. الكافي ٦: ١٣٤٩، تفسير الصافي ٥: ١١٥، وفي النسخة: الأملِس، والرمان الإمليس، أو الإمليسي، هو رمان حلوى طيب لا عَظْم له.

٣. مجمع البيان ٩: ٣١٩، تفسير الصافي ٥: ١١٦.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٣١٢، والذير: التن، والتخر: التن في الفم والابط وغيرهما، والذرية: السليطة اللسان، والطمحات، يقال: طمح بصره إليه، كمنع: ارتفع، والطوافات في الطرق: دوارات.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٣١٢.

٦. الكافي ٨: ١٤٧/١٥٦، تفسير الصافي ٥: ١١٦.

٧. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٤٣٢/٢٩٩، تفسير الصافي ٥: ١١٦.

٨. تفسير الطبري ٢٧: ٩١.

٩. مجمع البيان ٩: ٣٢٠.

والمَرْجَان، لكلِّ خِيَمَةٍ أربعة أبواب، على كلِّ باب سبعون مَلَكًا، حُجَابًا لَهُنَّ، وتَأْتِيَهُنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرَامَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرَهُ، يَبْسُرُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِهِنَ الْمُؤْمِنِينَ^١.

وعن ابن مسعود: لكلِّ زوجة خِيَمَةٌ طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا^٢.

وقيل: إِنَّ الْخِيَمَةَ مِنْ خِيَامِهِنَّ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ عَرْضُهَا سِتُونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلُونَ لَا يَرُونَ إِلَّا حِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِنَ الْمُؤْمِنُونَ^٣ «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» مع أَنَّهُ خَلَقَ لَكُمَا مِنَ النَّسَاءِ الْمُقْصُورَاتِ الْمُحْبُوسَاتِ.

لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَكَبِّرِينَ عَلَى
رَفْرِفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ
ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [٧٨-٧٤]

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ أَنَّ أَزْوَاجَ الْمُؤْمِنِينَ كَأَزْوَاجِ الْمُقَرَّبِينَ فِي الْبَكَارَةِ وَعَدَمِ مَسِّ غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ بِقَوْلِهِ: «لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ» وَلَمْ يَمَسَّهُنَّ، أَوْ لَمْ يَفْتَضَّهِنَّ غَيْرَ أَزْوَاجِهِنَّ، لَا «إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا» أَحَدٌ «جَانٌّ» بَلْ كُلُّهُنَّ بَاكَرَاتٌ غَيْرَ مَلْمُوسَاتٍ «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمَا بِأَعْلَى النَّعَمِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ رَاحَةَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّتَيْنِ بِقَوْلِهِ: «مُتَكَبِّرِينَ» وَمُعْتَمِدِينَ فِيهِمَا «عَلَى وَرَفْرِفٍ» وَفُرْشٍ مَرْتَفِعَةٍ، كَمَا عَنْ بَعْضٍ^٤، أَوْ مَجَالِسٍ^٥، كَمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَوْ مُرَافِقٍ^٦ وَمَسَانِدٍ «خُضِرٍ» لِكُونِهِ أَحْسَنَ الْأَلْوَانِ «وَعَبْقَرِيٍّ» وَفُرْشٍ «حِسَانٍ» أَوْ بَسْطِ مَوْشَاةٍ^٧، أَوْ فِيهَا صُورٌ، وَهِيَ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فِي غَايَةِ الْجُودَةِ «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» مَعَ أَنَّهُ قَدْ هَيَّا لَكُمَا مَا بِهِ نِهَايَةُ الرَّاحَةِ وَالْكَرَامَةِ.

ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ سَبْحَانَهُ نِعَمَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرِيَّةَ الَّتِي كُلُّهَا مِنْ شُؤْنٍ رَحْمَانِيَّةٍ وَفِيَاضِيَّتِهِ عَلَى جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَصَفَ ذَاتَهُ بَعْلُو الشَّأْنِ أَوْ بَكْتَرَةِ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ بِقَوْلِهِ: «تَبَارَكَ» وَتَعَالَى شَأْنًا، أَوْ كَثْرًا خَيْرًا، أَوْ دَامَ «اسْمُ رَبِّكَ» وَمَا يَحْكِي عَنْ ذَاتِهِ كَالرَّحْمَنِ الَّذِي افْتَشَحَتْ بِهِ السُّورَةُ الْمُبَارَكَةَ، فَكَيْفَ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِنَّ عَظَمَةَ الْأَسْمِ دَالَّةٌ عَلَى عَظَمَةِ الْمُسَمَّى.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ تَعْدَادِ النَّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَنَاءِ الْعَالَمِ أَخْبَرَ بِبَقَاءِ ذَاتِهِ، وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْوَجْهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ وَجُودُهُ الْوَاجِبُ غَيْرُ الْقَابِلِ لِلْعَدَمِ وَالزَّوَالِ، وَبَعْدَ تَعْدَادِ نِعَمِهِ الدَّائِمَةِ الْآخِرِيَّةِ أَخْبَرَ بِدَوَامِ اسْمِهِ الْمُبَارَكِ فِي السَّنَةِ الْذَاكَرِينَ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ كَثْرَةِ خَيْرَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ، أَوْ عُلُوِّ شَأْنِهِ اللَّازِمِ لَتَوَجُّهِ الْخَلْقِ

١. مجمع البيان ٩: ٣٢٠، تفسير روح البيان ٩: ٣١٣.

٢. الكافي ٨: ١٤٧/١٥٦، تفسير الصافي ٥: ١١٦.

٣. مجمع البيان ٩: ٣٢٠.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٣١٣.

٥. في النسخة: مَوْشَى.

إليه وتعظيمه.

وقيل: إن المراد بالاسم صفته الرحمانية والرحيمية^١. وقيل: إن المراد ذاته المقدسة^٢. وفي كلا الموضعين تَبَّه على جلالته، وتنزَّهه عن النقائص، ووفور كرمه، ونهاية كبريائه بقوله: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ إِرْعَاباً للقلوب، لمكان الجلال، وإيناساً لها به لمكان الإكرام، ففي هذين الوصفين تربيةً للخوف والرجاء.

قيل: من اللطائف أنه تعالى ختم السورة السابقة ببيان سَعَةِ مُلْكه وكمال قُدْرته بقوله تعالى: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^٣ وختم هذه السورة ببيان نهاية جلالته التي من آثار سَعَةِ مُلْكه، ونهاية إكرامه التي من آثار كمال قدرته.

عن الباقر عليه السلام - في هذه الآية -: «نحن جلال الله وكرامته التي أكرم الله تبارك وتعالى العباد بطاعتنا ومحبتنا»^٤.

عن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة الرحمن فقال عند كل آية ﴿قَبَائِيْ أَلَا رَّبُّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيءٍ من آلائك رب أكذب، فان قرأها ليلاً ثم مات شهيداً، وإن قرأها نهاراً ثم مات شهيداً»^٥. قيل: إن آيات أول هذه السورة المباركة أول ما قُرئ من القرآن على قريش^٦.

٢. مجمع البيان ٩: ٣٢٠.

١. تفسير روح البيان ٩: ٣١٥.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ١٣٧، والآية من سورة القمر: ٥٥/٥٤.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٤٦، تفسير الصافي ٥: ١١٧.

٥. ثواب الأعمال: ١١٦، تفسير الصافي ٥: ١١٨.

٦. تفسير روح البيان ٩: ٣١٥.



في تفسير سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ [١-٣]

ثم لما ختمت سورة الرحمن البمتدئة بالاعلان بسعة الرحمة، ثم عظمة القرآن المحتوية لبيان النعم الدنيوية والأخروية، وبيان فناء الموجودات الجسمانية، وأحوال القيامة، وكون الناس فيها فرقا ثلاث: المجرمين، والمقربين، والمؤمنين الأبرار، نُظِمَتْ بعدها سورة الواقعة البمتدئة بإظهار المهابة ببيان أحوال القيامة، وبيان فناء الدنيا وخرابها فيها، وكون الناس فيها فرقا ثلاث: السابقين المقربين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، وغير ذلك من المطالب المربوطة بالسورة السابقة، فابتدأها بذكر أسمائه الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع سبحانه فيها ببيان أحوال القيامة الموجبة للخوف عن مقامه وإرعاب القلوب من مهابته بقوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْقِيَامَةُ﴾ التي هي «الْوَأَقِعَةُ» لا محالة، أو هي الواقعة العظيمة التي من عظمتها وشدائدها لا يتصور لها نظير، أو الزلزلة التي تَضَعُ لَهْؤُهَا كُلَّ ذَاتٍ حَمَلٍ حَمْلُهَا. قيل: إِنَّ جواب (إذا) محذوف، والتقدير: تكون أحوال وشدائد^١.

﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا﴾ وحدوثها نفس «كَادِبَةٌ» ومُكِبَّةٌ إِيَّاهَا لشهودها وشهود أحوالها، أو لا يوجد نفس كاذبة لأجل شدتها وأحوالها، ومن عظمتها أَنَّهَا «خَافِضَةٌ» لأقوام، و«رَافِعَةٌ» لآخرين عن ابن عباس: تخفيض أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا، وترفع أقواماً كانوا مضعين فيها^٢.

وعن السجادة عليه السلام: «﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني القيامة «خَافِضَةٌ» خفضت والله بأعداء الله إلى النار «رَافِعَةٌ» رفعت والله أولياء الله إلى الجنة»^٣.

وقيل: إنه بيان لنفي وجود الكاذب في ذلك اليوم^٤، والمعنى: ليس فيها نفس كاذبة تغتير الكلام

١. تفسير الرازي ٢٩: ١٤٠، تفسير أبي السعود ٨: ١٨٨.

٢. مجمع البيان ٩: ٣٢٤، تفسير روح البيان ٩: ٣١٦. ٣. الخصال: ٩٥/٦٤، تفسير الصافي ٥: ١١٩.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ١٤١.

وتخفيض كلمة أو ترفعها، أو المراد أن تلك الواقعة تخفيض بعض الأشياء، وترفع بعضاً، تحطّ
الأشقياء، وترفع السُّعداء، وتُزيل الأجرام عن مقارها بثر الكواكب وإسقاط السماء كِسْفاً، وتسير
الجبال في الجو كالسحاب، وصيرورتها بعد الرفع عن الأرض [كثيباً] مهيلاً منبسّطاً، وصيرورة
الأرض كثيباً مرتفعاً، وإنّما قدّم الخفض للتشديد والتهويل.

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَسَبَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبَثًا * وَكُنُتُمْ
أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ
مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [١١-٤]

ثم يبيّن سبحانه وقت كون القيامة خافضة رافعة بقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ وزُلزِلت ﴿الْأَرْضُ رَجًا﴾
وزلزالاً عظيماً، وحُرّكت تحريكاً شديداً بحيث لا يبقى فوقها بناءٌ ﴿وُسَبَّتِ﴾ وفُتّت ﴿الْجِبَالُ﴾ أو
سبقت وسُيّرت من أماكنها ﴿بَسًا﴾ وتفتتت عجباً، أو سوقاً وسيراً سريعاً ﴿فَكَانَتْ﴾ وصارت جميع
الجبال بسبب ذلك التفتت أو السوق ﴿هَبَاءً﴾ أو غباراً مرتفعاً، أو كالذرات التي تُرى في شعاع
الشمس، أو ما يتطاير من شَرَر النار، أو ما دَوَّرَ الريح من الأوراق ﴿مُتْبَثًا﴾ ومتفرقاً ومشتراً في الجو.
قال: إنّ الله تعالى يبعث ريحاً، فتحمل الأرض والجبال، وتضرب بعضها ببعض، ولا تزال كذلك
حتى تصير غباراً^١.

﴿وَكُنُتُمْ﴾ أيها الناس، من الأولين والآخرين في ذلك اليوم ﴿أَزْوَاجًا﴾ وأصنافاً ﴿ثَلَاثَةً﴾ حسب
اختلاف عقائدهم وأعمالهم في الدنيا، أما الصف الأول ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ والبركة والسعادة، أو
أهل المنزل الرفيعة، أو ذوي الصحائف التي يُعطونها بأيمانهم، أو الجماعة الذين^٢ يقومون عن يمين
العرش، أو كانوا على يمين آدم في عالم الدّر ويوم الميثاق، وما تدرون أيها العقلاء ﴿مَا أَصْحَابُ
الْمَيْمَنَةِ﴾ وأي شيء هم في الفخامة وعلو الرتبة؟ فتعجبون من حُسن حالهم، لكونهم مؤمنين
صالحين، وإن كان لهم تَبِعَات يقومون بها للحساب ﴿وَالْأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾
والشرّ والشقاوة، وأهل الذلّة والشراسة والثُّكْبَة والذناء و﴿مَا﴾ تدرون ما ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾
وأي شيء هم في سوء الحظّ وحطّ المنزل؟ فتعجبون من سوء حالهم لكونهم كفاراً طُغَاءً مستحقّين
للعذاب ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ الثالث ﴿السَّابِقُونَ﴾ والمبادرون إلى الإيمان والطاعة، والمسارعون إلى الخيرات،
وهم ﴿السَّابِقُونَ﴾ والمبادرون إلى الجنة بغير حساب، والمسارعون إلى الدرجات العاليت.

وقيل: إن المراد أن (السابقون) هم السابقون المعروفون بحُسن الحال^١. أو هم الذين لا يُمكن الإخبار عن عظمتهم إلا بأن يقال: هم السابقون، لكون حُسن حالهم وعلو مقامهم فوق أن يُحيط به علم البشر^٢. وقيل: إن (السابقون) الثاني تأكيد للأول^٣. وقيل: إن المعنى: السابقون ما السابقون؟ فحذفت كلمة (ما) لدلالة الجملتين السابقتين عليها^٤. وقيل: إن (السابقون) الثاني مبتدأ، وخبره قوله: ﴿أُولَئِكَ أَلْمَقَرَّيُونَ﴾^٥ إلى الله بأعلى درجات القرب الذي يكون للبشر، أو المقربون إلى العرش، لأن درجاتهم فوق درجات غيرهم في الجنة التي سقفها عرش الرحمن، لقول النبي ﷺ: «إذا سألت الله فاسأله الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلاها، وفوقه عرش الرحمن»^٦.

وقيل: إنهم مقربون إلى الجنة حين كون أصحاب الميمنة وأصحاب الميمنة في مقام الحساب^٧.

قيل: قدّم سبحانه عند ذكر الأصناف أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، لأنهم الذين ينفعهم ذكر أهوال القيامة دون السابقين الذين لا يختلف حالهم بالخوف والرجاء^٨.

نقل كلام بعض العامة: السابقون أربعة: سابق أمة موسى عليه السلام وهو جزييل^٩ أو حزقييل مؤمن العامة وردّه آل فرعون، وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية، وسابق أمة محمد وهما أبو بكر وعمر^{١٠}.

أقول: هذا القول مما تضحك به الثكلى، لوضوح أن الرجلين لا سبق لهما لا في الإيمان ولا في الطاعة، للاتفاق على أن إسلام أبي بكر كان بعد إسلام ثلاثة أو أربعة^{١١}، وإسلام عمر كان بعد إسلام تسعة وثلاثين أو أربعين من الصحابة، مع أنه روى الجمهور عن ابن عباس، أنه قال: سابق هذه الأمة علي بن أبي طالب عليه السلام^{١٢}.

وقال فضل بن روزبهان الناصب: جاء في رواية أهل السنة: «سباق الأمم ثلاثة: مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار، وعلي بن أبي طالب»^{١٣}. وفيما رواه الفخر الرازي: «هو أفضلهم»^{١٤}.

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٩٠.

٢. تفسير الرازي ٢٩: ١٤٦، تفسير روح البيان ٩: ٣١٨، وفي النسخة: تأكيد الأول.

٣. ٤. ٥. تفسير روح البيان ٩: ٣١٨.

٦. تفسير روح البيان ٩: ٣١٨.

٧. تفسير الرازي ٢٩: ١٤٦. ٨. تفسير الرازي ٢٩: ١٤٢. ٩. في تفسير روح البيان: خربيل.

١٠. تفسير روح البيان ٩: ٣١٨.

١١. وروى الطبري مسنداً عن محمد بن سعد، قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين. تاريخ الطبري ٢: ٣١٦.

١٢. نهج الحق: ١٣/١٨١، مناقب ابن المغازلي: ٣٦٥/٣٢٠، الصواعق المحرقة: ٢٩/٢٥، ينابيع المودة: ٦٠، مناقب الخوارزمي: ٢٠، شواهد التنزيل ٢: ٩٢٤/٩٣١.

١٣. إحقاق الحق: ١٣.

١٤. تفسير الرازي ٢٧: ٥٧.

وعن الباقر عليه السلام: «السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، وسابق أمة موسى وهو مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار، والسابق في أمة محمد وهو علي بن أبي طالب عليه السلام»^١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» في نزلت^٢.
وعنه عليه السلام قال: «خلق الله الناس على ثلاث طبقات، وأنزلهم ثلاث منازل، وذلك قول الله: (أصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون) وأما السابقون فهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح: رُوح القدس، وبها بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين، وبها عَلِمُوا الأشياء، وروح الايمان وبها عبدوا الله، ولم يُشركوا به شيئاً، وروح القوة وبها جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم، وروح الشهوة وبها أصابوا لذيق الطعام، ونكحوا الحلال من شباب النساء، وروح البدن وبها ذبوا ودرجوا، وأما أصحاب الميمنة، وهم المؤمنون حقاً، جعل الله فيهم أربعة أرواح: روح الايمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن - إلى أن قال - «وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» فهم اليهود والنصارى ... جحدوا ما عرفوا، فسلبهم الله تعالى روح الايمان»^٣ ورؤي عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه^٤.

وعن (الامالي) عن النبي صلى الله عليه وآله أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: «قَالَ جَبْرِئِيلُ: ذَلِكَ عَلَيَّ وَشِيعَتِهِ هُمُ السَّابِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، الْمُقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِكَرَامَتِهِ [لَهُمْ]»^٥.

وعن الباقر عليه السلام - في حديث - : «نحن السابقون السابقون إلى الجنة، ونحن الآخرون»^٦.
وعن الصادق عليه السلام قال: «قال أبي لأناس من الشيعة: أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون، والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا إلى ولايتنا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة»^٧.

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ
مَوْضُونَةٍ * مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ *
بِأَكْحَابٍ وَابَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ [١٢-١٩]

ثم قدّم سبحانه ذكر حال السابقين بقوله: «فِي جَنَّاتٍ» والتقدير: هم كائنون أو مستقرون في جناتٍ مشتملةٍ على «النَّعِيمِ» وأنواع اللذات الجسمانية والروحانية، وهم «ثُلَّةٌ» وجماعة عظيمة

١. مجمع البيان ٩: ٣٢٥، تفسير الصافي ٥: ١٢٠.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٨/٦٥، تفسير الصافي ٥: ١٢٠.

٣. الكافي ١: ١٢١٣، تفسير الصافي ٥: ١٢٠.

٤. كمال الدين: ٢٠٦/٢٠٦، تفسير الصافي ٥: ١٢٠.

٥. أمالي الطوسي: ١٠٤/٧٢، تفسير الصافي ٥: ١٢٠.

٦. الكافي ٨: ٢٥٩/٢١٣، تفسير الصافي ٥: ١٢٠.

٧. الكافي ٢: ٢٨٨/٦٥، تفسير الصافي ٥: ١٢٠.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **﴿الْأَوَّلِينَ﴾** من لدن آدم **﴿عَلَيْهِ﴾** إلى بعث الخاتم **﴿وَقَلِيلٍ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** **﴿الْآخِرِينَ﴾** من أمة خاتم النبيين، كلهم قاعدون في الجنة **﴿عَلَى سُرُرٍ﴾** ومجالس مرتفعة من الأرض معدة لحال السرور، وتَجَلُّ للملوك **﴿مَوْضُوعَةٍ﴾** ومنسوجة بعضها على بعض، أو منسوجة بالحرير، أو بالياقوت والجواهر، أو بالذهب.

قيل: قوانينها من الجواهر، وأرضها من الذهب^١. عن ابن عباس: ألواحها من الذهب، مكلفة بالزُّرْجد والذُّر والياقوت، مرتفعة ما لم يجرى صاحبها، فاذا أراد صاحبها الجلوس عليها تواضعت حتى يجلس عليها، ثم ترفع إلى موضعها^٢.

حال كونهم **﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾** ومعتمدين **﴿عَلَيْهَا﴾** كالملوك، وكونهم **﴿مُتَقَابِلِينَ﴾** ومتوجهين بعضهم إلى بعض ومستأنسين بعضهم ببعض **﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾** ويدور حولهم للخدمة **﴿وَلَدَانِ﴾** وغللمان **﴿مُخَلَّدُونَ﴾** ومُبَقَّون على شكلهم وطرواتهم أبداً.

قيل: إنهم مخلوقون [للخدمة] في الجنة^٣، والمخلَّدون بمعنى مقرَّطون، أو مَسُورُونَ^٤.

وقيل: إنهم أطفال المشركين^٥، عن النبي **﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾**: «أولاد الكفار خدام أهل الجنة»^٦.

وعن أمير المؤمنين **﴿عَلَيْهِ﴾**: «هم أولاد أهل الدنيا»^٧.

ويكون طوافهم **﴿بِأَكْوَابٍ﴾** وأوانٍ - لا عروة لها ولا خُرطوم - من الذهب والجواهر. وقيل: إنها الأفداح الكبيرة^٨ **﴿وَأَبَارِيقٍ﴾** وأوانٍ لها عرى وخُرطوم تُبرق من صفاتها **﴿وَكَأْسٍ﴾** مملوء من خمر جارية **﴿مِنْ مَعِينٍ﴾** ومنبع في الجنة.

وقيل: إن المعنى كأس مملوء من خمر ظاهره يُعَايَن بالأبصار، وجمع الأكواب والأباريق للدلالة على الكثرة، وإفراد الكأس لعدم حاجة شخص واحد إلى أكثر من واحد.

قيل: إنه يُصَبَّ الخمر من الأكواب في الأباريق، ومن الأباريق في الكأس^٩.

ثم وصف سبحانه خمر الجنة بقوله: **﴿لَا يُصَدَّعُونَ﴾** ولا يُصَيِّبهم وَجَع الرأس المُسَبَّب منها الصادرة **﴿عَنْهَا﴾** كما يُصَيِّبهم ذلك من خمر الدنيا **﴿وَلَا يَنْزِفُونَ﴾** ولا يَسْكُرُونَ.

عن ابن عباس: في الخمر أربعة خصال: السُّكْر، والصُّدَاع، والقَيْء، والبول، وليست في خمر

١. تفسير الرازي ٢٩: ١٤٩. ٢. تفسير القرطبي ١٧: ٢٠٢.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٣٢١.

٤. مجمع البيان ٩: ٣٢٧. ٥. تفسير الصافي ٥: ١٢١. ٦. تفسير روح البيان ٩: ٣٢١.

٧. مجمع البيان ٩: ٣٢٧. ٨. مجمع البيان ٩: ٣٢٧. ٩. تفسير الرازي ٢٩: ١٥٠.

١٠. تفسير الرازي ٢٩: ١٥٠. ١١. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٢.

الجنة، بل هي لذة بلا أذى^١. وقيل: (لا ينزفون) بمعنى لا يفقدون الشراب^٢.

**وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَخُورٍ عَيْنٍ * كَأَمْثَالِ
اللُّؤْلُؤِ الْمَكْتُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٢٠-٢٤]**

ثم لما كان دأب شارب خمر الدنيا أكل شيء بعد الشرب من فاكهة أو لحم أو غيرهما، مما يغير الذائقة، وساقى الخمر يأتي للشارب بعد الشرب بأحد الأشياء اللذيذة، عطف سبحانه على قوله: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾ بقوله ﴿وَفَاكِهَةٍ﴾ وثمار لذيذة ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ويختارون، مع أن كلها خيار ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾ من طيور الجنة ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وتميل إليه طباعهم مشوياً أو مطبوخاً ﴿وَو﴾ عندهم ﴿خُورٍ﴾ ونساء بيض، أو شديد بياض عيونهن^٣ وسوادها ﴿عَيْنٍ﴾ وواسعات الأحداق وهن في الصفاء والبياض ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ﴾ والدرر ﴿الْمَكْتُونِ﴾ والمخزون في الصدف لم تمسه الأيدي، ولم تره الأعين، أو المصون مما يضرب بصفاته وشدة بياضه، وإنما نعيم عليهم بتلك النعم العظام لكونها ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿يَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال الحسنة الصالحة.

**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ
مَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظِلٌّ مَّرْدُودٍ *
وَمَاءٌ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرْشٌ مَّرْفُوعَةٍ *
إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ *
ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ [٢٥-٤٠]**

ثم ذكر سبحانه ما تلتذ به اسماعهم في الجنة بقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ وباطلاً، وكلاماً لا يتنفع ولا يعتد به ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ وكلاماً فيه نسبتهم إلى الباطل والمعصية، كقول: أنت فاسق أو سارق، أو شارب خمر محرّم، كما قيل^٤.

وعن ابن عباس، قال: لا يقول بعضهم لبعض: أثمت^٥.

وعن القمي: يعني الفحش والكذب [والغناء]^٦.

والحاصل أنه ليس في الجنة كلام لغو ولا مؤلّم لا مُحَقَّقاً ولا فرضاً ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ وكلاماً مفروض

٢. تفسير الرازي ٢٩: ١٥٢، تفسير روح البيان ٩: ٣٢٢.

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٢.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ١٥٨ و ١٥٩.

٣. في النسخة: شديدة بياض عيونهم.

٥. مجمع البيان ٩: ٣٢٨. ٦. تفسير القمي ٢: ٣٤٨، تفسير الصافي ٥: ١٢٢.

اللغوية على الفرض المُحال، وهو قول بعض لبعض عند الملاقات في الجنة، أو حين التوجه، أو قول الملائكة لهم: سَلِّمْتُ «سَلَاماً» أو سَلَّمَكَ الله «سَلَاماً».

وقيل: إن الاستثناء منقطع، والمعنى: ولكن يسمعون سلاماً بعد سلام^١ من الله، كما قال سبحانه «سلام قولاً من ربّ رحيم»^٢ أو من الملائكة، كما قال تعالى: «يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم»^٣ أو بعضهم على بعض، كما قال تعالى: «فسلام لك من أصحاب اليمين»^٤ أو المراد أنهم يفتشون السلام، أولاً يسمع المسلم والمسلم عليه إلا السلام بدءاً ورداً^٥.

ثم شرع سبحانه في بيان حسن حال أصحاب الميمنة بقوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ» وما تدرون «مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» وأي أشخاص هم في العظمة والكرامة عند الله؟ هم يوم القيامة متمكنون «فِي» جنة ذات «سِدْرٍ» وشجر نقي، وهو عزيز عند العرب، ورّقه في غاية الصغر، وثمره محبوب عندهم، ولكن يخالف سدر الدنيا في أن له شوكة كثيراً يكسر ورّقه، ولولاه لكان أصفى الشجر عند العرب لكثرة أوراقه، ودخول بعضها في بعض، وسدر الجنة بلا شوك، وهو معنى «مَخْضُودٍ» على ما قيل^٦. وقيل: إن معنى مخضود منعطف الأغصان إلى الأسفل لكثرة ثمره^٧.

«وَو» ذات «طَلَحٍ» وشجر موز ورقه في غاية الكبر و«مَنْضُودٍ» بعضه فوق بعض بحيث لا يكون فصل بين أوراقه. وقيل: منضود حمّله وراكب بعضه على بعض من أسفله إلى أعلاه، ليس له ساق بارز^٨.

وقيل: الطلح: شجر أم غيلان، له أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة، تقصد العرب منه الزينة والزينة^٩. وعن مجاهد: كان لأهل الطائف وادٍ معجب، فيه الطلح والسدر، فقالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي، فنزلت هذه الآية^{١٠}.

«وَو» ذات «ظِلٌّ مَمْدُودٌ» عريض لا يتقص أبداً، كظلّ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. رَوَى أَنَّ أوقات الجنة كغدرات الصيف لا يكون فيه حر ولا برد^{١١}.

وفي الحديث: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»^{١٢}. وعن الباقر عليه السلام، عن النبي ﷺ في حديث يصف أهل الجنة قال: «ويتنعمون في جنّاتهم في ظلّ ممدودٍ في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وأطيب من ذلك»^{١٣}.

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٣. ٢. يس: ٥٨/٣٦. ٣. الرعد: ٢٣/١٣ و ٢٤.

٤. الواقعة: ٩١/٥٦. ٥. تفسير أبي السعود ٨: ١٩٢، تفسير روح البيان ٩: ٣٢٤.

٦. ١٠. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٤. ١١. مجمع البيان ٩: ٣٣٠.

١٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٥. ١٣. الكافي ٨: ٦٩/٩٩، تفسير الصافي ٥: ١٢٣.

وقيل: إن الظل الممدود كناية عن الراحة الدائمة^١.

﴿و﴾ ذات «ماءٍ» كثيرٍ «مَسْكُوبٍ» ومصبوبٍ من فوق أينما شاء، وكيفما أراد، فإن العرب لم يكن لهم مياة ساكبة من العيون التي في الجبال، بل كان مياههم في الآبار والبرك.
وقيل: إن المسكوب بمعنى الجاري في غير أخذود^٢. وقيل: إنه كناية عن الكثرة^٣، لأن الماء لعزته عند العرب لا يُسَكَّب ولا يُراق، بل يُحفظ ويُشرب.

﴿و﴾ ذات «فَاكِهَةٍ» دائمةٍ مبدولةٍ «كَثِيرَةٍ» لَا مَقْطُوعَةٍ، ومعدومةٍ في وقت من الأوقات كفواكه الدنيا صيفيها لا يكون في الشتاء، وشتويها لا يكون في الصيف «وَلَا مَمْنُوعَةٍ» عن أهلها بسبب من الأسباب.

وفي الحديث: «ما قُطعت ثمرةٌ من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين»^٤.
وعن النبي ﷺ قال: «لَمَّا دَخَلْتُ الجنة رأيت في الجنة شجرة طُوبَى أصلها في دار علي، وما في الجنة قصرٌ ولا منزلٌ إلا وفيها فنن [منها] عليها أسفاط حُللٍ من سُندسٍ واستبرق، يكون للعبد المؤمن ألف ألف سَفَط، وفي كلِّ سَفَطٍ مائة حُلَّة، وما فيها حُلَّة تشبه الاخرى، على ألوانٍ مختلفة، وثياب أهل الجنة وسطها ظلٌ ممدود في عرض الجنة، وعرض الجنة كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله، يسير الراكب في ذلك الظل مسيرة مائتي عام فلا يقطعه، وذلك قوله تعالى: «وَوَظِلُّ مَمْدُودٍ» وأسفلها ثمار أهل الجنة وطعامهم متدلٍ في بيوتهم، يكون في القضييب منها مائة لونٍ من الفاكهة مما رأيتُم في دار الدنيا ومما لم تَرَوْه وما سمعتم به وما لم تسمعوا مثلها^٥، وكلما يُجتنى منها شيءٌ نبتت مكانها أخرى لا مقطوعة ولا ممنوعة»^٦.

﴿و﴾ ذات «فُرْشٍ» وبُسط «مَرْفُوعَةٍ» القدر على السرر، أو بعضها على بعضٍ من الحرير والدُّبَّاج، بألوانٍ مختلفة، وحشوها المسك والعنبر والكافور، رواه في (الكافي)^٧ عن النبي ﷺ في حديث صفة أهل الجنة.

وقيل: ارتفاعها كما بين السماء والأرض^٨.

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٥.

٢. مجمع البيان ٩: ٣٣٠، تفسير أبي السعود ٨: ١٩٣، تفسير روح البيان ٩: ٣٢٥.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ١٦٤، تفسير روح البيان ٩: ٣٢٥. ٤. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٥.

٥. في النسخة: وفيها قتر عليها، وفي تفسير القمي: وفيها فرع منها أعلاها.

٦. في تفسير الصافي: تسمعه منها. ٧. تفسير القمي ٢: ٣٣٦، تفسير الصافي ٥: ١٢٣.

٨. الكافي ٨: ٦٩/٩٧، تفسير الصافي ٤: ٣١٨، ٥: ١٢٤. ٩. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٥.

وقيل: إنَّ القُرْشَ كنايةٌ عن الأزواج^١، وارتفاعهنَّ كونهنَّ على الأرائك، أو رفعتهنَّ في الجمال والكمال، ويؤيده إرجاع الضمير إليهنَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ وخلقناهنَّ بغير ولادة ﴿إِنشَاءً﴾ وخلقاً عجيباً.

وقيل: إنَّ القُرْشَ بمعناه^٢، ولَمَّا كان القُرْش الذي هي المضاجع دليلاً بالالتزام على الأزواج، ذكر أوصافهنَّ بلا تصريح بذكرهنَّ إشعاراً بصونهنَّ وتخذُّرهنَّ.

وقيل: إنَّ المراد بهنَّ حُور العين، كما عن القمي وبعض مفسري العامة^٣.

وعن الصادق عليه السلام أَنَّهُ سئل من أي شيء خلقن الحور العين؟ قال: «من ثُربة الجنة النورانية»^٤.

وقيل: إنَّ المراد نساء الدنيا، والمراد من إنشأتهنَّ إعادة خلقهنَّ في الآخرة، لقوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾^٥ ولو كان المراد حُور العين كان ذلك الوصف توضيح الواضح.

وفي الحديث: «هنَّ اللواتي قُبِضن في دار الدنيا عجائز شُمطاً رُمصاً، جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلادٍ واحدٍ في الاستواء، كلُّما أتاهاُنَّ أزواجهنَّ وجدوهنَّ أبكاراً»... الخبر^٦.

ورَوَى أَنَّهُ قالت عجوز من بني عامر: يا رسول الله، ادعُ الله أن يدخلني الجنة. فقال ﷺ مزاحاً: «يا أمَّ فلان، إنَّ الجنة لا يدخلها عجوز» فولَّت وهي تبكي، فقال ﷺ: «أخبروها أَنها لست يومئذٍ بعجوز» وقرأ: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾^٧.

﴿عُرْباً﴾ متحَنِّات إلى أزواجهنَّ، ومتحَبِّبات إليهم.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ سئل عن العروبة^٨ فقال: «هي العَنَجة الرضية الشهية»^٩.

وعن القمي، قال: يتكلَّمن بلسان العربية^{١٠}. وقال به بعض مفسري العامة^{١١}.

﴿أتراباً﴾ ومستويات في السنِّ لأزواجهنَّ، أو بعضهم لبعض، لا تفاوت بينهنَّ بصغر ولا كبير، كلُّهنَّ بنات ثلاث وثلاثين سنة، أو تماثلات في النَّظر إليهنَّ. وقيل: يعني متساويات في السن^{١٢} ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ كما ذكرنا لا يُعَيَّرُون أزواجهنَّ بكبر السنِّ وعلى التفسيرين الأولين قوله: ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ متعلق بقوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ والمعنى خلقناهنَّ لأصحاب اليمين.

١. تفسير أبي السعود ٨: ١٩٣، تفسير روح البيان ٩: ٣٢٥.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٤٨، تفسير الصافي ٥: ١٢٤.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٣٦٦.

٧. تفسير روح البيان ٩: ٣٦٦.

١٠. تفسير القمي ٢: ٣٤٨، تفسير الصافي ٥: ١٢٤.

١٢. تفسير الرازي ٢٩: ١٦٦، تفسير أبي السعود ٨: ١٩٤.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٥.

٤. تفسير القمي ٢: ٨٢، تفسير الصافي ٥: ١٢٤.

٦. جوامع الجامع ٤٧٨، تفسير روح البيان ٩: ٣٢٥.

٨. في النسخة: العربي. ٩. تفسير الصافي ٥: ١٢٤.

١١. تفسير روح البيان ٩: ٣٦٦.

ثم لما نزل قوله في السابقين السابقين ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ بكى بعض الصحابة وقال: يا نبي الله، نحن أمانا بك صدقناك، ولا ينجو منا إلا قليل! فنزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^١.

قيل: إن الثلثتين من أمة نبينا ﷺ، الثلثة الأولى الذين كانوا في زمانه، والثلثة الأخرى الذين جاءوا بعد زمانه^٢.

وفي الحديث: «أترضون أن تكونوا ريع أهل الجنة؟» قالوا: نعم قال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» قالوا: نعم، قال: «والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»^٣. وفي رواية عنه ﷺ: «إن جميع الثلثين من أمتي»^٤.

أقول: الأظهر أن المراد من الأولين أُمم الأنبياء السابقين من آدم إلى زمان خاتم النبيين، ومن الآخرين أمة نبينا ﷺ، كما قلنا أولاً، لوضوح أن في سائر الأمم أصحاب اليمين أيضاً، كما أن فيهم السابقين، ولدلالة قوله: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» ولما روي عنه ﷺ أنه قال: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة» ثم تلا هذه الآية^٥، لوضوح أن النصف الآخر والشرط الآخر لابد أن يكون من سائر الأمم.

وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ [٤١-٤٤]

ثم ذكر سبحانه سوء حال الفرقة الثالثة الذين عبر سبحانه عنهم أولاً بأصحاب المشأمة، لأن فساد الدنيا إنما هو لشؤم كفرهم وعصيانهم، وعبر عنهم هنا بقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ﴾ قيل: لكونهم في شمال العرش^٦. وقيل: في شمال المحشر. وقيل: لإعطاء كتاب أعمالهم بشمالهم^٧.

وما تدرون «مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ» وأي شيء هم في الذلة وسوء العاقبة والحال في الآخرة وشدة العذاب؟ أولئك الملعونون في القيامة مستقرّون ﴿فِي سَمُومٍ﴾ ونار نافذ في ثقب أجسادهم ومنافذ أبدانهم. وقيل: إن السموم ريح حارة عفنة قتالة ﴿وَوِي﴾ في ﴿حَمِيمٍ﴾ وماء بالغ منتهى الحرارة ﴿وَوِي﴾ في ﴿ظِلٍّ﴾ وفيء ﴿مِنْ﴾ جنس ﴿يَحُمُومٍ﴾ ودخان أسود كالقحم، أو ظل ناشئ من نار

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٠.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٧.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٣٢٠.

٤. مجمع البيان ٩: ٣٣١، تفسير الصافي ٥: ١٢٥.

٥. مجمع البيان ٩: ٣٣٢، تفسير الصافي ٥: ١٢٥، تفسير روح البيان ٩: ٣٢٧.

٦. لم نعر عليه.

٧. مجمع البيان ٩: ٣٣٣، تفسير أبي السعود ٨: ١٩٤، تفسير الرازي ٢٩: ١٦٨.

سوداء. وقيل: إن يحموم من أسماء جهنم^١.

ولمّا كان الظّل مطلوباً لبرده واستفادة الراحة فيه، وصف الظّل بضدّ ما يكون مطلوباً له بقوله: ﴿لَا بَارِدُ﴾ ذلك الظّل ﴿وَلَا كَرِيمٌ﴾ ونافع ومريح من أذى الحرّ. قيل: لمّا كان المتفرّفون والمتنعّمون يطلبون أحسن الأهوية، وأعذب المياه وأبردها^٢، القعود في الظلال، بين سبحانه أنهم إذا طلبوا الهواء الطيب يَهَبَ عليهم السّوم، وإذا أرادوا دفع حرّته بالماء البارد كان ماؤهم حميماً، وإذا أرادوا أن يستكنوا ويدفعوا عن أنفسهم السّوم يكونون في ظلّ من يخموم.

وقيل: إن السموم يحرقهم فيعطشون، فيشربون من الحميم فيقطع أمعاءهم، ويستظلّون منه، فيكون ظلّهم من يحموم^٣.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ءَأِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أُنْثِيََا الضَّالُّونَ أَلَمْ كَذَّبُوا * لَا يَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِثُونَ مِنْهَا الْبَطُونَ * فَسَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَسَارِبُونَ شَرِبَ إِلَيْهِمْ [٤٥-٥٥]

ثم بين سبحانه سبب استحقاقهم ذلك العذاب بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ اليوم في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ ومتنعّمين بالنعم الدنيوية فآلهتهم عن ذكر الله وكفروا بنعمه ﴿وَكَانُوا﴾ مع ذلك ﴿يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ﴾ والذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ وهو الشّرك بالله العظيم، ويكذبون الأنبياء الذين يدعونهم إلى التوحيد والإقرار بالمعاد ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ﴾ إنكاراً لهم واستبعاداً لقولهم بالبعث بعد الموت: ﴿ءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ نخرة بالية ﴿ءَأِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ من القبور، ومُخْرَجُونَ منها أحياء؟ ﴿أَوْ﴾ يبعث ﴿آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ وأجدادنا السابقون بعد تفرّق أجزاء ثراهم في أقطار الأرض، واختلاطها بغيرها من التراب؟ وفي إعادة الاستفهام مبالغة في الإنكار.

ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بردهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم: نعم ﴿إِنَّ﴾ الأمم ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ والسابقين من لدن آدم إلى زمانكم هذا ﴿وَالْآخِرِينَ﴾ الذين يأتون إلى يوم فناء الدنيا

١. مجمع البيان ٩: ٣٣٣، تفسير أبي السعود ٨: ١٩٤، تفسير الرازي ٢٩: ١٦٨.

٢. مجمع البيان ٩: ٣٣٣، تفسير أبي السعود ٨: ١٩٤، تفسير الرازي ٢٩: ١٦٨.

﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ بعد الإحياء في المحشر، ومبعوثون لا محالة ﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ﴾ ووقت واحد معين ﴿مَعْلُومٍ﴾ عند الله لا يعلمه غيره، وهو يوم القيامة.

﴿ثُمَّ﴾ بعد الإحياء والبعث ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمْ الضَّالُّونَ﴾ عن طريق الحق والمنحرفون عن مسلك الصواب ﴿الْمُكَذَّبُونَ﴾ للرسل إخبارهم بالبعث بعد الموت، والله ﴿لَا كَلُونَ﴾ بعد البعث والجمع ودخول جهنم ﴿مِنْ شَجَرٍ﴾ من أشجار جهنم، أعني ﴿مِنْ﴾ شجر ﴿زُقُومٍ﴾ وهو شجر كربه المنظر، مرّ الطعم، حار في اللمس ممتن في الرائحة، ولا يقنع منه بالأكل من تلك الأشجار والثمار، بل يجبرون على الإكثار من أكلها ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾ كرهاً ﴿الْبُطُونَ﴾ أو لشدة الجوع، فيعطشون من حرارة الزقوم وحرّته ﴿فَشَارِبُونَ﴾ أنتم بعد أكله ﴿عَلَيْهِ﴾ شراباً ﴿مِنْ الْحَمِيمِ﴾ والماء الحار البالغ منتهى الحرارة ﴿فَشَارِبُونَ﴾ أنتم منه كرهاً وجبراً ﴿شَرِبَ إِلَيْهِمُ﴾ والجمال التي بها داء الاستسقاء، لا تروي من الماء حتى تموت، أو مثل شرب الرمال التي لا تتماسك.

عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الهميم، قال: «الابل»^١ وفي رواية: «إنه الرمل»^٢.

وحاصل المعنى على ما قيل: أنه يُسلط عليكم أيها الضالون من الجوع ما يضطرّكم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل، فاذا ملائتم منه بطونكم، وهو في غاية المرارة والحراة، سلط عليكم من العطش ما يضطرّكم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءكم ثم يلزمونكم على أن تشربوا منه، ولا يكون شربكم شرباً معتاداً، بل يكون شربكم مثل شرب الجمل الذي به مرض العطاش، أو مثل شرب كثيب الرمل.

هَذَا نُزِّلَ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ * نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ *
ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ [٥٦-٥٩]

ثم بين سبحانه أن ما ذكر ليس جميع عذابهم، بل هو أول ما يلقونه يوم القيامة بقوله: ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿نُزِّلَهُمْ﴾ وأول ما يهبأ لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ ووقت الجزاء على الضلال وتكذيب الرسل والبعث، وبعدهما استقروا في الجحيم أشد وأشق، وفيه من التهكم ما لا يخفى، فإن النزل ما يُعدّ تكريماً للضيف أول وروده.

ثم أخذ سبحانه في الاستدلال على صحّة البعث وصدق الرسل في إخبارهم به بقوله: ﴿نَحْنُ﴾

١. المحاسن: ٣٤-٣٢/٥٧٦، معاني الأخيار: ٣/١٥٠، تفسير الصافي: ٥: ١٢٦.

٢. المحاسن: ٣٦/٥٧٧، معاني الأخيار: ٣/١٥٠، تفسير الصافي: ٥: ١٢٦.

بقدرتنا ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ أول مرة، فاذا علمتم ذلك ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ الرسل في قولهم بالبعث، وهلا تُقرِّون بخلقكم ثاني مرة؟ مع أنه في نظركم أهون وأسهل، وإن أنكرتم أنكم مخلوقون بقدرتنا، وقلتم: إنا موجودون من المنى بتأثير الطبيعة أو الكواكب فيه، نقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ وأخبروني عن ﴿مَا تُمْنُونَ﴾ وتَدْفِقُونَ من المنى في أرحام النساء، فإنه لا بد له من خالقٍ يخلقه في أصلابكم ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ بقدرتكم ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ في أصلابكم ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ لذلك المنى من غير دخل شيء في خلقه وتقديره في الأصلاب وأطواره وتصويره في الأرحام؟ لا مجال لأحدٍ إلا القول بأننا خالقه، وإلا لتسلسل، فمن خلقه وصوره في ظلمات ثلاث وأحياه، قادَرٌ على إحيائكم ثانياً بعد موتكم.

نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا
تَذَكَّرُونَ [٦٠-٦٢]

ثم إنه تعالى بعد إثبات أن الخلق بقدرته، لا دخل لأحدٍ فيه، أثبت أن الموت أيضاً بقدرته، ليس قدرته على الخلق والإحياء فقط، بل الحياة والموت كلاهما بقدرته وإرادته بقوله: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا﴾ وجعلنا، أو قسمنا ﴿بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ بقدرتنا ومشيتنا المبنية على الحكم البالغة ﴿وَمَا نَحْنُ﴾ في أن من الآفات ﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾ وغير قادرين ﴿عَلَى أَنْ نُعِدَّكُمْ وَنُمِيتَكُمْ وَنُبَدِّلَ﴾ منكم ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ ونخلق عوضاً منكم في مكانكم أشباهكم في الخلق.

وقيل: قوله: ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ﴾ متعلق بقوله: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾^١ والمعنى: نحن قدرنا بينكم الموت، لكن لا بأن نهلككم دفعةً واحدة، بل قدرنا بأن نُمِيتكم ونجعل بدلکم في الأرض مثلکم مدةً طويلةً ثم نهلككم جميعاً ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ ونخلقكم ثانياً ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الوقت والزمان وفيه تحريص على الإيمان والعمل الصالح، والإعداد ليومٍ لا يُعلم وقوعه في أي وقت.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ والخلق الأول في دار الدنيا، حيث إنه خلقكم أولاً من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقَةٍ، ثم من مضغَةٍ ثم جعلكم عظاماً، ثم كسا العظام لحماً، ثم جعلكم خلقاً ذا حياة وقوة وقدرة وشعور ﴿فَلَوْلَا﴾ وهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ وتعتبرون أن من قَدَر عليها قَدَرٌ على النشأة الأخرى والخلق الآخر؟

في الخبر: «عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة، وهوى يرى النشأة الأولى»^٢. وعن

السجاد عليه السلام ما يقرب منه^١.

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ [٦٣-٦٤]

ثم إنه تعالى بعد الاستدلال على المعاد بقدرته على الخلق الأول، استدلل بقدرته على خلق ما يحتاجون إليه في بقائهم من المأكول بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ وأخبروني عما تبذرون من الحبوب كالحنطة والشعير ونحوهما ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ بقدرتكم ﴿تَزْرَعُونَهُ﴾ وتنبئونه من الأرض، وتبلغونه إلى الثمر المقصود ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ والمُنبتون له من الأرض، والمُبلغون له إلى الثمر بحيث تتفعمون به وتأكلونه؟

في الحديث «لا يَقُولُ أَحَدُكُمْ: زَرَعْتُ، بَلْ يَقُولُ: حَرَثْتُ، فَإِنَّ الزَّارِعَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى»^٢.
 قيل: يُسْتَحَبُّ لِمَنْ ألقى في الأرض بَذْرًا أَنْ يقرأ بعد الاستعاذة: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾^٣ ثم يقول الله الزارع والمُنْبِتُ والمُبْلِغُ اللهم صل على محمد وآل محمد، وارزقنا ثَمَرَهُ واجنبنا ضَرَرَهُ واجعلنا لَأَتَعَمَّكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَإِنَّ الدَّعَاءَ أَمَامَ ذَلِكَ الزَّرْعِ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ^٤.

وحاصل الآية أَنَّ مَنْ قَدَّرَ عَلَى إنبات الزرع من الأرض، قادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنَ الطُّفْةِ الْمُسْتَدِيرَةِ الْبَاقِيَةِ فِي الْقَبْرِ.

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمَغْرُمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ [٦٥-٧٠]

ثم استدلل سبحانه على قدرته على حفظ الزرع إلى بلوغ الثمر بقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ بعد إنبات الزرع واستوائه على سَوَاقِهِ ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ وصيرناه ﴿حُطَامًا﴾ ويابساً منكسراً متفتتاً ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ وبقيتم بسبب فساد زرعكم ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ وتحدثون بعجب ما رأيتم من فساد الزرع بعد ما كان على أحسن الحال من النمو والاشراف على الثمر، أو تندمون على ما انفقتم فيه، وما بذلتم فيه من غاية الجهد، وتقولون: يا قوم ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ ومتضرعون بفساد زرعنا أو مُهْلِكُونَ بهلاك رزقنا ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ من

١. الكافي ٣: ٢٨/٢٥٨، تفسير الصافي ٥: ١٢٧.

٢. مجمع البيان ٩: ٣٣٧، تفسير الصافي ٥: ١٢٧، تفسير روح البيان ٩: ٣٣٢.

٣. الواقعة: ٦٧/٥٦.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٣٣٢.

حظنا، وممنوعون من رزقنا.

ثم استدلَّ سبحانه على قدرته الكاملة بإنزال ما يشربونه من الماء العذب بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ وأخبروني عنه ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ بقدرتكم ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ والسحاب المتصل بالماء ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ له بقدرتنا لشربكم الذي هو أهم منافعكم، وبه بقائكم؟ ثم بالغ سبحانه في إظهار قدرته بقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ عدم استفانكم ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ وصيرناه ﴿أَجَاجًا﴾ ومُرًّا من شدة الملوحة، فلا يمكنكم شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ وهلا ﴿تَشْكُرُونَ﴾ الله على إكمال نعمة مأكلكم بنعمة مشربكم؟ قيل: تصدير جزاء الشرطية الأولى باللام للدلالة على أن سلب نعمة المأكل أشد على [الإنسان من سلب] نعمة المشروب، لكون الحاجة إلى المشروب تبع للحاجة إلى المأكل^١.

عن ابن عباس: أن تحت العرش بحر تنزل [منه] أرزاق الحيواناتن يُوحى الله إليه ما شاء من السماء إلى السماء، حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، ثم يُوحى الله إلى سماء الدنيا أن غريبه فتغربه، فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها، ولا تنزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم ووزن معلوم، إلا ما كان من يوم الطوفان، فإنه نزل بغير كيل ووزن^٢.

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ *
نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ [٧١-٧٣]

ثم استدلَّ سبحانه بالنار المنقذة من الزناد بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ وأخبروني عن البرقة التي تقدحونها وتخرجونها من عودين يحك أحدهما بآخر ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ أيها العرب ﴿أَنْشَأْتُمْ﴾ وأوجدتم بقدرتكم ﴿شَجَرَتَهَا﴾ التي منها الزند والزئدة، وهي المزخ والعقار؟ وقيل: أريد مطلق الشجر الذي يصلح للإيقاد^٣ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ والموجدون لها بقدرتنا؟

ثم بين سبحانه منافع النار بقوله: ﴿نَحْنُ﴾ بقدرتنا وحكمتنا ﴿جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ ومنبها لصحة البعث، حيث إن من قدر على إيداع النار في الشجر الأخضر، قادر على أن يخلق في بدن الميت حرارة غريزية يحيا بها الميت، أو تذكرة لنار القيامة، فيخشى العاقل من عذاب ربه إذا رأى النار الموقدة ﴿وَمَتَاعًا﴾ ومنفعة مهمة ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ والمسافرين الذين ينزلون البوادي والقفار، فإنهم أشد

١ و ٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٣٤.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ١٨٤.

٣. المزخ: شجر سريع الؤزي يفتتح به. والعقار: شجر يتخذ منه الزناد.

حاجةً بالنار لحفظهم من السباع ودفع البرد وغير ذلك. وقيل: يعني للذين أوقدوها وقووها^١، أو للذين خَلَّتْ بطونهم، أو مزادهم^٢ من الطعام، وفي تقديم التذكرة إشعار بأهمية المنافع العقلية من المنافع الجسمانية.

فَسَيِّحُ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ [٧٤-٧٦]

ثُمَّ لَمَّا أَثْبَتَ سبحانه التوحيد والمعاد، أمر نبيه ﷺ بتنزيهه عن الشريك وترك إعادة الخلق للحساب بقوله تعالى: ﴿فَسَيِّحُ﴾ يا محمد ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ وذاته المقدسة عما لا يليق به من الشريك، وخلق العالم عبثاً، وعدم إعادة الخلق للحساب والجزاء، وفي إضافة التسييح إلى اسمه دلالة على نهاية عظمة المُسَمَّى، والظاهر أنَّ المراد أمر النبي ﷺ بتسييح الله وإقران تسييحه بذكر اسم ربه العظيم، بأن يقول: سبحانه ربي العظيم.

روي عن النبي ﷺ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»^٣.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ إثبات التوحيد والمعاد بالأدلة القاطعة، وكان ذلك دليلاً على صحة نبوة نبينا ﷺ وصدق القرآن، ولم يبق مجالٌ للاستدلال عليهما لوضوحهما، أقسم سبحانه عليهما بقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ التي في السماء ومساقطها. قيل: هي مشارقها ومغاريها، أو مغاريها وحدها، أو منازلها وبروجها، أو مساقطها في أتباع الشياطين، أو في القيامة حين انتشارها^٤. وقيل: إنَّ المراد بالنجوم معاني الآيات وأحكامها التي وردت فيها.

قيل: إن كلمة (لا) زائدة يُجاء بها لتأكيد القسم^٥. وقيل: إنَّ الأصل لأقسم بلام التأكيد، أُشْبِعَتْ فِتْحَتُهَا فَصَارَتْ (لا)^٦. وقيل: إنَّها نافية على أصلها^٧، والمنفي محذوف، والتقدير: فلا صحة لقول الكفار من إنكار البعث، أو كون القرآن كلام البشر، أقسم عليه بمواقع النجوم: وقيل: إنَّ المعنى لا أقسم لظهور الأمر ووضوحه^٨، وإلا لَكُنْتُ أقسم بمواقع النجوم، وفيه دلالة بناءً عليه على ظهور الأمر والحلف عليه. وعن الصادق عليه السلام قال: «كان أهل الجاهلية يحلفون بها، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾»^٩.

٢. المزاد: جمع مزود: وعاء الزاد.

١. تفسير الرازي ٢٩: ١٨٤.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ١٨٨.

٣. مجمع البيان ٩: ٣٣٩، تفسير الصافي ٥: ١٢٨.

٨. تفسير أبي السعود ٨: ١٩٩، تفسير روح البيان ٩: ٣٣٦.

٥. ٧. تفسير الرازي ٢٩: ١٨٧.

٩. الكافي ٧: ٤٥٠، تفسير الصافي ٥: ١٢٨.

وعنهما عليهما السلام: «أن مواقع النجوم رُجومها للشياطين، فكان المشركون يُقسمون بها، فقال سبحانه: فلا أقسم بها»^١.

وقال الطريحي: في الحديث يعني به اليمين بالبراءة من الأئمة عليهم السلام، يحلف بها الرجل، يقول: إن ذلك عند الله عظيم^٢، وهو قوله: «وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ»^٣.

قيل: إن المعنى: ليس تركي للقسم بمواقع النجوم لأجل أنه ليس بقسم^٤، أو ليس بقسم عظيم، بل لأنني أريد بتركي القسم به أن أقسم بأعظم منه لغاية جزمي بصحة المقسم عليه^٥، وإن القسم بمواقع النجوم عظيم لو تعلمون عظمته، أو لو كنتم من أهل العلم لصدقتموني^٦.

ولمّا كان المقسم به - وهو اختلاف مواقع النجوم ومغاربها - دليلاً على كمال قدرة الله، استدلّ بها بصورة القسم، كأن المعنى: لو تعلمون أنّ اختلافها ليس إلّا لكونها تحت قدرة القادر المختار الحكيم، لا عرّفتكم بمدلوله، وهو توحيد الله وقدرته على كلّ شيء، ومنه حشر الأجساد البالية.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ
تُكَذِّبُونَ [٧٧-٨٢]

ثم ذكر سبحانه المُقسم عليه، وهو كون القرآن كلام الله بقوله: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ» متلو على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جانب الله، وهو «كَرِيمٌ» وذو فضل عظيم ونفع عظيم في الدنيا والآخرة، لاشتماله على أصول العلوم وصلاح المعاش والمعاد، أو حسن مرضي من الكتب، أو ذو كرامة عند الله، ولذا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو مكتوب «فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ» ومصون عن أن تناله أيدي الثقلين، أو محفوظ عن التغيير والتبديل، أو مستور عن أعين غير المقرّبين من الملائكة، وهو اللوح المحفوظ، وفيه ردّ على المشركين القائلين بأنّه كلام البشر، أو شعر أ سحر وكهانة.

ثم بالغ سبحانه في بيان عظمة شأنه عنده بقوله: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» من الأخبث والأحداث، وهم الملائكة المنزهون عن الأدناس الجسمانية، والمؤمنون المنظفون عن الأحداث البشرية.

١. مجمع البيان ٩: ٣٤١، تفسير الصافي ٥: ١٢٨.

٢. من لا يحضره الفقيه ٣: ١١٢٣/٢٣٧، تفسير الصافي ٥: ١٢٨.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ١٩٠.

٣. مجمع البحرين ٣: ١٩٦١ - وقع -

٦. تفسير الرازي ٢٩: ١٨٩.

٥. تفسير الرازي ٢٩: ١٩٠.

عن الكاظم عليه السلام قال: «المُصْحَفُ لَا تَمَسُّهُ عَلَى غَيْرِ طَهْرٍ وَلَا جَنْبًا، وَلَا تَمَسَّ خِيَطَهُ، وَلَا تُعَلِّقَهُ، إِنْ أَلَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾»^١.

وفي (الاحتجاج): لَمَّا اسْتَخْلَفَ عُمَرُ سَأَلَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَيُحَرِّفُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنْ جِئْتُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي جِئْتُ بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ حَتَّى نَجْتَمِعَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هِيَاتِ، لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، إِنَّمَا جِئْتُ بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ لَتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا: مَا جِئْنَا بِهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي عِنْدِي لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، وَهُمْ الْأَوْصِيَاءُ مِنْ وَلَدِي. فَقَالَ عُمَرُ: فَهَلْ لِيُظَاهِرَهُ وَقْتُ مَعْلُومٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِذَا قَامَ الْقَائِمُ مِنْ وَلَدِي يُظَاهِرُهُ وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَتَجْرِي السَّنَةُ بِهِ»^٢.

أقول: المراد من التحريف تغيير ما كتبه أمير المؤمنين من التفسير والتأويل، لا تغيير ألفاظ الآيات التي نزلت من السماء، ومن وقوله (لا يمسّه إلا المطهرون وهم الأوصياء) بيان تأويله وبطنه لا تنزيهه. وقيل: إنّه وصف الكتاب المكنون. وهو اللوح المحفوظ^٣، والأصح الأول، لقوله: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ ومُنَزَّلَ هذا القرآن ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي نسبة تنزيهه إلى ذاته مع توصيفها برّب العالمين دلالة على غاية عظمة القرآن المنزّل منه، وكونه من شؤون ربوبيته لجميع الموجودات.

ثُمَّ وَتَخَ سَبْحَانَهُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى إِهَانَتِهِمْ بِهَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ بقوله: ﴿أَفِيْهِذَا الْحَدِيثِ﴾ الذي هو أحسن الحديث، وهذا القرآن الذي هو أعظم الكتب السماوية ﴿أَنْتُمْ﴾ أيها المشركون ﴿مُذْهَبُونَ﴾ وتُكْذَّبُونَ، أو تهينون ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ ومعاشكم ﴿أَنْتُمْ تُكْذَّبُونَ﴾ محمداً وكتابه، أو المراد تجعلون شكر رزقكم ونعم ربكم تكذيبكم بمن أنزله عليكم ورزقكم نعمه بأن تنسبونها إلى الأنواء. عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قرأ الواقعة فقال: ﴿تَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذَّبُونَ﴾ فلَمَّا انصرف قال: «إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَقُولُ قَائِلٌ: لَمْ قَرَأْ هَكَذَا قَرَأْتُهَا، لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُهَا كَذَلِكَ، وَكَانُوا إِذَا أَمَطَرُوا قَالُوا: أَمَطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذَّبُونَ﴾»^٤. وعن الصادق عليه السلام في الآية قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ﴾^٥.

أقول: في الرواية العلوية دلالة واضحة على اشتهاار قراءة ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ في الصدر الأول، فيمكن أن تكون قراءة ﴿شُكْرَكُمْ﴾ تفسيراً للآية، كما فسرها به كثير من المفسرين، أو يكون نزول

٢. الاحتجاج: ١٥٦، تفسير الصافي ٥: ١٢٩.

١. التهذيب ١: ٣٤٤/١٢٧، تفسير الصافي ٥: ١٢٩.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٤٩، تفسير الصافي ٥: ١٢٩.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ١٩٢.

٥. تفسير القمي ٢: ٣٥٠، تفسير الصافي ٥: ١٣٠.

الآية على النحوين (رزقكم) و(شكركم).

والذي يهون الخطب أن الروائيتين لا حجة فيهما، لكونهما أخبار آحاد، وغير قطعتين، وعدم ترتب عمل عليهما، بل عدم جوازه، لوضوح عدم حرمة مس (شكركم) إذا كتب بدل (رزقكم) وعدم جواز قراءته في الصلاة، أو في غير الصلاة بقصد القرآنية.

ومن المعلوم أن هذا النحو من الحذف والوصل كثير في القرآن المجيد، وقد ورد أن الآية توبخ لمن نسب الأمطار والأرزاق إلى الأنواء، وهي منازل القمر، أو النجوم التي يسقط واحد منها عند طلوع الفجر في جانب المغرب، ويطلع رقبه من ساعته في جانب المشرق، وكانت العرب تنسب الأمطار والرياح إلى الساقط أو إلى الطالع منها، وهو الشُّرك بالله العظيم، وتكذيب لقوله: «هو الذي ينزل الغيث»^١ وقوله: «أفرأيت الماء الذي تشربون»^٢ إلى غير ذلك.

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ
وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ [٨٧-٨٣]

ثم بين سبحانه أنهم لا يقولون على ذلك التكذيب والقول بالأنواء عند الموت وحين انكشاف حقائق الأمور بقوله: «فَلَوْلَا» وهؤلاء يقولون أيها المشركون هذه الأقوال الشنيعة «إِذَا بَلَغَتِ أرواحكم «الْحُلُقُومَ» ومجرى النفس، وتداعت إلى الخروج من أبدانكم «وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ» إلى ما أنتم فيه من غمرات الموت، ولو كان ما تقولونه لكان الواجب أن تقولونه في ذلك الوقت الذي هو زمان ظهور الواقعات ورفع حجاب الجهل والشبهات.

وقيل: إن الخطاب للحاضرين عند المحتضر^٣، والمعنى والحال أنكم في ذلك الوقت حاضرون عند من بلغت الروح حلقه، وتنظرون إلى ما هو فيه من سكرات الموت، وتعطفون عليه غاية العطفة، وتشتاقون إلى أن تُنجونه من الموت والهلاك «وَوَ» مع كمال قربكم منه «نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ» في تلك الحال، وفي جميع الأحوال علماً وقدرة وتصرفاً، حيث إننا متولون لجميع أحواله «وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ» ولا تُدركون قربنا إليه وإحاطتنا به، وكونه بشرايش وجوده تحت قدرتنا وتصرفنا.

١. الشورى: ٢٨/٤٢. ٢. الواقعة: ٦٨/٥٦.

٣. تفسير البضاوي ٢: ٤٦٤، تفسير الصافي ٥: ١٣٠، تفسير روح البيان ٩: ٣٣٩.

ثم أكد سبحانه تحضيضهم بتكرار كلمة التحضيض بقوله: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ خَيْرَ مَدِينِينَ﴾ وغير مملوكين ومقهورين تحت قدرتنا، أو غير مجزين بأعمالكم في الآخرة، تعيدون أنفسكم و ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ إلى الدنيا كما كنتم في الدنيا مختارين في الذهب، والإياب والقعود في الأماكن، وحاصل المعنى، والله أعلم: إن كنتم غير مملوكين ومخلوقين لنا، أو غير مجزين في دار الآخرة، أو غير مقيمين فيها لاستيفاء جزاء الأعمال، لم لا ترجعون أنفسكم إلى الدنيا، لوضوح أنه لولا المقهورة تحت قدرتنا، أو إرادتنا بقاءكم في الآخرة للجزاء، لكنتم مختارين في الرجوع إلى الدنيا، أو إرجاع أنفسكم بعد بلوغها إلى الحلقوم إلى ابدانكم، كما كنتم مختارين في الرجوع إلى أي مكان تريدون، أو أي عمل تهوون ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعوى كونكم غير مخلوقين لله، أو غير مجازين في الآخرة، أو غير مقيمين في العذاب، كما قالت اليهود: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾.

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَزَوْجٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَضْلِيلَةٌ جَعِيمٌ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ
الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ [٨٨-٩٦]

ثم إنه تعالى بعد إثبات الحشر، وذكر حال النزاع، بين حال الفرق من الناس بعد خروج روحهم، أو في المحشر بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ الذي بلغت روحه خلقومه، أو حُشِر في المحشر ﴿مِنْ الْمُقَرَّبِينَ﴾ من الله، السابقين إلى الإيمان والطاعة في الدنيا ﴿فَزَوْجٌ﴾ وراحة دائمة، أو رحمة أبدية، أو فرح بسبب لقاء الله ﴿وَرِيحَانٌ﴾ ورزق طيب مرضي، أو ورق، أو زهر طيب الرائحة ﴿وَجَنَّةٌ﴾ الخلد التي ذات ﴿نَعِيمٍ﴾ لا يُوصف.

عن الصادق عليه السلام قال: ﴿فَزَوْجٌ وَرِيحَانٌ﴾ يعني في قبره ﴿وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ يعني في الآخرة. ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ المتوفى ﴿مِنْ﴾ جملة ﴿أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ وأهل اليمن والسعادة، أو الواقفين عن يمين العرش، أو يمين المحشر، أو الذين يؤتون كتابهم بأيامهم ﴿فَسَلَامٌ﴾ وأمانٌ أبدي من جميع الآفات والمكروهات ﴿لَكَ﴾ يا صاحب اليمن والسعادة والكرامة ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾. قيل: إن المراد أن أصحاب اليمن كل يبشر الآخر بالسلامة من المكاره، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿لَا

يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قليلاً سلاماً سلاماً^١ أو المراد سلام التحية، والمقصود أن أصحاب اليمين يُسلم بعضهم على بعض^٢.

وقيل: إن خطاب (لك) إلى النبي ﷺ والمراد بيان عدم حاجتهم إلى الشفاعة، والمعنى: فسلام لك يا محمد لا يَهْكم أمرهم، فأنهم في سلامة وعافية^٣. أو المراد أن أصحاب اليمين يُسلمون عليك يا محمد، وفيه دلالة على عظمتهم، فإن العظيم لا يُسلم عليه إلا العظيم - كذا قيل -^٤ وعلى أن أصحاب اليمين وإن كان مكانهم دون المقرّين، إلا أنه لا ينقطع بينهم التسليم والمكالمة، كما أنهم يُسلمون عليك. «وَأَمَّا إِنْ كَانَ» الْمُتَوَفَّى «مِنَ» الْكُفَّارِ «الْمُكْذِبِينَ» للرسول في دعوى الرسالة والتوحيد والبعث من جهة كونهم من «الضَّالِّينَ» والمُنْحَرِفِينَ عن طريق الحق والهدى، أو الواقفين عن شمال العرش، أو المخشّر، المؤتّن كتابهم^٥ بشمالهم.

عن الباقر عليه السلام: «فهؤلاء المشركون»^٦.

«فَتَرَوْا» وما أعد لهم حين ورودهم علينا، كائن «مِنَ حَمِيمٍ» وماءٍ متناهٍ في الحرارة تُفطّع به أمعاءهم. قيل: هذا في قبره «وَتَضَلَّيْتُهُ جَحِيمٍ» والقاء في النار، وهذا في الآخرة، كما عن الصادق عليه السلام^٧. «إِنَّ هَذَا» المذكور في هذه السورة المباركة، أو أصناف الناس وجزأؤهم في الآخرة، والله «لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ» والثابت الذي لا ريب فيه^٨، والثابت المتيقن أو حق الخبر^٩ اليقين، أو الثابت الذي لا يطرأ عليه التبديل والتغيير. وقيل: يعني يقين حق اليقين^{١٠}.

ثم لما كان حقيقة ما في السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عن الشرك والكذب وسائر ما لا يليق بربوبيته تعالى، رتب على بيان ما في السورة أمر نبيه ﷺ بتسبيحه وتنزيهه بقوله تعالى: «فَسَبِّحْ» يا محمد «بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» وقد مرّ تفسيره أو المراد فسبح شُكراً لما أنزلت إليك من المطالب العالية التي ما نزلت على غيرك من الرسل.

وقيل: لما بين سبحانه الحق، وامتنع الكفار عن قبوله، أمر نبيه ﷺ بتسبيحه وتنزيهه^{١١}، والمراد إن امتنع الكفار من قبول ما فصل في السورة، فلا تتزكهم ولا تُعرض عنهم، وسبح ربك في نفسك، وما

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٠٢، والآية من سورة الواقعة: ٥٦/٢٥.

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٠٢.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٠٢.

٤. في النسخة المؤتّن كتابتهم.

٥. تفسير الصافي ٥: ١٣١.

٦. الكافي ٢: ١٢٥، تفسير الصافي ٥: ١٣١.

٧. تفسير الصافي ٥: ١٣١.

٨. في النسخة: التي لا ريب فيها.

٩. في النسخة: بالخبر.

١٠. تفسير الرازي ٢٩: ٢٠٤.

١١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٠٤.

عليك إن صدّقوك أو كذّبوك.

رُوي أن عثمان بن عفان عاد عبدالله بن مسعود في مرض موته، فقال له: ممّا تشتهي؟ قال: أشتكي من ذنوبي. قال: عثمان: ما تشتهي؟ قال: رحمة ربّي. قال: أفلا تدعو الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا أمر لك بعطائك؟ قال: منعته. وأنا محتاجٌ إليه، تعطينه وأنا مستغني عنه! قال: أجعل عطاءك بعذك لبناتك؟ قال: لا حاجةَ لهن فيه؛ لأنّي علمتهنّ سورة الواقعة يقرأنها بعد العشاء، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة بعد العشاء لم تُصبه فاقة»^١.

وفي رواية، قال: «من قرأ سورة الواقعة [في كل ليلة] لم تُصبه فاقة أبداً»^٢.

وفي حديث آخر: «من داوم على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً»^٣.

وعن الغزالي: أن قراءة هذه السورة عند الشدّة في أمر الرزق والخصاصة شيءٌ وردت به الأخبار المأثورة عن النبي ﷺ وعن الصحابة^٤.

وعن الباقر عليه السلام: «من قرأ الواقعة كلّ ليلة قبل أن ينام لقي الله عزّ وجلّ ووجهه كالقمر ليلة البدر»^٥. الحمد لله على التوفيق لاتمام تفسيرها، وأسأله التوفيق لتلاوتها.

١. مجمع البيان ٩: ٣٢١، تفسير روح البيان ٩: ٣٤٣.

٢. مجمع البيان ٩: ٣٢١، تفسير البيضاوي ٢: ٤٦٥، تفسير أبي السعود ٨: ٢٠٢.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٣٤٤.

٤. ثواب الأعمال: ١١٧، مجمع البيان ٩: ٣٢١، تفسير الصافي ٥: ١٣١.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٣٤٤.

في تفسير سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [٢٠١]

ثم لما ختمت السورة المباركة المتضمنة لأحوال الفرق الثلاثة المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذابين الضالين، المختمة بأمر النبي ﷺ بالتسبيح، نُظمت سورة الحديد المتضمنة لأحوال الفرق الثلاث المؤمنين المُخلصين، والمنافقين، والكفار، المبدؤة ببيان تسبيح الموجودات، فافتتحها سبحانه بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم شرع فيها ببيان تسبيح جميع الموجودات بقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كأنه قال تعالى: سَبَّحْ يا محمد باسم ربك العظيم، كما أن جميع الموجودات سبَّحته خالصة^١ له بلسان الحال والمقال، كما سَمِعَ حنين الجذع، وذكر بعض الجمادات. وقيل: إن المراد بما في السماوات والأرض الموجودات الأحياء العقلاء، كالملائكة وحَمَلَةُ العرش والجن والإنس^٢.

ثم بين سبحانه صفاته الموجبة لتسبيحه وتنزيهه عن النقائص الإمكانية بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ والغالب على كل شيء، ولا يغلبه شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ والعالم بجميع مصالح الأشياء ومفاسدها، والفاعل لما هو الأصلح والأصوب بنظام العالم ﴿لَهُ﴾ خاصة ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والسلطنة التامة المطلقة على جميع الممكنات، والتصرف الكلي، ونفوذ الإرادة فيها إيجاداً وإعداماً، وتغييراً وتقلباً، ومن آثار سلطته أنه ﴿يُحْيِي﴾ الميت ﴿وَيُمِيتُ﴾ الحي، كما تشاهدون في حياة النُطف وموت الحيوانات.

ثم تَبَّه على عدم اختصاص قدرته بالأحياء والاماتة بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ تعالى ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء الْمُتَصَوِّرَةِ وغير الْمُتَصَوِّرَةِ، وكل فعلٍ من الأفعال الممكنة ﴿قَدِيرٌ﴾ بذاته، بلا حاجة إلى

١. في النسخة: سَبَّحه خالصةً.

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٠٧.

معاون ومُعاضِد وإله ومادة ومدية، ومن المعلوم أن من له هذه القدرة الكاملة والعلم الشامل، والفناء والسلطان الدائم، مُستحقاً للتنزيه عن العجز والجهل والحاجة والفقر بحكم العقل.

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [٣]

ثم وصف سبحانه ذاته بالأزلية والأبدية المساويتين لوجوب الوجود بقوله: ﴿هُوَ﴾ تعالى الموجود ﴿الْأَوَّلُ﴾ الذي لا أول له، والسابق الذي لم يسبقه شيء في الوجود، والكائن الذي لا كينونية لشيء قبل كينونيته ﴿وَالْآخِرُ﴾ الذي لا آخر له ولا متأخر عنه، والباقي الذي لا فناء له ولا زوال ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ والمشهود بالصفات والآثار ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ والخفي بالذات والكنه.

قيل: يعني هو الأول في سلسلة الموجودات، والآخر لها بحيث ينتهي إليه كل شيء، والظاهر يعني الغالب على كل شيء، والباطن يعني العالم بواطن كل شيء^١. وقيل: إنه أول لأنه قبل كل شيء، وإنه آخر لأنه بعد كل شيء^٢، وإنه ظاهر بحسب الدلائل، وإنه باطن لأنه لا يدرك بالحواس.

رُوي أن فاطمة الزهراء عليها السلام دخلت على رسول الله ﷺ فسألته خادماً فقال ﷺ: «ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك؟» قالت: «نعم». قال: «قولي: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، وربنا ورب كل شيء، مُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت أخذ بناصيته - أو من شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها - أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر»^٣.

وفي رواية: «صل على محمد وآله، واقض عني الدين، وأغنني من الفقر، ويسر لي كل الأمر برحمتك يا أرحم الراحمين»^٤.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الذي ليس لأوليته نهاية، ولا لآخريته حد ولا غاية» وقال: «الذي بطن من خفياته الأمور، وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير»^٥.

وقيل: يعني هو الأول بالأزلية، والآخر بالأبدية، والظاهر بالأحدية، والباطن بالصُمُدية^٦، وحاصل الجميع أنه لا ابتداء لوجوده، ولا اختتام له، لاستحالة عدمه بدواً وختماً، وكل شيء منه بدأ وإليه

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٠٤.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٤٦.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٣٤٧.

٤. بحار الأنوار ٩٥: ٤٠٦.

٥. الكافي ١: ٧/١٠٩، تفسير الصافي ٥: ١٣٢.

٦. مجمع البيان ٩: ٣٤٧، تفسير روح البيان ٩: ٣٤٩.

يعود، والظاهر الواضح للألوهية والربوبية بالآثار والدلائل، والباطن المحتجب كُنْه عن العقول والأوهام.

قيل: يجب أن ينعدم جميع ما يكون من الجنة والنار وأهلها حتى يصح كونه آخرًا^١. وفيه: أنه بعد ثبوت بقاء الموجودات الأخروية، مع حكم العقل بإمكانه، لابد من حمل آخريته على معنى اختصاص شأنيتها به تعالى، وإن لم يقع انعدام غيره بقدرته، أو آخريته بعد فناء الدنيا. «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ» لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، إذ ما من موجود إلا وهو بشرايره مخلوقه ومصنوعه. قيل: من قرأ هذه الآية بعد صلاة ركعتين خمسا وأربعين مرة قضى الله حاجته^٢.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [٤-٦]

ثم بين سبحانه علته كون جميع الموجودات ملكا له تعالى وتحت سلطانه بقوله: «هُوَ» الإله القادر «الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» وأوجدهما بقدرته الكاملة وحكمته البالغة «فِي» مدة مقدرة بـ «سِتَّةِ أَيَّامٍ» من أيام الدنيا، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، ليتعلم العباد التأني في الأمور «ثُمَّ اسْتَوَىٰ» واستولى بالعلم والقدرة «عَلَى الْعَرْشِ» المُفسر في آية الكرسي. ثم صرح سبحانه بإحاطته العلمية بقوله: «يَعْلَمُ مَا يَلِجُ» ويدخل «فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ» إلى الأرض «وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا» وما يصعد من الأرض إليها، وقد مر تفسيرها في سورة سبأ^٣ «وَهُوَ» بذاته «مَعَكُمْ» بالاحاطة والقدرة «أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» وفي أي مكان تمكنت من الأرض، تحتها أو فوقها، خلوتها أو جلوتها «وَاللَّهُ» العظيم حسب ألوهيته «بِمَا تَعْمَلُونَ» من الطاعة والعصيان «بَصِيرٌ» وشهيد، فيجازيكم عليه بالثواب الجزيل والعقاب الشديد. ثم أعاد سبحانه بيان سلطته التامة المطلقة على جميع الموجودات بقوله: «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٥٠.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢١٢.

٣. تقدم في سورة سبأ: ٢٣٤.

وَالْأَرْضِ» تمهيداً لإثبات المعاد بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَوَجَّعٌ وَتُرْدٌ﴾ «الْأُمُورُ» كلها من الأعمال الصالحة والطالحة، فيجازيكم عليها، فاستعدّوا للقاءه باختيار الأعمال الصالحة وأحسنها عنده.

ثم استدلّ سبحانه على إعادة الخلق بإعادة كلّ من الليل والنهار إلى ما كانا عليه بعد إذهاب جزء من الليل وجعله من النهار وبالعكس بقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ﴾ بجعل ساعات منه جزءاً من النهار حتى يصير خمس عشرة ساعة ﴿وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ بجعل ساعات منه جزءاً من الليل حتى يصير خمس عشرة ساعة، ويعود كلّ منها إلى ما كان عليه قبل الإدخال، فمن كان قادراً على إذهاب ساعاتٍ من الليل حتّى يصير تسع ساعات، ثم إعادة تلك الساعات الذاهبة حتّى يصير الليل مثل ما كان قبل وبالعكس، قادرٌ على إعادة خلق الإنسان بعد صيرورته تراباً.

ثم بعد إحاطته سبحانه بالأعمال الجوارحية، بين إحاطته بالأعمال الجوانحية بقوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ﴾ ومحيطٌ غاية الإحاطة ﴿بِدَاتِ الصُّدُورِ﴾ والمخفّيات في القلوب من العقائد الفاسدة، والنيات السيئة، والمكونات القبيحة.

عن ابن عباس: اسم الله الأعظم في ستّ من أول سورة الحديد، فإذا علّقت على المقاتل في الصفّ لم ينقذ إليه حديد^١.

آمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُضُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقُضُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [٧ و ٨]

ثم لما بين سبحانه دلائل توحيده وقدرته وعلمه، وكونه مبدأ للخلق ومعادهم، دعاهم إلى الايمان به وبرسوله بقوله: ﴿آمِنُوا﴾ أيها الناس ﴿بِاللّهِ وَرَسُولِهِ﴾ عن صميم القلب ثم دعاهم إلى أهمّ الأعمال بقوله تعالى: ﴿وَأَنْقُضُوا﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا﴾ أعطاكم الله من فضله، و ﴿جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ﴾ وناثين عنه في التصرف ﴿فِيهِ﴾ من غير أن تملكوه حقيقة، فلا ينبغي أن يشق عليكم إنفاق ما هو في أيديكم بعنوان النيابة والوكالة عن مالكة الحقيقي، كما لا يشق على أحد إنفاق مال الغير إذا أذن له فيه، أو المراد جعلكم مستخلفين ممّن كان قبلكم، حيث إنّ ما بأيديكم من الأموال كان لغيركم زماناً، ثم انتقل إليكم بالارث وغيره، فإذا بخلتم به ينتقل منكم إلى غيركم، كما انتقل من غيركم إليكم، فلا يبقى

لكم عينه ولا منافعه، وأما إذا انفقتم في سبيل الله يبقى لكم إلى الأبد، بل يربو ويضاعف أضعافاً كثيرة بشرط الإيمان الحقيقي، كما نبه سبحانه عليه بقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ [إيماناً] خالصاً لله ﴿وَأَنفَقُوا﴾ في سبيله وطلباً لمرضاته بعنوان الزكاة أو غيرها من الوجوه البرية ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وثواب عظيم.

قيل: نزلت الآية في غزوة تبوك^١.

ثم ويخ سبحانه على ترك الايمان مع تأكد مقتضياته بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ وأي فائدة أو عذر في ترك الايمان تتصورون، ولذا ﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ مع حكم العقل والعقلاء بوجوبه؟ ﴿وَالرُّسُولُ﴾ المرسل من جانب الله لدعوتكم إلى الايمان ﴿يَدْعُوَكُمْ﴾ إليه، ويبعثكم عليه بالحجج والمواعظ الحسنة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ اللطيف بكم، المُنعم عليكم ﴿وَقَدْ أَخَذَ﴾ الله ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ والعهد الأكيد منكم على الايمان به في عالم الذر، على ما قاله جمع من المفسرين^٢، أو بإقامة الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، ونصب الدلائل الواضحة، وتمكينكم من النظر فيها، وذلك أوثق من الحلف والعهد اللفظي ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بشيء لأجل الدليل عليه، فتوحيد الله شيء لا يساويه شيء في كثرة الدليل عليه.

وقيل: يعني إن كنتم مُصدِّقين بالميثاق^٣.

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَٰئِكَ أَكْثَرُ عَظُمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [٩-١٠]

ثم بين سبحانه دليل ربهيته ورسالة رسوله ورجوع^٤ فائدة الايمان إليهم بقوله: ﴿هُوَ﴾ الرب اللطيف ﴿الَّذِي يُنَزِّلُ﴾ من قبله، أو من اللوح المحفوظ ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ بتوسط جبرئيل ﴿آيَاتٍ﴾ عظيمة الشأن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ وواضحات الدلالات على كل حق وحقيقة، وأما فعل ذلك ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ أيها الناس، أو العرب، أو الحاضرين في مكة بسبب ذلك ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٥٣.

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢١٧.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٣٥٤.

٤. كذا الظاهر، والكلمة غير واضحة في النسخة.

الكفر، وظلمة الجهل، وظلمة الأخلاق السيئة ﴿إِلَى النَّورِ﴾ نور العلم، ونور الايمان في الدنيا، ونور الرحمة والمغفرة والرضوان في الآخرة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ﴾ أيها الناس ﴿لَرَوْوْفٌ رَحِيمٌ﴾ لا يرضى بضلالكم وحرمانكم من الخيرات الدنيوية والأخروية، بل يُحِبُّ أَنْ يَهْدِيَكُمْ إِلَى الْكَمَالَاتِ النَّفْسَانِيَةِ وَالْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ الْعِلْمِيَةِ وَالْأَخْلَاقِيَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالدرجات العالِيَةِ فِي الْجَنَّةِ وَالتَّعَمُّعِ الدَّائِمَةِ فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ لَمَّا سَبَّحَانَهُ عَلَى تَرْكِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ مَعَ كَثْرَةِ فَوَائِدِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَأَيُّ عُدْرٍ تَصَوَّرُونَ فِي ﴿أَلَّا تُنْفِقُوا﴾ وَلَا تَصَرَّفُوا بِبَعْضِ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي هِيَ فِي الْوَاقِعِ لَيْسَتْ لَكُمْ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَتَحْصِيلِ مَرْضَاتِهِ، ﴿وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ﴾ وَحْدَهُ ﴿مِيرَاتٌ﴾ أَهْلُ ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَهْلُ ﴿الْأَرْضِ﴾ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَإِنَّهُ يَتَّقِلُ بِمَوْتِهِمْ جَمِيعَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ إِلَى اللَّهِ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا تَبْقَى هَذِهِ الْأَمْوَالُ فِي مِلْكِكُمْ وَتَحْتَ تَصَرُّفِكُمْ، بَلْ تَخْرُجُ مِنْ أَيْدِيكُمْ لَا مُحَالَةَ بِالمَوْتِ، كَانَ إِخْرَاجُهَا بِالْإِنْفَاقِ الْمَوْجِبِ لِلْمَدْحِ وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ خَيْرٌ فِي حُكْمِ الْعَقْلِ وَالْعَقْلَاءِ مِنْ تَرْكِ الْإِنْفَاقِ وَإِبْقَانِهَا حَتَّى تَخْرُجَ قَهْرًا مِنْ مِلْكِكُمْ بِالمَوْتِ فَتَسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ وَالْعِقَابَ، أَوِ الْمَرَادُ إِنْ أَمَرَكُم بِالْإِنْفَاقِ لَيْسَ لِحَاجَةِ اللَّهِ إِلَى أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمِيعَ مَا لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُنْقَلُ إِلَيْهِ بِمَوْتِهِمْ، أَوَّلُهُ مَا يَرِثُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي زَمَانِ حَيَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالْإِنْفَاقِ لِحَاجَتِكُمْ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَكَوْنِ فَوَائِدِهِ لَكُمْ.

ثُمَّ لَمَّا بَيَّنَّ سَبَّحَانَهُ وَجُوبَ الْإِنْفَاقِ وَفَضِيلَتَهُ، بَيَّنَّ أَفْضَلِيَةَ الْمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ حِينَ ضَعُفَ الْإِسْلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْفَضِيلَةِ ﴿مَنْ أَنْفَقَ﴾ مِنْ أَمْوَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَنُصْرَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ ﴿مَنْ قَبْلَ الْفَتْحِ﴾ قِيلَ: يَعْنِي فَتْحَ مَكَّةَ^١. وَقِيلَ: فَتْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ^٢ ﴿وَمَنْ قَاتَلَ﴾ أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَمَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَهُمْ ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُؤْمِنُونَ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُقَاتِلُونَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ، وَفِي زَمَانِ ضَعْفِ الْإِسْلَامِ ﴿أَعْظَمَ دَرَجَةً﴾ وَأَرْفَعَ مَنَازِلَةً، وَأَعْلَى رُتَبَةً عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿مِنْ﴾ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا﴾ وَجَاهَدُوا بَأَنْفُسِهِمْ فِي حَالِ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ وَكَثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ﴿وَكُلًّا﴾ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ﴿وَعَدَّ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ الثَّمَرَةَ ﴿الْحُسْنَى﴾ وَالدرجة العَالِيَةَ فِي الْجَنَّةِ.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ مَوْقُوفًا عَلَى الْعِلْمِ بِالْأَعْمَالِ وَخُصُوصِيَّاتِهَا، أَخْبَرَ سَبَّحَانَهُ بِعِلْمِهِ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمَزَايَاهُ وَخُصُوصِيَّاتِهِ ﴿خَبِيرٌ﴾

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢١٨، مجمع البيان ٩: ٣٥٠، تفسير روح البيان ٩: ٣٥٦.

٢. مجمع البيان ٩: ٣٥٠، تفسير روح البيان ٩: ٣٥٦.

وبصير، فيجازيكم بحسبه.

رُوي أن جماعة من الصحابة أنفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس: هؤلاء أعظم أجراً من كل من أنفق قديماً، فنزلت الآية^١، ويَبَيِّن سبحانه أن النفقة قبل فتح مكة أعظم أجراً.

روى الفخر الرازي عن الكلبي أنه قال: نزلت هذه الآية في فضل أبي بكر؛ لأنه أول من أنفق المال على رسول الله ﷺ في سبيل الله. قال عمر: كنت قاعداً عند رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر، وعليه عباءة قد خلَّلها في صدره بخلال، فنزل جَبْرِئِيل فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباءة خلَّلها في صدره، فقال: أنفق ماله عليّ قبل الفتح^٢، ... انتهى.

أقول: ليش شعري من أين علم الكلبي أن أبا بكر أول من أنفق على رسول الله ﷺ في السَّامَةِ في فضيلة أبي بكر ورده.

مع أنه لم يَعْلَمْ له مال، بل عِلِمَ فقره، فأنه كان معلم أطفال، وكان أبوه من فقراء مكة، بل المعلوم أن أول من أنفق ماله على رسول الله ﷺ خديجة ثم أبوطالب.

وقول عمر - على فرض صدقه - لا يَدُلُّ على نزول الآية في فضل خصوص أبي بكر، بل يَدُلُّ على أن أبا بكر كان من المنفقين من قبل الفتح، ومن المعلوم أن المنفقين قبل الفتح كثير من الصحابة، وليس في الرواية أن الآية نزلت حين قول رسول الله ﷺ أنه أنفق قبل الفتح.

وأعجب من ذلك أن الفخر حكى عن الواحدي أنه قال: إن أبا بكر كان أول من قاتل على الاسلام، وذلك لأن علياً في أول ظهور الاسلام كان صبيّاً صغيراً، ولم يكن صاحب قتال، وأما أبو بكر فإنه كان شيخاً مقدماً، وكان يَدُبُّ عن الاسلام حتى ضُرِبَ بسببه ضرباً أشرف [به] على الموت^٣ ... انتهى.

فإنه حين كان عليّ صبيّاً لم يكن قتال، ولم يكن ذبّ أبي بكر - على تقدير التسليم - إلا باللسان، وضربه حتى أشرف على الموت لا يَدُلُّ على قتاله، بل يَدُلُّ على ضَعْفِهِ وعدم قدرته على الدفاع عن نفسه، فضلاً عن القتال، كما أن قتل والد عمار لا يَدُلُّ على قتاله.

وأعجب العجائب أنهم يتمسكون بهذه الترهات على فضيلة أبي بكر، ويغضون على الروايات المتواترة الدالة على أفضلية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على جميع الصحابة بعد النبي ﷺ، ويؤولون الروايات الناصة على خلافته وإمامته.

ثم اعلم أن تقديم ذكر من أنفق قبل الفتح على من قاتل لا يَدُلُّ على تقدّم صاحب الاتفاق على صاحب القتال، كما ادّعاء الفخر الرازي؛ لأن الكلام في الحث على الاتفاق، وإنما ذكر صاحب القتال

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢١٩.

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٥٦.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢١٩.

هنا لأهميته وشدة الاعتناء به، فما قال الفخر - من أن صاحب الإنفاق أبوبكر، وصاحب القتال علي عليه السلام، وفي تقديم صاحب الإنفاق إيماءً إلى تقديم أبي بكر - من تزهات الكلام.

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ * يَوْمَ تَرَى
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ [١١، ١٢]

ثم بالغ سبحانه في الحث على الإنفاق في نصرة المسلمين ومواساة فقرانهم بقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَجَاءُ أَنْ يَأْخُذَ عَوضَهُ، فإنه كمن «يُقْرِضُ اللَّهَ» ماله «قَرْضًا حَسَنًا» وخالصاً لوجه الله، أو يُقْرِضُ اللَّهَ مالا حسناً، وهو المال الحلال الطيب «فَيَضَاعِفُهُ» الله، ويزيد ذلك المال أمثاله «لَهُ» من فضله «وَلَهُ» مضافاً إلى ذلك «أَجْرٌ كَرِيمٌ» وثواب مرضي لا يُوصَفُ بالبيان. نسي فضيلة الإنفاق
في سبيل الله
رُوي أنه لما نزلت الآية جعل أبو الدُّحْداح يتصدَّق بنصف كل شيء يملكه في سبيل الله، حتى إنه خلع إحدى نعليه، ثم جاء إلى أم الدُّحْداح فقال: إني بايعت ربِّي فقالت: رَجِّعْ بِيْعَكَ. فقال النبي ﷺ: «كم من نخلة مدلاة عذوقها في الجنة لأبي الدُّحْداح»^١.
عن الصادق عليه السلام: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَسْأَلْ خَلْقَهُ مِنْ حَاجَةٍ بِهِ إِلَى ذَلِكَ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مِنْ حَقٍّ فَإِنَّمَا هُوَ لَوْلِيهِ»^٢.

وعن الكاظم عليه السلام: «نزلت في صلة الإمام»^٣.

ثم عَيَّن سبحانه يوم تأدية ذلك القرض بقوله: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ يا محمد، أو يا من له شأنية الرؤية ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ في ذلك اليوم إذا خرجوا من قبورهم، يسعون إلى المحشر و﴿يَسْعَى﴾ ويسير سريعاً ﴿نُورُهُمْ﴾ الحاصل لهم بإيمانهم، ومعرفتهم بالله، وأعمالهم الصالحة ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وفي قدامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ لأنهم أصحاب اليمين، ويكون مسيرهم إلى الجنة من جانب اليمين، كما عن النبي ﷺ: «أَنَّ كُلَّ مَثَابٍ يَحْضُلُ لَهُ النُّورُ عَلَى قَدَرِ عَمَلِهِ»^٤. وقيل: إن المراد بالنور ما يُتَنَدَّى به إلى الجنة^٥.

ويقول لهم الملائكة: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿بُشْرَاكُمُ﴾ والخبر الذي يسرُّ قلوبكم، هو أَنَّ لَكُمْ ﴿الْيَوْمَ

٢. الكافي ١: ٣/٤٥١، تفسير الصافي ٥: ١٣٤.

٤ و ٥. تفسير الرازي ٢٩: ٢٢٢.

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٥٩.

٣. الكافي ١: ٤/٤٥١، تفسير الصافي ٥: ١٣٤.

جَنَّاتٍ كَثِيرَةٍ الْأَشجارِ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حال كونكم ﴿خَالِدِينَ﴾ ومقيمين ﴿فِيهَا﴾ أبداً، لا تخرجون منها طرفة عين ﴿ذَلِكَ﴾ الثواب العظيم الذي أعدّه الله لكم ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ والنَّيْلُ بأعلى المطالب وأقصى المقاصد.

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ
 أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورَةٍ لَمْ يَبَأْ بِطَائِفَةٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ
 وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ [١٣]

ثمّ أنّه تعالى بعد بيان حسن حال المؤمنين المخلصين، بين سوء حال المنافقين بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ لما رأوا أنفسهم في ظلمة لا يمكنهم المشي فيها، ورأوا المؤمنين تلالاً وجوههم نوراً يمشون بنورهم كالبرق الخاطف ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن صميم القلب: يا أيها المؤمنون ﴿انظُرُونَا﴾ واستقبلونا بوجوهكم، أو انتظرونا ﴿نَقْتَسِبْ﴾ ونستضيء ﴿مِنْ نُورِكُمْ﴾ ونمشي فيه معكم ﴿قِيلَ﴾ تخيلاً لهم وتهكماً بهم من جهة المؤمنين: أو الملائكة أيها المنافقون والمنافقات، ليس لكم من النور الذي حصلناه في الدنيا بالايان الخالص والأعمال الحسنة حظٌ ونصيب، فإن أردتم النور ﴿أَرْجِعُوا﴾ إلى الدنيا التي خلقتموها ﴿وَرَاءَكُمْ﴾ إن أمكنكم الرجوع إليها ﴿فَالْتَمِسُوا﴾ وحصلوا لأنفسكم بالايان الخالص والعلم والمعرفة ﴿نُورًا﴾ كنونا تمشونا فيه.

قيل: إن الناس يكونون في ظلمة شديدة، ثمّ المؤمنون يعطون الأنوار، فإذا أسرع المؤمن في الذهاب، قال المنافقون: انتظرونا نقتبس من نوركم. فيقال لهم: ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً. وهي خدعة خديع بها المنافقون. كما قال الله تعالى: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^٢ فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئاً فينظرون إليهم^٣.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ وبين المؤمنون ﴿بِسُورَةٍ﴾ وحائطٍ عريض مرتفع، كسور البلد ﴿لَمْ يَبَأْ﴾ يدخل فيه المؤمنون، ودخل ذلك السور الذي يلي المؤمنين و ﴿بِطَائِفَةٍ﴾ وجوّه^٤ ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الإلهية، وهي الجنة ﴿وَبِظَاهِرِهِ﴾ وخارجه الذي يلي المنافقين ﴿مِنْ قِبَلِهِ﴾ يأتيهم ﴿الْعَذَابُ﴾ وحاصله: أن بين الجنة والنار سوراً وحائطاً، قيل: هو حجاب الأعراف، له باب يدخل المؤمنون من ذلك الباب الجنة،

١. في النسخة: تجنباً. ٢. النساء: ١٤٢/٤. ٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٣٥، تفسير روح البيان ٩: ٣٦١.

٤. جُؤْ كُلُّ شَيْءٍ: باطنه وداخله.

والمنافقون يُمَنَعُونَ من الدخول، ويبقون في العذاب والنار^١.

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ
وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ * قَالِيَوْمَ لَا يُوْخَذُ
مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ [١٤ و ١٥]

فلما رأى المنافقون أنَّ المؤمنين يدخلون الجنة «يُنَادُونَهُمْ» ويقولون لهم: أيها المؤمنون «أَلَمْ نَكُنْ» في الدنيا «مَعَكُمْ» في العبادات والمساجد والصلوات والغزوات؟ فأجابهم المؤمنون و «قَالُوا بَلَىٰ» كتم معنا في إظهار الايمان، والاشتغال بالعبادات «وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ» وأضررتهم «أَنْفُسَكُمْ» بالكفر وارتكاب المعاصي، «وَتَرَبَّصْتُمْ» بالتوبة، وأخرتموها، كما عن ابن عباس^٢، أو ترصتم بمحمد ﷺ الموت، وقتلتم: يؤشك أن يموت محمد فنستريح منه^٣. أو دائرة السوء، فتلتحقوا بالكفار، وتخلصوا من النفاق^٤ «وَارْتَبْتُمْ» وشككتم في نبوة محمد ﷺ وصحة البعث والقيامة، وصدق وعيد الله بالعذاب «وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِيَّ» وسغلنكم بأباطيل الدنيا وشهواتها، وخدع الشيطان «حَتَّىٰ جَاءَ» كم «أَمْرُ اللَّهِ» وقضاه بموتكم «وَعَزَّيْتُمْ» وخدعكم «بِاللَّهِ» وأطمعكم في عفوه الشيطان «الْغُرُورُ» الخداع الذي تكونون فيه أيها المنافقون هو يوم القيامة «لَا يُوْخَذُ» ولا يقبل «مِنْكُمْ فِدْيَةٌ» ومال تدفعون به العذاب عن أنفسكم «وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» ظاهراً وباطناً بل «مَأْوَاكُمُ» ومرجعكم «النَّارُ» ومسكنكم جهنم «هِيَ مَوْلَاكُمْ» ومصيركم، كما عن ابن عباس^٥. أو أولى بالتصرف فيكم، والسكونة لكم «وَو» هي «بِئْسَ الْمَصِيرُ» وساء المنقلب لكم.

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا
كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ [١٦]

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٢٦.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٢٦.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٢٢٦.

٣. مجمع البيان ٩: ٣٥٥، تفسير روح البيان ٩: ٣٦٢.

٥. تفسير الرازي ٢٩: ٢٢٧.

ثم لما ذكر سبحانه بعض أهوال القيامة حث المؤمنين على الخشية والخشوع لله بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾^١ وأما حان ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعد أن عمّروا طويلاً في الايمان، وشاهدوا آثار عظمة الله، وعلموا عظم عصيانه وشدة عقابه ﴿أَنْ تَخْشَعَ﴾ وتضرّع وترقّ ﴿قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ والتنبية لعظمته، فيسارعوا إلى طاعته بلا توانٍ وفترٍ، أو لموعظته ﴿وَمَا نَزَلَ مِنْ﴾ القرآن ﴿الْحَقِّ﴾ والصدق، فيبادرون إلى العمل بما فيه من الأحكام التي منها الانفاق في سبيل الله.

رُوي أنَّ المؤمنين كانوا مُجْدِبِينَ بمكة، فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة، ففتروا عما كانوا عليه من الخشوع، فنزلت^٢.

وقيل: إنه لما بدا في الصحابة شيء من الميزاج فنزلت^٣.

عن ابن عباس: أنَّ الله استبطأ خشوع قلوب فعاتبهم على رأس ثلاثة عشرة سنة من نزول القرآن^٤. وعن ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عُوتِنَا بهذه الآية أربع سنين^٥.

﴿و﴾ لم يَأْنِ أَنْ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ والزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ﴾ وصلبت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ وذهب عنهم الخوف ورقة القلب التي كانت تأتيمهم بتلاوة التوراة والانجيل ﴿وَكَثُرَ مِنْهُمْ﴾ اليوم لشدة قساوة قلوبهم ﴿فَاسْقُونُ﴾ وخارجون عن حدود دينهم، ورافضون لما في كتبهم من الأحكام، وفيه إشعار بأن عدم الخشوع في أول الأمر يُفضي إلى الفسق والخروج من الدين في الآخر.

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *

إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفَ لَهُمْ وَلَهُمْ

أَجْرٌ كَرِيمٌ [١٧ و ١٨]

ثم بالغ سبحانه في الترغيب في الخشوع، بتمثيل القلوب في إحيائها بالخشوع بالأرض الميتة التي تحيا بالمطر بقوله: ﴿اعْلَمُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّبُ الْأَرْضَ﴾ بالمطر الذي ينزل من السماء ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ويُسبها، فكذلك القلوب تحيا بالخشوع والذكر وتلاوة القرآن بعد موتها بالقساوة.

وقيل: رَغَبَ سبحانه في الخُشُوع والخضوع بالتذكير بإحياء الأرض ببعث الأموات^٦ ﴿قَدْ بَيَّنَّا﴾ وأوضحنا ﴿لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿الآيَاتِ﴾ التي فيها بيان موجبات سعادتك في الدارين ﴿لَعَلَّكُمْ

٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٦٤.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٣٦٤.

١. تفسير أبي السعود ٨: ٢٠٨، تفسير روح البيان ٩: ٣٦٣.

٣. تفسير أبي السعود ٨: ٢٠٨، تفسير روح البيان ٩: ٣٦٤.

٥. تفسير الرازي ٢٩: ٢٣٠، تفسير روح البيان ٩: ٣٦٥.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ٢٣٠، تفسير روح البيان ٩: ٣٦٥.

تَقُولُونَ وَتَفْهَمُونَ مَا فِيهَا، وَتَعْمَلُونَ بِهِ، وَتَفُوزُونَ بِالدرجات العالية، والراحة الأبدية، والنعم الدائمة وقيل: يعني كي تكمل عقولكم^١.

ثم بالغ سبحانه في الحث على الانفاق لوجهه بقوله: ﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ﴾ والمنفقين أموالهم في وجه الخير ﴿وَالْمُصْذِقَاتِ﴾ والمنفات ﴿وَوَ﴾ هم ﴿أَفْرَضُوا أَنَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وسلموا أموالهم إلى الله بانفاقهم في سبيله برجاء العوض والأجر ﴿يُضَاعَفُ﴾ ذلك المال المنفق ﴿لَهُمْ﴾ ويزيد مقداره في ميزانهم على ما كان في الدنيا مَرَاتٍ ﴿وَلَهُمْ﴾ مع التضاعف ﴿أَجْرٌ﴾ وثواب ﴿كَرِيمٌ﴾ مرضي. وقيل: إِنَّ الْمُصْذِقِينَ بمعنى الذين تصدقوا، ولذا صح عطف الجملة الفعلية عليه^٢.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [١٩]

ثم أنه تعالى بعد بيان حال المؤمنين والمنافقين، بين حال المؤمنين والكفار المتظاهرين بالكفر بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن صميم القلب ﴿بِاللَّهِ وَ﴾ بجميع ﴿رُسُلِهِ﴾ من آدم إلى الخاتم ﴿أُولَئِكَ﴾ العالون في الشأن والمنزلة ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ﴾ والكاملون في الايمان، أو بمنزلة المستشهدين في سبيل الله في عظمة الأجر ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وفي حكمه ونظره.

عن السجاء عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: «ما من شيعة إلا صديق شهيد. قيل: أتى يكون ذلك، وعامتهم يموتون على فُرْشهم؟ فقال عليه السلام: أما تلتو كتاب الله في الحديد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ﴾ قال: «لو كان الشهداء كما يقولون، كان الشهداء قليلاً»^٣.

وعن الباقر عليه السلام قال: «العارف منكم هذا الأمر، المنتظر له، المحتسب فيه الخير، كمن جاهد والله مع القائم بسيفه» ثم قال: «بل والله كمن جاهد مع رسول الله بسيفه» ثم قال الثالثة: «بل والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ في فسطاطه، وفيكم آية من كتاب الله. قيل: وآية آية؟ قال: «قول الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ...﴾ الآية» ثم قال: «صرتم والله الصديقون والشهداء عند ربكم»^٤.

أقول: حاصل الروايات أن المؤمن بما جاء به النبي ﷺ ومنه الولاية بمنزلة الصديقين والشهداء في المعركة لنصرة الإسلام ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ الموعودان لهم المعروفان بالعظمة والكمال.

١. تفسير الصافي ٥: ١٣٥.

٢. تفسير أبي السعود ٨: ٢٠٩.

٣. المحاسن: ١١٥/١٦٣، تفسير الصافي ٥: ١٣٦.

٤. مجمع البيان ٩: ٣٥٩، تفسير الصافي ٥: ١٣٦.

ثم بين حال الكفار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسله ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الْمُنْزَلَةِ ﴿أُولَئِكَ﴾ البعداء عن الرحمة ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وملازمو النار، لاخلاص لهم منها.

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَكُونُ خُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ [٢٠]

ثم لما كان الكفر والنفاق بسبب حُب الدنيا وشهواتها، أخبر سبحانه بحقارتها وسرعة زوالها بقوله: ﴿اعْلَمُوا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ومُشتهياتها التي لا يرد بها التوصل إلى السعادة الأخروية ﴿لَعِبٌ﴾ وعملٌ يُتعب الإنسان نفسه فيه بغير غرض عقلائي، كعمل الصبيان الذي يُتبعون أنفسهم فيه بغير فائدة ﴿وَلَهُوَ﴾ واشتغالٌ باللذائذ السريعة الزوال، السيئة العاقبة، والوخيمة المآل، الموجبة للحسرة والندامة، كأشغال الشُّبان التي ليس غرضهم منها إلا التذاذ النفس مع الغفلة عن وخامة عاقبتها ﴿وَزِينَةٌ﴾ وتحسينٌ للظاهر في الأوهام مع عدم حقيقة وواقعية له، كلبس الملابس الفاخرة، وركوب المراكب الفارهة، والسكونة في المساكن البهية الحسنة، ونظائرها كترتين التُسوان صُورهن للرجال ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ بالمزايا الجسمانية الزائلة بالأمراض والموت، كالقوة والقدرة والجمال والنسب والرياسة ونظائرها ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ وتزايد ﴿فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

ومن الواضح أنَّ هذه الأمور الجامعة للمشتبهات النفسانية الدنيوية، مما يستحقها العقل السليم، ولا يعتني به العاقل الفهيم، لسرعة زوالها، وعدم فائدة مهمة لها، مع استلزام توجه النفس إليها فوات فوائد عظيمة باقية.

ثم أكد سبحانه حقارة المشاغل الدنيوية السريعة الزوال، المفوتة للمنافع الأخروية بضرب مثلٍ لسرعة زوال الدنيا بقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ ونظير مطرٍ نافع أنبت بنزوله من الأرض اليابسة النباتات النافعة بحيث ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ والزارعين الذين يكفرون ويسترون البذور بالتُّراب ﴿نَبَاتُهُ﴾ وما يخرج من الأرض بسببه.

وقيل: إنَّ المراد بالكفار الكافرون بالله، فإنهم أشدَّ إعجاباً بزيينة الدنيا^١ بل إعجابه مختص بهم، لأنَّ نظرهم إلى المحسوسات، وأمَّا المؤمنون فإنهم لا يُعجبهم نموّه وتُخضرته، وإنَّما يُعجبهم قدرة

خالقهم وربهم.

﴿ثُمَّ﴾ بعد النمو والخضرة والظفارة ﴿يَبْهِجُ﴾ ويبس وتزول خضرته ونظارته ﴿فَتَرَاهُ﴾ أيها الرائي بعد مدة قليلة ﴿مُضْفَرّاً﴾ بعد ما رأيته ناضراً موقناً ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾ بعد اصفراره ويبس ﴿حُطَّاماً﴾ ومُنكسراً ومتفتتاً ﴿وَوَ﴾ يكون ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ لمن أعجبه الدنيا وأقبل عليها، ولم يطلب بها الآخرة ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لا يتقادر قدره ﴿وَوَ﴾ لمن طلب الآخرة بها ﴿مَغْفِرَةٌ﴾ عظيمة كائنة ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ العظيم الغفور ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ منه تعالى، المستلزم لدخول الجنة والتنعم بالنعيم الدائمة.

ثم بين سبحانه نتيجة شرح المشاغل الدنيوية وحاصل المثل الذي ضرب للدنيا ﴿وَوَ﴾ زيتها بقوله: ﴿مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ولذا نذرها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ وانتفاع يُخدع الإنسان الجاهل به، وفيه غاية تحقير الدنيا، والحث على الإعراض عنها، وتعظيم الآخرة.

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ
لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ [٢١]

ثم حث على الجد في تحصيل ما يُنتفع به فيها بقوله: ﴿سَابِقُوا﴾ أيها المؤمنون، واجتهدوا في التقدم على الأقران، وسارعوا مسارعة السابقين في المضمار ﴿إِلَىٰ﴾ موجبات ﴿مَغْفِرَةٍ﴾ عظيمة كائنة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وخالفكم اللطيف بكم، وإتيان الأعمال الموجبة للدخول في بستان ﴿وَجَنَّةٍ﴾ واسعة ﴿عَرْضُهَا﴾ وسعتها ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وسعتها إذا بُسطا ﴿أُعِدَّتْ﴾ وهيئت تلك الجنة من قبل الله تعالى ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ جميعاً، ولا يقول: نؤمن ببعض، ونكفر ببعض. عن ابن عباس: إن الجنان أربعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^١ ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتٍ﴾^٢ فذكر الله هنا تشبيه واحدة من الجنات الأربع في القرض بالسموات السبع^٣.

وعنه أيضاً: أن لكل من المطيعين جنة بهذه الصفة^٤.

وعن الصادق عليه السلام: «أن أدنى أهل الجنة منزلاً من لو نزل به الثقلان الجن والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً»^٥.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب العظيم المذكور ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ وإنعامه ﴿يُؤْتِيهِ﴾ ويُعطيه ﴿مَن يَشَاءُ﴾ إعطاءه إياه

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٣٥.

٢. الرحمن: ٦٢/٥٥.

١. الرحمن: ٤٦/٥٥.

٥. تفسير القمي ٢: ٨٢، تفسير الصافي ٥: ١٣٧.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٢٣٤.

من عباده المؤمنين ﴿وَاللَّهُ الْعَظِيمُ﴾ العظيم ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ والإحسان الجسيم.
 فسي الرّد على ثم لا يخفى أن استحقاق الأجر بالعمل لا يُوجب على الله إعطاء الجنة بهذه الصفة،
 فأعطاها فضل من الله، مع أن الفضل لا يكون إلا في المحلّ القابل، والمراد
 بالاستحقاق القابلية التي لايجوز البخل مع وجودها، وبالوجوب على الله كونه
 مقتضى الحكمة التي هي وضع الشيء في موضعه، فظهر أن استدلال الاشاعة بالآية على عدم
 استحقاق العبد على الله شيئاً - وأن كلما يعطي الله بإزاء العمل تفضّل منه تعالى، يجوز له في حكم
 العقل منعه والبخل به - فاسدٌ جداً.

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا
 آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٢ و ٢٣)

ثم لما كان الحزن على الأمور الدنيوية والفرح بها شاغلاً للقلب عن الإقبال على العبادة والتوجه
 إلى الآخرة، نبّه سبحانه على أن الحوادث كلها بتقدير الله بقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ ولا حدث
 عن حادث ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من فخط أو فساد ﴿وَلَا﴾ عارضة ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من المرض والجرح
 والصحة والغنى والفقر وغيرها ﴿إِلَّا﴾ وهو مكتوب ﴿فِي كِتَابٍ﴾ مكنون ولوح محفوظ ﴿مِنْ قَبْلِ
 أَنْ﴾ نخلق هذه الحوادث و ﴿نَبْرَأَهَا﴾ وقيل: يعني من قبل أن توجد الأنفس، أو توجد
 الأرض^٢.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنَّ مَلَكَ الْأَرْحَامِ يَكْتُبُ كُلَّ مَا يَصِيبُ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَذَلِكَ
 قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ الآية^٣.

عن الصادق عليه السلام في رواية: «كَتَابَهُ فِي السَّمَاءِ عِلْمُهُ [بِهَا]، وَكَتَابَهُ فِي الْأَرْضِ عِلْمُنَا فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ
 وَفِي غَيْرِهَا»^٤.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور من كتب الحوادث من الخير والشر قبل إيجادهما ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ العالم بالأمور
 ﴿يَسِيرٌ﴾ وسهل، وذلك التقدير وكتب المقدرات قبل وجودها والإخبار بها ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ ولأجل
 أن لا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ ولم يقبل إليكم، أو ذهب منكم من النعم الدنيوية كالجمال والجاه

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٣٧.

١. زاد في النسخة: الفقر و.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٥١، تفسير الصافي ٥: ١٣٧.

٣. علل الشرائع: ٤/٩٥، تفسير الصافي ٥: ١٣٨.

والصحة والأمان ونظائرهما ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ ولا تسرّوا ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ الله وأعطاكم منها، فإن من عليم أن إقبال الدنيا وإدبارها بتقدير الله لا يسعي الإنسان وكده، لا يشتدّ جزّعه على إدبارها، لعلّمه بكونه لصالح أنفع منه، ولا فرحه بأقبالها لتجويزه ذهابه في أسرع وقت، أو كونه امتحاناً واستدرجاً. وعن بعض الحكماء: لا التأسف يرّد فائتاً، ولا الفرح يقرب معدوماً ويديم آتياً^١. وعن ابن مسعود: لأنّ أمّس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت، أحبّ إليّ من أن أقول لشيء لم يكن ليته كان^٢.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «الرّهد كلّ بين كلمتين في القرآن قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الرّهد بطرفيه»^٣.

وعن السجّاد (عليه السلام): «ألا إنّ الرّهد في آية من كتاب الله» ثم تلا هذه الآية^٤. ثمّ تبه سبحانه على أنّ الأسى المذموم هو المانع عن التسليم لأمر الله، والفرح المبغوض هو الفرح الموجب للاختيال والفخر بقوله: ﴿وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ﴾ بل يُغِيض ﴿كُلُّ﴾ شخص ﴿مُخْتَالٍ﴾ ومتكبر ﴿فَخُورٍ﴾ ومتطاول على عباده، فإنّ من عظمت عنده الحظوظ الدنيوية وفرح بها، اختال وافتخر بها لمُحالة، وأمّا الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغير مذموم. عن ابن عباس، قال: ليس أحدٌ إلّا وهو يفرّح ويحزن، ولكن اجعلوا للمصيبة صبراً، وللخير شكراً^٥.

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ
* لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [٢٤ و ٢٥]

ثمّ لما كان التكبر والتطاول على الناس بالأموال وكثرة النعم الدنيوية لعظمتها في نفسه وشدة حبه لها ملازماً للبخل بها، وصف سبحانه المختال والفخور بقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بأموالهم، ولا

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٧٦. ٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٧٦.

٣. في نهج البلاغة: من. ٤. نهج البلاغة: ٤٣٩/٥٥٣، تفسير الصافي ٥: ١٣٨.

٥. الكافي ٢: ٤/١٠٥، الخصال: ٢٦/٤٣٧، تفسير الصافي ٥: ١٣٨. ٦. تفسير الرازي ٢٩: ٢٣٩.

يُنْفِقُونَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِحُبِّهِمْ لَهَا، وَلِعَزَّتْهَا عَنْهُمْ، ثُمَّ لَا يَقْنَعُونَ بِبُخْلِهِمْ، بَلْ يَسْعَثُونَ ﴿وَيَا مُرُوءَ النَّاسِ بِالْبُخْلِ﴾ بِأُمُالِهِمْ وَإِسْكَافِهَا وَعَدَمِ صَرْفِهَا فِي وَجْهِ الْخَيْرِ، وَهَذَا غَايَةُ الذَّمِّ ﴿وَمَنْ يَقُولُ﴾ وَيُعْرِضُ عَنِ الْإِنْفَاقِ، أَوْ عَنِ إِطَاعَةِ أَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنِ إِنْفَاقِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ لَا يَضُرُّهُ بُخْلُهُمْ وَعِصْيَانُهُمْ، وَلَا يَنْفَعُهُ إِنْفَاقُهُمْ وَتُكْرِمُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ ﴿الْحَمِيدُ﴾ فِي ذَاتِهِ، الْمَحْمُودُ فِي فِعَالِهِ الَّتِي مِنْهَا فَتَحَ أَبْوَابَ نِعَمِهِ عَلَى الْبُخْلَاءِ، لِأَنَّ فِيهِ نِظَامَ الْعَالَمِ، وَامْتِحَانُ الْخَلْقِ، وَوَبَالَ يُبْخَلُّهُمْ عَائِدَ إِلَيْهِمْ.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ نِظَامُ الْعَالَمِ بِالْعِلْمِ وَالْقَوَاعِدِ الْمَقَرَّرَةِ لِحِفْظِ النِّظَامِ وَقِيَامِ الْعَدْلِ وَقُوَّةِ دِفَاعِ الظَّالِمِينَ، بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ إِتِمَامَ نِعَمِهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى لَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إِلَيْكُمْ النَّاسَ ﴿رُسُلَنَا﴾ فِي كُلِّ عَصْرِ وَقَرْنٍ، مُسْتَدْلِينَ عَلَى رِسَالَتِهِمْ مِنْ قَبْلِنَا ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وَالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ، وَالْحُجَجِ الْبَاهِرَاتِ، لِثَلَا يَشْكُ أَحَدٌ فِي صَدَقِ دَعَوَاهِ الرِّسَالَةِ ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ إِتِمَامًا لِلطُّفِّ ﴿مَعَهُمْ أَلْكِتَابَ﴾ السَّمَاوِيِّ الَّذِي فِيهِ بَيَانٌ كُلَّمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعُلُومِ الْمُرْبُوطَةِ بِمَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ. عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْكِتَابُ الْأَسْمُ الْأَكْبَرُ الَّذِي يَعْلَمُ بِهِ عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي كَانَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ...» الْخَبِيرُ^١. ﴿وَأَلْمِيزَانَ﴾ وَمَا يُعَيِّنُ بِهِ الْحَقُوقَ. رُوي أَنَّ جَبْرِئِيلَ نَزَلَ بِالْمِيزَانِ فَدَفَعَهُ إِلَى نُوحٍ، وَقَالَ: مَرُّ قَوْمِكَ يَزْنُونَ بِهِ^٢. وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمِيزَانِ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ^٣. الْقَمِي، قَالَ: الْمِيزَانُ الْأَمَامُ^٤.

﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ فِي مَعَامَلَاتِهِمْ وَحَقُوقِهِمْ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ وَالْعَدْلِ، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَدًا فِي إِيفَاءِ حَقُوقِهِمْ وَاسْتِيفَائِهَا، كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى قَائِمٌ فِي عِبَادِهِ بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، فَوْفَاهُمْ حَقُوقَهُمْ بِلَا حَافٍ ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ مِنَ السَّمَاءِ ﴿الْحَدِيدَ﴾ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَعْنِي السِّلَاحَ»^٥ الَّذِي ﴿فِيهِ بَأْسٌ﴾ وَعَذَابٌ ﴿شَدِيدٌ﴾ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِالْكِتَابِ وَأَخْسَرَ الْمِيزَانَ.

وَقِيلَ: يَعْنِي قُوَّةَ شَدِيدَةٍ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ آلَاتِ الْحَرْبِ كُلَّهَا مِنْ حَدِيدٍ^٦.

عَنْ ابْنِ عَمْرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ أَرْبَعَ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ؛ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ، وَالنَّارَ، [وَالْمَاءَ]، وَالْمِلْحَ»^٧.

١. الكافي ١: ٣٢٣، تفسير الصافي ٥: ١٣٨.

٢. جوامع الجامع: ٤٨٢، تفسير الصافي ٥: ١٣٩، تفسير الرازي ٩: ٢٤١، تفسير أبي السعود ٨: ٢١٢.

٣. تفسير جوامع الجامع: ٤٨٢. ٤. تفسير القمي ٢: ٢٧٤ و ٣٥٢، تفسير الصافي ٥: ١٣٩.

٥. التوحيد: ٢٦٦، تفسير الصافي ٥: ١٣٩. ٦. تفسير روح البيان ٩: ٣٨٠.

٧. مجمع البيان ٩: ٣٦٣، تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٢، تفسير الصافي ٥: ١٣٩، وتفسير روح البيان ٩: ٣٨٠، ولم ينسبها إلى أحد من الرواة.

وعن ابن عباس: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد: السندان، والكلبان، والميمنة^١ أو الميمنة - والمطرقة، والإبرة^٢.

وقيل: إن الإنزال التهيئة^٣. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنزاله خلقه»^٤.

﴿و﴾ فيه مع ذلك «مَنَافِعُ» كثيرة «لِلنَّاسِ» كافة، فإن انتظام العالم ومصلحته بالزراعة والحياكة والبناء والسلطنة، ولا يَتِمُّ شيء منها إلَّا بالحديد، فلو لم يكن الحديد لاختلَّ جميع مصالح العالم، ولذلك جعله الله تعالى بجوده ورحمته سهل الوجدان كثير الوجود ليستعملوه «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ» ويميِّز في الخارج «مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ» ومن يحامي عن دينه وأبنائه بالسيوف والسنان والثبال، مع أنه تعالى «بِالْغَيْبِ» والستر عن نظر ذلك الناظر، وهو مؤمن به بالدلائل و «إِنْ» كان «اللَّهُ» العظيم لايحتاج إلى نُصْرَتكم وحمايتكم عن دينه ورُسُلِهِ؛ لأنَّه «قَوِيٌّ» بذاته شديد البطش «عَزِيزٌ» وغالب غير مغلوب، وإنَّما يأمركم بذلك لحاجتكم إليه، وعود نفعه إليكم في العاجل والأجل.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا
فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ [٢٦ و ٢٧]

ثم لما أمر بضرورة رسله، ذكر عظمة شأن بعض أولي العزم منهم بقوله: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا» الذي هو أول أولي العزم من الرسل «وَإِبْرَاهِيمَ» الذي هو الثاني منهم «وَجَعَلْنَا» وقرنا «فِي ذُرِّيَّتِهِمَا» ونسلهما طبقة بعد طبقة «النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ» ولم يك نبي إلَّا من نسلهما، ولم ينزل كتاب إلَّا إليهم «فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ» إلى الحق مؤمن بالكتاب «وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» وخارجون عن طاعة الله؛ إما بالكفر، وإما بالعصيان «ثُمَّ» لما مات نوح وإبراهيم «قَفَّيْنَا» واتبعنا «عَلَى آثَارِهِم» وأعقابهم «بِرُسُلِنَا» كهود وصالح وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأضرابهم واحداً بعد واحد حتَّى انتهى إلى زمان عيسى عليه السلام «وَقَفَّيْنَا» واتبعناهم «بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» وهو آخر أنبياء بني إسرائيل «وَآتَيْنَاهُ»

١. الميمنة: خشبة القصار يَدَقُّ عليها، واليسن الطويل يُحَدِّد به، والمطرقة.

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤١، تفسير أبي السعود ٨: ٢١٢، وتفسير روح البيان ٩: ٣٧٩، وقد نسباه إلى القيل.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٢.

٤. الاحتجاج: ٢٥٠، تفسير الصافي ٩: ١٣٩.

وأعطيناها ﴿الْإِنْجِيلَ﴾ الذي فيه هدى ونور ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي دينه بهدائه وتربيته ﴿رَأْفَةً﴾ ومودةً للمؤمنين ﴿وَرَحْمَةً﴾ وعطوفةً عليهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ وإعراضاً عن الدنيا ولذائذها، ولكن ما أوجبناها عليهم، وإنما ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ وأحدثوها من عند أنفسهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ وما شرعناها لهم لطريق النَّذْبِ على ما قيل^١ «إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ» وطلباً للقرب منه. قيل: إن الاستثناء منقطع^٢، والمعنى: ما أوجبناها عليهم في كتابهم ولسان رسوله لهم، ولكن التزموها لابتغاء مرضاة الله.

عن ابن عباس: أن في أيام الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ غير الملوك التوراة والإنجيل، فساح قوم في الأرض ولبسوا الصُّوف^٣.

وعن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَابْنَ مَسْعُودَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقُوا ثَلَاثَ وَ سَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةُ آمَنُوا بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَاتَلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي نُصْرَتِهِ حَتَّى قُتِلُوا، وَفِرْقَةُ لَمْ يَكُنْ لَهَا طَاقَةٌ بِالْقِتَالِ، فَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَفِرْقَةُ لَمْ يَكُنْ لَهَا طَاقَةٌ بِالْأَمْرِينِ، فَلَبَسُوا الْعَبَاءَ، وَخَرَجُوا إِلَى الْقِفَارِ وَالْفِيَا فِي، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ...﴾ الآية»^٤.

وقيل: إن الجبابة ظهرها على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوا ثلاث مرات، فقتلوا حتى لم يبقَ منهم إلا قليل، فخافوا أن يُقْتَلُوا في دينهم، فاختاروا الرهبانية في قُلُ الجبال، فازين بدينهم، مخلصين أنفسهم للعبادة، منتظرين للبعثة النبوية التي وعدوا عيسى عليه السلام^٥.

وَرُوي أَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ: اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ كَانُوا آمَنُوا مِنَ السَّحَرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْأَهْلِ وَالْمَالِ بِمِصْرَ، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَدَعَا لَهُمْ، فَتَرَهَّبُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ تَرَهَّبَ، وَبَقِيَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ انْقَطَعَتِ الرُّهْبَانِيَّةُ بَعْدَهُمْ حَتَّى ابْتَدَعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَصْحَابُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^٦.

﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ ولم يَحْفَظُوهَا قيل: يعني المقتدين بهم بعدهم^٧ «حَقَّ رِعَايَتِهَا» وكمال حفظها، بل خَلَطُوهَا وَأَفْسَدُوهَا بِالْقَوْلِ بِالثَلِيثِ، وَأَكَلَ الْخَنْزِيرِ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ، وَقَصَدَ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ، وَالْكَفْرَ

١. تفسير جوامع الجامع: ٤٨٣.

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٦، تفسير البيضاوي ٢: ٤٧١، تفسير روح البيان ٩: ٣٨٢. ٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٥.

٤. (ثلاث و) ليست في تفسير الرازي. ٥. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٥.

٦. تفسير أبي السعود ٨: ٢١٣، تفسير روح البيان ٩: ٢٨٢.

٧. تفسير روح البيان ٩: ٣٨٢.

بمحمد ﷺ.

عن النبي ﷺ قال: «من آمن بي وصدقني، فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون»^١.

﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ برسالة محمد ﷺ ﴿وَمِنْهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يليق بهم على زهانتهم وإيمانهم بالرسول، وهو المغفرة والجنة والرضوان ﴿وَالْأَسْفُ أَنَّهُ﴾ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴿وَهُمُ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا ثُمَّ ضَلُّوا﴾، وكفروا بمحمد ﷺ ﴿فَاسْقُون﴾ وخارجون عن حدِّ الاتباع والعقل.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لِنَلَّا يَلْمِ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [٢٨ و ٢٩]

ثم لما ذكر سبحانه أن الذين آمنوا من أتباع عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ أتوا أجراً وكثير منهم لم يؤمنوا، دعاهم سبحانه إلى الإيمان به بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعيسى وسانر الرسل ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ واحذروا عقابه ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ النبي الأمي ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ الله بإزاء إيمانكم بسانر الرسل وبمحمد ﷺ ﴿كِفْلَيْنِ﴾ ونصيبين من الأجر ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وفضله وجوده ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿نُورًا﴾ من بين أيديكم وإيمانكم ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ في ظلمات العَرَصَةِ إلى الجنة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جميع ذنوبكم التي ارتكبتوها في حياتكم الدنيا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿وَرَحِيمٌ﴾ بعباده المؤمنين.

عن ابن عباس: أنه نزل في قوم جاءوا من اليمن من أهل الكتاب إلى الرسول ﷺ وأسلموا، فجعل الله لهم أجرين^٢.

رُوي أن أهل الكتاب افتخروا بذلك على المسلمين^٣.

وعن الصادق عليه السلام ﴿كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، قال: «الحسن والحسين عليهما السلام و ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني إماماً تاتمتون به»^٤ وفي رواية، قال: «والنور علي»^٥.

ثم أنه تعالى بعد دعوة أهل الكتاب بالإيمان بنبية محمد ﷺ، وكانوا يدعون أن النبوة والرسالة

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٧.

١. مجمع البيان ٩: ٣٦٦، تفسير الصافي ٥: ١٤٠، تفسير روح البيان ٩: ٣٨٢.

٣. تفسير أبي السعود ٨: ٢١٤، تفسير روح البيان ٩: ٣٨٧.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٥٢، الكافي ١: ٨٦٣٥٦، تفسير الصافي ٥: ١٤٠.

٥. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٨١، تفسير الصافي ٥: ١٤٠.

مختصة بهم، لكونهم أهل النسب الشريف، والعلم بالكتاب، بين سبحانه أن جعل الرسالة لمحمد ﷺ الذي ليس من بني إسرائيل، ووعد الأجر الجزيل على الإيمان به، ونصيبين من الأجر على إيمان أهل الكتاب به ﴿لَنَلَّامُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ لعدم كونه من بني إسرائيل، والمشهور زيادة (لا) والمعنى لأن يعلموا ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى﴾ نيل ﴿شَيْءٍ﴾ قليل ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وإحسانه، أو تخصيصه وحصره في أقوام معينين ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ أن الفضل بيد الله ويقدرته ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وقيل: إن ﴿لَا﴾ نافية، وضمير ﴿يَقْدِرُونَ﴾ راجع إلى الرسول وأصحابه^١، والمعنى: لئلا يعتقدوا أهل الكتاب أن محمداً وأصحابه لا يقدرون على شيء من فضل الله، فقد علموا أنهم يقدرون عليه، والمراد تعظيم النبي ﷺ في نبوته وشريعته وكتابه، وليعتقدوا أن الفضل بيد الله وفي تصرفه وسلطانه ﴿وَاللَّهُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فإن العظيم لا يكون فضله إلا عظيماً.

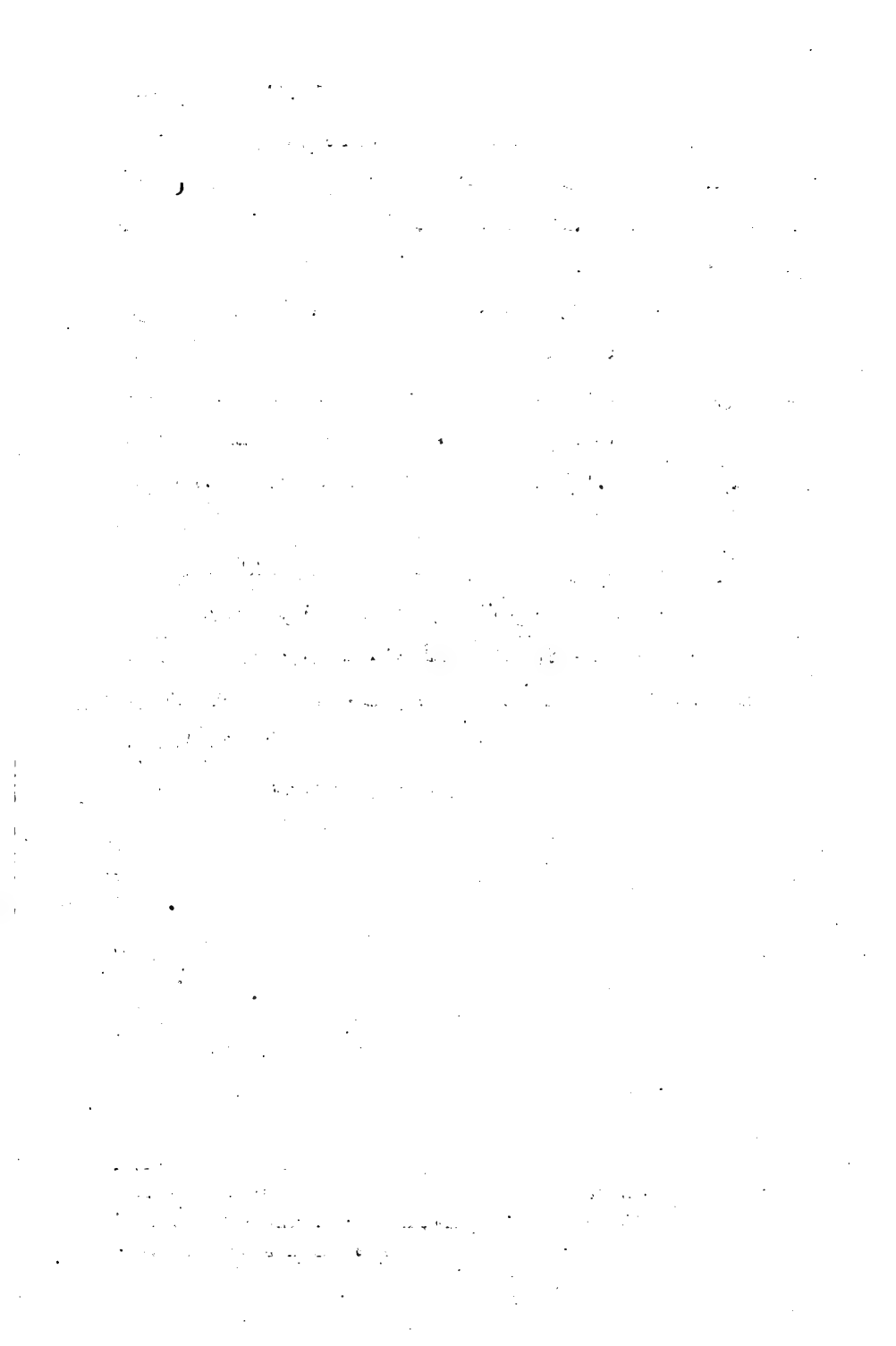
رُوي: أن النبي ﷺ كان يقرأ التسيبحات قبل أن يرقد ويقول: ﴿إِنْ فِيهِنَّ آيَةٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ﴾^٢. وعن الصادق عليه السلام: ﴿مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَدِيدِ وَالْمَجَادِلَةِ فِي صَلَاةٍ فَرِيضَةٍ [وَأَدْمَنَهَا]، لَمْ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ حَتَّى يَمُوتَ أَبَدًا، وَلَا يَرَى فِي نَفْسِهِ وَلَا فِي أَهْلِهِ سُوءًا أَبَدًا، وَلَا خَصَاصَةً فِي بَدَنِهِ﴾^٣. وعن الباقر عليه السلام: ﴿مَنْ قَرَأَ الْمَسْبُوحَاتِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يُدْرِكَ الْقَائِمَ، وَإِنْ مَاتَ كَانَ فِي جِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ﴾^٤.

الحمد لله الذي مَنَّ عَلَيَّ بالتوفيق لإتمام تفسيرها.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٨. ٢. مجمع البيان ٩: ٣٤٥، تفسير روح البيان ٩: ٣٨٧.

٣. ثواب الاعمال: ١١٧، مجمع البيان ٩: ٣٤٥، تفسير الصافي ٥: ١٤١.

٤. مجمع البيان ٩: ٣٤٥، تفسير الصافي ٥: ١٤١.



في تفسير سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [١]

ثم لما خُتِمت سورة الحديد المتضمنة لبيان ابتداء الرهبانية التي من أركانها ترك التزوج والعشرة مع الناس في دين المسيح، والمختمة بدعوة الناس إلى الإيمان بخاتم الأنبياء ﷺ الناسخ للرهبانية بقوله: «لا رهبانية في الاسلام»^١ والأمر بالتزويج حيث قال: «النكاح سُنتي، فمن رَغِبَ عن سُنتي فليس مِنِّي»^٢ الباعث إلى مصادقة الناس والمعاشرة معهم، نُظِمت سورة المجادلة المتضمنة لبيان بعض أحكام الأزواج والمباشرة التي يكون الالتزام بها من شؤون الإيمان بمحمد ﷺ والتحذير عن مواد الكفار، فابتدأها بذكر أسمائه بقوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

ثم افتتحها بذكر مقدمة نسخ حكم الظهار بين الزوج والزوجة بقوله: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ» المرأة «الَّتِي تُجَادِلُكَ» وتكالمك يا محمد «فِي» شأن «زَوْجِهَا» وتراجعك بالكلام فيه «وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» مما لقيته من ظهار زوجها «وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا» وتخطبكما فيه «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لكل مقال «بَصِيرٌ» بكل حال.

نسي بيان شأن نزول آيات الظهار
رُوي أنَّ خولة بنت ثعلبة^٣ بن مالك بن خزيمة كانت حَسَنَةَ البدن، رَأَاهَا زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة وهي تُصَلِّي، فاشتبهى مَواقعتها، فَلَمَّا سَلِمَتْ راودها فأبت، فَغَضِبَ أوس، وكان به خِفَّةٌ، وقال: أنت علي كظهر أمي، ثم نَدِمَ وقال لها: ما أَظُنُّكَ إِلَّا وقد حَزَمْتَ علي، فسَقَّ ذلك عليها، فأَتَتْ رسول الله ﷺ وعائشة تغسيل شِقِّ رأسه ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن زوجي أوس بن الصامت أبو ولدي وابن عمي وأحب الناس إلي،

٢. جامع الاخبار: ٧٣٧/٢٧١.

١. النهاية لابن الأثير ٢: ٢٨٠.

٣. في النسخة: تغلب، وما في المتن من مجمع البيان، راجع: أسد الغابة ٥: ٤٤٢.

ظاهر مني ونديم^١. وفي رواية قالت: إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب في، فلما علا سني وكثر ولدي جعلني كأمة.

فقال ﷺ لها: «ما عندي في أمرك شيء»^٢. وفي رواية قال: «حرمت عليه» قالت: لا تقل ذلك يا رسول الله، إن لي صبية صغار إن ضمتهم إلي جاعوا، وإن ضمتهم إلى أبيهم ضاعوا. فأعاد النبي ﷺ قوله الأول فجعلت تراجع رسول الله ﷺ مقالها الأولى، وكلما قال لها رسول الله ﷺ قوله الأول هتفت وقالت: أشكو إلى الله مما لقيت من زوجي حال فاقتي ووحدي، وقد طالت معه صحبتي، ونفضت له بطني. وكانت ترفع في كل ذلك رأسها إلى السماء وتقول: اللهم أنزل على لسان نبيك ﷺ، فقامت عائشة تغسل الشق الآخر من رأسه وهي ما زالت في مراجعة الكلام مع رسول الله ﷺ، وبث الشكوى إلى الله حتى نزل جبرئيل بهذه الآيات الأربع^٣.

وفي رواية: كلما قال لها رسول الله ﷺ «حرمت عليه» هتفت وشكت إلى الله، فبينما هي كذلك إذ ترد وجه رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآيات^٤، وقريب من الروایتين مروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، والصادقين عليه السلام^٥.

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهُاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِسَى وَلَدَتْهُنَّ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامَ سِتِّينَ مِنْكَيْنِ ذَلِكَ لَتُنْمُوْنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٢-٤]

ثم بين الله بطلان حكم الجاهلية في امرأة ظاهر منها زوجها أنها تصير حراماً أبدياً على زوجها، ونسخه بقوله: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ﴾ أيها المسلمون، ويقولون لأزواجهم: أنت علي كظهر أمي، اجتناباً ﴿من نساءهم﴾ وأزواجهم، لا يخرمن على أزواجهن بجهة الأمومة، و﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ لا حقيقة ولا تنزيلاً من الله ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الحقيقية، وما والداتهم الواقعية ﴿إِلَّا﴾ النساء ﴿الَّلَائِسَى

١. تفسير روح البيان ٩: ٣٨٨، مجمع البيان ٩: ٣٧١. ٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٩.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٣٨٨. ٤. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٩.

٥. تفسير القمي ٢: ٣٥٣، الكافي ٦: ١/١٥٢، من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٤١/٣٤٠، تفسير الصافي ٥: ١٤٣.

وَلَدَنَّهُمْ» ووضعهم من بطنهنَّ على الأرض «وَأِنَّهُمْ» الأزواج «لَيَقُولُونَ» بقولهم: إِنَّهُمْ كَأْمَهُمْ فِي الْحَرَمَةِ الْأَبَدِيَّةِ «مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ» ومخالفًا للشرع والعقل من الكلام «وَوُورًا» وباطلاً «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ» وكثير التجاوز عن الذنوب التي منها هذا القول، إن تاب أو إن لم يتب «عَفُوفٌ» وستأز للمعاصي بجهوده وكرمه.

ثم أنه تعالى بعد بيان عدم تأثيره [في] تأييد حرمة الزوجة على الزوج، بين ما يترتب عليه في دين الاسلام بقوله: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ» ويقولون لهنَّ هذا القول المُنْكَرُ «ثُمَّ» يَنْدَمُونَ وَ «يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» من الظَّهَار، ويرجعون عما عَزَمُوا عليه من الاجتناب من الزوجة بقولهم ذلك إلى إلغائه والاستمتاع منها. وقيل: يعني يعودون إلى ما حَرَمُوا على أنفسهم بلفظ الظَّهَار من الاستمتاع^١، وعليه نزل القول منزلة المقول فيه «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» واعتاق إنسان مملوك من قيد الملكية واجب عليه، سواء أكان المملوك ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، مؤمناً أو كافراً، ولا بد أن يكون التحرير «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا» ويتلاقيا بشهوة واستمتاع «ذَلِكَ» التحرير أيها المؤمنون ليس لتعريضكم للثواب بالتحرير، بل الغرض إنكم «تَوْعظُونَ» وتُذَكِّرون «بِهِ» مما ارتكبتم من القول المُنْكَرَ والزُّور، وترتدعون عنه، أو تؤمرون به «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» من الظَّهَار والتكفير ونحو ذلك من القليل والكثير «خَبِيرٌ» ومطلع، ومجازيكم عليه «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» من المظاهرين الرقبة بأن لا يملكها ولا يمكنه تَمَلُّكها بالعوض لفقره، أو لعدم وجودها^٢ في بلده ونواحيه حين إرادة التكفير «فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ» هلالين «مُتَتَابِعَيْنِ» واجب عليه بأن يصوم شهراً هلالياً ويوماً من الشهر الآخر متوالين بلا فصل بين الأيام، ثم يَتِمُّ الشهر الآخر متوالياً أو متفرقاً «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا» ويتجامعا^٣ ويتقاربا بشهوة «فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ» صيام شهرين بالكيفية المذكورة، ولم يُطِقْ ذلك لضعف البنية أو للهزم أو للمرض أو لخوفه «فَأَطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا» وإشباع هذا العدد من الفقراء بالإباحة أو بتملك كل واحد مِئْذَةً من الطعام قبل أن يتماسا، وإنما جعلنا «ذَلِكَ» الحكم الموافق للحكمة بالبيان المعجز «لِتُؤْمِنُوا» وتَصَدِّقُوا «بِإِلَهِكُمْ وَرَسُولِهِ» ولا تستمروا على حُكْم الجاهلية، من القول بأن الظَّهَار أشد أنواع الطلاق، وكونه مُحَرِّمًا أَبَدِيًّا للزوجة «وَتِلْكَ» الأحكام «حُدُودُ اللَّهِ» وشرائعه المقررة في دينه الذي هو مرتضيه^٤، لا بد من إطاعتها والعمل بها «وَاللَّكَافِرِينَ» والمنكرين لها في الآخرة «عَذَابٌ أَلِيمٌ» وموجع غايته.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٥٦، تفسير أبي السعود ٨: ٢١٦.

٢. في النسخة: وجوده.

٣. في النسخة: يجامعا.

٤. في النسخة: مرضية.

رُوي أن النبي ﷺ أرسل إلى أوس بن الصامت، وقال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال الشيطان: فهل من رخصة؟ فقال: نعم. وقرأ عليه الأربع آيات، وقال له: هل تستطيع العتق؟ فقال: لا والله^١. وفي رواية: قال: إذن يذهب جُل مالي.

فقال: «هل تستطيع الصوم؟» فقال: لا والله، لولا إنني كُل في اليوم مرة أو مرتين لَكُل بصري ولظننت أني أموت^٢. وفي رواية قال: فصيام شهرين متتابعين؟ قال: يا رسول الله، إذا لم أَكُل في اليوم ثلاث مرات كُل بصري، وخشيت أن تعشو عيني.

فقال له: «هل تستطيع أن تُطعم ستين مسكيناً؟» فقال: لا والله يا رسول الله، إلا أن تُعيني منك بصدقة، فأعانه بخمسة عشر صاعاً، وأخرج أوس من عنده مثله^٣. وفي رواية: قال ﷺ: «أعينك بخمسة عشر صاعاً، وأنا أدعو لك بالبركة» وتلك البركة بقيت في آله^٤.

عن الباقر عليه السلام: «أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن امرأة من المسلمات أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن فلاناً زوجي، وقد نثرت له بطني^٥، وأعنته على دنياه وآخرته، لم يَزِمْنِي مكرهاً، أشكوه إلى الله واليك. فقال ﷺ: مما تشكيه؟ قال: إنه قال أنت علي كظهر أمي، وقد أخرجني من منزلي، فانظر في أمري.

فقال لها رسول الله ﷺ: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً أقضي فيه بينك وبين زوجك، وأنا أكره أن أكون من المتكلفين، فجعلت تبكي وتشتكي ما بها إلى الله عز وجل، وإلى رسول الله ﷺ، وانصرفت.

قال: «فسمع الله مجادلتها لرسول الله ﷺ في زوجها، وما شكت إليه، فأنزل الله عز وجل ذلك قرآناً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ يعني محاورتها لرسول الله ﷺ في زوجها ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمُ...﴾ الآية.

قال: «فبعث رسول الله ﷺ إلى المرأة فأتته، فقال لها: جيئني بزواجك، فأتته به، فقال له: اقلتي لامرأتك هذه أنت علي كظهر أمي؟ فقال: قد قلتُ لها ذلك. فقال له رسول الله ﷺ: قد أنزل الله تبارك وتعالى فيك وفي امرأتك قرآناً، فقرأ عليه ما أنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَنُوا غُفُورًا﴾

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٩، تفسير روح البيان ٩: ٣٩٥.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٤٩.

٣ و٤. مجمع البيان ٩: ٣٧١، تفسير روح البيان ٩: ٣٩٥.

٥. نثرت المرأة بطنها: كثر ولدها.

ثم قال: فضم إليك امرأتك، فأنتك قد قلت منكراً من القول وزوراً، وقد عفا الله عنك وغفر لك ولا تعد. قال: فانصرف الرجل وهو نادٍ على ما قاله لامرأته.

وكره الله ذلك للمؤمنين بعد، وأنزل الله ﴿الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يعني ما قال الرجل الأول لامرأته: أنت علي كظهر أمي. قال: فمن قال بعد ما عفا الله وغفر للرجل الأول، فإن عليه ﴿تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ يعني مجامعتها ﴿ذَلِكُمْ تُوَعُّدُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا فجعل الله عقوبة من ظاهر بعد النبي ﷺ هذا، ثم قال: ﴿ذَلِكَ لِيُثَبِّتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِتَكُنْ حُدُودُ اللَّهِ﴾ قال: هذا حد الظهار.

ثم قال: لا يكون ظهار في يمين وإضرار، ولا في غضب، ولا يكون ظهار إلا على طهر من غير جماع بشهادة شاهدين مسلمين^١.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كِتَبُوا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [٦ و ٥]

ثم لما كان تغيير حكم الجاهلية ثقیلاً على المشركين، وسبباً لشدة عداوتهم، هدّد سبحانه المعاندين للرسول ﷺ بقوله: ﴿أَنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ويعاندونهما، أو يضعون حدوداً وأحكاماً غير حدودهما وأحكامهما ﴿كِتَبُوا﴾ وأخزوا وأذلوا في الدنيا ﴿كَمَا كَتَبَ﴾ وأخزي وأذل الأقسام ﴿الَّذِينَ﴾ كانوا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ بمعاندتهم لرسولهم استكباراً عليهم، كقوم نوح وعاد وثمود ﴿وَالْحَالِ إِنْ﴾ ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ودلائل واضحات على صدق الرسول وصحة ما جاء به من الأحكام والحدود ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بالله والرسول والمنكرين لأحكامهما أو الكافرين بتلك الآيات في الآخرة ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ومذل يذهب بعزهم وكبرهم.

ثم بالغ سبحانه في تهديدهم بقوله: ﴿يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ ويخرجهم من القبور أحياء ﴿جَمِيعاً﴾ لا يترك منهم أحداً، أو مجتمعين في حالة واحدة ﴿فَيُنَبِّئُهُمُ﴾ الله في ذلك اليوم، ويُنَبِّئُهُمُ على رؤوس الأشهاد تحجيلاً وتوبيخاً لهم وتشهيراً لحالهم ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا وارتكبوا فيها من الكفر ومعاندة الرسول وغيرهما من العصيان الذي ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ وأحاط به من الكمية والكيفية والزمان

والمكان وسائر مشخصاته ﴿و﴾ هم ﴿نُسوة﴾ استحقاراً له وتهاناً به ﴿وَاللهُ﴾ العظيم الخالق لكل شيء ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الموجودات ومخلوقاته وأحوالها، وعلى جميع أحوال عباده وأفعالهم وضمائرهم والمكتومات في خواطرهم ﴿شَهِيدٌ﴾ ومطلع لا تخفى عليه خافية.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعْوَدُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِنْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرُّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُوا

الْمَصِيرَ [٧ و ٨]

ثم أكد سبحانه سعة علمه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها الرائي، ولم تعلم علماً يكون كالمشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ بالذات ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ السبع ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الحقير والجليل، والتفكير والظهير، والمحسوس وغير المحسوس.

عن ابن عباس، قال: نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو، وصفوان بن أمية، كانوا يوماً يتحدثون فقال أحدهم: أترى أن الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضاً وقال الثالث: إن كان يعلم بعضه فهو يعلم كله، وصدق لأن من يعلم بعض الأشياء بغير سبب، فقد علمها كلها؛ لأن كونه عالماً بغير سبب ثابت له مع كل معلوم، فنزلت^١.

﴿مَا يَكُونُ﴾ وما يوجد ﴿مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ من الأشخاص ومسايرتهم في حال من الأحوال ﴿إِلَّا﴾ في حال ﴿هُوَ﴾ تعالى ﴿رَابِعُهُمْ﴾ وحاضر عندهم ومشارك معهم في الاطلاع عليها ﴿وَلَا﴾ نجوى ﴿خَمْسَةٍ﴾ من الأشخاص ﴿إِلَّا هُوَ﴾ تعالى ﴿سَادِسُهُمْ﴾ في العلم والاطلاع.

قيل: تخصيص العددين بالذكر لخصوص الواقعة^٢، فإن المجتمعين في النجوى كانوا مرة ثلاثة، ومرة خمسة، أو لكون العدد الوتر أشرف من الزوج^٣ فاكفني بذكر الوترين الأولين، أو لكون الغالب في التشاور يكون من ثلاثة إلى الستة، ليكونوا أقل لفظاً، وأجدر رأياً، واكتم سرّاً.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٦٥، تفسير روح البيان ٩: ٣٩٨. ٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٩٨.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٦٥.

ثُمَّ عَمَّ الْحُكْمَ يَقُولُ: «وَلَا أَذْنَى» وَأَقْلَ «مِنْ ذَلِكَ» العدد كالاثنتين والواحد «وَلَا أَكْثَرَ» مِنْهُ كَالسَّتَةِ وَمَا فَوْقَهَا «إِلَّا هُوَ» تَعَالَى «مَعَهُمْ» بِالْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ نَجْوَاهُمْ «أَيَّنَ مَا كَانُوا» وَفِي أَيِّ مَكَانٍ اجْتَمَعُوا وَتَنَاجَوْا «ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ» وَيُخْبِرُهُمْ «بِمَا عَمِلُوا» مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَطَاعَةٍ أَوْ عِصْيَانٍ «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» تَفْصِيحًا لِلْعَصَاةِ، وَتَوْبِيخًا لَهُمْ، وَتَشْهِيرًا لِفَضْلِ الْمُطِيعِينَ، وَتَشْهِيرًا لَهُمْ بِالْكَرَامَةِ «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ» مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالْأَعْمَالِ الْجَلِيَّاتِ وَالْخَفِيَّاتِ «عَلِيمٌ» وَمَحِيطٌ.

ثُمَّ رُوي أَنَّ الْيَهُودَ وَالْمَنَافِقِينَ كَانُوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيَجْتَمِعُونَ ثَلَاثَةَ وَخَمْسَةَ، وَيَتَغَامِزُونَ بِأَعْيُنِهِمْ إِذَا رَأَوْا الْمُؤْمِنِينَ، يُرِيدُونَ أَنْ يُغْضَوْهُمْ، فَهَاجَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ عَادُوا لِمِثْلِ فَعْلِهِمْ^١، فَوَيْدَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ يَقُولُ: «أَلَمْ تَرَ» يَا مُحَمَّدُ، وَلَمْ تَنْظُرْ «إِلَى الَّذِينَ نَهَوْا» مِنْ جَانِبِ اللَّهِ «عَنِ النَّجْوَى» وَالْمَكَالِمَةِ سِرًّا «ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ» مِنَ النَّجْوَى وَيُكَزِّرُونَهُ.

ثُمَّ يَبَيِّنُ سُبْحَانَهُ النَّجْوَى الَّتِي نَهَوْا عَنْهَا^٢ يَقُولُ: «وَيَتَنَاجَوْنَ» وَيُسَارُونَ بَيْنَهُمْ «بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ» لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَكْرِ بِهِمْ أَوْ بِشَيْءٍ يُشْوَهِمُ «وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» فِي نَهْيِهِ عَنِ النَّجْوَى «وَإِذَا جَاءُوكَ» يَا مُحَمَّدُ «حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ» قِيلَ: كَانُوا يَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْكَ، وَيُرِيدُونَ بِالسَّامِ الْمَوْتَ أَوْ الْقَتْلَ بِالسَّيْفِ، وَيُوهَمُونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ^٣. وَقِيلَ: كَانُوا يَقُولُونَ: أَنْعِمَ صَبَاحًا، وَهُوَ تَحِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَحِيَّةُ اللَّهِ لِلْمُرْسَلِينَ هِيَ السَّلَامُ^٤. «وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ» وَفِيمَا بَيْنَهُمْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ: «لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ» وَهَلَا يَبْتَلِينَا بِالْعُقُوبَةِ «بِمَا نَقُولُ» مِنَ الدَّعَاءِ بِالشَّرِّ، أَوْ تَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ؟

ثُمَّ رَدَّهُمُ اللَّهُ يَقُولُ: «حَسْبُهُمْ» وَكَافِيهِمْ «جَهَنَّمُ» فِي التَّعْذِيبِ، فَأَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «يَصْلَوْنَهَا» وَيَدْخُلُونَهَا بَغْتًا وَيُقَاسُونَ حَزْمَهَا لِأَمْحَالَةِ «فَيْنَسُ الْمَصِيرُ» وَالْمَرْجِعَ لَهُمْ جَهَنَّمُ.

رُوي أَنَّ عَائِشَةَ سَمِعَتْ قَوْلَ الْيَهُودِ، فَقَالَتْ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ وَاللَّعْنُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، أَرْفُقِي فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرُّفْقَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، أَلَا سَمِعْتَ مَا رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، قُلْتُ: عَلَيْكُمْ، فَيَسْتَجَابُ لِي مِنْهُمْ»^٥.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ

١. تفسير البياضاي ٢: ٤٧٥، تفسير روح البيان ٩: ٤٠٠.

٢. فِي النسخة: الَّذِي نَهَوْا عَنْهُ.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٤٠٠.

٤. تفسير البياضاي ٢: ٤٧٥، تفسير روح البيان ٩: ٤٠٠.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٤٠٠ و ٤٠١.

الرُّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا
النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [١٠ و ١١]

ثم أمر سبحانه المؤمنين المخلصين بالعمل بخلاف ما يعمله اليهود والمنافقون بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالستكم وقلوبكم ﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِإِلَانٍ﴾ والقبيح الذي يَحْصُكُمْ
﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ والعمل الذي يؤدي إلى الظلم بالغير ﴿وَمَعْصِيَةِ الرُّسُولِ﴾ ومخالفته، ولا تَسْلُكُوا في
نجاكم مسلك المنافقين ﴿وَوَ﴾ لكن ﴿تَنَاجَوْا بِالْبَرِّ﴾ والاحسان إلى أنفسكم وإلى إخوانكم
المؤمنين ﴿وَالْتَّقَوَىٰ﴾ وترك المعاصي والقيام بالطاعة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ﴾ بعد خروجكم من
القبور ﴿تُحْشَرُونَ﴾ وإلى مقام عدله تُساقون، فيجازيكم حسب أعمالكم.

ثم أكد سبحانه النهي عن النجوى بما ذكر من الأمور القبيحة بقوله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ بتلك الأمور
تصدر ﴿مِنْ﴾ تسويات ﴿الشَّيْطَانِ﴾ وتزيينه في أنظاركم ﴿لِيَحْزَنَ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حيث
توهمهم النجوى أن المتناجين بلغهم قتل أقرانهم وإخوانهم المؤمنين الذين خرجوا إلى الجهاد، أو
هزمهم العدو أو أصابهم نكبة ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطان، أو التناجي ﴿بِضَارٍّ﴾ قليلًا وقدرًا يسيرًا
﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وإرادته ومشيئته. قيل: بأن يبين لهم كيفية مناجاة الكفار حتى يزول غمهم^٢ ﴿وَعَلَى
اللَّهِ﴾ وحده لا على غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وإليه فليفوضوا أمورهم، ولا يبالوا بنجوى المنافقين.
عن النبي ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه»^٣.

وقيل: إن المراد بالنجوى في الآية الأخيرة الأحلام التي يراها الإنسان في نومه فتحزنه^٤.

نسي ذكر رؤيا روى بعض العامة أن فاطمة رضي الله عنها رأت كأن الحسن والحسين أكلتا من أطيب جزور
فاطمة رضي الله عنها وما بعته رسول الله ﷺ إليهما فماتا، فلما غدت سألت النبي ﷺ، وسأل هو جبرئيل،
يُدْنِقُ به ضرر رؤيا وسأل جبرئيل ملك الرؤيا فقال: لا علم لي به، فعلم أنه من الشيطان^٥.
السوء

وعن الصادق عليه السلام قال: «سبب نزول الآية أن فاطمة رضي الله عنها رأت في منامها أن رسول
الله ﷺ هم أن يخرج هو وفاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم من المدينة، فخرجوا حتى جازوا
حيطان المدينة، فعرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين حتى انتهى إلى موضع فيه

١. في النسخة: انهزمهم. ٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٦٨.

٣. مجمع البيان ٩: ٣٧٧، تفسير الصافي ٥: ١٤٦، تفسير روح البيان ٩: ٤٠٢.

٤. مجمع البيان ٩: ٣٧٧، تفسير الصافي ٥: ١٤٦. ٥. تفسير روح البيان ٩: ٤٠٢.

نَحْلَ وماء، فاشترى رسول الله ﷺ شاةً دراء - وهي التي في أحد أذنيه نُقِط بيض - فأمر بذبحها، فلما أكلوا [منها] ماتوا [في] مكانهم، فانتبهت فاطمة عليها السلام باكيةً دَعْرَةً، فلم تُخبر رسول الله ﷺ بذلك. فلما أصبحت جاء رسول الله ﷺ بحمارٍ، فأركب عليه فاطمة عليها السلام وأمر أن يخرج أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام من المدينة كما رأت فاطمة عليها السلام في نومها، فلما خرجوا من حيطان المدينة، عرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين حتى انتهى إلى موضع فيه نَحْلٌ وماء، فاشترى رسول الله ﷺ شاةً دراء، كما رأت فاطمة، فأمر بذبحها فذُبِحت وشُويت، فلما أرادوا أكلها قامت فاطمة وتَنَحَّت ناحيةً منهم تبكي مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله ﷺ حتى وقع عليها وهي تبكي فقال: ما شأنك يا بُنَيَّةُ؟ قالت: يا رسول الله، رأيت البارحة كذا وكذا في نومي، وقد فعلت أنت كما رأيته، فتنحيت عنكم لئلا أراكم تموتون.

فقام رسول الله ﷺ وصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ نَجَى رَبَّهُ، فنزل جَبْرَائِيلُ، فقال: يا محمد، هذا شيطان يقال له الزَّهَارُ، هو الذي أرى فاطمة هذه الرؤيا، ويؤذي ويرِي المؤمنين في نومهم ما يَغْتَمُونَهُ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنت الذي أريت هذه الرؤيا، فقال: نعم يا محمد، فبرق عليه ثلاث بزقات قبيحةٍ في ثلاثة مواضع.

ثُمَّ قَالَ جَبْرَائِيلُ لمحمد ﷺ يا محمد، إذا رأيت شيئاً في منامك تركه، أو رأى أحدٌ من المؤمنين يقول: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياء الله المرسلون وعباده الصالحون من شرِّ ما رأيت من رؤيائي، ويقرأ الحمد، والمُعَوِّذَتَيْنِ، وقل هو الله أحد، ويتفل عن يساره [ثلاث] تَفَلَّاتٍ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ مَا رَأَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ...﴾ الآية^١. وعنه عليه السلام: «إذا رأى الرجل منكم ما يكره في منامه فليتحول من شَيْئِهِ الذي كان عليه نائماً، وليقل: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ثُمَّ لِيَقُلْ: عُدْتُ بِمَا عَاذْتُ بِهِ مَلَائِكَةَ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيََاءَهُ الْمُرْسَلِينَ وعباده الصالحون من [شرِّ ما رأيت ومن] شرِّ الشيطان الرجيم»^٢.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [١١]

ثم إنه تعالى بعد النهي عن التجوى التي توجب^١ التباغض وشدة الاتصال في المجلس، أمر عباده بما يوجب التودد والتحابب بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» عن صميم القلب «إِذَا قِيلَ لَكُمْ» [سواء أ] كان القاتل قريباً أو بعيداً، أو ضيعاً أو شريعاً: يا إخواني «تَفَسَّحُوا» وتوسعوا «فِي الْمَجَالِسِ» والأماكن التي تجلسون فيها على المؤمنين الواردين عليكم «فَافْسَحُوا» ووسعوا عليهم حتى يجلسوا بينكم، فإذا تَفَسَّحْتُمْ ووسعتم في المكان على الواردين «يَفْسَحِ اللَّهُ» ويوسع عليكم «فِيمَا تُرِيدُونَ التَّوَسُّعَ فِيهِ مِنَ الصَّدُورِ وَالرِّزْقِ وَالْقَبْرِ وَغَيْرِهَا.

في فضيلة أهل العلم قيل: إن المراد مجلس النبي ﷺ، كان الأصحاب يتضامون فيه تنافساً على القرب منه، وحرصاً على استماع الكلام^٢.

عن ابن عباس: دخل ثابت بن قيس بن الشَّامِاس في مسجد النبي ﷺ، وقد أخذ القوم مجالسهم، وكان يُريد القرب من النبي ﷺ للوقر الذي كان في أذنه، فوسعوا له حتى قُرب، ثم ضايقه بعضهم، وجرى بينه وبينهم كلام، فوصف للرسول ﷺ محبة القرب منه ليستمتع كلامه، وأن فلاناً لم يَفْسَحْ له، فنزلت هذه الآية، فأمر القوم بأن يوسعوا ولا يقوم أحدٌ لأحدٍ^٣.

وقيل: إن الأصحاب كانوا يَحْتَبُونَ القرب من رسول الله ﷺ، وكان الرجل يكره أن يُضَيِّقَ عليه، فربما سأله [أخوه] أن يفسح له فيأبى، فأمرهم الله بأن يتعاطفوا ويتحملوا المكروه، وكان فيهم من يكره أن يَمَسَّهُ الفقراء، وكان أهل الصُّفَّة يلبسون الصوف ولهم روائح^٤.

وعن مقاتل: أن النبي ﷺ كان يوم الجمعة في الصُّفَّة، وفي المكان ضيق، وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناسٌ من أهل بدر، وقد سبقوا إلى المجالس، فقاموا حِبال النبي ﷺ ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف رسول الله ﷺ ما يحيلهم على القيام، وشق ذلك على الرسول ﷺ، فقال لمن حوله من أهل بدر: «قم يا فلان، قم يا فلان» فلم يزل يقيم بعدة نفر الذين هم قيام بين يديه، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعُرفت الكراهة في وجوههم، وطعن المنافقون في ذلك، وقالوا: والله ما عدل على هؤلاء، إن قوماً أخذوا مجالسهم، وأحبوا القرب منه فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه، فنزلت هذه الآية يوم الجمعة^٥.

وقيل: إن المراد من التفسح والتوسع في مقاعد القتال، وكان الرجل يأتي الصف فيقول: تفسحوا

١. في النسخة: الذي يوجب.

٢. تفسير روح البیان ٩: ٤٠٣.

٣ و ٤. تفسير الرازي ٢٩: ٢٦٩.

٥. تفسير الرازي ٦٩: ٢٦٨.

فيأبون حرصاً على الشهادة^١، والحق عُموم الآية لجميع الأشخاص والمجالس، فإن مورد النزول لا يخصّص العموم.

وقيل: إن المراد بالقاتل رسول الله ﷺ، فإنه كان إذا دخل المسجد يقوم له الناس، فنهاهم الله عن أن يقوموا له، وقال: تفسّحوا له في المجالس^٢.

﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا﴾ وقوموا من مكانكم للتوسعة على الوارد، أو انهضوا من مجلس الرسول، ولا تطيلوا الجلوس عنده فتعلّوه، أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وغيرهما من الأعمال الخيرية ﴿فَانشُرُوا﴾ وانهضوا وقوموا طاعةً للأمر، وتواضعاً للمؤمنين، وتوسعةً للاخوان، ومساعدةً للخيرات، إذن ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ﴾ بالنصر وحسن الذكر وكمال النفس في الدنيا والإيواء في عُرف الجنان في الآخرة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بايمانهم وعملهم الصالح ﴿و﴾ يرفع ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ خاصة لجهة علمهم المقارن للعمل ﴿دَرَجَاتٍ﴾ رفيعة عالية في الفضل والإكرام في الدنيا والآخرة مراتب سامية في الروض والروضان.

ذكر فضيلة العلماء عن النبي ﷺ: «بين العالم والعابد مائة درجة، بين كل درجة خُضر^٣ الجواد المُضمر سبعين سنة»^٤.

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي»^٥.

وفي أخرى: «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»^٦.

وعنه ﷺ أيضاً: «فضل العالم على الشهيد درجة، وفضل الشهيد على العابد درجة، وفضل النبي على العالم درجة، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، وفضل العالم على سائر الناس كفضلي على أديانهم»^٧.

وعن الباقر عليه السلام: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»^٨.

ثم بالغ سبحانه في الحث على الطاعة بقوله: ﴿وَاللَّهُ﴾ بكل شيء ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أيها المؤمنون من امتثال أوامره والانزجار عن معاصيه ﴿خَيْرٌ﴾ ومطلع، فيجازيكم على الطاعة بأفضل الثواب،

١. جوامع الجامع: ٤٨٥، تفسير الرازي ٢٩: ٢٦٩.

٢. تفسير القمي ٢: ٣٥٦، تفسير الصافي ٥: ١٤٨، وفيهما: فقال: تفسّحوا، أي وسّعوا له في المجلس.

٣. الخضر: عذوّ ذو وثب.

٤. جوامع الجامع: ٤٨٥، تفسير الصافي ٥: ١٤٨، تفسير روح البيان ٩: ٤٠٤.

٥. جوامع الجامع: ٤٨٥، تفسير الصافي ٥: ١٤٨، تفسير روح البيان ٩: ٤٠٤.

٦. مجمع البيان ٩: ٣٨٩، تفسير الصافي ٥: ١٤٨.

٧. الكافي ١: ٨/٢٥، تفسير الصافي ٥: ١٤٨.

وَيُعَذِّبُكُمْ عَلَىٰ عَصِيَانِهِ أَسْوَأَ الْعَذَابِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ
خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدَّمُوا
بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [١٢ و ١٣]

ثم لما علم الله المؤمنين ما ينتاجون به من البر والتقوى، عظم الرسول ﷺ ونجواه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ وكالتموه سرّاً في بعض شؤونكم كما عن بعض^١، أو في
استفسار حال رؤياكم كما عن آخر^٢ ﴿فَقَدَّمُوا﴾ وأعطوا المستحقين ﴿بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ وقبلها
﴿صَدَقَ﴾ ومقداراً ما من المال تقرّباً إلى الله ﴿ذَلِكَ﴾ التصديق ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أيها المؤمنون في دينكم
من تركه ﴿وَأَظْهَرُ﴾ لأنفسكم من رجس المعاصي ودنس البخل.

عن ابن عباس: لما أكره المسلمون السؤال على رسول الله ﷺ حتى أسأموه وأملّوه، أراد الله أن
يُخَفِّفَ عن نبيه ﷺ فنزلت الآية، وأمرهم الله بتقديم الصدقة عند نجواه، فكف كثير من الناس عن
المناجاة وشحوا^٣.

قبل: أراد سبحانه بهذا الأمر تعظيم النبي ﷺ، ونفع الفقراء، والزجر عن الإفراط في السؤال، وتمييز
المخلص عن المنافق، ومُجِبُّ الآخرة عن مُجِبِّ الدنيا، إذ لم يُنَاجِه أحدٌ من أصحابه عشرة أيام إلا
عليه السلام^٤.

أقول: وأراد سبحانه تفضيح أغنياء الصحابة كأبي بكر على ما ادّعاه شيعة من أنّه كان غنياً، وعمر
وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأضرابهم، وظهور فضيلة أمير المؤمنين وخُلوصه في الإيمان،
وحبه للآخرة ومناجاة الرسول ﷺ.

روى بعض العامة عن علي عليه السلام أنّه قال: «إِنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَةٌ مَا عَجِلَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلَا يَعْمَلُ بِهَا
أَحَدٌ بَعْدِي، كَانَ لِي دِينَارٌ فَاشْتَرَيْتُ بِهِ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَكُنْتُ إِذَا نَاجَيْتُ الرَّسُولَ ﷺ تَصَدَّقْتُ
بِدرهم»^٥.

١. تفسير روح البيان ٩: ٤٠٤.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٤٠٥.

٣. تفسير جوامع الجامع ٨٥: ٤٨٥.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٢٧١.

٥. تفسير الرازي ٢٩: ٢٧١، تفسير البيضاوي ٢: ٤٧٦، تفسير أبي السعود ٨: ٢٢١، تفسير روح البيان ٩: ٤٠٥.

وروى الفخر الرازي عن كثير من مفسري العامة، عن ابن عباس: أنَّ المسلمين نُهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا، فلم يُنَاجِه أحدٌ إلا علياً عليه السلام تصدَّق بدينار، ثم نزلت الرُّخصة^١.

وروى عن عبدالله بن عمر أنه قال: كان لعلي عليه السلام ثلاث لو كانت لي واحدة منهنَّ كانت أحبَّ إلي من حُمر النُّعم: تزويجه فاطمة عليها السلام، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى^٢.

في ردِّ قول القاضي وقال القاضي أبوبكر: والأكثر في الروايات أنه تفرد بالتصدق قبل مناجاته، ثم ورد وبیان فساد قول الفخر الرازي النسخ، وإن كان قد رُوِيَ أيضاً أنَّ أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك^٣.

والعجب إنَّه لتوغَّله في الضلال، وتعضُّبه لمذهبه الباطل، تردَّد فيما اتفقت عليه روايات العامة والخاصة من إطاعة علي عليه السلام أمر الله وعصيان مشايخه وأئمته، وهم بدفع الطعن عنهم بقوله: «وإن ثبت أنه اختصَّ بذلك، فلا نَّ الوقت لم يتسع لهذا الفرض، وإلا فلا شبهة أنَّ أكابر الصحابة لا يقدُّون عن مثله»^٤.

أقول: فيه أنَّ دعوى ضيق الوقت بعد رواياتهم بأن الحكم كان باقياً عشرة أيام ممَّا تضحك به الثكلى، وأمَّا أفاضل الصحابة كسلمان وأبي ذرٍّ والمقداد وعمَّار وحذيفة وأضرابهم، كانوا لفقرهم خارجين عن هذا الحكم بقوله: «فإن لم تجدوا» ما تصدِّقون به لا يجب عليكم «فإن الله غفورٌ» للمذنبين «رحيمٌ» بالمؤمنين، لا يكلفهم بما لا يطيقون.

والحاصل إنَّ أفاضل الصحابة الذين اتفقنا على فضلهم وخلوص إيمانهم كانوا فقراء غير متمكِّنين من التصدَّق، وأمَّا غيرهم فقد بخلوا بالتصدق لعدم اشتياقهم إلى صُحبة النبي ﷺ ومناجاته ولم يسو عندهم صحبة النبي ﷺ بدهم، ولذا صار تركهم الصدقة من أكبر المطاعن عليهم، وتصدق أمير المؤمنين عليه السلام بعشرة دراهم من أعظم فضائله، ولا يُصغى إلى قول القاضي بأن الصحابة ما وجدوا الوقت^٥.

وبذلك يظهر فساد ما ذكره الفخر الرازي من أنه على تقدير أنَّ الصحابة وجدوا الوقت ولم يفعلوا، فهذا لا يجزئهم طعناً؛ لأنَّ ذلك الإقدام على هذا العمل ممَّا يضيق به قلب الفقير، فأنَّه لا يقدر على مثله فيضيق قلبه، ويوحش قلب الغني، فأنَّه لما لم يفعل الغني وفعله غيره، صار ذلك الفعل سبباً للطعن فيمن لم يفعل، فهذا الفعل لما كان سبباً لحزن الفقراء ووحشة الأغنياء، لم يكن في تركه كبير

٢. تفسير روح البيان ٩: ٤٠٦.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٢٧٢.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٧١ و ٢٧٢.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٧٢.

٥. تفسير الرازي ٢٩: ٢٧٢.

مضرة، لأن الذي يكون سبباً للألفة أولى مما يكون سبباً للوحشة^١.

والعجب أنه يظهر من آخر كلامه أن ترك الصدقة كان أولى من التصدق، وهو منافٍ للروايات الدالة على فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام بالعمل بالآية والتصديق قبل مناجاته النبي صلى الله عليه وآله، وتوبيخ الله سبحانه تاركه التصديق بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أيها المسلمون وخفتم من ﴿أَنْ تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَانِكُمْ﴾ وقبل مسارتكم مع النبي صلى الله عليه وآله ﴿صَدَقَاتٍ﴾ قيل: إفراد الصدقة أولاً لكفاية شيء قليل منها، وإتيانها بصيغة الجمع هنا لكثرة التناجي والمناجي^٢.

ثم لما ظهر حال المؤمن الصادق في إيمانه المشتاق إلى مكالمة النبي صلى الله عليه وآله مثل أمير المؤمنين عليه السلام، والمنافق غير المشتاق، نسخ سبحانه الحكم بقوله: ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به، وتخلتم وشق عليكم بذل أقل قليل من أموالكم للدرك مكالمة النبي صلى الله عليه وآله، وتحصيل علم دينكم، وهو ذنب، رفع ذلك الحكم ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وقيل ندامتكم، وعفا عنكم ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما يكلفانكم^٣ من فعل سائر الواجبات وترك المحرمات ﴿وَاللَّهُ﴾ العالم بكل شيء ﴿خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قال أبو مسلم الأصفهاني من مفسري العامة: إن الآية ليست ناسخة، فإن المنافقين كانوا يمتنعون من بذل الصدقات، وإن قوماً تركوا النفاق وأمنوا ظاهراً وباطناً، فأراد الله أن يميزهم، فأمر بتقديم الصدقة على النجوى لتمييز هؤلاء الذين آمنوا إيماناً حقيقياً عمن بقي على نفاقه، وإذا كان هذا التكليف لهذه المصلحة المقدرة بذلك الوقت، لا يجرم بتقدير هذا التكليف بذلك الوقت^٤.

في رد أبي مسلم الأصفهاني أقول: حاصل قوله: إن مصلحة التكليف بالصدقة قبل النجوى، كانت في الواقع وفي علم الله مقدرة بغاية مخصوصة، فوجب انتهاء التكليف عند انتهاء مقتضيه إلى الغاية، ومقتضى كلامه أن غير أمير المؤمنين عليه السلام من أغنياء الصحابة كانوا منافقين،

لامتناعهم عن التصديق، وبعد ظهور حالهم ارتفع التكليف.

ثم اعلم أنه لا معنى للنسخ عندنا إلا إطلاق الحكم في الظاهر وتقييده في الواقع بوقت معين، وإلا يلزم البداهة، ولذا توافقت الروايات العامة والخاصة في كون الآية ناسخة لإيجاب الصدقة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ

٢. تفسير روح البيان ٩: ٤٠٦.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٢٧٢.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٧٢.

٣. في النسخة: يكلفونكم.

عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * لَنْ
تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ [١٤-١٧]

ثُمَّ لَمَّا افْتُضِحَ الْمُنَافِقُونَ بَيْنَ سَبْحَانِهِ سَوْءِ حَالِ الْمُنَافِقِينَ، وَأُظْهِرَ التَّعَجُّبُ مِنْ سَوْءِ صَنِيعِهِمْ بِقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مَنْ يَعْقِلُ، أَوْ يَا مُحَمَّدٌ، وَلَمْ تَنْظُرْ ﴿إِلَى﴾ الْمُنَافِقِينَ ﴿الَّذِينَ﴾ يَدَّ ﴿تَوَلَّوْا﴾،
وَتَوَادَّوْا ﴿فَقَوْمًا﴾ مِنَ الْيَهُودِ، مَعَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وَلَعَنَهُمْ حَيْثُ يَقُولُونَ أَسْرَارَ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَيْهِمْ، وَالْعَجَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مَذْبذِبِينَ ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ وَلَيْسُوا مِنْ زُمرَتِكُمْ، لِكُفْرِهِمْ فِي الْبَاطِنِ
﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ لَعْدَمِ اعْتِقَادِهِمْ بِدِينِ الْيَهُودِ، وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا: إِنَّا مُسْلِمُونَ، أَوِ الْمُرَادُ إِنَّهُمْ يَشْتُمُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ، وَيَكِيدُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنكُمْ فَعَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَوْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، قَالُوا: وَاللَّهِ مَا فَعَلْنَا
ذَلِكَ وَمَا قُلْنَا ذَلِكَ ﴿وَيُخْلِقُونَ﴾ وَيُقْسِمُونَ بِاللَّهِ ﴿عَلَى﴾ اذْعَانِهِمْ ﴿الْكُذِبِ﴾ تَحْفَظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ
الْقَتْلِ، وَعَلَى أَمْوَالِهِمْ مِنَ النَّهْبِ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ كَذَبَ مَا حَلَفُوا عَلَيْهِ، وَهَذَا الْحَلْفُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَالْقَبَاحَةِ.

ثُمَّ هَدَّاهُمْ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ﴾ وَهِيَ ﴿لَهُمْ﴾ فِي الْقَبْرِ عَلَى قَوْلِ بَعْضٍ، أَوْ فِي الْآخِرَةِ ﴿عَذَابًا
شَدِيدًا﴾ لَا يُمْكِنُ تَحْدِيدُ شِدَّتِهِ وَتَوْصِيفُهَا، لِأَجْلِ ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ،
وَمَوَادَّةِ الْيَهُودِ وَالْيَمِينِ الْعَمُوسِ^١.

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي حُجْرَةٍ مِنْ حُجَرَاتِهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ قَلْبُهُ قَلْبُ
جَبَّارٍ، وَيَنْظُرُ بَعَيْنَ الشَّيْطَانِ» فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُبَيْلٍ، وَكَانَ أَرْزَقُ، فَقَالَ ﷺ: «عَلَى مَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ
وَأَصْحَابُكَ؟ فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا فَعَلَ.» فَقَالَ ﷺ: «فَعَلْتُ» فَاِنْطَلَقَ بِأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا بِاللَّهِ مَا سَبَّوْهُ، فَنَزَلَتْ
الْآيَاتُ^٢.

ثُمَّ هَدَّاهُمْ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ الْفَاجِرَةَ حِينَ الْخَوْفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿جُنَّةً﴾ وَتُرْسًا
يَحْفَظُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ سَيُوفِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمْوَالَهُمْ مِنَ النَّهْبِ ﴿فَصَدُّوا﴾ وَمَنْعُوا النَّاسَ ﴿عَنِ﴾
الدَّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَشُلُوكِ ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَالْعَمَلِ بِمَا يُوجِبُ قُرْبَهُمْ إِلَيْهِ فِي خِلَالِ أَمْنِهِمْ
وَسَلَامَتِهِمْ، بِإِدْخَالِ الشُّبُهَاتِ فِي الْقُلُوبِ، وَذِكْرِ الْمَطَاعِنِ لِلْإِسْلَامِ، وَتَعْيِيبِ الْمُسْلِمِينَ ﴿فَلَهُمْ﴾ فِي

الآخرة بسبب كفرهم وصدّهم طلباً للعزّ عند الكفار، وتكرّراً على الرسول ﷺ ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لهم غاية الهوان، ومذلّ لهم أشدّ المذلّ ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ ولن تكفيهم للوقاية، ولا تنفعهم أبداً ﴿أَمْوَالُهُمْ﴾ التي جمعوها في الدنيا ﴿وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ الذين يفتخرون بهم ﴿مِنْ﴾ عذاب ﴿اللَّهِ﴾ إذا دخلوا النار ﴿شَتِينًا﴾ قليلاً من الإغناء والنفع ﴿أُولَئِكَ﴾ البعيدون من ساحة رحمة الله ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وملازموها أو مالكوها: لأنهم اكتسبوها بأعمالهم في الدنيا ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ومقيمون أبداً، لا نجاة لهم منها.

رُوي أن واحداً منهم قال: إن كان ما يقول محمد حقاً لندفعن العذاب من أنفسنا بأموالنا وأولادنا، فنزلت الآية تكذيباً له^١.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ [١٨]

ثم بيّن سبحانه وقت ابتلائهم بالعذاب وخلودهم في النار بقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ ويخرجهم من القبور أحياء، ويسوقهم ﴿جَمِيعًا﴾ إلى المحشر. وقيل: المعنى: واذكروا محمد يوم يبعث الله جميعاً^٢ ﴿فَيُخْلِفُونَ﴾ هؤلاء المنافقون في ذلك اليوم حين حضورهم في مقام عتاب الله ﴿لَهُ﴾ كذباً بقولهم: والله ربنا ما فعنا كذا وكذا، وما كنا مشركين ﴿كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أيها المسلمون في الدنيا كذباً بقولهم: والله إنا منكم، وما هم منكم ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ ويتوهمون ﴿أَنَّهُمْ﴾ بتلك الأيمان الكاذبة ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ من جلب نفع أو دفع ضرر، كما كانوا في الدنيا عليه حيث كانوا يدفعون بالأيمان الكاذبة عن أنفسهم وأموالهم ضرر المسلمين، ويجلبون إليهم فوائد ﴿أَلَا﴾ تنبهوا أيها العقلاء ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ والمُصْرُونَ على الكذب إلى حدّ لا يتصوّر فوقه، حيث كانوا يتجاسرون عليه بين يدي علام الغيوب، وزعموا أن الحلف يُروّج^٣ به الكذب لديه، كما يُروّجه عند الغافلين.

قيل: إن ذكر ﴿أَلَا﴾ التنبيهية مشعّرٌ بتوغلهم في النفاق وتعودهم به بحيث لا ينفكّون عنه في الدنيا ولا في الآخرة^٤.

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ [١٩]

٢. تفسير روح البيان ٩: ٣٩٧.

١. تفسير روح البيان ٩: ٤٠٩.

٣. رُوج السِّلعة: أنفقها، وروّج الكلام: زيّنه، أو أبهمه فلا تُعلم حقيقته.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٤٠٩.

ثُمَّ بَيَّنْ سَبْحَانَهُ عَلَّةَ إِصْرَاهُمْ عَلَى مَخَالَفَةِ اللَّهِ وَعِصْيَانِهِ بِقَوْلِهِ: «أَسْتَخُوذُ» وَاسْتَوْلَى «عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ» وَمَلَكَ قُلُوبَهُمْ بِحَيْثُ يَسْقُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ فِيمَا يُرِيدُ مِنْهُمْ «فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» وَأَغْلَقَهُمْ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يَخْطُرُ بِأَلْبَهُمْ تَصَوُّرُ أَنَّهُمْ مَخْلُوقُهُ وَمَرْبُوبُهُ «أَوَّلِكَ» الْبَعِيدُونَ عَنِ اللَّهِ وَعَنِ كُلِّ خَيْرٍ «حِزْبُ الشَّيْطَانِ» وَجُنْدُهُ وَأَتْبَاعُهُ «أَلَا» أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ اعْلَمُوا «إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ» وَجُنْدَهُ «هُمْ الْخَاسِرُونَ» وَالْمُتَضَرَّرُونَ بِغَايَةِ الضَّرَرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حَيْثُ قُوتُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ النَّعِيمَ الْمُؤَيَّدَ، وَأَبْدَلُوهُ بِالْعَذَابِ الْمَخْلَدِ.

عَنِ الْقَعْمِيِّ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي الثَّانِي، لِأَنَّهُ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، يَكْتُبُ خَبَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا...» الْآيَةَ. فَجَاءَ الثَّانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتَكَ تَكْتُبُ مِنَ الْيَهُودِ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَتَبْتُ عَنْهُ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ صِفَتِكَ. وَأَقْبَلَ يَقْرَأُ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ غَضَبَانٌ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: وَبَلِّغْ أَمَاتِي غَضَبَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، إِنِّي إِنَّمَا كَتَبْتُ ذَلِكَ لَمَّا وَجَدْتُ [فِيهِ] مِنْ خَيْرِكَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا فُلَانُ، لَوْ أَنَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فِيهِمْ قَائِمًا، ثُمَّ أَتَيْتَهُ رَغْبَةً عَمَّا جِئْتُ بِهِ، لَكُنْتُ كَافِرًا بِمَا جِئْتُ بِهِ».

وَهُوَ قَوْلُهُ: «اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُتَّةً» أَيُّ حِجَابًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ، وَأَيْمَانَهُمْ إِقْرَارَهُمْ بِاللِّسَانِ خَوْفًا مِنَ السِّيفِ وَدَفْعَ الْجَزِيَةِ.

وَقَوْلُهُ: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جُمِعَ اللَّهُ الَّذِينَ غَضِبُوا آلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمْ، فَيُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، فَيَحْلِفُونَ لَهُ إِنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا مِنْهَا شَيْئًا، كَمَا حَلَفُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدُّنْيَا حِينَ خَلَفُوا أَنْ لَا يَزْدُوا الْوَلَايَةَ فِي بَنِي هَاشِمٍ، وَحِينَ هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَقَبَةِ، فَلَمَّا أُطْلِعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَخْبِرَهُ حَلْفُوا إِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ، وَلَمْ يَهْمُوا بِهِ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ: «يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ»^١. قَالَ: إِذَا عَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ [فِي الْقِيَامَةِ] يُنْكِرُونَ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، كَمَا حَلَفُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَوْلُهُ: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا...» الْآيَةُ^٢.

أَقُولُ: الظَّاهِرُ تَطْبِيقُ الْآيَةِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، لَا أَنَّهُ شَأْنُ نَزْوِلِهَا.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا
وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [٢٠ و ٢١]

ثمَّ أنه تعالى بعد بيان أنَّ الكفار والمنافقين الذين هم حزب الشيطان هم الخاسرون، بيَّن سبحانه أنَّهم أَذَلُّ خلق في الدنيا والآخرة، وأنَّ العِزَّةَ والغَلَبَةَ لله ولرسوله بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ ويُعارضون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ويُعانِدونهما من الكفار والمنافقين، ﴿أُولَئِكَ﴾ البعيدون من كلِّ خيرٍ كانوا ﴿فِي﴾ زمرة ﴿الْأَذَلِّينَ﴾ من خلق الله، فإنَّ ذلَّ أحد الخصمين على حسب عزِّ الخصم الآخر، ومن الواضح أنَّ عزَّ الله لانهاية له، فلا بدَّ أن يكون ذلُّ خصومه لا نهاية له.

ثمَّ بيَّن سبحانه عزَّ المؤمنين الذين هم حزبه بقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، وقَدَّر في علمه والمكُوب فيه هو: والله ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾ على الأعداء المجادلين والمعارضين ﴿أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة لدى المحااجة، وبالسيف لدى المنازعة.

ثمَّ بيَّن سبحانه علَّة تلك الغَلَبَةِ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يَتَصَوَّر فيه الضعف، قدير لا يطرؤه العجز^١. ﴿عَزِيزٌ﴾ وغالب على جميع الموجودات، لا يمنعه مانعٌ عن إنفاذ إرادته.

عن مقاتل: أنَّه قال المؤمنون: لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهنَّ، رجونا أن يظهرنا الله على فارس والروم. فقال عبد الله بن أبي رئيس المنافقين: أنتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عدداً وأشدَّ بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك، فنزل قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ...﴾ الآية^٢.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا
آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ
أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيَذْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَزَّوْا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٢٢]

ثمَّ لما بيَّن سبحانه حال المنافقين، وأنهم يتولَّون اليهود وأهل الكتاب، بيَّن حال المؤمنين المخلصين بقوله: ﴿لَا تَجِدُ﴾ يا محمد، ولا يمكن أن ترى ﴿قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ عن صميم القلب والخلوص من شُوب النفاق ﴿يُوَادُّونَ﴾ ويُحَابِّونَ ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ويُعانِدونهما، كأهل الكتاب والمشركين ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ هؤلاء المعاندون ﴿آبَاءَهُمْ﴾ الذين هم أكرم

الناس عندهم، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ الذين هم أحب الناس إليهم ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ الذين هم أعز الناس لديهم ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ وأقرباءهم الذين هم أولى الناس بموادتهم، لامتناع اجتماع حُب الله ورسوله في القلب مع محبة أعدائهما.

﴿أُولَئِكَ﴾ العظماء الذين تصلبوا في دينهم، ولا يوادون أعداء الله ﴿كَتَبَ﴾ الله وأثبت ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الْإِيمَانَ ورسخه فيها ﴿وَأَيَّدَهُمْ﴾ وقوَاهم على القيام بوظائف الايمان ﴿بِرُوحٍ﴾ حاصلٍ ﴿مِنْهُ﴾ تعالى، وهو نور القرآن على قول^١، أو الايمان كما عن (الكافي) عنهما عليهما السلام^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «ما من أحدٍ إلَّا ولقلبه أذنان في جوفه؛ أذن ينقُثُ فيها الوسواس الخناس، وأذن ينقُثُ فيها المَلَك، فيؤيِّدُ الله المؤمن بالملك، فذلك قوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾»^٣.

وعن الكاظم عليه السلام: «أَنَّ الله تبارك وتعالى أيَّدَ المؤمن بِرُوحٍ منه تحضُّره في كُلِّ وقتٍ يُحْسِنُ فيه ويتَّقِي، وتغيب عنه في كُلِّ وقتٍ يُذْنِبُ فيه ويعتدي، فهي معه تهتَزُّ سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته ...» الخبر^٤.

وعن الباقر عليه السلام في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا زنى الرجل فارقه روح الايمان». قال: «قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾»^٥.

﴿وَيُذْخِلُهُمْ﴾ في الآخرة برحمته ﴿جَنَّاتٍ﴾ وبساتين ذوات أشجار وقصور ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حال كونهم ﴿خَالِدِينَ﴾ ومقيمين ﴿فِيهَا﴾ أبداً، والأعلى والأعظم من جميع النعم أنه ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بسبب إيمانهم وأعمالهم ﴿وَوَرَّضُوا عَنْهُ﴾ بسبب وفور إنعامه عليهم وإكرامه لهم في الدنيا والآخرة.

ثُمَّ لَمَّا بَيَّنَّ أَنَّ الْكُفَّارَ والمنافقين حزب الشيطان، جعل المؤمنين المُخْلِصِينَ حزبه بقوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ وجنده وأنصاره ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ والفائزون بجميع الخيرات الدنيوية والأخروية، كما أَنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون المحرومون عن جميع الخيرات.

قيل: نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة حين أخبر أهل مكة بمسير النبي صلى الله عليه وآله إليهم لَمَّا أَرَادَ فتحها^٦.

قد سبق في آخر سورة الحديد ثواب تلاوتها. الحمد لله الذي منَّ عليَّ بالتوفيق لإتمام تفسيرها.

١. تفسير روح البيان ٩: ٤١٣.

٢. الكافي ٢: ١١٣ و ٥، تفسير الصافي ٥: ١٥١.

٣. الكافي ٢: ٣٧٠ و ٥، تفسير الصافي ٥: ١٥٢.

٤. الكافي ٦: ١٢٠ و ٥، تفسير الصافي ٥: ١٥٢.

٥. الكافي ٢: ١١٢١ و ٥، تفسير الصافي ٥: ١٥٢.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ٢٧٧.

في تفسير سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي
أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ [١ و ٢]

ثم لما خُتِمت سورة المجادلة المختمة ببيان كون الكفار والمنافقين حزب الشيطان، وكون المؤمنين المخلصين حزب الله، وأن الغلبة لله ولرسوله، وذم المنافقين على موادتهم لليهود، نُظِمت سورة الحشر المبتدئة ببيان عظمة الله، وكونه غالباً غير مغلوب، وبيان غلبته على الكفار وذلتهم، وبيان موالة المنافقين لهم، فابتدأها بذكر أسمائه الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

ثم عظم ذاته المقدسة ببيان تسبيح جميع الموجودات له بقوله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ﴾ ونزّهه عن كل ما لا يليق به جميع ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ذاتاً وحالاً ومقلاً على حسبيهم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وقال ابن مسعود: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل^١.

ثم وصف ذاته المقدسة بياناً لاستحقاقه التسبيح بالعزة بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ والغالب القاهر على كل شيء، وبالحكمة البالغة بقوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ وتوطئته لبيان غلبته على أهل الكتاب وإذلالهم، الذي هو من آثار عزته، وبيان إجلائهم الذي هو من مقتضيات حكمته بقوله: ﴿هُوَ﴾ العزيز الغالب ﴿الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم طائفة بني النضير ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وأوطانهم في الوقت المقدّر ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ والإخراج من مكانهم إلى الشام.

حكى أن بني النضير وبني قريضة وبني قينقاع كانوا من أولاد هارون أخي موسى بن عمران، نزلوا يثرب، واستوطنوا فيها انتظاراً لبعثة النبي ﷺ الموعود في التوراة، فلما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، عاهدهم على أن لا يكونوا له ولا عليه، فلما ظهر ﷺ يوم بدر قالوا فيما بينهم: هذا النبي الموعود الذي نَعْتَه في التوراة أنه لا تُرَدُّ له راية، فلما انكسر جيش النبي ﷺ في أحد، شكوا ونكثوا

العهد.

فخرج كعب بن أشرف - أحد رؤساء بني النضير - في أربعين راكباً إلى مكة، وحالفوا قريشاً على قتال النبي ﷺ، فلما رجع كعب إلى المدينة نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ، وأخبره بنقض بني النضير عهدهم، وتعاهدهم قريشاً على قتاله، فأمر النبي ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري، وكان أخا كعب بن أشرف من الرضاعة أن يقتله غيلةً، فأتاه ليلاً فاستخرجه من بيته، وقال: إني أتيتك لاستقرض منك شيئاً من التمر، فخرج إليه فقتله، ورجع إلى النبي ﷺ وأخبره، ففرح به، لأنه أضعف قلوبهم^١.

وفي بعض الأخبار: أنه ﷺ ذهب إلى بني النضير في نفرٍ من أصحابه، للاستعانة منهم في دية، فقالوا: نعم يا أبا القاسم حتى تُطعمَ وترجعَ بحاجتك، وكان ﷺ جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم، فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل تلك الحالة، فهل من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرةً فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش - أحد ساداتهم -: أنا لذلك. فقال لهم سلام بن مشكم - أحد ساداتهم -: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما هممت به، إنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه. فلما صعد الرجل ليلقي الصخرة أتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام ﷺ مُظهِراً أنه يقضي حاجته، وترك أصحابه في مجالسهم، ورجع مسرعاً إلى المدينة، ولم يعلم من كان معه من أصحابه، فلما استبطؤوه قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه فقال: رأيته داخل المدينة.

فأقبل أصحابه حتى انتهوا إليه، فأخبرهم بما أرادت بنو النضير، فنَدِم اليهود، وقالوا: قد أخبر بما أردنا، فأرسل محمد بن مسلمة إليهم: أن اخرجوا من بلدي - وهم كانوا في قرية زاهرة من أعمال المدينة - فلا تُساكنوني بها، فلقد هممت بما هممت من الغدر. فسكنوا ولم يقولوا حرفاً، فأرسل إليهم المنافقون أن أقيموا في حصونكم فإننا نمدكم.

فأرسل حُيي بن أخطب - أحد رؤسائهم - إلى رسول الله ﷺ: إننا لا نخرج من ديارنا، فافعل ما بدا لك. اغتراراً بقول المنافقين، فسار رسول الله ﷺ مع أصحابه إليهم راكباً على حمارٍ مخطومٍ بليف، وحمل رايته علي بن أبي طالب ﷺ حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم، وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالثبال والحجارة، ورزبوا^٢ على الأزقة وحصنوها، فحاصرهم رسول الله ﷺ إحدى

١. تفسير روح البيان ٩: ٤١٦.

٢. أي اتخذوا الزرائب، جمع زريبة: الحفرة. ولعلّه تصحيف (ودربوا) على ما سيأتي لاحقاً عن تفسير الرازي.

وعشرين ليلة.

فلَمَّا قُدِفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ، وَأَيَسُوا مِنْ نَصْرِ الْمُنَافِقِينَ، طَلَبُوا الصُّلْحَ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ إِلَّا الْحَلَاءُ، عَلَى أَنْ يَحْمَلَ كُلُّ ثَلَاثَةِ آيَاتٍ عَلَى بَعِيرٍ مَا شَاءُوا مِنْ مَتَاعِهِمْ إِلَّا السِّلَاحَ، فَحَمَلُوا سِتْمَانَةَ بَعِيرٍ، وَضَرَبُوا الدُّفُوفَ، وَأَظْهَرُوا السُّرُورَ إِظْهَاراً لِلْجَلَادَةِ، وَعَبَرُوا مِنْ سَوَاقِ الْمَدِينَةِ، وَذَهَبُوا إِلَى الشَّامِ إِلَى أَرِيحَا مِنْ فِلَسْطِينَ، وَإِلَى أَذْرَعَاتٍ مِنْ دِمَشْقَ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتَيْنِ مِنْهُمْ آلُ أَبِي الْحَقِيقِ، وَآلُ حُجَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ، فَاتَّهَمُوا لِحَقْوِ بَخِيرٍ، وَلَحَقَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِالْحِيرَةِ مِنْ قُرَى الْكَوْفَةِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْ بَنِي النُّضَيْرِ إِلَّا رَجُلَانِ، وَكَانَ هَذَا الْحَشْرُ وَالْإِخْرَاجُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ أَوَّلَ إِخْرَاجٍ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ إِخْرَاجٌ لَهُمْ مِنْ مَكَانٍ^١. وَقِيلَ: هَذَا أَوَّلُ حَشْرِهِمْ، وَآخِرُهُ إِجْلَاءُ عَمْرِإِيَاهُمْ مِنْ خَبِيرٍ إِلَى الشَّامِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَبْقِيَنَّ دِينَارٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»^٢.

وقيل: آخر حشرهم يوم القيامة^٣. وقيل: يكون في الرجعة^٤.

وعن ابن عباس: قال لهم النبي ﷺ: «اخْرُجُوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»^٥.

مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغِلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِبَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ [٥-٢]

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ غَايَةَ قُوَّتِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ وَمَا رَجَوْتُمْ فِي حَقِّ بَنِي النُّضَيْرِ ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا، لِشِدَّةِ بَأْسِهِمْ وَمَنْعَتِهِمْ وَغَايَةِ عَزَّتِهِمْ وَشَوْكِهِمْ ﴿وَظَنُّوا﴾ هُزْلًا الْكَفَرَةَ ﴿أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ﴾ وَحَافِظَتِهِمْ ﴿حُصُونُهُمْ﴾ الْمُنِيعةُ ﴿مِنْ﴾ بَأْسِ ﴿اللَّهِ﴾ وَفَقَرِهِ ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ بِإِذْلَالِهِمْ وَجِذْلَانِهِمْ ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ وَمَنْ سَبَّ لَمْ يَتَوَهَّمُوا، وَهُوَ قَتْلُ كَعْبِ بْنِ أَشْرَفِ غِيلَةَ ﴿و﴾ بِذَلِكَ ﴿قَذَفَ﴾ وَأَلْقَى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ وَالْخَوْفَ الشَّدِيدَ، وَكَانَ حَالُهُمْ حِينَ الرُّعْبِ

١. تفسير روح البيان ٩: ٢١٧.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٤١٨.

٣. جوامع الجامع: ٤٨٦، تفسير أبي السعود ٨: ٢٢٥، تفسير روح البيان ٩: ٤١٨.

٤. تفسير الصافي ٥: ١٥٣، وفيه: في الرجفة.

٥. مجمع البيان ٩: ٣٨٧، تفسير الصافي ٥: ١٥٣.

أنهم «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ» ومساكنهم «بِأَيْدِيهِمْ» لیسدوا بأخشابها و ججارتها أبواب الأزقة، أو لئلا تبقى بعد جلالتهم للمسلمين، أو ليقولوا معهم بعض آياتها المرغوب فيها «وَأَيُّدَى الْمُؤْمِنِينَ». قيل: إنهم كانوا يُخْرِبُونَ بيوتهم من داخل، والمسلمون من خارج^١.

وقيل: إنهم دَرَبُوا^٢ على الأزقة وحَصَّنوها، افتقضوا بيوتهم وجعلوها كالحصون على أبواب الأزقة، وكان المسلمون يُخْرِبُونَ سائر جوانبها^٣.

وقيل: إن المسلمين كانوا يُخْرِبُونَ ظواهر البلد، واليهود لما أيقنوا بالجلاء يُخْرِبُونَ البيوت، لينزعوا الأخشاب والأبواب وغيرها من الآلات الحسنة، ويحملوها معهم^٤.

ثم لما بَيَّن سبحانه سوء عاقبة الغدر والكفر، وإبادته شوكة اليهود وكسر قوتهم، أمر أهل البصرة بالاعتبار بقوله: «فَاعْتَبِرُوا» واتَّعظُوا «يَا أُولَى الْأَبْصَارِ» فلا تغدروا، ولا تعتمدوا على غير الله في أمرٍ من الأمور. عن ابن عباس: يُريد يا أهل اللب والعقل والبصائر^٥.

«وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ» في حق بني النضير، وقَدَّرَ «عَلَيْهِمْ» بمقتضى حكمته البالغة «الْجَلَاءَ» الخروج من أوطانهم «لَعَذَّبْتَهُمْ» بالقتل والأسر، أو بعذاب الاستئصال «فِي الدُّنْيَا» على كفرهم وغدرهم «وَلَهُمْ» مع الجلاء «فِي الْآخِرَةِ» بعد خروجهم من الدنيا «عَذَابُ النَّارِ» لا نجاة لهم منه «ذَلِكَ» الجلاء «بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» وعاندوهما، وخالفوا عهدهما «وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ» كائناً من كان، يُعَاقِبْهُ الله أشدَّ العقاب «فَإِنَّ اللَّهَ» على من شاقَّه وخالفه «شَدِيدُ الْعِقَابِ».

ثم روي أن النبي ﷺ أمر بقطع نخيل اليهود وإحراقها، فجاءوا إليه، وقالوا: يا محمد، إنك قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ وكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت: «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ» ونخلة كريمة قصيرة طيبة الثمرة، أو أي نخلٍ من نخيلهم بأنواعها «أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا» كما كانت، ولم تقطعوها «فَيَاذَنْ لِلَّهِ» وأمره لمصلحة ازدياد غيظ الكفار وتضاعف حسرتهم بسبب نفاذ حكم أعدائهم في أعز أموالهم «وَلِيُخْزِيَهُ» ويُذِلَّ اليهود «الْفَاسِقِينَ» الخارجين عن طاعة الله، فإن في كل من القطع والترك حكمة ومصلحة.

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [٦]

٢. دَرَبَ الجندى: صبر في الحرب وقت الفرار.

٥. تفسير الرازي ٢٩: ٢٨٢.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٨٠.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٨٠.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ٢٨٣، تفسير روح البيان ٩: ٤٢٣.

الباقية إلى الأصناف الأربعة من بني هاشم^١.

وعن أمير المؤمنين: «نحن والله الذين عنى الله بذي القربى الذين قرنهم الله بنفسه وبنييه ﷺ فقال: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾» منا خاصة، ولم يجعل لنا سهماً في الصدقة، كرم الله بنيه ﷺ وأكرمنا من أوساخ أيدي الناس^٢.

وعن السجاد عليه السلام قال: «قرباؤنا، ومساكيننا، وأبناء سبيلنا»^٣.

ثم ذكر سبحانه علّة اختصاص الفيء بهذه الأصناف المعينة في الآية بقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ الفيء الذي حقّه أن يكون للرسول ﷺ وفقراء أقربائه ﴿ذَوَلَّةٍ﴾ وشيئاً متداولاً ودائراً ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ وذوي الثروة ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها الناس يتكاثرون به، كما كان يتداول بين الأغنياء في الجاهلية، ويتقل من غني إلى غني، ويحرم منه الفقراء ﴿وَمَا آتَاكُمْ﴾ وأعطاكم ﴿الرَّسُولُ﴾ من الأمر شيئاً كان أو حكماً ﴿فَخُذُوهُ﴾ واقبلوا منه ﴿وَمَا نَهَاكُمْ﴾ وردعكم ﴿عَنْهُ﴾ من إتيان عمل أو التصرف في مالٍ ﴿فَاتَّهَبُوا﴾ وارتدعوا عنه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفته ومخالفة رسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيعاقب من خالفه وعصاه.

عن الصادق عليه السلام: «أن الله عز وجل أذب رسوله حتّى قومه على ما أراد، ثم فوّض إليه، فقال: ﴿مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّقُوا﴾» فما فوّض الله إلى رسوله فقد فوّضه إلينا^٤.

وفي رواية: «فوّض إلى نبيه أمر خلقه، لينظر كيف طاعتهم» ثم تلا هذه الآية^٥.

وعن ابن مسعود: أنّه رأى رجلاً محرماً وعليه ثيابه، فقال: انزع هذا عنك. فقال الرجل: اقرأ بهذا عليّ آية من كتاب الله. قال: نعم ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّقُوا﴾^٦.

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصَرُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [٨]

ثم بين سبحانه على ما قيل الأصناف الثلاثة الأخيرة في الآية في خصوص فيء بني النضير^٧ بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ من مكّة إلى المدينة، ومن دار الحرب إلى دار السلام، ثم وصفهم

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٨٥.

٢. الكافي ١: ٤٥٣، تفسير الصافي ٥: ١٥٥.

٣. مجمع البيان ٩: ٣٩١، تفسير الصافي ٥: ١٥٦.

٤. الكافي ١: ٩٢١، تفسير الصافي ٥: ١٥٦.

٥. الكافي ١: ٢٠٨ و ٣٧٢، تفسير الصافي ٥: ١٥٦.

٦. تفسير روح البيان ٩: ٤٢٩.

٧. تفسير البيضاوي ٢: ٤٨١، تفسير روح البيان ٩: ٤٣٠.

بقوله: ﴿الَّذِينَ﴾ لم يهاجروا اختياراً وبميل أنفسهم، بل ﴿أُخْرِجُوا﴾ واضطُروا إلى الهجرة من قبل الكفار ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ومساكنهم التي كانت لهم بمكة ﴿وَمِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ حال كونهم ﴿يَبْتَغُونَ﴾ ويطلبون رزقهم الذي يكون ﴿فَضْلاً﴾ وإحساناً ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿وَمِنْ رِضْوَانِهِ﴾ منه في الآخرة ﴿وَيَنْصَرُّونَ﴾ بهجرتهم ﴿اللَّهُ﴾ بإعلاء دينه ﴿وَرَسُولُهُ﴾ ببذل الأنفس في حفظه وترويح شريعته ﴿أُولَئِكَ﴾ المهاجرون ﴿هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ في دعوى الايمان بشهادة أعمالهم على ضمائرهم.

في نقل استدلال قال الفخر الرازي: يعني أنهم لما هجروا لذات الدنيا، وتحملوا شوائدها لأجل بعض العامة على الدين، ظهر صدقهم في دينهم. ثم قال: تمسك بعض العلماء بهذه الآية على إمامة خليفة رسول الله، والله يشهد على كونهم صادقين، فوجب أن يكونوا صادقين في قولهم: يا خليفة رسول الله، ومتى كان الأمر كذلك، وجب الجزم بصحة إمامته.^١

أقول: هذا الاستدلال مما تضحك به الكلبي، فإن المقام قرينة على كون المراد الصدق في دعوى الايمان لا في كل ما يتكلمون به، كقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُفٌّ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٢ أي في دعوى الايمان، لا في جميع الأمور، مع أننا نعلم أنهم كانوا كاذبين في هذا الخطاب إن كان المراد أنه استخلفه رسول الله ﷺ ونصبه للإمامة، ولم يدعه غالب أشياعه وأتباعه، وإن كان المراد بالخليفة الجالس في مجلسه، ولو بالغضب والقهر، فنحن نقول بخلافته، ولا يحتاج إلى الاستدلال بالآية، ولا يدل الخطاب على إمامته من جانب الله ووجوب طاعته، كما يقوله العامة. ثم اعلم أنه بناءً على مذهبنا من اختصاص الفيء بالرسول والأنمة بعده، كما ذكره الله في فيء بني النضير، لا بد من حمل الآية على استحباب صرفهم الفيء المختص بهم في المصارف المعينة.

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِئُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٩]

ثم مدح سبحانه الأنصار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ دار الهجرة، وهي المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ وتمكنوا فيها أشد التمكّن في زمان سابق على هجرة المهاجرين إليهم، و ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

قيل: إنَّ المعنى تبوّءوا المدينة، وأخلصوا الايمان من قبل هجرتهم^١. وقيل: إنَّ المراد من الايمان هو المدينة، لظهور الايمان وقوّته فيها^٢.

وهم ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ من المؤمنين، لمحبتهم الايمان بالله وبرسوله ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ ولا يدرّكون في أنفسهم ﴿حَاجَةً﴾ وإقبالاً إلى شيء ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ وأعطوا أولئك المهاجرون من الفيء ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ ويقدمون المهاجرين ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ في الفيء وغيره ممّا يرتبط بالمعاش جوداً وحُبّاً لهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وشدة حاجة.

عن ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ قال للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم، وقسمت لكم من الغنيمة كما قسمت لهم، وإن شئتم كان لهم الغنيمة ولكم دياركم وأموالكم» فقالوا: لا، بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا، ولا نشاركهم في الغنيمة، فنزلت الآية^٣.

قيل: إن من كان له امرأتان يُفارق إحدهما ويزوّجها واحداً منهم^٤.

في إيثار المؤمنين إخوانهم على أنفسهم
أقول: كان الايثار من صفات الكاملين في الايمان، فإنَّ المؤمن الحقيقي يؤثّر أخاه المؤمن على نفسه.

عن (الامالي): أنّه جاء إلى رسول الله ﷺ رجل فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله ﷺ إلى بيوت أزواجه، فقلن: ما عندنا إلّا الماء، فقال ﷺ: «من لهذا الرجل الليلة؟» فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنا له يا رسول الله» فأتت فاطمة عليها السلام وقال لها: «ما عندك يا ابنة رسول الله؟» فقالت: «ما عندنا إلّا قوت العشيّة»، لكنّا تؤثّر ضيفنا». فقال: «يا ابنة رسول الله، تؤمي الصبيّة، وأطفي المصباح» فلمّا أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فلم يبرح حتّى أنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ...﴾ الآية^٥.

وعن أنس: أنّه أهدي إلى رجل من الأنصار رأس [شاة] وكان مجهوداً، فوجّه به إلى جار له زاعماً أنّه أحوج إليه منه، فوجّه جاره أيضاً إلى آخر، فلم يزل يبعث به واحداً إلى آخر حتّى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت إلى أن رجع إلى المجهود الأول^٦.

وعن حذيفة العدوي، قال: انطلقت في غزوة أطلب ابن عمّ لي ومعني شيء من الماء قاصداً أنّه إذا كان به رمق سقيته، فإذا أنا به فقلت له: أسقيك؟ فأشار إليّ برأسه أن نعم، فاذا برجلي يقول: آه آه،

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٨٧، تفسير أبي السعود ٨: ٢٢٩، تفسير روح البيان ٩: ٤٣٢. ٢. تفسير الرازي ٢٩: ٢٨٧.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٨٧. ٤. تفسير البيضاوي ٢: ٤٨١، تفسير روح البيان ٩: ٤٣٣.

٥. في المصدر: الصبيّة. ٦. أمالي الطوسي: ٣٠٩/١٨٥، تفسير الصافي ٥: ١٥٧. ٧. تفسير روح البيان ٩: ٤٣٣.

فأشار إلى ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فسمِع آخر يقول: آه آه فأشار هشام أن انطلق إليه فجنث إليه فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات^١.

وقال بعض العامة: إن الآية قد نزلت في أبي طلحة الأنصاري حين نزل برسول الله ﷺ ضيف، ولم يكن عنده ما يضيفه به، فقال: «ألا رجلاً يضيف هذا رحمه الله؟» فقام أبو طلحة، فانطلق به إلى رَحْله، وقال لامراته: أكرمي ضيف رسول الله، فنُؤِمَت الصبية، وأطفأت السراج، وجعل الضيف يأكل وهما يُريان أَنهما يأكلان معه ولا يأكلان، فنزلت^٢.

ثم يَبين سبحانه أن سعادة الدارين لمن يحفظ نفسه عن البخل، فكيف بمن يؤثر غيره على نفسه بقوله: «وَمَنْ يُوقْ» وَيَحْفَظْ «شَحَّ نَفْسِهِ» وجرحها على البخل بالمال بتوفيق الله وإعانتة «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» والفائزون بأعلى المقاصد من خير الدنيا والآخرة وسعادتهما.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعَ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [١٠ و ١١]

ثم مدح سبحانه المؤمنين التابعين للمهاجرين والأنصار في الايمان والصلاح بقوله: «وَالَّذِينَ جَاءُوا» حين مات المهاجرون والأنصار، ووجدوا «مِن بَعْدِهِمْ» من المؤمنين الصالحين إلى يوم القيامة يُجِبُونَ السابقين منهم بالايمن، ويدعون لأنفسهم ولهم و «يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا» ذنوبنا «وَلِإِخْوَانِنَا» في الدين «الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» من المهاجرين والأنصار وغيرهم «وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا» وِحْقْدًا وعداوة «لِلَّذِينَ آمَنُوا» بك وبرسولك لمكان الأخوة الدينية «رَبَّنَا إِنَّكَ» بعبادك المؤمنين «رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» فلا ترضى - برأفتك بنا - باستيلاء الشيطان علينا، ولا تَزِدْ برحمتك دعاءنا.

ثم لما أرسل عبدالله بن أبي بن^٣ سلول رأس المنافقين سرأ إلى بني النضير: أن اثبتوا في أماكنكم،

٢. تفسير روح البيان ٩: ٤٣٤.

١. تفسير روح البيان ٩: ٤٣٤.

٣. زاد في النسخة: أبي، راجع: الأعلام للزركلي ٤: ٦٥.

وقاتلوا محمداً إن قاتلكم، فأننا نصركم، وإن أخرجكم بالقهر لنخرجن معكم. ذمهم سبحانه على قولهم ونفاقهم، وأكذبهم في وعدهم الموافقة والنصرة بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد، أو يا من يعقل، ولم تنظر ﴿إِلَى﴾ الكفار ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ المسلمين في المدينة حتى تتعجب منهم، فأنهم ﴿يَقُولُونَ﴾ سرّاً ﴿لَا إِخْوَانَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الموافقون لهم في عداوة الرسول والمؤمنين المشاركين معهم في الكفر: يا إخواننا، والله ﴿لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ﴾ من دياركم قسراً واضطراً بأمر محمد وجور أصحابه ﴿لَنَخْرِجَنَّ مَعَكُمْ﴾ من المدينة البتة. ونصاحبكم حيثما ذهبتم أداءً لحق الصداقة والأخوة ﴿وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ﴾ ولا نوافق في شأنكم ﴿أَحَدًا﴾. يمتنعنا من الخروج معكم ﴿أَبَدًا﴾ وفي وقت من الأوقات، وإن طال الزمان ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ وحاربكم محمد وأصحابه ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ ولناوتنكم على قتالهم ولا نخذلنكم ﴿وَاللَّهُ﴾ العالم بالضمائر والسرائر ﴿يَشْهَدُ﴾ ويخبر عن علم ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم وغازون لهم، مع تأكيدهم إياه باليمين الغموس.

لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ
لَيُؤَلِّقُنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ [١٧]

ثم أنه تعالى بعد تكذيبهم الإجمالي كذبهم تفصيلاً بقوله: ﴿لَئِنْ أَخْرَجُوا﴾ من ديارهم وأموالهم قهراً وجبراً وإذلاً، والله ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ من المدينة ﴿مَعَهُمْ﴾ لشدة علاقتهم بدورهم ووطنهم ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا﴾ وحُوربوا من طرف النبي ﷺ ﴿لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾. لشدة حُبهم أنفسهم ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ على الفرض والتقدير، والله ﴿لَيُؤَلِّقُنَّ الْأَدْبَارَ﴾ وليفِرّن من القتال أفضع الفرار، لضعف قلوبهم، وتحفظاً على أنفسهم ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ أولئك المنافقون بعد ذلك من قبل أحد، أو لا يَنْصُرُونَ أولئك اليهود، وعلى أيّ تقدير لا ينفعهم نصرة المنافقين.

قيل: إن عبد الله بن أبي أرسل إلى بني النضير سرّاً: أنْ معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يصل إليكم محمد، وتؤدّكم بنو قريظة وحلفاؤهم من غطفان، فطمع بنو النضير فيما قاله اللعين و [هو] جالس في بيته، حتى قال أحد سادات بني النضير - وهو سلام بن مشكم لحيي بن أخطب الذي هو المتوليّ لأمر بني النضير -: والله يا حيي إن قول ابن أبي لبائل، وليس بشيء، وإنما يريد أن يؤرّطك في الهلكة حتى تحارب محمد فيجلس في بيته ويتريثك. فقال حيي: نأبئ إلا عداوة محمد وإلا قتاله. فقال سلام فهو والله جلاؤنا من أرضنا،

وذَهاب أَمُوالنا وشرَفنا، أو سبي ذراريِنا مع قتل مقاتلينا، فكان ما كان^١. وفيه دلالة واضحة على صحّة نبوة نبيِنا ﷺ واعجاز القرآن من حيث إخباره بالغيب ووقوع المُخبّر به موافقاً لإخباره.

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاتُوا آبَاءٍ وَأَنَّهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ [١٣-١٧]

ثم بيّن سبحانه علّة خلفهم الوعد وغدرهم بإخوانهم الكافرين بقوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ﴾ أيها المسلمون أكثر رُعباً في قلوب المنافقين، و﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ﴾.

قيل: يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية الرّهبة والخوف من الله، وأنتم في صدورهم أشد رهبة منه تعالى^٢ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من كون رهبتكم أشد من الله ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ شيئاً حتى يعلموا عظمة الله وكمال قدرته وشدة عقابه، فيخافوه حق المخافة. ثم بيّن سبحانه شدة خوفهم من المسلمين بقوله: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ ولا يجترئون على حربكم حال كونهم ﴿جَمِيعاً﴾ ومتفقين في موطن واحد ﴿إِلَّا فِي قُرَى﴾ وقلاع ﴿مُحَصَّنَةٍ﴾ محكمة بالدروب والخنادق وما أشبه ذلك ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ وعقب الحيطان، ولا يبارزونكم في الميدان، وليس ذلك لصعق قلوبهم وقوتهم، وجبنهم ووهن أعضائهم، بل ﴿بِأَسْهُمٍ﴾ وسطوتهم وبطشتهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وفي قبال أقرانهم ﴿شَدِيدٌ﴾ وإنما صَغَفَهُمْ وجبنهم منكم لِمَا قَدَفَ الله في قلوبهم من الرُعب، مع أن الشُّجاع يجبن، والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله.

وقيل: إنّ المراد أنهم إذا اجتمعوا يقولون: لنفعلن كذا وكذا، فهم يهذدون المؤمنين ببأس شديد من وراء الحيطان والحصون، ويحتزون عن الخروج للقتال، فبأسهم فيما بينهم شديد لا فيما بينهم وبين المؤمنين^٣.

٢. الكشاف ٤: ٥٠٧، تفسير روح البيان ٩: ٤٤٠.

١. تفسير روح البيان ٩: ٤٣٩.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٢٩٠.

وعن ابن عباس: معناه أن بعضهم عدو للبعض^١، ويدل عليه قوله: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا﴾ ومتفقين ومؤتلفين ومتحابين في الظاهر ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ ومتفرقة لألغة بينهم، لأن لكل واحد منهم مذهباً غير مذهب الآخرين، ولذا بينهم في الواقع عداوة شديدة.

﴿ذَلِكَ﴾ التشتت بين قلوبهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ولا يدركون أن تشتت القلوب يؤهن قوتهم، وتقل به خطو ظهم، أو لا يعقلون شيئاً حتى يعرفوا الحق فيتبعوه وتتحد كلمتهم. اعلموا أن مثل هؤلاء اليهود والمنافقين وحالهم العجيبة ﴿كَمَثَلٍ﴾ الكفار ﴿الَّذِينَ﴾ حاربوا الرسول في بدر، أو كمثال بني قينقاع على ما قيل من أنهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالاً، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد قبني النصير، فأخرجهم رسول الله^٢ من المدينة إلى الشام^٣ ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ من زمانهم. قيل: قبل ستة أشهر من قضية بني النصير^٤، أو قيل: سنة^٥. فأنهم ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ ورأوا سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لا يقادر قدره، ومثل المنافقين الذين غرروا اليهود ووعدهم النصر ثم خذلوهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الغوي ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ﴾ إغراء وإغواء: ﴿اكْفُرْ﴾ بالله وبرسوله ﴿فَلَمَّا كَفَرَ﴾ الإنسان بإغوائه وحل به العذاب في القيامة - وقيل: إن المراد بالإنسان أبوجهل^٦، ومعنى (اكفر) ذم على كفره، فلما كفروا جاء إلى بدر، وابتلى بالقتال - ﴿قَالَ﴾ الشيطان له، ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ ومنقطع عنك ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ من أن يعذبني بأشد العذاب. قيل: هذا من كذبات اللعين^٧. وقيل: إنه قال ذلك استهزاء^٨، ولو كان صادقاً لم يستمر على عصيان الله ﴿فَكَانَ﴾ مآل كفر الإنسان والشيطان المغوي له و﴿عَاقِبَتُهُمَا﴾ في الآخرة ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ التي سجرها الجبار بغضبه حال كونهما ﴿خَالِدِينَ﴾ ومقيمين ﴿فِيهَا﴾ لا خلاص لهما منها أبداً ﴿وَذَلِكَ﴾ العذاب المقيم ﴿جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ﴾ على أنفسهما العاصين لله، وكذلك كان عاقبة اليهود والمنافقين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [١٨ و ١٩]

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٩٠.

٢. في النسخة: فأخرجوا بالرسول.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٤٤٢.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٤٤٢.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٤٤٣.

٦. تفسير روح البيان ٩: ٤٤٣.

ثم شرع سبحانه في وعظ المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وخافوا عذابه على عصبانه، واحترزوا عن مخالفته ﴿وَلْتَنْتَفِزْ نَفْسٌ﴾ أي نفس كانت ﴿مَا قَدَّمْتُ﴾ وأي عمل هيأت واذخرت ﴿لِعَذِّهِ﴾ ويوم عظيم في القرب بمنزلة اليوم البعد، وهو يوم القيامة.

ثم أكد سبحانه الأمر بالقوى التي هي^١ أقوى سبب النجاة من العذاب والفوز بالنعم الأبدية بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أيها المؤمنون فيما تأتون وما تذررون.

ثم هدد العصاة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ العالم بكل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ وعلیم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي فيعاقبكم عليه أشد العقاب ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ وذهبوا عن عظمتهم وحقوقه باشتغالهم بملذات الدنيا وزخارفها، ولم يراعوا أوامره ونواهيهم حتى الرعاية ﴿فَنَسَاهُمْ﴾ الله بسبب ذلك ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ وأذهلهم عن خيرها وما فيه نجاتها من المهالك، وفوزها بما فيه حياتها الدائمة وتنعمها وراحتها الأبدية ﴿أُولَئِكَ﴾ الناسون ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ والخارجون عن طاعة العقل والشرع، وفي تخصيص الفسق بهم إشعار بأن فسق غيرهم كالمعدوم لأنهم كفار.

لَا يَسْتَوِ أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ *
لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [٢٠ و ٢١]

ثم لما نهى سبحانه عن مماثلة الكفار، بين عدم أهلية الكفار لأن يماثلهم ويساويهم أحد من المؤمنين بقوله: ﴿لَا يَسْتَوِ﴾ ولا يماثل الكفار الذين هم أهل العذاب و ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ في الآخرة، والمؤمنون الذين هم أهل الرحمة و ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ فإن أصحاب النار هم الخاسرون و ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بأعلى المقاصد وأسمى المطالب.

عن الرضا عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، فقال: أصحاب الجنة من أطاعني وسلم لعلي بن أبي طالب بعدي وأقر بولايتي، وأصحاب النار من سخط الولاية ونقض العهد»^٢.

ثم لما ذكر سبحانه بعض المواعظ الموجبة لرقّة القلب والخشوع، مدح القرآن بغاية التأثير، وذمّ قلوب الكفار بغاية القساوة بقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ العظيم الشأن، الذي فيه المواعظ الشافية والتهديدات الكثيرة ﴿عَلَى جَبَلٍ﴾ وكان المقصود بالمواعظ والإنذارات التي فيه وعظه وإنذاره، والله

١. في النسخة: الذي هو.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٢٠/٢٨٠، تفسير الصافي ٥: ١٥٩.

﴿لَرَأَيْتَهُ﴾ يا محمد مع غاية صلابته وعدم تأثره مما يُصاذه ﴿خَاشِعاً﴾ وضارِعاً وَمَتَقِداً و ﴿مُتَصَدِّعاً﴾ ومتشققاً ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وخوف عقوبته وعذابه، فإن إدراك الجمادات عظمة خالقها ومهابة ربها وشعورها بشدة^١ عذابه مما ثبت بالآيات كقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^٢ وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَغِطُّ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^٣ وغيرهما من الآيات والروايات الكثيرة كرواية بُكاء الجبل من خوف أن يكون من حجارة جهنم^٤ وغيرها، فلا وجه لما قيل: من أن الآية من باب التمثيل والتخييل^٥، والمعنى لو جعل في الجبل حياة وعقل، كما جعل فيكم، ثم أنزل عليه القرآن بمواعظه وإنذاراته لصار خاشعاً، ولم تتأثر قلوب الكفار، فهي أشد قسوة من الحجارة ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ والبيانات العجيبة ﴿نَضْرِبُهَا﴾ ونبينها ﴿لِلنَّاسِ﴾ كافة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، فيتعظون بها.

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْأَجَبُّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢٢-٢٤]

ثم لما كان عظمة القرآن وقوة تأثيره منوطاً بمعرفة عظمة الله وكمال قدرته، شرع سبحانه في بيان صفاته الجليلة الدالة على كمال عظمته بقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا معبود بالحق سواه في عالم الوجود، وهو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ المطلع على المعدومات والموجودات أو على ما غاب عن الحواس وما يدرك بها، أو على السر والعلانية، أو على الدنيا والآخرة، و ﴿هُوَ﴾ وحده ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قد تكرر في السابق تفسيره ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ والسُّلْطَانُ المطلق في جميع عوالم الوجود ﴿الْقُدُّوسُ﴾ والبلغ في النزاهة عن العيوب في ذاته ﴿السَّلَامُ﴾ قيل: يعني السالم عن الآفات لا يطروء^٦ نقص في ذاته وصفاته^٧ وقيل: يعني معطي السلامة للموجودات^٨. وقيل: يعني المسلم على المؤمنين في الجنة^٩.

١. في النسخة: شدة. ٢. الإسراء: ٤٤/١٧. ٣. البقرة: ٧٤/٢.

٤. الخرائج والجرائح ١: ٢٥٩/١٦٩.

٥. جوامع الجامع: ٤٨٨، تفسير البضاوي ٢: ٤٨٣، تفسير أبي السعود ٨: ٢٣٣.

٦. كذا، والظاهر: لا يطروء عليه. ٧. تفسير روح البيان ٩: ٤٥٩.

٨. تفسير روح البيان ٩: ٤٥٩.

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ والمصدق للأنبياء بإجراء المعجزات على أيديهم، أو معطي الأمان لأوليائه من العذاب، أو لمن توكل عليه من الآفات والمضار. وعن ابن عباس: هو الذي آمن الناس من ظلمه، وآمن من آمن من عذابه^١.

﴿الْمُهَيِّئُ﴾ والمسلط على ما سواه، والرقيب عليهم، والحافظ لهم. وقيل: يعني القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم^٢.

﴿الْعَزِيزُ﴾ والغالب على كل شيء، أو الخطير الذي لا مثل له، أو معطي العز لكل ذي عز ﴿الْجَبَّارُ﴾ والقهار لخلقه على ما أراد، أو المصلح لأعمالهم. وعن ابن عباس: الملك العظيم^٣.

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ والعظيم، أو البليغ في الكبرياء، الذي كل شيء دونه، ومفتقر إليه، وخاضع لديه. عن ابن عباس: الذي تكبر برؤيته، فلا شيء مثله^٤.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ وتنزهه ﴿عَنْ﴾ إشراك ﴿مَا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام والأوثان والكواكب وغيرها، كما أشرك به الجاهلون.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن تفسير ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ فقال: «هو تعظيم جلال الله وتنزيهه عما قال فيه كل مشرك، فإذا قالها العبد صلى عليه كل ملك»^٥.

وعن [عبدالله بن] عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ قائماً على هذا المنبر في المدينة، وهو يحكي عن ربه تعالى فقال: «إن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة جمع السماوات والأرضين في قبضته تبارك وتعالى» ثم قال هكذا، وشد قبضته ثم بسطها ثم يقول: أنا الله، أنا الرحمن، أنا الرحيم، أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا العزيز، أنا الجبار أنا المتكبر، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً، أنا الذي أعدتها، أين الملوك، أين الجبابرة^٦.

﴿هُوَ اللَّهُ﴾ تعالى وحده ﴿الْخَالِقُ﴾ والمقدر لكل شيء على مقتضى حكمته ووفق مشيئته ﴿الْبَارِئُ﴾ والتوحد للأشياء بعد تقديرها ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ لها بعد إيجاد موادها.

ثم أشار سبحانه إلى سائر أسمائه إجمالاً بقوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ والصفات العليا، ولذا ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الموجودات الناطقة والصامتة، وينزهه عما لا يليق بألوهيته بلسان الحال والمقال.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٤٦٢.

٥. التوحيد: ١/٣١٢، تفسير الصافي ٥: ١٦٠.

١. تفسير روح البيان ٩: ٤٦٠.

٣ و ٤. تفسير الرازي ٢٩: ٢٩٤.

٦. تفسير روح البيان ٩: ٤٦٤.

٢٢٠ نفحات الرحمن في تفسير القرآن ج ٦

ثُمَّ لَمَّا كَانَ جَمِيعُ صِفَاتِهِ رَاجِعَةً إِلَى الْقَدْرِ وَالْعِلْمِ، خَتَمَ تَمْجِيدَ ذَاتِهِ الْمَقْدَسَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ والتقدير العليم.

عن النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَشْرِ، لَمْ يَبْقَ جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا عَرْشٌ وَلَا كُرْسِيٌّ وَلَا حِجَابٌ وَلَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيحُ وَالطَّيْرُ وَالشَّجَرُ وَالْجِبَالُ وَالْدُّوَابُّ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْمَلَائِكَةُ إِلَّا صَلَّوْا عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ، وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ مَاتَ شَهِيداً»^١.
الحمد لله على ما أنعم عليّ من التوفيق لإتمام تفسيرها.

في تفسير سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ
وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقْعَلْ مِنْكُمْ فَفَذَلُّ سَوَاءٍ
السَّبِيلِ [٨]

ثم لما خُتِمت سورة الحشر المتضمنة لبيان خذلان الكفار والمنافقين وذمهم،
ونصرة المسلمين، والمواظب الشافية، أردفت بسورة الممتحنة المتضمنة لنهي المؤمنين عن موادة
الكفار، وبيان حكم أزواجهم إذا هاجرن إلى المسلمين، وأخذ الرسول البيعة منهم على العمل
بأحكام الاسلام، وبيان المواظب الشافية، فابتدأها سبحانه بذكر الأسماء المباركات بقوله تبارك
وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع في نصيح المؤمنين والنهي عن موادة الكفار بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن صميم
القلب ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ ولا تختاروا لأنفسكم ﴿عَدُوِّي﴾ ومنكر توحيدى ورسالة رسولي، الساعي في
إطفاء نوري ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ ومُبغضكم لمخالفتكم لدينه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وأحباء وأنصاراً ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ﴾
وتُظهرون له ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ والمحبة والنصيحة، أو تُلْقُونَ إليهم بأخبار النبي ﷺ بسبب المودة التي
بينكم وبينهم ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ﴾ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ دِينَ ﴿الْحَقِّ﴾ أو القرآن بتوسط
رسولي، والشاهد على معاداتهم إياكم أنهم ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من أوطانكم لأجل ﴿أَنْ
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ مع أَنَّ العقل حاكمٌ بوجوب الايمان به، لوضوح ألوهيته وربوبيته، والشاهد على
موادتكم إياهم أنكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ من المدينة إليهم ﴿جِهَادًا﴾ ولأجل القتال معهم ﴿فِي
سَبِيلِي﴾ وترويج ديني ﴿وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ ولأجل طلب رحمتي وجنتي ﴿تُسِرُّونَ﴾ إلى الكفار،

وَيُرْسِلُونَ «إِلَيْهِمْ» خُفِيَةِ أَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ «بِالْمَوَدَّةِ» وَبِسَبَبِ الْمَحَبَّةِ وَالصَّيْحَةِ «وُ» الْحَالِ «أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ» فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ، أَوْ مِنَ النَّاسِ مِنْ كِتَابِكُمْ إِلَيْهِمْ «وَمَا أَغْلَشْتُمْ» وَأَظْهَرْتُمْ لِلرَّسُولِ مِنَ الْاعْتِزَارِ مِنْ إِظْهَارِ الْمَوَدَّةِ لَهُمْ «وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ» وَخَالَفَ نَهْيَ عَنْ مَوَادَّتِهِمْ وَاتِّخَاذَهُمْ أَوْلِيَاءَ «فَقَدْ ضَلَّ» وَأَخْطَأَ «سَوَاءَ السَّبِيلِ» وَوَسَطَ طَرِيقَ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ الْمُوَصِّلِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ عَدَلَ عَنْ قَصْدِ الْإِيمَانِ فِي اعْتِقَادِهِ^١.

روى بعض العامة: أَنَّ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ - وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالدَّرِينِ وَالمُبَايَعِينَ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ - لَمَّا تَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَغَزْوَةِ الْفَتْحِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، كَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُكُمْ فَخُذُوا جِذْرَكُمْ، فَإِنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ بِجَيْشٍ كَاللَّيْلِ: وَأَرْسَلَ الْكِتَابَ مَعَ سَارَةِ مَوْلَاةِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، وَأَعْطَاهَا عَشْرَةَ دَنَانِيرَ وَبُرْدَةٍ، وَكَانَتْ سَارَةُ قَدِمَتْ مِنْ مَكَّةَ، وَكَانَتْ مُغْنِيَةً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِمَاذَا جِئْتِ؟» قَالَتْ: جِئْتُ لَتُعْطِيَنِي شَيْئًا. فَقَالَ ﷺ: «مَا فَعَلْتَ بِعَطَانِكَ مِنْ شُبَّانِ قَرِيشٍ؟» قَالَتْ: مَذَّ قَتْلَهُمْ بِدَرٍّ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ شَيْءٌ إِلَّا قَلِيلٌ، فَأَعْطَاهَا شَيْئًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهَا كِتَابُ حَاطِبِ، فَزَلَّ جَبْرَيْلُ بِالْخَبْرِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَعِمَارًا وَطَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ وَالْمِقْدَادَ وَمَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ، وَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخَ - وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ - فَإِنَّ بِهَا ضَعِيئَةً مَعَهَا كِتَابُ حَاطِبٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَإِنْ أَبَتْ فَاضْرِبُوا عُنُقَهَا، فَأَذْكُوهَا شَمَةً فَجَحَدَتْ، فَسَلَّ عَلَيَّ ﷺ سَيْفَهُ، فَأَخْرَجْتَهُ مِنْ عِقَانِصِهَا.

فَاسْتَحْضَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبًا، فَقَالَ ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَرْتُ مِنْذُ أَسْلَمْتُ، وَمَا غَشَشْتُكَ مِنْذُ نَصَحْتُكَ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأَةً مَلْصَقًا^٢ فِي قَرِيشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَمِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَحْمِي أَهْلِي، فَأَرَدْتُ أَنْ أَخْذَ عَنْدهُمْ يَدًا، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كَفْرًا وَارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ كِتَابِي لَا يُغْنِي عَنْهُمْ. فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَبِلَ عُدْرَهُ. فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: «يَا عُمَرُ، إِنَّهُ شَهِيدٌ بِدِرٍّ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فَفَاضَتْ عَيْنَا عُمَرَ^٣.

أَقُولُ: فِي ذِيلِ الرِّوَايَةِ مِنَ الْقَدَحِ فِي عُمَرَ - مِنْ جَرَأَتِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِظْهَارِ مُخَالَفَتِهِ لَهُ - مَا لَا يَخْفَى.

وَعَنِ الْقَعْمِيِّ: قَالَ: نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ - إِلَى أَنْ قَالَ -: كَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ حَاطِبَ بْنَ أَبِي

١. تفسير الرازي ٢٩: ٢٩٨.

٢. أي حليفًا.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٤٧٢.

بلتعة كان أسلم وهاجر إلى المدينة، وكان عياله بمكة، فكانت قریش تخاف أن يغزوهم رسول الله ﷺ، فصاروا إلى عيال حاطب، وسألوه أن يكتبوا إلى حاطب يسألوه عن خير محمد ﷺ وهل يريد أن يأتي مكة، فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك، فكتب إليهم حاطب: أن رسول الله ﷺ يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى صفية، فوضعت في قرونها فمرت، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علياً و الزبير بن العوام في طلبها، فلحقوها فقال أمير المؤمنين علياً: «أين الكتاب؟» فقالت: ما معي شيء. ففتشوها فلم يجدوا معها شيئاً. فقال الزبير: ما نرى معها شيئاً. فقال أمير المؤمنين علياً: «والله ما كذبنا رسول الله ﷺ، ولا كذب رسول الله ﷺ على جبرئيل، ولا كذب جبرئيل على الله جل ثناؤه، والله لئن لم تظهر لي الكتاب لأردن رأسك إلى رسول الله ﷺ» فقالت: تنح عني حتى أخرجه. فأخرجت الكتاب من قرونها. فأخذها أمير المؤمنين علياً وجاء به إلى رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب، ما هذا؟» فقال حاطب: يا رسول الله، ما نافقت ولا غيرت ولا بدلت، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله حقاً، ولكن أهلي و عيالي كتبوا إليّ بحسن صنع قریش إليهم، فأحببت أن أجازي قریشاً بحسن معاشرتهم. فأنزل الله عز وجل على رسول الله ﷺ الآية^١.

إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ
وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ

بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [٢ و ٣]

ثم بين سبحانه شدة عداوة الكفار للمؤمنين، وإن ألقوا إليهم بالموعدة بقوله: «إِنْ يَتَّقَوْكُمْ وَيَتَّقُوا اللَّهَ، وَيَتَّقُوا نَفْسَهُمْ، وَيَتَّقُوا عِيَالَهُمْ، وَيَتَّقُوا مَالَهُمْ، وَيَتَّقُوا دِينَهُمْ، وَيَتَّقُوا لِقَاءَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً» متجاهرين في العداوة والبغض، ومظهرين ما في قلوبهم من الغيظ والحقد «وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ» من غيظهم «وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ» من الشتم والسب واللعن «وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ» وأن ترجعوا إلى دينهم، وتعبدوا آلهتهم، وأن تؤادوهم أيها المؤمنون لرعاية أهلهم وأرحامهم، فاعلموا أنه «لَنْ تَنْفَعَكُم» بجلب خير أو دفع ضرر «أَرْحَامُكُمْ» وأقاربكم «وَلَا أَوْلَادُكُمْ» وذرائعكم «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فإنه يوم «يَفْصِلُ» الله ويفرق «بَيْنَكُمْ» وبين أرحامكم وأولادكم وأصدقائكم، لأنه لا هم لأحد فيه إلا نجاة نفسه من

الأهوال والعذاب ﴿وَأَنَّهُ﴾ الخالق لشارسركم وجميع أجزائكم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المودة للكفار وإرسال الكتاب إليهم وسائر معاصيكم وزلاتكم الجلية والخفية ﴿بِصِيرٍ﴾ لأن جميعها بمنظر منه ومراة، كأنه يُدرك جميعها بحسن البصر.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْزِزْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٤، ٥]

ثم بين سبحانه أن وظيفة الايمان التبري من الأهل والأقارب إذا كانوا مشركين، كما تبرأ إبراهيم عليه السلام والمؤمنون به من أقاربهم بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون بمحمد ﷺ ﴿أُسْوَةٌ﴾ وقُدوة وَتَبْعَةٌ ﴿حَسَنَةٌ﴾ مرضية كاملة ﴿فِي﴾ عمل ﴿إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ﴾ آمنوا بالله وشاركوا ﴿مَعَهُ﴾ في التوحيد من سائر الأنبياء والأولياء والمؤمنين ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ وأقاربهم المشركين ﴿إِنَّا بُرَاءُ﴾ ومتنفرون ﴿مِنْكُمْ﴾ لشرركم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام والأوثان والكواكب وغيرها وأعداؤكم وأعداؤها.

ثم بالغوا في تبريهم منهم بقولهم: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ وتبرأنا منكم، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام، أو أنكرنا دينكم ﴿وَبَدَا﴾ وظهر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لاختلافنا في الدين ﴿الْعَدَاوَةُ﴾ وطلب الشر والضرر لكم ﴿وَالْبَغْضَاءُ﴾ والغضب عليكم ﴿أَبَدًا﴾ دائماً ﴿حَتَّى﴾ تتركوا الشرك و ﴿تُؤْمِنُوا﴾ عن صميم القلب ﴿بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ فحينئذ تنقلب العداوة والبغضاء بالصدقة والمحبة والألفة، فعليكم أيها المؤمنون الاقتداء بإبراهيم عليه السلام في أقواله ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إشفاقاً ﴿لِأَبِيهِ﴾ آزر المشرك برجاء إيمانه، ولموعدة وعدها إياه ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ يا أبة، فإن الاستغفار هو الذي أقدر عليه ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ﴾ وليس في قدرتي ﴿مِنْ﴾ دفع عذاب ﴿اللَّهِ﴾ عنك ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ يسير إن دُمت على الشرك، وإنما وعده الاستغفار لكونه راجياً إيمانه بالتوحيد، فليس لكم أيها المؤمنون أن تتأسوا وتقتدوا بإبراهيم في استغفاره للمشرك بأن تستغفروا للمشركين، لأنه مودة ولفو، لعدم إمكان المغفرة لهم،

وكذا لكم أيها المؤمنون الأسوة في إبراهيم عليه السلام ومن معه في دعائهم بقوله: ﴿رَبَّنَا وَمَلِكُنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا﴾ واعتمدنا في جميع أمورنا ﴿وَالْيَكْ﴾ يا رب ﴿أَتَيْنَا﴾ ورجعنا من ذنوبنا ومعاصينا بالتوبة والطاعة ﴿وَالْيَكْ﴾ وحدك ﴿الْمَصِيرُ﴾ والمرجع بعد الموت وحين الخروج من القبر ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ ولا تُصَيِّرْنَا في الدنيا ﴿فِتْنَةً﴾ وامتحاناً وبلاءً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن تُسَلِّطَهُم علينا، فيظنون بذلك أنهم على الحق، كما عن ابن عباس^١.

وقيل: إن المعنى لاتعدبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك^٢ ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾ واستر ذنوبنا في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفِيرُ﴾ والقادر على إنفاذ إرادتك، فلا تذل من لجأ إليك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله، فلا يصدر منك إلا ما فيه الصلاح الأتم.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفِيُّ الْحَمِيدُ * عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم
مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [٦ و ٧]

ثم أكد سبحانه وجوب التأسي بإبراهيم عليه السلام ومن معه بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أعني ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ ويأمل النيل بشوابه، ويؤمن بلفائه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ ويصدق به، لوضح أن من يؤمن بالله وبيوم الجزاء لا يتروك التأسي بإبراهيم عليه السلام ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ ويعرض عن الاقتداء بهم، وعن مواظب الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ وحده ﴿هُوَ الْغَفِيُّ﴾ بالذات عنه وعن جميع خلقه، وطاعتهم ونصرتهم لدينه ﴿الْحَمِيدُ﴾ والمحمود في ذاته وصفاته، أو المستحق للحمد وإن لم يكن حامداً ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ والرجاء منه ﴿أَن يَجْعَلَ﴾ ويوجد ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿وَبَيْنَ﴾ الكفار ﴿الَّذِينَ عَادَيْتُم﴾ وباغضتم ﴿مِّنْهُمْ﴾ بسبب اختلاف الدين ﴿مَّوَدَّةً﴾ ومحبة بأن يوفقهم للسلام ويوافقهم معكم في الدين، كما جعل بإسلام جميع أهل مكة ومخالطتهم أصحاب الرسول ومناكحتهم فيهم ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على قلبب قلوبهم وتغيير سوء أخلاقهم إلى حسنها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن أسلم، أو لمن فرط منكم في موالاتهم من قبل ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالمؤمنين.

عن الباقر عليه السلام: «أن الله أمر نبيه والمؤمنين بالبراءة من قومهم ماداموا كفاراً، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قطع الله ولاية المؤمنين منهم، وأظهروا لهم العداوة، ثم قال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً﴾ فلما أسلم أهل مكة خالطهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وناكحهم، وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب^١.

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [٨]

ثم أنه تعالى بعد أمر المؤمنين بالانقطاع عن الكفار وترك موالاتهم، رخص سبحانه في مواصلة الذين لم يظهروا العداوة ولم يضروهم بقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ﴾ ولا يمنعكم أيها المؤمنون ﴿عَنِ﴾ الكفار ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ولم يقدموا على حربكم لطفاء نور الله ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ وأوطانكم من ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ وتُحْسِنُوا إليهم بتطيب قلوبهم، وحسن عشرتهم، وبذل المال لهم ﴿وَتُقْسِطُوا﴾ وتؤدوا حقوقهم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ ولا تظلمواهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ والعادلين في معاملاتهم.

قيل: إن المراد من هذا القسم من الكفار، هم الذين عاهدوا الرسول ﷺ على ترك القتال والمظاهرة في العداوة، وهم خزاعة، فأنهم عاهدوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يخرجوه، فأمر الرسول ﷺ بالوفاء إلى مدتهم والبر بهم، كما عن ابن عباس^٢.

وعنه: أنهم قوم من بني هاشم منهم العباس أخرجهم يوم بدر كرهاً^٣. وقيل: هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا^٤. وقيل: إنهم النسوان والصبيان^٥. وقيل: إن المسلمين استأمروا رسول الله ﷺ في أقربائهم من المشركين^٦.

وعن ابن الزبير: أن فتيلة أم أسماء بنت أبي بكر قُدمت عليها وهي مشركة يهدايا، فلم تقبلها، ولم تأذن لها في الدخول، فنزلت الآية، فأمر النبي ﷺ أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها^٧.

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا

١. تفسير القمي ٢: ٣٦٢، تفسير الصافي ٥: ١٦٣.

٢. تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٣.

٧. تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٤.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٤.

اتَّبِعُوا مَنْ أَجُورَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْكَافِرَ وَالْكَافِرَ بِعَصَمِ الْكَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلَا مَا
أَنْفَقُوا ذَلِكَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [٩ و ١٠]

ثم بين سبحانه أن النهي عن تولي غُتاة المشركين والكفار بقوله: «إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ» ويمنعكم أيها
المؤمنون «عَنِ الْكَافِرِ» الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ «وَنَازَلُوكُم لِإِطْفَاءِ نُورِهِ» وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ
دِيَارِكُمْ «وَأوطانكم كجباية أهل مكة» وَظَاهَرُوا «وَعَاوَنُوا قَرِيشًا» عَلَى إِخْرَاجِكُمْ «مِنْ مَكَّةَ عَنْ
أَن تَوَلَّوْهُمْ» وَتَوَادَّوْهُمْ «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ» وَتَوَدَّدَ مَعَهُمْ «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» على أنفسهم
بعضيان الله ويوضع الودّ موضع العداوة.

ثم أنه تعالى بعد بيان حكم معاملة المؤمنين مع الفريقين من الكفار، بين سبحانه حكم النساء
اللاتي يأتين المؤمنين مظهرات للإيمان بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ» النساء اللاتي
يَدْعِينَ أَتْنَهُنَّ «الْمُؤْمِنَاتُ» بِالسَّتَيْنِ حَال كونهنَّ «مُهَاجِرَاتٍ» إِلَيْكُمْ مِنْ أوطانهنَّ، ولم تعلموا
صِدْقَهُنَّ فِي دَعْوَى الْإِيمَانِ «فَاصْتَحِوهُنَّ» واختبروهنَّ «اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ» الحقيقي، لعلمه
بسرائر الخلق، وأنتم لا تعلمون إلا بالآمارات والامتحان.

قيل: إن من أرادت منهنَّ إضرار زوجها قالت: سأهاجر إلى محمد^١.

رُوي أن النبي ﷺ كان يقول للتي يمتحنها: «بالله الذي لا إله إلا هو، ما خرجت عن بُغض زوجي،
بالله ما خرجت رغبةً عن أرضٍ إلى أرضٍ، بالله ما خرجت التماس دنيا، بالله ما خرجت حباً لرجلٍ
من المسلمين، بالله ما خرجت لحدثٍ أحدثه، بالله ما خرجت إلا رغبةً في الإسلام وحباً لله
ولرسوله»^٢.

«فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ» بعد الامتحان «مُؤْمِنَاتٍ» صادقات في دعوى الإيمان «فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ» وَلَا
تَرْدُوهُنَّ «إِلَى» أزواجهن من «الْكَافِرِ» لَأَنَّهُ «لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ» لانقطاع عُلقة الزوجية بينهما
بِالْإِيمَانِ «وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَّهُنَّ» لوضوح ارتفاع الزوجية من الجانبين لا من جانب واحد.

وقيل: إن الجملة الأولى لبيان زوال النكاح الأول، والثانية لبيان امتناع النكاح الجديد^٣، أو للتأكيد،
وأعطوا أزواجهن الكفرة «وَأَتَوْهُم» من مال المؤمنات، أو من بيت المال «مَا أَنْفَقُوا» عليهنَّ
ودفعوا إليهنَّ من المهور.

رُوي أن صلح الحديبية كان على أن من أتى المسلمين من الكفار ردّوه إليهم، فجاءت سبعة بنت

١. تفسير روح البيان ٩: ٤٨٢.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٤٨٣.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٥، تفسير روح البيان ٩: ٤٨٢.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٥، تفسير روح البيان ٩: ٤٨٣.

الحارث الأسلمية مسلمة، والنبي ﷺ بالحُدَيْبِيَّة، فأقبل مسافر المخزومي زوجها طالباً لها، فقال: يا محمد، أُرِّدْ علي امرأتي فأنك قد شرطت أن تُرِّدَ علينا من أتاك منا، فنزلت الآية. فقال رسول الله ﷺ: «إنما الشرط كان في الرجال دون النساء» فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت، فأعطى زوجها ما أنفق^١.

وعن القمي رحمه الله: إذا لحقت امرأة من المشركين بالمسلمين ثمتحن بأن تحلف بالله إنه لم يحملها على اللُّحوق بالمسلمين بغض زوجها الكافر، ولا حبٍّ أحدٍ من المسلمين، وإنما حملها على ذلك الاسلام، فاذا حلفت على ذلك قِيلَ إسلامها وأتوهم ما أنفقوا، يعني تُرِّدُ المسلمة على زوجها الكافر صداقها ثم يتزوجها المسلم^٢.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿أَنْ﴾ تتزوجوا المهاجرات و﴿تَنكِحُوهُنَّ﴾ لخلوهم عن الزوج بالاسلام ﴿إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ﴾ وحين أعطيتهمهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ والتزمتن مهورهن، فإنه لا يكفي ما أعطى الزوج عن المهر ﴿وَلَا تُعْسِكُوا﴾ ولا تعتدوا ﴿بِعِصْمِ﴾ النساء ﴿الْكُوفَرِ﴾ ونكاحهن لبطلانه بسبب الاختلاف في الدين.

عن ابن عباس: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نساءه^٣، يعني لا يعتد بها من الأربع، بل يجوز تزويج غيرها ونكاح أختها.

عن الباقر رحمه الله - في هذه الآية - قال: «يقول: من كانت عنده امرأة كافرة - يعني على غير ملة الاسلام - وهو على ملة الاسلام، فليعرض عليها الاسلام، فان قبلت فهي امرأته، وإلا فهي بريئة منه، فنهى الله أن يُمسك بعصمتها»^٤.

وعنه رحمه الله قال: «لا ينبغي نكاح أهل الكتاب» قيل: وأين تحريمه؟ قال: «قوله: ﴿لَا تُعْسِكُوا بِعِصْمِ الْكُوفَرِ﴾»^٥.

أقول: يُعارضه أخبارٌ معتبرة، فلا بدَّ من حملها على الكراهة ﴿وَسَأَلُوا﴾ أيها المؤمنون من الكفار، واطلبوا منهم ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ من مهور نسائكم إذا لحقن بهم ﴿وَلَيْسَأَلُوا﴾ أولئك الكفار، ويطلبوا منكم ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ وأعطوا من مهور نسائهم، إذا لحقن بكم ﴿ذَلِكُمْ﴾ الأحكام ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾ الذي ﴿يُحْكَمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين الكفار ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ يُشرع ما تقتضيه حكمته.

١. تفسير أبي السعود ٨: ٢٣٩، تفسير روح البيان ٩: ٤٨٣.

٢. تفسير القمي ٢: ٣٦٢، تفسير الصافي ٥: ١٦٤.

٣. تفسير أبي السعود ٨: ٢٣٩، تفسير روح البيان ٩: ٤٨٥.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٦٣، تفسير الصافي ٥: ١٦٤.

٥. الكافي ٥: ٧/٣٥٨، تفسير الصافي ٥: ١٦٥.

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابْتُمْ فَاَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ [١١]

ثم لما حكم الله تعالى أن يسأل المسلمون من الكفار مهر المرأة المسلمة إذا ذهب إليهم، ويسأل الكفار من المسلمين مهر نسايتهم إذا جاءت إليهم مسلمة، أقر المسلمون بحكم الله، وأبى المشركون العمل به، بين سبحانه حكم ذلك بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾ وانفلت منكم أيها المسلمون ﴿شَيْءٌ وَاحِدٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ وذهب ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ ولم يمكنكم إرجاعها.

قيل: إطلاق الشيء على أحدٍ للتحقير^١. وقيل: للإشباع في التعميم^٢. وقيل: يعني شيء من مهور أزواجكم^٣ ونسايتكم ﴿فَعَابْتُمْ﴾ وغنمتم من الكفار كما عن ابن عباس^٤ أو جاءت نوبتكم من أداء المهر وتزوجتم بأخرى عقبيها ﴿فَاتُوا﴾ وأعطوا المسلمين ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ إلى الكفار من الغنيمة، أو من مهر المرأة المسلمة التي جاءت إلى المسلمين ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ على أزواجهم الفائتة من المهر ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ في العمل بأحكامه ولا تخالفوه، فإن الإيمان مقتضي لذلك. قيل: نزلت الآية في عمر بن الخطاب، كانت عنده فاطمة بنت أبي أمية ابن المغيرة، فكرهت الهجرة، وأقامت مع المشركين، فنكحها معاوية بن أبي سفيان، فأمر الله تعالى رسوله أن يعطي عمر مثل صداقها^٥.

وقيل: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهم مهور نسايتهم من الغنيمة^٦.

وعنهما عليه السلام: شئلا ما معنى العقوبة هنا؟ قال: «إن الذي ذهب امرأته، فعاقب على امرأة أخرى غيرها - يعني تزوجها - فإذا هو تزوج امرأة أخرى غيرها فعلى الإمام أن يعطيه مهر امرأته الذاهبة». فستلا كيف صار المؤمنون يردون على زوجها المهر بغير فعل منهم في ذهابها، وعلى المؤمنين أن يردوا على زوجها ما أنفق عليها مما يصيب المؤمنون؟ قال: «يرد الإمام عليه، أصابوا من الكفار أو لم يصيبوا، لأن على الإمام أن يجبر^٨ حاجته من تحت يده، وإن حضرت القسمة فله أن يسد كل نائبة تنوبه قبل القسمة، وإن بقي بعد ذلك شيء قسمه بينهم، وإن لم يبق شيء فلا شيء لهم^٩».

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيغِينَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا

٣-١. تفسير أبي السعود ٨: ٢٤٠، تفسير روح البيان ٩: ٤٨٦.

٥. تفسير الصافي ٥: ١٦٥.

٨. في علل الشرائع: ينجز، وفي تفسير الصافي: يحيز.

٩. علل الشرائع: ٦/٥١٧، تفسير الصافي ٥: ١٦٥.

٤. تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٧.

٦. جوامع الجامع: ٤٩١.

٧. في النسخة: قيل على.

يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهَتَّانٍ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ
وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رُحِيمٌ [١٢]

ثم أنه تعالى بعد بيان حكم هجرة النساء وتزويج المسلمين إياهن، بين كيفية بيعتهن بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ النِّسَاءُ﴾ النساء ﴿الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بقصد أن ﴿يَبَايَعَنَّكَ﴾ ويُعاهدنك ﴿وَعَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً﴾ من الأصنام والأوثان والكواكب والملائكة وغيرها ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ ولا يأخذن أموال أزواجهن^١ وغيرهم خُفِيَةً بغير إذن مالكةا ﴿وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ بشرب الدواء والحركات الموجبة لسقطهن وغير ذلك من الأسباب، أو المراد قتلهن البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِهَتَّانٍ﴾ ونسبة الولد كذباً إلى أزواجهن حال كونهن ﴿يَفْتَرِيَهُ﴾ ببطونهن اللاتي ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ وفروجهن اللاتي بين أرجلهن.

قيل: كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المُفْتَرَى بين أيديهن ﴿وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، وذلك أن الولد إذا رضعته الأم وضعته بين يديها ورجليها، أو بطنها الذي تحمله فيه بين يديها، ومُخْرِجَه بين رجليها^٢.

عن ابن عباس: يعني لا تُلْحَق بزوجها ولداً ليس منه^٣.

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي﴾ عملٍ ﴿مَعْرُوفٍ﴾ وحسن تكلفهن به من فعلٍ أو تركٍ.

حكى بعض أكابر مفسري العامة: أن المراد هو النهي عن النياحة، والدعاء بالويل، وتمزيق الثوب، وتنف الشعر ونشره، وشمس الوجه^٤.

وعن الصادق عليه السلام: «هو ما فرض الله عليهن من الصلاة والزكاة، وما أمرهن به من خير»^٥.

﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾ على ما ذكر ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُنَّ﴾ الله لطفاً عليهن ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب المؤمنين ﴿رُحِيمٌ﴾ بهم بإعطاء الثواب العظيم.

روى الفخر الرازي: أن النبي ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال يوم الفتح، أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا، وعمر أسفل منه يبايع النساء بأمر النبي ﷺ، فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متفحمة متنكرة خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعْرِفَهَا، فقال ﷺ: «أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً» فرفعت

١. في النسخة: زوجهن. ٢. جوامع الجامع: ٤٩١، تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٨، تفسير روح البيان ٩: ٤٨٩.

٣. مجمع البيان ٩: ٤١٤، تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٨. ٤. تفسير روح البيان ٩: ٤٨٩.

٥. تفسير القمي ٢: ٣٦٤، تفسير الصافي ٥: ١٦٦.

هند رأسها، وقالت: والله لقد عبدنا الأصنام، وإنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيك أخذته على الرجال،
تُبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقط؟

فقال ﷺ: «ولا تسرقن» فقالت هند: إن أباسفيان رجلٌ شحيحٌ، وإني أصبتُ من ماله هناة، فما أدري أتجِلّ لي أم لا؟ فقال أبوسفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال. فضحك رسول الله وعرفها، فقال لها: «وإنك لهند بنت عُتْبَةَ؟» قالت: نعم، فاعفُ عما سلف يا نبي الله، عفا الله عنك.

فقال: «ولا تزنين» قالت: أتزني الحُرّة؟ فقال: «ولا تقتلن أولادكن» فقالت: ربّيناهم صِغاراً، وقتلتهن كباراً، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قُتِل يوم بدر. فضحك عمر حتى استلقى، وتبسّم رسول الله ﷺ.

فقال: «ولا يأتين بيّهتان يفترينه» وهو أن تقدِف على زوجها ما ليس منه، فقالت هند: إن البيّهتان لأمرٌ قبيحٌ، وما تأمرنا إلا بالرُّشد ومكارم الأخلاق.

فقال ﷺ: «ولا تعصيني في معروفٍ» فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء، انتهى^١.

فقال بعض العامة: إن مبايعة عمر إياهن من قبل رسول الله ﷺ؛ لأنه لا يجوز للنبي ﷺ البيعة للرسول ﷺ مَسَّ أيدي الأجنبية. من النساء

أقول: كذلك والله لا يجوز لعمر مسّها بطريق أولى، ورووا أن النبي ﷺ كلف امرأةً وقفت على الصفا فبايعتهنّ، وهي أميمة أخت خديجة^٢.

وعن الصادق عليه السلام قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة بايع الرجال، ثم جاءت النساء يُبايعنه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الآية، قالت هند: أما الولد فقد ربّيناهم صِغاراً وقتلتهن كباراً. وقالت أم الحكم بنت الحارث بن هشام، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل: يا رسول الله، ما ذلك المعروف الذي أمرنا الله أن لا نعصيك فيه؟ قال: لا تُطْلَمَن خدّاً، ولا تُخْمَشَن وجهاً، ولا تُتِفَن شعرًا، ولا تُشَقَّقَن جَبِيحاً، ولا تُسَوَّدَن ثوباً ولا تدعين بالويل، فبايعهن رسول الله ﷺ على هذا. فقالت: يا رسول الله كيف تُبايعك؟ قال: إنني لا أصافح النساء، فدعا بقُدَحٍ من ماء، فأدخل يده فيه، ثم أخرجها، فقال: اذْخُلن أيديكن في هذا الماء، فهي البيعة^٣.

٢. تفسير روح البيان ٩: ٤٩١.

٤. الكافي ٥: ٥٢٧، تفسير الصافي ٥: ١٦٦.

١. تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٧.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٤٩١.

٢٣٢ نفحات الرحمن في تفسير القرآن ج ٦

وعنه عليه السلام قال: «جمعهن حوله، ثم دعا بتور برام^١، فصب فيه ماءً نُصُوحاً، ثم غمس يده فيه، ثم قال: اسمعن يا هؤلاء، أبايكن على أن لا تُشركن بالله شيئاً - إلى آخر ما في الآية - ثم قال: أقررتن؟ قلن: نعم، فأخرج يده من التور، ثم قال لهن: اغمسن أيديكن فيه، ففعلن، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطيب من أن يمس بها كف أنثى ليست [له] بمَحْرَم^٢».

وروي عن عائشة أنها قالت: «ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قط إلا بما أمر الله، وما مسّت كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كف امرأة قط، وكان يقول إذا أخذ عليهن قد بايعتك على كلها، فاذا أقررن بذلك من قولهن، قال لهن: انطلقن فقد بايعتكن^٣».

وروي بعض العامة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطري - وهو ضرب من البرد - يأخذ بطرف منه ويأخذن بالطرف الآخر^٤.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوءُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُوءُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ [١٣]

ثم أكد سبحانه النهي عن مولاة الكفار، أو عن مولاة خصوص اليهود بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» عن ابن عباس يقول: لا تتولوا اليهود والمشركين، وذلك لأنّ جمعاً من قراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين لحاجتهم إليهم، فنهاه عنه، ولما كان اليهود قد كذبوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يعرفون أنه رسول الله، وأنهم أفسدوا آخرتهم بتكذيبهم إياه^٥، فهم «قَدْ يَسُوءُوا» وقطعوا الطمع «مِنْ» نعيم الدار «الْآخِرَةِ» وثوابها «كَمَا يَسُوءُ الْكُفَّارُ» الذين ماتوا على كفرهم وصاروا جميعاً «مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» فانهم عابنوا الآخرة، وعلموا بخذلانهم فيها، وعدم حظهم منها.

روى عن مقاتل: أن الكافر إذا وُضِعَ في قبره أتاه مَلَكٌ شديد الانتهاز، ثم يسأله من ربك، ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري. فيقول المَلَكُ: أبعدك الله، أنظر إلى منزلك في النار، فيدعو بالويل والشبور، ويقول: هذا لك، فيفتح باب الجنة فيقول: هذا لمن آمن بالله، فلو كنت آمنت بربك نزلت الجنة، فيكون حسرة عليه، وينقطع رجاءه ويعلم أنه لاحظ له فيها، فيأس من خير الجنة^٦.

١. التور: هو إناء من صُفْرٍ أو حجارة كالإجانة، وقد يتوضأ منه، والبرمة: القدر مطلقاً، وجمعها برام، وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن.

٢. الكافي ٥: ٢٧٥٦٦، تفسير الصافي ٥: ١٦٧.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٤٩١.

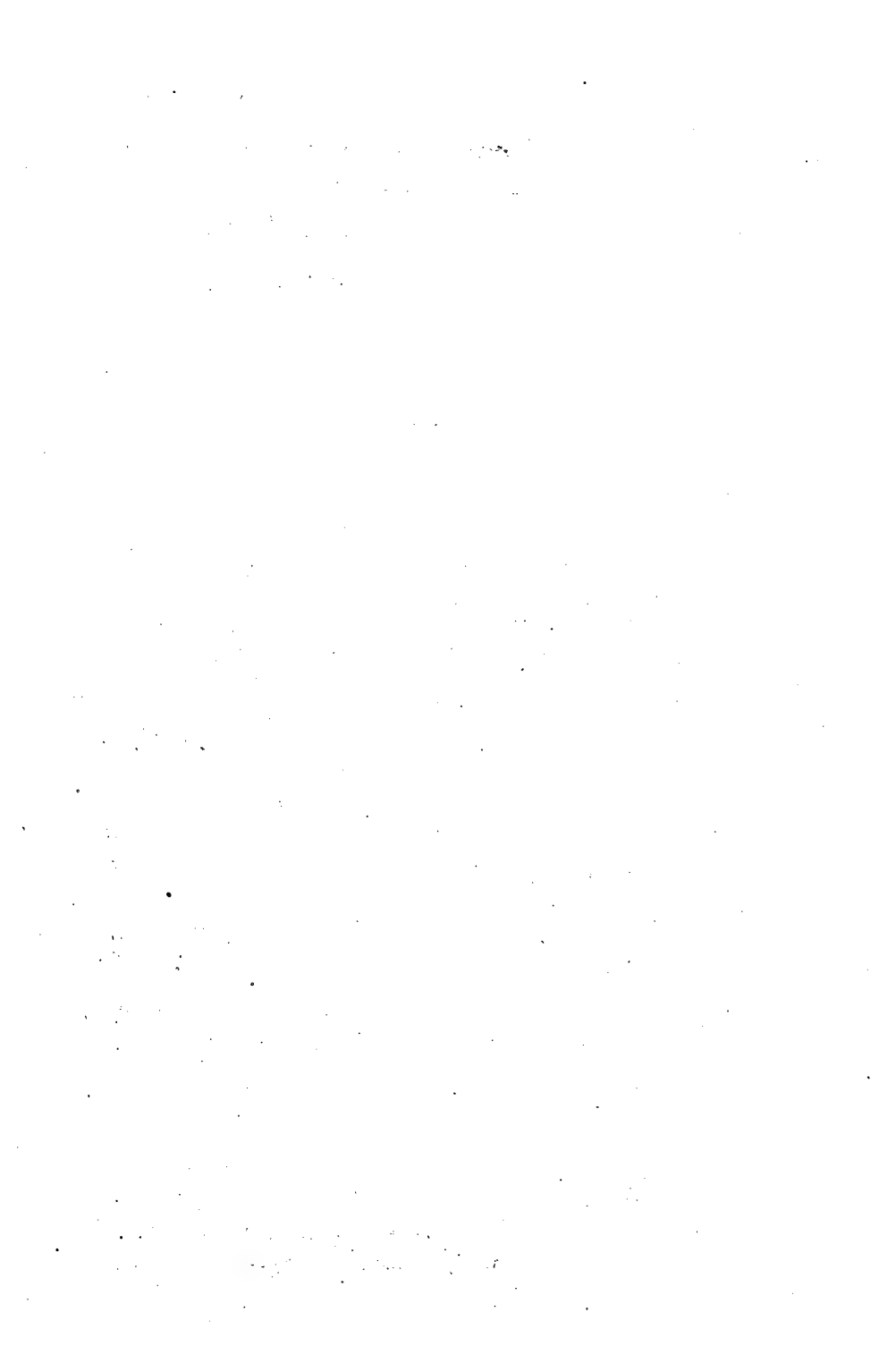
٤. تفسير روح البيان ٩: ٤٩١.

٥. تفسير روح البيان ٩: ٤٩٢.

٦. تفسير الرازي ٢٩: ٣٠٩.

وقيل: إنَّ المعنى كما يشسوا من موتاهم أن يُبْعَثُوا ويرجعوا إلى الدنيا أحياء^١.
عن السجاد عليه السلام: «من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله، امتحن الله قلبه للإيمان، ونور له بصره، ولا يصيبه فقر أبداً، ولا جنون في بدنه، ولا في ولده»^٢.
الحمد لله والشكر له على التوفيق لاتمام تفسيرها.

١. تفسير أبي السعود ٨: ٢٤١، تفسير روح البيان ٩: ٤٩٢.
٢. ثواب الأعمال: ١١٨، مجمع البيان ٩: ٤٠٢، تفسير الصافي ٥: ١٦٧.



في تفسير سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ [٣-١]

ثم لما خُتِمت سورة الممتحنة المبدوءة والمختمة بالنهي عن موالاة أعداء الله واليهود الذين
غضب الله تبارك وتعالى عليهم، نُظِمت سورة الصف التي فيها الترغيب إلى معاداة أعداء الله
والاصطفاف في مقابلهم في ميدان الجهاد طلباً لمرضاة الله تعالى، فابتدأها سبحانه بذكر الأسماء
الحسنى بقوله تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم أعلن سبحانه بكمال عظمته المقتضية لتعظيمه وتحصيل القرب منه والمحبة عنده بقوله: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وقد مرّ تفسيره مراراً.

ثم وُيِّح سبحانه المؤمنين على تخلفهم عن وعدهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾ ولأَيِّ عِلَّةٍ
تُظْهِرُونَ وَتَعِدُونَ ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ولا تُفُونَ به. روي أن المسلمين كانوا يقولون: لو عَلِمْنَا أَحَبَّ الْأَعْمَالِ
إِلَى اللَّهِ، لَبَدَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَنْفُسَنَا فِيهِ، فَلَمَّا نَزَلَ الْجِهَادُ كَرِهَوْهُ، فنزلت الآية^١ توبيخاً عليهم بعدم وفائهم بقولهم.

في وجوب الوفاء ثم عظم الله سبحانه قبح ترك العمل بالقول وخلف الوعد بقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ وعظم
بُغْضاً ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وفي علمه ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الْخُلفُ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا

عِنْدَ اللَّهِ﴾ لآية»^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «عدة المؤمن أخاه تَذَرُ لَا كَفَّارَةَ لَهُ، فَمَنْ أَخْلَفَ فَبُخْلَفَ اللَّهُ بِدَأْ، وَلِمَقْتِهِ تَعَرَّضُ،

وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ۚ... الْآيَاتُ ۚ﴾^١.

أقول: ذهب بعض الأعظم إلى وجوب الوفاء بالوعد، وقال به صاحب المستند^٢، وادعى بعض الإجماع على عدم وجوبه، والأحوط الاهتمام بالوفاء.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا * وَإِذْ قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا
أَزَاحَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [٤ و ٥]

ثم أنه تعالى بعد توبيخ المخالفين للوعد الذين وعدوا بالقتال وتخلفوا عنه، وإظهار غضبه عليهم، مدح المؤمنين المقاتلين لإعلاء كلمة التوحيد بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ المؤمنين ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ أعداءه ﴿فِي سَبِيلِهِ﴾ وطريق مرضاته، وإعلاء كلمة الحق حال كونهم ﴿صَفًا﴾ وقائمين في مقابل الأعداء في معركة القتال مستوين وثابتين ومستقرين، ومنضمين بعضهم ببعض ﴿كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا﴾ وجداد ﴿مَرْصُوصًا﴾ ومستحكم لا يتحرك من مكانه، ولا يكون فيه الخلل والفرج.

عن ابن عباس: يُوضَع الْحَجَرُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ يَرْضُ بِأَحْجَارٍ صَغَارٍ، ثُمَّ يُوضَع اللَّيْنُ عَلَيْهِ، فَيُسَمِّيهِ أَهْلَ مَكَّةَ الْمَرْصُوصَ^٣.

وعن ابن جبير: هذا تعليم الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم^٤.

ثم لما كان مخالفة المنافقين وعدهم بالقتال سبباً لإيذاء النبي ﷺ وإنكسار قلبه الشريف، سلّاه سبحانه بشكاية موسى من إيذاء قومه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ قيل: إن التقدير واذكر يا محمد وقت^٥ قال ﴿مُوسَى﴾ بن عمران مع كونه صاحب المعجزات الباهرة ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وطائفته، وهم بنو إسرائيل، بعد ما أفرطوا في إيذائه بالقول والفعل: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ بالمخالفة والعصيان فيما أمركم به ﴿وَالْحَالُ أَنْتُمْ﴾ ﴿قَدْ تَعْلَمُونَ﴾ بالأدلة الواضحة والمعجزات الباهرة ﴿أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ الذي أرسلت ﴿إِلَيْكُمْ﴾ لهدايتكم إلى الدين الحق وإرشادكم إلى السعادة الأبدية، فعليكم أن تعظموني وتوقروني، وتحسنوا إليّ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ ومالوا عن الحق، وأصرّوا على العقائد الفاسدة، ولم يتعظوا بمواعظه ﴿أَزَاحَ اللَّهُ﴾ وصرف ﴿قُلُوبَهُمْ﴾ عن قبول الدين الحق، بالطبع عليها، وتسليط الشيطان عليهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ولا يوفق للوصول إلى الخير والسعادة ﴿الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ والخارجين عن حدود العقل

١. الكافي ٢: ٢٧٠، تفسير الصافي ٥: ١٦٨.

٢. مستند الشيعة ٢: ٣٨٩.

٣. تفسير الرازي ٢٩: ٣١٢، تفسير روح البيان ٩: ٤٩٥.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٤٩٥.

٥. تفسير أبي السعود ٨: ٢٤٣، تفسير روح البيان ٩: ٤٩٦.

وطريق الصواب.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ [٦]

نسى بشارة
عيسى عليه السلام
محمد عليه السلام

ثم سلاه بمخالفة قوم عيسى عليه السلام إياه بقوله: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُنَادِيًا لَهُمْ اسْتِمَاعًا لِقُلُوبِهِمْ إِلَى تَصْدِيقِهِ: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ» لدعوتكم إلى التوحيد والدين المرضي عند الله، وجثتكم حال كوني «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ» وأنزل قلبي عليكم «مِنْ» كتاب «التَّوْرَةِ» الذي جاءه موسى «وَمُبَشِّرًا» إياكم «بِرَسُولٍ» عظيم الشأن الذي «يَأْتِي» من قبل الله «مِنْ بَعْدِي» وبعد ذهابي من بينكم. ثم كأنه قيل: ما اسمه؟ قال: «اسْمُهُ أَحْمَدُ».

عن النبي ﷺ قال: «أنا دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى»^١.

عن الصادق عليه السلام قال: «لَمَّا أُنْزِلَ بِعَثِ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّهُ سَوْفَ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي نَبِيٌّ اسْمُهُ أَحْمَدُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ يَجِيءُ بِتَصْدِيقِي وَتَصْدِيقِكُمْ وَعُذْرِكُمْ»^٢.

وعن الباقر عليه السلام قال: «لَمَّا نَزَلَ الْأَنْبِيَاءُ تُبَشِّرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: «يَعْدُوْنَهُ» يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى «مَكْتُوبًا» يَعْنِي صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاسْمُهُ «عِنْدَهُمْ» يَعْنِي فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ - إِلَى أَنْ قَالَ -: «وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [يُخْبِرُ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ]: «وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ»»^٣.

وعنه عليه السلام: «أَنَّ اسْمَ النَّبِيِّ ﷺ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ الْمَاحِي، وَفِي تَوْرَةِ مُوسَى الْحَادِّ، وَفِي إِنْجِيلِ عِيسَى أَحْمَدُ، وَفِي الْفُرْقَانِ مُحَمَّدٌ»^٤.

وعن القمي: أنه سأل بعض اليهود لم سميت أحمد؟ قال: «لَأَنِّي فِي السَّمَاءِ أَحْمَدُ مَتَى فِي الْأَرْضِ»^٥.

ثم ويخ سبحانه أمة عيسى عليه السلام أو أمة محمد ﷺ بقوله: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ» محمد أو عيسى عليه السلام

١. تفسير روح البيان ٩: ٤٩٨.

٢. الكافي ٨: ٩٢/١١٧، تفسير الصافي ٥: ١٦٩.

٣. من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٥٤/١٣٠، تفسير الصافي ٥: ١٦٩.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٦٥، وفيه: وأما أحمد فاني في السماء أحمد منه، تفسير الصافي ٥: ١٦٩.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ والمعجزات الباهرات ﴿قَالُوا﴾ عِنَادًا وَلَجَاجًا ﴿هَذَا﴾ الذي جاءنا به باسم المعجزة ﴿سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وسُغْبَذَةٌ ظاهرة، لا يَشْكُ أَحَدٌ في كونه سحراً وسُغْبَذَةً.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [٧-٩]

ثم بين سبحانه أن الذين يسيئون المعجزات إلى السحر أظلم الناس بقوله: ﴿وَمَنْ﴾ هو ﴿أَظْلَمُ﴾ وأكثر إضراراً على نفسه ﴿مِمَّنْ﴾ نسب كلام الله، أو المعجزات التي جاء بها رسوله إلى السحر و ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾ ونسب إليه ﴿الْكَذِبَ﴾ بنسبة الكذب إلى رسوله ﴿وَهُوَ يُدْعَى﴾ بلسان رسوله ﴿إِلَى﴾ دين ﴿الْإِسْلَامِ﴾ أو إلى السلامة من المكاره في الدارين، والسعادة في الشاتين ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي﴾ ولا يرشد ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ على الله بتضييع حقوقه، وعلى أنفسهم بإهلاكها في الآخرة إلى ما فيه سعادتهم وخيرهم وفلاحهم أولئك الظالمون ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ ويُخمدوا ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ ويبطلوا دينه أو حُجَّتَه، أو يوهنوا كتابه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ وأقوالهم الفاسدة ومطاعنهم الردئة، كمن يريد أن يطفى نور الشمس بنفخة ﴿وَاللَّهُ﴾ القادر على كل شيء ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ ومُكْمَلُهُ، ومُظْهِرُ دينه، ومُتَقِنُ حُجَّةِ رسوله، وناشر كتابه في الآفاق ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ والمعادنون لدين الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم إتمامه وإكمالهم وظهوره واثقانه وانتشاره إرغاماً لأنوفهم، فإن سعيهم في إنفاذ مُرادهم كسعي الخُفَّاش في إعدام الشمس وإطفاء نورها ﴿هُوَ﴾ الله اللطيف ﴿الَّذِي أَرْسَلَ﴾ بلطفه على عباده ﴿رَسُولَهُ﴾ محمداً إلى كافة الناس إلى يوم القيامة مصاحباً ﴿بِالْهُدَى﴾ وما به رشاد الخلق من القرآن العظيم والمعجزات الباهرات ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الذي ارتضاه لملائكته، واختاره لرسوله وأتته ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ويُعليه بقدرته وتأييده ﴿عَلَى﴾ جنس ﴿الدِّينِ﴾ المخالف لما جاء به ﴿كُلِّهِ﴾ بحيث لا يبقى على وجه الأرض دينٌ غير دينه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك الظهور والغلبة لعندهم وتعصُّبهم وحسدِهم، لأن فيه محض التوحيد بكماله، وإبطال الشرك بمراتبه جَلِيلِهِ وخَفِيَّتِهِ، وقد أنجز الله تعالى وعده حيث جعل دينه غالباً على جميع الأديان بالحُجَّةِ والسيِّفِ، وسيُكْمِلُ بفضله وحكمته إنجازَه بظهور وليِّه وحجَّتِهِ ابن الحسن العسكري الغائب المنتظر، فإنه في ذلك الزمان المبارك والعصر المنور لا يبقى على وجه الأرض دينٌ غير الإسلام وشرع خير الأنام.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ
بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ
مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ [١٠-١٣]

ثم لما بين سبحانه رسالة رسوله، وإيتاءه بالهدى ودين الحق، وتكميل لطفه وتفضله على العباد،
حث المؤمنين على الإخلاص في الإيمان به والجهاد معه بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
بِالْستكم بمحمد ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وأرشدهم ﴿عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾ واكتساب ومعاوضة رابحة، تتألوا وعاملوا
مع ربكم معاملَةً يكون أهم فوائدها أنها ﴿تُنْجِيكُمْ﴾ وتخلصكم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في الآخرة، كما
تُنْجِيكم التجارة الدنيوية من عذاب الفقر وألم الفاقة.

ثم كأنه قيل: أي تجارة هي، وكيف نعمل، وما نصنع؟^١ فقال سبحانه: ﴿تُوْمِنُونَ﴾ أولاً عن صميم
القلب وخلوص النية ﴿بِالله﴾ وبوحدانيته ﴿و﴾ برسالة ﴿رَسُولِهِ﴾ محمد.

عن ابن عباس قال: المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعلمنا، فنزلت الآية، فمكثوا ما شاء الله
يقولون: يا ليتنا نعلم ما هي، فدلهم الله عليها بقوله: ﴿تُوْمِنُونَ بِالله وَرَسُولِهِ﴾.^٢ ﴿و﴾ بعد ذلك
﴿تُجَاهِدُونَ﴾ أعداء الله ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ونصرة دينه ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بأن تبدلوا للفقراء والمجاهدين
﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بأن تبدلوا مهجكم دون رسوله ﴿ذَلِكَ﴾ الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الدنيا وما
فيها ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لعلتم به، أو إن كنتم تعلمون أن العاقل لا يختار إلا ما هو خير له، لا
تختارون غير الإيمان والجهاد في سبيل الله، فإن فائدتهما إن فعلتما ذلك ﴿يَغْفِرُ﴾ الله ﴿لَكُمْ﴾
بكرمه ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ ويسر عن أنظاركم وأنظار جميع الخلق يوم القيامة معاصيكم وخطاياكم، وفي تلك
المغفرة نجاتكم من العذاب ﴿و﴾ بعد ذلك ﴿يُدْخِلُكُمْ﴾ بفضل ﴿جَنَّاتٍ﴾ وبساتين ذات أشجار
كثيرة وقصور عالية ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الكثيرة، وبعد دخول الجنة يدخلكم منازل
﴿وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ﴾ مرضية نزهة كأنه ﴿فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ﴾ وخلود ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

سئل النبي ﷺ عن هذه المساكن الطيبة فقال: «قصر من لؤلؤ في الجنة، في ذلك القصر سبعون
داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمرودة خضراء، في كل بيت سبعون وصيفاً

ووصيفة، فيعطى الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله^١.

قد مر عن ابن عباس مراراً أن جنة عدن عَلم لإحدى الجنات السبعة^٢.

ولكم أيها المؤمنون مع ذلك ثواب آخر ﴿و﴾ نعمة ﴿أُخْرَى﴾ في الدنيا ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ وتشتاقون إليها، وهو ﴿نَصْرٌ﴾ عزيز لكم ﴿مِنْ﴾ جانب ﴿الله﴾ على أعدائكم ﴿وَفَتْحٌ﴾ مبین لمكة، أو الروم وفارس ﴿قَرِيبٌ﴾ وعاجل ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا أيها الرسول على حسب وظيفتكم ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بي وبك بتلك النعم الدنيوية والأخروية، وفي توصيف النعمة الدنيوية، وهو النصر على الأعداء وفتح المسلمين بقوله: ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ إشعاراً بأنهم يؤثرون رواج الاسلام وقوة الدين على النعم الأخروية.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَسَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ [١٤]

ثم أنه تعالى بعد بيان فوائد الايمان والجهاد، حث المؤمنين على الجهاد، ودعاهم إلى نصرة دينه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ جاهدوا الأعداء و ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ وأعوان رسوله في إعلاء كلمة التوحيد ورواج دين الاسلام ﴿كَمَا﴾ نصر الحواريون إذ ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أو المعنى: قل يا محمد للمؤمنين بك: يا أيها الذين آمنوا، كونوا أنصار الله، كما قال عيسى بن مريم ﴿لِلْحَوَارِيِّينَ﴾: يا حواريين ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾ وإنكم جُندي وعسكري تقرباً ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ أو متوجهاً إليه ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾: يا نبي الله ﴿نَحْنُ﴾ كلنا ﴿أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ وحماة دينه ﴿فَأَمَسَتْ﴾ بعيسى ﴿طَائِفَةٌ﴾ وجماعة قليلة ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرة دينه ﴿وَكَفَرَتْ﴾ منهم ﴿طَائِفَةٌ﴾ وجماعة أخرى.

عن ابن عباس، قال: يعني الذين آمنوا بعيسى في زمانه، والذين كفروا كذلك، وذلك لأن عيسى لما رُفِعَ إلى السماء تفرقوا ثلاث فرق؛ فرقة قالوا: كان الله فارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالوا: كان عبدالله ورسوله فرفعه إليه، وهم المسلمون، وأتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، واجتمعت الطائفتان الكافرتان على الطائفة المسلمة فقتلوه وطردوهم في الأرض، فكانت الحالة

هذه حتى بعث الله محمداً ﷺ فظهرت المؤمنة على الكافرة^١، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيُّدُنَا﴾ وقوينا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ منهم ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ بمحمد ﷺ ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ وصاروا أولئك المؤمنون ﴿ظَاهِرِينَ﴾ وغالبين على عدوهم بالحجة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه. عن الباقر عليه السلام: «من قرأ سورة الصف وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله، صفه الله مع ملائكته وأنبيائه المرسلين^٢».

الحمد لله رب العالمين على إنعامه عليّ بالتوفيق لإتمام تفسير السورة المباركة.

١. مجمع البيان ٩: ٢٣، تفسير الرازي ٢٩: ٣١٩.

٢. ثواب الأعمال: ١١٨، مجمع البيان ٩: ٤١٦، تفسير الصافي ٥: ١٧١.

في تفسير سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [١-٣]

ثم لما خُتِمت سورة الصف المبدوءة بتعظيم الله تعالى ببيان تسبيح الموجودات له بصيغة الماضي، المتضمنة لبيان رسالة محمد ﷺ، وبشارة عيسى عليه السلام ببعثته، وكونه على الهدى ودين الحق، المختمة بدعوة الناس إلى التجارة الرابعة، وهو الايمان به والجهاد معه، نُظِمت سورة الجمعة المبدوءة أيضاً بتعظيم الله ببيان تسبيح جميع الموجودات له بصيغة المضارع الدالة على دوام التسبيح له في جميع الأوقات: الماضي والمستقبل، المتضمنة لبيان رسالة محمد ﷺ وعموميتها لكافة العرب والعجم والمشركون وأهل الكتاب، وأن نبوته ودينه من أعظم فضل الله وإنعامه على الخلق، وذم المكذبين بآيات الله والمعرضين عن التوراة التي بشرت برسالته، وحث الناس على ذكر الله وعبادته، وتوبيخ المقبلين إلى التجارة الدنيوية، وكون ما عند الله من الثواب خيراً منها، فابتدأها بذكر الأسماء المباركات بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم عظم سبحانه ذاته المقدسة ببيان تسبيح الموجودات له بقوله: ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثم وصف ذاته بالسلطنة على جميع الموجودات المقضية لكونها بأجمعها جنوده بقوله: ﴿الْمَلِكِ﴾ والسلطان الذي لا زوال لملكه وسلطانه ﴿الْقُدُّوسِ﴾ والمُنَزَّه والمُبْرَأ من كل عيب ونقص ﴿الْعَزِيزِ﴾ والغالب على كل شيء ﴿الْحَكِيمِ﴾ والفاعل لما هو الأصوب والأصلح، والواضع لكل شيء في موضعه، والمُعطي لكل شيء ما يستحقه ويليق به، ثم من على الخلق ببعثته النبي الأمي ﷺ الذي هو من آثار سلطته وقدرته وحكمته بقوله: ﴿هُوَ﴾ السلطان القادر الحكيم ﴿الَّذِي بَعَثَ﴾ بحكمته وألفظه ﴿فِي﴾ المشركين ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا يعلمون الكتابة والخط، ولم يقرءوا

شيئاً. وعن ابن عباس: هم الذين ليس لهم كتاب ولا نبي يُعْثُ فيهم^١ «وَسُورًا» من جنس الأميين ونبياً «مِنْهُمْ» وهو محمد ﷺ الذي مع أَمِيَّتِهِ «يَتْلُوا» ويقرأ «عَلَيْهِمْ» كلام الله و «آيَاتِهِ» القرآنية التي فيها جميع العلوم والمعارف الإلهية الدالة على رسالته «وَيُزَكِّيهِمْ» ويظهر نفوسهم من أرجاس الأخلاق الرذيلة والصفات الدنية الذميمة «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ» السماوي، أو الخطَّ كما عن ابن عباس^٢ «وَالْحِكْمَةَ» قيل: هي الفرائض والسُنن^٣. وقيل: هي سُنَّتُهُ^٤. وقيل: هي العِظَةُ^٥.

«وَإِنْ» الشأن أَنَّهُمْ «كَانُوا مِنْ قَبْلُ» وفي الأزمنة السابقة على بعثته «لَقِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ» وانحراف ظاهرٍ عن الصراط المستقيم، يعني مُصْرِينَ على الشرك، ومجولين على ذمائم أخلاق الجاهلية، وكانوا في غاية الافتقار إلى الهادي إلى الحق، والرسول المرشد إلى الصواب وسعادة الدارين.

قيل: إنَّ توسيط التزكية التي هي تكميل النفس بحسب قوتها العلمية، وتهذيبها للتفرُّع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المترتبة على التلاوة، للايدان بأن كلاً من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها، مستوجبة للشكر عليها، فلو رُوعي الترتيب في الوجود لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة^٦.

وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [٥-٣]

ثم بيّن سبحانه أنَّ رسالته ليست مختصة بالأميين، بل تعمّ غيرهم من أهالي جميع الأزمنة بقوله: «وَأَخْرَيْنَ». قيل: المعنى ويعلم الآخرين^٧، والذين لا يكونون «مِنْهُمْ» بل يكونون من غيرهم كأهل الكتاب و «لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» ولم يكونوا في زمانهم وسيَلْحَقُونَ بهم ويكونون بعدهم.

قيل: إنَّ المراد غير العرب من الأعاجم كما عن ابن عباس^٨، وعن الباقر عليه السلام^٩.

وَرُوي أَنَّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية فقليل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كَيْفَ سلمان، وقال: «لو كان

١. تفسير الرازي ٣: ٣٠. ٢. تفسير روح البيان ٩: ٥١٤.

٣. تفسير الرازي ٣: ٣٠، وفيه: والسنة. ٤. تفسير روح البيان ٩: ٥١٤.

٥ و ٦. تفسير روح البيان ٩: ٥١٤. ٧. تفسير الرازي ٣: ٣٠، ٤. تفسير روح البيان ٩: ٥١٥.

٨. تفسير الرازي ٣: ٣٠. ٩. مجمع البيان ١٠: ٤٢٩، تفسير الصافي ٥: ١٧٣.

الايامن في الثريا لناله رجال من هؤلاء^١.

وروي أن النبي ﷺ قال: «رأيتني أسقي غنماً سوداء، ثم أتبعها غنماً عُفراً» قيل: هو الشاة التي يعلو بياضها الحُمْرة. ثم قال: «أولها يا أبي بكر» فقال: يا نبي الله، أما السُّود فالعرب، وأما العُفرة فالعجم تتبعك بعد العرب. فقال ﷺ: «كذلك أولها المَلَك» يعني جبرئيل^٢.

وقيل: يعني بالآخرين التابعين الذين لم يَلْحَقُوا بالصحابه في الفضل^٣.

وقيل: إن آخرين عطف على أميين^٤، والمعنى بعث في الأميين وغيرهم من الأمم والطوائف. «وَهُوَ الْغَزِيرُ» والمبالغ، في العزة والغلبة، ولذلك يُمكن رجلاً من الأميين من ذلك الأمر العظيم «الْحَكِيم» المبالغ في العلم ورعاية الصلاح، ولذلك اصطفاه من كافة الناس «ذَلِكَ» المنصب العظيم، أو الدين الذي جاء به «فَضَّلُ اللَّهِ» وانعامه الفاضل الذي تُستحقق دونه نعم الدنيا والآخرة «يُؤْتِيهِ» الله ويُعطيهِ «مَنْ يَشَاءُ» إعطاه من عباده، وقد أعطاه محمداً ﷺ والمؤمنين به «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» والمواهب الجسيمة^٥ على جميع خلقه في الدنيا وبخصوص المؤمنين، بتعليم الكتاب والحكمة في الدنيا، وبإحزال الثواب على الايمان والأعمال في الآخرة.

ثم قيل: لما ذكر سبحانه أن محمداً ﷺ بعث إلى الأميين والمشركين، اعترض اليهود على نبوته بأنه مبعوث إلى العرب خاصة، وليس مبعوثاً إلينا. أجاب سبحانه عن الاعتراض بضرب المثل^٦ بقوله: «مَثَلُ الْيَهُودِ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ» وعَلِمُوهَا، وكَلَّفُوا العمل بما فيها، وتعهدوا القيام بها «ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا» ولم يعملوا بها، ولم يلتزموا بما فيها في عدم الانتفاع بها «كَمَثَلِ الْحِمَارِ» الذي «يَحْمِلُ أَثْقَارًا» وكتباً كباراً فيها علوم كثيرة، فكما لا ينتفع الحمار بتلك الكتب والعلوم التي فيها، ولا يدرك إلا ثقلها، لا ينتفع اليهود بالتوراة الدالة على نبوة محمد ﷺ وعموم رسالته إلى الجن والإنس والعرب والعجم والأبيض والأسود، ووجوب الايمان به على جميع الخلق إلى يوم القيامة، وإنما قنعوا بمجرد تلاوتها، ولم يتأملوا في معانيها ومداليل آياتها لغاية تعصبهم وبلادتهم «بِئْسَ» مثلاً «مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» وكفروا بما في التوراة من الإخبار بعموم نبوة محمد ﷺ «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» ولا يوفق للخير والسعادة «الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» على أنفسهم بتعريضها للهلاك الأبدي والعذاب الدائم كاليهود ونظائرهم.

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّوْا

١. مجمع البيان ١٠: ٤٢٩، تفسير الصافي ٥: ١٧٢. ٢. تفسير روح البيان ٩: ٥١٥.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٤. ٤. في النسخة: الجسيم. ٥. تفسير الرازي ٣٠: ٥.

أَلَمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنْ أَلَمَوْتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَائِكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [٦-٨]

ثم لما كان اليهود مدعين أنهم أبناء الأنبياء، وأنهم أولياء الله، وأولى بالرسالة من العرب والأميين، أمر الله نبيه ﷺ بتبہيتهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ وتدينوا بدين اليهودية ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ﴾ وتخيّلتم ﴿أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ﴾ وأحباؤه ﴿مِنْ دُونِ﴾ سائر ﴿النَّاسِ﴾ من العرب والعجم، فلا مُحالة تعتقدون أن لكم الدار الآخرة خاصة، وأن الجنة ونعيمها مختصة بكم، إذن ﴿فَتَمَنَّوْا أَلَمَوْتَ﴾ من الله، واسألوه أن يُخْرِجَكُم من الدنيا كي تصلوا إلى الجنة والنعم الدائمة، وتستريحوا من تعب الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في الدعوى بزعمكم مطمئنين بحقياقته.

ثم أخبر سبحانه بكذبهم في دعوى حب الله، وأن الجنة لهم خاصة، بل هم عالمون بأن لاحظ لهم في النعم الآخروية، لعلمهم بكونهم عاصين ومُشَاقِّين لله وللرسول بقوله: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَ﴾ ولا يُحِبُّون لقاء الله ﴿أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾ وارتكبت جوارحهم من الكفر والطغيان والذنوب والعصيان الموجب لاستحقاقهم النار ﴿وَاللَّهُ﴾ العالم بالسرائر ﴿عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ مطلع على خواطنهم وسرائرهم من الكفر والمعاصي الموجبين لأنواع العذاب.

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بتهديدهم بالموت والعذاب بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم ﴿إِنْ أَلَمَوْتَ الَّذِي لَا تَمَنَّوْنَ﴾ بل ﴿تَقْرُونَ مِنْهُ﴾ مخافة أن تعاقبوا على كفركم وسيئات أعمالكم لا يفيدكم الفرار منه ﴿فَإِنَّهُ مَلَائِكُمْ﴾ ومُدَرِّككم لا مُحالة ﴿ثُمَّ﴾ بعد الموت ﴿تُرَدُّونَ﴾ وترجعون ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ والحاكم المطلع على البواطن والظواهر ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ ويخبركم ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾ وترتكبون من الكفر والمعاصي، وتحريف التوراة، وإخفاء أوصاف رسول آخر الزمان وعلائمه، وإضلال الناس، وإلقاء الشبهات في نيّته في القلوب، فيُعَذِّبُكم بها أشدّ العذاب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ
وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا
فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [٩ و ١٠]

ثم لما بين سبحانه أن الموت ملاقي الناس ولا يمكن الفرار منه، بين ما يوجب الراحة الجمعة والعبادة فيه، وابتداء صلاة الجمعة فيه
في فضيلة يوم الجمعة والعبادة فيه، وابتداء صلاة الجمعة فيه

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ وَأَذَنَ الْمُؤَذِّنُ لَهَا ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ الذي هو عيد المسلمين وأشرف الأيام الذي أمر الناس بالاجتماع فيه للعبادة، ولذا سَمِيَ جمعة ﴿فَاسْعَوْا﴾ وأسرعوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

عن الباقر عليه السلام قال: «اعملوا وعجلوا، فإنه يومٌ مضيَّقٌ على المسلمين، وثوابُ أعمال المسلمين على قَدَر ما ضَيَّقَ عليهم، والحسنة والسيئة تُضاعَف». قال: «والله بلغني أنَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كانوا يتجهَّزون للجمعة يوم الخميس، لأنَّه يوم مضيَّقٌ على المسلمين»^١.

﴿وَذُكِّرُوا﴾ واتَّزَكُوا ﴿أَتَبْتَغِ﴾ والمعاملة ﴿ذَلِكُمْ﴾ السعي إلى العبادة وترك البيع ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأنفع من التواني والمعاملة، أو من الدنيا وما فيها ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر، وما في السعي من الأجر.

في الحديث: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على باب المسجد بأيديهم صُحف من فضة وأقلام من ذهب، يكتبون الأول فالأول على مراتبهم، فإذا خرج الامام طُويت الصُحف واجتمعوا للخطبة، والمهاجر إلى الصلاة كالمُهْدي بَدَنه، ثم الذي يليه كالمُهْدي بقرة، ثم الذي يليه كالمُهْدي شاة» حتى ذكر الدَّجاجة والبيض^٢.

رُوي أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لما قَدِم المدينة مهاجراً نزل قُباً على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم، ثم خرج يوم الجمعة عائداً المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وإد لهم قد اتَّخذ القوم في ذلك الموضع مسجداً، فخطب صلى الله عليه وآله وصلى وقال فيها: «الحمد لله واستعينه واستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة، على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يُطع الله ورسوله فقد رُشِد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضلَّ ضلالاً بعيداً، أوصيكم بتقوى الله، فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحصَّه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، واحذروا ما حذركم [الله] من نفسه...» إلى آخر الخطبة الشريفة^٣.

ورُوي أنَّه صلى الله عليه وآله قال بعد الخطبة: «إنَّ الله افترض عليكم الجمعة في يومي هذا، وفي مقامي هذا، فمن تركها في حياتي وبعد مماتي، وله إمام عادلٌ من غير عُذرٍ، فلا بارك الله له، ولا جمع الله شمله،

٢. تفسير روح البيان ٩: ٥٢٣.

١. الكافي ٣: ١٠/٤١٥، تفسير الصافي ٥: ١٧٤.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٥٢٢.

ألا فلا حجَّ له، ألا فلا صوم له، ومن تاب تاب الله عليه.^١

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ التي تُؤدِّيتُم لها ﴿فَانشِرُوا﴾ وتفرَّقوا ﴿فِي﴾ وجه ﴿الْأَرْضِ﴾ لإقامة مصالحكم وقضاء حوائجكم وإصلاح معاشكم ﴿وَابْتَغُوا﴾ أيها المؤمنون، واطلبوا لأنفسكم وأهلكم الرزق الحلال الذي هو ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وإحسانه إليكم. رُوي أنَّه قال: «طلب الكسب بعد الصلاة فريضة^٢ بعد الفريضة»^٣.

وعن ابن عباس: لم يُؤمروا بطلب شيء من الدنيا، إنما هو عيادة المرضى، وحضور الجنائز، وزيارة أخ في الله^٤. وعن أنس، عن النبي ﷺ ما يقرب منه^٥.

﴿وَإِذْ كُتِبَ اللَّهُ﴾ في جميع الأوقات والأحوال ذِكْرًا ﴿كَثِيرًا﴾ ولا تُخْصُوا ذكره بحال الصلاة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتْلِحُونَ﴾ وتنجون من المهالك، وتفوزون بأعلى المقاصد.

عن النبي ﷺ: «إذا أتيتم السوق فقولوا: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له المُلْك، وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، فإن من قالها كتب الله له ألف ألف حسنة، وحطَّ عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»^٦.

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنْ

اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [١١]

ثم لما نهى الله سبحانه المؤمنين عن البيع والتجارة وقت النداء، وبخ سبحانه الذين أقبلوا إلى التجارة حين خطبة النبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ﴾ سمعوا ﴿لَهْوًا﴾ وصوت طبل وصَفَق ﴿انْفَضُّوا﴾ وتفرَّقوا من حولك متوجهين ﴿إِلَيْهَا﴾ حبًّا للدنيا وزخارفها ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ وحيداً ﴿قَائِمًا﴾ على المنبر.

رُوي أن دحية بن خليفة الكلبي قدِم المدينة بتجارة من الشام، وكان قبل إسلامه، وكان بالمدينة مجاعةً وغلاءً سعر، وكان معه جميع ما يحتاج إليه من بُرٍّ ودقيقٍ وزيتٍ وغيرها، والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما عَلِم أهل المسجد ذلك قاموا إليه خشية أن يُسَبِّقوا إليه، فما بقي معه إلا ثمانية أو أحد عشر أو اثنا عشر أو أربعون، وفيهم عليٌّ عليه السلام وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة [ابن] الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبدالله بن

٢. في تفسير روح البيان: هو الفريضة.

٤. تفسير أبي السعود ٨: ٢٥٠.

٦. تفسير الرازي ٣٠: ٩.

١. تفسير روح البيان ٩: ٥٢٤.

٣. تفسير روح البيان ٩: ٥٢٥.

٥. مجمع البيان ١٠: ٤٣٥، تفسير الصافي ٥: ١٧٥.

مسعود. وفي رواية: عمار بن ياسر [بدل عبدالله] وجابر وامرأة فقال: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً» وفي رواية: «لولا الباقون لنزلت عليهم الحجارة»^١.
ثم أمر الله سبحانه النبي ﷺ بوعظ المسلمين وتصحهم بقوله: «قُلْ يا محمد لهؤلاء المؤمنين: اعملوا أيها المؤمنون أنْ «مَا عِنْدَ اللَّهِ» وأعدّه من الثواب للمصلين ومستمعي الخطبة في الآخرة «خَيْرٌ لَكُمْ وَأَنْفَعُ مِنْ» استماع «اللَّهُو» وصوت الطبل والصفق «وَمِنْ» نفع «التَّجَارَةِ» وتحصيل البرِّ والدقيق وغيرهما لرزقكم ورزق أهليكم «وَاللَّهُ» القادر على كل شيء «خَيْرٌ الرَّازِقِينَ» فَإِنَّ عِنْدَهُ خَزَائِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهَا شَيْءٌ بِالْعِطَاءِ، وَهُوَ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ، فَاسْعَوْا إِلَيْهِ وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنْهُ.

عن الصادق عليه السلام: «الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعَةً أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة و «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، وفي صلاة الظهر بالجمعة والمنافقين، فإذا فعل ذلك فكأنما يعمل بعمل رسول الله ﷺ، وكان ثوابه وأجره على الله الجنة»^٢.

١. تفسير روح البيان ٩: ٥٢٦.

٢. ثواب الأعمال: ١١٨، مجمع البيان ٩: ٤٢٧، تفسير الصافي ٥: ١٧٦.

1. The first step is to identify the problem or question that needs to be answered. This involves understanding the context and the specific requirements of the task.

2. Next, gather relevant information and data. This may involve research, consultation with experts, or collecting data from various sources.

3. Once the information is gathered, analyze it to identify patterns, trends, and potential solutions. This step often involves critical thinking and problem-solving skills.

4. After analysis, develop a plan or strategy to address the problem. This plan should be realistic and achievable, taking into account the available resources and constraints.

5. Implement the plan and monitor the progress. This step involves putting the plan into action and regularly checking the results to ensure that the problem is being solved effectively.

6. Finally, evaluate the outcome and reflect on the process. This involves assessing the results against the original goals and identifying any lessons learned for future reference.

1. *How do you think the world will change in the next 50 years?*
 2. *What do you think will be the biggest challenge for the world in the next 50 years?*
 3. *What do you think will be the biggest opportunity for the world in the next 50 years?*

في تفسير سورة المنافقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ [٣-١]

ثم لما ختمت سورة الجمعة المتضمنة لبيان عظمة الله ومثته على الناس بإرسال محمد ﷺ بالرسالة، ومنافع بعثته، وعموم رسالته لكافة الناس إلى يوم القيامة، ومعارضة اليهود والقائمه الشبهة في عموم رسالته، والجواب عنها، وذم المسلمين على توجههم إلى التجارة واللّهو، نظمت سورة المنافقين المتضمنة لبيان كيد المنافقين والقائمه الشبهات في رسالته، وأمر المؤمنين بالإعراض عن الأولاد والأموال الملهين عن ذكر الله، وإن في تركه الخسران، فابتدأها بذكر الأسماء الحسنی بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع سبحانه في ذم المنافقين بقوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ﴾ يا محمد ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ الذين يُظهرون الاسلام وبيطنون الكفر وحين حضروا عندك ﴿قَالُوا﴾ لك نفاقاً وكيداً: إِنَّا «نَشْهَدُ» ونقر عن اعتقاد جازم ويقين صادق ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ والمبعوث من قبله إلى الخلق لهدايتهم إلى الدين الحق ﴿وَاللَّهُ﴾ العالم بكل شيء ﴿يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ وأن شهادتهم برسالتك صدق ومطابق للواقع ﴿وَاللَّهُ﴾ مع ذلك ﴿يَشْهَدُ﴾ شهادة حق ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين يشهدون برسالتك كعبد الله بن أبي واصحابه وأضرابه ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ فيما تضمنت شهادتهم من إظهار اليقين والاعتقاد بها، أولئك الذين ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ الفاجرة وجعلوها ﴿جُنَّةً﴾ وثراً ووقاية لأنفسهم من القتل والسبي، وأموالهم من النهب والغارة.

قيل: إن قولهم «نَشْهَدُ» جار مجري اليمين في التأكيد^١.

«فَصَدُّوا» ومنعوا أنفسهم، أو الناس «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» وقبول دينه وطاعته وطاعة رسوله إلا «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» من التفاق والصد والكذب «ذَلِكَ» الحكم من الله بكذبهم، أو بسوء أعمالهم إنما هو «بِأَنَّهُمْ آمَنُوا» بألستهم بتوحيد الله ورسالة رسوله «ثُمَّ كَفَرُوا» بهما بقلوبهم، أو اظهروا الكفر عند اهوائهم الشياطين، أو آمنوا بالتوراة ثم كفروا بما فيها من نعت خاتم الأنبياء ﷺ «فَطُغِيَ» وخيّم لذلك «عَلَى قُلُوبِهِمْ» بكفرهم «فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» ولا يفهمون القرآن وصدق محمد ﷺ في دعوى رسالته، أو فوائد الايمان وضرر الكفر، أو لا يفهمون أن قلوبهم مطبوعة.

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ
يَخْسَبُونَ كُلَّ صَاحِبَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَآخِذْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ *
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ
وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ [٤، ٥]

ثم إنه تعالى بعد ذمهم بكثر مكرهم بالنبي والمسلمين، ذمهم بقلّة فهمهم وإدراكهم بقوله: «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ» ونظرت إليهم «تُعْجِبُكَ» ويعظم في نفسك «أَجْسَامُهُمْ» من حيث الضخامة وصباحة الوجه «وَإِنْ يَقُولُوا» لك قولاً «تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ» لفصاحتهم وذلاقة لسانهم، ولكنهم في عدم الفهم والعقل والنفع «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ» يابسة وعيدان غليظة «مُسْنَدَةٌ» ومعتمدة على الحائط، ومن غاية جبنهم وشدة ضعف قلوبهم «يَخْسَبُونَ» ويتوهمون «كُلَّ صَاحِبَةٍ» سَمِعُوها من أحد ونداء مناد ولو لإنشاد ضالته، أو انفلت دابته، أنه من عدوهم واقعة «عَلَيْهِمْ» حيث يتوقعون في كل ساعة أن يُظهر الله نفاقهم ويهتك سرهم ويكشف سرهم فيقصدهم المسلمون، فاعلم يا محمد أن «هُمْ» الْعَدُوُّ الكاملون في العداوة لك وللمسلمين «فَآخِذْهُمْ» واحترز منهم أن تأمنهم على سرك وتدخلهم في أمر من أمورك «قَاتِلْهُمْ اللَّهُ» وأفناهم من وجه الأرض ولعنهم، والعجب من حُمةهم وجعلهم أنهم «أَنَّى يُؤْفَكُونَ» وكيف يعدلون ويُصرفون عن الحق مع كمال وضوحه ولمعان نوره «وَر» من حُمةهم أنهم «إِذَا قِيلَ لَهُمْ» نُصْحاً من قبل المؤمنين حين ظهور فسادهم: أنها المنافقون، «تَعَالَوْا» عند الرسول واتوه «يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ» ويسال الله العفو من ذنوبكم «لَوَّا» وعطفوا «رُؤُوسَهُمْ» وأمالوا وجوههم إلى الطرف الآخر «وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ» ويُعرضون عن القائل

﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإتيان عند الرسول، ويتأنفون عن أن يسألوه الاستغفار لهم.
 روي أنه لما نزل القرآن على الرسول ﷺ بدم المنافقين مشى^١ إليهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم: ويلكم افترضتم بالفاق، وأهلكتم أنفسكم، فاتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق، واسألوه أن يستغفر لكم، فأبوا ذلك وزهدوا في الاستغفار فنزلت^٢.
 وعن ابن عباس: لما رجع عبدالله بن أبي من أحد بكثير من الناس، مقتته المسلمون وعنفوه، وأسمعوه المكروه، فقال له بنو أبيه: لو أتيت رسول الله ﷺ حتى يستغفر لك ويرضى عنك؟ فقال: لا أذهب إليه، ولا أريد أن يستغفر لي، وجعل يلوي رأسه. فنزلت^٣.

سَوَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى
 يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ [٧ و ٦]

ثم أخبر الله تعالى بعدم قابليتهم للعفو والمغفرة بقوله: ﴿سَوَاءَ عَلَيْهِمْ﴾ ومساوياً بالنسبة إليهم
 ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ إذا جاءوك معتذرين من نفاقهم وسينات أعمالهم ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ
 لَهُمْ﴾ لاستكبارهم عن الاعتذار وطلب الاستغفار ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أبداً لعدم قابليتهم للعفو
 والمغفرة لإصرارهم على الكفر والفُسوق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ ولا يُوصِل إلى الخير والسعادة الأبدية
 ﴿الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ والجماعة الخارجين عن الدين وحدود العقل والصلاح.

ثم بين سبحانه علّة عدم قابليتهم للمغفرة وبلوغهم إلى غاية الفسق والشقاوة بقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ
 يَقُولُونَ﴾ للأنصار جهلاً وعناداً للحق: أيها الأنصار ﴿لَا تُنْفِقُوا﴾ من أموالكم ﴿عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ
 اللَّهِ﴾ من المؤمنين المهاجرين إليه ﴿حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ ويتفرقوا من حوله ويَرجِعوا إلى أوطانهم
 وعشائرهم ويرجع العبيد إلى مواليتهم والأبناء إلى آبائهم. قيل: إن قولهم (رسول الله) إما للهزة، أو
 لاشتهاره ﷺ بهذا اللقب، أو أنهم قالوا (على من عند محمد) وذكره الله بهذا اللقب إجلالاً له^٤.

ثم أبطل سبحانه قولهم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وبيده أرزاق الخلاق يُعطيها
 لمن يشاء ويقدير ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ لجهلهم بالله وشؤونه ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك، ولذا يقولون من
 مقالات الكفر ما يقولون.

٤. تفسير روح البيان ٩: ٥٣٦.

١. في النسخة: سيء. ٢ و ٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٥.

٥. مجمع البيان ١٠: ٤٤٤.

يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ [٨]

ثم حكي سبحانه قولهم الآخر الذي هو أشنع من قولهم الأول بقوله: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ من سفرنا هذا ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ والله ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ﴾ وهم المنافقون باعتقادهم، أو خصوص عبدالله بن أبي ﴿مِنَهَا الْأَذَلَّ﴾ وهم المؤمنون، أو خصوص النبي ﷺ.

رُوي أن في غزوة بني المصطلق ازدحم على الماء جَهْجَاهُ بن سعيد الغفاري أجير عمر بن الخطاب يقود فرسه وسنان الجهمي حليف عبدالله بن أبي رئيس المنافقين واقتلا، فَصَرَخَ جَهْجَاهُ بالمهاجرين، وسنان بالأنصار، فاعان جَهْجَاهُ جَعَالَ من فقراء المهاجرين، ولطم سِنَانًا، فاشتكى إلى عبدالله بن أبي، فقال للأنصار ماذا فعلتم بأنفسكم؟ أحللتهموم بلادكم، وقاسمتهموم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم من جَعَالَ وذوي فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم، فلا تَنَفَّقُوا عليهم حَتَّى يَنْفَضُوا من حول محمد، ولئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ عَنِ الْأَعَزِّ نفسه، وبالأَذَلِّ جانب المؤمنين، أو خصوص الرسول ﷺ، وإنما نسب سبحانه القول إلى المنافقين لرضاهم به.

فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَهُوَ حَدَّثَ، فَقَالَ: أَنْتَ وَاللَّهِ الذَّلِيلُ الْقَلِيلُ الْمُبْغِضُ فِي قَوْمِكَ، وَمُحَمَّدٌ فِي عِزٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ، وَقُوَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ ابْنُ أَبِي: اسْكُتْ، فَإِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ. فَأَخْبَرَ زَيْدٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ ابْنُ أَبِي، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: إِذَا تَرَعَمَ أَنْوْفًا كَثِيرَةً يَبْثُرُ. فَقَالَ عُمَرُ: فَإِنْ كَرِهْتَ أَنْ يَقْتُلَهُ الْمُهَاجِرُونَ، فَأَمْرِ بِهِ أَنْصَارِيًّا. فَقَالَ: إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ. وَقَالَ عَلِيٌّ لابْنِ أَبِي: «أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ الَّذِي بَلَّغْنِي؟» قَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مَا قُلْتَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ زِيدَ لَكَ ذَنْبٌ. فَقَالَ الْحَاضِرُونَ: شَيْخُنَا وَكَبِيرُنَا يُصَدِّقُ عَلَيْهِ كَلَامَ غُلَامٍ، عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ وَهِمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَزَيْدٍ: «لَعَلَّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «فَلَعَلَّكَ أَخْطَاكَ سَمْعُكَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «فَلَعَلَّهُ اشْتَبَهَ عَلَيْكَ» قَالَ: لَا.

فلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ لَحِقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَيْدٌ مِنْ خَلْفِهِ، فَعَرَّكَ أَذَنَهُ، وَقَالَ: «وَفَتْ أُذُنُكَ يَا غُلَامُ، إِنَّ اللَّهَ صَدَقَ وَكَذَّبَ الْمُنَافِقِينَ»^١. وَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» لَا لغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك لجهلهم وغرورهم.

روى بعض العامة أنه قيل للحسن بن علي عليه السلام: إن الناس يزعمون أن فيك نبيها - أي كبيراً - فقال: ليس ذلك بتيه، ولكنّه عزةٌ وتلا الآية^١.

وعن القمي، قال: نزلت الآية أو السورة في غزوة مُرَيْسِع - وهي غزوة بني المُضَطَّلِق - في سنة خمس من الهجرة، وكان رسول الله ﷺ خرج إليها، ولَمَّا رَجَعَ منها نزل على بشر، وكان الماء قليلاً فيها، وكان أنس بن سيّار حليف الأنصار، وكان الجَهْجَهاه بن سعيد الغفاري أجيراً لعمر بن الخطاب، فاجتمعوا على البثر، فتعلّق دلو أنس بن سيّار بدلو جَهْجَهاه، فقال أنس بن سيّار: دلوي. وقال جَهْجَهاه: دلوي، فضرب جَهْجَهاه يده على وجه أنس بن سيّار، فسال منه الدم، فنادى أنس بن سيّار بالخرزج، ونادى جَهْجَهاه بقرش، فأخذ الناس السلاحن وكاد أن تقع الفتنة.

فسمع عبدالله بن أبي النداء، فقال: ما هذا؟ فأخبروه بالخبر، فعُضِب غضباً شديداً، ثم قال: قد كنت كارهاً لهذا المسير، [إني] لأذّن العرب، ما ظننت أن أبقي إلى أن أسمع مثل هذا النداء فلا يكن عندي تغيير^٢. ثم أقبل على أصحابه فقال: هذا عملكم، أنزلتموهم منازلكم، وواسيتموهم بأموالكم، ووقيتموهم بانفسكم، وأبرزتم نحوركم للقتل، فأرمل نساءكم، وأيتم صبيانكم، ولو أخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم. ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزّ منها الأذلّ.

وكان في القوم زيد بن أرقم، وكان غلاماً قد راهق، وكان رسول الله ﷺ في ظلّ شجرة وعنده قوم من المهاجرين والأنصار، وجاء زيدٌ فأخبره بما قال عبدالله بن أبي، فقال رسول الله ﷺ: «لعلّك وَهِمْتَ يا غلام» قال: لا والله ما وَهِمْتُ. فقال: «لعلّك غَضِبْتَ عليه» قال: لا والله ما غَضِبْتُ عليه. قال: «فلعلّه شُبّه عليك» قال: لا والله.

فقال رسول الله ﷺ لشُقْران مولاه: «أحْدِج»^٣. فأحْدَجَ راحلته ورَكِب، فتسامع الناس بذلك، فقالوا: ما كان رسول الله ﷺ ليرحل في مثل هذا الوقت. فرحل الناس ولِجْه سعد بن عُبادة. فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فقال: «وعليك السلام» فقال: ما كنت لتركب في مثل هذا الوقت؟ فقال: «أو ما سَمِعْتَ قولاً قال صاحبكم؟» قال: وأيّ صاحبٍ لنا غيرك يا رسول الله؟ قال: «عبدالله بن أبي زعم أنه ان رجع إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزّ منها الأذلّ» فأنك وأصحابك الأعزّ، وهو وأصحابه الأذلّ.

فسار رسول الله ﷺ يومه كلّهُ، لا يكلّمه أحد، فأقبلت الخرزج على عبدالله بن أبي يَغْذِلُونَهُ،

٢. في المصدر: تعبير، وفي النسخة: تعبير.

١. تفسير روح البيان ٩: ٥٣٨.

٣. أحْدَجَ بعبيره: شدّ عليه قتيبه بأداته.

فحلف عبدالله أنه لم يقل شيئاً من ذلك، فقالوا: فقم بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نعتذر إليه، فلوى عنقه، فلما جنَّ الليل سار رسول الله ﷺ ليله كله ونهاره، فلم ينزلوا إلا للصلاة، فلما كان من الغد نزل رسول الله ﷺ ونزل أصحابه، وقد أمهدهم الأرض من السَّهر الذي أصابهم، فجاء عبدالله بن أبي إلى رسول الله ﷺ، فحلف أنه لم يقل ذلك، وأنه يشهد لا إله إلا الله، وأنت رسول الله ﷺ، وأن زيداً قد كَذَّب عليّ، فقَبِل رسول الله ﷺ منه، وأقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يَشْتُمونه، ويقولون له: كَذَبْتَ على عبدالله بن أبي سَيِّدنا.

فلما رحل رسول الله ﷺ كان زيد معه يقول: اللهم إنيك لتعلم أنني لم أكذب على عبدالله بن أبي، فما سار إلا قليلاً حتى أخذ رسول الله ﷺ ما كان يأخذه من البرحاء^١ عند نزول الوحي عليه، فنقل حتى كادت ناقته أن تبرك من ثقل الوحي، فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يسكبُ العرق عن جبهته، ثم أخذ بأذني زيد بن أرقم، فرفعه من الرُّحل، ثم قال: «يا غلام، صدق فوك، ووعى قلبك، وأنزل الله فيك قرآناً» فلما نزل جمع أصحابه، وقرأ عليهم سورة المنافقين، ففضح الله عبدالله بن أبي^٢.

[وفي رواية عن أبي جعفر عليه السلام] قال: فلما نعتهم الله لرسوله ﷺ وعرفه [مساءتهم]، مشى إليهم عشائهم فقالوا لهم: قد افتضحتم، فأتوا نبي الله يستغفر لكم، فلووا رؤوسهم وزهدوا في الاستغفار^٣.

زُوي أن ولد عبدالله بن أبي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن كنت عزمت على قتل أبي، فمُرني أن أكون أنا الذي أحمل إليك رأسه فوالله لقد عَلِمْتَ الأوس والخزرج أنني أبرهم ولداً بوالد، فأني أخاف أن تأمر غيري فيقتله، فلا تطيب نفسي أنني أنظر إلى قاتل عبدالله، فأقتل مؤمناً بكافراً، فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ: «بل تُحسِن لك صحابته مادام معنا»^٤.

وعن (الكافي) عن الكاظم عليه السلام، قال: «إن الله تبارك وتعالى سَمَّى من لم يتبع الرسول ﷺ في ولاية وصيه منافقين، وجعل من جحد وصيه إمامته كمن جحد محمداً ﷺ وأنزل بذلك قرآناً، فقال: يا محمد ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ بولاية وصيك ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ بولاية علي ﴿لَكَادِبُونَ﴾ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ * والسييل هو الوصي ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِرِسالِكَ ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بولاية وصيك ﴿فَطَعَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ يقول: لا يعقلون بنبوتك، وإذا قيل لهم إرجعوا إلى

٢. تفسير القمي ٢: ٣٦٨، تفسير الصافي ٥: ١٧٨.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٧٠، تفسير الصافي ٥: ١٨٠.

١. البرحاء: الشدة والمشقة.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٧٠، تفسير الصافي ٥: ١٨٠.

ولاية عليّ يستغفر لكم النبي من ذنوبكم ﴿لَوْأَ رِئُوسُهُمْ﴾ قال الله: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عن ولاية عليّ ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عليه ثم عطف القول من الله بمعرفته بهم فقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ يقول: الظالمين لوصيك! أقول: لا شك في أن الرواية في بيان تأويل الآية لا تفسيرها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [١١-٩]

ثم لما كان الكفر والنفاق مع وضوح الحق لا يكون إلا لجمع الأموال وراحة الأولاد، وعظ الله سبحانه المنافقين والمؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ ولا تُغفلكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ ولا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورهما وتنظيم مصالحهما ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والتوجه إليه والقيام بعبادته ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ التلهي بالمال والولد والاستغفال بالأمور الدنيوية ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الغافلون والمُلهثون عن ذكر الله ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في تجارتهم في سوق الدنيا، حيث إنهم باعوا الجنة والنعم الدائمة والراحة الأبدية باللذة الدنيوية القليلة الغاية المشوبة مع التعب الكثير.

وفي الحديث: «ما طلعت الشمس إلا بجنيها مَلَكَانِ يناديان ويُسمِعَانِ الخَلَائِقَ غير الثقلين: يا أيها الناس: هلموا إلى ربكم، ما قَلَّ وكفى خَيْرَ مِمَّا كَثُرَ وألهمي»^٢.

﴿وَأَنْفِقُوا﴾ شيئاً ﴿مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وأعطيناكم بفضلنا في سبيل الله ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ وعاین مخائله وأماراته ﴿فَيَقُولُ﴾ عند حلوله تمنياً وتحسراً: يا رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي؟ وهلا أمهلني ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وأمد قصير وزمان قليل في الدنيا ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ مالي للفقراء، وأنفق عليهم تقرباً إليك، أو أؤدي زكاتي ﴿وَأَكُنْ﴾ في آخر عمري ﴿مِنْ﴾ عبادك ﴿الصَّالِحِينَ﴾ والمتعبدين المُخلصين.

عن ابن عباس: من كان له مالٌ يجب فيه الزكاة فلم يَزَكَّهُ، أو مالٌ يُبلِغه إلى بيت الله فلم يحجَّ، يسأل عند الموت الرجعة فقال رجل: اتى الله يابن عباس، إنما سألت الكفار الرجعة. فقال ابن عباس: إني اقرأ عليك هذا القرآن. فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فقال

الرجل: ما يُوجب الزكاة. قال: مائتا درهم. قال: ممّا يُوجب الحجّ. قال: الزاد والراحلة.^١
 ورُوي عنه أيضاً أنه قال: هذا دليلٌ على أن القوم لم يكونوا مؤمنين، إذ المؤمن لا يسأل الرجعة.^٢
 وقيل: لا ينزل الموت بأحدٍ لم يحجّ ولم يؤذّ الزكاة إلا وسأل الرجعة، وقرأ هذه الآية.^٣
 وعن (الفقيه) سئل [الصادق] عليه السلام عن قول الله: ﴿فَأَصْدُقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: «﴿أَصْدُقْ﴾ من الصدقة «وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أحجّ».^٤
 وعن الصادق عليه السلام قال: «الصلاح هنا الحجّ».^٥
 وعن ابن عباس قال: تصدّقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت، فلا تُقبَل توبةٌ ولا ينفع عملٌ.^٦
 ثم بيّن سبحانه أن من انقضى أجله وحنّ حنّنه لايَمهل في الدنيا بقوله: «وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ» عن الموت أبداً «نَفْسًا» من النفوس «إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا» وحضر وقت موتها «وَاللَّهُ خَبِيرٌ» وعالم «بِمَا تَعْمَلُونَ» من خيرٍ وشرٍّ، فيجازيكم على حسب استحقاقكم في الآخرة.
 قد مرّ ثواب قراءتها.^٧

١. تفسير روح البيان ٩: ٥٤٢. ٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٩.

٣. من لا يحضره الفقيه ٢: ٦١٨/١٤٢، تفسير الصافي ٥: ١٨١.

٤. مجمع البيان ١٠: ٤٤٥، تفسير الصافي ٥: ١٨١. ٥. تفسير الرازي ٣٠: ١٩.

٦. تقدم في سورة الجمعة.

في تفسير سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [١ و ٢]

ثم لما خُتِمت سورة المنافقين المتضمنة لبيان سوء أخلاق المنافقين وأقوالهم، وأن خزائن السماوات والأرض والعزة الكاملة له تعالى، ووعظ الناس بأنه لا ينبغي أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، وعليهم أن يتقوا الله وَيُنْفِقُوا أموالهم في سبيله، نُظِمت سورة التغابن المبدوءة ببيان عظمة الله وعزه وجلاله، وأن الناس صنفان: كافر في الظاهر والباطن، ومؤمن خالص، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يفتن بمحبة الأزواج والأولاد والأموال، بل عليه أن يتقي الله وَيُنْفِقَ أمواله في سبيله، وذكر في السورة السابقة أَنَّ الْمُلهُونَ عن ذكر الله في الخسارة، وهنا يبين أن المنفقين لهم الفلاح في الدارين، فابتدأها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

ثم يبين سبحانه كمال عظمته وعزته بقوله: ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قد مر تفسيره و﴿لَهُ﴾ تعالى وحده ﴿الْمُلْكُ﴾ والسلطنة المطلقة التامة في تمام عوالم الوجود ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ على نعمه السابغة الوافرة، فعليكم أن تتذللوا لعزه، وتهابوه لسلطانه، وتستغرقوا في ذكره، ولا تلهوا عن تسيبته وحمده وشكره.

ثم لما خصَّ ملك الوجود بنفسه، ولازمه اختصاص التصرف فيه بذاته، يبين كمال قدرته بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الابداع والإعدام والتصرف والتدبير في الموجودات ﴿قَدِيرٌ﴾ لاجتز في ساحته، ولا مانع عن إنفاذ إرادته.

ثم ذكر سبحانه الناس بأصل النعم الذي أنعم عليهم وأعظمها بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس بقدرته، وأوجدكم أولاً من تراب، ثم من نطفة، فكان الواجب أن تؤمنوا جميعاً به وتشكروه

في جميع الأوقات، ومع ذلك صرتم صنفين ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ﴾ به لجهله وعناده ﴿وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ به مُصَدِّقُ بَآئِهِ خالقه ورازقه، والمُنِيعُ عليه بالنعم الجِسام، فيشكره ويقوم بمرضاته. عن ابن عباس: أن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ثم يُعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً^١. قيل: يعني فمنكم جاحدٌ، ومنكم مُصَدِّقٌ^٢.

وقيل: يعني فمنكم كافرٌ في السرِّ مؤمنٌ في الظاهر والعلانية كالمنافقين، وكافر في العلانية ومؤمن في السرِّ كأبي طالب وعَمَّار بن ياسر^٣.

ثم هدّد على الكفر والعصيان، ووعد على الإيمان والطاعة بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والعصيان والإيمان والطاعة ﴿بَصِيرٌ﴾ ومُطَّلَعٌ في الغاية، ويُجازيكم يوم القيامة حسب استحقاقكم وأعمالكم، إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ.

عن الصادق عليه السلام - في هذه الآية قال: «عرف الله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم أخذ [عليهم] الميثاق في صُلب آدم وهم ذرّة»^٤.

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُغْلِبُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [٣ و ٤]

ثم ذكر سبحانه نعمتين عظيمتين أخريين بقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ والحكمة البالغة خلقاً بديعاً نافعاً، حيث إن جميع الحيوانات بأمطار السماوات وإنبات الأرض يرتزقون ويتعيشون ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ يا بني آدم في الأرحام بقدرته ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ وزين أشكالكم ببديع الصفات من استواء القامة واعتدال الأعضاء مع ما فيكم من الجمال الظاهر وكمال القوى والمشاعر التي نيطت به الكمالات الظاهرية والباطنية المستتعبة للرقي إلى عام القرب والروحانية ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ والمرجع في ترقياتكم في هذا العالم بالعلم والعمل وبعد خروجكم من الدنيا، فخذلوا في أعمال القوى والجوارح التي أنعم الله بها عليكم، حتّى تلاقوا ربكم وهو راضٍ منكم غير ساخطٍ عليكم.

ثم لما بيّن سبحانه أن الناس صنفان: كافرٌ ومؤمن، ومصير الكلّ إليه فيُجازيهم على حسب

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢١، ولم يرد فيه: أبوبالرب.

١ و٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢١.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٧١، الكافي ١: ٤/٣٤١، تفسير الصافي ٥: ١٨٢.

استحقاقهم، يبين سبحانه سعة علمه بجميع الموجودات في جميع العوالم العلوية والسُّفلية بقوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ بذاته ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الموجودات الكبيرة والصغيرة، وأحوالها الخفية والجلية.

ثم أكد علمه أحوال الناس تشديداً للوعد والوعيد وإرعاباً للقلوب بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ وما تُسَرُّونه عن غيركم من الأعمال ﴿وَمَا تُقْلِنُونَ﴾ وتُظهِرونه لساائر الناس من الطاعة والمعصية ﴿وَاللَّهُ﴾ العظيم المتقم ﴿عَلِيمٌ﴾ ومحيط ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وخُطُورات القلوب ومكنونات الضمائر، فلا يخفي عليه خافية، ولا يعزُب عنه مثقال ذرة، فيجازيكم حين رجوعكم إليه على عقائدكم وأعمالكم، فأحسنوها كما أحسن صوركم ونظّم أمور معاشكم.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *
ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُودُنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا
وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [٦ و ٥]

ثم وجه خطابه إلى الكفار وهذهم بمثل ما نزل على الكفرة من الأمم السابقة من العذاب بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ ولم يصل إليكم أيها الكفار الحاضرون في عصر النبي الخاتم ﷺ ﴿نَبَأُ﴾ الامم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ كأمة نوح وهود وصالح، وخبر حالهم السيء، وذلك الخبر الهائل أنهم أصرّوا على الكفر بالله ورسله ﴿فَذَاقُوا﴾ وأحسوا ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ وشدة عاقبة كفرهم في الدنيا حيث استأصلهم بالعذاب ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لا يمكن بيان شدته وإيلامه في الدنيا وكان ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الدنيوي والأخروي ﴿بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ﴾ من قبل الله مستدلّين على رسالتهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ والمعجزات الباهرات ﴿فَقَالُوا﴾ جواباً لرسلهم وإنكاراً لرسالتهم: ﴿أَبَشِّرْ﴾ مثلنا ﴿يَهُودُنَا﴾ ويُرشدوننا إلى معبودنا ودين آخر؟ فتعجبوا من أن يكون الرسول بشراً، ولم يتعجبوا من أن يكون إلههم حَجَرًا ﴿فَكَفَرُوا﴾ بالله ورسله جهلاً وعناداً ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ وأعرضوا عن قبول قولهم والتدبر في معجزاتهم ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم وطاعتهم، ولذا أهلك جميعهم وقطع دابرهم، ولولا غناء، ما فعل ذلك ﴿وَاللَّهُ﴾ المالك لجميع الموجودات الخالق لهم ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ومحمودٌ في فعاله، أو مستحقّ للحمد بذاته ولو لم يكن حامداً.

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ
وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ * فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَيْرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّنَائِينِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [١-٧]

ثم لما أخبر سبحانه بعذاب الأمم السابقة في الآخرة، حكى إنكار المشركين المعاد بقوله: ﴿وَرَهْمَ﴾
وظنّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ﴾ يحيوا بعد موتهم ولن ﴿يُنْعَثُوا﴾ أحياء من قبورهم للحساب والجزاء أبداً.
ثم أمر سبحانه النبي ﷺ برّد قولهم ذلك بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم: ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتُنْعَثُنَّ﴾ من
قبوركم للحساب والمجازاة ﴿ثُمَّ﴾ بعد البعث ﴿لَتُنْبِئُنَّ﴾ ولتخبرن ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ في الدنيا من الكفر
والعصيان بروية العذاب عليه ﴿وَذَلِكَ﴾ البعث والتعذيب ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ القادر على كل شيء ﴿يَسِيرٌ﴾
وسهل لكمال القدرة وجود المقتضي وعدم المانع، فإذا كان الأمر كذلك ﴿فَآمِنُوا﴾ أيها الناس
﴿بِاللَّهِ﴾ ووحدانيته ﴿وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ على محمد ﷺ، وهو القرآن
المبين لكل حقّ والمظهر لكل صواب.

وعن الكاظم عليه السلام: «الامامة هي النور»^١.

وعن الباقر عليه السلام: «النور والله الأنمة»^٢.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الايمان والعمل بالقرآن ﴿خَبِيرٌ﴾ ومُطَّلَعٌ في الغاية، واذكروا أيها الناس
﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ الله ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ والحساب، يجمع الله فيه الأولين والآخرين، وهو يوم القيامة
﴿ذَلِكَ﴾ اليوم ﴿يَوْمُ التَّنَائِينِ﴾ والتحاسر يغين ويخسر بعض الناس بعضاً، يتمكن بعضهم في
مسكن بعض.

عن ابن عباس: أن قوماً في النار يُعَذَّبُونَ، وقوماً في الجنة يتنعمون^٣.

وقيل: يوم يغين أهل الحق أهل الباطل، وأهل الهدى أهل الضلالة، وأهل الايمان أهل الكفر، فلا
غَين أبين من هذا^٤.

وعن الصادق عليه السلام: «يوم يغين أهل الجنة أهل النار»^٥.

وفي الحديث: «ما من عبدٍ يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، وما من عبدٍ
يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة»^٦.

١. الكافي ١: ٦١٥١، وفيه: النور هو الإمام، تفسير الصافي ٥: ١٨٣.

٢. الكافي ١: ٤/١٥١، تفسير الصافي ٥: ١٨٣.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٤.

٤. معاني الأخبار: ١/١٥٦، تفسير الصافي ٥: ١٨٣.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ١١.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ١١.

قيل: إطلاق الغَيْبِ على نزول الأشقياء في منازل السعداء من باب التهكم^١.

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَأُطِيعُوا اللَّهَ وَأُطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [١٠-١٢]

ثم بين سبحانه ربح المؤمنين في تجارتهم بقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ صادقاً مخلصاً ﴿وَيَعْمَلْ﴾ عملاً ﴿صَالِحًا﴾ مرضياً لله ﴿يُكَفِّرْ﴾ الله ﴿عَنْهُ﴾ ويغفر له ﴿سَيِّئَاتِهِ﴾ يوم القيامة، فلا يفضحه بها بين الناس ﴿وَيُدْخِلْهُ﴾ بفضلہ ﴿جَنَّاتٍ﴾ ذات قصور وأشجار ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الكثيرة، حال كونهم ﴿خَالِدِينَ﴾ ومقيمين ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾ دائماً ﴿ذَلِكَ﴾ الأجر المذكور على إيمانهم وعملهم هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ والنبل بأعلى المقاصد من النجاة من العذاب والظفر بأجل الطيات.

ثم بين سبحانه غيب الكفار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآنية ومعجزات نبيِّنا ﷺ ﴿أُولَئِكَ﴾ المغبونون ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وملازموها حال كونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَ﴾ هي ﴿بِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ والمرجع للكفار.

ثم لما بين سبحانه حسن حال المؤمنين في الآخرة، كان مجال أن يقال: فلم يُبتلى المؤمن في الدنيا بالفقر والمرض والشدائد؟ فأجاب سبحانه بقوله: ﴿مَا أَصَابَ﴾ أحداً ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ وبليّة من فقرٍ أو مرضٍ أو غيرهما من الشدائد ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وتقديره وإرادته المنبئة عن الحكمة البالغة ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ اللطيف الحكيم ﴿يَهْدِ﴾ الله ﴿قَلْبَهُ﴾ عند المصيبة للصبر والثبات والشكر والرضا والتسليم لحكمه. عن ابن عباس: يهدي قلبه لما يحب ويرضى^٢.

﴿وَاللَّهُ﴾ المحيط بخلقه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء التي من جملتها القلوب وأحوالها من الرضا والتسليم ﴿عَلِيمٌ﴾ ومطلع كمال الاطلاع ﴿وَأُطِيعُوا اللَّهَ﴾ فيما أمركم به ﴿وَأُطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما يؤدي إليكم عنه، ولا تشغلکم المصائب عن العمل بوظائف الايمان، قيل: تكرر الأمر بالطاعة للتأكيد وبيان الفرق بين الطاعتين^٣ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ وأعرضتم أيها الناس عن طاعة الرسول وإجابته فيما

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٦.

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٠.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٤.

دعاكم إليه لا يضُرّه شيء ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ أي رسول كان ﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ وتأدية الرسالة بيان واضح، وقد فعل بما لا مزيد عليه، وقد بقي ما عليكم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [١٣ و ١٤]

ثم لما بين أن جميع المصائب والبلايا بتقدير الله وإرادته، وصف ذاته المقدسة بالعظمة والوحدانية، وأمر المؤمنين بالتوكل عليه بقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا معبود مستحق للعبادة سواه ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ وحده ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وليفوضوا إليه الأمور، ومنه يسألوا الجفط من المصائب والصبر عليها.

ثم لما صلى سبحانه في المصائب والبلايا الدنيوية، تعرض للبلايا الأخروية وما يمنع عن طاعة الله ويصرف عنها من الأزواج والأولاد بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن﴾ بعضاً ﴿مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ﴾ يكونون ﴿عُدُوًّا لَّكُمْ﴾ يمنعونكم من الهجرة والجهاد والعمل بالتكليف، كعداوة الشيطان لبني آدم، إذن ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ واحترزوا عن موافقتهم وقبول قولهم. قيل: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان أهله وولده يبتطونه عن الهجرة والجهاد^١.

وعن ابن عباس: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا المدينة، فلم يدعهم أزواجهم وأولادهم، فهو قوله: ﴿عُدُوًّا لَّكُمْ﴾ فاحذروا أن تطيعوهم وتَدْعُوا الهجرة. وقوله: ﴿وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا﴾ قال: هو أن الرجل من هؤلاء إذا هاجر ورأى الناس قد سبقوا إلى الهجرة، وفقهوا في الدين، هم أن يعاقب زوجته وولده الذين منعه من الهجرة، وإن لحقوا به في دار الهجرة لم يُنفق عليهم، ولم يُصحبهم بخير، فنزل: ﴿وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^٢ قيل: يعني فعليكم أن تتخلقوا بأخلاق الله^٣.

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [١٥ و ١٦]

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٨.

ثم لما كان محبة المال والولد فتنةً وبلاءً عظيماً أمر سبحانه المؤمنين بإيثار محبة الله على محبتيهما بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ واختباراً وبلاءً ومحنةً لكم يُوقعانكم في معصية الله وعذابه ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن أثر محبته على محبتيهما وطاعته على الاشتغال بمصالحهما، فلا تعصوا الله بسبب حبهما.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا يقولن أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ الله فليستعد من مضلات الفتن، فإن الله يقول: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾»^١.

وحكى بعض العامة عن ابن مسعود ما يقرب منه^٢.

نسي فضيلة وعن بعض العامة: كان رسول الله ﷺ يخطب، إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل ﷺ من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه^٣.

وفي رواية: وضعهما في حجرة على المنبر وقال: «صدق الله عز وجل ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما». ثم أخذ في خطبته^٤.

فإذا علمتم أن الأزواج والأولاد أعداءكم، وأن المال والولد فتنة لكم، وأن الله عنده أجرٌ عظيمٌ وجنةٌ ونعيمٌ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واحذروه أن يُعَذِّبَكم على مخالفة أحكامه لحب المال والولد ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ومقدار وسعكم، ولا تتركبوا ما يُوجب سخطه عليكم ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ مواظبوا سماع القبول ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أيها المؤمنون أوامره ونواهيه ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ في سبيله مما رزقكم لوجهه، تكن التقوى والسماع والطاعة والانفاق ﴿خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ وأنفع من الدنيا وما فيها فضلاً عن المال والولد.

ثم حث سبحانه المؤمنين بعد أمرهم بالانفاق إلى ترك البخل بقوله: ﴿وَمَنْ يُوقَ﴾ نسي ذم البخل والترغيب في الانفاق وثوابه ويمنع ﴿شَيْءٍ نَفْسِهِ﴾ ويُخلها الكامن فيها من التأثير في المنع عن الانفاق في سبيل الله ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الرادعون أنفسهم عن البخل ﴿هُمْ الْمُقْلِحُونَ﴾ والفائزون بالجنة ونعيمها.

١. نهج البلاغة: ٤٨٣ الحكمة ٩٣، تفسير الصافي ٥: ١٨٥.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٩.

رُوي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَاذَا رَجَلَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ: بِحَرَمَةِ هَذَا الْبَيْتِ إِلَّا غُفِرَتْ لِي. قَالَ ﷺ: «مَا ذَنْبُكَ؟» قَالَ: هُوَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَصِفَهُ لَكَ. قَالَ: «وَيَحْكُ ذَنْبَكَ أَعْظَمُ أَمْ الْأَرْضُونَ؟» قَالَ: بَلْ ذَنْبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَيَحْكُ ذَنْبَكَ أَعْظَمُ أَمْ الْجِبَالُ؟» قَالَ: بَلْ ذَنْبِي أَعْظَمُ. قَالَ: «فَذَنْبُكَ أَعْظَمُ أَمْ السَّمَاوَاتُ؟» قَالَ: بَلْ ذَنْبِي أَعْظَمُ. قَالَ: «فَذَنْبُكَ أَعْظَمُ أَمْ الْعَرْشُ؟» قَالَ: بَلْ ذَنْبِي أَعْظَمُ. قَالَ: «فَذَنْبُكَ أَعْظَمُ أَمْ اللَّهُ؟» قَالَ: بَلْ اللَّهُ أَعْظَمُ وَأَعْلَى.

قَالَ: «وَيَحْكُ صِفْ لِي ذَنْبَكَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ ذَوْرُوءٌ مِنَ الْمَالِ، وَإِنِ السَّائِلُ لِيَأْتِنِي لِيَسْأَلْنِي فَكَأَنَّمَا يَسْتَقْبِلُنِي بِشُعْلَةٍ مِنَ النَّارِ. فَقَالَ ﷺ: «اعْزُبْ عَنِّي لِأَحْرِقَنِي بِنَارِكَ، فَوَ الَّذِي بَعْنِي بِالْهَدَايَةِ وَالْكَرَامَةِ لَوْ قُمْتُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، ثُمَّ بَكَيتُ أَلْفِي عَامٍ حَتَّى تَجْرَى مِنْ دُمُوعِكَ الْأَنْهَارُ وَتُسْقَى بِهَا الْأَشْجَارُ، ثُمَّ مِتُّ وَأَنْتَ لَتَيْمٍ، لِأَتُكِّبَكَ اللَّهُ فِي النَّارِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْبَخْلَ كَفْرٌ، وَأَنَّ الْكُفْرَ فِي النَّارِ، وَيَحْكُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «وَمَنْ يَتَّخِذْ فَإِنَّمَا يَتَّخِذْ عَن نَفْسِهِ» «وَمَنْ يَوْقُ شِعْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^١.

إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ *

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [١٧ و ١٨]

ثُمَّ بَالِغُ سُبْحَانِهِ فِي التَّرْغِيبِ فِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ يَقُولُ: «إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ» أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ «قَرْضًا حَسَنًا» بِبَذْلِ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي الْوَجْهِ الْبَرِّ، وَفِي الْمَصَارِفِ الْخَيْرِيَّةِ، بِخُلُوصِ النِّيَّةِ، وَطِيبِ النَّفْسِ «يُضَاعِفْهُ» اللَّهُ «لَكُمْ» أَضْعَافًا كَثِيرَةً عَلَى حَسَبِ النِّيَّاتِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْمَحَالِّ، فبَعْضُ بِالْوَاحِدِ عَشْرَةَ، وَآخَرُ بِالْوَاحِدِ سَبْعِينَ، وَبَعْضُ بِالْوَاحِدِ سَبْعِمِائَةٍ، وَبَعْضُ أَكْثَرَ مِنْهَا «وَيَغْفِرْ لَكُمْ» ذُنُوبَكُمْ وَخَطَايَاكُمْ «وَاللَّهُ» الْكَرِيمُ «شَكُورٌ» لِعَبِيدِهِ بِإِكْتَارِ الثَّوَابِ وَالْعَوَاضِ عَلَى إِفْنَائِهِمْ وَالْأَجْرِ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ، أَوْ بِإِكْتَارِ الثَّنَاءِ عَلَى عَبْدِهِ الْمُحْسِنِ «حَلِيمٌ» لَا يَعْجَلُ فِي عِقَابِ الْبَخِيلِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعَصَاةِ «عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» وَالْمُطَّلِعُ عَلَى الْخَفِيِّ وَالظَّاهِرِ مِنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ وَغَيْرِهَا بِحَيْثُ لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، فَيَعْلَمُ صَدَقَةَ السَّرِّ وَالْعَلَنِ وَخُلُوصَ نِيَّةِ الْمُصَدِّقِ وَرِبَاءَهُ فِيهَا «الْعَزِيزُ» وَالْقَادِرُ عَلَى إِثَابَةِ الْمُطِيعِينَ وَعِقَابِ الْعَصَاةِ الْمُتَمَرِّدِينَ «الْحَكِيمُ» الَّذِي لَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا مَا هُوَ الْأَصْلَحُ وَالْأَوْسَبُ، وَثَبِيبٌ وَيُعَاقِبُ عَلَى حَسَبِ الْاسْتِحْقَاقِ.

رَوَى بَعْضُ الْعَامَّةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَفِي شِبَابِكَ

رأسه مكتوب خمس آيات من سورة التغابن»^١.

أقول: لعل المراد خمس آيات من أول السورة مع عدّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ آية، كما هو الحق.

وفي الحديث: «من قرأ سورة التغابن رُفِعَ عنه موت الفجأة»^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة التغابن في فريضة كانت له شفيعة يوم القيامة، [و] شاهد عدل

عند من يجيز شهادتها، ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنة»^٣.

الحمد لله على التوفيق لإتمام تفسيرها.

٢. تفسير أبي السعود ٨: ٢٥٩، تفسير روح البيان ١٠: ٢٤.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٢٤.

٣. نواب الأعمال: ١١٨، مجمع البيان ١٠: ٤٤٦، تفسير الصافي ٥: ١٨٥.

1. The first step is to identify the problem or question that needs to be addressed. This involves understanding the context and the specific requirements of the task.

2. Next, it is important to gather relevant information and resources. This may involve research, consultation with experts, or reviewing existing data.

3. Once the information is gathered, the next step is to analyze it and identify the key factors that influence the outcome. This often involves breaking down the problem into smaller, more manageable parts.

4. After analysis, a plan or strategy should be developed to address the problem. This plan should outline the steps to be taken and the resources needed to implement them.

5. The final step is to implement the plan and monitor the progress. This involves putting the plan into action and regularly checking the results to ensure that the problem is being solved effectively.

[illegible]

في تفسير سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا [١]

ثم لما حُتِمت سورة التغابن المتضمنة لبيان عداوة النساء لأزواجهن، وتهديد الكفار بذوق الأمم السابقة وبال كُفرهم، وحث المؤمنين على التقوى والانفاق في سبيل الله، نُظِمت سورة الطلاق المتضمنة لبيان بعض أحكام طلاق الأزواج، وجوب الانفاق عليهن في العدة الرجعية وإذا كُنَّ ذوات الحمل وجوب الانفاق على الأولاد والحث على التقوى وتهديد الكفار بما ذاقته الأمم السابقة من العذاب، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

في ذكر شرائط الطلاق وبعض أحكامه
ثم شَرَعَ سبحانه ببيان بعض أحكام الطلاق بعد خطاب النبي ﷺ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ثم خاطب أمته لأنه سيدهم وقُدوتهم، فكان خطابه بمنزلة خطابهم. وقيل: إن التقدير قل لأمتك^١ ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ المدخول بهن، وأردتم فراقهن وقطع علقته نكاحهن ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ وأنشئوا صبيغة طلاقهن حال كونهن مستقبلات ﴿لِعَدَّتِهِنَّ﴾ وزمان ترخصهن بعد الطلاق، ومنعهن عن التزوج بالغير إذا كنَّ في سنٍّ من تحيض.

عن النبي ﷺ والسجاد عليه السلام: «فطلّقوهن من قبل عدّتهن»^٢. وعن الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا أراد الرجل الطلاق طلقها من قبل عدّتها بغير جماع»^٣.

١. في مجمع البيان وتفسير الصافي: في.

٢. في الكافي: في.

٣. مجمع البيان ١٠: ٤٥٥، تفسير الصافي ٥: ١٨٦.

٤. الكافي ٦: ٩/٦٩، تفسير الصافي ٥: ١٨٦.

٢٧٠ نفحات الرحمن في تفسير القرآن ج ٦

وعن الباقر عليه السلام: «إنما الطلاق أن يقول لها في قبل العدة بعد ما تطهر من تحيضها قبل أن يجامعها: أنت طالق... الخبر»^١.

وقيل: إن لام ﴿لِعِدَّتَيْنِ﴾ بمعنى في، والمعنى فطلقوهن في عدتَيْنِ^٢، لأن الطهر الذي يقع فيه الطلاق معدود من إظهار العدة، وهي ثلاثة. وعن الباقر عليه السلام: «العدة: الطهر من الحيض»^٣.

﴿وَأَخْصُوا﴾ أيها الأزواج واضبطوا ﴿الْعِدَّةَ﴾ بحفظ الوقت الذي يقع فيه الطلاق، وأكملوها ثلاث أطهار، أو ثلاث أشهر، إذا كنَّ في سنٍّ من تحيض، فإن النساء عاجزات عن إحصائها لغلبة الغفلة عليهن.

ثم لما كان الغائب وقوع الطلاق لكراهة الزوج معاشرته الزوج، ولازم ذلك سرعة الزوج في إخراجهن من منزلهم، نهى سبحانه عن إخراجهن مع التهديد على ذلك بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رِبِّكُمْ﴾ أيها الأزواج وخافوا عذابه على إخراجهن، ولذا ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ﴾ إذا كنَّ رجعيات ﴿مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ ومساكنهن اللاتي أسكنتموهن فيها حال الطلاق ﴿وَوَ﴾ هن أيضاً ﴿لَا يَخْرِجُنَّ﴾ منها ما دُمّن في العدة.

وقيل: إن المراد اتقوا الله ربكم في تطويل عدتهن والاضرار بهن بإيقاع طلاق ثانٍ بعد الرجعة^٤. ثم حرم إخراجهن وخروجهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ ويعملن عملاً ظاهر القباحة كالزنا، فيُخرجن لإقامة الحد عليهن.

وعن الصادق عليه السلام أنه سُئل عنه، فقال: «إلا أن تزني، فتُخرج ويقام عليها الحد»^٥.

وعن ابن عباس: وهو كل معصية^٦.

وعن الرضا عليه السلام قال: «أذاها لأهل الرجل وسوء خلقها»^٧.

وعنه عليه السلام: «يعني بالفاحشة المبينة أن تؤذي أهل زوجها، فإذا فعلت فإن شاء أن يُخرجها من قبل أن تنقضي عدتها فعل»^٨.

وقيل: إنها خروجهن من البيوت، والمعنى لا يُخرجن إلا إذا ارتكبن الفاحشة بالخروج^٩. ثم عظم سبحانه أمر هذه الأحكام بقوله: ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ وقوانينه الموضوعة لصالح الناس ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ﴾ ويتجاوز ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ ويُخالفها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ وأضرها بإيقاعها

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٣٠.

١. الكافي ٦: ١٦٩، تفسير الصافي ١٨٦: ٥.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٢٨.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٧٣، تفسير الصافي ١٨٦: ٥.

٥. لا يحضره الفقيه ٣: ١٥٦٥/٣٢٢، تفسير الصافي ١٨٧: ٥.

٧. الكافي ٦: ١٩٧، تفسير الصافي ١٨٧: ٥.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٢٩ و ٢٨.

٩. تفسير روح البيان ١٠: ٢٩.

٨. الكافي ٦: ٢٩٧، تفسير الصافي ١٨٧: ٥.

في معصية الله وتعريفها للعذاب.

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ عِلَّةَ تَحْرِيمِ إِخْرَاجِهِمْ وَخُرُوجَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تَذَرِي﴾ أَيُّهَا الزَّوْجُ الْمَطْلُوقُ ﴿لَعَمَلِ اللَّهِ﴾ وَيُرْجَى أَنَّهُ «يُحَدِّثُ» وَيُوجَدُ «بَعْدَ ذَلِكَ» الَّذِي فَعَلْتَ مِنَ الطَّلَاقِ «أَمْرًا» آخَرَ مِنَ النَّدَمِ وَالْمَحَبَّةِ لِلْمَطْلُوقَةِ وَالْإِقْبَالِ إِلَيْهَا.

عن ابن عباس: يُرِيدُ النَّدَمَ عَلَى طَلَاqِهَا، وَالْمَحَبَّةَ لِرَجْعَتِهَا فِي الْعِدَّةِ^١.

وعن القمي قال: لَعَلَّهُ يَبْدُو لَزُوجِهَا فِي الطَّلَاقِ فَيَرَاqِهَا^٢.

وعن الباقر (ع): «أَحَبُّ لِلرَّجُلِ الْفَقِيهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا طَلَاqِ السُّنَّةِ» ثُمَّ قَالَ: «وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَعَلَّ اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [يَعْنِي بَعْدَ الطَّلَاقِ وَانْقِضَاءِ الْعِدَّةِ التَّرْوِيجَ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَزُوجَ زَوْجًا غَيْرَهُ]^٣.

وعن الصادق (ع) قال: «الْمَطْلُوقَةُ تَكْتَحِلُ وَتَخْتَضِبُ وَتَطِيبُ وَتَلْبِسُ مَا شَاءَتْ مِنَ الثِّيَابِ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لَعَلَّ اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [لَعَلَّهَا أَنْ تَقَعَ فِي نَفْسِهِ فَيَرَاqِهَا]^٤.

روي بعض العامة عن أنس: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ طَلَّقَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَأَتَتْ إِلَى أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ^٥.

وعن الكلبي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ عَلَى حَفْصَةَ لَمَّا أَسْرَأَ إِلَيْهَا فَظَهَرَتْهُ لِعَائِشَةَ، فَطَلَّقَهَا طَلِيقَةً، فَنَزَلَتْ^٦.

أقول: لَعَلَّ نَزُولَهَا لِخُرُوجِهَا إِلَى أَهْلِهَا، فَلَمَّا نَزَلَتْ رَاqِهَا.

وقيل: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَإِنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فِي الْحَيْضِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَاqِهَا، فَإِذَا ظَهَرَتْ طَلَّقَهَا إِنْ شِئْتَ» فَنَزَلَتْ «فَطَلَّقُوهُنَّ لِمَدَّتِهِنَّ»^٧.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا [٢ و ٣]

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ حُكْمَ الرَّجُوعِ فِي الْعِدَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ﴾ الْمُطَّلَقَاتُ وَقَرَّبْنَ «أَجَلَهُنَّ» وَآخِرَ مَدَّةِ عِدَّتِهِنَّ، وَأَشْرَفْنَ عَلَى انْقِضَائِهَا «فَأَمْسِكُوهُنَّ» وَارْجِعُوا إِلَى نِكَاحِهِنَّ إِنْ شِئْتُمْ «بِمَعْرُوفٍ»

٢. تفسير القمي ٢: ٣٧٤، تفسير الصافي ٥: ١٨٧.

٤. الكافي ٦: ١٤/٩٢، تفسير الصافي ٥: ١٨٧.

٦. تفسير الرازي ٣٠: ٢٩.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٣٣.

٣. الكافي ٦: ٣٧/٦٥، تفسير الصافي ٥: ١٨٧.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٩.

٧. تفسير روح البيان ١٠: ٢٥.

وإيفاء حقوقهن، ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وعدم الاضرار بهن بتطويل عِدَّتِهِنَّ بالرجوع والطلاق ثانياً ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ على طلاقهن رجلين ﴿ذَوَيْ عَدْلٍ﴾ وصاحبي عدالة ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون.

عن الكاظم عليه السلام أنه قال لأبي يوسف القاضي: إن الله تبارك وتعالى أمر في كتابه بالطلاق، وأكد فيه شاهدين، ولم يرخص بهما إلا عدلين، وأمر في كتابه بالتزويج فأهمله بلا شهود، فأثبتم شاهدين فيما أهمل، وأبطلتم الشاهدين فيما أكد^١.

و ﴿وَأَيُّمُوا﴾ وأدوا أيها الشهود «الشَّهَادَةُ» عند الحاجة إليها خالصاً ﴿لِلَّهِ﴾ وتقرأ إليه ﴿ذَلِكَمُ﴾ الأحكام من طلاق السنة، والحث على الإشهاد وإقامة الشهادة لله مما ﴿يُوعِظُ﴾ ويرتدع ﴿بِهِ﴾ عن المخالفة خوفاً من العذاب ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ عن صميم القلب ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ودار الجزاء، فإن لازم الايمان بالله مراعاة عظمته وحقوق ألوهيته وربوبيته، وأقلها طاعة أحكامه، ولزام الايمان باليوم الآخر الخوف من الحساب والعقاب على مخالفة أحكامه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في مخالفة أحكامه المذكورة في السورة، أو في القرآن ﴿يَجْعَلْ﴾ الله ﴿لَهُ مَخْرَجاً﴾ ومخلصاً مما عسى أن يتلى به من الغيوم الراجعة إلى الازدواج، ويُفَرِّجَ عنه ما يعتريه من الكرب، أو خلاصاً من غيوم الدنيا والآخرة. عن النبي صلى الله عليه وآله - بطريق عامي - أنه عليه السلام قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا، وغمرات الموت، وشدائد يوم القيامة»^٢. وقيل يجعل له مخرجاً إلى الرجعة^٣.

عن ابن عباس، أنه سئل عَمَّنْ طَلَّقَ امرأته ثلاثاً، أو ألفاً، هل له من مخرج؟ فقال: لم يتق الله، فلم يجعل له مخرجاً، بانته منه ثلاث، والزيادة إثم في عُنُقِهِ^٤.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم»^٥.

﴿وَيَزُوِّقُهُ﴾ الله في الدنيا ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ومن وجه لا يخطر بباله.

رُوي أن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنه سالماً، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أسر ابني، وشكاً إليه الفاقة. فقال: «أتق الله، وأكثر قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» ففعل، فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غَلَّ عَنْهُما العدو فساقتها، فنزلت^٦.

وفي رواية: أفلت بأربعة آلاف شاة وبالأمتعة^٧.

وعن الصادق عليه السلام: «﴿وَيَزُوِّقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي يبارك له فيما أتاه»^٨.

١. الكافي ٥: ٤/٣٨٧، تفسير الصافي ٥: ١٨٧.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٣٤، تفسير روح البيان ١٠: ٣١.

٣. نهج البلاغة: ٢٦٦ الخطبة ١٨٣، تفسير الصافي ٥: ١٨٨.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣١.

٥. مجمع البيان ٩: ٤٦٠، تفسير الصافي ٥: ١٨٨.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٣٢.

وعنه، عن آبائه، عن علي عليه السلام: «من أتاه برزق لم يخطُ إليه برجله، ولم يمدَّ إليه يده، ولم يتكلم فيه بلسانه، ولم يشدَّ إليه ثيابه، ولم يتعرض له، كان ممن ذكره الله عز وجل في كتابه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾^١ الآية».

وعن النبي صلى الله عليه وآله - بطريق عامي «أني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ الآية، فما زال يقولها ويُعدها^٢».

وعن الصادق عليه السلام: «أن قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية أغلقوا الباب، وأقبلوا على العبادة، وقالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله، فأرسل إليهم، فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله، نُكْفِلُ لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة. فقال: من فعل ذلك لم يُسْتَجَبْ له، عليكم بالطلب^٣».

وعنه عليه السلام: «هؤلاء قومٌ من شيعتنا ضُعفاء، ليس عندهم ما يتحملون به إلينا، فيسمعوا حديثنا ويقتبسوا من علمنا، فيرحل قومٌ فوقهم، ويُنفقون أموالهم، حتى يدخلوا علينا فيسمعوا حديثنا، فينقلوه إليهم، فيعيه هؤلاء ويضيّعه هؤلاء، فأولئك الذين يجعل الله لهم مخرجاً، ويرزقهم من حيث لا يحسبون^٤».

في بيان حقيقة أقول: الظاهر تطبيق الآية عليهم لاحصر المراد فيهم.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ﴾ ويعتمد في أموره ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ ويفوض إليه ويثق به فيها ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ وكافيه مهماته، ومُصلِح أموره، ومُعْطيه مراده.

م. تتوكلون على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خُمَصاً

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٣٢.

١. من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٩٩/١٠١، تفسير الصافي ٥: ١٨٨.

٣. الكافي ٥: ٨٤، تفسير الصافي ٥: ١٨٨.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٣٣.

٤. الكافي ٨: ٢٠١/١٧٨، تفسير الصافي ٥: ١٨٨، وفيهما: عن الصادق عليه السلام.

حكمته البالغة، لا يتقدم بسعي ساع، ولا يتأخر بمنع مانع وتقصير مقصر، فاذا وصل الوقت يصل إليه ما قسم له من أنصبة الدنيا، ومن المعلوم أن من يتيقن ذلك ما خاف أحداً ولا رجا أحداً وفوض أمره إليه تعالى، وهو تعالى يبلغ ما أراد من أمره بلا مانع ولا عائق.

روي أن جبرئيل جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا جبرئيل، ما التوكل على الله؟ فقال: العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فاذا كان العبد كذلك لم يعتمد على أحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكل^١. وعن الكاظم عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: «للمتوكل على الله درجات، منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها»^٢.

وَاللَّائِي يَشْنَنُ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً [٥٥هـ]

ثم بين سبحانه عدة النساء اللاتي انقطع حيضهن بقوله: «وَاللَّائِي يَشْنَنُ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ» وأزواجكم اللاتي دخلتم بهن وانقطع حيضهن «إِنْ أَرْبَبْتُمْ» وشككنتم في أمرهن، ولاتدرون أنهن يائسات، أو في سن من حيض ولا تحيض لمانع «فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ» هلالية. عن (المجمع) عن أئمتنا عليه السلام «هن اللواتي أمثالهن يحضن، لأنهن لو كن في سن من لا تحيض لم يكن للارتباب معنى»^٣.

رؤي أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله، قد عرفنا عده التي تحيض، فما عده التي لم تحيض؟ فنزل: «وَاللَّائِي يَشْنَنُ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ»^٤ فلما نزلت قام رجل فقال: يا رسول الله، فما عده الصغيرة التي لم تحيض؟ فنزل: «وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ» الصغر، فهن أيضاً كالكبيرة التي انقطع حيضها، عدتهن ثلاثة أشهر^٥. قيل: فقام رجل آخر. وقال: ما عده الحوامل يا رسول الله؟ فنزل:

١. الكافي ٥/٥٣: ٥، تفسير الصافي ٥: ١٨٩.

١. معاني الأخبار: ١/٢٦٦، تفسير الصافي ٥: ١٨٩.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٣٥.

٣. مجمع البيان ١٠: ٤٦١، تفسير الصافي ٥: ١٨٩.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٣٥.

﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾^١ وآخر عدتهنَّ ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وعن (المجمع) عنهم عليه السلام: «هي في الطلاق خاصة»^٢.

وروى بعض العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنْ فِي عِدَّةِ الْوَفَا يُعْتَبَرُ أَبْعَدُ الْأَجْلَيْنِ؛ لِأَنَّ أُولَاتِ الْأَحْمَالِ فِي عِدَّةِ الطَّلَاقِ»^٣. وعن ابن عباس ما يقرَّب منه^٤.

وعن الصادق عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حُبْلَى، وَكَانَ فِي بَطْنِهَا اثْنَانِ، فَوَضَعَتْ وَاحِدًا وَبَقِيَ وَاحِدٌ قَالَ: «تَبَيَّنَ بِالْأُولَى، وَلَا تَجَلِّ لِلزَّوْجِ حَتَّى تَضَعَ مَا فِي بَطْنِهَا»^٥.

وعنه سئل عن الحُبْلَى يَمُوتُ زَوْجُهَا فَتَضَعُ، فَتَزُوجُ قَبْلَ أَنْ يَمُضِيَ لَهَا أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعِشْرُونَ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ دَخَلَ بِهَا فُرْقٌ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ لَمْ تَحْلَلْ لَهُ أَبَدًا، وَاعْتَدَتْ بِمَا بَقِيَ مِنَ الْأُولَى، وَاسْتَقْبَلَتْ عِدَّةَ أُخْرَى مِنَ الْآخِرِ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهَا فُرْقٌ بَيْنَهُمَا، وَاعْتَدَتْ بِمَا بَقِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْأُولَى، وَهُوَ خَاطِبٌ مِنَ الْخُطَّابِ»^٦.

ثُمَّ حُتَّ سَبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فِي الْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ وَالْقِيَامِ بِحَقُوقِهِ «يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ» الرَّاجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ «يُسْرًا» وَسَهُولَةً بِحَيْثُ لَا يَصْغُبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدَّارَيْنِ «ذَلِكَ» الْمَذْكُورُ مِنَ الْأَحْكَامِ «أَمْرُ اللَّهِ» وَحُكْمُهُ الَّذِي «أَنْزَلَهُ» بِتَوْسُطِ جَبْرِئِيلَ «إِلَيْكُمْ» أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، لِنَعْمَلُوا بِهِ «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» وَيَخَافُهُ فِي مُخَالَفَةِ أَحْكَامِهِ «يُكَفِّرْ» بِتَقْوَاهُ وَيَمُوزِطْهُ عَلَى الْحَسَنَاتِ «عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ» وَيَسْتُرْ مَعَاصِيَهُ، فَلَا يَفْضَحْ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُخْجِلْهُ بِرُؤْيَيْهَا فَضْلًا عَنْ أَنْ يُعَذِّبَ بِهَا «وَيُعْظِمَ لَهُ» يَوْمَ الْقِيَامَةِ «أَجْرًا» وَيُضَاعَفَ لَهُ جَزَاءٌ. قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى فِي أَحْكَامِ الطَّلَاقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَوَعَدَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَوْعًا مِنَ الْجَزَاءِ. فَقَالَ أَوَّلًا: يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا يُخْرِجُهُ مِمَّا دَخَلَ فِيهِ وَهُوَ يَكْزُرُهُ، وَيُهَيِّئُ لَهُ مَحْبُوبَةً مِنْ حَيْثُ لَا يَأْمَلُ. وَقَالَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ: يُسَهِّلْ عَلَيْهِ كُلَّ صَعَبٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَفْتَحْ لَهُ خَيْرًا مِمَّنْ طَلَّقَهَا، وَوَعَدَ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ عَلَيْهِ بِأَفْضَلِ الْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ كَفَرُ الذُّنُوبِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ وَالتَّيْلُ بِالنِّعَمَاءِ^٧.

أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِبَنَاتِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتْرٌ لَكُمْ

٣٥. ٣٠. ٥٣. تفسير الرازي

٢. مجمع البيان ١٠: ٤٦١، تفسير الصافي ٥: ١٨٩.

٦. الكافي ٥: ٤٢٧، تفسير الصافي ٥: ١٩٠.

٥. الكافي ٦: ١٠٨٢، تفسير الصافي ٥: ١٨٩.

٧. تفسير روح البيان ١٠: ٣٦.

أُخْرَى [٦]

ثُمَّ كَأَنَّهُ قِيلَ: كَيْفَ يَعْمَلُ بِالتَّقْوَى فِي شَأْنِ الْمُطَّلَقَاتِ الْمُعْتَدَاتِ؟ فَأَجَابَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: «أَسْكِنُونَهُنَّ» فِي مَدَّةِ عِدَّتِهِنَّ «مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ» وَفِي أَيِّ مَكَانٍ تَمَكَّنْتُمْ «مِنْ وَجْدِكُمْ» وَوَسْعِكُمْ وَاسْتَطَاعَتِكُمْ «وَلَا تُضَارُّوهُنَّ» بِإِسْكَانِهِنَّ فِي مَكَانٍ لَا يَنْسِبُهُنَّ أَوْ مَعَ مَنْ لَا يُوَافِقُهُنَّ فِي الْأَخْلَاقِ «لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ» فِي الْمَسْكَنِ وَتَسْلُبُوا مِنْهُنَّ الرَّاحَةَ حَتَّى تُلْجَنَّهُنَّ إِلَى الْخُرُوجِ، أَوْ إِلَى تَحْمَلِ غَايَةِ الْمَشَقَّةِ.

عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يُضَارُّ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِذَا طَلَّقَهَا فَيُضَيِّقُ عَلَيْهَا حَتَّى تَنْتَقِلَ قَبْلَ أَنْ تَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ^١.

«وَإِنْ كُنَّ» الْمُطَّلَقَاتُ حَالِ الطَّلَاقِ «أَوَّلَاتٍ حَمَلٍ» وَصَاحِبَاتِ الْوَلَدِ فِي الرَّحِمِ، أَيْ حَمَلٍ كَانَ، قَرِيبَ الْوَضْعِ أَوْ بَعِيدِهِ «فَأَنْفِقُوا» أَيُّهَا الْمُطَّلَقُونَ «عَلَيْهِنَّ» فِي مَدَّةِ عِدَّتِهِنَّ، كَانَتْ رَجْعِيَّةً أَوْ بَائِنَةً «حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» وَيَخْرُجْنَ مِنَ الْعِدَّةِ. عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمُطَّلَاقَةِ ثَلَاثًا، أَلَهَا النِّفَقَةُ وَالسُّكْنَى؟ قَالَ: «أَحْبَلِي هِيَ؟» قِيلَ: لَا. قَالَ: «فَلَا»^٢.

«فَإِنْ أَرْضَعْنَ» بَعْدَ الْوَضْعِ الْوَلَدَ الَّذِي هُوَ «لَكُمْ» وَنَفَقَتُهُ عَلَيْكُمْ «فَسَاتُوهُنَّ» وَأَعْطَوْهُنَّ «أُجُورَهُنَّ» عَلَى إِرْضَاعِهِنَّ «وَأَتَمَّرُوهُنَّ» وَتَشَاوَرَا أَيُّهَا الْأَبَاءُ وَالْأُمَهَاتُ «بَيْنَكُمْ» فِي مَدَّةِ الْإِرْضَاعِ وَمِقْدَارِ الْأَجْرَةِ «بِمَعْرُوفٍ» وَجَمِيلٍ وَمُسْتَحْسِنٍ فِي مَدَّةِ الْإِرْضَاعِ وَمِقْدَارِ الْأَجْرِ، بَأَن لَا يَقْصُرَ الرَّجُلُ فِي أَجْرِ الْمَرْأَةِ وَنَقْصِهَا، وَلَا يَقْصُرَ الْمَرْأَةُ فِي حَقِّ الْوَلَدِ وَرِضَاعَةِ «وَلَوْ تَعَاسَزْتُمْ» وَتَضَاقَعْتُمْ بِأَن طَلَبَتِ الْمَرْأَةُ زَائِدًا عَلَى الْأَجْرَةِ الْمُتَعَارِفَةِ لِلرِّضَاعِ، وَامْتَنَعَ الْأَبُ عَنْ أَدَاءِ أَجْرَةِ الْمِثْلِ «فَسَتْرَضِعُ» الْوَلَدَ «لَهُ» مَرْضَعَةً «أُخْرَى» غَيْرَ الْأُمِّ مَجَانًّا أَوْ بِأَجْرَةٍ يَرْضَاهَا الْأَبُ، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِالْعِتَابِ عَلَى الْأُمِّ عَلَى الْمُعَاسَرَةِ.

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا [٧]

ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ قَدْرَ الْإِتْفَاقِ بِقَوْلِهِ: «لِيُنْفِقَ» الرَّجُلُ الَّذِي هُوَ «ذُو سَعَةٍ» وَصَاحِبُ ثَرَوَةٍ عَلَى الْمُطَّلَاقَةِ الْمَرْضُوعَةِ «مِنْ سَعَتِهِ» وَبِمِقْدَارِ ثَرَوَتِهِ وَغِنَاهُ.

عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ الْمُوسِرِ يَتَخَذُ الثِّيَابَ الْكَثِيرَةَ الْجَيَادَ وَالطَّيَالِسَةَ وَالْقُمُصَ

٢. التهذيب ٨/١٣٣، ٤٦٢، تفسير الصافي ٥: ١٩٠.

١. الكافي ٦/١٢٣، تفسير الصافي ٥: ١٩٠.

الكثيرة يصون بعضها بعضاً يتجمل بها، أ يكون مسرفاً؟ قال: لا، إن الله عز وجل يقول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الشَّيْءِ حِسَابٌ﴾. ١

﴿وَمَنْ قُدِرَ﴾ وضيق من جانب الله ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ وكان فقيراً ﴿فَلْيَتَنَزَّلْ﴾ على المطلقة والمُرضعة مقدراً ﴿مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ وأعطاه من المال، وإن كان مقدار القوت.

عن الصادق عليه السلام قال في الآية: «إن أنفق الرجل على امرأته ما يقيم ظهرها مع كسوة، ولا فُرق بينهما» ٢. ﴿لَا يَكُلْفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾ من النفوس «إلا» إعطاء ﴿مَّا آتَاهَا﴾ وأعطاه من المال، ولا يمكن أن يكلف الفقير بمثل ما كلف الغني.

ثم بشر سبحانه الفقراء تسلياً لقلوبهم بقوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وبعد الفقر غنى، وبعد الشدة رخاء، وبعد الخوف أمناً، وبعد السقم صحة، فليستظر من وقع في العسر الفرج واليسر سواء كان المعسر زوجاً أو غيره، أو كان فقيراً في وقت نزول الآية أو في غيره، لعدم كون المورد مخصصاً للحكم.

وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَثَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً
وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا [٨ و ٩]

ثم هدد سبحانه المخالفين لأحكامه والعاتين على ربهم بما نزل على العتاة من الأُمم السابقة بقوله: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وكثير من أهل بلدة ﴿عَثَتْ﴾ وأعرضت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ وخالتها ﴿وَمِنْ قَرْيَةٍ﴾ المبعوثين إليهم بسبب التجاوز عن الحد في التكبر والعتاد ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً﴾ وأخذناهم بدقائق ذنوبهم بأن ابتليناهم بالقحط والأمراض والخوف وغيرها من البلايا والشدائد مقدماً على استئصالهم بالعذاب، ليرجعوا إلى الله، ويتوبوا مما هم فيه من العتو والعصيان ﴿وَعَذَّبْنَاهَا﴾ بذنوبهم ﴿عَذَاباً نُكْرًا﴾ وعاقبناهم عقاباً هائلاً عظيماً، أو عذاباً غير متوقع من الفرق والحرق بالصاعقة والخسف والرجعة وغيرها من المستأصلات ﴿فَذَاقَتْ﴾ القرية، يعني أهلها ﴿وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ وعاقبة كفرها في الدنيا ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ وضرراً عظيماً لا خسر ولا ضرر أعظم منه.

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [١٠ و ١١]

ثُمَّ هَدَّاهُمْ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ بقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ﴾ وَهِيَ ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة بعد ذلك ﴿عَذَاباً شَدِيداً﴾ لا يُقَادَرُ قُدْرَةً، ولا يوصفُ كُنْهَهُ، إذا كان الأمر كذلك ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وخافوه في مخالفة أحكامه ﴿يَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾ وذوي العقول السليمة والأفهام المستقيمة، واعتبروا بحال أمثالكم من الأمم الماضية. ثُمَّ وصف سبحانه أصحاب العقول السليمة من شوائب الأوهام بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن صميم القلب بتوحيد الله، فاعلموا أنه من أعظم النعم عليكم أنه ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وبعث ﴿إِلَيْكُمْ﴾ بلفظه ﴿ذِكْرًا﴾ وواعظاً وهادياً إلى الحق، أعنى ﴿رَسُولًا﴾ عظيم الشأن، وهو ﴿يَقُولُ﴾ ويقرأ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مع أَمْنِيَّتِهِ ﴿آيَاتٍ﴾ كتاب ﴿اللَّهُ﴾ وقرآنه العظيم حال كونها ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ ومُوضِحَاتٍ لكم جميع ما تحتاجون إليه في معاشكم ومعادكم وعقائدكم من معارف ربكم وصفاته الجمالية والجلالية ﴿لِيُخْرِجَ﴾ ذلك الرسول بتلاوته ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ به وكتابه عن صميم القلب ﴿وَعَمِلُوا﴾ الأعمال ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ بتعليمه وهدايته ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ التي بعضها فوق بعض كالكفر والشبهات والجهل والأخلاق النميمة والشهوات المردية ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الذي هو كمال الإيمان الحقيقي والعلم والمعرفة الكاملة بالله والأخلاق الحميدة والصفات الجميلة.

قيل: إن المراد بالذين آمنوا الذين يؤمنون على استعمال الماضي في المستقبل المحقق الوقوع، أو المراد من الظلمات الظلمات التي تحدث بعد الإيمان^١.

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ
الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ
قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [١١ و ١٢]

ثُمَّ حَتَّ سبحانه الناس إلى الإيمان والعمل الصالح ببيان حُسن عاقبتهما بقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ إيماناً خالصاً من شَوْبِ النفاق ﴿وَيَعْمَلْ﴾ عملاً ﴿صَالِحاً﴾ خالصاً من الرِيَاء والسُّمْعَةِ والعُجْبِ ﴿يُدْخِلْهُ﴾ الله في الآخرة ﴿جَنَّاتٍ﴾ ذات قصور وأشجار كثيرة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الكثيرة حال كونهم ﴿خَالِدِينَ﴾ ومقيمين ﴿فِيهَا﴾ لا يُخْرَجُونَ منها ﴿أَبَدًا﴾ وهو تأكيدٌ للخلود، لأن لا يَتَوَهَّمُ أن المراد المكث الطويل المنقطع ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ﴾ في تلك الجَنَّات ﴿رِزْقًا﴾ واسعاً وافراً من

نعم الجنة. قيل: فيه معنى التعجب والتعظيم، والمعنى ما أحسن رزقهم الذي رزقهم الله، وما أعظمه^١ وقيل: إن المراد بالرزق الطاعة في الدنيا والثواب في الآخرة^٢.

ثم لما بين سبحانه حسن المجازاة على الايمان والعمل الصالح، ذكر الناس كمال قدرته بقوله: ﴿اللَّهُ﴾ تعالى هو ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ بقدرته الكاملة ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ سوى العرش والكرسي بعضها فوق بعض كالقبة، ﴿وَهُوَ خَلَقَ مِنْ جَنَسِ الْأَرْضِ﴾ بعدد السماوات و﴿مِثْلَهُنَّ﴾ في كونهن طباقاً متلاصقة.

قيل: إن المراد من الأراضي السبعة الأقاليم السبعة على حسب سبع سموات وسبع كواكب، فإن لكل واحد منها خواصاً تظهر في كل إقليم، فتصير الأرض بهذا الاعتبار سبعة^٣.

وفي رواية عن الرضا عليه السلام: «أَنَّ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ قُبَّةٌ عَلَيْهَا، وَأَنَّ الْأَرْضَ الثَّانِيَةَ فَوْقَ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَالسَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَوْقَهَا قُبَّةٌ، وَهَكَذَا إِلَى السَّابِعَةِ مِنْهُمَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾»^٤.

﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ﴾ من الله في السماوات السبع والأرضين السبع و﴿يَبْتَلِيَنَّ﴾ ويسجري حكمه وقضاؤه فيهن، وإنما خلق ما خلق وأنفذ في كل شيء قضاءه وقدره ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ يا بني آدم ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ الذي خلقكم وخلق الموجودات ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الابداء والإعدام والإعادة والبعث والحساب والجزاء بالثواب والعقاب في الآخرة ﴿قَدِيرٌ﴾ ومقتدر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ الخالق لكل شيء ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ خلقه ﴿عِلْمًا﴾ وإطلاعا وخبراً، فأطيعوا أوامره ونواهيه، ولا تخالفوا أحكامه، واخضعوا لعظمته، وخافوا عقوبته.

عن ابن عباس لما سئل عن هذه الآية قال: لو فسرتها لقطعوا حلقومي، أو رجموني^٥. أقول: فيه إشارة إلى ما فيها من الأسرار الغامضة التي تعلمها من أستاذه أمير المؤمنين عليه السلام. عن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الطَّلَاقِ وَالتَّحْرِيمِ فِي فَرَائِضِهِ أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِمَّنْ يَخَافُ وَيَحْزَنُ، وَعَوْفِي مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِتَلَاوَتِهِ إِيَّاهُمَا، وَمَحَافَظَتِهِ عَلَيْهِمَا، لِأَنَّهُمَا لِلنَّبِيِّ ﷺ»^٦.

١. تفسير روح البيان ٤٢: ١٠ و ٤٣.

٢. تفسير الرازي ٣٩: ٣٠.

٣. تفسير الرازي ٤٠: ٣٠.

٤. تفسير القمي ٣٢٩: ٥، تفسير الصافي ١٩٢.

٥. تفسير روح البيان ٤٧: ١٠.

٦. ثواب الأعمال: ١١٩، مجمع البيان ٤٥٤: ١٠، تفسير الصافي ١٩٢: ٥.

[illegible][illegible]

the 1990s, the number of people in the world who are under 15 years of age is expected to increase from 1.1 billion to 1.5 billion. The number of people aged 65 and over is expected to increase from 200 million to 400 million. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion.

في تفسير سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ [٢٠١]

ثُمَّ لَمَّا خُتِمَت سُورَةُ الطَّلَاقِ الْمُتَضَمِّنَةُ لِأَحْكَامِ طَلَاقِ النِّسَاءِ، وَتَهْدِيدِ الْكُفَّارِ عَلَى مُخَالَفَةِ أَحْكَامِهِ، وَتَعْظِيمِ شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ، تُنْظِمَتِ سُورَةُ التَّحْرِيمِ الْمُتَضَمِّنَةُ لِبَيَانِ حُكْمِ تَحْرِيمِ الزَّوْجَةِ بِالْحَلْفِ عَلَى تَرْكِ مَقَارِبَتِهَا، وَتَهْدِيدِ الْكُفَّارِ، وَتَعْظِيمِ الرَّسُولِ ﷺ وَوَعْدِهِ بِالنُّصْرَةِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَغَيْرِهَا مِنْ جِهَاتِ الْإِرْتِبَاطِ، فَافْتَتَحَهَا بِذِكْرِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى كَمَا خَاطَبَ نَبِيَّهُ ﷺ فِي السُّورَةِ السَّابِقَةِ بِصِفَةِ النَّبُوَّةِ إِجْلَالاً لَهُ عِنْدَ ذِكْرِ حُكْمِ تَحْرِيمِ الزَّوْجَةِ بِالطَّلَاقِ، خَاطَبَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَيْضاً بِصِفَةِ النَّبُوَّةِ عِنْدَ بَيَانِ حُكْمِ تَحْرِيمِ الزَّوْجَةِ بِالْحَلْفِ عَلَى تَرْكِ مَقَارِبَتِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَأَيِّ عِلَّةٍ تَجْعَلُ مَمْنُوعَ الْإِنْتِفَاعِ ﴿مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ مِنَ النِّسَاءِ بِالْيَمِينِ عَلَى تَرْكِ الْمَقَارِبَةِ، أَوْ الْعَسَلِ بِالْحَلْفِ عَلَى تَرْكِ شُرْبِهِ ﴿تَبْتَغِي﴾ وَتَطْلُبُ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ عَلَى نَفْسِكَ ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ وَطِيبَ قُلُوبِهِنَّ مَعَ عَدَمِ قَابِلِيَّتِهِنَّ لِأَنَّهُ تَطْلُبُ رِضَاهُنَّ، بَلْ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَطْلُبْنَ رِضَاكَ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِرِعَايَتِكَ مَا لَا يَحِبُّ اللَّهُ رِعَايَتَهُ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِكَ بِإِعْطَانِكَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ عَلَى تَحْمَلِ مَشَاقِّ صُحْبَتِهِنَّ وَإِذْنَانِهِنَّ ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ وَمُخَالَفَةَ حَلْفِكُمْ عَلَى تَرْكِ الْإِسْتِمْتَاعِ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴿وَاللَّهُ﴾ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ وَنَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ جَمْلَتِهِمْ أَزْوَاجُكُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ... عَدُوًّا لَكُمْ﴾، ﴿وَهُوَ﴾ تَعَالَى ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِمَصَالِحِكُمْ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي أَعْمَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَفِي خُطَابِ النَّبِيِّ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ كَمَالِ تَعْظِيمِهِ.

رَوَى الْعَامَّةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَلَا بِمَارِيَةِ الْقَيْطِيَّةِ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمُقَوْسُ مَلِكُ مِصْرَ فِي يَوْمِ عَائِشَةَ

ونوبتها، وعلمت بذلك حفصة، فقال ﷺ: «اَكْمِي عَلِيَّ وَلَا تَعْلَمِي عَائِشَةَ، فَقَدْ حَزَمْتُ مَارِيَةَ عَلَى نَفْسِي، وَأَبْشُرُكَ أَنْ أَبَاكَرَ وَعَمْرٌ يَمْلِكُنَ بَعْدِي أَمْرَ أُمَّتِي» فَأُخْبِرَتْ بِهِ عَائِشَةُ، وَلَمْ تَكْتُمْ، وَكَانَتَا مُتَصَادِقَتَيْنِ مُتَظَاهِرَتَيْنِ عَلَى سَائِرِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ^١.

وقيل: خلا بها في يوم حفصة حيث استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها في يومها، فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى أُمِّ وَلَدِهِ مَارِيَةَ فَأَدْخَلَهَا بَيْتَ حَفْصَةَ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَجَعَتْ حَفْصَةُ وَجَدَتْ الْبَابَ مَغْلَقًا، فَجَلَسَتْ عِنْدَ الْبَابِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَجْهَهُ يَقَطُرُ عَرَفًا وَحَفْصَةُ تَبْكِي فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَذْنْتُ لِي مِنْ أَجْلِ هَذَا، أَدْخَلْتَ أُمَّتَكَ بَيْتِي ثُمَّ وَقَعْتَ عَلَيْهَا فِي يَوْمِي عَلَى فِرَاشِي! فَلَوْ رَأَيْتَ لِي حَقًّا وَحُرْمَةً مَا كُنْتُ تَصْنَعُ هَذَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَيْسَ هِيَ جَارِيَتِي، أَحْلَاهَا اللَّهُ لِي، اسْكُتِي فَهِيَ حَرَامٌ عَلَيَّ، التَّمَسْ بِذَلِكَ رِضَاكَ، فَلَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَمْرَةً مِنْهُنَّ». فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرَعَتْ حَفْصَةُ الْجِدَارَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: أَلَا أَبْشُرُكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ حَزَمَ عَلَيْهِ أُمَّتَهُ مَارِيَةَ، وَقَدْ أَرَاكِهَا اللَّهُ مِنْهَا، وَأُخْبِرْتَ عَائِشَةَ بِمَا رَأَتْ، وَلَمْ تَكْتُمِ، فَطَلَّقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَرِيقِ الْجَزَاءِ عَلَى إِفْشَاءِ سِرِّهِ، وَاعْتَزَلَ نِسَاءَهُ، وَمَكَثَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً فِي بَيْتِ مَارِيَةَ^٢.

وقيل أقسم أن لا يدخل عليها شهرًا من شدة موافقته عليهن حتى نزلت الآية، ودخل عمر على بنته وهي تبكي، فقال: أطلقك رسول الله؟ فقالت: لأدرى، هو ذا معتزل في هذه المَشْرِئَةِ^٣ - وفي رواية، قال لها: لو كان في آل الخطاب خيرٌ لما طَلَّقَكَ - قال عمر: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مَتَكِيٌّ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْتُ: أَطَلَقْتَ نِسَاءَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لَا». فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، لَوْ رَأَيْتُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا يُغْلِبُهُمْ نِسَاءُهُمْ، وَطَفِيقُنْ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ^٤.

وروي بعضهم أنه ﷺ كان كلما دخل على زينب بنت جحش شرب العسل، ولذا كان يُكَبِّرُ وَقُوفَهُ عِنْدَهَا، فَنَوَاطِئُ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، فَقَالَتَا لَهُ: إِنَّا نَشْمُ مِنْكَ رِيحَ الْمَغَافِرِ، وَالْمَغْفُورُ: صَمْعٌ حُلُو الطَّعْمِ كَرِيَةِ الرَّائِحَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْرِهُ الرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ، فَحَرَّمَ الْعَسَلَ^٥.

وعن القمي، قال: كان سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كلما ذهب في بيوت نسائه، كانت مارية القبطية معه تخدّمه، وكان ذات يوم في بيت حفصة، فذهبت حفصة في حاجة لها، فتناول رسول الله ﷺ من مارية، فعلمت حفصة بذلك، فغضبته وأقبلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله،

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٧.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤٧.

٣. المَشْرِئَةُ: الْغُرْفَةُ.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٤٨.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٤٨.

في يومي وداري وعلى فراشي! فاستحيا رسول الله ﷺ فقال: «كُفِّي وقد حرمت مارية على نفسي، ولا أطاها بعد هذا أبداً، وأنا أفضي إليك سرّاً إن أنت أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». فقالت: نعم ما هو؟ قال: إن أبابكر يلي الخلافة بعدي، ثم بعده أبوك عمر».

فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك، وأخبرت عائشة أبابكر، فجاء أبوبكر إلى عمر، فقال له: إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ولأنت بقولها، فاسأل أنت حفصة، فجاء عمر إلى حفصة فقال لها: ما هذا الذي أخبرت عنك عائشة؟ فانكرت حفصة ذلك، وقالت: ما قلت لها من ذلك شيئاً. فقال لها عمر: إن [كان] هذا حقاً فأخبرينا حتى نتقدم فيه. فقالت: نعم، قد قال [ذلك] رسول الله ﷺ... الخبر.

وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ
بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَتْ مَنَ أَنْتَ هَذَا قَالَ تَبَيَّنَ الْأَعْلَمُ
الْخَبِيرُ [٣]

ثم شرع سبحانه في تفضيح بعض نساء النبي ﷺ التي طلب رضاها بتحريم مارية بقوله: «وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ» والمعنى اذكروا أيها المسلمون وقتاً أفضى النبي ﷺ «إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ» وهي حفصة «حَدِيثاً» وكلاماً خفياً من غيرها، وأمرها بكتمانه وإخفائه عن سائر أزواجه، فخالفت النبي ﷺ وعصته، وأخبرت به عائشة «فَلَمَّا تَبَيَّنَ» عائشة بسر النبي ﷺ أخبرتها «بِهِ» لمصادقة كانت بينهما، وأخبر الله نبيه ﷺ بإفشاء حفصة سره «وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ» بتوسط جبرئيل «عَلَيْهِ» بلا ريب وتأخير «عَرَفَ» النبي ﷺ حفصة وأعلمها بإفشائها سره، ولكن لأكله، بل «بَعْضَهُ» وهو تحريمه مارية على نفسه «وَأَعْرَضَ» ﷺ «عَنْ بَعْضٍ» ولم يقل لها: إنك أخبرت بأن أبابكر وعمر يليان الخلافة بعده كراهة انتشاره بين الناس، وتكرماً منه وجلماً «فَلَمَّا» أخبرها النبي ﷺ بخيانتها وعصيانها و «تَبَيَّنَ لَهُ» معترضاً عليها «قَالَتْ» حفصة «مَنْ أَنْتَ هَذَا» العيصان، وأخبرك بهذه الخيانة مني «قَالَ» النبي ﷺ «تَبَيَّنَ» الله «الْأَعْلَمُ» بالأسرار و «الْخَبِيرُ» بخفايا الأمور. أقول: فيه دلالة على إخباره بالغيب، وهو من معجزاته.

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ

أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ تَائِبَاتٍ صَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا [١٥هـ]

ثم وجه سبحانه الخطاب إلى المرأتين العاصيتين تشديداً للعتاب لهما بقوله: ﴿إِنْ تَتُوبَا﴾ يا عائشة ويا حفصة من خيانتكما وعصيانكما ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وتستغفرانه فهو خيرٌ لكما ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ وأعرضت ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ عن الله وطاعته وبرغبتكما إلى إيذاء نبيه ﷺ ﴿وَرِنْ﴾ لم تتوبا و ﴿تَنَظَّهَرَا﴾ وتعاونوا ﴿عَلَيْهِ﴾ وتواطئا على إيذائه، فإنه لا يُبالي بكما، لأن له مظاهراً ومعاوناً أقوى من جميع أهل العالم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ الغالب القاهر ﴿هُوَ﴾ بالخصوص ﴿مَوْلَا﴾ وناصره قبل كل شيء، لأنه حبيبه وصفته ﴿وَو﴾ بعده ﴿جَبْرِيلُ﴾ رئيس الكروبيين، وأقوى الملائكة ناصره ﴿وَو﴾ بعدهما ﴿صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وسيدهم علي بن أبي طالب ﷺ ناصره بنفسه وماله، كما عن مجاهد^١ والباقر ﷺ^٢، ويؤيده حديث المنزلة^٣.

وعن الباقر ﷺ «لقد عرّف رسول الله ﷺ علياً ﷺ أصحابه مرتين؛ أمّا مرةً فحيث قال: من كنت مولاة فعلي مولاة، وأمّا الثانية فحيث ما نزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَا وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أخذ رسول الله ﷺ بيد علي ﷺ وقال: أيها الناس، هذا صالح المؤمنين.» وقالت أسماء بنت عميس: سمعت النبي ﷺ يقول: «﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ علي بن أبي طالب»^٤ فما نسبته العامة إلى ابن عباس من أن المراد أبو بكر وعمره فريّة لا اعتداد بها، مع أن مولاة لا بد أن يكون أقوى الناس لأضعفهم.

وقيل: إن المراد خيار المؤمنين. وقيل: من برئ منهم من النفاق. وقيل: عموم اصحابه. وقيل: جميع الأنبياء^٥.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ كلهم ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ المذكورين ﴿ظَهِيرٌ﴾ ومعاوناً له على أعدائه، فلا يُبالي بكيد امرأتين ضعيفتين من له أولئك الظُهوراء. ثم خوفهن سبحانه بقوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ﴾ ويرجى منه أن النبي ﷺ ﴿إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ وأخرجكن من جباله نكاحه ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ﴾ الله ويَعُوْضَهُ مِنْكُمْ ﴿أَزْوَاجًا﴾ آخر ﴿خَيْرًا﴾ له وأفضل ﴿مِنْكُمْ﴾ من جهة كونهن ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ بالسّهن، أو مفادات بجوارحهن ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ ومخلصات أو مصدقات بقلوبهن ﴿قَائِمَاتٍ﴾ ومطيعات أو خاضعات لله ولرسوله

١. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٤٤.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٧٧، تفسير الصافي ٥: ١٩٥.

٥. مجمع البيان ١٠: ٤٧٥، تفسير الصافي ٥: ١٩٥.

٦. تفسير الرازي ٣٠: ٤٤.

﴿تَائِبَاتٍ﴾ من زَلَّاتِهِنَّ، و ﴿عَائِدَاتٍ﴾ لله مواضبات على الصلوات، أو متذلللات لأوامر الرسول
﴿صَائِحَاتٍ﴾ وصائحات، يكون بعضهن ﴿نُفِثَاتٍ وَ﴾ بعضهن ﴿أَبْكَارًا﴾ كما أن في أزواجه نثبات
وبكر.

في فضيحة عائشة أقول: في ذكر الصفات في مقام بيان خيرية الأزواج إشعاراً بعدم اتصاف عائشة
وحفصة وردة وحفصة وردة بعض العامة
الرازي بآية ﴿الطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ﴾^١ على كون عائشة مبرأة من جميع العيوب^٢،
والظاهر أن الله تبارك وتعالى أنزل السورة لتفسيحهما بين المؤمنين بكونهما مؤذيتين للنبي ﷺ
ومتظاهرتين عليه، كما أنزل سورة المنافقين لتفسيح عبد الله بن أبي وأصحابه بين المؤمنين بكفرهم
ومعارضتهم للنبي، فلا يُعَبَأُ بما روته العامة من أن النبي ﷺ لما طلق حَفْصَةَ قال له جَبْرِئِيلُ: ارجع
إليها، فإنها صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ^٣، مع كون النبي ﷺ أعلم بحالها من غيره، وإنما رجع إليها لدخالتها في الفتنة
بعد الرسول ﷺ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [٦]

ثم لما ذكر سبحانه عصيان زوجتي النبي ﷺ وأمرهما بالتوبة أمر المؤمنين بحفظ نساءهم
وأولادهم وأقربائهم من العصيان بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا﴾ واحتفظوا ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بطاعة الله
وترك عصيانه ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ من أزواجكم وأولادكم وأقاربكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والنصح والعظة ﴿نَارًا﴾ مُوقِدَةٌ التي ﴿وَقُودُهَا﴾ وحطبها ما تشتعل به ﴿النَّاسُ﴾ الكُفْرَةُ والعصاة
﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ عن ابن عباس هي حجارة الكبريت؛ لأنها أشد الأشياء حرّاً إذا أوقد عليها^٤. وقيل:
حجارة الأصنام^٥. وقيل: الذهب والفضة الذين أصلهما الحجر^٦.

تسلط ﴿عَلَيْهَا﴾ بأمر ربها تسعة عشر ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ﴾ أجرامهم وقلوبهم، أو غلاظ أقوالهم
﴿شِدَادٌ﴾ وجفاة وتحشن على أعداء الله، لم يخلق فيهم رحمة ورقة، مطيعون لأمر الله ﴿لَا يَعْصُونَ
اللَّهَ﴾ ولا يخالفون ﴿مَا أَمَرَهُمْ﴾ الله في تعذيب أعدائه ومخالفه أحكامه ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ من
أنواع العذاب من غير توانٍ وتأخير، وبلا زيادة ونقصان.

١. النور: ٢٦/٢٤. ٢. تفسير الرازي ٢٣: ١٩٥.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٤١، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨. ٤. تفسير الرازي ٣٠: ٤٦.

٥. تفسير روح البيان ١٠/٥٩. ٦. تفسير روح البيان ١٠/٥٩.

في الحديث «رَجِمَ الله رجلاً قال: يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم، لعل الله يجمعكم معهم في الجنة»^١.

عن الصادق عليه السلام: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ جُلَسَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْكِي، وَقَالَ: عَجَزْتُ عَنْ نَفْسِي، وَكَلَّفْتُ أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَسْبُكَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِمَا تَأْمُرُ نَفْسَكَ، وَتَنْهَاهُمْ عَمَّا تَنْهَى عَنْهُ نَفْسُكَ»^٢.

وعنه عليه السلام: قيل له: هذه نفسي أفيها، فكيف أفي أهلي؟ فقال: «تَأْمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَتَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ، فَانْطَاعُوكَ وَقَتَيْتَهُمْ، وَإِنْ عَصُوكَ كُنْتَ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ»^٣.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [٧]

ثم إنه تعالى بعد أمر المؤمنين بحفظ أنفسهم وأهليهم من النار، هدّد الكفار بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والتقدير على ما قيل: يقال لكم حين إدخالكم النار يوم القيامة وإرادتكم الاعتذار عن كفركم وعصيانكم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ في هذا ﴿الْيَوْمَ﴾ الذي هو يوم الجزاء بعد إتمام الحجة عليكم بتوسط الرسل في الدنيا، وتبليغ الأوامر والنواهي إليكم بأبلغ بيان، فلم يبق لكم عذر قابل للقبول مفيد بحالكم ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ﴾ اليوم ﴿مَا كُنْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾ وترتكبون من الكفر والطغيان والفسق والعصيان بلا زيادة ولا نقصان.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُوْرُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [٨]

ثم علم الله سبحانه المؤمنين طريق الخلاص من العذاب والاعتذار من العيصان بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ من معاصيكم وزلاتكم في الدنيا قبل معاينة الآخرة وانسداد باب التوبة ﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ لا رجوع بعدها إلى ما ارتكبتم من الذنب، واعتذروا إلى الله مما فرط منكم من العيصان مع الندم عليه ندامة شديدة مستلزمة للعزم الأكيد على أن لا تعودوا إليه أبداً.

١. جوامع الجامع: ٤٩٩، تفسير روح البيان ١٠: ٥٨. ٢. الكافي ٥: ١٧٢، تفسير الصافي ٥: ١٩٦.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٧٧، وتفسير الصافي ٥: ١٩٦، عن الصادق عليه السلام. ٤. تفسير روح البيان ١٠: ٦٠.

في شرائط قبول روى بعض العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سمع أعرابياً يقول: اللهم إني استغفرك
التوبة وأتوب إليك. فقال: «يا هذا: إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين» قال: فما التوبة؟

قال: «إن التوبة يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب الندامة، وللغرائض
الإعادة، وردّ المظالم، والاستحلال من الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في
طاعة الله كما ربيتها في المعصية، وأن تذيبها مرارة الطاعة كما أذقتها حلالة المعاصي»^١.

عن الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ عن هذه الآية، فقال عليه السلام: «يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه»^٢.
وفي رواية: قيل له: وأيتنا لا يعود؟ فقال: «إن الله يُحب من عباده المُتَعَتِّين التَّوَاب»^٣.

وعن الكاظم عليه السلام في هذه الآية، قال: «يتوب العبد ثم لا يرجع فيه، وأحبّ عباد الله إلى الله: المُتَعَتِّين
التائب»^٤.

وعن الصادق عليه السلام: «التوبة النُّصوح أن يكون باطن الرجل كظاهره، بل أفضل»^٥.
ثم بيّن سبحانه فائدة التوبة بقوله: «عَسَىٰ رَبُّكُمْ» ويُرْجى من خالقكم اللطيف بكم «أَن يُكَفِّرَ»
ويستُر «عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» وخطيئاتكم.

عن الصادق عليه السلام: «إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أحبه الله فيستر عليه في الدنيا والآخرة» قيل: وكيف
يستر عليه؟ قال: «يُنسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب، ويُوحي إلى جوارحه: اكتمى عليه ذنوبه،
ويُوحي إلى بقاع الأرض: اكتمى ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله وليس شيء يشهد عليه
بشيء من الذنوب»^٦.

«وَيُذْخِلْكُمْ» برحمته «جَنَّاتٍ» ذات قصور وأشجار كثيرة «تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» قيل:
ذكر سبحانه الوعد بصيغة الإطماع جرياً على عادة الملوك، وإشعاراً بأنه تفضّل، ولأنّ العبد ينبغي أن
يكون بين الخوف والرجاء^٧، وذلك اللطف بالمؤمنين وإدخالهم الجنة يكون في يوم القيامة، وهو
يكون «يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ» ولا يفضح، أو لا يُخْجَل «النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا» به حال كونهم «مَعَ»
ومصاحبه «نُورُهُمْ» وضياء إيمانهم وطاعاتهم كشعاع الشمس «يُسْعَىٰ» ويسير بسرعة على
الضُّرَاط «بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» وقُدَامِهِمْ «وَبِأَيْمَانِهِمْ» وشمالهم.

قيل: إن المراد من جميع جوانبهم وجهاتهم، وإنما اكتمى سبحانه بذكر الجهتين لأنهما أشرف الجهات،

١. تفسير روح البيان ١٠: ٦١. ٢. الكافي ٢: ٣/٣١٤، تفسير الصافي ٥: ١٩٦.

٣. الكافي ٢: ٣/٣١٤، تفسير الصافي ٥: ١٩٦، والمفتن: المُتَعَتِّين، يمتحنه الله بالذنوب ثم يتوب، ثم يعود ثم يتوب.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٧٧، تفسير الصافي ٥: ١٩٦. ٥. معاني الأخبار: ٣/١٧٤، تفسير الصافي ٥: ١٩٦.

٦. الكافي ٢: ١/٣١٤، تفسير الصافي ٥: ١٩٧. ٧. تفسير روح البيان ١٠: ٦٤.

أولاً لأهل السعادة يُؤتون صحائفهم من الجنة^١.

عن الباقر عليه السلام: «من كان له نور يومئذ نجا، وكل مؤمن له نور»^٢.

وعن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: «يسعى [أئمة] المؤمنين يوم القيامة بين أيدي المؤمنين وبأيمانهم حتى يُنزلوهم منازلهم في الجنة»^٣.

وهم مع ذلك «يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» قيل: هذا قول بعض المؤمنين، وهم الذين يجوزون على الصراط حبواً وزحفاً^٤ وقيل: يدعو كلهم تقريباً إلى الله مع تمام نورهم^٥. وقيل: إن المراد من الاتمام الإبقاء حتى يدخلوا الجنة ويردوا دارالسلام^٦.

عن ابن عباس: يقولون ذلك عند انطفاء نور المنافقين إشفاقاً^٧.

وقيل: إن أديانهم منزلة من نوره بقدر ما يبصر مواطن قدمه، لأن النور على قدر الأعمال^٨.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحَ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ [١٠ و ٩]

ثم لما بدأ السورة بالخطاب إلى النبي ﷺ، ختم سبحانه الخطابات بالخطاب إليه بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ» بالسيف والسنان «وَالْمُنَافِقِينَ» بالحجة والبرهان، وبالتهديد بالفضيحة والخذلان «وَاغْلُظْ» وشدد وأخشن «عَلَيْهِمْ» فيما يجاهد الفريقين من القتال والمحااجة حتى تضييق عليهم الدنيا، وأنا حكمت بأن منزلهم «وَمَأْوَاهُمْ» في الآخرة «جَهَنَّمُ» التي أعدت للكفار «وَر» هي «بِئْسَ الْمَصِيرُ» والمرجع في الآخرة، فلا يكون لهم دنيا ولا آخرة.

ثم لما بين سبحانه خيانة زوجتي النبي ﷺ وعصيانهما إياه في أول السورة، بين سبحانه عدم انتفاعهما بصحبته، وعدم استفادتهما من كونهما من أزواجه، بتمثيل حالهما بزوجة نوح وزوجة لوط بقوله: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا» وبين حالهم الغريبة التي تشابه المثل في الغرابة بتذكيركم حال واعلة التي هي «امْرَأَةٌ نُوحَ» وأهله «وَامْرَأَةٌ لُوطٍ» فانهما «كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا

٢. تفسير القمي ٢: ٣٧٨، تفسير الصافي ٥: ١٩٧.

٤ و ٥. تفسير الرازي ٣٠: ٤٨.

٧ و ٨. تفسير الرازي ٣٠: ٤٨.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٦٥ و ٦٦.

٣. مجمع البيان ١٠: ٤٧٨، تفسير الصافي ٥: ١٩٧.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٦٦.

ورُفِعَ عنها ألم العذاب فَصَجَّكَت، فقال الكفار: هي مجنونة لأنها تضحك وهي في العذاب^١، ثم طارت روحها إلى جوار رحمة الله.

وعن الضحَّاك: أمر فرعون أن يُلْقَى عليها حَجَرٌ رَحَى، وهي في الأوتاد، فقالت رب ابن لي... إلى آخره فلم يَصِلْ الحَجَرُ حَتَّى رَفَعَ رُوحَهَا إلى الجَنَّةِ، فَأُلْقِيَ الحَجَرُ عليها بعد خروج رُوحها، فلم تجد أَلماً^٢.

ثم بَيَّن سبحانه حُسن حال المؤمنات اللاتي لازوج لَهُنَّ بتمثيلهنَّ بمريم بنت عمران بقوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ أم عيسى ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ﴾ وَحَفِظَتْ ﴿فَرْجَهَا﴾ من مَساس الرجال حراماً وحالاً على أكد حفظ، وقيل: يعني طهرت ذيلها من ريبة الفجور ﴿فَنَفَخْنَا﴾ في جَنِّهَا بتوسط جَبْرئيل، وأدخلنا ﴿فِيهِ﴾ كالريح من الروح العظيم الشأن الذي يَصْخُ أن تقول تشريعاً: إِنَّهُ ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ وقيل: إنَّ المراد بالروح جَبْرئيل^٣، والمعنى فنفخنا في جَنِّهَا من جَبْرئيل ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ عن صميم القلب ﴿بِكَلِمَاتٍ رَبِّهَا﴾ المنزلة على الأنبياء، أو المراد بالبشارات التي بُشِّرَ بها جَبْرئيل ﴿وَوَكَّيْنَاهُ﴾ المنزلة من السماء كُصِّفَ شَيْث وإبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وغيرها ﴿وَوَكَّانَتْ﴾ واحدة ﴿مِنَ الْفَائِزِينَ﴾ والخاصين بالله، أو من المطيعين والمعتكفين في المسجد الأقصى، وعدّها من الرجال القانتين للإشعار بعدم قُصور عبادتها عن عبادة الأنبياء.

روت العامة عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَمُلَ من الرجال كثيرٌ، ولم يكْمُلْ من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ»^٤.
قيل: جمعه الله في التمثيل بين التي لها زوج والتي لازوج لها تسليّة للأرامل وتطيباً لأنفسهن^٥.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٦٩.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٦٩.

٣ و٤. تفسير روح البيان ١٠: ٧١.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٧٠.

في تفسير سورة الملوك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ [١ و ٢]

ثم لما حُتِمَت سورة التحريم المشتملة على اظهار غاية التعظيم لنبيه واللفظ به وبالمؤمنين وتهديد الكفار بالعذاب وانقطاع عُذرهم في الآخرة، أردفت بسورة الملوك المشتملة على بيان سلطته المطلقة في عالم الوجود، وكمال قدرته، وتهديد الكفار بورودهم في النار، وانقطاع عُذرهم واعترافهم باستحقاقهم العذاب، وإبطال قولهم بإنكار المعاد، وإظهار اللطف بالمؤمنين، فافتتحها بذكر الأسماء المباركات بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها ببيان عظمة ذاته المقدسة وكثرة خيره وكمال قدرته بقوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ وتعالى وتعظم، أو كثر خير الإله ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾ وتحت قدرته وسلطته ﴿الْمُلْكُ﴾ وعالم الوجود من العلويات والسفليات، يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، ويحكم فيه كيف أراد بلا ضِدٍّ ولا يَنْدُ ولا معارض ولا معاضد ﴿وَهُوَ﴾ في ملكه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الابداء والإعدام والعطاء والمنع والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة وغيرها ﴿قَدِيرٌ﴾.

ثم بين سبحانه آثار قدرته وسلطانه بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ وقدر بقدرته وحكمته ﴿الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ لكل ما قبلهما.

عن ابن عباس: أن الموت والحياة جسمان، وأن الله خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلفاء^١، وهي التي كان جبرئيل والأنبياء يركبونها، حُطَّتْهَا مَذَّ البصر، فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها [شيء] إلا حيي، وهي التي أخذ السامري من أثرها قبضةً فألقاها على العجل فحيي^٢.

١. الفرس البلقاء: التي فيها سواء وبياض.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٧٤.

تحقيق في الموت وبيان نكسته وتقديمه على الحياة

أقول: ظاهر ما ذكره أن الموت المخلوق هو حيوان يُشبه الكبش الأملح، وأثر قربه ورائحته في الشيء الحي هو عروض الموت عليه، كالتسمّ وسائر الأشياء المهلكة،

وهو غير الموت الذي يعرض للأشياء الحية، فالموت الذي هو من العوارض الوجودية على قول والعدمية على القول الحقّ غير ذلك الموت الذي هو مخلوقٌ وصورته في عالم الصور والمثال صورة الكبش، فلا دلالة لكلام ابن عباس على صحّة أحد القولين.

والحقّ أنّ المفهوم من لفظ الموت الذي يكون في قبال الحياة في الاستعمال الشائع، هو من العدميات التي لها شائبة الوجود، ويسمّى بالعدم والملكة والعدم المضاف، وهو يتحقّق بانتفاء علّة الحياة، فإنّ عدم علّة الوجود علّة للعدم، وقبض ملك الموت الروح من الجسد سبب لطوّ الموت عليه، ويمكن أن تكون صورته المثالية البرزخية صورة الكبش الأملح التي يؤتى بها يوم القيامة، ويذبحه يحيى بن زكريا على رواية^١.

وهذا المعنى الذي للموت مخلوقٌ يتبع خلق الحياة، كما أنّ خلق الليل الذي عدم النور فوق الأرض إنّما يكون يتبع خلق النهار، فإنّ ذهاب الشمس من فوق الأرض وعدمها منه علّة لظلمة الليل، وعليه يكون معنى خلق الموت والحياة جعل الروح في القالب وسلبه منه، وهذا هو الموت الذي يكون بعد الحياة، كما عن الباقر عليه السلام: «أنّ الله خلق الحياة قبل الموت»^٢. وأما الموت الذي هو فقد الحياة وعدمها، كما يكون للنطفة وللأرض الميتة، فهو قبل الحياة.

فتحصّل ممّا ذكر أنّ الموت بالمعنى الأعمّ عديمي صرف لا يحتاج إلى السبب، وأما الموت الذي هو زهاق الروح فهو مسبّب عن ذهاب مقتضى الحياة بنفسه أو وجود ما هو ضدها، وعليه يمكن حمل ما عن الباقر عليه السلام من قوله: «الحياة والموت خلّقان من خلق الله، فإذا جاء الموت فدخل في الإنسان، لم يدخل في شيء إلا خرجت منه الحياة»^٣ وحمل دخول الموت على دخول ما هو مانع الحياة، وإن كان ظاهره مقررّاً لما قاله الأشاعرة من أنّ الموت والحياة صفتان وجوديتان مستدلّين عليه بالآية المباركة، إلّا أن يقال: إنّ اتّصاف الجسم بالموت (والسكون) مثلاً وتقيد به أمرٌ وجوديّ كالحياة.

وعلى أيّ تقدير قيل في وجه تقديم ذكر الموت: إنّ المراد به حال النطفة والعلقّة والمضغة، وبالحياة نفخ الروح^٤.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٥٥، تفسير روح البيان ١٠: ٧٥.

٢. الكافي ٨: ١١٦/١٤٥، تفسير الصافي ٥: ٢٠٠.

٣. الكافي ٣: ٣٤/٢٥٩، تفسير الصافي ٥: ٢٠٠.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٥٥.

وعن ابن عباس، قال: يزيد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة، وفي معناه ما قيل من ان أيام الموت هي أيام الدنيا وهي من قضيته وأيام الحياة هي أيام الآخرة وهي متأخرة^١.

وقيل: إن أقوى الدواعي للعمل كون الموت تُصب العين، وإنما قَدِم الموت لأن الغرض - وهو البعث على العمل فيه - أهم^٢.

عن النبي ﷺ: «أَكثِرُوا ذَكَرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ» [وقال لقوم «لو أكثرتم ذكر هادم اللذات» كَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى^٣].

وَرَوَى أَنَّهُ ﷺ سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ فَقَالَ: «كَيْفَ ذَكَرَهُ الْمَوْتُ؟» قَالُوا: قَلِيلٌ. قَالَ: «فَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ»^٤.

وفي الحديث: «لَوْلا ثَلَاثٌ مَا طَاطَأَ ابْنُ آدَمَ رَأْسُهُ: الْفَقْرُ، وَالْمَرَضُ، وَالْمَوْتُ»^٥.

والى ما ذكر أشار سبحانه بقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ويختركم ويُعَلِّمُكُمُ بِسَبَبِ خَلْقِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ﴿أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فَيَجْازِيكُمْ عَلَى اخْتِلَافِ الْمَرَاتِبِ.

عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؟» ثُمَّ قَالَ: «أَتَمَّكُمْ عَقْلًا أَشَدَّكُمْ لَهَ خَوْفًا، وَأَحْسَنَكُمْ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ نَظَرًا»^٦.

وفي رواية قال: «أَتَيْكُمْ أَزْهَدٌ فِي الدُّنْيَا، وَأَشَدَّكُمْ تَرَكًّا لَهَا»^٧.

وفي رواية قال: «أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَقْلًا، وَأَوْعَى عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، وَأَسْرَعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ»^٨.

وعن الصادق عليه السلام: «لَيْسَ يَعْْنِي أَكْثَرُكُمْ عَمَلًا، وَلَكِنْ أَصَوْبُكُمْ عَمَلًا، وَإِنَّمَا الْإِصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ وَالْيَتَّةُ الصَّادِقَةُ...»^٩ الخبر.

﴿وَهُوَ﴾ تَعَالَى وَحْدَهُ ﴿الْعَزِيزُ﴾ وَالْغَالِبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا يَفُوتُهُ مِنْ أَسَاءٍ وَ﴿الْفَقُورُ﴾ لِمَنْ شَاءَ إِمَّا بِالتَّوْبَةِ أَوْ بِالشَّفَاعَةِ أَوْ بِالتَّفَضُّلِ.

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ
الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٥٥.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٥٥.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٥٥.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٥٥، وفيه في الموضعين: هازم، بدلاً من: هادم.

٦. تفسير الرازي ٣٠: ٥٦.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٧٥.

٨. تفسير روح البيان ١٠: ٧٦.

٧. تفسير الرازي ٣٠: ٥٦.

٩. الكافي ٢: ٤/١٣، تفسير الصافي ٥: ٢٠٠.

خَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ رَئَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا
لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ [٥-٣]

ثم بالغ سبحانه في ذكر آثار قدرته بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ وأبدع ﴿سَنَعَ سَمَاوَاتٍ﴾ حال كونهن ﴿طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض لكل حد معين وحركة خاصة مُقَدَّرَةٌ بقدر مخصوص من السرعة والبطء، متناسبات في الخلق بحيث ﴿مَا تَرَى﴾ أيها الرسول، أو الرائي ﴿فِي خَلْقِ الرُّجُمِينَ﴾ وإبداع الإله الفياض المئان يسيراً ﴿مِنْ تَفَاقُوتٍ﴾ واختلافٍ وعيبٍ. يقول الرائي: لو كان كذا كان أحسن، أو من فروج وشقوق ﴿فَازْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ * ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ وُزِّدْهُ إِلَى رُؤْيَيْهَا، وأعد النظر إليها لطلب الخروق والصدوع فيها ﴿يَتَقَلَّبُ﴾ ويرجع ﴿إِلَيْكَ ابْصُرْ خَاسِنًا﴾ محروماً من إصابة ما طلبه من العيب والتخلل ﴿وَهُوَ﴾ لطول المعاودة وكثرة المراجعة ﴿حَسِيرٌ﴾ وكليل، وبالغ غاية الإعياء والعجز عن الظفر بالمطلوب من وجدان العيب.

ثم إنّه تعالى بعد بيان كمال خلقه السماوات بين كمال قدرته وحكمته بتحسينها وتزيينها مئة على العباد بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَئَيْنَا﴾ وحسناً بقدرتنا ﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ وأقربها إلى الأرض ﴿بِمَصَابِيحٍ﴾ وشرج مضيئة من النجوم والكواكب الثابت والسيارة.

أقول: لا يتنافى ذلك كون جميعها أو بعضها في السماوات الأخر، فإنها تُرى في السماء الدنيا وتُرى زينة لها.

وصيرنا الكواكب ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ مع ذلك ﴿رُجُومًا﴾ ومُطَرِدَاتٍ ﴿لِّلشَّيَاطِينِ﴾ وكَفَرَةَ الْجِنَّ بالشَّهْب المنفصلة منها، إذا أرادوا استراق السمع وقيل: يعني جعلناها ظُنُونًا وَرُجُومًا بالغيب لشياطين الإنس، وهم الأحكاميون من المنجمين^٢ ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ لأولئك الشياطين وهبنا ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ والنار الموقدة التي أوقدها الجبار بغضبه.

وَاللَّذِينَ كَفَرُواْ بِهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمٌ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُواْ بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُواْ بِذَنبِهِمْ فَسُخِّقُواْ لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ [٦-١١]

ثم إنه تعالى بعد بيان أن كفر الشياطين لهم عذاب جهنم، هدد جميع الكفار من الجن والإنس به بقوله: ﴿وَاللَّذِينَ كَفَرُوا يَزِيدُهُمْ﴾ [سواء كانوا من الشياطين أو الجن أو الانس ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُصِيرِ﴾ والمرجع لهم.

ثم بين سبحانه بعض أهوال جهنم مضافاً إلى التعذيب بها بقوله: ﴿إِذَا أُلْقُوا﴾ أولئك الكفار في جهنم وطرحوا ﴿فِيهَا﴾ كالخطب الذي يطرح في النار من غير رقة وترحم ﴿سَمِعُوا﴾ أولئك الملقون في جهنم ﴿لَهَا شَهِيقًا﴾ وصوتاً منكراً كصوت الجمار غضباً عليهم ﴿وَوَيْلٌ لِلْقَافِرِ﴾ غلبان القدر بالماء الذي فيه بغاية الشدة من شدة التلهب والتسعر، فهم لا يزالون صاعدين فيها وهابطين كالحب الذي في الماء المغلي لا قرار لهم فيها.

ثم بالغ سبحانه في بيان شدة غضب جهنم عليهم بقوله: ﴿تَكَادُ﴾ وتقرب جهنم من أن ﴿تَمَيِّزُ﴾ وتفرق ﴿مِنْ﴾ شدة ﴿الْفَيْظِ﴾ والغضب عليهم.

ثم بين سبحانه حال الملقون فيها بقوله: ﴿كُلَّمَا أَلْقِيَا﴾ في جهنم وطرح ﴿فِيهَا﴾ من الكفرة ﴿فَوْجٌ﴾ وجماعة بدفع الملائكة الذين هم أغبط عليهم من النار ﴿سَأَلَهُمْ﴾ مالك جهنم وأعوانه الذين هم مؤكلون عليها و ﴿خَزَنَتُهَا﴾ بطريق التوبيخ والتفريع أيها الكفرة ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ في الدنيا من قبل ربكم ﴿نَذِيرٌ﴾ ومخوف لكم من عذاب هذا اليوم وأهواله؟ ﴿قَالُوا﴾ في جواب الخزنة اعتراضاً بجبرهم واستحقاقهم للعذاب: ﴿بَلَىٰ﴾ أيها الخزنة ﴿قَدْ جَاءَنَا﴾ في الدنيا من قبل ربنا ﴿نَذِيرٌ﴾ عظيم الشأن كثير المعجزات ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ ذلك النذير في دعوى كونه من الله ﴿وَقُلْنَا﴾ في رد ما كانوا يتلون علينا من الآيات ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ مما تتلون علينا ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ يسير فضلاً عن جميع تلك الآيات الكثيرة أو من شيء من كتاب ورسول ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ وما نراكم أيها المدعون للرسالة ﴿إِلَّا﴾ منغمرين ﴿فِي ضُلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ومنحرفين عن طريق واضح عند عامة العقلاء في دعواكم الرسالة، وكون ما تتلون علينا من جانب الله ﴿وَقَالُوا﴾ تحسراً وتندماً: إنا ﴿لَوْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿نَسْمَعُ﴾ مواظ الرسل سماع القبول ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ امتناع الشرك ووجوب بعث الرسول وجعل دار الجزاء على الله، وبراهين الأنبياء على التوحيد، وسائر ما جاءوا به ﴿مَا كُنَّا﴾ اليوم ﴿فِي﴾ زمرة ﴿أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ومستحققي العذاب.

قل: كأن الخزنة قالوا لهم في تضاعيف توبيخهم: ألم تسمعوا آيات ربكم من ألسنة الرسل، ولم تعقلوا معانيها؟ قالوا في جوابهم ذلك^١ ﴿فَاعْتَرَفُوا﴾ في جواب الخزنة اضطراراً لما رأوا أنه

لا يمكنهم الفرار والإنكار ﴿يَذَنِّبُهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ومعارضة الرسل وتكذيبهم اختياراً في الدنيا وأقروا باستحقاقهم العذاب ﴿فَسُحْقاً﴾ ويُعدّلاً لا غاية له من رحمة الله ﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وهم الكفرة من الجن والإنس اعترفوا أو جحدوا.

وعن (الاحتجاج) في الخطبة الغديرية: «أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي أَعْدَاءِ عَلِيٍّ وَأَوْلَادِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّتِي بَعْدَهَا فِي أَوْلِيَائِهِ»^١.

قيل: إِنَّ التَّقدير فَسُحِقُوا سُحْقاً وَيُعدُّوا بُعْداً عَلَى التَّحقيق، أو عَلَى الدَّعاء عَلَيْهِمْ، بِمعنى تعليم الله العباد أَنْ يدعوا عَلَيْهِمْ بهذا إشعاراً بأنَّهم مُستحقُّون لهذا الدَّعاء^٢.

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ
أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [١٣ و ١٢]

ثمَّ إِنَّه تعالى بعد ذكر سوء حال الكفار في الآخرة، ذكر حُسن حال المؤمنين فيها بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْنُونَ﴾ يؤمنون بالله، و ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ الذي هو ﴿بِالْغَيْبِ﴾ عن أبصارهم لا يزنون بعيونهم، بل يعرفونه بقلوبهم، أو المراد يَخْشَوْنَ عذاب رَبِّهم بعد الموت ويوم القيامة مع [أَنَّ] ذلك العذاب غائب عنهم غير مرئي لهم في الدنيا، أو هم بالغيب عن الناس فيتركون معاصي الله في الخلوة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ عظيمة لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ﴾ وثواب ﴿كَبِيرٌ﴾ وعظيم لا يُوصف بالبيان تصغرُ دونه الدنيا وما فيها.

ثمَّ إِنَّه تعالى بعد وعيد الكفار ووعد المؤمنين بطريق المغايبة، خاطب جميع الناس وحذَّره عن العصيان في السرِّ والعلَن بقوله: ﴿وَأَسْرُوا﴾ وأخفوا ﴿قَوْلَكُمْ﴾ السيِّء ﴿أَوِ أَجْهَرُوا﴾ وأعلنوا ﴿بِهِ﴾ لا يفتاوت بالنسبة إلى الله ﴿إِنَّه﴾ تعالى ﴿عَلِيمٌ﴾ بكلِّ شيء ظاهر وخفي حتى ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ والخطورات التي في القلوب.

عن ابن عباس: كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيُخبره جَبْرئيل فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم، لئلا يسمع إله محمد، فنزلت هذه الآية^٣.

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا
فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ [١٥ و ١٤]

ثم أنكر سبحانه على الكفار إنكار علمه تعالى بمخلوقه بقوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ وهل لا يُحيط ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ شيئاً بمخلوقه؟ ماهية وصفة ومقداراً ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿هُوَ اللَّطِيفُ﴾ والعالم بخفيات الأمور ودقائق الأشياء ﴿الْخَبِيرُ﴾ والمحيط ببواطنها. قيل: اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها، ثم يُوصلها إلى المستصلح بالرفق دون العنف، والخير من لا يعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري في المُلْك والمَلَكوت شيء حتى حركة الدودة في بطن صخرة إلا وعنده خبره وعلمه^١.

ثم رجع سبحانه إلى آثار قدرته في الأرض بعد ذكر آثارها في السماوات بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾ بقدرته نفعاً ﴿لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿الْأَرْضَ﴾ بأقطارها ﴿ذُلُولاً﴾ ومفاداة لكم غاية الانقياد، لتستغفوا بها بالسكونة، والزرع والغرس، وحفر الآبار، وشق العيون والأنهار، وبناء الأبنية، ودفن الأموات وغيرها ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ واسلكوا في جوانبها وأطرافها، أو في جبالها فضلاً عن سهلها كما عن ابن عباس^٢ ﴿وَكُلُوا مِنْ﴾ نعم الله و ﴿رِزْقِهِ﴾ الذي أحل لكم ﴿وَالْيَسِيرَ﴾ تعالى وحده ﴿النُّشُورَ﴾ والمرجع بعد البعث من قبوركم، فاجتهدوا في شكره، وجُدوا في طاعته.

قيل: إن وجه نظم هذه الآية أنه تعالى بعد تهديد الكفار بعلمه بسرهم وعلنهم، بالغ في تهديدهم بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ﴾ فهو نظير أن يقول المولى لعبده العاصي: كُن في هذه الدار، وكل هذا الخبز، ولا تأمن من نادبي^٣.

ءَأْمِنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ [١٦ و ١٧]

ثم هدد الكفار على ترك شكر نعمه بقوله: ﴿ءَأْمِنتُمْ﴾ أيها المكذبون الكافرون لنعم الله ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾ نفاذ أمره، وظهور كمال قدرته وسلطانه وملكه، أو المراد بمن في السماء جبرئيل الموكل بالعذاب ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾ وَيَغْلِبَ ﴿بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ وَيَغْلِبَكُمْ في بطنها بعد جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها وتأكلون مما ينبت فيها بكفرانكم نعمه ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ بعد أن خُسِفَتْ بكم ﴿تَمُورُ﴾ وتضطرب وتتحرك ذهاباً ومجيئاً لتبلغكم إلى الطبقة السفلى منها تعذيباً لكم كما فعلت بقارون.

ثم بالغ سبحانه في تهديدهم بقوله: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾ من ﴿أَنْ يُرْسِلَ﴾ وَيُنْزِلَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ منها تعذيباً لكم ﴿حَاصِبًا﴾ ومطر حجارة كما أرسل على قوم لوط، فإذا لا أمان

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٦٩.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٨٧.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٦٨.

the first of these is the fact that the system is not self-sufficient. It is necessary to import a large quantity of raw materials and components from abroad. This is a serious disadvantage, especially in the case of a country like India, which is a net importer of foreign exchange.

The second disadvantage is that the system is not very flexible. It is not possible to make any changes in the system without the approval of the Government. This is a serious disadvantage, especially in the case of a country like India, which is a net importer of foreign exchange.

The third disadvantage is that the system is not very efficient. It is not possible to make any changes in the system without the approval of the Government. This is a serious disadvantage, especially in the case of a country like India, which is a net importer of foreign exchange.

The fourth disadvantage is that the system is not very reliable. It is not possible to make any changes in the system without the approval of the Government. This is a serious disadvantage, especially in the case of a country like India, which is a net importer of foreign exchange.

The fifth disadvantage is that the system is not very secure. It is not possible to make any changes in the system without the approval of the Government. This is a serious disadvantage, especially in the case of a country like India, which is a net importer of foreign exchange.

The sixth disadvantage is that the system is not very adaptable. It is not possible to make any changes in the system without the approval of the Government. This is a serious disadvantage, especially in the case of a country like India, which is a net importer of foreign exchange.

The seventh disadvantage is that the system is not very flexible. It is not possible to make any changes in the system without the approval of the Government. This is a serious disadvantage, especially in the case of a country like India, which is a net importer of foreign exchange.

The eighth disadvantage is that the system is not very reliable. It is not possible to make any changes in the system without the approval of the Government. This is a serious disadvantage, especially in the case of a country like India, which is a net importer of foreign exchange.

The ninth disadvantage is that the system is not very secure. It is not possible to make any changes in the system without the approval of the Government. This is a serious disadvantage, especially in the case of a country like India, which is a net importer of foreign exchange.

﴿لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ﴾ عند نزول العذاب والآفات ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ وما سواه.
 أقول: هذا التبكيت يساق قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾^١.
 ثم قرّر سبحانه حماقتهم وجهلهم بقوله: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ﴾ وما هم في زعمهم أنهم محفوظون من الآفات بحفظ آلهتهم ﴿إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ عظيم وظلالٍ فاحش.
 ثم وبّخهم سبحانه على اعتمادهم على آلهتهم في إيصال الخيرات إليهم بقوله: ﴿أَمْنَ﴾ وبل أي شيء ﴿هَذَا﴾ الصنم الحقيق ﴿الَّذِي﴾ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ ويوصل إليكم ما تعيشون به من النعم ﴿إِنْ أَسْكَنَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُ﴾ ونعمه بحبس المطر ومبادئ الانتفاع بنعمه، باللعب كيف لا يتأثر الكفار بتلك المواعظ والمنبهات! ﴿بَلْ لَجُّوا﴾ وتمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ وطُغيان على الله ﴿وَنُفُورٍ﴾ واشتمزاز عن الحق، كأنهم حُمُرٌ مستنفرة.

أَفَمَنْ يَمُنِّيْ مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمُنِّي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [٢٢]

ثم بيّن سبحانه عدم قابليتهم للهداية بضرب المثل بقوله: ﴿أَفَمَنْ يَمُنِّي﴾ حال كونه ﴿مُكِبًّا﴾ وساططاً ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ كالصروع ﴿أَهْدَىٰ﴾ وأوصل إلى مقصوده ومطلوبه ﴿أَمْنَ يَمُنِّي﴾ حال كونه ﴿سَوِيًّا﴾ وقائماً على رجلية مصوناً من السقوط والعتار ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وطريق سوى لاجوج فيه ولا انحراف؟ ومن الواضح أن الأول يمتنع وصوله إلى مطلوبه أبداً.
 قيل: إن الكافر لما كان في الدنيا مكباً على معاصي الله، حشره الله في الآخرة مكباً على وجهه، والمؤمن لما كان في الدنيا قائماً على أوامر الله مقدماً على امتثال أحكامه، حشره الله في الآخرة قائماً على قدميه سائراً إلى الجنة^٢.

عن الباقر عليه السلام أنه قال: «القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهق أنور» قال: «فأما القلب المطبوع فقلب المنافق، وأما القلب الأزهق فقلب المؤمن، إذا أعطاه الله عز وجل شكر، وإن ابتلاه صبر، وأما القلب المنكوس فقلب المشرك» ثم قرأ هذه الآية^٣.
 وعن الكاظم عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: «إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سويّاً على صراطٍ مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام»^٤.

١. الأنبياء: ٤٣/٢١. ٢. تفسير روح البيان ١٠: ٩٤.

٣. معاني الأخبار: ٥١/٣٩٥، تفسير الصافي ٥: ٢٠٤. ٤. الكافي ١: ٩١/٣٥٩، تفسير الصافي ٥: ٢٠٤.

أقول: هذا تأويل الآية لاتفسيرها.

وعن ابن عباس رضوان الله عليه قال: نزلت في أبي جهل وحمزة بن عبدالمطلب^١، وقيل: في أبي جهل، وعمار بن ياسر^٢.

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
* قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُخْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [٢٣-٢٥]

ثم رجع سبحانه إلى الاستدلال على قدرته ونعمه بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين المنكرين لقدرة الله على البعث الكافرين لنعمه: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ﴿هُوَ﴾ الْقَادِرُ ﴿الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ وخلقكم أولاً من تراب، ثم من نُطْفَةٍ ذَرَّةٍ، ثم أكمل خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لتدركوا المسموعات، وتسمعوا المواعظ والآيات الإلهية ﴿وَو﴾ شَقَّ لَكُمْ ﴿الْأَبْصَارَ﴾ وجعل فيها قوة الرؤية لتدركوا بها المبصرات، وتظفروا إلى آيات توحيد الله وحكمته وقدرته ومعجزات رسله ﴿وَو﴾ جعل لكم ﴿الْأَفْئِدَةَ﴾ والقلوب وقوة الفهم فيها، لتفكروا فيما تُبصرونه وتسمعون، وتميزوا^٣ صحيحه وفاسده وحقه وباطله، وتعتبروا بالعبر منهما، وتتأملوا في الآيات التنزيلية والتكوينية، وترتقوا بها في درجات الايمان والطاعة، والاسف انكم شُكِرْأُ أو زماناً ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ لله هذه النعم العظام باستعمالها فيما خلقت له، فإن شكر النعمة صرفها فيما فيه رضا المنعم، بل تكفرونها حيث تصرفونها فيما فيه غضبه وسخطه. وقيل: إِنَّ الْقَلِيلَ هُنَا كَنَاءَةٌ عَنِ الْعَدَمِ^٤.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفرة: إِنَّ رَبَّكُمْ ﴿هُوَ﴾ الْقَادِرُ ﴿الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ وأكثركم من نفوس واحدة، أو فرقكم ﴿فِي﴾ وَجْهِ ﴿الْأَرْضِ﴾ وأقطارها، لتعيشوا فيها وتستريحوا عليها ثم أنتم بعد انقضاء هذا العالم تحيون ثانياً في القبور بقدرة الله ﴿وَإِلَيْهِ﴾ وحده يوم القيامة ﴿تُخْشَرُونَ﴾ وتُساقون، أو تُجْمَعُونَ للحساب وجزاء الأعمال، فاستعدوا لهذا اليوم العظيم، وبادروا إلى أحسن الأعمال وأفضل العبادات، كي تنجوا من الأهوال والشدائد التي فيه، وتصلوا إلى الجنة والنعم الدائمة.

ثم إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بعد وعده بالحشر والبعث حكى استهزاء المشركين المنكرين للبعث به بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عِنَاداً واستهزاء بالنبي ﷺ والمؤمنين المخبرين بالحشر ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وفي أي

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٧٣.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٧٢.

٣. زاد في النسخة: في. ٤. تفسير أبي السعود ٩: ٩٥، تفسير روح البيان ١٠: ٩٥.

٥. في النسخة: للنبي.

زمان يقع هذا الحشر الذي تُخبرونا بوقوعه؟ أخبرونا بوقت وقوعه ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ في هذا الإخبار والوعد ﴿صَادِقِينَ﴾ وبوقوعه عالمين.

قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ [٢٦ و ٢٧]

ثم أمر سبحانه النبي ﷺ بجوابهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ليس لي بوقت وقوعه علم ﴿إِنَّمَا أَعْلِمُ﴾ بوقته ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ فقط مكتوم عن غيره، لاقتضاء حكمته البالغة ذلك ﴿وَإِنَّمَا أَنَا﴾ من قبل الله ﴿نَذِيرٌ﴾ ومخوف للناس بالإخبار بأصل وقوعه ﴿مُبِينٌ﴾ ومظهر لهم ببيان واضح يعرفه كل أحد، لتيم الحجة عليهم، والعلم بالوقوع لا يستلزم العلم بوقت الوقوع، والإخبار بالأول عن علم من قبل الله كافٍ في الانذار.

ثم هددهم سبحانه ببعض أهوال ذلك اليوم بقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ وقريباً منهم أو معانية ﴿سِيئَتْ﴾ وقُبِحت، أو اسودَّت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأنكروا وقوعه، وعن ابن عباس: يكون عليها الكابة والقتل^١ ﴿وَقِيلَ﴾ لهم من قبل الله بلسان الزبانية، أو القائل بعضهم لبعض: ﴿هَذَا﴾ اليوم الذي ترونه هو ذلك اليوم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِهِ تَدْعُونَ﴾ وتطلبون وتستعجلون، أو تدعون بطلانه أو امتناعه، وإنه لا يأتي أبداً. قيل: إنه استفهام إنكاري، والمعنى: أهذا الذي تدعونه، لابل تدعون عدمه^٢ وامتناع وقوعه.

وقيل: إن الآية تهديد لهم بالعذاب الدنيوي، والمعنى: فلما رأوا عذاب الاستئصال زُلْفَةً وقريباً منهم.

عن القمي رحمه الله قال: إذا كان يوم القيامة نظر أعداء أمير المؤمنين عليه السلام إليه وإلى ما أعطاه الله من الكرامة والمنزلة الشريفة العظيمة، ويده لواء الحمد، وهو على الحوض يسقي ويمنع، تسود وجوه أعدائه، فيقال لهم: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ منزلته وموضعه واسمه^٣.

وعن الباقر عليه السلام قال: «هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه الذين عملوا ما عملوا، يرون أمير المؤمنين عليه السلام في أعطب الأماكن لهم، فتسبيء وجوههم، ويقال لهم: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ الذي انتحلتم اسمه»^٤.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٧٥.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٧٥.

٤. الكافي ١: ٦٨/٣٥٢، تفسير الصافي ٥: ٢٠٥.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٧٩، تفسير الصافي ٥: ٢٠٥.

وعنه عليه السلام: «فلما رأوا مكان علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله سيئت وجوه الذين كفروا» يعني الذين كذبوا بفضله^١.

وعن الأعمش قال: لما رأوا ما لعلي عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا^٢.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ
عَذَابِ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ [٢٨ و ٢٩]

ثم لما كان المشركون يقولون: ننتظر موت محمد ونستريح منه، وكانوا يدعون عليه بالهلاك على ما روي^٣، أمر سبحانه النبي صلى الله عليه وآله أن يجيبهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين الذين ينتظرون هلاكك: أيها المشركون ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ وأخبروني ﴿إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ بدعائكم علي ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين، وأخرجنا من الدنيا بالموت أو القتل، أو بعذاب من عنده على الفرض ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ وأطال أعمارنا، فأني راحة لكم في ذلك، وأي نفع يعود بموتنا إليكم؟ ثم إن متنا أو بقينا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ﴾ كم وأنتم من ﴿الْكَافِرِينَ﴾ بتوحيده ﴿مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أعد لكم؟ إذا نزل بكم أتظنون أن الأصنام والأوثان تجيركم منه؟^٤ حاشا وكلاً ﴿قُلْ﴾ يا محمد: إن مجير الخلق ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ والإله الواسع الرحمة وحده، لا الأصنام ولا الأوثان ولاغيرهما من الموجودات، ولذا نحن ﴿أَمَّا بِهِ﴾ وأنتم لجهلكم كفرتم به ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ نحن ﴿وَعَلَيْهِ﴾ وحده ﴿تَوَكَّلْنَا﴾ واعتمدنا في أمورنا، وفوضنا مهماتنا إليه لعلنا بأننا القادر الرؤف الضار النافع، وغيره بمغزلٍ عن التصرف في الأمور، وأنتم لطمعكم توكلتم على أصنامكم وأموالكم وأعوانكم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ وعن قريب عند معاينة الشدائد والعذاب تفهمون ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وانحرفي واضح عن طريق الحق وخطأ ظاهر، نحن أو أنتم؟

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ [٣٠]

ثم إنه تعالى بعد تهديد المشركين بالعذاب الأليم، ونفي مجير لهم إلا الله، هددهم ببلاء فقدان الماء الذي هو أهم ما يحتاجون إليه، وأعظم ما يعيشون به، وأسهل ما يتألون منه، ونفي القادر على إيجاده غير الله بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين: إن ظننتم أن أصنامكم ينفعونكم ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ وأخبروني

١. مجمع البيان ١٠: ٤٩٤، تفسير الصافي ٥: ٢٠٥.

٢. مجمع البيان ١٠: ٤٩٤، شواهد التنزيل ٢: ٩٩٧/٢٦٥، تفسير الصافي ٥: ٢٠٥.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٧٦.

﴿إِنْ أَصْبَحَ﴾ وصار ﴿مَأْوَكُمُ﴾ الذي تنالون منه بسهولة من آباركم ﴿غُورًا﴾ ونازلًا في الأرض بالكلية بحيث لا يمكن لكم ثبله بنوعٍ من الحِيل ﴿فَمَنْ﴾ يقدر على أن ﴿يَأْتِيَكُمْ﴾ على صَفْكم حينئذٍ ﴿بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جارٍ على وجه الأرض تنتفعون به بسهولة، ءأصنامكم تأتِيكم به، أم الرحمن؟ قيل: تخصيص الماء بالذكر لكونه أهون موجودٍ وأعزَّ مفقود^١.

قيل: إنَّ الكفار لما قالوا نترتص به رب المنون، أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بأن يُجييبهم بقوله: ﴿إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين، فأني نفع لكم فيه، وأنتم تستحقُّون عذابه، ومن يُجيركم من عذابه^٢.

ثمَّ أمره بأن يُجييبهم بأن الله هو الرحمن لا يقبل دعاءكم وأنتم أهل الكفر والعناد في حقنا، مع أنا أمانا به وعليه توكلنا.

ثمَّ لما ذكر أنَّ توكله عليه أمره بإقامة الدليل على أنه يجب التوكل عليه بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوَكُمُ غُورًا...﴾ إلى آخره، والمقصود إقرارهم ببعض نعمه، ليريهم قبح ما هم عليه من الكفر، حيث إنهم إن قالوا: هو الله، فيقال لهم: فلم تجعلون من لا يقدر على شيءٍ أصلاً شريكاً له في العبودية؟ عن الرضا عليه السلام أنه سُئل عن هذه الآية فقال: «مأوكم أبوابكم^٣ الأئمة، الأئمة أبواب الله، فمن يأتيكم بماءٍ معينٍ؟ أي من يأتيكم بعلمٍ إمامٍ؟»^٤.

وعن الباقر عليه السلام قال: «نزلت في الامام القائم، يقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لاتدرون أين هو، فمن يأتيكم بامامٍ ظاهرٍ يأتيكم بأخبار السماوات والأرض وحلال الله وحرامه؟» ثمَّ قال: «والله ماجاء تأويل هذه الآية، ولا بد أن يجيء تأويلها»^٥.

في الحديث: «سورة في كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية، شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وأدخلته الجنة، وهي سورة تبارك»^٦.

وفي حديث آخر: «وددت أن ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ في قلب كل مؤمنٍ» وكان لا ينام ﷺ حتى يقرأ سورة المُلْك وألم تنزيل السجدة^٧.

وقال علي عليه السلام: «من قرأها يجيء يوم القيامة على أجنحة الملائكة، وله وجهٌ في الحسن كوجه يوسف»^٨.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٩٧ و ٩٨.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٧٦.

٣. في النسخة: أبوابكم. ٤. تفسير القمي ٢: ٣٧٩، تفسير الصافي ٥: ٢٠٥.

٥. كمال الدين: ٣/٣٢٥، تفسير الصافي ٥: ٢٠٦. ٦. تفسير روح البيان ١٠: ٩٨.

وعن ابن عباس: ضرب بعض الصحابة خيامه على قبر، وهو لا يشعر أنه قبر، فاذا فيه إنسان يقرأ سورة المُلْك، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ضربت خيامي على قبرٍ ولا أعلم أنه قبر، فاذا إنسان يقرأ سورة المُلْك. فقال: «هي المانعة من عذاب الله، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» وكانوا يُسمونها على عهد رسول الله ﷺ المنجية، وكانت تُسمى في التوراة المانعة، وفي الانجيل الواقعة^١.
عن ابن مسعود: أنه يُؤتى الرجل في قبره من قبل رأسه فيقال: ليس لكم عليه سبيل، إنه كان يقرأ على رأسه سورة المُلْك، فيؤتى من قبل رجله فيقال: ليس لكم عليه سبيل، إنه كان يقوم فيقرأ سورة المُلْك، فيؤتى من قبل جوفه فيقال: ليس لكم عليه سبيل، إنه وعى سورة المُلْك، أي حَفِظَهَا^٢.
وعن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ في المكتوبة قبل أن ينام، لم يزل في أمان الله حتى يُصبح، وفي أمانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة»^٣.
قد تمّ تفسير لسورة المباركة بمنّ الله وتوفيقه.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٩٨.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٩٨.

٣. ثواب الأعمال: ١١٩، مجمع البيان ١٠: ٤٨٢، تفسير الصافي ٥: ٢٠٦.

في تفسير سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ [١]

ثم لما خُتِمت سورة الملك بذكر جواب اعتراضات المشركين على النبي ﷺ، وجواب دعائهم عليه بالهلاك، وتهديدهم بقوله: «فَسَتَلْمِزُونَهُ مِنْهُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»^١، أردفت في النظم بسورة القلم المبتدئة برّد المشركين في نسبتهم الجنون إلى النبي ﷺ، وبيان أنهم يُبصرون بأيكم المفتون والابتلاء بالجنون، وأن الله عالم بضلالتهم وهداية نبيه وتسليته ﷺ في سوء مقالات المشركين وتهديدهم بالعذاب، فافتتحها سبحانه بذكر الأسماء الحسنى بقوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ بقوله: «ن» فإنه على قول بعض مفسري العامة اسم من أسماء النبي ﷺ^٢.

وعن الباقر عليه السلام: «أُن لرسول الله ﷺ عشرة أسماء: خمسة في القرآن، وخمسة ليست في القرآن، فأما التي في القرآن: محمد، وأحمد، وعبد الله، ويس، ون»^٣.

تحقيق في الجمع بين الروايات أقول: لعل المراد من «ن» أنه مفتاح ناصر دين الله، ونعمة الله العظمى، والنور المطلق الذي هو أصله وحقيقته وأوّل ما خُلِقَ حيث قال: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي» وهو أصل كلّ شيء من الرّوحانيات والجسمانيات التي كلّها كلمات الله، ومنه النهر الذي في الجنة، وهو مادة جميع ما خلق الله في عالم الأشباح والصور كالمداد الذي يُكْتَبُ به، ويكون مادة جميع صور الحروف والخطوط، ولذا فسر النور بالمداد والدواة، فلانفاة بين ما ذكر من أنّه اسم من أسماء النبي ﷺ وبين ما روي عن الصادق عليه السلام من أنه قال: وأما «ن» فهو نهر في الجنة، قال الله عز وجل له: اجْمُدْ فجمد، فصار مِدَاداً، ثم قال للقلم: اكْتُبْ فسَطَرَ العلم في اللّوح المحفوظ ما

١. الملك: ٢٩/٦٧. ٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٠٠.

٣. الخصال: ٢/٤٢٦، تفسير الصافي ٥: ٢٠٨.

كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فالمداد مداً من نور، والقلم قلم من نور، واللوح لوح من نور.
قال سفيان: فقلت له: يابن رسول الله [بين لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان، وعلمي مما علمك الله. فقال: «يابن سعيد، لولا أنك أهل للجواب ما أجبتك، فتون ملك يؤذي إلى القلم، والقلم ملك يؤذي إلى اللوح، واللوح ملك يؤذي إلى إسرائيل، وإسرائيل يؤذي إلى ميكائيل، وميكائيل يؤذي إلى جبرئيل، وجبرئيل يؤذي إلى الأنبياء والرسل ﷺ»^١.

وعنه عليه السلام: «وأما «ن» فكان نهراً في الجنة أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل...»^٢ الخبر.
أقول: ويمكن أن يؤول إلى ما ذكرنا قول من قال إنه آخر كلمة (الرحمن) كما أنه لا ينافي كونه اسماً للنبي ﷺ من أسماء الله كما عليه بعض، ثم أكد سبحانه المخبر بالقسم على عادة الخلق بقوله تعالى: «وَالْقَلَمُ» وهو مطلق ما يكتب به على قول، والحلف به لشرافته بسبب كثرة فوائده، كما قال سبحانه: «عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» والقلم الخاص الذي قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فجري القلم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة من الآجال والأعمال قال: وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض^٣.

أقول: يمكن أن يكون المراد من الكتابة إيجاد صور الموجودات في عالم الملكوت من أصل واحد، وهو نور النبي ﷺ، وبملاحظة اتحاده مع نور علي عليه السلام.

روى بعض العامة أن علياً عليه السلام قال على رؤوس الأشهاد: «أنا نقطة باء بسم الله، أنا جنب الله الذي فرطتم فيه، أنا القلم، أنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع والأرضون»^٤.

ثم ثنى سبحانه القسم بمبالغة في التأكيد بقوله: «وَمَا يَسْطُرُونَ» ويكتبون أهل القلم من الملائكة السماوية والأرضية في كل كتاب ولوح، أو القلم الخاص في اللوح المحفوظ، وإتيان صيغة الجمع للتعظيم.

مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَّبِّكَ بِمَجْنُونٍ [٢]

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه بقوله: «مَا أَنْتَ» يا حبيبي محمد «بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» وبسبب عقلك الكامل ورسالتك العامة التي أعطاكها إلهك اللطيف بك، أو بدلالة عقلك الكامل وسيرتك المرضية

٢. علل الشرائع: ٢/٤٠٢، تفسير الصافي ٥: ٢٠٧.

١. معاني الأخبار: ١/٢٣، تفسير الصافي ٥: ٢٠٧.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ١٠٣.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٧٨.

وبراءتك من كل عيبٍ واتصافك بكلِّ مَكْرُمَةٍ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ لوضح منافاة هذه الصفات الكمالية لهذه النسبة الشنيعة.

عن ابن عباس رضوان الله عليه: أنَّ النبي ﷺ غاب عن خديجة إلى جِراء، فطلبتَه فلم تجده، فاذا به وجهه متغيَّرَ بلاعْبار، فقالت له: مالك؟ فذكر نزول جَبْرِئِيل عليه، وأنَّه قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^١ وهو أول ما نزل من القرآن. قال: «ثمَّ نزل بي إلى قرار الأرض، فتوضَّأ وتوضَّأت، ثمَّ صلَّى وصلَّيت معه ركعتين، وقال: هكذا الصلاة يا محمد» فذهبتْ خديجة إلى وَرَقَةَ بن نَوفل، وهو ابن عمِّها، وكان قد خالف قريش في الدين، ودخل في دين النصرانية، فسألته فقال: ارسلني إليَّ محمدًا فأرسلته، فلمَّا أتاه قال: هل أمرك جَبْرِئِيل أن تدعو أحدًا؟ قال: «لا» فقال: والله لئن بقيت إلى دعوتك لأنصركَ نصرًا عزيزًا. ثمَّ مات قبل دعاء الرسول ﷺ ووقعت تلك الواقعة في السنة قريش، فقالوا: إنَّه مجنون، فاقسم الله على أنَّه ليس بمجنون، وهو خمس آيات من أول هذه السورة^٢.

وَأِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَمَعْلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [٤ و ٥]

ثمَّ سلَّى سبحانه رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَأِنَّ لَكَ﴾ يا محمد بإزاء صبرك على أذى قومك وتحملك أعباء الرسالة ﴿لَأَجْرًا﴾ عظيمًا وثوابًا جسيمًا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ومنقوص، وعطاء غير مجذوذ ومقطوع. وقيل: يعني بغير واسطة يَمُنُّ عليك بإيصاله إليك، أو بغير أن يتكذَّر عليك بسبب المِنة لأنَّه ممَّا تستحقُّه بعملك، وليس من التفضُّل الابتدائي^٣.

نسي بيان خلق الرسول ﷺ ﴿وَأِنَّكَ﴾ بنعمة ربِّك وتفضُّله عليك ﴿لَمَعْلَى خُلُقٍ﴾ ودينٍ ﴿عَظِيمٍ﴾ الشأن عند الله، وهو الاسلام. عن الباقر عليه السلام: «يقول: على دينٍ عظيم» وفي رواية: «هو الاسلام»^٤ فإنَّ فيه جميع مكارم الأخلاق، والتنزَّه عن كلِّ مساوئها بحيث لا يَدانِيه دينٌ وأنت ملتزم به مسؤول عليه، لا يفوتك شيء منه، ولذا فُتت سائر الأنبياء والرسل في الكمال والمعارف وحُسن الأخلاق والأعمال.

رؤي أنَّه قيل لعائشة: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: أَلَسْتُ تقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قالت: فإنَّه كان خلق رسول الله. وشئت مرةً أخرى فقالت: كان خلقه القرآن. ثمَّ قرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات^٥.

١. العلق: ١/٩٦. ٢. تفسير الرازي ٣٠: ٧٩.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٠٥. ٤. معاني الأخبار: ١/١٨٨، تفسير الصافي ٥: ٢٠٨.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٨١ والآية من سورة المؤمنون: ١/٢٣.

عن الصادق عليه السلام: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَبَ نَبِيَّهٖ عليه السلام فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^١».

عن (البصائر) مقطوعاً: «أَنَّ اللَّهَ أَدَبَ نَبِيَّهٖ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، فَقَالَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^٢ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٣».

وعن عائشة قالت: ما كان أحدٌ أحسن خلقاً من رسول الله عليه السلام، ما دعاه أحدٌ من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال عليه السلام: «لييك»^٤.

وعن أنس قال: خدمت رسول الله عليه السلام عشر سنين، فما قال لي في شيءٍ فعلته: لم فعلت، ولا في شيءٍ لم أفعله: هلأ فعلت!^٥

وقيل: إنه لم ينحرف عن بلاء، ولم ينصرف عن عطاء.^٦

وقيل: كيف لا يكون خلقه عظيماً وقد تجلّى الله فيه بأنوار أخلاقه.^٧

فَسَبِّحْهُ وَبَيِّنْهُ * بِأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تَذْهَبُ فَيَذْهَبُونَ [٩-٥]

ثم لما وعد سبحانه نبيه عليه السلام أفضل الأجر، ومدحه بأكرم الأخلاق، ذم معانديه ومكذبيه بقوله: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبَيِّنْهُ * بِأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تَذْهَبُ فَيَذْهَبُونَ﴾^٨ حين نزول العذاب عليهم «بِأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ» وابتلاء بالجنون، أبك ويفرق المؤمنين، أم بفرق الكافرين والمكذبين؟ فإن المجنون هو الذي هام في تيه الضلال، وابتلى نفسه بالعذاب والنكال، ومن الواضح «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ» من كل أحد «بِمَنْ ضَلَّ» وانحرف «عَنْ سَبِيلِهِ» المؤدي إلى سعادة الدارين «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» إلى سبيله الناجين من كل هلكة وعذاب، الفاترين بكل خير وصواب.

فاذا تبين أن أعداءك في ضلال «فَلَا تَطْعِ» يا محمد، ولا توجب «الْمُكَذِّبِينَ» في سؤالهم منك الإعراض عن الدين الحق، والدخول في دين آبائكم المشركين باعتقادهم وزعمهم، وذم على ما أنت عليه من التوحيد وعبادة الله، وتشدد عليهم مع قلة أنصارك وأصحابك، وإن عارضوك بأجمعهم مع

١. الكافي ١: ٢٠٨/٤، تفسير الصافي ٥: ٢٠٨.

٢. بصائر الدرجات: ٣/٣٩٨، تفسير الصافي ٥: ٢٠٨.

٣. ٥. تفسير الرازي ٣٠: ٨١

٤. ٧. تفسير روح البيان ١٠: ١٠٧.

٥. ٨. تفسير الرازي ٣٠: ٨٢

٦. الأعراف: ١٩٩/٧.

كثرتهم أشد المعارضة، فإننا ناصروك وخاذلوا أعدائك قيل: إن هذه السورة من أوائل ما نزل.^١
إنهم ﴿وَدُّوا﴾ وأحبوا ﴿لَوْ تَذَهَّنْ﴾ هؤلاء الكفرة وتلين معهم، وتصانهم^٢ بأن تترك بعض ما أنت عليه من سب آلهتهم والنهي عن عبادتها ﴿فَيَذْهَبُونَ﴾ ويصانعوك^٣ بأن لا يذمّون دينك ويلاينون في مكالمتك.

وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَافٍ مِّمَّيْنِ * هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ * مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ *
عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ [١٠-١٦]

ثم إنّه تعالى بعد نهى نبيّه ﷺ عن موافقة آراء رؤساء المشركين، نهاه عن اتباع رأي بعضهم المذموم بأقبح الذمائم بقوله: ﴿وَلَا تُطِيعْ﴾ ولاتتبع ﴿كُلَّ حَلَافٍ﴾ وكثير اليمين في الحقّ والباطل وفي الكذب ﴿مِّمَّيْنِ﴾ وحقير بين الناس لكثرة كذبه وحلقه عليه، فإنّ من حقر الله بعصيانه وكثرة الحلف به، حقره الله في الدنيا والآخرة ﴿هَمَّازٍ﴾ وعتاب للناس، طعان عليهم، أو كثير الذكر لهم بما يكرهونه ﴿مَّشَاءٍ﴾ بينهم ﴿بَنِيمٍ﴾ وكثير السعي في السعاية، نقال للحديث من أحد إلى أحدٍ للافساد بينهما، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة نمام»^٤.

﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ وبخيل لآمال، أو كثير المنع للناس من الإيمان وطاعة الله والإنفاق ﴿مُعْتَدٍ﴾ وظالم للناس، أو متجاوز عن الحد في سوء الأعمال والأخلاق ﴿أَيْمٍ﴾ وكثير الإقدام في العصيان ﴿عَتَلٌ﴾ وغلظ القلب والطبع وعن ابن عباس رضوان الله عليه: قويّ ضخم^٥.

وقيل: واسع البطن^٦ وثيق الخلق^٧ وقيل: الفاحش الخلق اللثيم النفس^٨. وقيل: الأكل [أو] الحافي الغليظ^٩.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ المذكور من القبائح ﴿زَنِيمٍ﴾ ومُلَحَقٌ بقوم في النسب وليس منهم، وهو أقبح القبائح في العرب. وقيل: هو المعروف بالشر كما يُعرَف الشاة بالزئمة، وهي ما يُقَطَّع من أذنها فيدلى^{١٠} منها. وقيل: إنّه ولد الزنا^{١١}.

٢. في النسخة: وتصابقهم.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ١١١.

٧. تفسير الرازي ٣٠: ٨٤، وفي النسخة: وبنو الحلقوم.

١٠. تفسير الرازي ٣٠: ٨٤ و٨٥.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٨٣.

٣. في النسخة: ويصابقونك.

٥ و٦. تفسير الرازي ٣٠: ٨٤، وفيه: قويّ ضخم.

٨ و٩. تفسير الرازي ٣٠: ٨٤.

١١. تفسير الرازي ٣٠: ٨٥، تفسير روح البيان ١٠: ١١٢.

قيل: لم يُعلم أن الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر للوليد بن المغيرة من العيوب، وكان الوليد دعياً في قريش وليس من نسبهم^١. قيل: ادّعى أبوه المغيرة بعد ثمانين سنة من مولده^٢.
قيل: نزلت الآيات في الوليد بن المغيرة، فلما تلا رسول الله ﷺ الآيات في مجمع قريش وفيهم الوليد، وجد الوليد جميع العيوب في نفسه إلا الولادة من زنا، وقال في نفسه: أنا سيد قريش، وأبي كان معروفاً، وأعلم أن محمداً لا يكذب فأخذ بسيفه وجاء إلى أمه، وقال لها: ما قصة ولادتي؟ فلما أبلغ في تهديدها قالت: كان أبوك غير راغب في النساء، وكان له بنو أخيه ينتظرون موته، ويطمعون في ميراثه، فنقل علي ذلك، فاستأجرت عبداً فراودته عن نفسي، فاحتلبت منه فولدتك^٣.
وعن علي عليه السلام: «الزَّيْمُ: هو الذي لأصل له»^٤. وعن الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿عَتْلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ فقال: «العَتْلُ عظيم الكفر، والزَّيْمُ: المستهتر بكفره»^٥.

وعن (المجمع) أن النبي ﷺ سئل عن العَتْلُ الزَّيْمُ فقال: «هو الشديد الخلق، الشحيح»^٦، الأكل الشروب، الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس، الرُّحْبُ الحلقوم»^٧.
وعنه عليه السلام قال: «لا يدخل الجنة جَوَاطٌ ولا جعظري ولا عَتْلُ زَيْمٍ» قيل: فما الجَوَاطُ؟ قال: «كُلُّ جَمَاعٍ مَنَاعٍ» قيل: فما الجعظري؟ قال: «الفظ الغليظ» قيل: فما العَتْلُ الزَّيْمُ؟ قال: «رحب الجوف، سيء الخلق، أكل شروب، غشوم ظلوم»^٨.

وعن القمي، قال: الحلاف: الثاني، حلف لرسول الله ﷺ أن لا ينكح عهده ﴿هَمَازٍ مَشَاءٍ بَنِيْمٍ﴾ قال: كان يَنْمُ على رسول الله ﷺ ويهيم بين أصحابه ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ قال: الخير أمير المؤمنين عليه السلام ﴿مُعْتَدٍ﴾ قال: اعتدى عليه ﴿عَتْلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ قال: العَتْلُ: العظيم الكفر، والزَّيْمُ: الدَّعي^٩.
قيل: كان للوليد عشرة بنين وأموال كثيرة، كان له بستان بالطائف، وتسعة آلاف مثقال من فضة^{١٠}، فلامه سبحانه بقوله تبارك وتعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قيل: إن التقدير كَفَر بالله لأجل أن كان ذا مالٍ وبنين^{١١}، مع أن حقه الشُّكر وليس الكفر والعصيان جزاء نعمه وقيل: إن المعنى لا تُطع من كان له هذه المطاعن والمثالب، لأجل أن كان ذامالٍ وبنين^{١٢}، ومن كفره أنه ﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآنية

١ و٢. تفسير الرازي ٣٠: ٨٥، تفسير روح البيان ١٠: ١١٢.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١١٢.

٤. مجمع البيان ١٠: ٥٠٢، تفسير الصافي ٥: ٢١٠.

٥. معاني الأخيار: ١/١٤٩، تفسير الصافي ٥: ٢٠٩. ٦. في النسخة: المفتيح، وفي تفسير الصافي: المصحح.

٧. مجمع البيان ١٠: ٥٠٢، تفسير الصافي ٥: ٢٠٩، وفي المصدر: الرحب الجوف، وفي الصافي: الجوف.

٨. مجمع البيان ١٠: ٥٠٢، تفسير الصافي ٥: ٢١٠. ٩. تفسير القمي ٢: ٣٨٠، تفسير الصافي ٥: ٢١٠.

١٠ و١١. تفسير الرازي ٣٠: ٨٥. ١٢. تفسير روح البيان ١٠: ١١١.

﴿قَالَ﴾ تكذِيباً لها: هذا المتلو علينا ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقَصَص مُلَفَّقة من السابقين قصة رُستم وإسفنديار.

ثم هدّده سبحانه بقوله: ﴿سَنَسِيحُهُ﴾ وعن قريب تُعلّمه بعلامة قبيحة ﴿عَلَى﴾ أنفه الذي هو مثل ﴿الْخُرْطُومِ﴾ للليل والخنزير. عن ابن عباس، قال: سَنَخَطِمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة باقية على أنفه ما عاش^١، روي أنه قاتل يوم بدر فخطّم بالسيف في القتال^٢. وقيل: إنه لم يعيش إلى يوم بدر^٣، والمراد سنشهره بالذكر الرديء والوصف القبيح في العالم، كما يقال لمن تشبّه مسبّة قبيحة باقية: سَنَسِيحُهُ ويسم سوء، والمراد أنه ألحق به عاراً لا يفارقه^٤.

وقيل: يعني سَتُعلّمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يُعلّم بها من سائر الكفّرة بأن تسود وجهه غاية التسويد، إذ كان في عداوة الرسول بالغاً أقصى المراتب، فيكون الخُرطوم كناية عن وجهه على طريق ذكر الجزء وإرادة الكل^٥.

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَتُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ * وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ [٢٨-١٧]

ثم لما بين سبحانه أن الغرور بالمال والأولاد صار سبب طغيان هذا الظالم الكافر، بين أنه تعالى أنعم بهذه النعم عليه لابتلائه واختباره، أنه يشكر أم يكفر، بقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ واختبرناهم بإعطائهم المال والبنين ﴿كَمَا بَلَوْنَا﴾ واختبرنا ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وقيل: إن المعنى إِنَّا كَلَفْنَاهُم بالشكر على نعمنا كما كلفنا أصحاب الجنة التي كانت ذات ثمار أن يشكروا ويغطوا الفقراء حقوقهم^٦ فكفروا.

في قضية أصحاب روي أن رجلاً من ثقيف كان مسلماً، وكان له ضيعة بقرب صنعاء على فزسخين منها^٧ - وقيل: على فراسخ^٨ - فيها نخل وزرع، وكان يجعل عند الحصاد من كل ما فيها نصيباً وافرأ

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١١٣.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ١١٤.

٧. تفسير أبي السعود ٩: ١٤، تفسير روح البيان ١٠: ١١٤.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٨٦.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٨٧.

٦. تفسير الرازي ٣٠: ٨٧.

٨. تفسير روح البيان ١٠: ١١٤.

للفقراء، فلما مات ورثها بنوه، ثم قالوا: عيالنا كثيرٌ والمال قليلٌ، ولا يمكننا أن نُعطي المساكين مثل ما كان أبونا يُعطي^١.

وقيل: كانت الضيعة باليمن، وكان أصحاب الجنة بُخلاء، وكان أبوهم يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي، وكان ينادي الفقراء وقت الصُرام، ويتزك لهم ما أخطأه المِسْجَل، وما في أسفل الأكداس، وما أخطأه القُطاف من العنب، وما بقي على البساط الذي يَبْسُط تحت النخل إذا أصرمت، وكان ذلك بعد رفع عيسى عليه السلام بقليل، وكان يبقى لهم مع ذلك شيء كثيرٌ، ويتزودون به أياماً كثيرة، فلما مات أبوهم قال بنوه: إن فعلنا ما كان أبونا يفعل ضاق الأمر علينا ونحن أولو عيال^٢.

وعلى كل تقدير كان وقت ابتلائهم ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ وحين حلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ويقطعن ثمر نخلهم وأعنابهم وزروعهم وقت كونهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ ودخولهم في الصباح وظلمة الليل باقية وقبل اطلاع الفقراء على جمعهم الثمار ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ ولا يقولون إن شاء الله على دأب أهل الايمان ﴿فَطَافَ﴾ على الجنة ونزل ﴿عَلَيْهَا﴾ في الليل ﴿طَائِفٌ﴾ وبلاءٌ محيطٌ بشمارها ﴿مَنْ﴾ جانب ﴿رُؤُكَ﴾ بحيث لم يبقَ من الثمار شيءٌ ﴿وَهُمْ﴾ في بيوتهم ﴿تَائِمُونَ﴾ وغافلون عما نزل بهم وبشمارهم ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ الجنة وصارت بنزول البلاء والنار فيها ﴿كَالَصَّرِيمِ﴾ ومثل الجنة التي قُطعت واقتطفت ثمارها بالكل. وقيل: يعني صارت سوداء كالليل لاحتراقها بالنار^٣.

﴿فَتَنَادَوْا﴾ وصاح بعضهم ببعض لما قاموا من النوم وصاروا ﴿مُصْبِحِينَ﴾ وداخلين في الصباح على حسب تواعدهم وقالوا: ﴿أَنْ أَعْدُوا﴾ يا إخواننا واخرجوا في أول الصبح وأقبلوا ﴿عَلَى حَزْنِكُمْ﴾ واقتطف ثمار ضيعتكم وجنتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وعازمين على قطعها وجمعها ﴿فَانْطَلَقُوا﴾ وذهبوا إلى حزنهم ﴿وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ ويقولون بطريق السر لئلا يسمع المساكين قولهم ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ﴾ الذي هو يوم جمع الثمار ﴿عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ واحدٌ فضلاً عن الكثير ﴿وَعَدُوا﴾ ومشوا بكرة ﴿عَلَى﴾ حال ﴿حَزْدٍ﴾ ومنع شديد عن الفقراء ثمار جنتهم حال كونهم ﴿قَادِرِينَ﴾ على نفعهم بزعمهم، أو على اجتناء ثمار الجنة بحسبانهم.

﴿فَلَمَّا﴾ دخلوا الجنة و ﴿رَأَوْهَا﴾ محترقة مسودة لاثمار فيها أقبل بعضهم على بعض ﴿قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ ومنحرفون عن طريق جنتنا ودخلنا غيرها فلما تأملوها ووقفوا على خصوصيات الجنة وعلائمها قالوا ما نحن بضالين ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ عن نفعها ممنوعون عن ثمارها ببخلنا وسوء

٢. تفسير روح البيان ١٠: ١١٤.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٨٧.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٨٨.

قصدا وإرادة حرمان المساكين من خير جنتنا، فعجل الله في حرماننا من ثمارنا ﴿قَالَ﴾ أحدهم الذي هو ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾ وأصوبهم رأياً، وأفضلهم عقلاً، وأكملهم ديناً، وأوسطهم سناً، وأكملهم عقلاً بطريق التويخ ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يا إخواني حين عزمتم على منع المساكين: ﴿لَوْلَا تَسْبُحُونَ﴾ الله، وهلاً تنزهونه عن الخلف في وعده بأنه يرزق عباده، وعن الكذب في إخباره بالرزق بيده يبسط لمن يشاء ويقدر، وليس الرزق بتدبير الخلق؟

قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ * قَالُوا يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ [٢٩-٣٢]

فلما قال الأوسط ذلك تنبه إخوانه واعترفوا بذنبهم و ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ وتنزه خالقنا عن كل سوء ونقص وكذب وخلف، سيما عن الظلم علينا بإحراق جنتنا، بل ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ على أنفسنا بشؤ قصدا وإرادة منع حقوق المساكين وحرمانهم بخلًا وشحًا، إذن تنوب إلى الله ونستغفره من سوء قصدا وصنيعنا ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وهم ﴿يَتَلَوْمُونَ﴾ ويؤيخون كل منهم الآخرين على ما فعلوا، و ﴿قَالُوا﴾ اعترافاً بذنبهم وتندماً وتحسراً: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ ويا أسفنا ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ قبل اليوم ﴿طَاغِينَ﴾ على الله ومتجاوزين عن الحد الذي حدّه ربنا بمنع المساكين عن حقوقهم في أموالنا، ثم إنهم بعد التوبة والإقبال على الله أظهروا الرجاء برحمته بقولهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا﴾ ويرجى منه ﴿أَن يُبْدِلَنَا﴾ ويعوّضنا عن الجنة المحترقة ﴿خَيْرًا﴾ وأنفع ﴿مُنْهَا﴾ ببركة إقبالنا إليه وتوبتنا من ذنوبنا ﴿إِنَّا﴾ متوجهون ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بقلوبنا ﴿رَاغِبُونَ﴾ وطالبون عفوه وخيره.

رؤي أنهم تعاقدوا وقالوا: إن أبدلنا الله خيراً منها، لنصنعن كما صنع أبونا، فدعوا الله وتضرعوا إليه، فأبدلهم الله من ليبتهم ما هو خيرٌ منها^١.

قال: إن الله تعالى أوحى إلى جبرئيل أن يقلع تلك الجنة المحترقة فيضعها في براري الشام، ويأخذ من الشام جنةً فيجعلها مكانها^٢.

عن ابن مسعود: أن القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق، أبدلهم جنةً يقال لها الحيوان، فيها عنبٌ يحمل البغل عنقوداً^٣.

وعن الباقر عليه السلام قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُذِيبَ الذَّنْبَ فَيَدْرَأَ عَنْهُ الرِّزْقَ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِذَا أَقْسَمُوا

لَيُضْرِمْتُهَا إِلَى قَوْلِهِ وَهُمْ نَائِمُونَ^١

وعن القمي، عن ابن عباس، أنه قيل له: إِنَّ قوماً من هذه الأمة يَزْعُمُونَ أَنَّ العبد قد يُذِيب الذنب فيُحَرِّم به الرزق. فقال ابن عباس: فوالله الذي لا إله إلا هو، لهذا أنور في كتاب الله من الشمس الضاحية، ذكر الله في سورة ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ أَنَّ شيخاً كانت له جنة، وكان لا يدخل بيته ثمرة ولا إلى منزلة حتى يُعطي كل ذي حق حقه، فلما قُبِض الشيخ وَرِثَهُ بنوه، وكان له خمس من البنين، فحملت جنته في تلك السنة التي هلك فيها أبوهم حملاً لم تكن حملت قبل ذلك، فراحوا الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر، فأشرفوا على ثمرة ورزقي فاضل لم يُعابنوا مثله في حياة أبيهم، فلما نظروا إلى الفضل طَفَّوْا وَبَغَوْا، وقال بعضهم لبعض: إِنَّ أبانا كان شيخاً كبيراً قد ذهب عقله وَخَرَفَ، فهلموا فلتعاقد عهداً فيما بيننا أن لا نُعطي أحداً من فقراء المسلمين في عامنا هذا شيئاً حتى نستغني وتكثر أموالنا، ثُمَّ نَسْتَأْذِن الضيعة فيما نستقبل من السنين المقبلة، فرضي بذلك أربعة وسخط الخامس، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

فقيل: يابن عباس، كان أوسطهم في السن! فقال: لا، بل كان أصغرهم سناً وأكبرهم عقلاً، وأوسط القوم خير القوم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا^٢﴾.

فقال لهم أوسطهم، اتقوا الله، وكونوا على منهاج أبيكم تَسْلَمُوا وَتَقْتُمُوا، فَطَشُوا به وضربوه ضرباً مُبْرِحاً، فلما أبقن الأخ أنهم يُريدون قتله دخل معهم في مشورتهم كارهاً لأمرهم غير طائع، فراحوا إلى منازلهم. ثُمَّ حلفوا بالله: أن يصْرِمُوها إذا أصبحوا، ولم يقولوا إن شاء الله، فابتلاههم الله بذلك الذنب، وحال بينهم وبين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه، فأخبر عنهم في الكتاب وقال: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَضْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَنْتُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قال: كالمحترق.

فقيل لابن عباس: ما الصريم؟ قال: الليل المظلم، ثُمَّ قال: لاضوء به ولا نور.

فلما أصبح القوم تنادوا مصبحين ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَزَنِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ قال: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾.

قيل: وما التخافت يابن عباس؟ قال: يتسارون، يسار بعضهم بعضاً لئلا يسمع أحدٌ غيرهم فقالوا: ﴿لَا يَدْخُلُهَا أُنُومٌ عَلَيْهِمْ مَّشْكِينٌ * وَغَدُوا عَلَىٰ حَزْدٍ قَادِرِينَ﴾ وفي أنفسهم أن يصْرِمُوها، ولا يعلمون ما حل بهم من سَطَوَاتِ الله وَتَقَمَّتْهُ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ وعابنوا ما حل بهم ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ

* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٣٥﴾ حرّمهم الله ذلّ الرزق بذنب كان منهم ولم يظلمهم شيئاً^١.

كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٧﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ [٣٣-٣٥]

ثم بالغ سبحانه في تهويل الكفار بقوله: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ الذي نزل على أصحاب الجنة العذاب الدنيوي الذي ينزل على كلّ من عصى ربه بحبس حقوق الفقراء وغيره، كحبس المطر، وإنزال الآفات على الزروع، ورفع البركة عنها، وإشاعة الأمراض، وسلب الأمانة وغيرها ﴿وَوَاللَّهُ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ وأعظم وأشدّ من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عِظْمَهُ لاحترزوا عن العصيان الموجب له. ثم لما وعد سبحانه الكفار عذاب الآخرة، وعد المؤمنين المتّقين نعمها بقوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ في الآخرة مذكور ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وملكهم اللطيف بهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ عديدة ذوات ﴿النَّعِيمِ﴾ الخالصة عن شؤب ما ينيقها.

ثم قيل: لما نزلت الآية قال الكفار للمسلمين: إن الله فضّلنا عليكم في الدنيا بالنعم الدنيوية، فلا بدّ أن يفضّلنا عليكم في الآخرة، فإن لم يكن التفضيل فلا بدّ من التساوي، فنزل ردّاً عليهم^٢: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ في الآخرة ﴿كَالْمُجْرِمِينَ﴾ والكفار العصاة، ومساوين لهم في الإنعام والإكرام؟! حاشا وكلاً.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخْيِرُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٤١﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ [٣٦-٤١]

ثم بالغ سبحانه في تشديد الإنكار عليهم بتلويح الخطاب بقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ أيها الحمقاء ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم المستحيل وقوعه، المستعجب صدوره من عاقل؟! لاستلزامه الظلم على المسلمين من الله الحكيم الغني على الإطلاق ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ أيها الكفرة ﴿كِتَابٌ﴾ نازل عليكم من السماء من جانب الله أنتم ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ وتقرؤون مراراً، وتأملون عباراته دائماً؟! فتبين لكم ممّا فيه ﴿إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخْيِرُونَ﴾ وتريدون لأنفسكم من المشتبهات ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ مع سخطنا عليكم

٢. تفسير أبي السعود ٩: ١٧، تفسير روح البيان ١٠: ١١٩.

١. تفسير القمي ٢: ٣٨١، تفسير الصافي ٥: ٢١٢.

﴿أَيْمَانٌ﴾ وعهودٌ مؤكدةٌ ثابتةٌ ﴿عَلَيْنَا﴾ وفي عهدتنا ﴿بِالْعَقَّةِ﴾ ومنتهى في الصحة والتأكد والرزوم ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لا يجوز لنا جنتها ونقضها، ولا يُخرج عن عهدتها؟! وهي ﴿إِنْ لَكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ لأنفسكم وتطلبون منا، فيكون علينا بهذه العهود أن نحكمكم في ذلك اليوم، ونوافقكم فيما تأمرون، ونعطيكُم ما تتوقعون.

ثم لَوْنُ سبحانه الخطاب عنهم إلى رسوله بقوله: ﴿سَلِّمْ﴾ يا حبيبي مُشافهةٌ ﴿أَيُّهُمْ﴾ ومن يكون منهم ﴿بِذَلِكَ﴾ الحكم المخالف للعقول ﴿زَعِيمٌ﴾ وضامن لاثباته بالحجة والبرهان؟ ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ في ذلك الادعاء ﴿شُرَكَاءُ﴾ يشاركونهم في الدعوى، ويساعدونهم في هذا القول؟ ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ عندك وليحضرهم في مَحْضَرِكَ حتى يقولوا بقولهم ويصدقوهم في دعواهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعوى أن لهم شركاء. قيل: إن المراد من شركائهم أصنامهم^١، والمعنى أنهم أصنام يجعلونهم مثل المسلمين في النجاة من العذاب والدُّخُول في الجنة؟!.

حاصل مفاد الآيات - والله أعلم - أنه ليس لهم دليلٌ عقليٌّ على التسوية بين المطيع والعاصي والمُحْسِن والمسيء، ولادليلٌ نقليٌّ من كتاب سماوي يقرؤونه، ولاعهدٌ مؤكدٌ بالآيمان، ولا من يُوافقهم من العقلاء حتَّى يَقلِّدوهم، مع حُكم العقل السليم على خلافه، فظهر أن بطلان دعواهم أظهر من الشمس في رابعة^٢ النهار.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً
أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي
وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ
إِنْ كُنَّيْدِي مَتِينٌ [٤٢-٤٥]

ثم بيّن سبحانه سوء حالهم يوم القيامة بقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قيل: إن المعنى ذكرهم يا محمد يوم الشدة وصعوبة الخطب على الكفار والمنافقين، فإن كشف الساق كناية عن الوقوع في الشدة، كما أن من وقع بين الخصوم الأقوياء وانغمر رجلاه في الوحل، يُشمر ذيله ويرفع ثيابه عن ساقه، كما عن ابن عباس^٣.
وقيل: إن المراد من الساق أصل الأمور، يعني يُكشَف عن حقائق الأمور وواقعياتها وخفياتها^٤.

وقيل: يعني يُكشَف عن ساق العرش، أو عن ساق جهنم، أو عن ساق مَلَكٍ عظيم مهيب^١.
وعلى أي تقدير ذلك اليوم يوم القيامة، فأنهم في ذلك اليوم يُؤمرون ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ لله تعظيماً على تركهم إياه في الدنيا تكبراً وتعظماً وتحسراً على تفریطهم فيه ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ السجود لسلب القدرة عنهم.

عن ابن مسعود: تُعَقَّم أصلابهم، أي تصير عظاماً لافواصل لها، فلا تُثنى للرفع والخفض، فيبقون قياماً على حالهم حتى تزداد حسرتهم على التفریط فيه^٢.

وفي الحديث: «تبقى أصلابهم طبقةً واحداً^٣ - أي فقارة واحدة - كأن سفافيد الحديد في ظهورهم»^٤.

عن الرضا عليه السلام قال: «جِجَابٌ من نور يُكشَف فيقع المؤمنون سُجْدًا، وتُدمج^٥ أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود^٦ حال كونهم ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ متواضعةً جوارحهم ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ وتغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ شديدة وخزي فاحش جزاء لاستكبارهم في الدنيا عن السجود لله ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿يُدْعَوْنَ﴾ من قبل الله بلسان الرسل ﴿إِلَى السُّجُودِ﴾ لله ويؤمنون به ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أصحاء مستطيعون له بأنهم الاستطاعة، فإذا كان حالهم في الآخرة كذلك ﴿قَدْ زُنِيَ﴾ يا نبي الرحمة ودعني ﴿وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا﴾ القرآن الذي هو أحسن ﴿الْحَدِيثِ﴾ وأعظم المعاجز الذي يُصدقه كل عاقلٍ منصفٍ ويستدل به على صدق دعواك الرسالة، فإني أكفيكمهم، واعلم أنا ﴿سَمَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ ونزلهم في العذاب شيئاً فشيئاً ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن الجهة التي لا يشعرون أنه بلاء وعذاب.

قيل: إن المراد بالاستدرج توفير النعم. حتى ينسوا الاستغفار، والمعنى كما قيل: كلما جددوا ذنباً جددنا لهم نعمة^٧، وأغفلناهم عن التوجه إلينا، ثم نأخذهم بغتة.

وفي الحديث: «إذا رأيت الله يُعِمْ على عبدٍ وهو مقيمٌ على المعصية، فاعلم أنه مُستدرج، وتلا هذه الآية^٨.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من وسع عليه دنياه، وهو لا يعلم أنه قد مكر به، فإنه مخدوعٌ عن

٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٢١.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ١٢١.

٦. التوحيد: ١/١٥٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٤/١٢١.

٨. تفسير روح البيان ١٠: ١٢٤.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٩٥.

٣. في تفسير روح البيان: طبعاً واحداً.

٥. في النسخة: وتدريج، وفي تفسير الصافي: ويدبج.

٧. تفسير الرازي ٣٠: ٩٦.

عقله^١.

﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ وأمهلهم في الدنيا بإطالة أعمارهم وتأخير آجالهم، ليزدادوا إثمًا، ويكون لهم أشد العذاب في الآخرة، واعلم ﴿إِنْ كُنَّيْ﴾ وتديري الخفي عنهم في إهلاكهم وازدياد عذابهم ﴿مَتِينٌ﴾ ومستحكم لقوة أثره في إهلاكهم الدنيوي والأخروي. وقيل: إن المعنى أن أخذني إياهم بالعذاب قوي شديد لا يذفع بشيء^٢.

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ *
فَاضْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَن
تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَبَدَّ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ [٤٦-٥٠]

ثم إنَّه تعالى بعد بيان سوء حال الكفار، وتهديدهم بأحوال القيامة، وتسليية النبي ﷺ بأنَّه تعالى كافيه، وإنَّه معذِّبهم على تكذيبهم، عاد إلى تفرعهم وتبكيتهم في عدم إيمانهم بالرسول بقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ وتطلب منهم على تبليغاتك عن الله ﴿أَجْرًا﴾ وجعلًا ماليًا ﴿فَهُمْ﴾ لا يؤمنون بك ﴿مِنْ﴾ جهة ﴿مَغْرَمٍ﴾ وضرر مالي متوجَّه إليهم لأجل الإيمان بك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ ومُتَحَمِّلُونَ حِمْلًا ثَقِيلًا فيعرضون عنك؟ وإلا فليس لهم عُذْرٌ في الفرار منك وعدم التسليم لرسالتك ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ واللوح المحفوظ الذي لا يعلمه أحدٌ مكتوبٌ فيه أنَّهم آمنون يوم القيامة من العذاب فانظروا بأعلى الثواب كالمسلمين ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ويستنسخون منه ويعتمدون عليه. وقيل: يعني أم يدعون أن المغيبيات حاضرة في عقولهم، ولذا يكتُمون على الله ما شاؤوا وأرادوا^٣.

ثم إنَّه تعالى بعد إبطال قول الكفار وزجرهم عمَّا يقولون، أمر رسوله بالصبر على أقوالهم الشنيعة وأعمالهم السيئة بقوله: ﴿فَاضْبِرْ﴾ يا محمد ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمألهام وتأخير نصرتك عليهم، وتبليغك الرسالة، وتحملك الأذى من قومك، ﴿وَلَا تَكُنْ﴾ ضيق الصدر، قليل التحمل ﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ وهو يونس النبي ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ربه في بطن الحوت بقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ومملوء غيظًا على قومه أو مغموم كما عن الباقر عليه السلام^٤، ولا تضجر من أذى قومك كما انضجر هو فتبلى كما ابتلى ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ﴾ ووصل إليه ﴿نِعْمَةٌ﴾ ورحمة عظيمة

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٢٤.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٢٥.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٩٨.

٤. تفسير القمي ٣٨٣: ٢، تفسير الصافي ٥: ٢١٥.

﴿مِنْ رَّبِّهِ﴾ وهي توفيقه للتوبة وقبولها منه ﴿لَتُنْبَذَ﴾ وطُرح في القيامة ﴿بِالْمَرَاءِ﴾ والأرض التي لاسقف لها ولا ظلّ ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ وملوم عند الله وعند الناس على فعله وهجرته من بين قومه وقلة تحمّله لأذاهم.

واعلم أنّ هذا التفسير بالنظر إلى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^١.

وقيل: إنّ المعنى لُنْبَذَ من بطن الحوت في هذه الدنيا بالعراء، في حال كونه مذموماً، ولكن لما تاب نُبِذَ وطُرح من بطن الحوت بالعراء ممدوحاً غير مذموم^٢.

﴿فَاجْتَبَاهُ﴾ واصطفاه ﴿رَبُّهُ﴾ بعد الخروج من بطن الحوت للرسالة إلى قومه، كما كان كذلك قبل دخوله في بطنه.

عن ابن عباس: ردّ الله عليه الوحي وشفّعه في قومه^٣ ﴿فَجَعَلَهُ﴾ برحمة ﴿مِنْ﴾ الأنبياء ﴿الصّٰلِحِينَ﴾ والمعصومين من ارتكاب خلاف الأولى.

روى بعض العامة: أنّها نزلت في أحد حين همّ رسول الله ﷺ أن يدعو على المهزمين^٤. وقيل: حين أراد أن يدعو على ثقيف^٥.

وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَسْجُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [٥٢ و ٥١]

ثمّ إنّ تعالى بعدما أمر نبيّه ﷺ بالصبر على أذى قومه، بيّن شدّة عداوتهم وغضبهم على الرسول حين تلاوته القرآن العظيم بقوله: ﴿وَإِنْ يَكَادُ﴾ وقد يقرب ﴿الَّذِينَ﴾ عاندوك ﴿كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ ويضربونك ﴿بِأَبْصَارِهِمْ﴾ غضباً عليك ﴿لَمَّا سَمِعُوا﴾ منك ﴿الذِّكْرَ﴾ وتلاوة القرآن.

رُوي أنّه كان في بني أسد عيّانون، وكان الواحد منهم إذا أراد أن يصيب شيئاً بعيته يتجوّع له ثلاثة أيام، ثمّ يتعرّض له، ويقول: تالله ما رأيت أحسن من هذا، فيتساقط ذلك الشيء، وكان الرجل منهم ينظر إلى الناقة السمينة أو البقرة السمينة ثمّ يعتنيتها، ثمّ يقول للجارية: خُذي المِكْتَلَ والدَّزْهَمَ فأتيانا بلحمٍ من لحم هذه، فما تبرّح حتى تقع فتتحرّج، ولا يمرّ بشيء فيقول فيه: لم أر كاليوم مثله إلّا عانه، وكان سبباً لهلاكه وفساده، فسال بعض كفّار قريش من بعض من كانت له هذه الصفة أن يقول في

رسول الله ﷺ: ما رأيت مثله ولا مثل حُججه، فعصمه الله^١ بهذه الآية.

وقيل: إن زلقه بالأبصار كناية عن شدة الغضب، والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون إليك نظر الغضببان بمؤخر عيونهم، بحيث يكادون يزلون قدمك ويضرعونك وقت سماعهم القرآن^٢ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لإخوانهم حين رؤيتك: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ وفساد العقل، تنفيراً للناس عنه، وتوهيناً له، وقد علموا كلهم أنه أعقل الناس.

وقيل: إن المعنى أن محمداً معه جنٌ يعلمه القرآن^٣ ﴿وَوَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ الحال أنه ﴿مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وعظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ من الإنس والجن، وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم، فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسرارهم وحقائقهم ودقائقهم مما قالوا في حقّه من الجنون؟ فكيف ينسبونه إليه وليس ما قالوا إلا من غاية الحمق والجهالة؟

عن الصادق عليه السلام: أنه مرّ بمسجد الغدير، فنظر إلى ميسرة المسجد فقال: «ذاك موضع قدم رسول الله ﷺ حيث قال: من كنت مولاه فعلي مولاه» ثم نظر إلى الجانب الآخر فقال: «ذاك موضع قسطاط أبي فلان وفلان وسالم مولى خذيفة وأبي عبيدة، فلما أن رأوه رافعاً يده قال بعضهم لبعض: انظروا إلى عينيه تدوران كأنهما عينا مجنون، فنزل جبرئيل بهذه الآية»^٤.

أقول: يمكن حمل نزول جبرئيل بها في ذلك الوقت على نزوله بها مرة ثانية.

وعن القمي: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ قال: لما أخبرهم رسول الله ﷺ بفضل أمير المؤمنين عليه السلام [قالوا: هو مجنون] قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾^٥.

عن الصادق عليه السلام قال: «من قرأ سورة ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ في فريضة أو نافلة، أمنه الله عز وجل من أن يصيبه فقر أبداً وأعاذه الله إذا مات من ضمة القبر»^٦.

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٢٧.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٣٠.

٣. الكافي ٤: ٢/٥٦٦، من لايحضره الفقيه ٢: ١٥٥٨/٣٣٥، تفسير الصافي ٥: ٢١٦.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٨٣، تفسير الصافي ٥: ٢١٦.

٥. ثواب الأعمال: ١١٩، مجمع البيان ١٠: ٤٩٦، تفسير الصافي ٥: ٢١٦.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ١٢٧.

في تفسير سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَاقَةُ * مَا أَلْحَاقَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا أَلْحَاقَةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ

بِالْقَارِعَةِ [١-٤]

ثُمَّ لَمَّا خُتِمَتْ سُورَةُ الْقَلَمِ الْمُتَضَمِّنَةُ لِتَجْلِيلِ الرَّسُولِ ﷺ وَبِإِطَالِ نَسْبَةِ الْجَنُونَ إِلَيْهِ، وَبَيَانِ نَزُولِ الْعَذَابِ الدُّنْيَوِيِّ عَلَى مَانَعِي حُقُوقِ الْفُقَرَاءِ، وَبَيَانِ أَنَّ الْعَذَابَ الدُّنْيَوِيَّ كَذَلِكَ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ، وَبَيَانِ شِدَّةِ عِدَاوَةِ الْكُفَّارِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَانْضِجَارِهِمْ مِنْ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ لِلْعَالَمِينَ، تُظْمِتُ سُورَةُ الْحَاقَّةِ الْمُتَضَمِّنَةُ لَكَثِيرٍ مِنَ الْعَذَابِ الدُّنْيَوِيِّ النَّازِلِ عَلَى الْأُمَمِ، وَبَيَانِ عَظَمَةِ عَذَابِ الْآخِرَةِ، وَشِدَّةِ عِدَاوَةِ الْكُفَّارِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَنَسْبَةِ الْكِبَاهِنَةِ وَالشَّعْرِيَّةِ، وَبِإِطَالِ هَاتَيْنِ النَّسَبَتَيْنِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبَيَانِ عَظَمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَكَرَ بَعْضَ أَهْوَالِهَا وَشِدَائِدِهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ الْمُبَارَكَتَيْنِ، ثُمَّ افْتَتَحَهَا بِسُبْحَانِهِ بِذِكْرِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثُمَّ ابْتَدَأَهَا بِذِكْرِ عَظَمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلْحَاقَةُ﴾ وَإِنَّمَا سَمِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِالْحَاقَّةِ لِأَنَّهُ يَحِقُّ وَقُوعُهُ وَيَجِبُ، أَوْ يَحِقُّ فِيهِ جَزَاءُ الْأَعْمَالِ، أَوْ تَحِقُّ فِيهِ الْأُمُورُ وَتُعَرَفُ حَقَائِقُهَا، أَوْ تَحِقُّ فِيهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ. ثُمَّ بَالِغٌ فِي التَّهْوِيلِ وَتَفْخِيمِ قِطَاعَتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا أَلْحَاقَةُ﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ هِيَ فِي الْعَظَمَةِ وَالْفُظَّاعَةِ؟ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ وَمَا أَعْلَمُكَ ﴿مَا أَلْحَاقَةُ﴾ وَأَيُّ يَوْمٍ هِيَ؟ فَأَنَّهُا خَارِجَةٌ عَنْ دَائِرَةِ عِلْمِ الْمَخْلُوقِ، كَيْفَ مَا قَدَّرَ عَظَمَتُهَا كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ ﴿كَذَّبَتْ﴾ قَبِيلَةُ ﴿ثَمُودُ وَعَادُ﴾ بِهَذَا الْيَوْمِ الَّذِي يُسَمَّى أَيْضاً ﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ النَّاسَ وَتُصِيبُهُمْ بِالْأَفْزَاعِ وَالْأَهْوَالِ وَالْعَذَابِ، وَالسَّمَاءُ بِالْإِنْشِقَاقِ، وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ بِالْذُّكِّ^١ وَالنَّسْفِ، وَالنَّجُومُ بِالطُّمَسِ وَالْإِنْكَدَارِ.

١. في النسخة: بالباد، والتصحيح من تفسير روح البيان ١٠: ١٣١.

**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِسَرِيعِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ *
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ
أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [٥-٧]**

ثم بين سبحانه ما نزل على المكذبين للقيامة من العذاب بقوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا﴾ لتكذيبهم بهذا اليوم ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ والصيحة المتجاوزة عن حد الصيحات في الشدة^١ فأرجفت الأرض وتقطعت منها القلوب ﴿وَأَمَّا عَادُ﴾ الذين هم أشد طغياناً وعتواً من ثمود ﴿فَأَهْلِكُوا﴾ لتكذيبهم مع كمال قوتهم ﴿بِسَرِيعِ صَرْصَرٍ﴾ وباردة أو شديدة الصوت ﴿عَاتِيَةٍ﴾ ومتجاوزة عن الحد في الشدة والعصف، كأنها عنت على خزائنها ولم يتمكنوا من ضبطها ﴿سَخَّرَهَا﴾ الله وأرسلها بقدرته القاهرة إلى قوم عاد، وسلطها ﴿عَلَيْهِمْ﴾ غضباً وانتقاماً منهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ حال كون تلك الرياح ﴿حُسُومًا﴾ ومتواليات ومتتابعات، وما خفف هبوبها تلك المدة ساعة حتى أهلكهم، أو نحسات حسمت كل خير، أو قاطعات حيث قطعت دابر القوم ﴿فَتَرَى﴾ يا محمد، أو أيها الرائي إن كنت حاضراً حينئذ ﴿الْقَوْمَ﴾ جميعهم مع كمال قوتهم وعظم أجسامهم ﴿فِيهَا صَرْعَى﴾ ومطروحين على الأرض ميتين ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في عظم الأجسام وطولها وعدم الحركة لها ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ وأصولها المقطوعة حال كونها ﴿خَاوِيَةٍ﴾ ومجوفة. قيل: كانت الريح تدخل من أفواههم، ويخرج مافي أجوافهم من أديبارهم^٢.

**فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ *
فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَا الْأَمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي
الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاِعْيَةٍ [٨-١٢]**

ثم بالغ سبحانه في بيان هلاكة جميعهم بقوله: ﴿فَهَلْ تَرَى﴾ أيها الرائي ﴿لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ نفس ﴿بَاقِيَةٍ﴾ حية، أو من بقية من ذكر أو أنثى، أو كبير أو صغير؟ لا والله لا ترى منهم أحداً ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ كان ﴿قَبْلَهُ﴾ وتقدمه من الكفار ﴿وَوَ﴾ أهل القرى ﴿الْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ والمنقليات، وهي قرى قوم لوط وأتوا^٣ ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ والمعصية العظيمة، أو الأفعال السيئة العظيمة كتكذيب البعث ﴿فَعَصَوْا﴾ كلهم ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ حين نُهوا عما كانوا عليه من القبائح ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ الله بذنوبهم وكفرهم وتكذيبهم البعث وابتلائهم بالعباب ﴿أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ وعقوبة زائدة في الشدة على عقوبات

٣. في النسخة: والوا.

١. في النسخة: الشديدة. ٢. تفسير روح البيان ٤١: ١٣٤.

سائر الكفرة، أو على القدر المتصور عند الناس، لزيادة عصيانهم على عصيان غيرهم، كغرق أهل العالم، وتقلب سبع بلاد^١، وإمطار الحجارة عليهم.

ثم أشار سبحانه إلى قصة قوم نوح بقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ وتجاوز عن الحد حتى علا كل شيء في الأرض، وارتفع على الجبال، أو طغى على خزانه ولم يقدروا على ضبطه ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي﴾ السفينة ﴿الْجَارِيَةِ﴾ السائرة على الماء، وإنما كان غرق الكفار ونجاة المؤمنين ﴿لِنَجْمَلَهَا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿تَذَكُّرَةً﴾ وعظة ودليلاً واضحاً على قدرتنا وغضبنا على الكفر وتكذيب الرسل ﴿وَتَمِيحًا﴾ وتحفظها ﴿أُذُنٌ وَإِعْيَةٌ﴾ وحافضة ما هو نافع لصاحبها بتذكره والتفكير فيه، فإن من تفكر في غرق أهل الأرض بالطوفان الذي علا على الجبال الشوامخ خمسة عشر ذراعاً وإنجاء المؤمنين في السفينة، علم أن للعالم مدبراً قادراً حكيماً رحيماً بمن وجده متنعماً بمن أنكره وكذب رسله.

في ذكر فضيلة روى الفخر الرازي وغيره من العامة عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام حين نزلت أمير المؤمنين عليه السلام الآية: «سئلت الله تبارك وتعالى أن يجعلها أذكى يا علي» قال علي صلوات الله عليه: «فما نسيت شيئاً بعد ذلك، وما كان لي أن أنسى»^٢.

وفي رواية ذكرها النقاش: أخذ ﷺ بأذن علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: «هي هذه»^٣.

فَإِذَا نَفَعَ فِي الصُّورِ نَفْعَةً وَاحِدَةً * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً
وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ *
وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ
تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ
اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي
جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ [١٣- ٢٤]

ثم شرع سبحانه وتعالى في بيان الحاقة، وكيفية وقوعها عقيب بيان عظم شأنها وإهلاك مكذبيها

١. كذا، والظاهر: سبع بلدات، أو سبع مدائن.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٠٧، تفسير الطبري ٢٩: ٣٥، الكشاف ٤: ٦٠٠، الدر المنثور ٨: ٢٦٧، تفسير روح البیان ١٠:

١٣٦. ٣. تفسير روح البیان ١٠: ١٣٦.

بقوله: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ وقد مرَّ بيان الصُّور والنفخ فيه ﴿نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ أولية ﴿وَحُمِلَتْ﴾ وقِيلَتْ ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ من أماكنهما بالقدرة الإلهية، أو بالزلزلة ﴿فَدَكَّنَا﴾ وضربنا: يعني كلاً بالآخر ﴿دَكَّةً﴾ وضربة ﴿وَاحِدَةً﴾ فتسير الجبال بها كتيلاً مهيلًا، والأرض هباءً منثورًا ﴿فَيَوْمِئِذٍ﴾ وحينئذٍ ﴿وَوَقَعَتِ الْوَأَقَعَةُ﴾ العظيمة، ونزلت النازلة الهائلة الفظيعة، وهي على ما قيل صيحة القيامة^١ ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ وانفجرت لنزول الملائكة إلى الأرض ﴿فَهِىَ يَوْمِئِذٍ﴾ وفي تلك الوقت ﴿وَاهِيَةٌ﴾ مسترخية غير متماسكة كالعهن المنفوش ﴿وَالْمَلَكُ﴾ الذي يسكن في السماء يقفون بعد انشقاقها ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ ونواحيها وأكنافها.

قيل: إن الملائكة يقفون في حافات السماء لحظة ثم يموتون لقوله: ﴿فَصَبَقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾^٢ ويَحْتَمِلُ أَنْ وقوفهم بعد موتهم وإحيائهم، ويَحْتَمِلُ كون الواقفين المستثنون بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾^٣.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ وهو على ما قيل الفلك التاسع^٤، وهو أعظم خلق خلقه الله، وبه تُحَدَّدُ الجهات ﴿فَوَقَّهْمُ﴾ قيل: يعني فوق الملائكة الذين هم على أطراف السماء، أو فوق الحَمَلَةِ^٥ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ وفي ذلك الوقت ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾ أملاك.

عن النبي ﷺ: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى»^٦. وزُيِّرَ أَنَّهُمْ ثمانية أملاك أرجلهم في ثُخوم الأرضين السابعة، والعرش فوق رؤوسهم، كلهم مُطَرِّقُونَ مُسَبِّحُونَ^٧.

أقول: ومن التخرُّص بالغيب قول بعض علماء العامة: الأربعة اللاحقة الأئمة الأربعة: أبوحنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد^٨.

وعن الصادق عليه السلام قال: «حَمَلَةُ العرش - والعرش العلم - ثمانية: أربعة منّا، وأربعة ممّن شاء الله»^٩. وعن القمي قال: حَمَلَةُ العرش ثمانية، لكل واحدٍ منهم ثمانية أعين، كلٌّ عَيْنِ طَبَاقِ الدُّنْيَا^{١٠}. قال: وفي حديث آخر قال: «حَمَلَةُ العرش ثمانية: أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأما

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٣٧.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٠٨، تفسير روح البيان ١٠: ١٣٨، والآية من سورة الزمر: ٦٨/٣٩.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٠٨، تفسير روح البيان ١٠: ١٣٨، والآية من سورة الأنعام: ١٢٨/٦.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ١٣٨. ٥. تفسير أبي السعود ٩: ٢٤، تفسير روح البيان ١٠: ١٣٩.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ١٣٩. ٧. تفسير روح البيان ١٠: ١٣٩.

٨. الكافي ١: ٦١٠٢، تفسير الصافي ٥: ٢١٩.

٩. بحار الأنوار ٥٨: ٤٣/٢٧، وتفسير الصافي ٥: ٢١٩، عن تفسير القمي.

الأربعة من الأولين: فنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وأما من الآخرين: فمحمد، وعلي، والحسن، والحسين عليهما السلام. ومعني يحملون العرش: يحملون العلم^١.

أقول: يمكن أن يكون هذا الحديث تأويل الآية، فيكون المعنيان صحيحين.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أنتم أيها الناس ﴿تَعْرَضُونَ﴾ على الله للسؤال والحساب، كما يُعرض العسكر على السلطان لتعرف أحوالهم ﴿لَا تَخْفَى﴾ على الله مما صدر ﴿مِنْكُمْ﴾ في الدنيا فعلة ﴿خَافِيَةً﴾ ومستورة من الغير، وكذا كل نية وسريرة، فيظهر في ذلك اليوم جميع الضمائر والسرائر على جميع الخلق، فيكمل بذلك سرور المؤمنين المخلصين، ويفضح الكفار والمنافقين، ومع ذلك تتطير صُحف الأعمال، ويُعطى كل أحد كتابه بيده ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ﴾ وأعطى ﴿كِتَابَهُ﴾ وصحيفة عمله التي كتبها الملائكة الحفظة ﴿بِإِمِينِهِ﴾ تعظيماً له ﴿فَيَقُولُ﴾ فرحاً وسروراً لمحبيه من المؤمنين: ﴿هَآؤُمُ﴾ وخذوا، أو هلموا يا إخواني المؤمنين وأقربائي وأحبائي ﴿أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً﴾ وانظروا ما فيه من البشارة بالنجاة من النار والدخول في الجنة ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ في الدنيا ﴿أَنِّي مُلَاقٍ﴾ يوم القيامة ﴿حِسَابِيَّةً﴾ وإن احتملت أن الله لا يُحاسبني ويدخلني الجنة بغير حساب لشدة رجائي بكرمه.

وقيل: إن الظن هنا بمعني اليقين^٢، والمعنى أيقنت أنني أبعث يوم القيامة وألاقي حساب أعمالي، فتهيأت لهذا اليوم ﴿فَهُوَ﴾ بفضل الله وبكرمه يستقر ﴿فِي عَيْشَةٍ﴾ هنية وحياة ﴿رَاضِيَةٍ﴾ مرضية صافية عن الكدورة مقرونة بالنعم والراحة والكرامة، أعني أنه متمكن ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ مرتفعة الدرجات والقصور والأشجار التي ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ وقريبة ممن يُريدها ينالها قائماً وقاعداً ومضطجعاً بيده من غير تعب. وقيل: لا ينتظر إدراكها^٣.

ويقال لهم ﴿كُلُوا﴾ مما شئتم من الثمار بلامع ﴿وَأَشْرَبُوا﴾ من أنهار الخمر والعسل واللبن وماء غير أسن ﴿هَنِيئاً﴾ وسائفاً لكم ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ وقدمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ والأزمنة الماضية من زمان عمر في الدنيا. وقيل: في أيام صومكم^٤.

روي أنه يقول الله: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشرية وغارت عيونكم وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية^٥.

١. تفسير القمي ٢: ٣٨٤، تفسير الصافي ٥: ٢١٩.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١١٢.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٢.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٣.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٣.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ * وَلَمْ أَدْرِ مَا
حِسَابِيَةَ * يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ * هَلَكْتُ عَنِّي
سُلْطَانِيَةَ [٢٩-٢٥]

هذا حال المؤمنين الصالحين في الآخرة ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ تحقيراً له بأن تُلوى - على ما قيل - يسراه إلى خلف ظهره، ويرى ما فيه من قبائح أعماله ﴿فَيَقُولُ﴾ تحزناً وتحسراً ﴿يَا﴾ أهل المحشر ﴿لَيْتَنِي﴾ وأتمنى أنه ﴿لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ﴾ ولم أعط صحيفة أعمالِي التي فيها جميع سيئاتي ﴿وَلَمْ أَدْرِ﴾ ولم أعلم ﴿مَا حِسَابِيَةَ﴾ فإنه ليس في أعمالِي إلا ما يُوجب العذاب. ثم يتمنى أن الموتة التي أدركته في الدنيا لم يكن بعدها بعث بقوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ والقاطعة لحياتي بحيث لم يكن بعدها بعث ولا حساب، ولم ألق ما ألقى من سوء العاقبة واليوم ﴿مَا أَغْنَىٰ﴾ ولم يدفع ﴿عَنِّي﴾ شيئاً من العذاب ﴿مَا﴾ كان ﴿لِي﴾ من المال والأولاد والأتباع. قيل: إن ﴿مَا﴾ استفهامية على سبيل الانكار، والمعنى أي شيء أغني ما كان لي من اليسار^٢. وقيل: يعني لم يغني عني المال الذي جمعته في الدنيا شيئاً من العذاب^٣، بل صار سبباً لابتلائي^٤ به. ﴿هَلَكْتُ﴾ وذهب ﴿عَنِّي﴾ اليوم ﴿سُلْطَانِيَةَ﴾ ومُلْكِي واستيلاتي على الناس، وبقيت ضعيفاً ذليلاً مقهوراً.

عن ابن عباس: يعني ضلّ عني حُجَّتِي التي كنتُ احتج بها على محمد في الدنيا^٥. وقيل: يعني إن ما كنت أنازع المحقّقين بسبب الملّك والسلطنة، فالآن ذهب ذلك الملك وبقي الوبال^٦.

خُذُوهُ فَعْلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً
فَأَسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ *
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا
الْخَاطِئُونَ [٣٧-٣٠]

وعلى أي تقدير يقول الله تعالى للملائكة الغلاظ والشّداد غضباً على العاصي: ﴿خُذُوهُ فَعْلُوهُ﴾ وقيّده ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ وأقلوه بعنف ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾ وطولها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾ فأسلّكوه^١، وأدخلوه وشّدوه بحيث لا يقدر على الحركة.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١١٤.
٣. ٧-٤. تفسير الرازي ٣٠: ١١٤.

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٤.
٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٤.

عن كعب الأحبار قال: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها، ولو وضعت حلقة منها على جبل لذاب مثل الرصاص، تُدخِلُ السلسلة في فيه وتخرُج من دُبُرِه، ويلوى فضلها على عُنقه وجسده، ويُقرَن بها بينه وبين شيطانه^١.

قيل: إن السبعين كناية عن كثرة الطول^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «لو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها»^٣.

وعنه عليه السلام: «كان معاوية صاحب السلسلة التي قال الله عز وجل: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾ الآية. قال: «وكان فرعون هذه الأمة»^٤.

ثم كانه قالت خَزَنَةُ النار: ماله يُعَذَّب بهذا العذاب الشديد؟ فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ ومن كفر به مع غاية عظمته كان عذابه في غاية العظيمة.

ثم إنه تعالى بعد بيان سوء اعتقاده بين سوء عمله بقوله: ﴿وَلَا يَحْضُضُ﴾ ولا يحرض أهله وغيرهم ﴿عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ وإيكالهم القوت فضلاً عن أن يُعطى ويبدل من مال نفسه، وفيه دلالة على أن البخل من أعظم المعاصي، روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «البخل كفر، والكافر في النار»^٥.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيُومُ﴾ وفي ذلك الوقت ﴿هَامِتًا﴾ وفي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ ﴿حَمِيمٌ﴾ وقريبٌ يُحامي عنه وينصره، أو يحترق له قلبه، بل أقرباؤه وأصدقاؤه، يَفِرُّونَ منه ﴿وَلَا طَعَامَ﴾ له ﴿إِلَّا مِنْ غِشْلِينَ﴾ وما يسيل من جلود أهل النار روي أنه لو وقعت قطرة منه على الأرض لأفسدت على الناس معاشهم^٦، وعليه يكون إطلاق الطعام عليه مع أنه شراب من باب المجاز. وقيل: إنه اسم شجر في النار^٧ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ طريق توحيد الله، المشركون به، كما عن ابن عباس^٨. وقيل: هم الذي يتخطون الحق إلى الباطل^٩، فيشمل مُنكر الرسالة والإمامة.

فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ * نَزِيلٌ مِنْ
رَبِّ الْعَالَمِينَ [٣٨-٤٣]

٣. تفسير القمي ٢: ٨١، تفسير الصافي ٥: ٢٢١.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٧.

٧ و٨. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٨.

١ و٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٦.

٤. الكافي ٤: ١٧٢٤، تفسير الصافي ٥: ٢٢١.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٧.

٩. تفسير الرازي ٣٠: ١١٦، تفسير روح البيان ١٠: ١٤٨.

ثم إنَّه تعالى بعد بيان أحوال القيامة وأحوال السعداء والأشقياء، وكان المشركون والأشقياء يُنكرون جميعها ويكذبون القرآن، بين سبحانه عظمة القرآن وأنه كلام الله المجيد بقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ وقيل: إنَّ التقدير فلامجال لتكذيب المكذِّبين^١ للقرآن وما أخبر به من البعث والنشور، أقسم ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ وما تُشاهدون من الجسمانيات ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ ولا تُشاهدون من العقول والروحانيات ﴿إِنَّهُ﴾ من أوله إلى آخره ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ صادق مبعوث من جانب الله ﴿كَرِيمٍ﴾ عليه عظيم الشأن عنده، وهو محمد ﷺ أو جبرئيل، جاء به من قبل الله ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ﴾ كما ترعمون، وأنتم إيماناً ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن أنه كلام الله، وبمن جاء به أنه رسول الله ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ﴾ كما تدعون ذلك مرة أخرى تذكرُ ﴿قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ ولذا يلتبس عليكم الأمر.

قيل: إنَّ الايمان والتذكر القليل بالشيء الظنُّ به والميل إليه^٢ وقيل: إنَّ القليل في الآيتين كناية عن العدم^٣. وقيل: إنَّ الايمان القليل اليقين بالقلب والجُحود باللسان^٤. أو الايمان ببعض أحكام القرآن دون^٥ بعض.

وإنما قرن سبحانه عدم الايمان بالشاعرية؛ لأنَّ عدم مشابهة القرآن بالشعر أمر بيِّن لا ينكره إلا المعاند فلذا وبَّخوا على عدم الايمان بخلاف مبادئه^٦ للكهانة، فإنها ليست بذاك الوضوح، فإن من تذكر أحوال النبي ﷺ ومعاني القرآن وتأمل فيهما^٧ عِلِم أن القرآن ليس بكهانة، فإن الكاهن يأتيه الشيطان ويلقي إليه أخبار السماء، وما يقوله النبي ﷺ مشتمل على ذم الشياطين وسبهم، فكيف يُمكن أن يكون ذلك بإلقاء الشياطين؟ وكذا معاني القرآن [فإنها تشتمل على] الدعوة إلى العقائد الحقَّة وتهذيب الاخلاق والأعمال الصالحة بخلاف أقوال الكهنة، فلو تذكر كفار مكَّة معاني القرآن ومعاني أقوال الكهنة لما قالوا: إنه كاهن، وإن القرآن كهانة، بل هو ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَله بتوسط جبرئيل على رسوله، فهو قول الله وكلامه لأنَّه نَزَله، وقول جبرئيل لأنَّه نزل به، وقول رسول الله ﷺ لأنَّه أنذر به.

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ
الْوَيْتِينَ * فَمَا يَنْكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مَّكَذِبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ *

٢-٤. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٩.

٦. في تفسير روح البيان: مباينته.

١. تفسير طبري ٢٩: ٤١.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٤٩ و ١٥٠.

٧. في النسخة: منهما.

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ [٤٤-٥٢]

ثم أكد سبحانه أنه كلامه لا كلام النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ مُحَمَّدٌ عَلَيْنَا﴾ ونسب إلينا كذباً ﴿بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ والكلمات التي لم نقلها ﴿لَاخَذْنَا﴾ بعضاً ﴿مِنْهُ﴾ للانتقام ﴿بِالْيَمِينِ﴾ والقوة.

وقيل: إن المراد باليمين الحق^١ والمعنى لانتقمنا منه بالحق ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ والعرق الذي به حياته، وهو كناية عن إمامته. وقيل: يعني لضربنا عنقه^٢.

وعلى أي تقدير، المراد إهلاكه بأفطع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه ﴿فَمَا مِنْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ حينئذٍ ﴿عَنْهُ حَاجِرِينَ﴾ ومانعين بالقوة أو الشفاعة.

ثم إنه تعالى بعد تعظيم كتابه بالغ في مدحه بذكر فائدته العظيمة بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ﴾ وعظة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ من إتباع الهوى والعصية في مذهبه الباطل، فإنهم المتفعون به ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ﴾ كثيراً ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها العرب ﴿مُكْذِبِينَ﴾ له لحب الدنيا وإتباع الهوى والتوغل في العصية، وكافرين به حسداً وبغياً ﴿وَإِنَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ وندامة ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ به وبمحمد ﷺ عند مشاهدتهم عظمتهم وشفاعته لتاليه وثواب المصدقين به، وفي الدنيا أيضاً إذا رآوا عز المؤمنين به وذلة الجاحدين له قالوا: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ وفيه من المبالغة ما لا يخفى، فاذا كان القرآن أنزله إليك بهذه المرتبة من العظمة والفائدة، ونعمته عليك فوق جميع النعم ﴿فَسَبِّحْ﴾ الله تنزيهاً له.

عن الرضا عليه السلام: «بالتقول عليه، وشكراً له على إيحائه عليك»^٣ مستعيناً في تسييحه ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قيل: المراد بالاسم المسمى^٤.

رُوي أنه لما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في رُكوعكم»^٥.

روى بعض العامة عن عمر بن الخطاب أنه قال: خرجت بمكة يوماً متعرضاً لرسول الله ﷺ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فجلست فوقفت وراءه، فافتتح سورة الحاقة، فلما سمعت سرود القرآن قلت في نفسي: إنه لشاعر كما تقول قريش، حتى بلغ إلى قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم مرّ حتى انتهى إلى آخر السورة، فأدخل الله في قلبي الإسلام^٦.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٥١.

٤ و ٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٥٢.

١. تفسير الرازي ٣٠: ١١٨.

٣. تفسير الصافي ٥: ٢٢٣.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ١٥٣.

عن الكاظم عليه السلام: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» يعني جبرئيل عن الله في ولاية علي عليه السلام، قال: «قالوا: إن محمداً كَذَبَ على ربه، وما أمره الله بهذا في علي، فأنزل الله تعالى بذلك قرآناً فقال: إِنَّ ولاية علي ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَالِكِينَ﴾ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ...» الآية، ثم عطف القول فقال: إِنَّ ولاية علي لتذكراً للمتقين - للعالمين - وإن علياً لحسرة على الكافرين، وإن ولايته لحق اليقين، فسبح - يا محمد - باسم ربك العظيم. يقول: اشكر ربك العظيم الذي اعطاك هذا الفضل^١.

وعن الصادق عليه السلام: «لَمَّا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَظْهَرَ وِلَايَتَهُ، قَالَ جَمِيعاً: وَاللَّهِ مَا هَذَا مِنْ تِلْقَاءِ اللَّهِ، وَلَا هَذَا إِلَّا شَيْءٌ أَرَادَ أَنْ يُشْرَفَ بِهِ ابْنُ عَمَّتِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ الْآيَاتِ «أَنْ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ» يعني فلاناً وفلاناً «وَأِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ» يعني علياً عليه السلام^٢.

عن النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ حَاسِبَهُ اللَّهُ حِسَاباً يَسِيراً»^٣.

وعن الصادق عليه السلام: «أَكْثَرُ مِنْ قِرَاءَةِ الْحَاقَّةِ، فَإِنْ قَرَأْتَهَا فِي الْفَرَاغِ وَالنَّوْافِلِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، [لَأَنَّهُ] إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَعَاوِيَةَ، وَلَمْ يُسَلَبْ قَارِئُهَا دِينُهُ حَتَّى يُلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^٤.

الحمد لله على التوفيق لاتمام تفسيرها.

٢. تفسير العياشي ٣: ٢٤٢٣/٢٢، تفسير الصافي ٥: ٢٢٣.

٤. ثواب الأعمال: ١١٩، تفسير الصافي ٥: ٢٢٣.

١. الكافي ١: ٩١/٣٥٩، تفسير الصافي ٥: ٢٢٣.

٣. تفسير أبي السعود ٢: ٢٨.

في تفسير سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ [١-٣]

ثم لما ختمت سورة الحاقة المتضمنة لبيان عظمة يوم القيامة وعذاب مكذبيه وأهواله حين وقوعه، وحسن حال المؤمنين به وسوء حال الكافرين ومانعي حقوق المساكين، وأنه ليس لهم في ذلك اليوم حميم، وبيان عظمة القرآن وتسلية الرسول ﷺ، نُظِمَت سورة المعارج المتضمنة لبيان عذاب الكفار، وقرب وقوع القيامة وطول مدتها وأهوالها، وغفلة الحميم عن حميمه، وحسن حال المؤمنين المؤذين حقوق الفقراء، وسوء حال الكفار، وتسلية النبي ﷺ وأمره بالصبر على أذى قومه إلى غير ذلك من وجوه المناسبات بين السورتين، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم حكي سبحانه شدة خبائث بعض الكفار وجراته على الله بقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ ودعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ لامحالة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ وعليهم كما عن ابن عباس، إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿لَيْسَ لَهُ﴾ إذا جاء وقته أو اقتضته حكمته ﴿دَافِعٌ﴾ ومانع ﴿مِنْ﴾ جانب ﴿اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ومالك السماوات التي هي المصاعد للملائكة الذين هم مدبرات الأمور ومقسمات الأرزاق، وإنما سمي السماوات معارج لكون بعضها فوق بعض كالمدارج، أو المراد ذي مراتب من النعم، أو ذي الدرجات التي يعطيها أوليائه في الجنة.

عن ابن عباس: نزلت الآية في النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث قال إنكاراً للقرآن واستهزاء به: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^٣.

وقيل: إنه لما بُعِث محمد ﷺ وخوف المشركين بالعذاب، قال بعضهم لبعض: سلوا محمداً لمن

هذا العذاب، ويمن يقع؟ فنزلت ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾^١.

والباء في قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾ في معنى (عن). وقيل: إن المراد من السائل رسول الله ﷺ، حيث استعجل بعذاب الكافرين، فبشره الله بأن العذاب واقع بهم لادفاع له بقرينة قوله بعد ذلك: ﴿فَاضْبِرْ﴾^٢.

تَفْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاضْبِرْ صَبْرًا
جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ *
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ٤- ١٠

ثم بين سبحانه أن إطلاق المعارج على السماوات بلحاظ عروج الملائكة بقوله: ﴿تَفْرُجُ﴾ وتصدع
﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ الذين هم مدبرات الأمور ﴿وَالرُّوحُ﴾ الأمين المسمى بجبرئيل بعد فراغهم من أمور
الدنيا لانهائها بأمر الله ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿فِي﴾ أول ﴿يَوْمٍ﴾ وزمان ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ من أوله إلى آخره
خمسین ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من سني الدنيا، وهو يوم القيامة وزمان وقوف الناس للحساب، وهذا الطول
بالنسبة إلى الكفار، كما روي أنه قيل لرسول الله ﷺ: ما أطول هذا اليوم: فقال: «والذي نفسي بيده إنه
ليخف عن المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا»^٣.

وعن الصادق عليه السلام: «أن للقيامة خمسین موقفاً، كل موقف مقام ألف سنة» ثم تلا هذه الآية^٤.
وقيل: إن هذا التقدير على سبيل الغرض، والمقصود أنه لو اشتغل بالقضاء بين الناس أعقل الناس
وأذكاهم ل بقي فيه خمسین ألف عام، والله يفرغ من حسابهم في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا^٥ كما
عن الصادق أنه قال: «لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسین ألف سنة من قبل أن يفرغوا، والله
سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة»^٦.

وقال في رواية أخرى: «لا يتصف ذلك اليوم حتى يقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار»^٧.
ويمكن أن يقال: إن التقدير لعروج الملائكة لاليوم القيامة، كما قال بعض^٨. والمعنى أن الملائكة
يعرجون إلى مواضع لو أراد غيرهم من أهل الدنيا أن يصعد إليها لايتمكن إلا في مدة خمسین ألف

١. تفسير الرازي ٣٠: ١٢١.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٢١، والآية من سورة المعارج: ٥/٧٠.

٣. مجمع البيان ١٠: ٥٣١، تفسير الصافي ٥: ٢٢٥، تفسير الرازي ٣٠: ١٢٤.

٤. في الكافي: مقداره.

٥. الكافي ٨: ١٠٨/١٤٣، تفسير الصافي ٥: ٢٢٥.

٦. تفسير الرازي ٣٠: ١٢٤.

٧ و ٨. مجمع البيان ١٠: ٥٣١، تفسير الصافي ٥: ٢٢٥.

٩. مجمع البيان ١٠: ٥٣٠.

سنة، ولكن الملائكة يصعدون إليها في ساعة قليلة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر النبي ﷺ قال: «أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعُرج به إلى ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام في أقل من ثلث ليلة حتى انتهى إلى ساق العرش»^١.

وروى القمي عن النبي ﷺ قال: «تُرج الملائكة والروح في صبح ليلة [القدر] إليه من عند النبي والوصي»^٢.

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد، على استهزاء قومك وأذاهم ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ حسنًا لا جَزَعَ فيه ولا شكوى إلى غير الله مع انتظار الفرج بلا استعجال، ولا تدع على قومك لاستهزائهم بوعدك إياهم العذاب ﴿إِنَّهُمْ﴾ لجهلهم وحماتهم ﴿يَزُودُهُمْ وَيَزْعُمُونَ﴾ «بَعِيدًا» عن إمكان الوقوع ويحيلونه، لاستبعادهم إحياء العظام الرميم ثانياً حتى يُمكن لهم التألم بالعذاب ﴿وَوَ﴾ نحن ﴿نَزَاةٌ﴾ ونعلمه ﴿قَرِيبًا﴾ من الوقوع لإمكان إعادة خلقهم وقد رتنا عليه واستحقاقهم للعذاب.

وقيل: إنهم يرون الموت والبعث بعيداً لبعد آمالهم، ونراه قريباً لأن كل آت قريب^٣.

وأما وقوعه فإنه ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾ في اللون ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وخبث الحديد المذاب، أو الفضة المذابة كما عن ابن مسعود^٤، أو كالقير والقطران في سوادهما^٥، أو كدردى الزيت^٦ في سيلانه على مهل لثخنته^٧ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ﴾ كلها في سيورتها ألواناً مختلفة ﴿كَالْعِهْنِ﴾ والصوف المصبوغ، لاختلاف ألوان الجبال منها بيض ومنها حمر، ﴿وَوَ﴾ منها غرايب سود.

ثم لكثرة أهوال اليوم ﴿لَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ﴾ وقريب ﴿حَمِيماً﴾ وقريباً عن حاله ولا يكلمه، لاشتغال كل بنفسه، فكيف الأجانب؟

يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْزِمْ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمُنْذِ بِنَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ
وَآخِيهِ * وَصَصِيلَتِهِ آتَتْهُ تُوْبُهُ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا
لَظُلَىٰ * نَزَاةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ [١١-١٨]

٢. تفسير القمي ٢: ٣٨٦، تفسير الصافي ٥: ٢٢٥.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ١٢٥، تفسير روح البيان ١٠: ١٥٩.

٦. دُرْدِي الزيت: مارسب أسفله.

١. الاحتجاج: ٢٢٠، تفسير الصافي ٥: ٢٢٥.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٥٩.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٥٩.

٧. تفسير روح البيان ١٠: ١٥٩.

ثم دفع سبحانه توهم أن عدم سؤالهم لعله لعدم رؤيتهم أو عدم معرفة بعضهم بعضاً بقوله: **«يَبْصُرُونَهُمْ»** ويعرفونهم، فيعرف الرجل أباه وابنه وأخاه وعشيرته - وقيل: إن الملائكة يعرفونهم - ومع ذلك لا يسألهم لاشتغالهم بما هم فيه^١.

عن ابن عباس: يتعارفون ساعة ثم يتناكرون^٢.

بل من شدة عذاب ذلك اليوم **«يَوْمُ الْمُسْجَرِ»** ويشتاق الكافر والعاصي **«لَوْ يَفْتَدِي»** ويحفظ نفسه **«مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ»** الذي ابتلي به **«بَيْنِيهِ»** وأولاده الذكور الذين هم أعز الأنفس عنده **«وَصَاحِبِيهِ»** وزوجته المحبوبة عنده **«وَأَخِيهِ»** الذي كان ظهره ومعينه في الشدائد **«وَفَصِيلَتِهِ»** وأقاربه **«أَتْلَى»** كانت **«تُؤْوِيهِ»** وتضمه إلى نفسه، وتحفظه في الدنيا بحق القرابة والمحبة من الشدائد، كالآباء والأعمام والأخوال وغيرهم **«وَمَنْ فِي الْأَرْضِ»** من الجن والإنس **«جَمِيعاً»** لو كانوا تحت يديه وفي سلطانه **«ثُمَّ يُنْجِيهِ»** ذلك الافتداء.

«كَلَّا» وهيهات أن الافتداء يُنجيه من النار التي وصفها الله سبحانه بقوله: **«إِنَّهَا لَطْفٌ»** ولهت خالصة لا يخالطه دُخانٌ وقيل: إن اللظى علمٌ للنار أو للدُّرك الثاني من جهنم^٣، وهي **«نَزَاعَةٌ»** وجذابة **«لِلشَّوَى»** والأعضاء الواقعة في أطراف الجسد وقلاعه لها بقوة الاحتراق وشدة الحرارة، أو نزاعة للجلود الرؤوس وتشخيرها عنه.

قيل: لا تترك جلدأ ولالحمأ ولا عصبأ إلا أحرقتة^٤.

«تَدْعُوا» وتجلب إلى نفسها كالمغناطيس الذي يجلب الحديد، أو تهلك **«مَنْ أَدْبَرَ»** عن التوحيد والحق وأعرض عنه **«وَتَوَلَّى»** عن طاعة ربه ورسوله، واستكف عنه، وتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب. وقيل: إن المراد جلب زبانية النار بحذف المضاف^٥. **«وَجَمَعَ»** المال حرصاً وحباً للدنيا **«فَأَوَّعَى»** وكثر لطلول الأمل، ولم يؤد زكاته وحقوقه الواجبة فيه، وتشاغل به عن الدين، وتكبر على الفقراء باقتنائه^٦.

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً *
إِلَّا الْمُصْلِينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
مَعْلُومٌ * لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٦١.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ١٢٨.

١٠: ١٦٠. تفسير روح البيان

٤. تفسير الرازي ٣٠: ١٢٨.

٦. في النسخة: باقتنائه، وما أثبتناه من تفسير روح البيان ١٠: ١٦٢.

مِنْ عَذَابٍ رَّبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ * فَمَنْ أَتَبَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ [١٩-٣٤]

ثم ذم سبحانه الانسان بقوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ» بالطبع «خُلِقَ هَلُوعاً» ثم فسر سبحانه الهلوع بقوله: «إِذَا مَسَّهُ» وأصابه «الشَّرُّ» كالمرض والفقر والخوف وغيرها من البلايا كان «جَزُوعاً» وكثير القلق والشكوى لضعفه «وَإِذَا مَسَّهُ» ووصل إليه «الْخَيْرُ» من الصحة والغنى كان «مَتُوعاً» وشديد التخل ومبالغاً في الامساك لطول أمله وجهله بالقسمة «إِلَّا الْمَصْلِينَ» ولكن لامطلقاً بل «الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ» وعلى أذانها مواظبون لا يشغلهم عنها شاغل، لاهتمامهم على تقديم رضى الله على رضى أنفسهم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الذين يقضون ما فاتهم من الليل بالنهار، وما فاتهم من النهار بالليل»^١. «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ» ونصيب معين أو جبهه على أنفسهم تقريباً إلى الله «لِلسَّائِلِ» بالكف من الناس «وَالْمَسْكُورُوم» ومن لا يسأل حياة وتوكلأ على الله. عن السجادة عليه السلام: «الحق المعلوم شيء يخرج من ماله، ليس من الزكاة، ولا من الصدقة المفروضة، هو الشيء يخرج من ماله إن شاء أكثر وإن شاء أقل على قدر ما يملك، يصل به رحماً، ويقوي به ضعفاً، ويحمل به كلاً، ويصل به أخاً له في الله أو لثانية تنوبه»^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «المحروم المحارف»^٣ الذي قد حرم كذب يده في الشراء والبيع»^٤. وفي رواية: «المحروم الذي ليس بعقله بأس، ولم يتسقط له الرزق، وهو محارف»^٥. يعني أنهم أهل الكسب والصناعة لا السؤال.

«وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ» ويؤمنون بدار الجزاء «وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» خائفون أن يصيبهم فيتبعون أنفسهم في طاعة ربهم بأداء الواجبات وترك المحرمات وبذل الأموال،

١. الخصال: ١٠/٦٢٨، تفسير الصافي ٥: ٢٢٧. ٢. الكافي ٣: ١١/٥٠٠، تفسير الصافي ٥: ٢٢٧.

٣. المحارف: المحروم يطلب فلا يرزق.

٤. الكافي ٣: ١٢/٥٠٠، التهذيب ٤: ٣١٢/١٠٨، تفسير الصافي ٥: ٢٢٧.

٥. الكافي ٣: ١٢/٥٠٠، التهذيب ٤: ٣١٣/١٠٨، تفسير الصافي ٥: ٢٢٧.

وهم مع ذلك في جميع أحوالهم خائفون لما عملوا ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ وإن بالغوا في الطاعة لجهلهم بعاقبة أمورهم وواقعياتها، فلعلهم قصروا فيما هو من وظائفهم ويُعذبون عليه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَلْعَنُونَ﴾ وسواتهم من قبل والدبر ﴿حَافِظُونَ﴾ من نظر الغير ومسه ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ ونسائهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الجواني ﴿فَأَنَّهُمْ﴾ على عدم حفظها من مسمين^١ ونظرهم ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ عند العقلاء وغير مؤاخذين عند الشرع، وفيه إشعار بأن في ملامة العقلاء على ترك التحفظ كفاية لاجابة إلى نهى الشارع ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ﴾ وطلب لنفسه ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ المذكور من الأزواج والإماء للاستمتاع ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ المبتغون ﴿هُمْ أَلْعَادُونَ﴾ والمتجاوزون لحدود العقل والشرع الكاملون في الظلم على النفس، ويدخل فيه الاستمناء فإنه نكاح النفس. روي أن العرب كانوا يستمنون في الأسفار، فنزلت الآية^٢.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ وما يؤدع عندهم ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ سواء كان من العهود التي بينه وبين الله، أو بينه وبين الناس ﴿رَاعُونَ﴾ ومجدون في المحافظة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ﴾ ولو على أنفسهم، أو الوالدين والأقربين ﴿فَائِثُونَ﴾ ومؤدون حق الأداء، والجمع باعتبار اختلافه الشهادات وكثرتها، وإنما خصها بالذكر مع دخولها في الأمانات لكثرة فضلها. وعن ابن عباس قال: يُريد الشهادة بأن الله واحد لا شريك له^٣.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بحفظ أجزائها وشرائطها وآدابها. في الحديث: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»^٤.

قيل: إن ذكر الصلاة أولاً وآخرأ للإشارة بأنها أول ما يجب على العبد أداءه بعد الايمان وآخر ما يجب رعايته بعده^٥.

عن الكاظم عليه السلام: «أولئك أصحاب الخمسين صلاة^٦ من شيعتنا»^٧.

وعن الباقر عليه السلام قال: «هي الفريضة، والذين هم على صلاتهم دائمون هي النافلة»^٨.

أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ * فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ
الْأَيْمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عَزِيزِينَ [٣٧-٣٥]

١. كذا، والظاهر: مسنون. ٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٦٥ و١٦٦. ٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٣١.

٤ و٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٦٧. ٦. في النسخة: أصحاب الحسين.

٧. مجمع البيان ١٠: ٥٣٥، تفسير الصافي ٥: ٢٢٨. ٨. الكافي ٣: ١٢/٢٦٩، تفسير الصافي ٥: ٢٢٨.

ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ نَتِيجَةَ أَعْمَالِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْكَرِيمَةِ مُسْتَقْرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ لِأَتَوْصَفَ بِالْبَيَانِ، وَلَا يُذَكِّرُ كُنْهَهَا الْإِنْسَانُ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ ﴿مُكْرَمُونَ﴾ بِغَايَةِ الْإِكْرَامِ، وَمُعْظَمُونَ بِنَهَايَةِ التَّعْظِيمِ.

ثُمَّ رَوَى أَنَّ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ كَانُوا مُحْلَقِينَ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ خَلْقًا خَلْقًا وَفِرْقًا فِرْقًا، يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ وَيَسْتَهْزِؤُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ: إِنْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ كَمَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ فَلَنَدْخُلَهَا قَبْلَهُمْ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا^١﴾ وَأَيِّ حَالٍ عَرَضَهُمْ أَنَّهُمْ ﴿قَبْلَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَحَوْلَكَ حَالُ كَوْنِهِمْ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ وَمُسْرِعِينَ نَحْوِكَ، أَوْ مَا ذَيْنَ أَعْنَقَهُمْ إِلَيْكَ مُقْبِلِينَ بِأَبْصَارِهِمْ عَلَيْكَ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ مِنْكَ ﴿عَزِيزِينَ﴾ وَمَجْتَمِعِينَ فِرْقًا فِرْقًا، وَمُحْلَقِينَ عَلَيْكَ خَلْقًا خَلْقًا. وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ مِنْهُمْ الْمُنَافِقُونَ^٢.

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - وَقَدْ ذَكَرَ الْمُنَافِقِينَ - قَالَ: «وَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَأَلَّفُهُمْ وَيُقَرِّبُهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِي إِبْعَادِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَهْجَرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا^٣﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ...﴾ الْآيَاتِ^٤.
أَقُولُ: وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمَعْنَى الْعَامَ.

أَيَطْمَعُ كُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ *
فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَنْ نَبْدَلَ خَيْرًا مِنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرُّهُمْ يُخَوْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ * يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ *
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٣٨-٤٤)

ثُمَّ أَنْكَرَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمُ الطَّمَعُ فِي دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ أَمْرِي﴾ وَنَفْسِ ﴿مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ﴾ فِي الْقِيَامَةِ ﴿جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كَالْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ إِيمَانٍ ﴿كَلَّا﴾ وَحَاشَا أَنْ يَدْخُلُوهَا ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْ نَظْفَةِ قُدْرَةٍ، فَكَيْفَ يَتَأَهَّلُونَ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ مَنْزِلُ الْمُطَهَّرِينَ حَتَّى يَتَطَهَّرُوا بِالْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ؟ وَقِيلَ فِي ارْتِبَاطِ آيَةِ وَجْهِهِ أُخْرَى^٥.

ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ قُدْرَتَهُ عَلَى إِهْلَاكِ جَمِيعِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ﴾ الَّتِي تَكُونُ لِلشَّمْسِ

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٣١.

١. تفسير الرازي ٣٠: ١٣١، تفسير روح البيان ١٠: ١٦٩.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ١٣٢.

٤. الاحتجاج: ٢٣٥، تفسير الصافي ٥: ٢٢٨.

٣. المزمّل: ١٠/٧٣.

في السنة لكل يوم مشرق ﴿وَرَبِّ﴾ «الْمَغَارِبِ» التي تكون فيها. وقيل: جمعها باعتبار الكواكب السيارة لكل مشرق ومغرب^١. أو المراد من المشرق ظهور دعوة نبي، ومن المغرب موته.

﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ بالذات «عَلَى أَنْ» تُهْلِكَ جميعهم عقوبةً على معاصيهم و «تُبَدِّلَ» منهم خلقاً آخر «خَيْرًا» وأفضل «مِنْهُمْ» مكانهم «وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ» ومغلوبين وعاجزين إن أردنا ذلك، وإنما أخرنا عقوبتهم للحكم البالغة المقتضية لتأخيرها «فَذَرَهُمْ» يا محمد ودعهم «يَخْوَضُوا» ويشغلوا بباطلهم من عبادة الأصنام والاستهزاء بالقرآن وإيذاء المؤمنين «وَيَلْعَبُوا» بالدنيا وزخارفها التي لانفع لها، كاشتغال الأطفال بالأشغال التي لاغرض عقلائي فيها، ويستمرروا عليها «حَتَّى يَلَاقُوا» وَيُعَابِنُوا «يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» في الدنيا بلسانك أنهم يُعَذَّبُونَ فيه عقوبةً على كفرهم وسينات أعمالهم، أعني من ذلك اليوم «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ» والقبور حال كونهم «سِرَاعًا» وراكضين الى الداعي وهو إسرافيل، أو إلى عَرَصَةِ المحشر «كَأَنَّهُمْ» في الإسراع في السير «إِلَى نَضَبٍ» وأحجارٍ نصبوها في الدنيا للعبادة أو للمسابقة إليها بالعدو «يُوفِقُونَ» ويسرعون أو يتسابقون حال كونهم «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ» لا يرفعونها من الأرض خوفاً من رؤية العذاب «تَرْهَقُهُمْ» وتُحِيطُهُمْ «ذِلَّةٌ» ومهانة «ذَلِكَ» اليوم الكثير الأحوال «الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا» في الدنيا «يُوعَدُونَ» بلسان رسولهم، وهم يُنْكِرُونَ وقوعه ويستهزؤون بالوعد به.

عن الصادق قال: «أَكْثَرُوا من قراءة ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ فَإِنْ أَكْثَرَ قَرَأَتَهَا لَمْ يَسْأَلْهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ»^٢.

١. تفسير الرازي ٣: ١٣٢، تفسير روح البيان ١٠: ١٧٠.

٢. ثواب الاعمال: ١١٩، مجمع البيان ١٠: ٥٢٧، تفسير الصافي ٥: ٢٢٩.

في تفسير سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ
يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ
ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا
* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا وَلَيَأْتِيَهُمْ
وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا [١-٩]

ثم لما ختمت سورة المعارج المتضمنة لسؤال العذاب على الكفار، وأمر الرسول بالصبر على
تكذيب المكذبين، وبيان قدرته تعالى على إهلاك جميع الخلق، أردفت بسورة نوح في النظم
المتضمنة لشكاية نوح من تكذيب المكذبين تسلياً للنبي ﷺ، وسؤال نوح العذاب على الكفار،
ووقوع إهلاك جميع الخلق بالطوفان، فافتتحها سبحانه بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع سبحانه في ذكر قصة بعثة نوح، وكيفية دعوته وشكايته منهم^١ تسلياً للنبي ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا
أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ الذي هو أول أولي العزم من الرسل وشيخهم، من جزيرة كان يسكنها - واسمه عبد
الغفار على ما قيل^٢ - ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾^٣ وهم جميع من في الأرض، وكانوا يعبدون الأصنام، وقتلناه: ﴿أَنْ
أَنْذِرْ﴾ وخوف ﴿قَوْمَكَ﴾ من عذاب الله على الشرك به وعصيانه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ﴾ من جانب
الله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ غضباً عليهم.

٣. زاد في النسخة: من.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٧١.

١. في النسخة: عنهم.

قيل: بُعِثَ وهو ابن أربعين، أو ثلثمائة وخمسين، أو أربعمائة سنة^١.

فلَمَّا جاء نوح بأمر الله إلى قومه ﴿قَالَ﴾ لهم بليين وشفقة: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ﴾ من قبل الله ﴿نَذِيرٌ﴾ ومخوَّفٌ من سوء عاقبة الشرك بالله وعصيانهِ ﴿مُبينٌ﴾ وموضحٌ لكم ما أرسلت به ببيان يفهمه كلُّ أحدٍ وهو ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ بامتثال أوامره، ولا تُشركوا به شيئاً ﴿وَأَتَّقُوا﴾ واحذروا من مخالفته ﴿وَأَطِيعُوا﴾ واسمعوا نصائحي ومواعظي، فان قَلِمْتُ قولي وأجبتُ دعوتي ﴿يَغْفِرُ﴾ الله ﴿لَكُمْ﴾ ما سلف ﴿مَنْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ومعاصيكم كلّها ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ ويكمل عمركم المقدّر ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ووقتٍ معينٍ لموتكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة ولا يهلككم بالعذاب.

﴿إِنِ أَجَلَ اللَّهِ﴾ المقدّر لموت كلِّ أحدٍ مطيعاً كان أو عاصياً، وإذا حَلَّ الوقت المعين في اللوح المحفوظ لموت كلِّ نفس ﴿إِلَهًا جَاءَ﴾ ووصل ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾ ولا يُغيّر بالزيادة ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لسارعتُم إلى الإيمان والطاعة، وبادرتُم إلى ما أمركم به، لأنكم لاتدرون متى يجيء، فلم يعتري بقوله أحد، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى التوحيد وينصّهم بأبلغ نُصحٍ، فلَمَّا طالت المدّة وعارضه قومه وآذوه حتى ضاق صدره وانقطعت عنه الجيل، ناجى ربّه وشكا إليه قومه، ﴿قَالَ رَبِّ﴾ إنك تعلم ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ إلى توحيدك وطاعتك ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ من غير تَوَانٍ وفتورٍ.

قيل: كان يجيء باب البيوت في الليالي فيقرع ويقول لصاحب البيت قل لا إله إلا الله^٢.
﴿فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي﴾ إلى توحيدك وطاعتك ﴿إِلَّا فَرَارًا﴾ ممّا دعوتهم إليه، ونُفْرَةً ممّا نصحتهم به، وامتناعاً من قبول دعوتي ﴿وَأِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى التوحيد والإقرار برسالتي ﴿لِتُغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذنوبهم وسينئاتهم ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ وسدّوا مسامعهم لئلا يسمِعوا قولي تنفراً منه ﴿وَأَسْتَفْشَوْا﴾ ولقوا برؤوسهم ﴿بِئَابِهِمْ﴾ وتغطّوا بها لئلا يروني ولأراهم ﴿وَأَصْرُوا﴾ على كفرهم ومعاصيهم، وأقاموا عليها لجأجأً وعناداً ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ وتعظّموا عن إقباحي وقبول دعوتي ﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾ شديداً لا يضرّ فيهم عنه شيء ﴿ثُمَّ إِنِّي﴾ لما رأيت أن ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾ سرّاً غير مفيدة^٣ لهديّاتهم، دعوتهم وأجهرت في دعوتهم ﴿جِهَارًا﴾ بليغاً، وظهرت دعائي إلى الإيمان إظهاراً شديداً ﴿ثُمَّ إِنِّي﴾ رأيت أن الإجهار وحده لا يؤثّر فيهم ﴿أَعْلَنْتُ﴾ دعوتي ﴿لَهُمْ﴾ في مجامعهم ومجالسهم ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ الدعوة في أبواب بيوتهم وفي خلواتهم ﴿إِسْرَارًا﴾ وأخفيتُها إخفاءً.

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٧١، وفيه: أربعمائة وثمانين.

٢. في النسخة: مفيد.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٧٤.

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا *
وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا
تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا [١٤-١٠]

ثم لما بين مراتب دعوته بين كيفيتها بقوله: «فَقُلْتُ» لهم: يا قوم «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» واسألوه ستر
ذنوبكم «إِنَّهُ» تعالى «كَانَ غَفَّارًا» وستاراً للذنوب، فاذا استغفرتهم الله «يُرْسِلِ السَّمَاءَ» وينزل
«عَلَيْكُمْ» الأمطار النافعة حال كونها «مِدْرَارًا» وسيالاً، أو متواتراً.
قيل: إن قومه قالوا: إن كان ديننا حقاً فكيف ننزكه، وإن كان باطلاً فكيف يغفر لنا بعد ما كنا عليه
دهراً طويلاً؟ فأمرهم الله بالاستغفار، ووعدهم عليه بالعوائد الدنيوية العاجلة، لأنها أوقع في قلوبهم
من المغفرة^١.

وقيل: لما كذبوا نوحاً بعد تكرار الدعوه، حبس الله عنهم قطر السماء، وأقم أرحام نسايتهم أربعين
سنة^٢. وقيل: سبعين، فوعدهم نوح إن آمنوا أن يرزقهم الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه^٣ بقوله:
«وَيُمْدِدْكُمْ» ويؤيذك «بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ» ويزدكم قوة إلى قوتكم «وَيَجْعَلَ لَكُمْ» بسبب إيمانكم
واستغفاركم «جَنَاتٍ» وبساتين كثيرة «وَيَجْعَلَ لَكُمْ» فيها «أَنْهَارًا» جارية تنزيتها بالنبات،
وتحفظها من اليبس، وتفرح بها القلوب.

ثم لا مهم نوح على تركهم الإيمان بالله بقوله: «مَا لَكُمْ» وأي مانع فيكم؟ أنكم «لَا تَرْجُونَ» ولا
تعتقدون «لِلَّهِ» الخالق لجميع الأشياء «وَقَارًا» وعظمة مقتضية لإيمانكم به وخضوعكم له «وَوُ»
الحال أنه «وَقَدْ خَلَقَكُمْ» بقدرته «أَطْوَارًا» وتارات مختلفة، خلقكم أولاً تراباً، ثم أغذية، ثم أخلاطاً،
ثم نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظماً، ثم لحوماً، ثم أنشأكم خلقاً آخر.
وقيل: خلقكم صبياناً ثم شباناً، ثم كهولاً، ثم شيخوخاً^٤.

وقيل: خلقكم طوالاً وقصاراً، وأقوياء وضعفاء، ومختلفين في الخلق والخلق^٥.
وعن القمي: مختلفين في الأهواء والإرادات والمشينات^٦ وعلى أي تقدير كلها دال على قدرة الله
وحكمته ونهاية عظمته.

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٧٦.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٧٦.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٧٧.

٤ و ٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٧٨.

٦. تفسير القمي ٢: ٣٨٧، تفسير الصافي ٥: ٢٣١، وفي النسخة: والمشتبهات، بدل: والمشينات.

الشَّمْسِ سِرَاجاً * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا
وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطاً * لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجاً * قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا
خَسَاراً * وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا * وَقَالُوا لَا تَنْذِرُنَا إِلَهَتَكُمْ وَلَا تَنْذِرُنَا وَلَا
سُوعَا وَلَا يَفُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا [١٥-٢٤]

ثم بالغ نوح بعد الاستدلال على عظمة الله بدليل الأنفس في إثبات عظمة الله بدلائل الآفاقية بقوله:
﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ يا قوم، ولم تشاهدوا ﴿يُخَفِّفُ خَلْقَ اللَّهِ﴾ وأبدع بقدرته ﴿سَنَعَ سَمَوَاتٍ﴾ عظيمة حال
كونها ﴿طَبَاقًا﴾ وقُباً بعضها فوق بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ﴾ المنير ﴿فِيهِنَّ نُورًا﴾ لأهل الأرض في
ظلمة الليل.

عن ابن عباس رضوان الله عليه: أن الشمس والقمر والنجوم وجوهها مما يلي السماء، وظهورها
مما يلي الأرض^١.

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ﴾ التي في السماء الرابعة ﴿سِرَاجاً﴾ لأهل الدنيا، يُزيل بضائنها ظلمة الأرض،
كما يُبصر أهل البيت بنور السراج ما يحتاجون إلى رؤيته ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ وأنشأكم ﴿مِنْ﴾ تراب
﴿الْأَرْضِ﴾ بواسطة إنشاء آدم منه، أو بواسطة الأغذية المتكوّنة من التراب والماء ﴿نَبَاتاً﴾ وإنشاءً
عجيباً، وإنما عبّر عن الخلق بالإنبات لقوة دلالة على الحدوث ﴿ثُمَّ﴾ بعد إنباتكم من الأرض
﴿يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ بالإقبار بعد الموت ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ منها عند البعث والحشر ﴿إِخْرَاجاً﴾ محققاً
لأرب فيه للمحاسبة والمجازاة على الأعمال ﴿وَاللَّهُ﴾ العظيم القادر ﴿جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ﴾ البسيطة
﴿بِسَاطاً﴾ وفرشاً واسعاً تتقلبون عليها كقلبكم على البسط ﴿لَتَسْلُكُوا﴾ وتستطرقوا ﴿مِنْهَا سُبُلًا﴾
وطرقاً ﴿فِجَاجاً﴾ ومتسعاً تمشون فيها ذهاباً وإياباً.

﴿قَالَ نُوحٌ﴾ بعد تلك المناجاة الطويلة وبيان كيفية دعوته: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ وأصروا على
مخالفتي ومعارضتي ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ﴾ إلا بظراً ﴿وَوَلَدَهُ﴾ إلا غروراً، وليس نتيجة ذلك
البطر والغرور ﴿إِلَّا خَسَاراً﴾ وضرراً عظيماً في الآخرة، فإن الضعفاء رأوا أن اتباعهم لجاههم وعزمهم
بين الناس أولى وأنفع لهم من إتباعي، وأما الرؤساء [فقد] احتالوا ﴿وَمَكَرُوا﴾ في الإخلال بأمر
رسالتي ﴿مَكْرًا كَبِيرًا﴾ واحتيالاً عظيماً بأن حرّضوا أتباعهم على سبي وضربي وإيذائي ﴿وَقَالُوا﴾

لِتَبَاعِهِمْ ﴿لَا تَدْرُئُ﴾ وَلَا تَتَزَكَّى ﴿أَلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُئُ وَذَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^١
ولتدعن عبادتها.

قيل: إن تلك الأصنام دُفنت في الطوفان بساحل جدّه، فأخرجها الشيطان بعد الطوفان، فوقع كلُّ
منها بيد قبيلةٍ من العرب، فكان ودّ لكلب بدوّة الجنّذل، وشوّاع لقبيلة همّدان، ويغوث لمذحج،
ويعوق لقبيلة مُراد، ونسر لجُمَيْر^١.

وقيل: فُتيت هؤلاء الأصنام بالطوفان، ثمّ اتخذت أمثالها وسمّوها بأسمانها وعبدوها^٢.

وقيل: إن هذه الأسماء المذكورة في السورة كانوا أبناء آدم من صلبه، وكان يغوث أكبرهم، وهي
أسماء سُريانية، ثمّ وقعت تلك الأسماء إلى أهل الهند، فسَمّوا بها أصنامهم التي زعموا أنّها على صور
الدراري^٣ السبعة، وكان الجنّ يُكَلِّمهم من جوفها، ثمّ أدخلها عمرو بن لحي في أرض العرب^٤.

قيل: كان ودّ على صورة رجل، وشوّاع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على
صورة فرس، ونسر على صورة نسر، وهو طائرٌ عظيم^٥.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ أولئك الرؤساء أو الأصنام خلقاً كثيراً^٦.

وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا
لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَفْضِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَلِرِجَالِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ
إِلَّا تَبَارًا [٢٨-٢٤]

ثمّ لما عدّ نوح قبائح أعمال القوم هاج غضبه ودعا عليهم بقوله: ﴿وَلَا تَزِدْ﴾ يا رب الكفار
﴿الظَّالِمِينَ﴾ على أنفسهم بتعريضها للهلاك باختيارهم الشرك، وعليك بتضييع حقوقك ﴿إِلَّا
ضَلَالًا﴾ وضياًعاً وهلاكاً، أو ضلالاً في تمشية مكرمهم وترويج مصالح دنياهم، أو لما يشس من
إيمانهم دعا عليهم بازدياد شقاوتهم لازدياد استحقاقهم العذاب، كما قال موسى عليه السلام ﴿وَأَشَدُّ عَلَى
قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^٦.

٣. الدراري: الكواكب.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٨٢.

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٨١.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ١٨١ و ١٨٢.

٦. بونس: ٨٨/١٠.

ثم أخبر الله بسوء عاقبتهم بقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ العظيمة، ومن أجل فواحشهم الكثيرة في المدة المتطاولة ﴿أَغْرَقُوا﴾ كلهم بالطوفان ﴿فَأَذْخَلُوا﴾ بمنحس خروج الروح من أبدانهم ﴿نَاراً﴾ سجّرها القهار بغضبه في البرزخ قبل القيامة ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ﴾ حين ابتلائهم بالعذاب الدنيوي والأخروي ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ومما سواه من الأصنام والأوثان ﴿أَنْصَاراً﴾ وأعاوناً يدفعون العذاب عنهم بالقوة أو الشفاعة.

ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول نوح بقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ﴾ بعد يأسه من إيمان قومه واهتدائهم وتواصيهم بعدم ترك عبادة أصنامهم: ﴿رُبُّ لَا تَذَرُ﴾ ولا تدع ﴿عَلَى﴾ وجه ﴿الْأَرْضِ﴾ بسبب إنزال العذاب ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بك وبرسوك ﴿دَيَّاراً﴾ ومتحرّكاً.

ثم بين نوح أن دعاءه عليهم ليس للتشفي وهوى النفس، بل للغضب لله بقوله: ﴿إِنَّكَ﴾ يا رب ﴿إِنْ تَذَرُهُمْ﴾ وثبقيهم على وجه الأرض كلّاً أو بعضاً ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ المؤمنين عن طريق التوحيد والقرب إليك، أو المراد يصدّوا عبادك عن الايمان بك، كما روي أن الرجل ينطلق بابه إلى نوح ويقول له: احذر هذا الرجل، فإنه كذاب، وإن أبي حذرنه وأوصاني بمثل ذلك^١.

﴿وَلَا يَلِدُوا﴾ من بعد ﴿إِلَّا فَاجِرًا﴾ ومعادياً لدينك ﴿كَفَّارًا﴾ ومصراً على الشرك وكفران نعمك. عن الباقر عليه السلام أنه سئل ما كان علم نوح حين دعا على قومه أنهم لا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً؟ فقال: «أما سمعت قول الله لنوح: ﴿أَنْتَ لَنْ تُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾^٢.

ثم دعا لنفسه ولأقاربه وللمؤمنين بقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ خطاياي وزلاتي ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ ملك بن متوشلخ وشمخا بنت أنوش كانا مؤمنين ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ قيل: يعني مسجدي^٣. وقيل: يعني سفيتي^٤ حال كونه ﴿مُؤْمِنًا﴾ بك وموحداً لك ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ عموماً إلى آخر الدهر. ثم عاد إلى الدعاء على الكفار بقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ على أنفسهم باختيار الشرك ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ وهلاكاً ودماراً.

عن الصادق عليه السلام: من كان يؤمن بالله ويقرأ كتابه، لا يدع قراءة سورة ﴿إِنَّا أَوْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ فأَيَّ عبد قرأها محتسباً صابراً في فريضة أو نافلة أسكنه الله مساكن الأبرار، وأعطاه ثلاث جنات مع جنته كرامة من الله وزوجه مأتي حوراء وأربعة آلاف ثيب إن شاء الله^٥.

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٨٤.

٢. تفسير القمي ٢: ٢٣٢، تفسير الصافي ٢: ٣٨٨، والآية من سورة هود: ٣٦/١١.

٣ و ٤. تفسير روح البيان ١٠: ١٨٦.

٥. ثواب الأعمال: ١٢٠، مجمع البيان ١٠: ٥٤٠، تفسير الصافي ٥: ٢٣٣.

في تفسير سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي
إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ
صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ
نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعْمُودُونَ
بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝١-٦

ثم لما خُتِمت سورة نوح المتضمنة لبيان إشراك جميع أهل الأرض من الإنس في عصر نوح وإيذاءهم آياه وتمردهم عن الإيمان بالله وطاعته، فأهلكهم الله بالغرق في الطوفان، نُظِمت سورة الجنّ المتضمنة للإخبار بإيمان كثير من الجنّ بالتوحيد، وانقيادهم لخاتم الأنبياء، وتصديقهم كتابه، وحكمهم بسفاهة المشركين، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ثم أمر رسوله بحكاية مقالة الجنّ في شأن التوحيد وعظمة القرآن بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة المنكرين لصدق القرآن والتوحيد: إنه قد ﴿أُوْحِيَ إِلَيَّ﴾ من جانب ربي وأطلعت بإخبار الله تعالى ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ القرآن حين تلاوته ﴿نَفَرٌ﴾ وجماعة ﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾. روي أنهم كانوا يهوداً^١. وقيل كانوا يهوداً ونصارى ومجوساً ومشركين^٢.

﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم حين رجوعهم إليهم مع تمردهم وعدم مجانستهم للانس: يا قوم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ من لسان رسول من الإنس ﴿قُرْآنًا﴾ وكتاباً متلوّاً ﴿عَجَبًا﴾ وبديعاً مبيناً لكلام البشر في الفصاحة وحسن النظم وعلو المعنى ﴿يَهْدِي﴾ ذلك القرآن ويدلّ جميع الخلق ﴿إِلَى الرُّشْدِ﴾ ودين الحق، أو إلى كلّ خير وصواب في أمور الدين والدنيا ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ بمحض استماعه، وصدّقنا أنه كلام الله وكتابه، وأنّ من أتى به رسول الله ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ﴾ بعد اليوم بدلالة ذلك الكتاب المثبت للتوحيد

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٥٤، وفيه: ومشركاً.

١. تفسير الرازي ٣٠: ١٥٤.

﴿بَرِئْنَا أَحَدًا﴾ من خلقه وشيئاً من مصنوعاته.

رُوي أَنَّهُ جاء رجلٌ إلى عبد الله بن مسعود فقال له: كُنَّا في سفرٍ، فإذا نحن بحَيَّةٍ جريحَةٍ تتشَطَّط في دمه، فقطع رجلٌ مِنَّا قطعةً من عمامته فلقَّها فيها فدفنها، فلَمَّا أَسِينَا ونزلنا اتَّنا امرأتان من أحسن نساء الجنِّ فقالتا: أَيُّكم صاحبُ عمرو؟ وأيُّ الحَيَّةِ التي دَفْتَموها. فأشْرنا لهما إلى صاحبها، فقالتا: إِنَّه كان آخر من بقي مَعَن استمع القرآن من رسول الله ﷺ كان بين كافرٍ الجنِّ ومسلمٍ قتالٌ فقتلَ فيهم، فإن كنتم أردتم به الدنيا ثوبناكم؟ فقلنا: لا، إِنَّمَا فعلنا ذلك لله. فقالتا: أَحْسَبْتُمَا وذَهَبْنَا.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى﴾ وارتفع ﴿جَدُّ رَبَّنَا﴾ وعظمته، أو غناه ﴿مَا أَتَّخَذَ﴾ وما اختار لنفسه ﴿صَاحِبَةً﴾ وزوجةً ﴿وَلَا وَلَدًا﴾ ابناً كان أو بنتاً لكمال تعاليه عن الحاجة، فَإِن اتَّخَذَ المصاحبة لا يَكُن إِلَّا للحاجة إليهما، ولا يَتَّخِذُ الولد إِلَّا لبقاء النسل والاستعانة به، وهما ينافيان الغنى المطلق ووجوب الوجود ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ وخفاف العقول ممَّا، كابلِس وغيره من المَرَدَةِ جُرْأَةً ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ العظيم القهار قولاً ﴿سَطَطًا﴾ وبعيداً عن الحقِّ، ومتجاوزاً عن حدِّ العقل، وهو القول بأنَّ الملائكة بنات الله أو عيسى أو العزيز ابن الله، ثُمَّ اعتذروا عن اتِّباعهم السفيه في القول بقولهم: ﴿وَأَنَّا ظَنَّنَا﴾ واعتقدنا ﴿أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنِّ﴾ من عند أنفسهم ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ قولاً ﴿كَذِبًا﴾ أبداً، ولذا اتَّبعناهم في القول بأنَّ الله ولدٌ، ولَمَّا سَمِعْنَا القرآنَ تَبَيَّنَ لنا كذب هذا القول ﴿وَأَنَّهُ كَانَ﴾ قبل ذلك ﴿رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ﴾ ويلتجئون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ قبل كان الرجل من العرب إذا أَمسى في وادٍ قفر في بعض مسائره، وخاف على نفسه يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من شرِّ سُفْهَاء قومه، يُريد الجنِّ وكبيرهم، فبييت في أَمْنٍ وجوار حتى يُصبح، فإذا سَمِعُوا ذلك استكبروا وقالوا: سُدْنَا الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أولئك الإنس ﴿زَهَقًا﴾ وعتوا وسَفْهَأ.

وعن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: «كان الرجل ينطلق إلى الكاهن الذي يُوحِي إليه الشيطان فيقول: قل لشيطانك: فلان قد عاذ بك»^١.

وقيل: إن رجالاً من الإنس يعوذون برجالٍ من الجنِّ خوفاً من أن يغشاهم الجنُّ، فزادت الجنُّ في غشيانهم، بمعنى أن الجنِّ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْإِنْسَ يتعوذون بهم ولا يتعوذون بالله، استذلُّوهم واجتروا عليهم فزادوهم ظلماً^٢.

قيل: إنَّ المعنى فزاد الجنِّ العائذين غياً بأن أضلُّوهم حتى استعاذوا بهم، وإذا استعاذوا بهم فأمَّنوا

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٨٩.

٢. تفسير الرازي ٣: ١٥٦.

٣. تفسير القمي ٢: ٣٨٩، تفسير الصافي ٥: ٢٣٤.

ظنوا أن ذلك من الجن، فازدادوا رغبة في طاعة الشياطين وقبول وساوسهم^١.

رُوي عن كَرْدَم بن أبي السائب الأنصاري أنه قال: خرجتُ مع أبي إلى المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذُكر النبي ﷺ بمكة، فاذا في المبيت أتى^٢ راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حَمَلًا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك. فنادى منادٍ لآثره: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ولم تُصبه كدمة، فأنزل الله على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ...﴾^٣ إلى آخره.

وعن مقاتل: كان أول من تعوذ بالجن قومٌ من أهل اليمن، ثم من حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب، فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم^٤.

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا
مِثْلَ حَرِّسَاءٍ شَدِيدًا وَشُهَبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ
آلَانَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا [٧-٩]

ثم إن النفر من الجن بعد دعوتهم قومهم إلى التوحيد دعوهم إلى القول بالرسالة بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ قوم ﴿ظَنُّوا﴾ لجهالتهم ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ لسفاهتكم ﴿أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ﴾ من بعد موسى، أو بعد عيسى، أو مطلقاً من أول الخلق ﴿أَحَدًا﴾ بالرسالة ليقيم به الحجة على خلقه، ثم علمنا أنه تعالى بعث إلى الإنس محمداً بالرسالة فآمنوا به يا معشر الجن.

وقيل: إن المراد أن الانس ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله بعد الموت للحساب والمجازاة على الأعمال أحداً^٥.

وقيل: إن الآيتين من كلام الله، والمعنى على ذلك القول: وإن الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش أن لن يبعث الله أحداً للرسالة، كما هو مذهب البراهمة^٦.

ثم حكى النفر من الجن لقومهم الانقلاب الحاصل في السماء بقولهم: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا﴾ وطلبنا ﴿السَّمَاءَ﴾ وصعدنا إليها لاستماع ما تقول الملائكة من الإخبار بالحوادث، لنخبر بها الكهنة على دأبنا السابق ﴿فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَ﴾ من الملائكة حال كونهم ﴿حَرِّسَاءَ﴾ وَحَفَظَةً ﴿شَدِيدًا﴾ وقويًا على دفعنا يمنعوننا عن القرب من السماء ﴿وَوَجَدْنَا﴾ ﴿شُهَبًا﴾ وشُعَلًا من النار منقضةً من الكواكب

٢. في تفسير روح البيان: بمكة، فأذاني المبيت إلى.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ١٩٢.

٦. تفسير الرازي ٣: ١٥٧.

١. تفسير روح البيان ١٠: ١٩١.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٩١.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٩٢.

تُحْرِقُ من قرب من السماء ﴿وَأَنَا كُنَّا﴾ قبل هذا اليوم نصعد إلى السماء و ﴿تَقَعُدُ مِنْهَا﴾ بعد صعودنا إليهما ﴿مَقَاعِدَ﴾ خالية من الملائكة الحَفَظَةِ ﴿لِلْسَمْعِ﴾ واستراق الأخبار من الملائكة ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ﴾ الأخبار منا ﴿الآن﴾ وفي هذا الزمان في مقعد من المقاعد ومرصد من المراصد ﴿يَجِدْ لَهُ﴾ ويصيب لنفسه ﴿شِهَاباً﴾ وشعلة نار تُحْرِقُهُ ومَلَكاً يكون له ﴿رُصْداً﴾ وقاعداً في الممكن ليرجم بالشهاب.

وقيل: يعني شهاباً راصداً له، فالرصد بمعنى الراصد، وتوصيف الشهاب به من باب التنزيل والمشابهة^١.

عن عائشة، عن النبي ﷺ: «أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي السُّحُبِ، فَتَذَكُرُ الْأَمْرَ الَّذِي قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ^٢ إِلَى الْكَهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهُ مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»^٣. وعن الصادق عليه السلام - في حديث - قال: «وَأَمَّا أَخْبَارُ السَّمَاءِ فَأَنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ تَقَعُدُ مَقَاعِدَ اسْتِرْاقِ السَّمْعِ إِذْ ذَاكَ، وَهِيَ لَا تُحْجَبُ وَلَا تُرْجَمُ بِالنُّجُومِ، وَإِنَّمَا تُنْبِتُ مِنْ اسْتِرْاقِ السَّمْعِ لثَلَاثَ يَمَاقِيعَ فِي الْأَرْضِ سَبَبٌ يُشَاكِلُ الْوَحْيَ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ [فَيَلْبِسُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَا جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ، لِاثْبَاتِ الْحُجَّةِ، وَنَفْيِ الشُّبْهِةِ. وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَسْتَرْقُ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ] مِمَّا يَحْدُثُ مِنَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، فَيَخْتَفِلُهَا ثُمَّ يَهْطُ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ، فَيَقْدِفُهَا إِلَى الْكَاهِنِ، فَإِذَا قَدْ زَادَ كَلِمَاتٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَيُخَلِّطُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، فَمَا أَصَابَ الْكَاهِنَ مِنْ خَبَرٍ مِمَّا كَانَ يُخْبِرُ بِهِ فَهُوَ مَا أَبْدَاهُ إِلَيْهِ شَيْطَانُهُ مِمَّا سَمِعَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ فِيهِ فَهُوَ مِنْ بَاطِلٍ مَازَادَ فِيهِ، فَمَذْ مَنَعَتْ الشَّيَاطِينُ عَنْ اسْتِرْاقِ السَّمْعِ انْقَطَعَتْ الْكِهَانَةُ»^٤.

وعن ابن عباس قال: كان الجنُّ يصعدون إلى السماء فيستمعون الوحي، فإذا سمِعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، أما الكلمة فإنها تكون حقَّة، وأما الزيادات فتكون باطلة. فلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ مُنِعُوا مقاعدهم، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك. فقال إبليس: ما هذا إلا لأمرٍ حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يُصَلِّي^٥ الخير.

وعن أبي بن كعب: أنه لم يرم بنجم منذ رُفِعَ عيسى حتَّى بُعِثَ رسول الله ﷺ فرمى بها، [فرأت] قريش أمراً ما رأوه قبل ذلك^٦.

أقول: لا يخفى أن الآيات الدالة على أن النجوم جُعِلَتْ رجوماً للشياطين، وإن كانت كثيرة، إلا أنه

٢. في النسخة: فيوقه.

٤. الاحتجاج: ٣٣٩، تفسير الصافي ٥: ٢٣٥.

١. تفسير الرازي ٣٠: ١٥٧.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ١٩٣.

٥ و ٦. تفسير الرازي ٣٠: ١٥٨.

لا بدّ من حملها بالنظر إلى هذه الآية والروايات على كونها مانعة من دخول الشياطين فيها لا من قُربهم إليها بحيث يستمعون كلام الملائكة، وبعد ظهور النبي ﷺ وبعثته مُنعوا بالشُّهب من قُربها. وأما الاعتراض على الروايات بأن الشهب كامن^١ قديم الأيام، كما دلّ عليه تكلم الفلاسفة فيها، والأشعار التي حُكيَت من شعراء زمان الجاهلية.

فقول: إِنَّ الشُّهْبَ التي كانت قبل البعثة فهي الحادثة من كرة النار، والشهب التي كانت تنقض لمنع الشياطين كانت من النجوم، ومقتضى ذلك كثرة الشُّهب بعد البعثة لزيادة الشُّهب التي تحدّث من النجوم على الشُّهب التي كانت قبل، ولذا استوحشت قريش من رؤيتها.

وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشْرًا أُريدُ بَيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَا مِنَّا
الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا * وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَن نُنَجِّزَ اللَّهَ فِي
الْأَرْضِ وَلَن نُنَجِّزَهُ هَرَبًا [١٠-١٢]

ثم بعد حكاية النفر من الجنّ تغيير وضع السماء قالوا لقومه: «وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشْرًا أُريدُ» من ذلك التغير «بَيْنَ فِي الْأَرْضِ» من الإنس والجنّ «أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا» وخيراً وصلاًحاً. قيل: إِنَّ المعنى لانذري أَنَّ المقصود من إرسال محمد الذي مُنعنا عنده من استراق السمع أن تكذبه أمته فيهلكوا^٢ كما أهلك الأمم المكذبة قبله، أم أريد أن يؤمنوا فيهدتوا^٣ وفي نسبة الخير إلى الله دون الشرّ رعاية الأدب.

ثم حكوا اختلاف فرقههم بقولهم: «وَأَنَا مِنَّا» الأقوام «الصَّالِحُونَ» والراغبون إلى الإيمان والأعمال الخيرية «وَمِنَّا» قومٌ حالهم «دُونَ ذَلِكَ» الحال، وأنقص من مرتبة الكمال، ففيهم المقتصد والفاسق والكافر والطاغي «كُنَّا طَرَائِقَ» وذوي مذاهب «قِدْدًا» ومختلفة. وقيل: كُنَّا فِي اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة^٤ «وَأَنَا ظَنَّنَا» وتيقنا بالدليل القاطع والبرهان الساطع والتفكر في الآيات «أَنَّ لَن نُنَجِّزَ اللَّهَ» عن إنفاذ إرادته في شأننا أينما كُنَّا «فِي» وجه «الْأَرْضِ» ومن أقطارها «وَلَن نُنَجِّزَهُ» ونفوته أبداً إن أراد بنا أمراً أن نهرب من الأرض إلى السماء أو البحار أو الجبال «هَرَبًا» ينجيننا من سطواته، فلا يمكننا الخروج من سلطانه ومن تحت قدرته.

وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا *

٢. في النسخة: فهلكوا.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ١٥٩.

١. كذا، والظاهر: كانت من.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٥٨، وفيه: فهدتوا.

وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا
الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم
مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
صَعْدًا [١٧-١٣]

ثمَّ أَنَّهُ بَيَّنَّ النِّفَرِ حَالَهُمْ، لَتَرْغِبَ غَيْرَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا﴾ الْقُرْآنَ الَّذِي يَكُونُ ﴿الْهُدَى﴾ وَالرَّشَادَ لِأَهْلِ الْعَالَمِ ﴿أَمَّا بِهِ﴾ بِمَحْضِ السَّمْعِ، وَصَدَّقْنَا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَكِتَابُهُ الَّذِي مِنْ عَمَلٍ بِهِ نَالُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ﴾ وَبِمَا أَنْزَلَ مِنْ عِنْدِهِ ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ مِثْلَ هَذَا الشَّخْصِ فِي الْآخِرَةِ ﴿بِخُسَا﴾ وَنَقْصَا فِي جَزَائِهِ ﴿وَلَا زَهَقًا﴾ وَغَشْيَانِ ظَلَمٍ أَوْ ذُلَّةٍ أَوْ عَذَابٍ ﴿وَأَنَا﴾ بَعْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ ﴿مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ وَالْمُسْتَسْلِمُونَ لِلدِّينِ الْحَقِّ ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ وَالْجَائِرُونَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ لِأَمْرِ اللَّهِ وَسَلَمَ أَحْكَامَهُ. وَعَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام: «أَقْرَبُ بُولَاتِنَا» ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا﴾ وَطَلَبُوا ﴿رَشَدًا﴾ وَهَدَايَهُ عَظِيمَةً إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالطَّرِيقِ الْقَوِيمِ الْمُوصِلِ إِلَى جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ وَالْمُنْحَرِفُونَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴿فَكَانُوا﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تُوَقَّدُ بِهِمْ نَارُهَا كَمَا تُوَقَّدُ بِأَبْدَانِ كُفْرَةِ الْإِنْسِ.

ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى بَعْدَهَا أَوْحَى إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله مِنْ بَيَانَاتِ الْجَنِّ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، بَيَّنَّ مَا أَوْحَى ذَاتُهُ الْمَقْدَسَةُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا﴾ وَثَبَتُوا. قِيلَ: إِنَّ التَّقْدِيرَ قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ الشَّأْنَ أَنَّ الْجَنِّ وَالْإِنْسَ لَوْ اسْتَقَامُوا أَوْ ثَبَتُوا ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ الْمُسْتَقِيمَةِ وَهِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ^٢ ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ﴾ وَأَشْرَيْنَاهُمْ ﴿مَاءً غَدَقًا﴾ وَكَثِيرًا غَزِيرًا. قِيلَ: هُوَ كُنَايَةٌ عَنْ سَعَةِ الْعَيْشِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ^٣ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ وَنَمْتَحِنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْإِسْقَاءِ أَوْ التَّوَسُّعِ وَنَخْتَبِرُهُمْ ﴿فِيهِ﴾ كَيْفَ يَشْكُرُونَهُ.

وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ قَالَ: لِأَفْدِنَاهُمْ^٤ عُلَمَاءَ كَثِيرًا يَعْتَلِمُونَهُ عَنْ الْأَنْعَمَةِ^٥.

وَعَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام: «لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عليه السلام وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِهِ، وَقَبِلُوا طَاعَتَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ، لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا، لِأَشْرَيْنَا قُلُوبَهُمْ بِالْإِيمَانِ»^٦.

١. تفسير القمي ٢: ٣٨٩، تفسير الصافي ٥: ٢٣٦، وفيها: الَّذِينَ أَقْرَأُوا بُولَاتِنَا.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ١٩٦. ٤. فِي النُّسخَةِ: لَأَخْذْنَا.

٥. مَجْمَعُ الْبَيَانِ ١٠: ٥٦٠، تفسير الصافي ٥: ٢٣٦. ٦. الْكَافِي ١: ١٧١، تفسير الصافي ٥: ٢٣٦.

﴿وَمَنْ يُغْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّيْهِ﴾ وعبادته، أو موعظته، أو وحيه. وعن ابن عباس: عن ولاية علي عليه السلام ^١ ﴿يَسْلُكُهُ﴾ وَيُدْخِلُهُ ﴿عَذَاباً صَعَدَآءُ﴾ وعالٍ على طاقته وشاقٍ عليه.

عن ابن عباس: أن صَعَدَآءُ اسم جبل في جهنم، وهو صخرة ملساء، فيكلف الكافر صعودها، ثم يُجَذَّب من أمامه بسلاسل، ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاه في أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاه جُذِب إلى الأسفل، ثم يكلف الصعود مرة أخرى، فهذا دأبه أبداً، ونظير هذه الآية: ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُوداً﴾ ^٢.

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا [١٨ و ١٩]

ثم أخبر سبحانه بأنه أمر النبي ﷺ بالدعوة إلى التوحيد في العبادة بقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ والبيوت المبنية لإقامة الصلاة وإتيان العبادات فيها، أو جميع وجه الأرض، حيث قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً» ^٣، أو الأعضاء التي يجب وضعها في حال السجود على الأرض من الوجه واليدين والركبتين والابهامين، كما عن أمير المؤمنين والصادق والجواد عليهم السلام ^٤، وعليه بعض مفسري العامة ^٥. «لله» خاصة لا يشركه فيها غيره من الملائكة والمسيح والعزير والأصنام ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ ولا تعبدوا أيها الناس ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ العظيم المستحق للعبادة ﴿أَحَدًا﴾ غيره، وعن الكاظم عليه السلام في تأويل الآية: «أن المساجد الأوصياء» ^٦. وعن الرضا عليه السلام: «هم الائمة عليهم السلام» ^٧.

ثم حكى سبحانه تعجب الجن والمشركين من عبادة الرسول بقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا﴾ قيل: إن المعنى وقد أوحى إلي أن الشأن ^٨ لما ﴿قَامَ﴾ النبي المفتخر بأنه ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ في مقام العبودية لربه حال كونه ﴿يَدْعُوهُ﴾ ويعبده في منظر المشركين ﴿كَادُوا﴾ وقربوا ﴿يَكُونُونَ﴾ لتظاهرهم ﴿عَلَيْهِ﴾ وتعاونهم على عداوته ﴿لِبَدًا﴾ وكما ليطفئوا نوره ويبيطلوا عبادته.

وقيل: إن الآية مما أوحى إليه، والمعنى أنه قد أوحى إلي أنه لما قام النبي ﷺ يعبد الله بصلاة

١. تفسير القمي ٢: ٣٩٠، تفسير الصافي ٥: ٢٣٦.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٦٢، والآية من سورة المدثر: ١٧/٧٤.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٦٢، تفسير روح البيان ١٠: ١٩٧.

٤. من لايحضره الفقيه ٢: ١٦٢٧/٣٨١، تفسير العياشي ٢: ١٢٦٩/٤٧، الكافي ٣: ٨/٣١٢، تفسير الصافي ٥: ٢٣٧.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ١٦٣، تفسير أبي السعود ٩: ٤٦، تفسير روح البيان ١٠: ١٩٨.

٦. الكافي ١: ٦٥/٣٥٢، تفسير الصافي ٥: ٢٣٧. ٧. تفسير القمي ٢: ٣٩٠، تفسير الصافي ٥: ٢٣٧.

٨. تفسير روح البيان ١٠: ١٩٨.

الفجر، قُرب الجن أن يكونوا عليه مزدحمين تعجباً مما شاهدوا من كيفية عبادته وحُسن قراءته واقتداء أصحابه به قائماً وراكعاً وساجداً، لرؤيتهم ما لم يروا مثله، وسماعهم ما لم يسمعوا شبيهه^١.

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا
* قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنْ
اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
أَبَدًا [٢٠-٢٣]

ثم أمر سبحانه النبي بالإعلان بتوحيده ومخالفته لقريش بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين بغاية التجلد ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا﴾ وأعبد ﴿رَبِّي﴾ المستحق للعبادة فقط ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ من الملائكة والإنس، فكيف بالأصنام التي هي جمادات؟ فلا موقع لتعجبكم، أو إطباقكم على عداوتي.
روي أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمرٍ عظيم، وقد عادت الناس كلهم، فارجع عن هذا، فنزلت الآية^٢.

ثم أمر سبحانه النبي ﷺ بإعلانه للمشركين بأن الضرر والنفع والضلal والهداية كلها بقدره الله دون غيره بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين ﴿إِنِّي﴾ ﴿لَا أَمْلِكُ﴾ ولا استطيع ﴿لَكُمْ﴾ أثبها الناس ﴿ضَرًّا﴾ ولا نفعاً ولا غياً ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ بل كلها بيد الله وحده، فإنه المتصرف في عالم الوجود دون غيره من الموجودات.

ثم قيل: إن المشركين قالوا له اترك ما تدعو إليه ونحن نُجبرك^٣ ونَحْفَظُكَ من أعدائك، فأمره الله تعالى أن يجيبهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي﴾ ولن يَحْفَظُنِي ﴿مِنْ﴾ قهر ﴿اللَّهِ﴾ وسَخَطه وعذابه، أو مما أراد بي ﴿أَحَدٌ﴾ من خلقه إن أشركت به أو خالفت أمره بتبليغ الرسالة ﴿وَلَنْ أَجِدَ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ ومما سواه ﴿مُلْتَحَدًا﴾ وملجأ ومفرأ، وحاصل المفاد أنني لا أملك لنفسي شيئاً، فكيف أملك لكم ولغيركم أمراً؟ ﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ وتبليغاً كائناً ﴿مِنْ﴾ جانب ﴿اللَّهِ﴾ الذي أمرني به بأن أقول: قال الله كذا ﴿وَوُ﴾ تبليغ ﴿رِسَالَاتِهِ﴾ التي أرسلني بها بلا زيادة ونقصان.
وقيل: إن المراد من البلاغ تلقي الوحي من الله تعالى، ومن الرسائل تبليغه إلى الخلق^٤.

ثم هدد الناس على عصيانه بقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ولم يمثل أمرهما بالتوحيد وغيره

٢ و ٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٦٤.

١. تفسير الرازي ٣٠: ١٦٣.

٤. تفسير الطبري ٢٩: ٧٦، مجمع البيان ١٠: ٥٦٢.

من الواجبات ﴿فَإِنَّ لَهُ﴾ في الآخرة ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾ حال كونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا * قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا * عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتٍ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا [٢٤-٢٨]

ثم لما كان الكفار يستضعفون أنصار النبي ﷺ، ويستقلون عدد أصحابه، فكأنه تعالى قال: لا يزال المشركون يستضعفون المؤمنين ويستقلون عددهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾ ماتوا و ﴿رَأَوْا﴾ بعد الموت ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ به من فنون العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم ﴿مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا﴾ هم أم محمد وأصحابه.

وقيل: إن المراد من ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ عذاب يوم بدر^١.

ثم لما قال سبحانه: ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ قال المشركون: متى يكون هذا الوعد؟ فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يُجيبهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم ﴿إِنْ أَدْرَىٰ﴾ وما أعلم ﴿أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ ومدة طويلة وأجلاً بعيداً، فإن الله لم يُعَيِّن وقته لحكمة رآها في إخفائه، وهو تعالى ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ ومُطَّلِع على جميع الخفايا ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ ولا يعلم ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾ ومعلوماته الخفية ﴿أَحَدًا﴾ من خلقه ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ﴾ وأحب إعلامه بالمغيبات ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾. عن الباقر عليه السلام قال: «وكان محمد ﷺ ممن ارتضاه»^٢.

وعن الرضا عليه السلام: «فرسول الله ﷺ عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»^٣.

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾ قدام الرسول المرتضى، ويُقيم ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ يجعل ﴿مِنْ خَلْفِهِ﴾ ووراء ظهره ومن جميع جوانبه عند إعلامه بالغيب ﴿رَصَدًا﴾ وحرساً من الملائكة يحرسونه من الشياطين. قيل: يعني إذا نزل جبرئيل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من أن يسمع الجن الوحي، فيلقونه

١. تفسير أبي السعود ٩: ٤٧. ٢. الكافي ١: ٢/٢٠٠، تفسير الصافي ٥: ٢٣٨.

٣. الخرائج والجرائح ١: ٦/٣٤٣، تفسير الصافي ٥: ٢٣٨.

إلى الكهنة، فتُخبر به الكهنة قبل الرسول، فيختلط على الناس أمر الرسالة^١.

وقيل: يُرسل الله ملائكته ليخفوه من وساوس الشياطين وتخالطهم حتى يبلغ ما أوحى به إليه، ومن زحمة شياطين الإنس حتى لا يؤذونه^٢.

قيل: ما بعث الله نبياً إلا ومعه ملائكة يخرسونه من الشياطين الذين يشبهون بصورة المَلَك^٣.
 ﴿لِيَعْلَمَ﴾ الله أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾ إِلَى النَّاسِ ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ خالية من الاختطاف والتخليط بعد ما أبلغها الرُّسَد إليهم كذلك ﴿وَأَحَاطَ﴾ الله تعالى ﴿بِمَا﴾ عِنْدَ الرُّسَد والرُّسُل و ﴿لَدِينِهِمْ﴾ مِنَ الْأَحْوَالِ ﴿وَأَحْصَى﴾ وَعَلِمَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنْ ﴿عَدَدًا﴾ حَتَّى الْقَطْرِ وَالرَّمْلِ، فكيف لا يحيط بما لديهم.

عن ابن عباس: أحصى ما خلق، وعرف عدد ما خلق، لم يَفْتَهُ علم شيء حتى مثاقيل الذرِّ والخَزْدَلِ^٤.

عن الصادق عليه السلام: «من أكثر قراءة ﴿قُلْ أَوْحَى﴾ لم يُصبه في الحياة الدنيا شيء من أعين الجِنَّ، ولا من نفثهم، ولا من سحرهم، ولا من كيدهم، وكان مع محمد ﷺ فيقول: يارب ما أريد منهم بدلاً، ولا أريد أن أبتغي عنهم حولاً»^٥.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٢٠٢.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٦٩.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٢٠٣.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ١٦٩.

٥. ثواب الأعمال: ١٢٠، مجمع البيان ١٠: ٥٥٠، تفسير الصافي ٥: ٢٣٩.

في تفسير سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ
وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [١-٥]

ثم لما خُتِمت سورة الجن المتضمنة لتعظيم القرآن، وبيان تعجب الجن منه، واشتياقهم إليه، وإيمانهم به، وتهديد مكذبيه، وبيان بعض حوادث أول بعثة الرسول ﷺ، نُظِمَت سورة الْمَزْمَل المتضمنة لبيان عظمة القرآن، وأمر الرسول بتلاوته وترتيله، وتهديد مكذبي الرسول وكتابه، وبيان حال النبي ﷺ في أوائل نزول الوحي إليه، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بخطاب النبي ﷺ بصفة كانت له في أول نزول الوحي إليه تطلقاً وإيناساً، كما هو دأب العرب بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ﴾ والمتلف بثيابه.

عن ابن عباس: أول ما جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ خافه، وظن أن به مساً من الجن، فرجع من جبل جراء إلى بيت خديجة مرتعداً، وقال: زمِّليني، فبينما هو كذلك إذ جاء جبرئيل وناداه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ﴾^١.

أقول: ما قاله ابن عباس يُنافي الأخبار الواصلة في بيان كيفية أول نزول جبرئيل، وكون سورة ﴿أَقْرَأُ﴾ أول ما نزل.

وقيل: إنه كان نائماً متزماً بقطيفة، فناده جبرئيل بما يُهجن تلك الحالة، والمعنى: يا أَيُّهَا النَّائِمُ المتزمل بثوبه، قُمْ واشتغل بالعبادة^٢.

وقيل: إنه كان متزماً في مِرْطٍ لخديجة مستأنساً بها ف قيل له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ﴾ واترك حظ نفسك واشتغل بالعبادة^٣ ﴿إِلَّا﴾ مقداراً ﴿قَلِيلًا﴾ منه، أعني ﴿نِصْفَهُ﴾ فإن النصف قليل بالنسبة

إلى الكل.

وقيل: إن تقليل مقدار نومه ﷺ مع كونه نصفاً لظهار كمال الاعتناء بشأن الجزء المقارن للقيام والإيدان بفضل، وكون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب^١.

عن الصادق عليه السلام قال: «القليل النصف»^٢.

«أَوْ أَنْقَضَ» القيام «مِنْهُ» مقداراً «قَلِيلاً» بحيث لا يصل إلى الثلث على ما قيل^٣ «أَوْ زِدَ» القيام «عَلَيْهِ» إلى الثلثين، والحاصل تخييره في القيام للعبادة بين نصف الليل أو أقل منه أو أكثر.

وقيل: إن المراد من القليل الذي يُنقص ويُزاد نصف النصف، فيكون الواجب عليه من القيام للعبادة رُبع الليل، والزائد نفل ومندوب^٤.

«وَرَزَلِ اقْرَأَنَّ» وقرأه في أثناء قيامك في الليل على تَوَدَّةٍ وتبيين حروف «تَرْتِيلاً» بليغاً.

وعن ابن مسعود: لا تعجلوا في القرآن، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة^٥.

وعن الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين: بينه بياناً، ولا تهذه هذ الشعر وتثره نثر الرمل، ولكن أفرعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»^٦.

قيل: إن الترتيل في القرآن قراءته بنحو يتمكن القارئ من التأمل في حقائقه ودقائقه، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر قلبه عظيمته وجلاله، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف، وحينئذ يتنور القلب بنور المعرفة^٧ واليقين، وتستعد النفس لإشراق جلال الله والانكشاف الأتم الأعظم، فكأنه تعالى قال: إنما أمرتك بالقيام في الليل بالصلاة والعبادة وترتيل القرآن، ليزيد استعداد نفسك لتلقي وحيها.

«إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ» والبنة توحى إليك «قَوْلًا قَلِيلاً» وكلاً عظيم القدر والشأن وجليل الخطر، كما عن ابن عباس^٨.

وقيل: إن المراد قرآناً متضمناً للأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقّة على العامة وعليك خاصة، لأنك تحمّلها بنفسك وتبليغها إلى أمتك^٩.

وقيل: إن المراد نقل نزوله على الرسول^{١٠}.

٢. مجمع البيان ١٠: ٥٦٨، تفسير الصافي ٥: ٢٤٠.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٣.

٦. الكافي ٢: ١٧٤٩، تفسير الصافي ٥: ٢٤٠.

٨-٩. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٤.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٢٠٤.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٣.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٢٠٥.

٧. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٤.

قبل: كان يَرْفُضُ^١ عَرَقًا في اليوم الشديد البرد حين نزوله، كما عن عائشة^٢.

وعن ابن عباس: كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وترد وجهه^٣.

وَرُوي أَنَّ الوحي نزل عليه وهو على ناقته، فثقل عليها حتى وضعت جِرائها^٤، فلم يستطع أن تتحرك^٥.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد نزلت عليه سورة المائدة وهو على بغلته الشَّهباء^٦ وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها حتى رأيت سُرَّتَها تكاد تَمَسُّ الأرض»^٧.

وقيل: يعني ثقيلاً في الميزان لكثرة ثواب تلاوته والعمل به^٨، أو ثقيلاً على المنافقين حيث إنه يهتك أسرارهم ويُبطل أديانهم وأقوالهم^٩. أو ثقيلاً على العقل لأنه لا يفي بإدراك فوائده ودقائقه ورقائقه^{١٠}.

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً *
وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً [٦-٩]

ثم يبين سبحانه حكمة أمر نبيه عليه السلام بقيام الليل والعبادة فيها بقوله: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ» والنهضة فيه، أو العبادة فيه «هي» خاصة «أَشَدُّ وَطْأً» أو أكثر كلفةً ومشقةً على النفس من التي تُؤتى بالنهار، فتكون أفضل، لأن أفضل العبادة أشقها، أو أوفق بالخلوص والخشوع، أو المراد أَنَّ النفس الناهضة بالليل للعبادة أشد ثباتاً وأكثر استقامة «وَأَقْوَمُ قِيلاً» وأحسن كلاماً، كما عن ابن عباس^{١١}، أو أخلص قولاً لأن الأصوات تهدأ فيه والحركات تنقطع فيه.

عن الصادق عليه السلام في الآية: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ» قال: «قام قيام الرجل عن فراشه يُريد به الله عز وجل لا يُريد به غيره»^{١٢}.

١. أرفض العرق: سال وترشش.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٤.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٤.

٤. الجران: باطن عنق البعير.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٤.

٦. تفسير العياشي ٢: ١١٦١/٣، تفسير الصافي ٥: ٢٤٠.

٧. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٤، تفسير الطبري ٢٩: ٨٠، مجمع البيان ١٠: ٥٧٠.

٨. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٥.

٩. تفسير الرازي ٣٠: ١٧٦.

١٠. من لا يحضره الفقيه ١: ١٣٦٧/٢٩٩، التهذيب ٢: ١٣٨٥/٣٣٦، تفسير الصافي ٥: ٢٤١.

﴿إِنَّ لَكَ يَا مُحَمَّدٌ فِي النَّهَارِ سَبْحًا﴾ وتَقَبَّلاً وتصرفاً أو فراغاً ﴿طَوِيلًا﴾ لحاجتك ونومك، فعليك بالقيام بالعبادة في الليل.

ثم يَبَيِّنُ سبحانه ما ينبغي للعبد بعد تلاوة القرآن الاشتغال به بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ بالقلب بذكر نعماته وكمال قدرته وحكمته وألطافه، وباللسان بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ وانقطع من الدنيا وما فيها، بل عن غيره تعالى ﴿إِلَيْهِ﴾ وحده ﴿تَبَتُّلًا﴾ وانقطاعاً تاماً، لاتسأل غيره في حاجة، ولا تتوجّه في آن إلى ما سواه.

ثم مدح سبحانه ذاته المقدسة بمدح يوجب العقل الانقطاع إليه بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ وما بينهما ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا معبود سواه، فاذا عرفت ربك بهذه العظمة والقدرة الكاملة ﴿فَاتَّخِذْهُ﴾ واختره لنفسك ﴿وَكَيْلًا﴾ ومدبراً لجميع أمورك، ومفوضاً إليه جميع مقاصدك، وكفيلاً بما وعدك من النصر والغلبة على أعدائك.

وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُزْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى
النَّعْمَةِ وَمَهْلُكُهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا
أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا [١٤-١٠]

ثم سلى سبحانه حبيبته ﷺ بقوله: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ حبيبي بعد ما اتخذتني وكيلًا ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ هؤلاء المشركون فيك، وفوض أمرهم إليّ، ولا تشغل قلبك باصلاح أمورك الراجعة إليهم ﴿وَأَهْجُزْهُمْ﴾ واترك مخالطتهم، واصرف قلبك عن التفكير في أمرهم ﴿هَجْرًا جَمِيلًا﴾ مقروناً بالمداراة والكف عن المافات ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين هم ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ والشرقة والرئاسة والتكبر، وخل بيني وبينهم، فإني أكافي ما أمهك من مجازاتهم ﴿وَوَ﴾ لكن ﴿مَهْلُكُهُمْ﴾ وآخر سؤال تعذيبهم زماناً ﴿قَلِيلًا﴾ وهو الزمان الباقي إلى يوم بدر، أو الباقي من عمرهم في الدنيا.

عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه المنافقين - قال: «وما زال رسول الله ﷺ يتألفهم ويُقرّبهم ويُجلسهم عن يمينه وشماله حتى أذن الله عز وجل في إبعادهم بقوله: ﴿وَأَهْجُزْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾»^٢.

أقول: لا ينافي ذلك العموم لجميع المكذّبين.

ثم يَبَيِّنُ سبحانه ما أعد لهم من العذاب في الآخرة بقوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ وقيوداً ثقلاً لأرجلهم

﴿وَجَعَلْنَا﴾ وناراً عظيمة شديدة الحر في مهواة ﴿وَطَعَاماً﴾ ومأكولاً ﴿ذَا غُصَّةٍ﴾ وأخذ بالحق، لا هو نازل منه ولا خارج، كالزقوم والضريع ﴿وَعَذَاباً أَلِيماً﴾ غير ذلك لا يوصف بالبيان. روي أنه لما نزلت الآية خر النبي ﷺ مغشياً عليه^١.

ثم عيّن سبحانه وقت النكال والعذاب بقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ وتولول ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ التي هي أوتادها، وتضطربان بهيبة الله ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ﴾ كلها مع غاية صلابتها ﴿كَنَبِيٍّ﴾ وتلا من رمل ﴿مُهَيَّلاً﴾ وسائلاً من كثرة تفتيتها.

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً * فَكَيفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مَنفُطَرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا [١٥-١٩]

ثم هدّد سبحانه المشركين على تكذيبهم الرسول ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿رَسُولًا﴾ عظيم الشأن، ليكون ﴿شاهداً﴾ يشهد ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بما صدر منكم من الايمان والكفر والطاعة والعصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ في مصر ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ سلطان مصر ﴿رَسُولًا﴾ عظيم الشأن، وهو موسى بن عمران ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ ذلك ﴿الرَّسُولَ﴾ وكذّبه وعارضه ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾ بسبب عصيانه ﴿أَخْذًا وَبِيلاً﴾ وعذبناه عذاباً شديداً، فاحذروا أيها المشركون من أن ينزل عليكم بتكذيبكم رسولكم مثل ما نزل بهم، هبوا أنكم لا تؤخذون بعصيانكم في الدنيا مثل أخذ فرعون ﴿فَكَيفَ تَتَّقُونَ﴾ وتَحَفَظُونَ أنفسكم ﴿إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ في بقية عمركم وذمتهم على عصيانكم ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ﴾ من شدة أهواله وعظمته ما فيه من العذاب ﴿الْوِلْدَانَ﴾ والأطفال الصغار ﴿شِيبًا﴾ وشيوخاً بيض الشعر.

قيل: هو مثل لشدة الغموم والهموم؛ لأنّ لازمها انطفاء الحرارة الغريزية واستيلاء البلغم على الاخلاط وايضاض الشعر^٢.

وقيل: هو كناية عن طول المدة واليوم^٣.

ثم بالغ سبحانه في بيان أهوال اليوم بقوله: و ﴿السَّمَاءُ﴾ مع غاية عظمتها وغلظتها ﴿مَنفُطَرٌ﴾ بسبب

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٨٤.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٢١٤.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٢١٧.

هول ذلك اليوم، ومُنشَقْ ﴿يَه﴾ فكيف بغيرها من الخلائق، واعلموا أن هذا اليوم الشديد الأحوال مما وعده الله و ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ لاثمالة ﴿مَقْعُولًا﴾ ومُنْجَزًا ومتحققًا لامتناع الخُلف فيه، فليس للعاقل أن يرتاب في وقوعه ﴿إِنْ هَذِهِ﴾ المذكورات من الأنكال وما بعده ﴿تَذَكُّرَةً﴾ وعِظَةً لمن شاء أن يَذْكُرَ ويتعظ ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ من العقلاء النجاة من الأهوال والعذاب، والنيل بالراحة الأبدية وعِظَم الثواب ﴿أَتَخَذَ﴾ وحصل ﴿إِلَى﴾ قرب ﴿رَبِّهِ﴾ ومرضاته ﴿سَبِيلًا﴾ موصلاً له إلى مطلوبه، وهو الايمان بوحدانية الله تبارك وتعالى ورسالة رسوله ﷺ وطاعتها.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قُرْآنًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [٢٠]

ثم إنَّه رُوي أنَّ الله تعالى لما فرض على النبي ﷺ وأصحابه في أوَّل السورة قيام الليل قاموا حولاً كاملاً مع مشقة عظيمة، من جهة أنه كان يعسر عليهم تمييز القدر الواجب، حتى قام أكثرهم الليل كله خوفاً من الخطأ في إصابة القدر المفروض، وصاروا بحيث انتفخت أقدامهم، واصفرت ألوانهم، فأنزل الله تبارك وتعالى التخفيف^١ بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ من نومك ومُضْجِعك للعبادة ﴿أَدْنَىٰ﴾ وأقل ﴿مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ﴾ تقوم ﴿نُصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ امتثالاً للأمر ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ﴾ أصحابك ﴿الَّذِينَ مَعَكَ﴾ يقومون مثل قيامك اتباعاً لك، وأنتم لا تملكون من تقدير ساعات الليل والعلم بها ﴿وَاللَّهُ﴾ وحده ﴿يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ويعلم مقدار ساعاتهما و ﴿عَلِمَ أَنَّ﴾ الشأن أنكم ﴿لَن نَّحْصُوهُ﴾ ولا تعلمونه أبداً.

عن الباقر عليه السلام قال: «يقولون متى يكون النصف والثلث»^٢.

﴿فَتَابَ﴾ الله ورجع بالرحم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن رخص لكم ترك القيام المقدَّر، ورفع التبعة على تركه، إذن ﴿فَاقْرَءُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ وسهل عليكم ﴿مِّنَ الْقُرْآنِ﴾ في أي وقت من الليل. قيل:

يقرأ مائة آية، فإن من قرأها كُتِبَ من القانتين. وقيل: خمسون. وقيل: سورة، ولو كانت قصيرة^١. وقيل: إن المراد بقراءة القرآن الصلاة لاطلاق اسم^٢ الجزء على الكل^٣.

عن ابن عباس: سقط عن أصحاب رسول الله ﷺ قيام الليل، وصارت تطوعاً، وبقي ذلك فرضاً على النبي ﷺ.

ثم ذكر سبحانه حكمة أخرى للنسخ بقوله: ﴿عَلِمَ﴾ الله ﴿أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ﴾ لأمحالة ﴿مَرْضَى﴾ يعسر عليهم القيام بالليل ﴿وَوَ﴾ أشخاص ﴿آخَرُونَ﴾ غير المرضى ﴿يَضْرِبُونَ﴾ ويسافرون ﴿فِي﴾ أقطار ﴿الْأَرْضِ﴾ للتجارة أو طلب العلم أو غيرهما ﴿يَبْتَغُونَ﴾ ويطلبون بمسافرتهم شيئاً ﴿مِنْ﴾ فَضْلِ اللَّهِ ﴿مَنْ﴾ ربح أو علم أو معرفة ﴿وَوَ﴾ أشخاص ﴿آخَرُونَ﴾ غير الطائفتين ﴿يَقَاتِلُونَ﴾ الأعداء، ويجاهدون ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وطلب رضاه، فإذا كان الأمر كذلك ﴿فَاقْرَءُوا﴾ أيها المؤمنون بالقرآن ﴿مَا تيسَّرَ﴾ لكم وسهل عليكم ﴿مِنْهُ﴾ بلا تحمل مشقة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة بالليل والنهار ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة. قيل: هي الفطرة إن كانت الآية مكية، والمالية إن كانت مدنية^٤.

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ من أموالكم بالانفاقات المستحبة ﴿قَرْضاً حَسَنًا﴾ وهو إخراجها من أطيب الأموال وأنفعها للفقراء بخلوص النية، وفي التعبير بالقرض غاية الحث عليه من حيث تنزيل ذاته المقدسة مع غنائه المطلق منزلة المحتاج، والإشعار بعوده إليه مع زيادة.

ثم حث سبحانه على جميع العبادات بدنية كانت أو مالية بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَقْدُمُوا﴾ من دنياكم إلى الآخرة نفعاً ﴿لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ من الخيرات وعملٍ من الأعمال الصالحات، أي خير وعملٍ كان ﴿تَجِدُوهُ﴾ بعد الموت ﴿عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ قيل: إن الضمير المنفصل يؤكد للضمير المتصل، والمعنى تجدوه خيراً^٥.

﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من الوصية به حين الموت، أو من الدنيا وما فيها ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ من ذنوبكم في جميع أوقاتكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ وستارٌ للذنوب ﴿وَحِيمٌ﴾ بعباده بإعطائهم الثواب العظيم.

عن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة المزمل في العشاء الآخرة أو في آخر الليل كان له الليل والنهار شاهدين مع سورة المزمل، وأحياه الله حياة طيبة، وأماته ميتة طيبة»^٦.
الحمد لله تعالى والشكر له.

٢. في النسخة: لاطلاقاً لاسم.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ١٨٧.

٦. تفسير الصافي ٥: ٢٤٤.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ١٨٧، تفسير روح البيان ١٠: ٢٢١.

٧. ثواب الأعمال: ١٢٠، مجمع البيان ١٠: ٥٦٥، تفسير الصافي ٥: ٢٤٤.

في تفسير سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَتِبَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ *
وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ [١-٧]

ثُمَّ لَمَّا خُتِمَتْ سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ الْمَبْدُوءَةِ بِخَطَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِاللِّقَبِ الدَّالِّ عَلَى التَّلَطُّفِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْمُتَضَمِّنَةِ لِلأَمْرِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَتَعْظِيمِهِ وَتَهْدِيدِ مَكْذِبِيهِ، وَأَمْرِهِ بِالصَّبْرِ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَإِذْأَتِهِمْ، أُرْدِفَتْ بِسُورَةِ الْمُدَّثِّرِ الْمَبْدُوءَةِ بِخَطَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِاللِّقَبِ الْمَشَابِهِ لِلْقَبِ الْمَذْكُورِ فِي السُّورَةِ السَّابِقَةِ، وَأَمْرِهِ بِإِنْذَارِ قَوْمِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى أَذَاهُمْ، وَتَهْدِيدِ بَعْضِ الْمَكْذِبِينَ، فَافْتَحَهَا بِالأَسْمَاءِ الْحُسْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثُمَّ خَاطَبَ نَبِيَّهُ الأَكْرَمَ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وَاللَّابِسَ لثُوبٍ يُلْبَسُ فَوْقَ الثِّيَابِ لِلنَّوْمِ أَوْ الِاسْتِدْنَارِ^١ أَوْ اللَّابِسَ لِلْبَاسِ النَّبَوَةِ. قِيلَ: إِنَّ السُّورَةَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ^٢. رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ عَلَى جَبَلٍ حِرَاءٍ فَنُودِيتُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَيسَارِي فَلَمْ أَرِ شَيْئاً، فَنَظَرْتُ فَوْقِي فَرَأَيْتُ الْمَلَكَ قَاعِداً عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَنَخَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثُرُونِي دَثُرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً، فَنَزَلَ جَبْرِئِيلُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾»^٣. وَقِيلَ: اجْتَمَعَ أَبُو جَهْلٍ وَأَبُو لَهَبٍ وَأَبُوسُفْيَانُ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَالتَّضَرُّ بْنُ الْحَارِثِ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ، وَقَالُوا: إِنَّ وَفُودَ الْعَرَبِ يَجْتَمِعُونَ أَيَّامَ الْحَجِّ وَيَسْأَلُونَنَا عَنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ، فَانْجَبَابَ كُلِّ مَنْاجِبٍ غَيْرِ جَوَابِ الْآخَرِينَ، كَأَن يَقُولُ بَعْضُنَا: إِنَّهُ كَاهِنٌ، وَيَقُولُ آخَرٌ: إِنَّهُ شَاعِرٌ، وَيَقُولُ ثَالِثٌ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ، فَبِاخْتِلَافِ الأَجْوِبَةِ يَسْتَدَلُّونَ عَلَى بَطْلَانِهَا، فَتَعَالَوْا نَجْتَمِعْ عَلَى تَسْمِيَةِ مُحَمَّدٍ بِاسْمٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ وَاحِدٌ: إِنَّهُ شَاعِرٌ. فَقَالَ الْوَلِيدُ: سَمِعْتُ كَلَامَ عُبَيْدِ بْنِ الأَبْرَصِ وَأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَمَا يُشَبِّه

١. في النسخة: الاستدفار.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٨٩، تفسير البيضاوي ٢: ٥٤١، تفسير أبي السعود ٩: ٥٤.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٨٩، تفسير أبي السعود ٩: ٥٤، تفسير روح البيان ١٠: ٢٢٣.

كلامه كلامهما. وقال آخر إنه كاهن، قال الوليد: من الكاهن؟ قالوا: الذي يَصْدُق تارةً ويكذب أخرى. قال الوليد: ما كَذَبَ محمد قطً. قال آخر: إنه مجنون. فقال الوليد: من المجنون؟ قالوا: مُخيف الناس. فقال الوليد: ما أَخيفَ محمد قطً. ثم قام الوليد وانصرف إلى بيته. فقال الناس: صَبَأَ الوليد بن المُغيرة، فدخل عليه أبوجهل، فقال: مالك يا أبا عبد شمس؟ هذه قريش تجمع لك شيئاً، زعموا أنك احتجت وصبات. فقال الوليد: مالي إلى حاجة، ولكني فُكِرْتُ في محمد فقلت: إنه ساحرٌ، لأنَّ الساحر هو الذي يَفَرِّق بين الأب وابنه، والأخوين، وبين المرأة وزوجها. ثم إنهم اجتمعوا على تلقيب محمد ﷺ بهذا اللقب، وخرجوا فصرخوا بمكة والناس مجتمعون فقالوا: إنَّ محمدًا ساحرٌ، فلمَّا سَمِعَ رسول الله ﷺ اشتدَّ عليه ورجع إلى بيته محزوناً، فتدثَّر بثوبه، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^١. وقيل: إنه كان نائماً متدثِّراً بشيابه، فجاءه جبرئيل وأيقظه، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ كأنه قال له: قم واترك التدثُّر بالثياب والنوم، واشتغل بشُغل النبوة التي أعطاكها الله^٢.

وقيل: إنَّ التدثُّر كنايةٌ عن الاختفاء، فكأنه تعالى قال: أَيُّهَا المختفي عن الناس في جبلٍ حِراءَ، المتدثِّر بذيئار الحُمول والاختفاء، قُم بأمر الرسالة، واخْرُجْ من زاوية الحُمول، وأنذِر الناس، واشتغل بالدعوة إلى معرفة الله^٣.

وعلى أي تقدير أمره الله سبحانه بقوله: ﴿قُم﴾ من مضجعك على الأول، أو قم قيام عزم وتصميم على الوجوه الآخر ﴿فَأَنذِرْ﴾ الناس وخوفهم من عذاب الله على الشرك والعصيان. عن ابن عباس، قال: قم نذيراً للبشر^٤. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وعظَّم من أن يكون له شريك، أو ممَّا يقوله عبدة الأوثان، أو فاذكُرْه بالكبرياء، وقُل: الله أكبر.

رُوي أنه لما نزلت هذه الآية قام النبي ﷺ وقال: الله أكبر كبيراً، فكبرت خديجة وفرحت وعلمت أنه أوحى إليه^٥.

وروي أنه لما نزلت كبر وأيقن أنه الوحي، لأنَّ الشيطان لا يأمر بذلك^٦.

قيل: إنَّ حرف الفاء زائدة^٧. وقيل: إنه لإفادة الشرط، والتقدير: وأي شيء كان فلا تدع تكبيره^٨.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٠.

١. تفسير الرازي ٣٠: ١٨٩.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٠.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ١٩١، تفسير أبي السعود ٩: ٥٤، تفسير روح البيان ١٠: ٢٢٥.

٧. تفسير الرازي ٣٠: ١٩١.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٢٢٥.

٨. تفسير أبي السعود ٩: ٥٤، تفسير روح البيان ١٠: ٢٢٥.

﴿وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ﴾ من الأقدار بتشهيرها، كما عن الصادق عليه السلام ^١.

وعنه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «غسل الثياب يذهب الهم والحزن، وطهور للصلاة، وتشهير الثياب طهورها، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ﴾ أي فشمّر» ^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «معناه: وثيابك فقصر» ^٣.

قيل: إن العرب كانوا يطيلون ثيابهم، ويجزّون أذبالهم خيلاءً أو كبيراً، فكانت تتنجّس، فنهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك ^٤.

وروي أن المشركين ألغوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلى شاة، فشقّ عليه، ورجع إلى بيته حزينا، وتدثر بثيابه، فقيل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ولا تمنعك تلك السفاهة عن الانذار ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ من أن لا يتقم منهم ﴿وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ﴾ عن تلك النجاسات والقاذورات ^٥.

وقيل: تطهير الثوب كناية عن تطهير الأخلاق وتحسينها ^٦. والمراد لا تحمّلك سفاهتهم على ترك الإنذار، بل حسن خلقك، واصبر على أذاهم ولا تجزع.

﴿وَالْزُجْرَ﴾ قيل: هو الشيطان ^٧. وقيل: هو العذاب ^٨. وقيل: كل عمل قبيح موجب للعذاب ^٩. وقيل: كل مستقذر ورجس ^{١٠}. وقيل: هو الأوثان ^{١١}.

﴿فَأَمْحُزْ﴾ وارفَضْ ولا تُفْرِهْ ﴿وَلَا تَمُنْ﴾ على أحدٍ بإعطاء من مالك شيئاً حال كونك ﴿تَسْتَكْبِرُ﴾ وتطلب زيادة مالك بعوض ما أعطيت، بل كلما تُعطي شيئاً لا تطمع أن يُعوّضك ممّا أعطيت أكثر منه، فإنه لا يليق بمقامك الرفيع ومنصبك العظيم، لأنّ الطمع في مال الناس من أخلاق طلاب الدنيا.

وعن الباقر عليه السلام: «لا تُعطي العطية لتلمس أكثر منها» ^{١٢}.

وقيل: يعني لا تُعطي شيئاً وأنت تستكبره، بل عليك أن تستحقّره وتستقلّه، وتكون كالمعتذر من قلته ^{١٣}.

وقيل: إن المراد لا تمنن على الناس بما تعلّمهم من أمور دينهم، كمن يستكثر ذلك الإنعام، فإنك

١. الكافي ٦: ١٤٥٥، تفسير الصافي ٥: ٢٤٥.

٢. مجمع البيان ١٠: ٥٨١، تفسير الصافي ٥: ٢٤٦.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٢.

٤. مجمع البيان ١٠: ٥٨١، تفسير الصافي ٥: ٢٤٥.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ١٩١.

٦. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٣، تفسير روح البيان ١٠: ٢٢٦.

٧. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٣.

٨. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٣.

٩. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٣.

١٠. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٣.

١١. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٣.

١٢. تفسير القمي ٢: ٣٩٣، عن أبي الجارود، تفسير الصافي ٥: ٢٤٦.

كنت مأموراً بالتبليغ فلا مئة لك عليهم^١.

وقيل: يعني لاتمئن بنوتك عليهم، لتستكثر وتأخذ منهم أجراً^٢.

وقيل: يعني لاتمئن على ربك بهذه الأعمال الشاقة التي أمرت بها في السورة، لكونها في نظرك كثيراً^٣.

عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: «لا تستكثر ما عملت من خير الله تعالى»^٤.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ المنان عليك بالنعمة العظام ﴿فَاصْبِرْ﴾ على مشاق تكاليفه وأذى المشركين، لا الاغراض النفسانية والدنيوية كالمال والجاه.

فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ *
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً *
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأَرْهِقَهُ
صُعُوداً [٨-١٧]

ثم إنه تعالى بعد أمر نبيه ﷺ بالصبر، سلى قلبه الشريف بتهديد الكفار ومعانديه بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ﴾ ونُفِخ ﴿فِي النَّاقُورِ﴾ والصُّور النفخة الثانية للإحياء والنشور ﴿فَذَلِكَ﴾ اليوم الذي بين أيديهم ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ وشاق في الغاية. وقيل: يعني فذلك النقر يومئذٍ نقر يوم عسير^٥. ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لابتلائهم بالأحوال الفظيعة والشدائد العظيمة.

ثم أكد سبحانه عُسره بقوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ لهم بوجه من الوجوه. عن ابن عباس: لما قال غير يسير على الكافرين فهم أنه كان يسيراً على المؤمنين^٦.

ثم خص سبحانه التهديد بأشقى المكذبين للنبي ﷺ وكتابه، وهو الوليد بن المغيرة بقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي﴾ يا محمد، ودعني والوليد ﴿وَوَ﴾ هو ﴿مَنْ خَلَقْتُ﴾ حال كونه ﴿وَحِيداً﴾ لآماله ولا ولد ولا أعوان، فأنني أكفيكه وأجازيه وأنتقم لك منه.

وقيل: إن المراد خلقته حال كوني وحيداً في خلقه لا مشاركتي فيه غيري^٧.

وقيل: إن الوحيد لقب الوليد، وكان يقول: أنا الوحيد بن الوحيد، ليس لي ولا لأبي نظير^٨. والمعنى:

٣. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٤.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٤.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٧.

٤. الكافي ٢: ١٣٦٢، تفسير الصافي ٥: ٢٤٦.

٨. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٨، تفسير روح البيان ١٠: ٢٢٨.

٦ و٧. تفسير الرازي ٣٠: ١٩٨.

خَلَّ بَنِي وَبَيْنَ الْوَلِيدِ، أَعْنِي وَحِيداً فِي ظَنِّهِ وَاعْتِقَادِهِ، أَوْ وَحِيداً فِي الشَّقَاوَةِ وَالضَّلَالَةِ وَالذَّنَاءِ^١، أَوْ وَحِيداً لَا يَعْرِفُ لَهُ أَبٌ، لِأَنَّهُ كَانَ لَحِيقاً بِقَرِيشٍ.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴿مَالاً مَسْهُوداً﴾ يَأْتِيهِ شَيْئاً فَشَيْئاً عَلَى الدَّوَامِ كَالْفُرْعِ وَالزَّرْعِ وَالتَّجَارَةِ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ مَالُهُ مَمْتَدّاً مَا بَيْنَ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفِ [مِنْ] الْبَسَاتِينِ الَّتِي لَا يَنْقُطِعُ نَفْعُهَا شَتَاءً وَصَيْفًا، وَالْإِبِلَ وَالْخَيْلَ^٢.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمَمْدُودَ كُنْيَةً عَنِ الْكَثِيرِ الَّذِي يَمْتَدُّ تَعْدِيدُهُ^٣.

﴿وَيَبِينُ﴾ كَانُوا كُلُّهُمْ ﴿شُهُوداً﴾ وَحُضُوراً عِنْدَهُ لَا يَفَارِقُونَهُ، أَوْ شُهُوداً مَعَهُ فِي الْمَجَامِعِ وَالْمَحَافِلِ. قِيلَ: كَانُوا عَشْرَةً^٤. وَقِيلَ: سَبْعَةٌ مِنْهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ^٥.

﴿وَمَهَّدْتُ﴾ وَبَسَطْتُ ﴿لَهُ﴾ الرَّئَاسَةَ وَالْجَاهَ فِي قَرِيشٍ، وَفِي الْعَيْشِ وَالْعَمْرِ ﴿تَمْهِيداً﴾ وَبَسْطاً عَجِيباً، فَاتَمَّتْ عَلَيْهِ النُّعْمُ الدُّنْيَوِيَّةُ ﴿ثُمَّ﴾ إِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ ﴿يَطْمَعُ﴾ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى الدُّنْيَا ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾ عَلَى مَا أُعْطِيَته حَاشَا وَ﴿كَلاً﴾ كَيْفَ يَطْمَعُ [فِي] ذَلِكَ.

ثُمَّ كَانَهُ قِيلَ: لَمْ لَا يَطْمَعُ وَلَا يَزِيدَادُ؟ فَأُجَابَ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ﴾ لَحُبَّتْ ذَاتُهُ ﴿كَأَنَّ لَا يَأْتَانَا﴾ وَدَلَائِلُ تَوْحِيدِنَا وَمُعْجَزَاتُ رَسُولِنَا وَبِرَاهِينُ الْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ مِنْ قَدِيمِ الْأَيَّامِ، أَوْ آيَاتُنَا الْقُرْآنِيَّةُ ﴿عَيْنِداً﴾ وَمُبْغِضاً وَمُعَارِضاً بِلِسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مَعْتَقِداً بِقَلْبِهِ، وَلِذَا ﴿سَأَرْهَقُهُ﴾ وَأَغْشِيهِ وَأَكْلَفُهُ كَرْهًا بَلْ مَا يَطْعَمُهُ فِي الدُّنْيَا ﴿صُعُوداً﴾ وَارْتِقَاءَ عَقْبِهِ شَاقَّةَ الْمَصْعَدِ بِحَيْثُ تَغْشَاهُ الشَّدَّةُ وَالْعَذَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «الصُّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يَصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفاً ثُمَّ يَهْوِي كَذَا أَبَداً^٦». وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْمُ عَقْبَةٍ فِي النَّارِ، كُلَّمَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ذَابَتْ، فَاذَا رَفَعَهَا عَادَتْ^٧.

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَفَعَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلٌ

١. فِي النُّسخَةِ: وَالذَّنَامَةُ.

٢. تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٣٠: ١٩٨ وَ ١٩٩، وَقَدْ الْمَصْنُفُ خَلَطَ بَيْنَ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمَقَاتِلِ. تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ ٩: ٥٦.

٣. تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٣٠: ١٩٩.

٤. تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٣٠: ١٩٩، تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ ٩: ٥٦، تَفْسِيرُ رُوحِ الْبَيَّانِ ١٠: ٢٢٨.

٥. تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٣٠: ١٩٩، تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ ٩: ٥٦. ٦. وَالظَّاهِرُ: بَدَلَ، رَاجِعُ تَفْسِيرِ رُوحِ الْبَيَّانِ ١٠: ٢٢٩.

٧. تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٣٠: ٢٠٠، تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ ٩: ٥٧.

٨. تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٣٠: ٢٠٠، تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ ٩: ٥٧، تَفْسِيرُ رُوحِ الْبَيَّانِ ١٠: ٢٢٩.

الْبَسْرُ [١٨-٢٥]

ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ كَيْفِيَّةَ عُنَادِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ﴾ لعنه الله ﴿فَكَتَرَ﴾ في القرآن وتَدَبَّرَ ﴿وَقَدَّرَ﴾ وَرَتَّبَ فِي خَوَاطِرِهِ كَلَاماً لَصَرَفِ النَّاسِ عَنْهُ.

ثُمَّ أَظْهَرَ سُبْحَانَهُ التَّعَجُّبَ مِنْ قُوَّةِ فِكْرِهِ وَتَهَيَّأَ رَدَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَقُتِلَ﴾ اللعين ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ وَرَتَّبَ هَذَا الْكَلَامَ وَقِيلَ: إِنَّ مَدْحَ كَلَامِهِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ، وَالْمَرَادُ إِظْهَارَ أَنَّهُ فِي غَايَةِ الرُّكَازَةِ^١.

ثُمَّ بَالِغَ سُبْحَانِهِ فِي إِظْهَارِ التَّعَجُّبِ مِنْ كَلَامِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ وَرَتَّبَ كَلَامَهُ الْكَذِبَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ فِيمَا قَدَّرَ.

قِيلَ: فَكَّرَ أَوَّلًا وَقَدَّرَ الْكَلَامَ ثَانِيًا، ثُمَّ نَظَرَ وَتَأَمَّلَ فِي ذَلِكَ الْمَقْدَرِ احْتِطَاءً ثَالِثًا^٢ أَوْ نَظَرَ فِي الْقُرْآنِ ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ وَقَطَّبَ وَجْهَهُ مِنَ الْغَضَبِ وَالْعِنَادِ حَيْثُ رَأَى نَفْسَهُ عَاجِزًا عَنْ رَدِّهِ وَإِبْطَالِهِ ﴿وَبَسَّرَ﴾ وَتَغَيَّرَ وَجْهَهُ وَاسْوَدَّ، أَوْ قَيَّضَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، أَوْ اسْتَعْجَلَ فِي عُبُوسِهِ وَأَظْهَرَهُ فِي غَيْرِ مَوْقِعِهِ.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عَنِ الْحَقِّ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ عَنِ اتِّبَاعِهِ ﴿فَقَالَ﴾ عَقِيبَ إِعْرَاضِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الْقُرْآنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَمَا هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي يَتَحَدَّى بِهِ ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ وَيَتَعَلَّمُ مِنَ الْغَيْرِ، وَلَيْسَ هُوَ بِكَلَامِ اللَّهِ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ وَمَا ذَلِكَ ﴿إِلَّا قَوْلُ الْبَسْرِ﴾.

قِيلَ: إِنَّ مَرَادَهُ مِنَ الْبَشَرِ يَسَارَ وَجُبِيرَ، كَانَا عَبْدَيْنِ مِنْ فَارَسٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُرَاوِدُهُمَا، وَأَبُوهُ فَكِيهَةٌ كَانَتْ غُلَامًا رُومِيًّا يَتَرَدَّدُ إِلَى مَكَّةَ مِنْ طَرَفِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ فِي الْبِمَامَةِ^٣.

رُوي أَنَّ الْوَلِيدَ مَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ حِمَّ السَّجْدَةِ^٤ - وَقِيلَ: فَوَاتِحَ حِمِّ الْمُؤْمِنِ^٥ - فَقَالَ لِبَنِي مَخْزُومٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ أَنْفَاءً كَلَامًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسَانِ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَّلَاوَةٌ، وَإِنْ أَعْلَاهُ لَمُشْمَرٌ، وَإِنْ أَسْفَلُهُ لَمُعْدُقٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَيَلْعَلُو وَلَا يَعْلى عَلَيْهِ. فَقَالَتْ قُرَيْشٌ صَبَا وَاللَّهِ الْوَلِيدُ، لَتَصْبَأَنَّ قُرَيْشٌ، أَيْ بِمَتَابَعَتِهِ فَقَالَ ابْنُ أَخِيهِ أَبُو جَهْلٍ: أَنَا أَكْفِيكُمْوه، فَقَعَدَ عَنْده حَزِينًا، وَكَلَّمَهُ بِمَا أَغْضَبَهُ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: أَلَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشُ أَنَا أَكْثَرُهُمْ مَالًا وَوَلَدًا إِلَى أَنْ قَالَ: أَتَزْعُمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ أَنَّهُ يُخْلَقُ؟ فَأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْلُقُ الْمَجْنُونِ وَيَتَخَبَّطُهُ، أَوْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ كَاهِنٌ، فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ يَتَكَهَّنُ؟ أَوْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ شَاعِرٌ، فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ يَتَعَاطَى الشَّعْرَ قَطُّ؟ أَوْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَذَّابٌ، فَهَلْ جَرَّبْتُمْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْكَذِبِ.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٠٠.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٠٠، تفسير روح البيان ١٠: ٢٢٩.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢٠٢.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٢٣١.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٢٢٩.

فقالوا في كل ذلك: اللهم لائمه قالوا: فما هو؟ وما تقول في حقه؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحرًا يآثره عن مسيلمة وعن أهل بابل، فارتج النادي فرحاً، ففرقوا متعجبين منه راضين به^١.

وعن القمي: نزلت في الوليد بن المغيرة: وكان شيخاً كبيراً مجرباً من دُعاة العرب، وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يقعد في الحجرة ويقرأ القرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة، فقالوا: يا أبا عبد شمس، ما هذا الذي يقول محمد، أشعر، أم كهانة، أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه، فدنا من رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أنشدني من شعرك، فقال: «ما هو شعر، ولكنه كلام الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه ورسله» فقال: اتل عليّ منه شيئاً فقرأ عليه رسول الله ﷺ: حم السجدة، فلما بلغ قوله: «فَإِنْ أَعْرَضُوا» يا محمد قريش «فَقُلْ أُنذِرْكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ»^٢ فاقشعر الوليد، وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته، ومز إلى بيته، ولم يرجع إلى قريش من ذلك.

ومشوا إلى أبي جهل فقالوا: يا أبا الحكم، إن أبا عبد شمس صبا إلى دين محمد، أما تراه لم يرجع إلينا. فغدا أبو جهل إلى الوليد، وقال له: يا عم، نكست رؤوسنا وفضحتنا، وأشمت بنا عدونا، وصبوت إلى دين محمد! فقال: ما صبوت إلى دينه، ولكني سمعت كلاماً صعباً، تقشعر منه الجلود. فقال له أبو جهل: أخطب هو؟ قال: لا. إن الخطب كلام متصل، وهذا كلام متور، ولا يشبه بعضه بعضاً. قال: أفشعر هو؟ قال: لا، أما أتى سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورجزها، ما هو بشعر. قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه.

فلما كان من الغد قال له: يا أبا عبد شمس، ما تقول فيما قلنا؟ قال: قولوا هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله على رسوله: «ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً» وإنا سمي وحيداً لأنه قال لقريش: أنا أتوحد بكسوة البيت سنة، وعليكم في جماعتكم سنة. وكان له مأل كثير وحدائق، وكان له عشر بنين بمكة، وكان له عشرة عبيد، عند كل [عبد] ألف دينار يتجر بها^٣.

سَاطِئِهِ سَقَرٌ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا
تِسْعَةُ عَشْرِ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً

١. جوامع الجامع: ٥١٧، تفسير الصافي: ٥: ٢٤٨، تفسير أبي السعود: ٩: ٥٧، تفسير روح البيان: ١٠: ٢٢٩.

٢. فصلت: ١٣/٤١. ٣. تفسير القمي: ٢: ٣٩٣، تفسير الصافي: ٥: ٢٤٧.

لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا
يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ
وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا
أُدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَتَفَرَ * إِنَّهَا لَإِخْدَى الْكَبِيرِ * تَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَن شَاءَ
مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ [٢٦-٣٧]

ثم فسر سبحانه تهديده بإرهاقه الصعود بقوله: ﴿سَاضِلِيهِ﴾ وأدخله عنفاً وجبراً ﴿سَقَرٌ﴾ وجهم.
قيل: إن سقر أحد أسماء جهنم^١. وعن ابن عباس: أنه اسم للطبقة السادسة من جهنم.
ثم بالغ سبحانه في التهويل بقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ﴾ وأي شيء أعلمك يا محمد ﴿مَا سَقَرٌ؟﴾ فإن
العلم بها وبوصفها وشدة حرها خارج عن إدراك العقول في هذا العالم، إنما الممكن من إدراكها أن
يقال: إنها ﴿لَا تُبْقَى﴾ مما ألقى فيها شيئاً بل تهلكه بالإحراق ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ هالكاً حتى يُعاد.
عن ابن عباس: أنها لا تبقى من الدم واللحم والعظم شيئاً، فإذا أُعيدوا خلقاً جديداً لا تذر أن تعاود
إحراقهم بأشد مما كانت، وهكذا أبداً^٢، ولا تبقى من المستحقين للعذاب إلا عذبتهن، ثم لا تذر من
أبدان أولئك المعذبين شيئاً إلا أحرقتهم.
وقيل: يعني لا تبقى من أبدان المعذبين شيئاً، ولا تذر من قوتها وشدتها شيئاً إلا أعملت تلك القوة
والشدة في تعذيبهم^٣.

وقيل: إن الجملتين مترادفتان ذكراً للتأكيد^٤.

وتلك الجحيم ﴿لَوَاحَةٌ﴾ وظاهرة ﴿لِلْبَشَرِ﴾ وبني آدم من مسيرة خمسين عام، ويصل إلى الكافر
سمومها وحُرورها، كما يصل إلى المؤمن ريح الجنة ونسيمها من تلك المسافة، كذا قيل^٥. وقيل: إن
المعني مغيرة لظاهر الجلد^٦ ويصير لونها أسود كالليل المظلم، وأمور من قبلنا بتنظيم أمور سقر،
وموكل ﴿عَلَيْهَا﴾ ومُسَلَّط على أهلها ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الملائكة الغلاظ الشداد. قيل: أعينهم
كالبرق، وأنبياهم كالصياحي، وأشفارهم تَمَسُّ أقدامهم، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبتي
كل منهم مسيرة سنة، كف أحدهم يسع مثل ربيعة ومضر، نُزِعَتْ منهم الرأفة والرحمة، رئيسهم

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٠٢، تفسير روح البيان ١٠: ٢٣١.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٢٣١.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٢٣١.

٥. ٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٠٢.

٧. تفسير أبي السعود ٩: ٥٨، تفسير روح البيان ١٠: ٢٣١.

مالك^١.

ثم روي أنه لما نزلت الآية قال أبو جهل لقرش: ثكلتكم أمهاتكم، قال ابن أبي كبشة أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الجمع العظيم أيعجز^٢ كل عشرة منكم أن يبطشوا برجلٍ منهم؟ فقال أبو الأشد أو أبو الأسود - بن أسيد بن كلفة الجُمحي، وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر، وأكفوني أنتم اثنين. فلما قال أبو جهل وأبو الأشد - أو أبو الأسود - ذلك قال المسلمون: ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين أي السجّانين. فنزلت ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ^٣ خَزَنَةً الَّذِينَ يَقُومُونَ بِأَمْرِهَا إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ وكل واحد منهم أقوى من جميع الإنس والجن، وأطوع لأوامر الله، وليس لهم رافة بالثقلين لمخالفتهم إياهم في الجنس.

عن النبي ﷺ قال: «لِقُوَّةِ أَحَدِهِمْ مِثْلُ قُوَّةِ الثَّقَلَيْنِ، يَسُوقُ أَحَدُهُمَ الْأُمَّةَ وَعَلَى رِقْبَتِهِ جَبَلٌ فَيَرْمِي بِهِمْ فِي النَّارِ، وَيَرْمِي بِالْجَبَلِ عَلَيْهِمْ»^٤.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا﴾ العدد الذي يكون ﴿فِتْنَةً﴾ وسبباً لازدياد الكفر ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأصرّوا على كفرهم وعنادهم، وما أخبرنا بعددهم الا ﴿لَيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى بصحة نبوة محمد ﷺ وصدق كتابه، لما شاهدوا من موافقته لكتبهم من أن محمداً أمي لم يقرأها ولم يسمع شيئاً من علمائهم ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ وكتبه ﴿إِيمَانًا﴾ ويقيناً بهما بما رأوا من تصديق أهل الكتاب ما في القرآن.

روي أن اليهود سألو رسول الله ﷺ عن خزنة النار وعددهم، فأجاب ﷺ بأنهم تسعة عشر^٥. ﴿وَلَا يَزَنَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا يعتربهم الشك بعد يقينهم بنوة محمد ﷺ وصدق كتابه، ولا تعرض لهم شبهة ما، بل يكون يقينهم يقيناً ثابتاً جازماً ﴿وَلَيَقُولَ﴾ المنافقون ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ الكفر والنفاق والشك ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ المتجاهرون بالكفر المصرون عليه استهزاءً بالقرآن وإنكار الآية من عند الله: ﴿مَاذَا﴾ وأي شيء ﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا﴾ العدد الذي عيّن لخزنة جهنم؟ وهو العدد الناقص عن العقد، ولم يقل عشرون أو ثلاثون، فهو يكون ﴿مَثَلًا﴾ في القرابة ﴿كَذَلِكَ﴾ الذي ذكرنا من هداية أهل الكتاب، وازدياد يقين المؤمنين بنزول هذه الآية، وإضلال الكافرين والمنافقين ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله على حُبث طيبته وذمائم أخلاقه

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٠٣، تفسير روح البيان ١٠: ٢٣١ و ٢٣٢.

٢. تفسير أبي السعود ٩: ٥٩، تفسير روح البيان ١٠: ٢٣٣.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٠٣.

٤. في النسخة: ولا يعرضهم.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٢٣٤.

وسينات أعماله ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته بمقتضى طيب طبيته وحسن نيته وأخلاقه، وإنما يكون اختيار هذا العدد القليل لخزان جهنم لحكمة مقتضيه لذلك، لا لقلة الملائكة الذين هم جنود الله، فإنهم من كثرتهم بحيث لا يحصون^١ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة وسائر الموجودات ﴿إِلَّا هُوَ﴾ تعالى، فهو قادر على أن يكثر عدد الخزنة، بل لكل واحد منهم أعوان من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، وليست عدة الخزنة، أو سقر، أو تلك الآيات ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وعظة ﴿لِلْبَشَرِ﴾ كافة ولبنى آدم عامة.

﴿كَلَّا﴾ لا يتذكرون بتلك الذكريات^٢ والمواعظ إلا العقلاء وأهل الإيمان، أو المراد ليس لأحد مجال إنكار سقر ﴿وَأَلْقَمِرِ﴾ المضيء الذي تعرف به الأوقات والآجال، وتظهر به عجائب الصنع وكمال قدرته في حركاته المختلفة التي هي مع كثرتها واختلافها على نظام واحد. وقيل: يعني أقسم بخالق القمر^٣.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ﴾ وحين ذهب وانقضى، كما عن ابن عباس^٤. ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ وأضاء، وهو من الأوقات الشريفة التي يظهر فيها قدرة الله ورحمته ﴿إِنَّهَا﴾ قيل: إن الضمير راجع إلى سقر، والمعنى أقسم بهذه الأيمان المذكورة أن سقر لا يخفى الطبقات، أو الدواهي ﴿الْكُبَرِ﴾ والعظام، والطبقات الأخر لظي والحطمة والسعير والجحيم والهاوية وجهنم.

وقيل: إنه راجع إلى الزبانية التسعة عشر، والمعنى أن التسعة عشر من إحدى الحجج العظام على قدرة الله على تعذيب جميع العصاة من بدو الخلقة إلى آخر الدهر بعدة قليلة من الملائكة^٥، وجعلنا ذلك ﴿نَذِيرًا﴾ ومخوفاً أو انذاراً وتخويفاً ﴿لِلْبَشَرِ﴾ أعني ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَنْ يَتَّقُوا﴾ ويسبق إلى الخيرات بهداية الله تعالى ﴿أَوْ﴾ لم يشأ و ﴿يَتَأَخَّرَ﴾ ويكف نفسه عنه باضلال الله.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْإِيمَانِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ *
عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ
نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ *
حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ [٣٨-٤٧]

٢. في النسخة: الذكريات.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢٠٨.

١. في النسخة: لا يحصى.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٢٣٨.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٠٩، تفسير روح البيان ١٠: ٢٣٨.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٢٣٨.

أيها الناس اعلموا أنه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ من النفوس رجلاً كان أو امرأة ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ وعملت في الدنيا لآخرتها ﴿وَهَيْئَةً﴾ عند الله ومجوساً بسببائها ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وذوي الأعمال الصالحة من المؤمنين، فإنهم - بامثال ما عليهم من التكليف، وأداء حقوق الله إليه، وبإبراء ذمهم من الواجبات وترك المحرمات - فاكون رقابهم كما يفك الراهن رهنه بأداء دينه.

وقيل: إن المراد بهم أطفال المسلمين^١ فهم ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ وهم لما يعرفوا في الدنيا التكليف والذنب ﴿يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين يرونهم في جهنم، ويقولون لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ وأي شيء حبسكم، أو أدخلكم ﴿فِي﴾ دركة ﴿سَقَرَ﴾ وقال القائلون بالقول الأول: إن المؤمنين لسال بعضهم بعضاً عن المجرمين: أين هم؟ فلما رأوهم قالوا لهم: ما سلككم في سقر؟ ﴿قَالُوا﴾ في جوابهم: إنا ﴿لَمْ نَكُ﴾ في الدنيا ﴿مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ جملة ﴿الْمُصَلِّينَ﴾ والمؤذنين للصلاة الواجبة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها، وتقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين شئوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ»^٢.

وعن الصادق عليه السلام قال: «اعني لم نك من أتباع الأئمة الذين قال الله تعالى لهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»^٣ أما ترى الناس يُسمون الذي يلي السابق مُصلياً، فذلك الذي [عنى] حيث قال: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ أي لم نك من أتباع السابقين»^٤.

وعن الكاظم عليه السلام قال: «يعني أنا لم تنول وصي محمد ﷺ والأوصياء من بعده، ولم نُصل عليهم»^٥.

أقول: هاتان الروايتان تأويل لاتفسير.

﴿وَلَمْ نَكُ نَظْمُ الْمُسْكِينِ﴾ ولم نُعظم الزكاة الواجبة، أو المراد نبخل بأموالنا ﴿وَكُنَّا﴾ في الدنيا ﴿نَعْوِضُ﴾ ونُشْرع في الأقوال الباطلة، كذم النبي ﷺ والاستهزاء به وبكتابه ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ والشارعين فيها ﴿وَكُنَّا﴾ مع جميع ذلك ﴿نُكَذِّبُ بَيُّومَ الدِّينِ﴾ ونجحد دار الجزاء ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ وأدرنا الموت.

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ * كَانَهُمْ حُمَرَاءُ

٢. نهج البلاغة: ٣١٦ الخطبة ١٩٩، تفسير الصافي ٥: ٢٥١.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٠.

٣. الواقعة: ١٠/٥٦ و ١١. ٤. الكافي ١: ٣٨٣/٤٧، تفسير الصافي ٥: ٢٥١.

٥. الكافي ١: ٩١/٣٠، تفسير الصافي ٥: ٢٥١.

مُسْتَنْفَرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ [٤٨-٥١]

ثم لما حكى سبحانه سبب استحقاق المجرمين للعقاب، بين عدم المانع من تعذيبهم بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ﴾ لدفع العذاب ﴿شَفَاعَةُ﴾ جميع الأنبياء والأوصياء والأولياء ﴿الشَّافِعِينَ﴾ للعصاة، لو فرض محالاً بشفاعتهم لهم، لاشتراط قبولها بقابلية المشفوع له للشفاعة، ولا قابلية للكفار لها، فاذا كان هذا حال المكذبين بالقرآن ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ وأَي دافع دعاهم إلى أن يكونوا ﴿عَنِ﴾ القرآن الذي هو عين ﴿التَّذْكِرةِ﴾ والموعظة للناس لشدة لزومه لها ﴿مُعْرِضِينَ﴾ مع تعاضد موجبات الإقبال عليه، وتأكد الدواعي للإيمان به والاتعاظ منه، والعجب مع ذلك أنهم يفرّون من استماع القرآن ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ﴾ وحشية كما عن ابن عباس^١ ﴿مُسْتَنْفَرَةٌ﴾ وهاربة ﴿فَرَّتْ﴾ وهربت ﴿مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ عن ابن عباس: القسورة: الأسد بلسان الجحشة. وقال: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك المشركون إذا رأوا محمداً ﷺ هربوا منه^٢.

وقيل: القسورة: جماعة الرعاة الذين يتصيدون الحمر^٣. وقيل: ركز الناس وأصواتهم^٤ وفيه غاية ذمهم وتهجين حالهم وشهادة عليهم بالبلد^٥ حيث إنه لا يفرار مثل نفار الحمر الوحشية واطرادها في العدو إذا خافت من شيء.

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشُورَةً * كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ
* كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ
التَّقْوَىٰ وَآهْلُ الْمَغْفِرَةِ [٥٢-٥٦]

ثم لما قال سبحانه: ما لهم يعرضون عن النبي ﷺ، أو القرآن، بين سبب ذلك بقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ ورجل ﴿مِّنْهُمْ﴾ ويتوقع كل فرد من أفرادهم ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ من جانب الله ﴿صُحُفًا﴾ وكتباً ﴿مُنشُورَةً﴾ ومفتوحة.

وروي أن أبا جهل وعبد الله بن أمية وأصحابهما قالوا لرسول الله ﷺ: لن تتبعك حتى تأتني كل واحد منا بكتف، أو قالوا: يصح عند رأس كل رجل منا أوراق منشورة، عنوانها: من رب العالمين إلى فلان بن فلان، نؤمر فيها باتباعك^٦.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٢، تفسير روح البيان ١٠: ٢٤١.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٢.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٢.

٥. في تفسير الرازي: بالبله. والبلد: قلة الذكاء. والبله: ضعف العقل وغلبة الغفلة.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٢٤٢.

وقيل: قالوا: إن كان محمد صادقاً، فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة من النار.^١
 ﴿كَلَّا﴾ لم يقولوا هذه الكلمات، ولم يقترحوا تلك الآيات لرفع الشبهة ﴿بَلْ﴾ للعناد واللجاج ﴿لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ وشدائدها، لأنهم ينكرونها ويستغرقون في حُب الدنيا وشهواتها ﴿كَلَّا﴾ ليس لأحد أن يعرض عن القرآن حيث ﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ بليغة كافية، وموعظة شافية لأهل العالم ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ الذكر والوعظة ﴿تَذَكُّرٌ﴾ واتعظ به، وجاز به خير الدارين.

وقيل: إن الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ و ﴿تَذَكُّرٌ﴾ راجع إى التذكير في قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكُّرَةِ مُغْرِضِينَ﴾ لأنها في معنى الذكر والقرآن.^٢

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ ولا يتعظون ولا يهتدون به ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ تذكّهم وائعاظهم، أو هدايتهم به، وفيه دلالة على أنه بمشيئة الله وإرادته العبد، لأنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، كما حققناه في أوائل البقرة.

ثم وصف سبحانه ذاته المقدسة بما يوجب الخوف والرجاء بقوله: ﴿هُوَ﴾ تعالى ﴿أَهْلُ النَّقْوَى﴾ وحقيق بأن يخاف منه ومن عقابه على ترك الايمان وطاعته، لأنه ذوانتقام وشديد العقاب ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ وحقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه.

عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أهل أن أتقى ولا يشرك بي عبدي شيئاً، وأنا أهل أن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن أدخله الجنة».

وقال عليه السلام: «[إن الله تبارك وتعالى] أقسم بعزته وجلاله أن لا يعذب أهل توحيده بالنار أبداً».^٣

عن الباقر عليه السلام: «من قرأ في الفريضة سورة المدثر، كان حقاً على الله عز وجل أن يجعله مع محمد ﷺ في درجته، ولا يدركه في الحياة الدنيا شقاء أبداً إن شاء الله تعالى».^٤

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٣، تفسير روح البيان ١٠: ٢٤٢.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٢.

٣. التوحيد: ٦٧٢، تفسير الصافي ٥: ٢٥٢.

٤. نواب الأعمال: ١٢٠، مجمع البيان ١٠: ٧٧، تفسير الصافي ٥: ٢٥٢.

1. The first part of the report

describes the general situation of the country and the results of the survey. It also mentions the names of the people who were interviewed and the places where the survey was conducted. The second part of the report describes the results of the survey in more detail. It mentions the different types of work that were done and the amount of time that was spent on each type of work. It also mentions the different types of equipment that were used and the results of the tests that were conducted. The third part of the report describes the results of the survey in more detail. It mentions the different types of work that were done and the amount of time that was spent on each type of work. It also mentions the different types of equipment that were used and the results of the tests that were conducted.

The fourth part of the report describes the results of the survey in more detail. It mentions the different types of work that were done and the amount of time that was spent on each type of work. It also mentions the different types of equipment that were used and the results of the tests that were conducted. The fifth part of the report describes the results of the survey in more detail. It mentions the different types of work that were done and the amount of time that was spent on each type of work. It also mentions the different types of equipment that were used and the results of the tests that were conducted. The sixth part of the report describes the results of the survey in more detail. It mentions the different types of work that were done and the amount of time that was spent on each type of work. It also mentions the different types of equipment that were used and the results of the tests that were conducted.

The seventh part of the report describes the results of the survey in more detail. It mentions the different types of work that were done and the amount of time that was spent on each type of work. It also mentions the different types of equipment that were used and the results of the tests that were conducted. The eighth part of the report describes the results of the survey in more detail. It mentions the different types of work that were done and the amount of time that was spent on each type of work. It also mentions the different types of equipment that were used and the results of the tests that were conducted. The ninth part of the report describes the results of the survey in more detail. It mentions the different types of work that were done and the amount of time that was spent on each type of work. It also mentions the different types of equipment that were used and the results of the tests that were conducted.

في تفسير سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ
نَجْمَعَ عِظَامَهُ [١-٣]

ثم لما حُتِمَت سورة المُدَّثَرِ المتضمنة لبيان أحوال القيامة وبيان عظمة القرآن، وأن مكذبيه لا يخافون الآخرة، نُظِمَت سورة القيامة المتضمنة لبيان بعض آخر من أحوال القيامة، وبيان عظمة القرآن المجيد، وأن مكذبيه يُحْبَوْنَ العاجلة وَيَذَرُونَ الآخرة، وغير ذلك من المناسبات بين السورتين الشريفتين، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ثم شرع سبحانه في إثبات المعاد بقوله: ﴿لَا أَقْسِمُ﴾ على وقوع المعاد ﴿بِیَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَقْسِمُ﴾ عليه ﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ لعظمة شأنهما وعدم الحاجة في وقوعه إلى القسم لوضوحه. وقيل: إن حرف ﴿لَا﴾ زائدة للتأكيد^١. والمعنى أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة أنكم تتبعثن. عن ابن عباس: كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة [سواء] كانت فاجرة أو برة، أما البرة فلاجل أنها لم تزد على طاعتها، وأما الفاجرة فلاجل أنها لم تشتغل بالتقوى^٢.

وقيل: إن المراد النفوس المتقية التي تلوم النفس العاصية يوم القيامة^٣.

وقيل: إن المراد النفوس الشريفة التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعة^٤.

وقيل: إنها النفوس الشقية، فأثما تلوم نفسها إذا شاهدت أحوال القيامة^٥. قيل: وجه المناسبة بين المقسمين أن ظهور شدة اللوم يكون في ذلك اليوم^٦.

ثم أنكر سبحانه استبعاد البعث أو امتناعه أو أظهر التعجب منه بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ ويتخيل ﴿الْإِنْسَانُ﴾ العاقل ﴿أَنْ﴾ تقدر على أن ﴿نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد موته. عن ابن عباس: أن المراد

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٤، تفسير روح البيان ١٠: ٢٤٣.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٥.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٦.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٦.

٥. مجمع البيان ١٠: ٥٩.

٦. مجمع البيان ١٠: ٥٩.

بالإنسان أيا جهل^١.

وروي أن عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق، وهما اللذان قال رسول الله ﷺ فيهما: «اللهم أكفني شرَّ جاري السوء» قال لرسول الله ﷺ: يا محمد، حدثني عن يوم القيامة متى يكون، وكيف أمره؟ فأخبره رسول الله ﷺ، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن بك، كيف يجمع الله العظام^٢.

بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ * بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ
أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَيْنَ الْمَقَرَّ [١٠-٤]

ثم ردَّ سبحانه المنكرين بقوله: «بَلَىٰ» نحن كنا «قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ» ونصنع «بَنَانَهُ» وأصابعه وأطرافها كما كانت بعد صيرورتها ريمياً ورُفأةً مختلطاً بالتراب متفرقاً في أقطار الأرض مع صغرها ورقعتها، فكيف بغيرها من العظام الكبار الغلاظ؟

ثم تَبَّه سبحانه على أن الحسبان ليس بشبهة وترديد في إمكان إحياء الموتى وقدرة الله عليه «بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ» المنكر للبعث «لِيَفْجُرَ» ويكذب بما يكون «أَمَامَهُ» وقَدَّامه من البعث والحساب. وقيل: ليدوم على فجوره وعصيانهِ فيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه^٣.

وعن القمي وسعيد بن جبیر: لِيَقْدَمَ الذنب ويؤخر التوبة ويقول: سوف أتوب، حتى يأتيه الموت على شرِّ أحواله وأسوأ أعماله^٤. وهو لإصراره على الذنب «يَسْأَلُ» تكذيباً واستهزاءً بإخبار الله ورسوله بالبعث «أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ومتى يكون؟ فأجابه سبحانه بقوله: «فَإِذَا بَرَقَ» وتحير «الْبَصَرُ» وشخص برؤية الأحوال الفازعة في يوم تشخص فيه الأبصار، أو يوم الموت برؤية أسبابه والملائكة الحاضرين لقبض روحه، فعند ذلك يتيقن بأن إنكاره البعث كان خطأً وغلطاً «وَوَ» إذا «خَسَفَ الْقَمَرُ» وذهب ضوؤه أو انعدم جُرمه بالكلية «وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» في ذهاب النور، كما عن النبي ﷺ^٥ وفي الإعدام.

وقيل: يُجمَعان أسودين مكوّرين كأنهما ثوران عقيران في النار^٦. وقيل: يُجمَعان ثم يقذفان في

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٧.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢١٧، تفسير أبي السعود ٩: ٦٥، تفسير روح البيان ١٠: ٢٤٤. ٣. تفسير الرازي ٣٠: ٩١٨.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٩٦، تفسير الصافي ٥: ٢٥٤، تفسير الرازي ٣٠: ٢١٨، عن سعيد بن جبیر.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٢٤٦. ٦. تفسير الرازي ٣٠: ٢٢٠.

[البحر، فهناك] نار الله الكبرى^١ ليكون حسرة على من عبدهما، وإنما ذُكر الفعل لأن الكلام في تأويل جُمع بينهما أو جُمع النوران، أو لتقدم الفعل.

فعند ذلك ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ المُنْكَر للبعث من كَثْرَةِ التحيرِ وشِدَّةِ الوحشة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ووقت مشاهدة الأحوال: إياساً عن إمكان الفرار: ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ وهل إلى موضعٍ يَحْفَظُنِي سبيل؟

كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ
* بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١١-١٥)

ثم ردعهم سبحانه عن الطمع في الفرار بقوله: ﴿كَلَّا﴾ وحاشا أن تجدوا مفراً ﴿لَا وَزَرَ﴾ ولا ملجأ ولا معاد لأحدٍ من العذاب، بل ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ ومشيتته وجُكمه ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ والمرجع لا إلى غيره. وقيل: يعني إلى مشيته ربك مستقرهم ومنزلهم من الجنة والنار.^٢

﴿يُنَبِّئُ﴾ ويُخبر ﴿الْإِنْسَانُ﴾ المُكَلَّف في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وفي ذلك الوقت ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من عمل خير وصدقة مال وعبادة خالصة ﴿وَمَا أَخَّرَ﴾ ما ترك ولم يعمل. وقيل: يعني ممَّا قَدَّمَ من أعماله مطلقاً خيراً كان أو شراً، أو بما أخر من زمان حياته من سنةٍ حسنةٍ أو سيئةٍ.^٣

عن الباقر (عليه السلام): «بما قَدَّمَ من خيرٍ وشرٍّ، وما أخر من سنةٍ يُسْتَنُّ بها من بعده، فإن كان شراً كان عليه وزر من عمل بها، ولم ينقص من وزرهم شيئاً، وإن كان خيراً كان له مثل أجورهم، ولا ينقص من أجورهم شيئاً».^٤

وقيل: إن معنى (ما ﴿أَخَّرَ﴾) ما خلفه من المال، أو أوقفه، أو أوصى به.^٥

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ﴾ لا يحتاج إلى أن يُنبأه بأعماله ويُخبره غيره بها، لأنه ﴿عَلَى﴾ جميع أعمال ﴿نَفْسِهِ﴾ في الخلوات والجلوات صغيرها وكبيرها حُجَّةٌ ﴿بَصِيرَةٌ﴾ وبيّنة واضحة، أو المراد ذو بصيرة كاملة، لحضور جميع أعماله في نظره بصورتها التَّزَكِّيَّة، وشهادة جوارحه بها، وتقبل شهادتها عليه ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ وأرخصي ستوره وأراد إخفاء أعماله.

قيل: إن السُّتور استعمل مجازاً في الأعداء بعلامة المشابهة، فكما أنَّ السُّتور تمنع رؤية المحتجب،

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٢٠.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٢١، تفسير أبي السعود ٩: ٦٦، تفسير روح البيان ١٠: ٢٤٦.

٣. تفسير أبي السعود ٩: ٦٦، تفسير روح البيان ١٠: ٢٤٧.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٩٧، تفسير الصافي ٥٥: ٢٥٥. ٥. تفسير أبي السعود ٩: ٦٦، تفسير روح البيان ١٠: ٢٤٧.

كذلك المَعذرة تمنع قُبْح الذنب^١.

وقيل: يعني ولو جاء بأعذاره، بأن يقول: حملني على العصيان الضرورة وشدة الحاجة، أو الجهل بالحكم، أو خوف ذهاب الجاه ونحوها من الأعذار، فإنها لاتنفعه، لعلمه، بأنه كاذب فيها، أو صادق ولا تكون عُذراً فيه^٢.

عن الصادق عليه السلام قال: «ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً، ويستر سيئاً؟ أليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنه ليس كذلك، والله عز وجل يقول: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، إن السريرة إذا صلحت قويت العلانية^٣. وعنه عليه السلام أنه تلا هذه الآية فقال: «ما يصنع الانسان أن يعتذر إلى الناس بخلاف ما يعلم الله منه؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: من أسر سريرة ألبسه الله رداءها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر^٤.

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ
* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ [١٦-٢١]

ثم لما ذكر سبحانه أن علم الانسان يوم القيامة بما صدر منه في الدنيا كافٍ لاحتياج إلى إخبار الغير به في ذلك اليوم، وكان النبي صلى الله عليه وآله يستعجل في قراءة ما يقرؤه عليه جبرئيل من القرآن ليحفظه، بين سبحانه أنك يا محمد لا تحتاج إلى التعجيل في القراءة في حفظك القرآن بقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ بالقرآن ولا تنطق ﴿بِهِ لِسَانَكَ﴾ حال قراءة جبرئيل عليه آياته ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وتُسارع إلى أخذه وحفظه مخافة أن ينفلت، فكما أن علينا جمع العظام النخرة ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ في صدرك بحيث لا ينفلت منه شيء من آياته وكلماته وحروفه، ولا يخفى عليك شيء من معانيه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك بلسان جبرئيل وتمت قراءته وتلاوته وسكت ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ وتلاوته عليك، وأتله كما تلي، ولا تُكلف نفسك بالقراءة مقارنة لقراءته.

أقول: فظهر أنه ليس في الآية نهي تحريم حتى يرد إشكال، بل هو إرشاد إلى الأسهل ورفع للكلِّفة عنه. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا﴾ في كل ما أشكل عليك فهمه ﴿بَيَانَهُ﴾ وتوضيحه، فلا تعجل في السؤال عن مشكلاته بين قراءة جبرئيل عليك، فظهر من الآية المباركة أنه صلى الله عليه وآله كان يقرأ مع قراءة جبرئيل ويسأل في أغنائها عن مشكلاته ومعانيه، لحرصه على العلم، فأرشد إلى تركهما.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٢٢، وفيه: المَعذرة عقوبة الذنب.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٢٤٧.

٣. الكافي ٢: ١١/٢٢٣، مجمع البيان ١٠: ٥٩٨، تفسير الصافي ٥: ٢٥٥.

٤. الكافي ٢: ٦/٢٢٣، مجمع البيان ١٠: ٥٩٩، تفسير الصافي ٥: ٢٥٥.

ثُمَّ لَمَّا نَهَى سبحانه النبي ﷺ عن التعجيل في القرآن والسؤال للذين هما من أعمال الدين ذم سبحانه الناس على حب الدنيا العاجلة بقوله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا﴾ ليس لأحد التعجيل في الأمور، وليس اعتذاركم أيها الناس في القيامة صدقاً ﴿بَلْ﴾ عصيتم ربكم لأنكم خُلِقْتُمْ من عجل وطُيعْتُمْ عليه، ولذا كنتم ﴿تُحْيَوْنَ﴾ الدنيا ﴿أَلْعَاجِلَةَ﴾ وتعملون لها ﴿وَتَذَرُونَ﴾ وتتركون النشأة ﴿الْآخِرَةَ﴾ وتُعرِضُونَ عنها.

وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ * وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ
بِهَا فَاقِرَةٌ * كَلَّا! إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ *
وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ [٢٢-٣٠]

ثُمَّ يَبَيِّنُ سبحانه حُسن حال المؤمنين وسوء حال الكافرين فيها لَحَثَ الناس على العمل لها بقوله: ﴿وَجُودٌ﴾ كثيرة وهي وجوه المؤمنين الصالحين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وفي ذلك الوقت ﴿نَاصِرَةٌ﴾ وحسنة ومُشرقة بهية من أثر النعمة والراحة، وهي ﴿إِلَى﴾ رحمة ﴿رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾.

عن الرضا عليه السلام قال: «يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها»^١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث - قال: «يتنهي أولياء الله بعد ما يَفْرُغُونَ من الحساب إلى نهر يُسَمَّى الحيوان فيغتسلون فيه ويشربون منه، فتبيض وجوههم إشراقاً، فيذهب عنهم كل قَذَى ووعث ثم يؤمرون بدخول الجنة، فمن هذا المقام يُنْظَرُونَ إلى رَبِّهِمْ كيف يُنْثِيهِمْ» قال: «فذلك قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ وإنما يعني بالنظر إليه إلى ثوابه تبارك وتعالى».

والناظرة في بعض اللغة: هي المنتظرة، ألم تسمع إلى قوله: ﴿فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ؟﴾ أي منتظرة^٢.

أقول: قد غلط جمهور أهل اسنة - وهم الأشاعرة - حيث تمسكوا بالآية لإثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى بأبصارهم في القيامة، لعدم جواز التمسك بظواهر الآيات لإثبات المُحال العقلي، مع أن الآية غير ظاهرة في مُدْعَاهِم، لجواز كون الناظرة بمعنى منتظرة.

﴿وَوَجُودٌ﴾ كثيرة، وهي وجوه الكفَّار ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، وحين قيام القيامة ﴿بِاسِرَةٌ﴾ وعابسة كالحة، مظلمة ألوانها معدمة آثار السرور والنعمة منها، لظهور الشقاء واليأس من رحمة الله، فعند ذلك

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٤/٢، تفسير الصافي ٥: ٢٥٦.

٢. الاحتجاج: ٢٤٣، تفسير الصافي ٥: ٢٥٦.

﴿تَنْظُرُ﴾ وتعتمد، أو تتوقع تلك الوجوه ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا﴾ في ذلك اليوم عقوبة ﴿فَاقِرَةٌ﴾ وداهية تكسير فِقَار الظهر. قيل: أريد بها أنواع العذاب في النار^١.

ثم ردع سبحانه الناس عن إثارة الدنيا على الآخرة بقوله: ﴿كَلَّا﴾ وارتدعوا عما أنتم عليه من حُب الدنيا. قيل: إن المراد لما عَزَمْتُمْ سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء في الآخرة، فارتدعوا عن إثارة الدنيا على الآخرة، وتنبهوا على [ما] بين أيديكم من الموت الذي تنقطع عنده الدنيا العاجلة عنكم^٢.

واذْكُرُوا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿الْأَرْقَى﴾ والحناجر والعظام المحيطة بالنحر. وقُرب خروجها من جسدكم ﴿وَقِيلَ﴾ تمنياً أو انكاراً، لاحتمال شفائه بالرقية والتعويد ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ ومن يقدر على إحيائه بالأوراد والتعويد^٣. وقيل: يعني مَنْ الرافع بروحه إلى السماء^٤.

عن ابن عباس: أن الملائكة يكرهون القرب من الكافر، فيقول مَلَك الموت: من يرقى بهذا الكافر^٥. وقيل: يحضر العبد عند الموت سبعة أملاك من ملائكة الرحمة، وسبعة من ملائكة العذاب مع مَلَك الموت، فإذا بلغت نفس العبد التراقي، نظر بعضهم إلى بعض أيهم يرقى بروحه إلى السماء^٦. ﴿وَوَظَنَ﴾ المحتضر حين بلوغ روحه الثَّرْقُوة وأحاط به ملائكة الموت ﴿أَنَّهُ أَلْفِرَاقٌ﴾ من الدنيا المحبوبة ونعيمها التي ضَيَّع العمر في كسبها، وأهلك نفسه بالالتذاذ والاشتغال بها، أو فراق الروح من البدن، أو الفراق من الأهل والأولاد والأموال.

قيل: عبّر سبحانه عن اليقين بالموت هنا بالظن، لأن الإنسان مادام فيه حُشاشة يطمع في الحياة لشدة حرصه عليها^٧. في الحديث: «أَنَّ العبد ليعالج كَرْب الموت وسكراته، وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض، تقول: السلام عليك، أفارقك وتُفارقني إلى يوم القيامة»^٨.

﴿وَأَلْتَفَّتْ﴾ والتوت ﴿السَّاقِ بِالسَّاقِ﴾ عند قلق الموت، أو في الكفن، أو لئيسهما^٩ بالموت.

وقيل: إن الساق كناية عن الشدة، والمراد التفت شدة فراق الدنيا بشدة لقاء الآخرة، أو شدة مفارقة الأهل وشدة ترك المال والجاه، وشدة شمانية الأعداء وغم الأولياء، أو شدة الذهاب إلى الآخرة وشدة القدوم على الله، أو شدة فراق الأحباب وشدة الورود في دار الغربة^{١٠}. وعند ذلك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٠. ٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣١، تفسير روح البيان ١٠: ٢٥٤.

٣. تفسير الطبري ٢٩: ١٢١، تفسير روح البيان ١٠: ٢٥٥.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣١، تفسير روح البيان ١٠: ٢٥٥.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣١، تفسير روح البيان ١٠: ٢٥٥.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٢٥٥. ٧. في النسخة: أو لئيسهما، راجع تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٢.

٨. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٢.

وحده، ونحو محضر عدله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ والذهاب بالغف والقهر، أو إلى ريك مفوض سوقهم.
عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: «ذلك ابن آدم إذا حلَّ به الموت قال: هل من طيب؟
﴿وَوَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أيمن بمفارقة الأحبة ﴿وَأَلْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ التفت الدنيا بالآخرة ﴿إِلَى رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ قال: المصير إلى رب العالمين»^١.

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى *
أُولَى لَكَ فَأُولَى * ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى [٣١-٣٥]

ثم بين سبحانه أعظم معاصيهم الموجبة لاستحقاقهم العذاب بقوله: ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ بالرسول ودينه
وكتابه ودار الجزاء ﴿وَلَا صَلَّى﴾ الصلوات الواجبة ﴿وَلَكِنْ﴾ لم يكتف بترك التصديق، بل ﴿كَذَّبَ﴾
الرسول وكتابه والبعث بعد الموت ﴿وَتَوَلَّى﴾ وأعرض عن الدين وعبادة رب العالمين ﴿ثُمَّ﴾ مع
ذلك ﴿ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ وعياله وعشيرته وهو ﴿يَتَمَطَّى﴾ ويتبختر ويختال في مشيه افتخاراً
بتكذيب الرسول والإعراض عن عبادة الله، فقل يا محمد لهذا الكافر: ﴿أُولَى لَكَ﴾ الهلاك، أو بعداً،
أو ويل لك ﴿فَأُولَى﴾ لك ﴿ثُمَّ﴾ كرز القول، وقل: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ بعد أخرى. وقيل: أولى مأخوذ
من آل ينول، والمعنى: عُقبك النار^٢.

قال جمع من المفسرين: أخذ رسول الله ﷺ بيد أبي جهل: ثم قال: أولى لك فأولى، توعدّه، فقال
أبوجهل: بأي شيء تهددني؟ لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً، وإني لأعز أهل هذا الوادي.
ثم أنسل ذاهباً، فأنزل الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ له، فأولى لك دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه^٣.
وقيل: إنه وعيد مبتدأ من الله للكافر^٤.

عن الجواد عليه السلام أنه سُئل عن هذه الآية فقال: «يقول الله عز وجل بُعداً لك من خير الدنيا، وبُعداً لك
من خير الآخرة»^٥.

أَيُخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُُمْتَى * ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزُّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ
عَلَىٰ أَن يُخَيِّقَ الْمَوْتَى [٣٦-٤٠]

١. الكافي ٣: ٣٢٢/٢٥٩، تفسير الصافي ٥: ٢٥٧. ٢. تفسير البضاوي ٢: ٥٥٠، تفسير أبي السعود ٩: ٦٩.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٣، تفسير روح البيان ١٠: ٢٥٧. ٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٣.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠٥/٥٤، تفسير الصافي ٥: ٢٥٧.

ثم لما حكى سبحانه في أول السورة إنكار المشركين البعث في الآخرة بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾^١ استدلل هنا على وجوب البعث بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ ويتوهم ﴿الْإِنْسَانُ﴾ العاقل ﴿أَنْ يُتْرَكَ﴾ من قبل الله ﴿سُدِّي﴾ ومهما لا يكلف في الدنيا ولا يحاسب بعمله في الآخرة؟ حاشا وكلا كيف يمكن ذلك مع أنه تعالى أعطاه القدرة وآلات الأعمال والعقل، وذلك مقتضى لهيه عن القبايح وأمره بالمحسنات، وإلا يكون هذا الخلق الكامل عبثاً، ويكون راضياً بوقوع القبايح منه، وذلك منافٍ للحكمة البالغة، ولو كان التكليف ولم تكن دار الجزاء لزم تساوي المطيع والعاصي، وذلك باطل بالبداهة، وإن كان إنكارهم من جهة عدم قدرة الله على الخلق ثانياً فنقول: ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ ذلك الانسان قبل خلقه الأول ﴿نُطْفَةً﴾ قَدْرَةً وماءً قليلاً ﴿مِنْ مَنِيٍّ﴾ متكوّن في صلب الرجل ﴿يُمْنِيٍّ﴾ وَيُصَبُّ من مخرج بوله في رَجَمٍ أَنثَى ﴿ثُمَّ﴾ بعد انصابه في الرَّجَمِ ﴿كَانَ﴾ ذلك المَنِي، أو ذلك الانسان ﴿عَلَقَةً﴾ وقطعة دم ﴿فَخَلَقَ﴾ الله وَقَدْرَهُ ﴿فَسَوَّيْ﴾ خلقه وعدل قامته وأعضاءه وأكمل نشأته.

عن ابن عباس: ﴿فَخَلَقَ﴾ أي نفخ فيه الروح ﴿فَسَوَّيْ﴾ أي فكلل أعضائه.^٢
﴿فَجَعَلَ﴾ وخلق ﴿مِنْهُ﴾ بقدرته ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ والصنفين من الانسان، أعنى ﴿الذَّكَرَ﴾ ﴿وَالْأُنثَى﴾ مع اختلافهما في الطبيعة والأخلاق ﴿أَلَيْسَ﴾ أيها الشاعر ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق العظيم الذي خلق أولاً هذا الخلق البديع بلامثال من ماء ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَى﴾ ويخلقهم ثانياً من تراب، مع أنَّ الخلق الثاني في نظر العقل أهون وأسهل من الأول.

رُوي أنَّ النبي ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك اللهم بلى»^٣.

وعن (المجمع) أنه رُوي عن الباقر والصادق عليهما السلام^٤.

وعن ابن عباس مَن قرأها فليقل: سبحانك اللهم بلى، إماماً كان أو مأموماً^٥.

وفي رواية: كان النبي ﷺ يقول: «بلى والله، بلى والله»^٦.

عن الباقر عليه السلام: «من أدام قراءة ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ وكان يعمل بها بعثه الله مع رسول الله ﷺ من قبره في أحسن صورة، ويُسَرُّه ويضحك في وجهه حتَّى يجوز على الصراط والميزان»^٧.

وفَقَّنا الله وجميع المؤمنين لإدمان تلاوتها، والحمد لله تبارك وتعالى على التوفيق لإتمام تفسيرها.

١. القيامة: ٣/٧٥. ٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٤.

٣. تفسير الرازي ١٠: ٢٥٨، تفسير روح البيان ١٠: ٢٥٨.

٤. مجمع البيان ١٠: ٦٠٧، تفسير الصافي ٥: ٢٥٨. ٥. تفسير روح البيان ١٠: ٢٥٨.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٢٥٨.

٧. ثواب الاعمال: ١٢١، مجمع البيان ١٠: ٥٩٤، عن الصادق عليه السلام، تفسير الصافي ٥: ٢٥٨.

في تفسير سورة الانسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً [١ و ٢]

ثم لما خُتِمت سورة القيامة ببيان بدو خلق الانسان وخلق صنفين منه الذكر والأنثى، أردفت بسورة الانسان المبدوءة ببيان ابتداء خلق الانسان، وجعله صنفين الشكور والكفور، وقال سبحانه في السورة السابقة: إِنَّ الْكَفَّارَ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ، وفي هذه السورة أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ ورائهم يوماً ثقیلاً فافتتحها بذكر الأسماء الحسنی بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ثم ابتدأها بذكر بدو خلق الانسان بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى﴾ ومضى ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ في بدو خلقه ﴿حِينَ مِنَ الدَّهْرِ﴾ ومدة طويلة من الزمان وهو ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ في تلك المدة ﴿شَيْئاً﴾ وموجوداً ﴿مَّذْكُوراً﴾ باسم من الأسماء، بل كان في هذا العالم معدوماً صرفاً، وإنما كان في علم الله مقدوراً عنها، كان مذكوراً في علم الله ولم يكن مذكوراً في الخلق. وعن الصادق عليه السلام: «كان مقدوراً غير مذكوراً»^١.

وعنه عليه السلام: «كان شيئاً مقدوراً ولم يكن مكُوناً»^٢. قيل: إن المراد من الانسان في الآية آدم أبو البشر^٣. روي عن ابن عباس: أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ طِينٍ، فأقام أربعين سنة، ثم من صَلْصَالٍ فأقام أربعين سنة، ثم من حَمَإٍ مسنونٍ، فأقام أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، ثم نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ^٤. وفي رواية أخرى عنه: أَنَّ المراد من ﴿حِينَ﴾ هنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يُعْرَفُ مقداره^٥. أقول: المراد من الزمن الطويل الذي لا يُعْرَفُ مقداره مدة كونه مقدوراً في علم الله. ثم بين سبحانه خلق أولاد آدم بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ وأولاد آدم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾

٢. مجمع البيان ١٠: ٦١٤، تفسير الصافي ٥: ٢٥٩.

١. الكافي ١: ٥/١١٤، تفسير الصافي ٥: ٢٥٩.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٥، تفسير أبي السعود ٩: ٧٠.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٥، تفسير أبي السعود ٩: ٧٠.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٥، ولم ينسبه إلى أحد.

ومختلط ومركب من ماء الرجل وماء المرأة، على ما روى عن الباقر عليه السلام.^١

قيل: لكل من المائتين أوصافٌ تُغايِر أوصاف الآخر، فإن ماء الرجل أبيض غليظ له قوة العقد، وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد، فما كان في الولد من عَصَبٍ وعظمٍ وقوة فمن ماء الرجل، وما كان فيه من لحمٍ ودمٍ وشعرٍ فمن ماء المرأة. قيل: إنه مروى.^٢

وقيل: إن المراد اختلاط ماء الرجل بدم الحيض.^٣

قال بعض المفسرين: إنه يختلط الماء أولاً بدم الحيض، ثم يصير علقَةً.^٤

وقيل: إن المعنى من نطفة ذات أمشاج، واختلاط من الطبائع كالجرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.^٥

وقيل: يعني ذات أطوارٍ وألوانٍ، فإن النطفة تصير علقَةً، ثم مُصَغَّةً، ثم عظاماً إلى تمام الخلق، وهو مروى عن ابن عباس.^٦

ثم بين سبحانه حكمة هذا الخلق البديع بقوله: ﴿تَبْلِيهِ﴾ والتقدير لتبليته بالتكليف. وقيل: إنه حال، والمعنى: حال كوننا مردين ابتلاءً وامتحاناً.^٧

ثم بين سبحانه أنه أعطاه ما يصح معه ابتلاؤه. بقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ فبالسمع يُدرك الآيات التنزيلية والمواعظ الإلهية وبالبصر يُدرك الآيات التكوينية والعبر النافعة.

وقيل: إن المراد أعطياه الحواس الخمس، وإنما خصَّ الحسَّين السمع والبصر - بالذكر لكونهما أعظمها وأشرفها وأنفعها.^٨ وقيل: إن المراد بهما الفهم والتمييز، والمعنى: جعلناه فهيماً مميزاً.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَاقاً وَسَعِيراً * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً [٦-٣]

ثم بين سبحانه إتمام لطفه به بقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ﴾ بتوسط إعطائه العقل وإرسال الرسول وإنزال الكتب السماوية ﴿السَّبِيلَ﴾ الذي يوصله إلى قربنا، وكأنه تعالى قال: خلقته للابتلاء، وأعطيته جميع ما يحتاج إليه في التعيش والهداية إلى الحق ليكون ﴿إِمَّا شَاكِراً﴾ لنعم الله بالإيمان والطاعة

٢. تفسير أبي السعود ٩: ٧٠، تفسير روح البيان ١٠: ٢٦٠.

٤ و ٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٦.

٧. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٧.

٩. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٧.

١. تفسير القمي ٢: ٣٩٨، تفسير الصافي ٥: ٢٥٩.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٢٦٠.

٦. تفسير أبي السعود ٩: ٧٠ ولم ينسبه إلى أحد.

٨. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٧.

﴿وَأَمَّا كَافُورًا﴾ لِنَعْمِهِ بِالْكَفْرِ وَالْعِصْيَانِ.

وقيل: إِنَّ المعنى أَنَا هِدْيَانَهُ، فإِنْ شَاءَ فَلْيَشْكُرْ، وَإِنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ^١.

وقيل: إِنَّ المراد إِنَّا مَكَّنَاهُ سُلُوكَ الطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَى الْمَطْلُوبِ فِي حَالَتِهِ شُكْرُهُ وَكُفْرَانُهُ^٢.

عن الصادق عليه السلام قال: «عَرَفْنَاهُ إِمَّا أَخَذَا، وَإِمَّا تَارَكََا»^٣.

وعن الباقر عليه السلام: «إِمَّا أَخَذَ فَشَاكَرَ، وَإِمَّا تَارَكَ فَكَافَرَ»^٤.

ثُمَّ بَيَّنَّ حَالَ الْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ وَهِيَانًا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿سَلَاسِلَ﴾ يُقَادُونَ بِهَا ﴿وَأَغْلَالًا﴾ وَقِيودًا يُقَيَّدُونَ بِهَا. وَقِيلَ: إِنَّ السَّلَاسِلَ بِهَا تُشَدُّ أَرْجُلُهُمْ، وَالْأَغْلَالُ تُشَدُّ بِهَا أَيْدِيهِمْ إِلَى رِقَابِهِمْ^٥ ﴿وَسَعِيرًا﴾ وَنَارًا مُشْتَعِلَةً مُوقَدَةً بِأَجْسَادِهِمْ كَمَا تُوقَدُ بِالْحَطَبِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ حَالَ الشَّاكِرِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ وَالشَّاكِرِينَ الْأَخْيَارَ ﴿يَنْشُرُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ وَإِنَاءٍ خَمْرٍ ﴿كَأَنَّ﴾ فِي عِلْمِ اللَّهِ ﴿مِرَاجُهَا﴾ وَخَلِيطُهَا شَيْئًا يُشَبَّهُ ﴿كَافُورًا﴾ فِي الْبَيَاضِ وَالتَّبَرُّودِ وَطِيبِ الرَّائِحَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَأْسِ هُوَ الْخَمْرُ^٦.

وقيل: إِنَّ الْكَافُورَ اسْمٌ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ مَاؤُهَا فِي الْبَيَاضِ وَالتَّبَرُّودِ وَالرَّائِحَةِ كَالْكَافُورِ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِ طَعْمُهُ وَمُضَرَّتُهُ، وَالْمُرَادُ أَنَّ شَرَابَهُمْ مَمْزُوجٌ بِمَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ^٧، أَعْنِي ﴿عَيْنًا﴾ صِفَتُهَا أَنَّهُ ﴿يَشْرَبُ﴾ الْخَمْرَ مَمْزُوجَةً ﴿بِهَا﴾ أَوْ يَلْتَذُّ بِهَا ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ الْأَبْرَارَ، وَهُمْ ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ وَيُجْرُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ ﴿تَفْجِيرًا﴾ سَهْلًا لَا كَلْفَةَ عَلَيْهِمْ فِيهِ.

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمَامَ عَلَى حُبِّهِ
مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا
شُكْرًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ
وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَكِنِينَ فِيهَا
عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا [٧-١٣]

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي يَسْتَحَقُّونَ بِهَا هَذَا الْأَجْرَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: بِمَاذَا اسْتَحَقُّوا هَذَا الْأَجْرَ؟ فَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ وَيُؤَدُّونَ مَا أَوْجِبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِسَبَبِ النَّذْرِ، فَكَيْفَ بِمَا أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؟

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٣٨.

٢. تفسير أبي السعود ٩: ٧١.

٣. الكافي ١: ٣٧٢٤، التوحيد: ٤/٤١١، تفسير الصافي ٥: ٢٥٩.

٤. تفسير القمي ٢: ٣٩٨، تفسير الصافي ٥: ٢٥٩.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٠.

٦ و ٧. تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٠.

﴿و﴾ مع ذلك ﴿يَخَافُونَ﴾ لاحتمال التقصير في عبادة ربهم ﴿يَوْمًا﴾ عظيماً ﴿كَانَ شَرُّهُ﴾ وهوله وعذابه ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ ومتشراً في أقطار العالم غاية الانتشار، وبالعالم أقصى المبالغ، وواصلًا إلى كل أحد إلا من آمنه الله من المؤمنين المطيعين، أو المعنى: شره سريع الوصول إلى العصاة. وعن الباقر عليه السلام «كلوحاً عبوساً»^١.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾ مع شدة حاجتهم إليه، وكونهم ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ عن الباقر عليه السلام يقول: «على شهوتهم»^٢. وقيل: إطعاماً كاننا على حب الله^٣ ﴿وَسَكِينًا﴾ وفقيراً من المؤمنين ﴿وَيَتِيمًا﴾ من يتامهم ﴿وَأَسِيرًا﴾ من الكفار.

عن الباقر عليه السلام قال: «سكينة من مساكن المسلمين، ويتيماً من يتامى المسلمين، وأسيراً من أسارى المشركين»^٤.

وهم يقولون: لاثمن عليكم يطعامكم لأننا ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ﴾ وطلباً لمرضاته ﴿لَا نُرِيدُ﴾ ولا نطلب ﴿مِنْكُمْ﴾. يطعامنا إياكم ﴿جَزَاءً﴾ وأجرًا بالمال والنفس ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ وعوداً بالمجد والدعاء. عن الباقر عليه السلام قال: «يقولون إذا أطعموهم ذلك قال: «والله ما قالوا هذا لهم، ولكنهم أضمره في أنفسهم، فأخبر بإضمارهم، يقولون: لأثريد منكم جزاءً تكافئوننا به، ولا شكوراً ثننوا علينا به، ولكننا إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه»^٥.

وكذا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ﴾ عذاب ﴿رَبِّنَا يَوْمًا﴾ تكون الوجوه فيه ﴿عَبُوسًا قَطَطِرِيًّا﴾ ومنقبضاً شديد الانقباض. روي أن الكافر يعيس يومئذ حتى يسيل العرق من بين عينيه كالقطران^٦. وقيل: إنه شبه اليوم بالأسد العبوس في الشدة والضراوة^٧، فيكون المعنى: أنا نخاف من اليوم الذي كالأسد العبوس الشديد العبوسة، ولذا نعطيكم ليقينا الله برحمته من شر ذلك اليوم العظيم.

﴿فَوَقَّاهُمْ اللَّهُ﴾ وحفظهم ودفع عنهم ﴿شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ بسبب عطائهم وخوفهم ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ وأعطاهم بسبب طلبهم رضى الله ﴿نَضْرَةً﴾ وبهجة كاملة في وجوههم بدل عبوس الكفار ﴿وَسُرُورًا﴾ عظيماً في قلوبهم بدل غم الفجار وحزنهم ﴿وَجَزَاءَهُمْ﴾ في القيامة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على الجوع وإيثار المحتاجين على أنفسهم ﴿جَنَّةً﴾ ذات أشجار وثمار وقصور عالية يسكنونها ويأكلون من ثمارها ونعمها التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر مثلها بقلب أحد ﴿وَحَرِيرًا﴾ ولباساً من

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٢٦٥.

٢. أمالي الصدوق: ٣٩٠/٣٣٣.

٤. أمالي الصدوق: ٣٩٠/٣٣٣، تفسير الصافي ٥: ٢٦٠.

٦. تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٧، تفسير روح البيان ١٠: ٢٦٧.

٧. تفسير أبي السعود ٩: ٧٢، تفسير روح البيان ١٠: ٢٦٧.

سُنْدُسٌ وَاسْتَبْرَقٌ يَلْبَسُونَهُ وَيَتَزَيَّنُونَ بِهِ حَالُ كُونِهِمْ ﴿مُتَكَيِّنِينَ فِيهَا﴾ وَمُعْتَمِدِينَ كَالسَّلَاطِينِ عَلَى الْوَسَائِدِ الَّتِي تَكُونُ ﴿عَلَى الْأَرْائِكِ﴾ وَالسُّرُرِ الْمَوْضُونَةِ بِقُضْبَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ، مَوْضُوعَةً فِي الْبُيُوتِ الْمَزِينَةِ بِالثِّيَابِ وَالسُّتُورِ، كَذَا قِيلَ^١.

﴿لَا يَزُولُ﴾ أَوْلَئِكَ الْأَبْرَارُ السَّاكِنُونَ فِي الْجَنَّةِ ﴿فِيهَا﴾ وَقَتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وَلَا يَجْسُونَ حَرًّا وَلَا بَرْدًا، بَلْ هُوَ أَوْهَا فِي غَايَةِ الْإِعْتِدَالِ فِي الْحَدِيثِ: «هَوَاءُ الْجَنَّةِ سَجْسَجٌ^٢ لَا حَرَّ فِيهِ وَلَا قُرَّةً^٣. رَوَى بَعْضُ الْعَامَّةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ إِذْ رَأَوْا ضَوْءَ كَضْوَى الشَّمْسِ، وَقَدْ أَشْرَقَ الْجَنَانُ لَهُ، يَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: يَا رِضْوَانُ، قَالَ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَزُولُ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾. يَقُولُ لَهُمْ رِضْوَانُ: لَيْسَتْ هَذِهِ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، وَلَكِنْ هَذِهِ فَاطِمَةُ وَعَلَى صَحْبِكَا ضَحْكًا أَشْرَقَ الْجَنَانُ مِنْ نُورِ ضَحْكِهِمَا، وَفِيهِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾^٤.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا [١٧-١٤]

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ حَالَهُمْ مِنْ حَيْثُ الرَّاحَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ﴾ أَغْصَانُ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، وَقَرِيبَةٌ مِنْهُمْ ﴿ظِلَالُهَا﴾.

قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ لِمَنْ خَافَ رَبَّهُ جَنَّاتٍ: جَنَّةٌ فِيهَا حَرِيرٌ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا، وَجَنَّةٌ أُخْرَى دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهَا شَمْسٌ كَانَتْ أَشْجَارُهَا مُظِلَّةً لَهُمْ^٥.

﴿وَذُلَّتْ﴾ وَقَرَّبَتْ مِنْهُمْ، أَوْ انْقَادَتْ لَهُمْ ﴿قُطُوفُهَا﴾ وَثَمَارُهَا ﴿تَذْلِيلًا﴾ تَامًا بِحَيْثُ لَا يَصْعَبُ لِمَنْ يُرِيدُهَا اقْتِطَافُهَا فِي حَالِ الْقِيَامِ وَالْقَعُودِ وَالِاضْطِجَاعِ. عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: ذُلَّتْ لَهُمْ فَهَمُّ يَتَنَاوَلُونَ مِنْهَا كَيْفَ شَاءُوا، فَمَنْ أَكَلَ قَانِمًا لَمْ يُوْذَهِ، وَمَنْ أَكَلَ جَالِسًا لَمْ يُوْذَهِ^٦.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا» مِنْ قُرْبَاهُمْ مِنْهُمْ، يَتَنَاوَلُ الْمُؤْمِنُ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يَشْتَهِيهِ

١. يقال: يَوْمٌ سَجْسَجٌ: لَا حَرَّ فِيهِ وَلَا بَرْدَ.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٢٦٩.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٢٧٠.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٢٧٠، والآيات من سورة الانسان: ١٧/٢٢-٢٢.

٥. تفسير أبي السعود ٩: ٧٣، تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٩. ٦. تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٨.

من الثمار بعينه^١ وهو متكيء^٢.

﴿وَيُطَافُ﴾ ويدور ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في قصورهم ﴿يَائِنَةً﴾ وأوعية كالقدح والكأس مخلوقة ﴿مِنْ﴾ جنس ﴿فِضَّةٍ﴾ لها غاية اللطافة ﴿وَأَكْوَابُ﴾ وكيزان لا عري لها ولا أذان يُصب منها المشروب في الآنية ﴿كَأَنَّهُ﴾ ووجدت حال كونها في الصفاء والشفافية تشبه ﴿قَوَارِيرًا﴾ وآنية زجاجية، ولكن لا قوارير متكونة من الرمل كما القارورة في الدنيا كذلك، بل ﴿قَوَارِيرًا﴾ متكونة ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ فكما أن الله قادرٌ على أن يقلب الرمل الكثيف في الدنيا زجاجة صافية شفافة، قادرٌ على أن يقلب فضة الآخرة زجاجة صافية، ففي آية الآخرة صفاء الزجاج وشفافيته، ونقاء^٣ الفضة وشرها.

عن ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء^٤. وقيل: إن الأكواب تكون من فضة، ولكن لها صفاء القارورة^٥. عن الصادق عليه السلام: «يُنْقَذُ البصر في فضة الجنة، كما ينقذ في الزجاجة»^٦. وقيل: إن المراد من ﴿قَوَارِيرًا﴾ في الآية ليس هو الزجاج، فإن العرب تسمى ما استدار من الأواني التي تجعل فيها الأشربة ورقً وصفا قارورة، فمعنى الآية: وأكواب من فضة مستديرة صافية رقيقة^٧. ثم لما بين سبحانه صفاء الأواني بقوله: ﴿كَأَنَّهُ قَوَارِيرًا﴾ ونقائهم بقوله: ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ بين شكلها بأن الشاربين ﴿قَدَرُوها﴾ على قدر رهم^٨ بارادتهم واشتهانهم، أو بأعمالهم الحسنة ﴿تَقْدِيرًا﴾ موافقاً لميلهم واشتهانهم من غير زيادة ونقصان، وهو ألد لأهل الجنة^٩. ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ بأمر الله ﴿كَأَسَاكَانَ مِرَاجِئًا﴾ وخليطها شيئاً يشبه ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ في الطعم والرائحة، ولكن ليس فيه لذعة وإحراق، وكان الشراب الممزوج به أطيب ما تستطيه العرب وألد ما تستلذه.

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ
حَسِبَتْهُمُ لَأَؤْلُوا مَنُورًا [١٨ و ١٩]

ثم لما كان تسمية المزاج بالزنجبيل موهمة لأن لا يكون له سلاسة الانحدار في الخلق وسهولة المساغ، كما هو مقتضى اللذع والإحراق، دفع سبحانه التوهم بقوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى﴾ عند أهل الجنة وخزنتها ﴿سَلْسِيلًا﴾ ومشروباً في غاية العذوبة وسهولة المساغ، ونهاية السلاسة.

١. في الكافي بفيه. ٢. الكافي ٨: ٦٩/٩٩، تفسير الصافي ٥: ٢٦٣.

٣. في النسخة: وشفافته، ونقلوا. ٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٩، تفسير روح البيان ١٠: ٢٧١.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٩. ٦. مجمع البيان ١٠: ٦٢١، تفسير الصافي ٥: ٢٦٣.

٧. تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٩. ٨. في النسخة: يريهم.

٩. في النسخة: ألد أهل الجنة بقوله.

روى بعض العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنْ معنَى سلسيل: سَل سبيلاً إليها»^١.
 أقول: الظاهر أنه بيان وجه التسمية، فإنه لا يشرب منها إلا من سأل سبيلاً إليها بالأعمال الصالحة.
 وعن (الخصال) عن النبي صلى الله عليه وآله: «أعطاني الله خمساً: وأعطى علياً خمساً: أعطاني الكثر، وأعطاه السلسيل»^٢.
 ثم وصف سبحانه الخدام الطائفين بقوله: «وَيَطُوفُ» بالكأس «عَلَيْهِمْ» في الجنة «وَلَدَانِ»
 وغلمان «مُحَلَّدُونَ» وبقاؤون أبداً على ما هم عليه من الحياة والحسن والطراوة والمواظبة على
 الخدمة. وعن الفراء والقمي: يعني مسورون^٣. وقيل: يعني مُحَلَّون^٤. وقيل: مَقَرَّطُونَ^٥ «إِذَا رَأَيْتَهُمْ»
 أيها الرائي «حَسِبْتَهُمْ» في صفاء الألوان وانتشارهم في المجالس «لَوْلَوْأَ» رطباً أخرج من صدفه
 «مَشُوراً» ومُتَفَرِّقاً: قيل: إن اللؤلؤ إذا انتشر وتفرق كان أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض^٦.
 روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «هم ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً»^٧.
 وعن سلمان الفارسي: «هم أطفال المشركين خُدَّام أهل الجنة»^٨.
 أقول: لامنافة بينهما، لاحتمال كون كلهم خُدَّاماً.

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ
 وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَائِهِمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا [٢٠-٢١]

ثم بين سبحانه كمال نعمه عليهم وإكرامه لهم بقوله: «وَإِذَا رَأَيْتَ» أيها الرائي «ثَمَّ» وهناك
 «رَأَيْتَ نَعِيمًا» وأفراً لا يوصف حسنه ولذته. عن ابن عباس: لا يقدر واصفٌ وصف حسنه ولا طيبه^٩
 «وَمُلْكًا كَبِيرًا» قيل: إن أدنى أهل الجنة منزلةً ينظر في ملكه مسيرة ألف عام، ويرى أقصاه كما يرى أدناه^{١٠}.
 وقيل: إن الكبير بمعنى أنه لا زوال له^{١١}. وعن الصادق عليه السلام: «أي لا يزول ولا يفنى»^{١٢}.
 وقيل: إن المُلْك الكبير هو كثرة التعظيم^{١٣} والاكرام. روي أن الرسول يأتي من عند الله بكرامةٍ من
 الكسوة والطعام والشراب والتحف إلى ولي الله وهو في منزله فيستأذن عليه، ولا يدخل عليه رسول
 رب العزة من الملائكة المقربين إلا بعد الاستئذان^{١٤}.

٢. الخصال: ٥٧/٢٩٣، تفسير الصافي ٥: ٢٦٤.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٠.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥١، تفسير القمي ٢: ٣٩٩، وفيه: مستون، تفسير الصافي ٥: ٢٦٤.

٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥١. ٥. تفسير روح البيان ١٠: ٢٧٣.

٧. تفسير روح البيان ١٠: ٢٧٤. ٨. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٢.

١٠. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٢. ١١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٢.

١٢. مجمع البيان ١٠: ٦٢٣، تفسير الصافي ٥: ٢٦٤. ١٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٢.

١٤. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٢.

عن الباقر عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث: «وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ لَتَسْأَلُنَّ عَلَيْهِ، وَلَا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَذَلِكَ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ»^١.

وعن الصادق عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ مَا هَذَا الْمَلِكُ الْكَبِيرُ الَّذِي كَبَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى سَمَّاهُ كَبِيرًا؟ قَالَ: «إِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى وَلِيِّهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَيَجِدُ الْحَاجَّةَ عَلَى بَابِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: قَدْ حَتَّى نَسْتَأْذِنُ لَكَ، فَمَا يَصِلُ إِلَيْهِ رَسُولُ رَبِّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾»^٢.

«عَالِيَهُمْ» وفوقهم وعلى ظهورهم، أو على خيامهم المضروبة عليهم «ثِيَابٌ سُتْدُسٌ» وديباج رقيق «خُضْرُو» ثياب «إِسْتَبْرَقُ» وحرير غليظ. قيل: إِنَّ الْآيَةَ بَيَانٌ لِلْبَاسِ الْوِلْدَانِ^٣. «وَحُلُّو» وَزَيْنُوا أُولَئِكَ الْأَبْرَارِ أَوِ الْوِلْدَانِ «أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ» قيل: كَانَ الْمُلُوكُ يُحَلُّونَ بِهَا فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ^٤. وقيل: أَسَاوِرُ الذَّهَبِ - كَمَا فِي سُورَةِ الْكَهْفِ - لِلْأَبْرَارِ، وَالْفِضَّةُ لِلْوِلْدَانِ، أَوْ كِلَاهُمَا لِلْأَبْرَارِ يَتَعَاقَبُونَ أَوْ يَجْمَعُونَ بَيْنَهُمَا^٥.

«وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ» مضافاً إلى الشرايين السابقين الممزوجين «شَرَابًا طَهُورًا» هو أَفْضَلُ وَأَعْلَى مِنْهُمَا: كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِسْنَادُ سَقِيهِ إِلَى ذَاتِهِ الْمَقْدَسَةِ وَوَصْفُهُ بِالطُّهُورَةِ.

قيل: هُوَ عَيْنٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ تَنْبُتُ مِنْ سَاقِ شَجَرَةٍ مِنْ شَرِبَ مِنْهَا نَزَعَ اللَّهُ مَا كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ غِلٍّ وَغِشٍّ وَحَسَدٍ، وَمَا كَانَ فِي جَوْفِهِ مِنْ قَدَرٍ أَوْ أَدَى^٦.

وقيل: يُؤْتُونَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ ذَلِكَ يُؤْتُونَ بِالشَّرَابِ الطُّهُورِ فَيَشْرَبُونَ فَتَطْهَرُ بِذَلِكَ بُطُونُهُمْ وَيَفِيضُ عَرَقٌ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلَ رِيحِ الْمِسْكِ^٧.

وعن الباقر عليه السلام فِي حَدِيثٍ «وَعَلَى بَابِ الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ، إِنَّ الْوَرَقَ مِنْهَا لَيَسْتَنْظِلُ تَحْتَهَا أَلْفُ رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ، وَعَنْ يَمِينِ الشَّجَرَةِ عَيْنٌ مُطَهَّرَةٌ مَرْكَبَةٌ» قَالَ: «فَيَسْقُونَ مِنْهَا شَرِبَةً فَيَطْهَرُ اللَّهُ بِهَا قُلُوبَهُمْ مِنَ الْحَسَدِ، وَيَسْقُطُ مِنْ أَبْشَارِهِمُ الشَّعْرُ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: «وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا»»^٨.

وعن الصادق عليه السلام قَالَ: «يُطَهَّرُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ»^٩.

١. تفسير القمي ٢: ٢٤٨، الكافي ٨: ٦٩/٩٨، تفسير الصافي ٥: ٢٦٤.

٢. معاني الأخبار: ١/٢١٠، تفسير الصافي ٥: ٢٦٤. ٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٣.

٤. تفسير روح البيان ٣٠: ٢٥٣.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٢٧٥، وفيه: فَلِلْمُقَرَّبِينَ الذَّهَبُ وَلِلْأَبْرَارِ الْفِضَّةُ.

٦. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٤.

٨. تفسير القمي ٢: ٥٤، عن الصادق عليه السلام، الكافي ٨: ٦٩/٩٦، تفسير الصافي ٥: ٢٦٥.

٩. مجمع البيان ١٠: ٦٢٣، تفسير الصافي ٥: ٢٦٥.

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا [٢٢]

ثم يقول الله، أو الملائكة، للأنبار: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي تَرَوْنَ من العطايا والكرامات ﴿كَانَ﴾ في علم الله ﴿لَكُمْ جَزَاءً﴾ وعوضاً بمقابلة أعمالكم الحسنة وعبادتكم المقبولة ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ﴾ وسرعتكم في الخيرات وتعبكم في الطاعات ﴿مَشْكُورًا﴾ عند الله ومرضياً له ومقابلاً بالثواب العظيم، فيزداد بذلك الخطاب فَرَحَهُمْ وشُرورهم.

روى كثير من مفسري العامة كالواحدي والزمخشري وأبي السعود وإسماعيل حقي وغيرهم: أنَّ الآيات نزلت في شأن علي وفاطمة والحسن والحسين، لرواية ابن عباس^١، وهي كما في (روح البيان): أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناسٍ معه، فقالوا لعلي عليه السلام: لو نذرت علي ولديك نَذْرًا؟ فَذَرَّ علي وفاطمة عليهما السلام وَفَضَّةً جارية لهما إن بَرَّأ مِمَّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيام تقريباً إلى الله وطلباً لمرضاته وشكراً له، فشفا فصاموا وما معهم شيء يَفْطِرُونَ عليه، فاستقرض علي عليه السلام من شمعون اليهودي الخيري ثلاثة أصوع من الشعير، فطحنت فاطمة عليهما السلام صاعاً وخبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوا بين أيديهم وقت الإفطار لِيَفْطِرُوا به، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.

فقال علي لفاطمة عليهما السلام:

يا بنت خير الناس أجمعين	فاطم ذات المجد واليقين
قد قام بالباب له حنين	أما ترين البائس المسكين
يشكو إلينا جائعاً حزين	يشكو إلى الله ويستكين
	فقال فاطمة عليها سلام الله:
مابي من لؤم ولا ضراعة	أمرك يابن عم سمع طاعة
ألحق بالأخيار والجماعة	أرجو إذا أشبعت ذا مجاعة
	وأدخل الخلد ولي شفاعة

فأثروه كلهم وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً، فطحنت فاطمة ثلثاً آخر وخبزت، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيم، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، يتيم من أولاد المهاجرين، استشهد والذي يوم العقبة، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.

فقال: علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام:

إنسي لأعطيه ولأبالي وأوتر الله على عيالي
أمسوا جوعاً وهم أشبالي أصغروهم يُقتل في القتال

فأثروه بطعمهم، وأفطروا بالماء، وباتوا جوعاً، وأصبحوا صياماً، فطحت فاطمة الثلث الباقي وخبزت، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف أسيرٌ، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، أسيرٌ من الأسارى، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه ولم يذوقوا إلا الماء.

فلما أصبحوا في اليوم الرابع أخذ علي بيد الحسن والحسين عليهما السلام، فأقبلوا النبي صلى الله عليه وآله، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالغراخ من شدة الجوع، قال صلى الله عليه وآله: «ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم» وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة سلام الله عليها في محرابها قد التصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها، فسأه ذلك فنزل جبرئيل وقال: خُذ يا محمد، هَذَا الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة^١، انتهى.

قال إسماعيل حقي صاحب تفسير (روح البيان): الرواية ضعيفة لضعف راويها إلا أنها مشهورة بين العلماء مسفورة في الكتب^٢.

أقول: من العجب أن العامة يعتمدون على ما هو أضعف منها، ومع ذلك يُظهرون الشك فيها مع اعترافهم بكونها من المشهورات.

ثم أنهم قد ذكروا في رد هذه القضية: أن السورة مكية، وكان نكاح فاطمة في المدينة بعد وقعة أحد. وفيه: أن جمعاً من علماء العامة ومفسريهم منهم: مجاهد وقناة قائلون بأن السورة مدنية إلا آية واحدة، وهي قوله: «وَلَا تَطْغِ مِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْكَفَرُوا» فإنها مكية، وكذا قال الحسن وعكرمة والمارودي على ما نقل عنهم أنها مدنية إلا آية «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...» إلى آخره. ومما يدل على أنها مدنية أن الأسير إنما كان بالمدينة بعد آية القتال^٣.

وقال صاحب (روح البيان): نحن لأشك في صحة القصة^٤، فلا يُصغى إلى ما قال الفخر الرازي من أنه لم يذكر أحد من أكابر المعتزلة كأبي بكر الأصم وأبي علي الجبائي، وأبي القاسم الكعبي، وأبي مسلم الأصفهاني، والقاضي عبد الجبار بن أحمد في تفاسيرهم أن هذه الآيات نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام^٥.

أقول: عدم ذكرهم القصة لا يدل على إنكارهم بأن ظاهر الآيات العموم ولا وجه لتخصيصها، مع أن

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٢٦٩.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٣.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٢٦٨.

٣ و ٢. تفسير روح البيان ١٠: ٢٦٩.

[القول بأن] تخصيصها ينافي نظم الآيات من الأغلاط، فإن نزول آية في حق أحد لا يستلزم تخصيص عمومها، فإن نزول آية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِإٍ﴾ في شأن الوليد^١، وآية: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ في حق علي عليه السلام وانفاقه^٢. ونزول آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ في البراء بن عازب واستنجائه بالماء وتهنئته الرسول صلى الله عليه وسلم بنزول الآية فيه^٣. نزول آية ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ في شأن عمار بن ياسر^٤، لا يوجب تخصيص عموم الآيات، بل معناه أن فعل أحد صار منشأ لنزول الآية، وكان النظر في الآية إلى ذلك الشخص تفصيلاً - وإن كان الحكم في الآية شاملاً لغيره إلى يوم القيامة - يدل على فضيلة عظيمة لذاك الشخص، كما ادعوا نزول آية ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ في حق أبي بكر وانفاقه على المسلمين ويعُدونه من فضائله^٥.

وروى في (المجالس) عن الصادق عليه السلام ما يقرب من رواية عبدالله بن عباس، وفي آخره: «فهبط جبرئيل فقال: يا محمد، خذ ما هناء الله لك^٦ في أهل بيتك. فقال: ما آخذ يا جبرئيل؟ فقال: «هَلْ أَتَى» إلى قوله: «وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا»^٧.

وعن (المناقب) أنه رواه عن أكثر من عشرين من كبار المفسرين^٨. وفي بعض الروايات عن الباقر عليه السلام: «فراهم النبي صلى الله عليه وسلم جيعاً، فنزل جبرئيل ومعه صحيفة من الذهب مَرَصَعَةٌ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، مملوءة من الثريد، وعُراق^٩ يفوح منها رائحة المسك والكافور، فجلسوا وأكلوا حتى شَبِعُوا، ولم تنقص منها لقمة واحداً، فخرج الحسين عليه السلام ومعه قطعة عُراق، فنادته يهودية: يا أهل بيت الجود - أو الجوع - من أين لكم هذه! أطعمنها، فمدَّ يده الحسين عليه السلام ليطعمها، فهبط جبرئيل وأخذها من يده، ورفع الصحيفة إلى السماء، فقال عليه السلام، لولا ما أراد الحسين عليه السلام من إطعام الجارية تلك القطعة لثَرَكَتْ تلك الصحيفة في أهل بيتي يأكلون منها إلى يوم القيامة، وكانت الصدقة في ليلة خمس وعشرين من ذي الحجة، ونزول ﴿هَلْ أَتَى» في يوم الخامس

١. تفسير الرازي ٢٨: ١١٩، تفسير أبي السعود ٨: ١١٨، والآية من سورة الحجرات: ٦/٤٩.

٢. تفسير الرازي ٧: ٨٣، تفسير أبي السعود ١: ٢٦٥، والآية من سورة البقرة: ٢٧٤/٢.

٣. لا يحضره الفقيه ١: ٥٩/٢٠، الخصال: ٢٦٧/١٩٢، وفيهما: البراء بن معرور، والآية من سورة البقرة: ٢٢٢/٢.

٤. تفسير أبي السعود ٥: ١٤٣، تفسير روح البيان ٥: ٨٤، والآية من سورة النحل: ١٠٧/١٦.

٥. تفسير أبي السعود ٩: ١٦٨، والآيتان من سورة الليل: ١٨/٩٢ و١٨.

٦. في المصدر: ما هيأ الله لك. ٧. أمالي الصدوق: ٣٩٠/٣٣٢.

٨. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٧٣، تفسير الصافي ٥: ٢٦٢. ٩. العراق: العظم أكل لحمه.

والعشرين منه^١.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ
كُفُورًا [٢٤-٢٣]

ثم لما ذكر سبحانه حسن طاعة الشاكرين وحالهم في الآخرة، صلى رسوله وقوى قلبه على تحمّل
أذى المشركين بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا نبي الرحمة ﴿الْقُرْآنَ﴾ العظيم الشأن بتوسط جبرئيل
﴿تَنْزِيلًا﴾ مقروناً بجهات من الإعجاز وشواهد الصدق، أو تنزيلاً مفرقاً متّجباً، لاقتضاء الحكمة
البالغة اختصاص كلّ آية أو سورة بوقت معين، فلا تعثر بقول المعاندين إنه سحر، أو شعر، أو كهانة،
أو اختلاق البشر، فاذا عِلِمَت تلك النعمة العظيمة ﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذى المشركين ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾
بتأخير الإذن في قتالهم ونصرهم على أعدائهم، فإن له عاقبة حميدة ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ كلّ من كان
﴿آيْمًا﴾ وعاصياً لرّبه في أمرك بعصيان الله بترك تبليغ الرسالة ﴿أَوْ﴾ كان ﴿كُفُورًا﴾ ومُصرّاً على
الكفر والطغيان في أمرك بالرجوع إلى دينهم.

قيل: إنّ المراد بالأثم عُتْبَة بن ربيعة، فإنه كان متعاطياً إلى أنواع الفسوق، وبالكُفُور الوليد بن المغيرة
فأنه كان غالباً في الكفر^٢ وقيل: بالعكس، فإن الله سمى الوليد أئيماً، حيث قال في حقّه: ﴿مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ أَيْمٌ﴾^٣.

رُوي أنّ عُتْبَة قال للنبي ﷺ: أرجع عن هذا الأمر حتى أزوجه بتي، فأتني من أجمل قريش بناتاً:
وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى، فأتني من أكثرهم مالاً، فقرأ عليهم رسول الله عشر
آيات من أول حم السجدة، إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ
وَقَوْمِ نُوحٍ﴾^٤ فانصرفا عنه، قال أحدهما: ظننت أن الكعبة ستقع عليّ^٥.

وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا *
إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ
وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا [٢٨-٢٥]

١. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٧٥، تفسير الصافي ٥: ٢٦٢.

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٨، تفسير أبي السعود ٩: ٧٥. ٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٨، والآية من سورة القلم: ١٢/٦٨.

٤. فصلت: ١٣/٤١. ٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٨.

ثُمَّ لَمَّا أَمَرَ سُبْحَانَهُ النَّبِيُّ ﷺ بالصبر أمره بالعبادة الموجبة لراحة قلبه الشريف بقوله: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ واشغَلَ قلبك بالتوجه إليه ﴿بُكْرَةً﴾ وأول النهار ﴿وَأَصِيلًا﴾ وآخره. قيل: إن المراد المداومة على الذكر في جميع الأوقات^١. وقيل: إن المراد المداومة على صلاة الفجر والظهر والعصر، فإن الأصيل يُطلق على ما بعد الزوال إلى المغرب^٢.

﴿وَرٍ﴾ في بعض ﴿مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ قيل: إن المراد بالسجدة صلاة المغرب والعشاء^٣ ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ قيل: أريد به التهجد وصلاة نافلة الليل في ثلثيه ونصفه وثلاثة^٤. وقيل: إن المراد بالذكر والتسبيح نفسيهما. قال: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^٥.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بعد تسليية النبي ﷺ شرع في بيان سوء حال الكفار والمتمردين بقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الكفار ﴿يُجِبُونَ﴾ الدنيا ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ الفانية، ويشتاقون إلى لذاتها ومشتياتها ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ ويدعون خلف ظهورهم ﴿يَوْمًا قَلِيلًا﴾ عليهم شديداً أهواله لهم، ولذا أعرضوا عن الإيمان بك ويكتابك، ولا يعتنون بمواعظك التي فيها نفع آخرتهم، وليس عدم إيمانهم لشبهة في نظرهم حتى تُزيلها بالادلة، والآن لو كانوا تابعين لعقولهم كان عليهم إطاعة أوامرنا والالتقياد لأحكامنا ﴿نُحْنُ﴾ خلقناهم، وأعطيناهم الأعضاء والقوى التي يكمل بها خلقهم ونهيّا لهم حياتهم ﴿وَشَدَدْنَا﴾ ما حكمنا ﴿أَسْرَهُمْ﴾ وأعضائهم، ليتمكنوا من القيام والقيود والحركات التي يتفعلون بها من اللذائذ الدنيوية ﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أهلكناهم و﴿بَدَّلْنَا﴾ وعوضنا عنهم في الأرض خلقاً آخر ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ في الخلقة والشكل ﴿تَبْدِيلًا﴾ بديعاً.

حاصل المراد والله أعلم أنهم محتاجون في الحياة والبقاء في الدنيا والالتذاذ بشهواتها إلينا، ونحن مستغنون عنهم لعدم حاجتنا إلى الخلق، ولو فرض لنا حاجة فلا حاجة لنا إليهم، بل نحن بقدرتنا الكاملة الذاتية قادرون على خلق أمثالهم.

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

١. تفسير أبي السعود ٩: ٧٥، تفسير روح البيان ١٠: ٢٧٨.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٢٧٨.

٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٩، تفسير أبي السعود ٩: ٧٦، تفسير روح البيان ١٠: ٢٧٨.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٢٧٨.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٥٩، والآيتان من سورة الاحزاب: ١/٣٣ و٤٢.

٦. في النسخة: تابعاً.

٧. كذا الظاهر، والكلمة غير منقطعة في النسخة.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا [٢٩-٣١]

ثم إنّه تعالى بعد بيان حال الشاكرين والكافرين تبه على الغرض من هذه البيانات بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ المذكورات من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والدلائل والحكم ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾ وعظة شافية لمن تأمل فيها، وتبصرة لمن تفكر في لطائفها ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ أيها الناس خير الدارين وسعادة النشأتين ﴿اتَّخَذْ﴾ واختار لنفسه بالعمل بهذا القرآن ﴿إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ القرب إليه ﴿سَبِيلًا﴾ يوصله إلى مرضاته وجنته والنعم الدائمة ﴿وَمَا تَشَاوُونَ﴾ شيئاً من الهداية وغيرها في حالٍ من الأحوال ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك الشيء بالمشيئة التكوينية من غير أن يلزم جبران ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ بذاته ﴿عَلِيمًا﴾ بمصالح العباد واستعداداتهم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يشاء لعباده، فلا يشاء لهم إلا ما تستدعيه وتقضيه حكمته.

عن القائم عجل الله فرجه أنه سُئل عن المُفَوَّضَةِ - كذا في النسخة - قال: «كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله عز وجل، فاذا شاء شيئاً شئنا» ثم تلا هذه الآية^١.

ثم بين سبحانه حكم مشيئته بقوله: ﴿يَدْخُلُ﴾ الله ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ سعادته ودخوله ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ بإعطائه التوفيق وتأنيده وتسديده ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ الذين ضيعوا حقوق نعم الله بالكفر ﴿أَعَدَّ﴾ الله وهماً ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لا يوصف بالبيان.

عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ كان جزاؤه على الله الجنة وحريراً»^٢.

وعن الباقر عليه السلام: «من قرأ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ كل غداة من الخميس، رزقه الله من الحور العين ثمانمائة عذراء، وأربعة آلاف ثيب، وكان مع محمد ﷺ»^٣.

وعن الهادي عليه السلام: «من أحب أن يقيه الله شر [يوم] الاثنين، فليقرأ في أول ركعة من صلاة الغداة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾»^٤.

١. الخرائج والجرائح ١: ٤/٤٥٩، تفسير الصافي ٥: ٢٦٦.

٢. تفسير البيضاوي ٢: ٥٥٥، تفسير أبي السعود ٩: ٧٧.

٣. ثواب الأعمال: ١٢١، مجمع البيان ١٠: ٦٠٨، تفسير الصافي ٥: ٢٦٦.

٤. أمالي الطوسي: ٣٨٩/٢٢٤، تفسير الصافي ٥: ٢٦٦.

في تفسير سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَاَلْمَاصِّغَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَاَلْفَارِقَاتِ فَرْقًا *
* فَاَلْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا [١-٦]

ثم لما خُتِمت سورة الإنسان المتضمنة لذم الكفار بأنهم يذرون وراءهم يوماً ثقيلاً، وذكر دلائل وقوعه، وسوء حال المكذبين، وحسن حال المؤمنين، وتُظلمت سورة المرسلات المتضمنة لاثبات وقوع ذلك اليوم الثقيل، وشرح ثقله بذكر أهواله وشدائده، وتهديد مكذبيه، وبيان سوء حالهم، وحسن حال المؤمنين، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنی بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ثم ابتدأها بالقسم بالملائكة إظهاراً لعظمتهم وكرامتهم عنده وتأكيذاً للمُدعى بقوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ من قبل الله من الملائكة، لإيصال النعم إلى الخلق، وتبليغ الأحكام والعلوم إلى الرسل، ولخلق ما في الأرحام، وكتابة الأعمال، وحفظ النفوس من البلايا، وإنزال العذاب، إرسالاً ﴿عُرْفًا﴾ ومتابعاً كعُرف الفرس، أو معروفاً ومستحسناً عند العامة، أو المؤمنين، فإن نزول العذاب على الأعداء إحساناً إلى الأولياء.

ثم رتب سبحانه على رسالتهم بيان سرعتهم في امتثال أوامر الله بقوله: ﴿فَاَلْمَاصِّغَاتِ﴾ في طيرانهم، والمسرعات بالشدة في امتثال أوامر الله، كما تصيف الرياح ﴿عَصْفًا﴾ وسيراً شديداً، وقيل: إن المراد بالعاصفات الملائكة الذين يلهبون بأرواح الكفار ويهلكونها^١ ﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾ بأجنحتهم عند انحطاطهم إلى الأرض، أو الشرائع في أهل الأرض، أو للرحمة والعذاب، أو لصحف الأعمال يوم الحساب، أو للنفوس الموتى بالكفر والجهل [بطريق] الوحي الذي هو حياة القلوب ﴿نَشْرًا﴾ مُعْجَباً بديعاً.

ثم رتب سبحانه على نشرهم أمرين: الأول بقوله: ﴿فَاَلْفَارِقَاتِ﴾ والمميزات بين الحق والباطل

﴿فَرَقًا﴾ وتميزاً ظاهراً، والثاني بقوله: ﴿فَالْمَلَكِيَّاتِ﴾ إلى الأنبياء ﴿ذِكْرًا﴾ وعِظَةً شافية، أو علماً وحكمة، أو كتاباً سماوياً. قيل: هو القرآن، وإطلاق صيغة الجمع وإرادة جبرئيل وحده لتعظيمه، وإنما يلقون الذكر ليكون ﴿عَذْرًا﴾ وقاطعاً للمُجْحَةِ بالنسبة إلى الكافرين، أو عُدْراً للمعتذرين إلى الله بالتوبة والاستغفار والمحققين ﴿أَوْ نَذْرًا﴾ وتخويفاً للكافرين والمبطلين، أو بمن أتبع الذكر.

وقيل: إن المراد من المرسلات والعاصفات الرياح المُرْسَلَة للعذاب، ومن الناشرات رياح الرحمة نشرن في الجوّ وفزّرن السحاب، أو نشرن للموات ففرّقن كلّ صنف منها عن سائر الأصناف، أو فرّقن بين الشاكرين لنعم الله وكفورها وبين الموحد والمُشْرِك، وألقين الذكر والايمن في قلوب المؤمنين^١.

وقيل: إن المراد من الجميع آيات القرآن، فإنها المرسلات المتتابعات، أو بكلّ خيرٍ ومعروفٍ، وهي العاصفات والمذهبات بالأديان الباطلة، وهي الناشرات للهداية والحكم في الأفطار، والفارقات بين الحقّ والباطل^٢، والذوات الطيبة والخبيثة، والملقيات لذكر الله في القلوب، وفيها العُذر والتُذّر.

وقيل: إن المراد من الثلاثة الأول الرياح، ومن الاثنين الآخرين الملائكة فأنهم بإنزال الوحي يفرّقون بين الحقّ والباطل، ويلقون الذكر إلى الرسل^٣.

وقيل: إن المراد بالأولين الرياح، وبالثلاثة الباقية الملائكة، لأنهم ينشرون الوحي والدين، وبه يفرّقون بين الحقّ والباطل، ويظهرون الذكر في القلوب والألسنة^٤.

والجمع بين القسم بالرياح والملائكة، لكونهما شبيهتين في اللطافة وسرعة السير، واحتمل غير ذلك ممّا لا يهْمُنَا ذكره بعد وضوح كون التفسير الأول أقرب في النظر وأنسب.

إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعَ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا
الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَضْلِ * وَمَا
أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَضْلِ * وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ
نُتِّمَهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [١٩-٧]

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ﴾ أيها الناس بلسان الأنبياء من الحشر والحساب ومجازاة الأعمال ﴿لَوَاقِعَ﴾ لامحالة لاقتضاء الحكمة البالغة ذلك، وامتناع الخلف للوعد

على الله.

ثم عَيْن سبحانه وقته بذكر علاماته بقوله: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ﴾ والكواكب كلها ﴿طُمِسَتْ﴾ وانعدمت أجرامها، أو مُحِجَّتْ أنوارها. عن الباقر عليه السلام: «طُمِسَتْ أَجْزَالُهَا ضَوْوُهَا»^١، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ لنزول الملائكة، أو فتحت أبوابها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ﴾ كلها ﴿نُسِفَتْ﴾ وَفُتَّتْ وذُرِبَتْ كالرمل فوق الأرض، أو قُلِعَتْ من أماكنها بسرعة لانقضاء الدنيا وعدم الفائدة في بقائها أو بقاء السماء وما فيها من الكواكب ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ﴾ والأنبياء الذين هم شهداء على أممهم ﴿أُفْتُتَتْ﴾ وَعُيِّنَتْ لهم أوقات شهادتهم، أو بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه، وكانوا يعدّون وقوعه، وهو يوم القيامة والمجازاة بالأعمال.

ثم يقال تعجباً من عظمة القيامة: أيها الناس لا تدرّون ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلْتُمْ﴾ وأُخِّرَتْ الأمور الراجعة إلى الرسل من جمعهم وإحضارهم وتعذيب مكذّبيهم وإثابة مصدّقيهم والمؤمنين بهم. ثم كأنه قال تعالى: إِنَّمَا أَخَّرْتُمْ جَمِيعَ ذَلِكَ ﴿لِيُزِمَ الْفَضْلُ﴾ والقضاء بين الخلائق، كما عن ابن عباس^٢.

ثم بالغ سبحانه في تعظيم ذلك اليوم بقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ﴾ وأي شيء أعلمك يا محمد ﴿مَا يَوْمُ الْفَضْلِ﴾ في كثرة الأحوال والشدائد وشدة الفظاعة ﴿وَوَيْلٌ﴾ وهلاك دائم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وفي ذلك الوقت الهائل ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالأخبار بوقوع ذلك اليوم وبالرسل الذين أخبروا بوقوعه وبتوحيد الله، ثم استشهد سبحانه على قدرته على إتيان ذلك اليوم وتعذيب المكذّبين به بما أنزل على الأمم السابقة من العذاب المستأصل بقوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكْ﴾ الامم ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ والسابقين بتكذيبهم التوحيد والرسل والمعاد، تقوم نوح وعاد وثمود بالعذاب الشديد ﴿ثُمَّ﴾ نحن ﴿نُنْشِئُهُمْ﴾ في الاهلاك والعذاب الامم ﴿الْآخِرِينَ﴾ الذين هم نظراؤهم والسالكون مسلكهم في الكفر وتكذيب الرسل والمعاد ﴿كَذَلِكَ﴾ الفعل الذي فعلنا بالأمم السابقين المكذّبين ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ والطاغين الذين هم في عصره وبعده ﴿وَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ وفي زمان إهلاكهم ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بآيات الله وأنبيائه.

قيل: إنه تعالى كرّر قضية الويل في السورة المباركة عشر مرات؛ لأن تكرر القضية المُرعبة في مقام التوعيد والترهيب دأب العرب، وهو من البدائع والمحسنات^٣.

وعن الكاظم عليه السلام في تأويل الآية أنه قال: «يقول: ﴿وَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يا محمد بما أوحيت إليك من ولاية علي» قال: «الأولين الذين كذبوا الرسل في طاعة الأوصياء و ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾

٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧٠.

١. تفسير الفمي ٤٠١، تفسير الصافي ٥: ٢٦٨.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٢٨٤.

قال: من أكرم إلى آل محمد وزكب من وصيته ما زكب^١.

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ *
فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا *
أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً قُرَاتًا * وَبَلَّ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [٢٠-٢٨]

ثم أنكر سبحانه على الكفار تكذيبهم بالمعاد لاستبعادهم إياه بتقريرهم بالخلق الأول الدال على إمكان الخلق الثاني وقدرته عليه بقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾ أيها المنكرون للمعاد في الدنيا بقدرتنا ﴿مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ومبتذل لا يعتنى به، والنُّطْفَةُ القُدْرَةُ التي يُتَنَفَّرُ منها ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ ومكانه ﴿فِي قَرَارٍ﴾ ومقر ﴿مَكِينٍ﴾ وحصين ومحفوظ من الآفات والعوارض الخارجية، وهو الرُّجْم الذي هو وعاء الولد حال كونه باقياً فيه ﴿إِلَى قَدَرٍ﴾ وأجلٍ معينٍ ومقدارٍ ﴿مَعْلُومٍ﴾ من الوقت الذي قدره الله تعالى للولادة، وهو من ستة أشهر إلى تسعة أشهر ﴿فَقَدَرْنَا﴾ وخلقنا جسده وأعضاءه وجوارحه أكمل خلقي ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ نحن.

قبل: يعني قَدَرْنَا في ذلك المكان الضيق المظلم على خَلْقِهِ وتصويره كيف شئنا، فنعم القادرون حيث خلقناه على أحسن صورة وهيئة^٢ تكون مع صغره أنموذجاً للعالم الكبير.

﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بقدرتنا على إعادته التي هي أهون.

قبل: إن الله تعالى خَوْفُ الكفار بكثرة نعمه عليهم، فإن نعم المنعم إذا كانت أكثر كان عصيانه أقبح وعقابه أشد^٣، فذكر الله سبحانه في الآية السابقة نعمة التي في أنفسهم، ثم ذكر نعمه الخارجية الأفاقية بقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾ لكم ﴿الْأَرْضَ﴾ الواسعة التي تحت أقدامكم ﴿كِفَاتًا﴾ وجامعاً أو حافظاً^٤ أو مساكن في حال كونكم ﴿أَحْيَاءَ وَ﴾ كونكم ﴿أَمْوَاتًا﴾.

رؤي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه نظر في رجوعه من صفين إلى مقابر الكوفة، وقال: «هذه كفات الأموات» ثم نظر إلى بيوت الكوفة فقال: «هذه كفات الأحياء» أي مساكنهم، ثم تلا هذه الآية^٥.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ لكم بعد خلق الأرض ﴿فِيهَا﴾ جبالاً ﴿رَوَاسِيَ﴾ وثوابت ﴿شَامِخَاتٍ﴾ ومرتفعات

١. الكافي ١: ٩١/٣٦١، تفسير الصافي ٥: ٢٦٩.
٢. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧٣.
٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧٣.
٤. كذا، والظاهر: وجامعة أو حافظة.
٥. تفسير القمي ٢: ٤٠٠، تفسير الصافي ٥: ٢٦٩.

وطولاً، لتكون أوتاداً لها ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ﴾ برحمتنا من السماء والأرض ﴿مَاءً قُرْآنًا﴾ وعذباً أو لذيذاً ﴿وَيْلٌ﴾ وعذاب أليم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وفي ذلك الزمان الخطير ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذه النعم العظام، والمنكرين لقدرتنا على إعادة الخلق في يوم القيامة.

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ [٢٩-٣١]

ثم ذكر سبحانه كيفية عذاب المكذبين يوم القيامة. قيل: إن الشمس تقرب فيه من رؤوس الخلائق وليس عليهم لباس وكنان، فتَلَحُّقهم^١ الشمس وتأخذ بأنفاسهم، ويمتد ذلك اليوم، وينجى الله المؤمنين إلى ظل عرشه، فهناك يقولون: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السُّمُومِ﴾^٢ ويقول خزنة جهنم للمكذبين: ﴿أَنْطَلِقُوا﴾ والعبوا أيها المكذبون ﴿إِلَى مَا كُنتُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ من العذاب.

ثم يُبالغون في تقريرهم بتكرار الأمر بقوله: ﴿أَنْطَلِقُوا﴾ أيها المكذبون واذهبوا ﴿إِلَى ظِلٍّ﴾ من دُخانٍ غليظٍ عظيم من نار جهنم، أو ظل من نار ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ قيل: شعبة عن يمينهم، وشعبه عن يسارهم، وشعبة فوق رؤوسهم، فيكونون مُحاطين بالدُخان أو النار^٣.

قيل: يخرج لسان من النار مُحيطاً بالكافر كالسرداق، فيتشعب ثلاث شعَبٍ يكون فيها حتى يفرغ من الحساب^٤ ﴿لَا ظَلِيلٌ﴾ ذلك الظل ولا مانع لهم من حر الشمس، وقيل: يعني لا بارد^٥ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ الكفار ﴿مِنْ﴾ حرِّ ﴿اللَّهَبِ﴾ ولا يبعدهم أو لا يسترهم منه.

عن الباقر (عليه السلام) قال: «بلغنا والله أعلم أنه إذا سيق^٦ أهل النار وينطلق بهم قبل أن يدخلوا النار، فيقال لهم: ادخلوا إلى ظل ذي ثلاث شعب من دُخان النار، فيحسبون أنها الجنة، ثم يدخلون النار أفواجاً [أفواجاً و] ذلك نصف النهار» انتهى^٧.

إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ * وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [٣٢-٣٧]

١. في النسخة: فتلحقهم.

٢ و٣. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧٥. والآية من سورة الطور ٥٢: ٢٧.

٤. تفسير أبي السعود ٩: ٨٠، تفسير روح البيان ١٠: ٢٨٦.

٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧٥.

٧. تفسير القمي ٢: ١١٣، تفسير الصافي ٥: ٢٧٠.

٦. في تفسير القمي والصافي: استوى.

٤٠٤ نفحات الرحمن في تفسير القرآن ج ٦

ثم وصف سبحانه النار التي كان ذلك الظل دُخاناً لها بقوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ وشعلات، كل شرر وشعلة في العظمة ﴿كَالْقَصْرِ﴾ العظيم والبناء الرفيع، عن ابن عباس: يُريد القصور العظام.^١ وزوي عنه: أن هذا التشبيه ورد في بلاد العرب، وتصورهم قصيرة السمك^٢ جارية مجرى الخيمة.^٣ وفي رواية أخرى عنه، أنه سئل عن القصر، فقال: هو خشب كنا نذخره للشتاء نُقطّعه^٤. وقيل: هو أصول الشجر العظام والنخل^٥.

ثم شبه سبحانه كل شرر في اللون والتابع والسرعة والكثرة والاختلاط بجماعة الابل السود بقوله: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ﴾ وجماعة ابل ﴿صَفَرٌ﴾ كل شررة كأنها جمل أصفر.

قيل: عبر سبحانه عن الأسود بالأصفر، لأن لون الصفرة هو السواد المختلط بالبياض، أو لأن الإبل السوداء سوادها يضرب إلى السفرة، أو لأن الإبل الصفراء يشوب رؤوس أشعارها السواد^٦.

قيل: إن ابتداء الشرر يعظم فيكون كالقصر، ثم يفترق فتكون القطع المنفردة كالجمالة الصفر^٧.

قيل: في تشبيه الشرر بالجمالة الصفر تزيين بالكفار، فإنهم كانوا يحبون الجمال، ويعتقدون أن ملكها تمام النعمة، كأنه^٨ قيل لهم: إنكم كنتم تتوقعون من دينكم نعمة كبيرة^٩ أهمها عندهم جمالة وجماعة من الإبل، فالיום صارت الجمالة المحبوبة عندهم هذه الشرارات.

﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذه الأحوال ﴿هَذَا﴾ اليوم الذي فيه تلك الأحوال العظيمة ﴿يَوْمَ لَا يَنْطِقُونَ﴾ هؤلاء المكذبون بشيء قيل: إن الكفار حين السؤال ينطقون، فلما انقضى السؤال والحساب لا ينطقون من الوحشة وعدم القدرة على التكلم^{١٠} ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ من قبل الله ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عن تقصيراتهم لعدم عذر لهم بعد إتمام الحجة عليهم في الدنيا ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذه الأخبار.

هَذَا يَوْمَ الْفَضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيَلَّ

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [٣٨-٤٠]

ثم يقال لهم توبيخاً وتكريعاً: ﴿هَذَا﴾ اليوم العظيم الذي ترون أهواله ﴿يَوْمَ الْفَضْلِ﴾ بين الحق

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧٦.

٢. ٤ و ٥. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧٦.

٣. في النسخة: لأن الإبل الأسود سوادها يضرب إلى الصفرة، أو لأن الإبل الأصفر يشوب رؤوس أشعارها بالسواد. راجع: تفسير روح البيان ١٠: ١٨٨.

٤. ٧ و ٩. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧٧.

٥. ١٠. تفسير الرازي ٣٠: ٢٧٩.

والباطل، أو القضاء بين الناس أجمعين ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾ يا أمة محمد في هذا اليوم ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ والأمم السابقين لفصل القضاء والحكم للمحق وعلى المبطل ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها الكفار المبطلون ﴿كَيْدٌ﴾ وحيلة في هذا اليوم لدفع العذاب عنكم، كما كان لكم في الدنيا مكائد لإبطال دعوة الرسل و صرف الناس عنهم ﴿فَكِيدُونِ﴾ واحتالوا وتخلصوا من عذابي، ولكن لا تقيدرون اليوم على كيد و حيلة، فعليكم أن تتحملوا ألم العذاب ﴿وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين لاحيلة لهم من التخلص من العذاب.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَقَوَائِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ * وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [٤٧-٤١]

ثم بين سبحانه حسن حال المتقين بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ والمحترزين عن الكفر والتكذيب في ذلك اليوم مستقرون ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ يظلمهم من حر الشمس وغيره، وهو ظل العرش، أو أشجار الجنة، لا كظل المكذبين الذي ليس بظليل عن القمي في ظلال من نور أنور من نور الشمس^١. وعن الكاظم: «هم نحن وشيعتنا»^٢.

﴿وُ﴾ في ﴿عُيُونٍ﴾ عذبة لذيذة يدفعون بها ما عطفهم ﴿وُ﴾ في ﴿قَوَائِكَ﴾ كثيرة ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ويميلون إليه: والحاصل أنهم مستغرقون في فنون النعم وأنواع الترفه، ويقال لهم تفرحاً لقلوبهم: أيها المتقون ﴿كُلُّوْا﴾ من نعم الجنة وفواكهها ﴿وَاشْرَبُوا﴾ من أنواع أشربتها ﴿هَنِيئًا﴾ لكم، وشرباً بلا داء ولا ضرر ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال الصالحة والعبادات المرضية ﴿إِنَّا﴾ بفضلنا ورحمتنا ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء الجزيل والثواب العظيم ﴿نَجْزِي﴾ المؤمنين ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ في عقائدهم وأعمالهم وأخلاقهم، وبسبب طاعتهم لربهم.

﴿وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث يرون أنفسهم في غاية الذل والعذاب، وأعداءهم المخاصمين لهم في نهاية الكرامة والنعم والراحة، وأما المجرمون المكذبون فيقال لهم في الدنيا: ﴿كُلُّوْا﴾ من نعم الدنيا ﴿وَتَمَتَّعُوا﴾ وانتفعوا بمشهياتها زماناً ﴿قَلِيلًا﴾ أو انتفاعاً يسيراً يتقضي بموتكم، فإن تلذذكم بها كذلك من يأكل لقمة مسمومة مهلكة، ثم يموتون ويهلكون بها، وأنتم تبطلون بالعذاب لأجل ﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ وطاقون على ربكم ﴿وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث عرَضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل.

٢. الكافي ١: ٩١/٣٦١، تفسير الصافي ٥: ٢٧١.

١. تفسير القمي ٢: ٤٠٠، تفسير الصافي ٥: ٢٧١.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَزْكُوا لَا يَرْكَعُونَ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ

يُؤْمِنُونَ [١٨-٥٠]

ثم بين سبحانه شدة طغيانهم على الله بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَزْكُوا﴾ أو اخضعوا لربكم المنعم عليكم بتلك النعم العظام الدنيوية وعظموه شكراً عليها ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ويصرون على كفرهم. عن ابن عباس: أن المراد بالركوع في الآية الصلاة^١، فالمعنى أن الكفار إذا دعوا للصلاة لا يصلون، فذمهم سبحانه على ترك انقيادهم لله في الأصول والفروع، وفيه دلالة على أن الكفار مكلفون بالفروع كما أنهم مكلفون بالأصول ومعاقبون عليهما.

قيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم الرسول ﷺ بالصلاة فقالوا: لانحنى فانها سبة^٢.

ثم لما بالغ سبحانه في كتابه الكريم في إقامة البراهين على وجوب الايمان بالله والانقياد له، وزجر الكفار عن العتو والعصيان، ومع ذلك لم يؤمنوا ولم يتأثروا ولم يتعظوا بمواعظه، ختم السورة المباركة بإظهار التعجب من عدم إيمانهم بقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ وبيان غير القرآن و ﴿بَعْدَهُ﴾ مع كونه إعجازاً وجامعاً للمواعظ الشافية والعلوم والحكم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فاذا لم يؤمنوا به فهم في غاية القساوة واللجاج والعدا.

عن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة ﴿وَالْمُزْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ عَرَفَ الله بينه وبين محمد ﷺ»^٣.

١. تفسير الرازي ٣٠: ٢٨٤.

٢. مجمع البيان ١٠: ٦٣٦، تفسير الصافي ٥: ٢٧١، تفسير البيضاوي ٢: ٥٥٩.

٣. نواب الاعمال: ١٢١، مجمع البيان ١٠: ٦٢٧، تفسير الصافي ٥: ٢٧٢.

في تفسير سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ [١-٣]

ثم لما خُتِمت السورة المباركة المتضمنة لبيان عظمة القيامة وأهوالها والاستفهامات التقريرية لإثبات وقوعها بقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾^١ إلى آخره، وبيان سوء حال المكذِّبين بها وحسن حال المتقين، نُظِمت السورة المباركة النبأ المتضمنة لبيان عظمة ذلك اليوم وأهواله، والاستفهامات التقريرية لإثبات وقوعه بقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً﴾^٢ إلى آخره، وبيان سوء حال المكذِّبين به، وحسن حال المتقين في الآخرة، فافتتحها سبحانه على دأبه بذكر الأسماء المباركات بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها على القول الصحيح ببيان عظمة يوم القيامة بقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وعن أي خبر أولئك الكفار يستخبرون بعضهم بعضاً، أو كلُّهم المؤمنين استهزاءً، أو المؤمنون الرسول زيادةً لليقين والبصيرة؟ يتسائلون ﴿عَنِ النَّبَاِ﴾ والخبر ﴿الْعَظِيمِ﴾ الشأن الذي لأعظم منه. قيل: إنَّ المراد من النبأ نبوة محمد^٣. وقيل: هو القرآن^٤ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فبعضهم يقولون: إنَّه سحرٌ وبعضهم يقولون: إنَّه شعرٌ، وبعضهم يقولون: كِهانة.

وقيل: إنَّ المراد به وقوع يوم القيامة^٥، وهو الأظهر، فإنَّ الكفار كانوا فيه مختلفين، فبعضهم يُنكرونها، وبعضهم يُظهِرون الشكَّ فيه، وبعضهم يُنكرون المعاد الجسماني دون الروحاني، وفي الاستفهام غاية تفخيم شأنه.

وعن الصادق عليه السلام - في تأويله - قال: ﴿النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ «الولاية»^٦.

وعن الباقر عليه السلام أنه سُئِلَ عن تفسير ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قال: «هو أمير المؤمنين عليه السلام» وقال: «كان أمير

٣. تفسير الرازي ٣١: ٤.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٣.

١. المرسلات: ٢٠/٧٧. ٢. النبأ: ٦/٧٨.

٤. مجمع البيان ١٠: ٦٣٩، تفسير الرازي ٣١: ٤.

٦. الكافي ١: ٣٤/٣٤٦، تفسير الصافي ٥: ٢٧٣.

المؤمنين ﷺ يقول: ما لله عز وجل آية أكبر مني، وما لله نبأ أعظم مني^١.
وعن الرضا عليه السلام أنه سُئِلَ عنه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما لله نبأ أعظم مني، وما لله آية أكبر مني،
وقد عُرِضَ فضلي على الأمم الماضية على اختلاف ألسنتهم فلم تُعَرَّ لفضلي»^٢.
وعن أبيه [عن آبائه] عن الحسين بن علي: «قال رسول الله ﷺ: يا علي، أنت حُجَّةُ الله،
وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم»^٣.
وروي العلامة رحمه الله في (نهج الحق) عن العامة تأويله بأمير المؤمنين عليه السلام^٤ أيضاً.
أقول: هذه الروايات لأثنافي إرادة الله ظاهر الآية، وإن انطبق عنوان النبأ العظيم على أمير
المؤمنين عليه السلام أيضاً.

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ [٥ و ٤]

ثم ردع سبحانه الكفار عن الاختلاف في المعاد بقوله: «كَلَّا» ليس الأمر كما يقوله الكفار في يوم
القيامة، فإنهم «سَيَعْلَمُونَ» أنه حق واقِعٌ لاُمُحالة.
وقيل: إن «كَلَّا» هنا بمعنى حقاً^٥.
ثم كرر سبحانه الردع وأبلغ فيه بكلمة «ثُمَّ» بقوله: «ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» أنه واقِعٌ لا دافع له، فلا
مجال للشك فيه، ولالتساؤل عنه لوضوحه.
وقيل: يعني كَلَّا سيعلمون حقيقته عند النَّزْعِ، ثم سيعلمون به يوم القيامة، أو سيعلمون حين البعث
من القبور بالقيامة والحشر والحساب^٦. ثم سيعلمون بالعذاب على التكذيب، أو سيعلمون ما الله
فاعلٌ بهم ثم سيعلمون أن الأمر ليس كما يتوهمون من أن الله غير باعثهم، أو سيعلمون بما نزل بهم
في الدنيا من العذاب وسيعلمون بما ينالهم في الآخرة، أو سيعلمون الكفار سوء عاقبة تكذيبهم
وسيعلمون المؤمنون حسن عاقبة تصديقهم^٧.
وهذا التفسير أبعد من الكل، لظهور الآيتين في غاية التهديد والتشديد، والسين. في الفعلين
للتقريب والتأكيد.

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا

١. الكافي ١: ٣/١٦١، تفسير الصافي ٥: ٢٧٣.

٢. تفسير القمي ٢: ٤٠١، تفسير الصافي ٥: ٢٧٣.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣/٦، تفسير الصافي ٥: ٢٧٣.

٤. نهج الحق: ٢١١.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٥.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٢٩٣.

٧. تفسير الرازي ٣١: ٥.

نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا [١٦-٦]

السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا [١٧- ٢٠]

ثم إنه تعالى بعد ما بين كمال قدرته وحكمته وإتمام نعمته على الخلق من حيث المسكن وأسباب المعيشة والراحة في الدنيا، ذكر أحوال الآخرة بقوله: ﴿إِنَّ﴾ يوم القيامة الذي هو ﴿يَوْمَ الْفُضْلِ﴾ والقضاء بين الناس ﴿كَانَ﴾ بتقدير الله ﴿مِيقَاتًا﴾ وزماناً تنتهي إليه الدنيا أو الخلائق، أو موعداً للجزاء على الأعمال أو لاجتماع الخلائق.

ثم بين سبحانه ذلك اليوم بقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الثانية التي هي نفخة الإحياء ﴿فَتَأْتُونَ﴾ أيها الناس بعد إحيائكم في القبور ويعثكم منها إلى المحشر حال كونكم ﴿أَفْوَاجًا﴾ وجماعات قيل: يأتي كل نبي مع أمته^١، وقيل: يعني فرقاً مختلفة^٢.

رُوي عن معاذ أنه سأل رسول الله ﷺ عنه فقال: «يا معاذ، سألت عن أمرٍ عظيمٍ من الأمور» ثم أرسل عينيه وقال: «يُحْشَرُ عشرة أصنافٍ من أمتي بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكوسون أرجلهم فوق وجوههم يُسْحَبُونَ عليها، وبعضهم عُمي، وبعضهم صُمُّ بكم، وبعضهم يَمَضُّغُونَ ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقدَّر أهل الجمع منهم، وبعضهم مُقَطَّعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مُصَلَّبُونَ على جُذُوعٍ من نارٍ، وبعضهم أشدُّ تنأً من الجيف، وبعضهم مُتَبَسِّونَ جِباباً سابعة من قَطِرَانٍ لازقة بجلودهم.

فأما الذين على صورة القردة فالقنات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السُّحت، وأما المنكوسون على وجوههم فأكلة الربا، وأما العُمي فالذين يجرون في الحُكم، وأما الصُّمُّ البكم فالمعجبون بأعمالهم، وأما الذين يَمَضُّغُونَ ألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين تخالف أقوالهم أعمالهم، وأما الذين قُطِّعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران، وأما المُصَلَّبُونَ على جُذُوعِ النار فالسعاة بالناس إلى السُّلطان، وأما الذين هم أشدُّ تنأً من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى من أموالهم، وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخِيلاء»^٣.

ورواه في (المجمع) عن النبي^٤.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ وانشقت شقوقاً كثيرة ﴿فَكَانَتْ﴾ السماء لكثرة الشقوق^٥ ﴿أَبْوَابًا﴾ لنزول

١. تفسير الرازي ٣١: ١٠.

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٠، جوامع الجامع: ٥٢٦، تفسير أبي السعود ٩: ٨٩، تفسير روح البيان ١٠: ٢٩٩.

٣. مجمع البيان ١٠: ٦٤٢، تفسير الصافي ٥: ٢٧٥.

٤. زاد في النسخة: كأنها، ولا تصح، لأن لفظ الآية بعدها منصوب.

الملائكة قيل: إِنَّ التقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة أبواباً^١. وقيل: إِنَّ المراد من فتحها إزالتها وإعدامها، فكانت مكانها طرق ومسالك للملائكة^٢ «وُسِّيرَتِ الْجِبَالُ» في الجوّ بعد انقلاعها من أماكنها «فَكَانَتْ» وصارت في الأنظار شيئاً وليست بشيء، كما ترى «سَرَاباً» تُحَسِّبُهُ مَاءٌ وليس بماء.

قيل: إِنَّ الله تعالى أخبر عن الجبال بحالات؛ فأولها أَنَّها تَنْدَكُ وتَنْقَطِعُ، ثُمَّ تصير كُتَيْباً مهياً وتلاً من رمل، ثُمَّ تصير كالجهنم، ثُمَّ تَنْسِفُهَا الرِّيحُ فتصير هَبَاءً وذراتٍ مَبْنِيَّةٍ في الهواء، فتصير في الهواء كَقِطْعَةٍ من الأرض تسير في الجوّ، وترى الأرض التي تحتها بارزةً، وهي في هذه الحالة مثل السَّرَابِ، فكما أَنَّ السَّرَابَ تُحَسِّبُهُ مَاءٌ وليس بماءٍ، كذلك الجبال تُحَسِّبُهَا جِبَالاً وليس بجبالٍ في الحقيقة، بل هي غُبَارٌ^٣.

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً * لِلطَّاغِينَ مَاباً * لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَاباً * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَاباً * إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَافًا * جَزَاءً وَفَاقًا [٢٦-٢١]

ثُمَّ إِنَّهُ تعالى بعد بيان خراب الدنيا ومجيء الناس إلى الحشر، يَبَيِّنُ حال جَهَنَّمَ بقوله: «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ» في علم الله، أو صارت «مِرْصَاداً» ومحلاً لترقّب خزنتها ورود الناس، فالمؤمنون يَمْرُونَ عليها كالبرق الخالط أو كالراكب، وتكون «لِلطَّاغِينَ» والعناة والمتمردين خاصة «مَاباً» ومرجعاً ومستقراً حال كونهم «لَا يَشِينُ» ومقيمين «فِيهَا أَحْقَاباً» ودهوراً كثيرةً لآنهاية لها.

عن ابن عباس: أَنَّ الْأَحْقَابَ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ حَقْباً، كُلُّ حَقْبٍ سَبْعُونَ خَرِيفاً، كُلُّ خَرِيفٍ سَبْعُمِائَةٍ سَنَةٍ، كُلُّ سَنَةٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ يَوْماً، كُلُّ يَوْمٍ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا^٤.

وعن النبي ﷺ: «لَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ دَخَلَهَا حَتَّى يَمُكَّتَ فِيهَا أَحْقَاباً، وَالْحَقْبُ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَالسَّنَةُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ يَوْماً، وَالْيَوْمُ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، فَلَا يَتَكَلَّنُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ»^٥.

وعن الصادق عليه السلام قال: «الْأَحْقَابُ ثَمَانِيَةُ حَقْبٍ، وَالْحَقْبُ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَالسَّنَةُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ يَوْماً، وَالْيَوْمُ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ»^٦.

١. تفسير الرازي ٣١: ١١.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٣٠.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٣٠١.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣٠٢.

٥. مجمع البيان ١٠: ٦٤٣، تفسير الصافي ٥: ٢٧٦.

٦. معاني الأخبار: ١/٢٢٠، تفسير الصافي ٥: ٢٧٦.

وعن الصادقين عليهما السلام: «هذه في الذين يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ»^١.

وقيل: إنه كناية عن الدوام والخلود^٢، وعلى أي تقدير أهل النار ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ ولا يجسّون ﴿بُرْدًا﴾ ينتفعون ويستريحون به، وعن بعض مفسري العامة والقمي: يعني نوماً^٣ ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ رافعاً لعطشهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ وماءً متاهياً في الحرارة ﴿وَعَسَاقًا﴾ وقيحاً سائلاً من جلود أهل النار، إننا نجازيهم ﴿جَزَاءً﴾ يكون ﴿وَفَاقًا﴾ لعقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم، بلا زيادة عليها ولا نقصان، ومطابقاً لها في العظم والصغر.

إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ

كِتَابًا [٢٧-٢٩]

ثم حكى سبحانه اعتقادهم الموجب لذلك العذاب بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ ولا يهتملون ﴿حِسَابًا﴾ لأعمالهم في الآخرة، وجزاء على سيئاتهم، ولذا كانوا لا يبالون مُنْكَرًا، ولا يرغبون في معروف.

ثم حكى سبحانه أسوأ أعمالهم بقوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على التوحيد والبعث والحساب ﴿كِذَابًا﴾ وتكذيباً مفرطاً إساراً على الكفر وفنون القبايح والمعاصي، فلما كانت سيئاتهم بهذه الدرجة من العظمة استحقوا هذه الدرجة الشديدة من العذاب، للزوم موافقة عذابهم وأعمالهم ومعاصيهم.

ثم بين سبحانه علمه بميزان الأعمال ومقدار الجزاء بقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء منها الأعمال وجزاؤها ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ وعلمناه حال كونه ﴿كِتَابًا﴾ ومثبتاً في اللوح المحفوظ، أو المراد علمناه علماً يكون في القوة والثبات كأنه مكتوب، أو المراد أحصيناه إحصاءً، وكتبناه كتاباً في اللوح المحفوظ، أو في صُحُفِ الْحَفَظَةِ.

فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا * إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا *

وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا * جَزَاءً مِمَّنْ

رَبَّكَ عَطَاءَ حِسَابًا [٣٠-٣٦]

١. مجمع البيان ١٠: ٦٤٣، وتفسير الصافي ٥: ٢٧٦، عن الباقر عليه السلام.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٣٠٢.

٣. تفسير الرازي ٣١: ١٤، تفسير القمي ٢: ٤٠٢، تفسير الصافي ٥: ٢٧٦.

ثُمَّ لَمَّا بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ شِدَّةَ عَذَابِ الطُّغَاةِ أَظْهَرَ شِدَّةَ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ بِتَوَجُّهِ الْعِتَابِ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَقُودُوا﴾ أَيُّهَا الْكَفَرَةُ الطُّغَاةُ طَعَّمِ الْعَذَابَ كَمَا ذَقْتُمْ فِي الدُّنْيَا لَذَّةَ مُشْتَهَاتِهَا ﴿فَلَنْ تَزِيدَكُمْ﴾ إِلَى الْأَبَدِ ﴿إِلَّا عَذَابًا﴾ قِيلَ: كُلَّمَا اسْتَغَاثُوا مِنْ عَذَابٍ أَعْثُوا بِأَشَدِّ مِنْهُ^١.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ هَذِهِ آيَةُ أَشَدِّ مَا فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ»^٢.

قِيلَ: إِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا يَزِيدُونَ تَدْرِجًا فِي تَكْذِيبِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِذْيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، زَادَ اللَّهُ مَتَدْرَجًا فِي عَذَابِهِمْ لِتَحْقِيقِ الْمَوَافَقَةِ فِي الْجَزَاءِ، فَلَا يَرِدُ مَا قِيلَ مِنْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْعَذَابُ الزَّائِدَ مُسْتَحَقًّا فِي أَوَّلِ وَرُودِهِمْ فِي جَهَنَّمَ كَانَ تَرْكُهُ عَفْوًا وَإِحْسَانًا، فَلَا يَنْبَغِي لِلْحَكِيمِ رَجُوعُهُ عَنْ عَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُسْتَحَقٍّ فزِيادته ظُلْمٌ^٣، مَعَ أَنَّ التَّخْفِيفَ إِلَى مَدَّةٍ لَا يَنَافِي عَذَابِهِ فِيْمَا بَعْدَ.

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ حُسْنَ حَالِ الْمُتَّقِينَ فِي الْآخِرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وَالْمُجْتَنِبِينَ عَنِ الْكُفْرِ وَتَكْذِيبِ الرُّسُولِ وَالْمَعَادِ وَالْعِصْيَانِ فِي الْآخِرَةِ ﴿مَقَارًا﴾ وَظَفَرًا بِأَقْصَى الْمَطَالِبِ وَأَهَمِّ الْمَقَاصِدِ بَعْدَ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ، أَعْنِي بِالْمَقَارَةِ ﴿حَدَائِقَ﴾ وَبَسَاتِينَ ذَاتِ أَشْجَارٍ كَثِيرَةٍ وَثِمَارٍ وَافِرَةٍ لَمْ تَرْمِثْهَا عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ مِثْلَهَا أُذُنٌ ﴿وَأَعْنَابًا﴾ طَبِيعَةً كَثِيرَةً. قِيلَ: إِنَّمَا خَصَّصَهَا بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا^٤.

﴿وَوَيْلٌ لِمَنْ نَسَا﴾ وَكَوَاعِبَ وَمُسْتَدِيرَاتِ النَّدِيِّينَ، أَوْ مَرْتَفَعَاتِهَا وَ﴿أَنْزَابًا﴾ وَمَتَسَاوِيَاتِ فِي السَّنَنِ. عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «﴿كَوَاعِبَ أَنْزَابًا﴾ فِتْيَاتُ نَاهِدَاتٍ»^٥.

﴿وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَسًا﴾ مِنْ خَمْرِ ﴿وَدِهَاقًا﴾ وَمَمْلُوءَةً كَمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^٦، أَوْ مُتَابَعَةً كَمَا عَنْ جَمَاعَةٍ^٧، أَوْ صَافِيَةٍ^٨.

وَهَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي الْجَنَّةِ ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ مِنْ أَحَدٍ ﴿فِيهَا﴾ كَلَامًا ﴿لَفُؤًا﴾ وَبَاطِلًا ﴿وَلَا كِذْبًا﴾ الَّذِي كَانَ الطَّاغُوتُ يَقُولُونَهُ فِي الْآيَاتِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ كَلَامًا مَشْوَشًا وَلَا كَلَامًا كَكَلَامِ الطُّغَاةِ.

وَقِيلَ: إِنَّ ضَمِيرَ ﴿فِيهَا﴾ رَاجِعٌ إِلَى الْكَأْسِ^٩، وَالْمَعْنَى لَا يَسْمَعُونَ فِي حَالِ شَرْبِهِمُ الْخَمْرَ كَلَامًا لَفُؤًا وَبَاطِلًا، إِذْ لَا تَغْتَفِرُ عُقُولُهُمْ، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ، كُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ ﴿جَزَاءً﴾ عَلَى عِقَائِهِمْ الصَّحِيحَةِ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ ﴿مِنْ رِزْقٍ﴾ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ، وَيَكُونُ ﴿عَطَاءً﴾ لَهُمْ ﴿حِسَابًا﴾ وَكَافِيًا، أَوْ كَثِيرًا زَائِدًا عَنْ اسْتِحْقَاقِهِمْ بِإِزَاءِ عَمَلِهِمْ، فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إِلَى الْمُطِيعِ بِمِقْدَارِ عَمَلِهِ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ،

١. تفسير الرازي ٣١: ١٩، وتفسير روح البيان ١٠: ٣٠٧، عن النبي ﷺ.

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٩، وتفسير روح البيان ١٠: ٣٠٧، هذا الحديث والذي قبله حديث واحد.

٣. تفسير الرازي ١٠: ٣٠٧. ٤. تفسير الرازي ١٠: ٣٠٨.

٥. تفسير القمي ٢: ٤٠٢، تفسير الصافي ٥: ٢٧٧. ٦- ٩. تفسير الرازي ٣١: ٢٠.

لأنه لو لم يُحسن لَرِمَ البخل وتساوي المُطيع والمعاصي، وهما مُحالان، وأما الزائد فأحساناً حَسَنٌ غير واجبٍ، فلذا جمع سبحانه في ثوابهم بين الجزاء والإحسان، وهذا مراد من قال: العطاء موضع الفضل لاموضع الجزاء، لأنَّ الجزاء على الأعمال، والفضل موهبةً من الله مختصةً بالخواص من أوليائه.

عن (الأمالي) عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: «حتى إذا كان يوم القيامة حسب لهم حسناتهم، وأعطاهم بكل واحدٍ عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: ﴿جَزَاءٌ مِّن رَّكْعٍ عَطَاءٌ حِسَاباً﴾»^١.

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً [٣٧ و ٣٨]

ثمَّ بيَّن سبحانه علَّة جزائه وكثرة عطائه بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هو ﴿الرَّحْمَنُ﴾ والفياض المُطلق على جميع الممكنات بجميع الخيرات، فمن كان بهذه العظمة والجود لا يضيع عمل عاملٍ عنده، ولا يكون عطائه قليلاً، بل كان في غاية العظمة، ويكون من عظمته وكبريائه أنَّ الأنبياء والرسل وأعظم الملائكة ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ﴾ لغاية عظمته وكبريائه ﴿خِطَاباً﴾ ومكالمته معه والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب.

ثمَّ لما كان المشركون مدَّعين أنَّ الملائكة والأصنام شُفعاءهم عند الله يوم القيامة، ردَّهم سبحانه بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ الذي هو أعظم من جميع الملائكة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ الذين هم سُكَّان السماوات وأقرب الموجودات إلى الله تعالى ﴿صَفًّا﴾ واحداً أو أكثر ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ في ذلك اليوم إجلالاً له وخُضوعاً لديه وخوفاً منه ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في التكلُّم والشفاعة ﴿وَقَالَ﴾ ذلك المأذون قولاً ﴿صَوَاباً﴾ وحقاً واقعاً في محلِّه ومرضياً عنده، فكيف بغيرهم؟

وقيل: لا يتكلمون في حقِّ أحدٍ إلا في حقِّ شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صواباً وحقاً - وهو التوحيد - دون غيره من أهل الشرك^٢. وفي ذكر الرحمن هنا إشعارٌ بأنَّ مناط الإذن هو الرحمة الواسعة.

قيل: إن المراد بالروح جبرئيل^١، وتخصيصه بالذكر لكونه أفضلهم، وقال جمع: إنه أعظم من جبرئيل^٢.

عن ابن مسعود: أنه أعظم من السماوات والجبال^٣.

وعن ابن عباس: أنه ملك من أعظم الملائكة خلقاً^٤.

وعن القمي: أنه ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ وهو مع الأئمة عليهم السلام، وهو مروي عن الصادق عليه السلام^٥.

وعن الكاظم عليه السلام: «نحن والله المأذونون لهم يوم القيامة، والقائلون صواباً». قيل: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: «نمجد ربنا، ونصلي على نبينا، ونشفع لشيعتنا ولا يزدنا ربنا»^٦.

ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا [٣٩ و ٤٠]

ثم أكد سبحانه ثبوت ذلك اليوم ورغب الناس في التهيئة له بقوله: «ذَلِكَ» اليوم «الْيَوْمَ الْحَقُّ» الثابت الذي لا ريب فيه، أو اليوم الذي يُحَقَّقُ فيه كلُّ حقٍّ ويُبْطَلُ فيه كلُّ باطل، فإذا عَلِمْتُمْ ذلك «فَمَنْ شَاءَ» النجاة من العذاب والتَّيْلُ بالثواب «اتَّخَذَ» واختار لنفسه «إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ» وسبيلاً بالآيمان بتوحيده ورسالة رسوله، وبالأعمال الصالحة.

ثم أعلن سبحانه في الناس إتماماً للحُجَّةِ عليهم بقوله: «إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ» أيها الناس في هذه السورة، أو في القرآن «عَذَابًا» في الآخرة «قَرِيبًا» وقوعه على الكفار والعصاة، فإن كلَّ آتٍ قريب وإن تَرَوْنَهُ بعيداً.

ثم بالغ سبحانه في التخويف والإنذار بقوله: «يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ» والإنسان المكلف إلى «مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» والذي ارتكبت جوارحه في الدنيا من الطاعة والعصيان.

وقيل: يعني اذكروا يوم ينظر الإنسان أي شيء قدَّمَتْ يده من الخير والشر والطاعة والعصيان بالنظر إلى صحيفة أعماله، فإن رأى فيها الأعمال الصالحة فرحَ ورجا ثواب الله، وإن رأى فيها الأعمال السيئة حزنَ وخاف العقاب^٧.

١. تفسير الرازي ٣١: ٢٤.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٣١٠.

٣ و ٤. تفسير الرازي ٣١: ٢٣.

٥. تفسير القمي ٢: ٢٦ و ٤٠٢، تفسير الصافي ٥: ٢٧٧.

٦. الكافي ١: ٩١/٣٦١، تفسير الصافي ٥: ٢٧٧.

٧. مجمع البيان ١٠: ٦٤٧، تفسير روح البيان ١٠: ٣١١ و ٣١٢.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ حين رأى تبعات كفره وعصيانته وخلوّ صحيفته من الحسنات: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ﴾ في الدنيا ﴿تُرَاباً﴾ ولم أكن إنساناً مُكَلِّفاً حتى ابتلي بالعذاب، أو ليتني كنت في هذه اليوم تراباً ولم أبعث كما كنت تراباً قبل الإحياء وقيل: يعني يا ليتني كنت متواضعاً ولم أكن متكبراً^١.
وقيل: إنّ المراد بالكافر إبليس، وهو يقول: يا ليتني كنت مخلوقاً من تراب كآدم، ولم أكن مخلوقاً من النار^٢ حتى اتكبر على آدم، ومن السجود له.

وعن (العلل) عن ابن عباس، أنّه سُئِلَ: لم سَمَى رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أبا تراب؟ قال: «لأنّه صاحب الأرض وحُجّة الله على أهلها بعده، وبه^٣ بقاؤها، وإليه سُكونها». قال: لقد سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: إنّهُ إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أَعَدَّ الله تبارك وتعالى لشيعته عليّ من الثواب والزّلزلة والكرامة قال: يا ليتني كنت تُراب، أي من شيعته عليّ، وذلك قول الله: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾^٤.

عن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ لم تخرُج سسته - إذا كان مُدْمِنها في كل يوم - حتى يزور بيت الله الحرام إن شاء الله تعالى»^٥.

١. تفسير الرازي ٣١: ٢٦.

٢. مجمع البيان ١٠: ٦٤٨، تفسير أبي السعود ٩: ٩٥، تفسير روح البيان ١٠: ٣١٢.

٣. في النسخة وتفسير الصافي: وله. ٤. علل الشرائع: ٣/١٥٦، تفسير الصافي ٥: ٢٧٨.

٥. ثواب الاعمال: ١٢١، مجمع البيان ١٠: ٦٣٧، تفسير الصافي ٥: ٢٧٨.

في تفسير سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ
سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ
يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ *
إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ *
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ [١٤-١]

ثم لما خُتِمت السورة النبأ المتضمنة لأحوال القيامة، والاستدلال على وقوعها، وسوء حال الكافرين المكذبين لها، وحسن حال المؤمنين المُقَرَّين بها، تُضِمَّت سورة النازعات المتضمنة لتلك المطالب العالية، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بذكر الايمان بأصناف الملائكة بقوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ والجاذبات من الملائكة لأرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾ ونزعاً وجذباً شديداً من أجسادهم كما يُنَزَعُ في القوس بشدة حتى يُتَهَيَّأ إلى النَّصْلِ ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ والمُخْرِجَاتِ من الملائكة أرواح المؤمنين ﴿نَشْطًا﴾ إخراجاً بِرَفْقٍ وَلُطْفٍ من أبدانهم، كما يُخْرِجُ الدلو من البئر ﴿وَالسَّابِحَاتِ﴾ والمُرفقات في ذلك الإخراج لئلا يصل إليهم ألمٌ وشدة، كما يرفق السابح في الماء في حركاته لئلا يغرق في الماء ﴿سَبْحًا﴾ ورفقاً بالغا لئلا يجسوا تعباً ﴿فَالسَّابِقَاتِ﴾ والمسرعات من الملائكة بأرواح الكفار إلى الغار وأرواح المؤمنين إلى الجنة والراحة والنَّعمة، ليروا صدق مواعيد الله ﴿سَبْقًا﴾ وسرعة لا يشابهها^١ سبق سابق وسرعة سريع ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ﴾ من أولئك الملائكة ﴿أَمْرًا﴾ أراد الله في حق كلٍّ منهم من العقاب والثواب للذين أعدهما^٢ الله لهم في الآخرة، على ما رواه العامة عن أمير المؤمنين، وابن عباس، ومسروق^٣.

٢. في النسخة: أعدّه.

١. في النسخة: لا يشابهه.

٣. تفسير الرازي ٣١: ٢٧، وفي النسخة: ابن مسروق.

قيل: نُكْتة عطف الثاني والثالث بالواو^١ مع اتحاد الكلّ الإشعار بأنّ كلّ واحدٍ من الأوصاف من الصفات العظيمة الجليلة الحقيقة بأن يكون كلّ على حiale مَنَاطاً لاستحقاق موصوفه للتعظيم والجلال، وعطف الرابع والخامس بالغاء لتفرعها على الأول.

وعن الصادق عليه السلام: قوله ﴿النَّازِعَاتِ﴾ قال: «هم ملائكة الموت ينزعون النفوس»^٢.

وعن الباقر عليه السلام: «﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾ تسبق أرواح المؤمنين إلى الجنة»^٣.

وقيل: إنّ المراد من الثلاثة الآخر عموم الملائكة المأمورين لأُمُور العالم^٤، والمراد من السابحات طوائف الملائكة الذين ينزلون من السماء بسرعة كالساحب في الماء لعامة الأمور، ولازم السرعة هو التقدّم في السير وإجراء الأمور وتديرها بغير تراخ.

وقيل: إنّ السابقات الملائكة الذين يسبقون الشياطين بالوحي إلى الأنبياء^٥.

وقيل: النازعات صفة النجوم التي تكون ذوات نزع وجذبٍ من تحت الأرض إلى فوقها نزعاً شديداً^٦، والناشاطات هي النجوم التي تسير من بُرجٍ إلى بُرجٍ، فالمراد من نزعها حركتها اليومية، ومن نَشْطها حركاتها الخاصة في أفلاكها بحركة ملائمة لذواتها، والمراد من السابحات هي النجوم تسبح في الفلك، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^٧ ووصفها بالسابقات باعتبار سَبَق بعضها على بعض، ووصفها بالمديرات باعتبار ما يترتب عليها من الآثار كاختلاف الفصول وتمييز الأوقات واختلاف الأحوال، وعلى أيّ تقدير كلّها قسمٌ على وقوع البعث والقيامة، والتقدير: أقسم بهذه الأمور العظام لتبعثن بعد الموت، أو لننْفَخَنَّ في الصُّور، أو إن ما تُوعدون لواقع.

وقيل: إنّ جواب القسم مذكور، وهو قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾^٨ والمعنى: أنّ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ وتتزلزل وتضطرب شديداً جميع الأجرام الساكنة كالأرض والجبال بالنفخة الأولى التي هي ﴿الرَّاجِفَةُ﴾ والمُحَرَّكة لكلّ شيء، فأسند الفعل إلى سببه لأنّ النفخة سبب لاضطراب الاجرام، ثمّ ﴿تَتَّبِعُهَا﴾ وتحدّث بعدها النفخة الثانية التي هي ﴿الرَّادِفَةُ﴾ للإحياء، والمراد باليوم الزمان الممتدّ الذي يقع بين النفختين.

١. تفسير أبي السعود ٩: ٩٦.

٢. مجمع البيان ١٠: ٦٥١، تفسير الصافي ٥: ٢٧٩، وفيهما: هو الموت ينزع النفوس.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٠٣، تفسير الصافي ٥: ٢٧٩. ٤. مجمع البيان ١٠: ٦٥٢.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٢٨. ٦. تفسير الرازي ٣١: ٢٩.

٧. الأنبياء: ٣٣/٢١. ٨. تفسير الرازي ٣١: ٣٣.

عن النبي ﷺ: «أَنْ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^١.

وَرُوي أَنَّ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ يُمْطَرُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَصِيرُ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهَا كَالنُّطْفِ^٢.

وقيل: إِنَّ الرادفة يوم القيامة^٣.

وقيل: إِنَّ الرادفة الأرض والجبال^٤، والرادفة السماء، فأنها تنشق، والكواكب فأنها تنثر^٥.

وقيل: الرادفة زلزلة ثانية تتبع الزلزلة الأولى حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ وَتُقْنَى^٦.

﴿قُلُوبٌ﴾ كثيرة للكفار ﴿يَوْمَئِذٍ وَاجِعَةٌ﴾ ومضطربة من خوف الله وأحوال ذلك اليوم، ومن لوازم اضطراب القلوب وخوف النفوس ما أخبر سبحانه بقوله: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ وخاضعة ذليلة مترقبة لما ينزل بها من الأمور العظام، فَإِنَّ أَوْلَئِكَ الْكَافِرَ كَانُوا ﴿يَقُولُونَ﴾ إنكاراً للبعث أو استهزاء به: ﴿إِنَّا لَمَعَزُدُودُونَ﴾ بعد الموت ﴿فِي الْخَافِرَةِ﴾ والحالة الأولى التي كانت لنا من البينة والحياة والقوة؟ ثُمَّ يبالغون في الإنكار بقولهم: ﴿إِذَا كُنَّا﴾ وصرنا في القبور ﴿عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ وبالية يمكن بعثنا وإحيائنا؟ هيهات لا يكون ذلك أبداً. ثُمَّ ﴿قَالُوا﴾ بطريق الاستهزاء بالبعث: ﴿تِلْكَ﴾ الرجعة إلى الحياة التي تَدْعُونَهَا ﴿إِذَا﴾ وعلى ما تقولون ﴿كُرَّةٌ﴾ ورجعة ﴿خَاسِرَةٌ﴾ ومُضَرَّةٌ لنا إِذْ كُنَّا نُنْكِرُهَا وَنَكْذِبُ مَدْعِيهَا.

ثُمَّ لَمَّا كَانُوا يَسْتَعْصِمُونَهَا عَلَى اللَّهِ لَزَعْمَهُمْ عَجَزَ عَنْهَا، بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ نَهَايَةَ سَهولَتِهَا عَلَيْهِ بقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ حاصلة لامحالة وما توجد لها إِلَّا ﴿زَجْرَةٌ﴾ وصيحة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ بأمرنا، لَانْتِكَرَرُ فِيهَا، فيسمعها جميع الخلق في بطون الأرض وأقطارها، كنفخ واحد في صُور الناس لإقامة القافلة والعسكر ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ محيون ومبعثون ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ والأرض البيضاء المستوية بعد ما كانوا أمواتاً وعظاماً وثراباً.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَمِيزَةً لِمَنْ يَخْشَى [١٥-٢٦]

ثم لما كان تكذيب المشركين للنبي ﷺ في إخباره بالمعاد ودار الجزاء مؤلماً لقلبه الشريف، سلاه سبحانه بحكاية معارضة فرعون موسى بن عمران في دعوته إلى التوحيد، وإنه مع إنكاره ادعى الربوبية، فابتلاه الله بالعذاب مع كونه أقوى من قومه بقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد، وقيل: إن ﴿هَلْ﴾ هنا بمعنى (قد)^١ والمعنى قد جاءك ﴿حَدِيثٌ﴾ دعوة ﴿مُوسَى﴾ فرعون. وقيل: إن المعنى: هل بلغك خبره، أم أنا أخبرك به؟^٢ وهذا التعبير للترغيب في الاستماع لیتسلى به.

ثم ذكر الحديث بقوله: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ قيل: إن التقدير اذكر حين ناداه ربه^٣ ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ والأرض المطهرة عن الشرك، واسم ذلك الوادي ﴿طُوًى﴾ وهو على ما قيل: واقع بين المدينة ومصر.^٤ وقيل: إنه وادٍ بالشام عند الطُّور.^٥ وعن ابن عباس: أن طُوًى بمعنى الرجل بالعبرائية^٦، والمعنى: يا رجل ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ وقيل: إنه بمعنى ساعة من الليل^٧ اذهب برسالتى إلى فرعون ملك مصر ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ وتجاوز عن الحد في الكفر والعصيان والتكبر على الخلق حتى استبعدهم على ما قيل^٨. فاذا جنته ﴿فَقُلْ﴾ له بلسان لَيْنٍ يا فرعون ﴿هَلْ لَّكَ﴾ مِيلٌ ورغبة ﴿إِلَىٰ أَنْ تَزُكَّىٰ﴾ وتتطهر من دَسِّ الكفر والكبر والأخلاق السيئة الرديئة. ﴿وَأَهْدِيكَ﴾ وأدلك إلى الطريق المقرب ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ومعرفته وطاعته ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ من عصيانه وعذابه بعد معرفته والعلم بوجوب طاعته؟ فجاء موسى بأمر ربه وحسب رسالته إلى فرعون، وجرى بينه وبينه ما جرى إلى أن قال فرعون: فان كنت جنت بأية فات بها ﴿فَأَرَاهُ﴾ موسى ﴿آيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ والمعجزة العظمى بإلقائه عصاه وصيرورتها ثعباناً عظيماً، أو باليد البيضاء، أو بهما ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون بموسى ونسب معجزاته إلى السحر ﴿وَوَعَصَىٰ﴾ ربه وتمرد عن طاعته مع علمه بصدق رسوله. ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ وأعرض عن الإيمان بموسى وهو ﴿يَسْعَىٰ﴾ ويجتهد في إبطال أمر رسالته وإطفاء نوره عناداً ولجاجاً.

قيل: لما رأى فرعون الثعبان أدبر وأسرع في مشيته^٩ خشية منه ﴿فَحَسَرَ﴾ وجمع السحرة لمعارضة موسى وسائر الناس ليروا غلبة السحرة عليه ﴿فَنَادَىٰ﴾ في مجتمعهم بنفسه، أو بتوسط منادٍ منه قبله ﴿فَقَالَ﴾: أيها الناس ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾ والحكم ﴿الْأَعْلَىٰ﴾ من كل من يلي أموركم من الملوك والأمراء، أو من الأصنام التي تعبدونها ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ بسبب طغيانه ودعواه الربوبية والألوهية ونكل

١. تفسير الرازي ٣١: ٣٨، تفسير أبي السعود ٩: ٩٩. ٢. تفسير الرازي ٣١: ٣٨، تفسير روح البيان ١٠: ٣١٩.

٣. تفسير الطبري ٣٠: ٢٥. ٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣١٩.

٥ و ٦. تفسير الرازي ٣١: ٣٨. ٧. تفسير الرازي ٣١: ٣٨.

٨. تفسير الرازي ٣١: ٣٩، تفسير روح البيان ١٠: ٣٢٠.

٩. الكشف ٤: ٦٩٦، تفسير الرازي ٣١: ٤٢، تفسير روح البيان ١٠: ٣٢١.

به ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ﴾ وعاقبه بالعقوبة الشديدة، وهي إحراقه في القيامة بالنار ﴿و﴾ نَكَالَ ﴿الْأُولَى﴾ والعقوبة الدنيوية، وهي غَرْقَه في الماء.

وقيل: إنَّ المراد من الأولى قوله ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^١ ومن الآخرة قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^٢.

عن الباقر عليه السلام: «أنه كان بين الكلمتين أربعون سنة»^٣.

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: قال جَبْرِئِيلُ: قلت: يا رب تدع فرعون وقد قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾» فقال: إنما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت»^٤.
وقيل: إنَّ الأولى تكذيبه موسى^٥.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الذَّكْر من طُغْيَان فرعون وتعذيبه في الدنيا بغرقه في الماء وإحراقه بالنار في الآخرة والله ﴿لَعِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَوْعِظَةٌ شَافِيَةٌ لِمَنْ يَخْشَى رَبَّهُ وَيَخَافُ عَذَابَهُ﴾.

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا
وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا *
وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنفَامِكُمْ [٢٧-٣٣]

ثم لما حكى سبحانه النكار المشركين للبعث وسهولته عليه تعالى، بيَّن كمال قدرته على خلق أعظم من إعادتهم وخلقهم ثاني مرة بقوله: ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ أيها المنكرون للبعث ﴿أَشَدُّ﴾ وأصعب ﴿خَلْقًا﴾ في زعمكم ﴿أَمْ السَّمَاءُ﴾ التي ﴿بَنَاهَا﴾ الله مع كمال عظمتها وقوة تأليفها وانطوائها في البدائع التي تُحَار في أدناها العقول؟! وقيل: إنَّ التقدير أم السماء أشدُّ؟^٦

ثم ابتدأ الكلام في بيان كيفية خلقها بقوله: ﴿بَنَاهَا﴾ والمراد غاية استحكامها كاستحكام أسافل القصور والبيوت ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ وعلوها على الأرض كثيراً مسير خمسمائة عام. وقيل: إنَّ المراد بالسَّمَك ارتفاع السطح الأعلى بين السطح الأسفل الذي يُعْبَر عنه بالثَّخَن والغِلْظ^٧.

﴿فَسَوَّاهَا﴾ وعدلها وأقامها على وَفْق الحكمة والصواب، أو سَوَّى تأليفها أو نفى الشُّقُوق عنها ﴿وَأَغْطَشَ﴾ وأظلم ﴿لَيْلَهَا﴾ والقطعة من الزمان التي تغيب الشمس فيها ضوء الشمس بحركتها

١. القصص: ٣٨/٢٨. ٢. مجمع البيان ١٠: ٦٥٦، تفسير الرازي ٣١: ٤٣.

٣. الخصال: ١١/٥٣٩، مجمع البيان ١٠: ٦٥٦، تفسير الصافي ٥: ٢٨١.

٤. مجمع البيان ١٠: ٦٥٦، تفسير الصافي ٥: ٢٨١. ٥. تفسير الرازي ٣١: ٤٣.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٣٢٤. ٧. تفسير روح البيان ١٠: ٣٢٤.

ودورانها ﴿وَأَخْرَجَ﴾ وأبرز ﴿حُصَّاهَا﴾ والقطعة من الزمان التي يظهر فيها ضوء الشمس بحركتها. قيل: إنما عبر سبحانه عن النهار بالصُّحى الذي هو وقت ارتفاع الشمس، لكونه أشرف أوقاته^١، فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان، كما أن تأخير ذكره عن الليل لأن إضاءة النور بعد الظلمة أتم في الانعام.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الخلق العظيم ﴿دَحَاهَا﴾ وبسطها ومهدا لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها. قيل: إن الله تعالى خلق الأرض أولاً قبل السماء غير قابلة للسكنى، ثم خلق السماء، ثم بسط الأرض بعد خلق السماء، كما عن ابن عباس^٢.

وقيل: إن كلمة ﴿بَعْدَ﴾ هنا بمعنى (مع) والمعنى: أن الأرض مع ذلك دحاهها، كما في قوله: ﴿عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زُرِيمٌ﴾^٣ روى ذلك أيضاً عن ابن عباس^٤.

وقيل: إن المراد من دحوها بسطها بحيث تكون مهية لنبات الأقوات^٥، ولذا قال سبحانه بعد بيان نعمة دحو الأرض: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ وفجر عيونها ﴿وَوَ﴾ أخرج ﴿مَرْعَاهَا﴾ وأنبت منها ما يأكل الناس والأنعام من نباتاتها ﴿وَالْجِبَالَ﴾ على الأرض ﴿أَرْسَاهَا﴾ وأثبتها، وأما خلق الله سبحانه جميع ذلك ليكون ﴿مَتَاعاً﴾ وما به الانتفاع ﴿لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَلَا تَنَامِكُمْ﴾ ومواسيكم.

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ
لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى
* وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَى [٤١-٣٤]

ثم لما بين سبحانه كمال قدرته على إحياء الأموات وأعظم منه ويعظم للحساب، أخبر عن وقوعه وشدة أهواله بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ والداهية العظمى التي تصغر عندها كل داهية سواها، وبلغ وقت ظهورها، أعنى ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ المكلف في ذلك اليوم العظيم الهائل ﴿مَا سَعَى﴾ وما عمله في الدنيا من خير أو شر برويته بصورته الأخروية، أو في صحيفة أعماله، وقد نسبة للعجلة، أو لطول المدة، أو للوحشة والدّهشة.

١. تفسير أبي السعود ٩: ١٠١، تفسير روح البيان ١٠: ٣٢٤.

٢. تفسير الرازي ٣١: ٤٨، ولم ينسب إلى أحد.

٣. القلم: ٦٨/١٣.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٤٨.

قيل: إِنَّ الداهية الكبرى هي وقت تطاير الكتب يوم القيامة وقرأتهم أعمالهم فيها^١.
وعن (الإكمال) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ الطامة الكبرى خروج دابة الأرض»^٢.
«وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ» وأظهرت جهنم إظهاراً مكشوفاً «لِمَنْ يَرَى» ويصير من أهل المحشر كأننا
من كان زوي أَنَّهُ يُكْشَفُ عن الجحيم [فتلظى] فيراها كل ذي بصير مؤمن وكافر^٣.
«فَأَمَّا مَنْ طَغَى» على الله وتجاوز عن الحد بالعصيان بالكفر والشرك. وعن أمير المؤمنين عليه السلام:
«مَنْ طَغَى» أي ظل على عمده^٤ بلا حجة^٥. «وَأَثَرُ» ورجح في نظره لنفسه «أَلْحَيَاةُ الدُّنْيَا»
ولذاتها وجَمَعَ زخارفها، وقَدَمَها على الآخرة ونعمها «فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» والمقر له في
الآخرة أبداً لآنجاه له منها.

قيل: نزلت في النضر بن الحارث وأبيه الغالين في الكفر والطغيان^٦.
«وَأَمَّا مَنْ آمَنَ» و«خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» وحين قيامه بالحكومة بين الناس وحضور نفسه في محضر
عدل خالقه للحساب، أو مقامه بين يدي ربه وخالقه «وَوَ» لذا «نَهَى النَّفْسَ» ومنعها «عَنِ» اتباع
«أَهْوَايَ» والعمل بما ترغب فيه من الشهوات واللذات الدنيوية المانعة عن اتباع الحق والعمل بما
فيه رضا خالقه «فَإِنَّ الْجَنَّةَ» العالية وقصورها «هِيَ الْمَأْوَى» والمقر له في الآخرة أبداً لا غيرها.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ
مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا * كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً
أَوْ ضُحَاهَا [٤٦-٤٢]

ثم لما ذكر سبحانه وقع القيامة بعد إثبات إمكانه، حكى استهزاء المستهزئين من المشركين بالسؤال
عن وقت وقوعه أَنَّهُ قَرِيبٌ أو بعيد بقوله: «يَسْأَلُونَكَ» يا محمد، وأولئك الكفار استهزاء «عَنِ» وقت
«السَّاعَةِ» والقيامة ويقولون: «أَيَّانَ مُرْسَاهَا» وفي أي وقت إتيانها وقيامها؟ أخبرنا به إن كنت من
الصادقين.

ثم ردَّهم الله سبحانه وأنكر عليهم سؤالهم عنها بقوله: «فِيمَ أَنْتَ» يا محمد «مِنْ ذِكْرَاهَا» وفي
أي شيء تكون من أن تبين لهم وقتها، وتعليمهم به مع اختصاص العلم بها بعلام الغيوب، وعدم
اطلاع غيره تعالى عليها كأننا مَنْ كَانَ مِنْ مَلَكٍ أو نَبِيٍّ مرسل؟ «إِلَى رَبِّكَ» العالم بكل شيء

١. اكمال الدين: ١/٥٢٧، تفسير الصافي ٥: ٢٨٢.

٢. في النسخة: عمل.

٣. تفسير أبي السعود ٩: ١٠٤.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٥٠.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٣٢٦.

٦. الكافي ٢: ١/٢٨٩، تفسير الصافي ٥: ٢٨٢.

﴿مُنْتَهَاهَا﴾ وإليه راجع علمها، فإن حكمته اقتضت إخفاءها، فكيف يسألونك عنها؟
 ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿مُنْذِرٌ﴾ من قبل الله بالإخبار بوقوعها ﴿مَنْ يَخْشَاهَا﴾ وليست وظيفتك إلا تخويف الناس بإتيانها وإقترابها^١ وبيان أهوالها وشدائدها، ولا يجب عليك تعيين وقت وقوعها بجميع الخصوصيات، وأما تعيينها إجمالاً فهو وقت انقضاء عُمر الدنيا، وهو في غاية السرعة، وإن كان بعد مائة ألف سنة وأزيد ﴿كَانَهُمْ﴾ ويُسبَّه أن المنكرين ﴿يَوْمَ﴾ تقع القيامة وحين ﴿يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا﴾ ولم يَمُكُثُوا في الدنيا ولو عَمَرُوا فيها ألف سنة ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ وساعة من آخر يوم ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ وساعة من أول يوم تلك العشيّة، ولم يتخللوا أن مَكُثَهُمْ فيها يوماً كاملاً لسرعة انقضاء عمرهم فيها، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾^٢.
 عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ كان مَمَّنْ حَبَسَهُ اللهُ فِي الْقَبْرِ^٣ والقيامة حتى يُدْخِلَهُ الجنة قدر صلاة مكتوبة»^٤.
 وعن الصادق عليه السلام: «من قرأ ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ لم يَمُتْ إِلَّا رَيَّاناً، ولم يبعثه الله إِلَّا رَيَّاناً، ولم يُدْخِلْهُ إِلَّا رَيَّاناً»^٥.

الحمد لله على توفيقه لاتمام تفسيرها.

١. في النسخة: وإقربها. ٢. يونس: ٤٥/١٠. ٣. (القبر و) ليست في تفسير البيضاوي.

٤. تفسير البيضاوي ٢: ٥٦٧، تفسير روح البيان ١٠: ٣٣٠.

٥. ثواب الاعمال: ١٢١، مجمع البيان ١٠: ٦٤٩، تفسير الصافي ٥: ٢٨٣.

في تفسير سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُذِيرُكَ لَعَلَّهٗ يَزْكُرُ * أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَةً
الَّذِينَ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكُرِيَ
* وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى [١٠ - ١]

ثم لما ختمت سورة (والنازعات) المتضمنة لبيان تكذيب المشركين للمعاد، والاستدلال على مكانه والإخبار بوقوعه، وتهديدهم بأنه يوم الطامة الكبرى، وبيان حال المكذبين بالمعاد والمؤمنين به، نُظِمت سورة (عبس) المتضمنة لتلك المطالب، وتهديد المكذبين بالصاخرة المتقارب للطامة، فافتتحها بذكر أسمائه بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع سبحانه في تأديب المسلمين بتوجيه العتاب إلى عثمان بن عفان بقوله: ﴿عَبَسَ﴾ عثمان وقبض وجهه وجمع الجلدة التي بين عينيه غضباً ﴿وَتَوَلَّى﴾ وأعرض لأجل ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ قال القمي رحمه الله: إنها نزلت في عثمان وابن أم مكتوم، وكان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله، وكان أعمى، وجاء إلى رسول الله وعنده أصحابه، وعثمان عنده، فقدمه رسول الله ﷺ على عثمان، فعبس عثمان وجهه وتولى عنه، يعني عثمان أن جاءه الأعمى^١.

وعن الصادق عليه السلام نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي ﷺ فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تقدّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه فحلى الله ذلك وإنكره عليه^٢.

وروى بعض العامة أن ابن أم مكتوم، وكان اسمه عبدالله بن شريح بن مالك من بني عامر بن لؤي^٣. وقيل: اسمه [عمرو بن] قيس بن زائدة من بني عامر بن هلال، ابن خال خديجة، وكان (أم مكتوم) كنية جدته^٤. وقيل: كنية أمه^٥، روي إنه أتى رسول الله ﷺ وهو بمكة وعنده صناديد قريش منهم عتبة

٢. مجمع البيان ١٠: ٦٦٤، تفسير الصافي ٥: ٢٨٤.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٣٣٠.

١. تفسير القمي ٢: ٤٠٤، تفسير الصافي ٥: ٢٨٤.

٣. الكشف ٤: ٧٠٠، تفسير روح البيان ١٠: ٣٣٠.

وشيبة بن ربيعة وابو جهل والعباس بن عبد المطلب وامه خلف والوليد بن مغيرة يدعوه إلى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال للنبي ﷺ اقرني وعلمني مما علمك الله، وكثر ذلك، فكره النبي ﷺ قطعه الكلام وعبس وأعرض عنه، فنزلت هذه الآيات^١.

وكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول: إذا مدحه: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، رواه الزمخشري، والفخر الرازي، وأبو السعود، وإسماعيل الحقي^٢، وقال الفخر: أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى هو الرسول ﷺ، وأجمعوا على أن الأعمى ابن أم مكتوم^٣.

وقال بعض علماء أصحابنا، ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النبي ﷺ دون عثمان أباه سياق مثل هذه المعاتبات للنبي ﷺ الغير اللاتفة بمنصبه، وكذا ما ذكر بعدها إلى آخر السورة^٤.

ووجه بعض العامة فعل النبي ﷺ بأن ابن أم مكتوم كان سؤاله حراماً في الواقع عن النبي ﷺ لكونه إيذاءً ومازناً له عما هو الأهم من دعوة جمع من صناديد قريش إلى الإسلام، وكان الواجب على النبي ﷺ، الإعراض عنه والاشتغال بالأهم مع أنه كان مأذوناً في تأديب المسلمين، ولذا كان ابن أم مكتوم مستحقاً للعتاب، ولكن لما كان فعل النبي ﷺ موهماً لتقديم الأغنياء على الفقراء، أو لأنه كان ميل النبي ﷺ إلى إسلامهم لقرباتهم وشرفهم وعلو منزلتهم، والنفرة على الأعمى الذي لا قرابة له ولا شرف^٥، والعبوس والتولي كانا لتلك الداعية، عاتبه الله عليه، لأنه ترك للأولى، والتعبير عن ابن أم مكتوم بالأعمى الدال على تحقيره، وإن نافي تعظيمه بتوجيه العتاب إلى النبي ﷺ بسبب إعراضه عنه وتعيين وجهه، إلا أن في التعبير إشعاراً باستحقاق الأعمى مزيد الرفق والرافة، أو لعدوه في قطع كلام النبي ﷺ، أو لزيادة الإنكار كأنه قال تعالى: تولى لكونه أعمى، مع أنه لا يليق هذا بمن له خلق كريم.

أقول: بعد الاعتراف بأنه كان الواجب على النبي ﷺ الإعراض والتولي عنه، والاشتغال بما هو الأهم، وكون تأديب المسلمين وظيفته ﷺ، وكون ميل النبي ﷺ إلى إسلامهم لقرباتهم وشرفهم، مع كونه مأموراً بإبذار خصوص أقربائه بقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^٦ وكون إسلامهم سبباً لاسلام عامة قريش، بل أكثر العرب، أي مجال للعتاب وتوهين النبي ﷺ إلى يوم القيامة بأداء الواجب عليه، وكون داعية إسلامهم موجباً لغاية تعظيمه، لا توهينه وتعظيم الأعمى، وأما دعوى أنه

١. الكشف: ٤: ٧٠٠، تفسير الرازي: ٣١: ٥٤، تفسير أبي السعود: ٩: ١٠٧، تفسير روح البيان: ١٠: ٣٣٠.

٢. الكشف: ٤: ٧٠١، تفسير الرازي: ٣١: ٥٤، تفسير أبي السعود: ٩: ١٠٧، تفسير روح البيان: ١٠: ٣٣١.

٣. تفسير الرازي: ٣١: ٥٥. ٤. تفسير الصافي: ٥: ٢٨٥.

٥. تفسير الرازي: ٣١: ٥٥، تفسير روح البيان: ١٠: ٣٣٢. ٦. الشعراء: ٢٦/٢١٤.

كان في قلب النبي ﷺ النفرة عن الأعمى لعدم القرابة بينه وبينه وعدم شرفه ففرية^١ عليه ﷺ، مع قولهم في توجيه التعبير بالأعمى بأنه لزيادة الإنكار على النبي ﷺ فكأنه تعالى قال: تولى لكونه أعمى، فرية^٢ على الله، لأنه عليم أنه ما تولى لكونه أعمى، بل تولى عنه للاشتغال بدعوة الأعاضام الذين إسلامهم في نهاية الأهمية.

ثم شدد سبحانه العتاب على العابس المتولي بتوجيه الخطاب إليه بقوله: ﴿وَمَا يُذْرِيكَ﴾ وأي شيء أعلمك بحال الأعمى؟ ﴿لَعَلَّه يَرْكُبُ﴾ ويتطهر بما يتعلم ويتلقن من الشك والأخلاق الرذيلة ﴿أَوْ يَذْكُرُ﴾ ويتعظ ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ﴾ والموعظة بزيادة رغبته في العبادة والطاعة.

ثم بالغ سبحانه في اللوم بقوله: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ وكان ذامال وثروة ﴿فَأَنْتَ﴾ يا عثمان ﴿لَهُ تَصَدَّى﴾ وإليه تعرض، وعليه تقبل بوجهك، وتقر به إليك ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾ ولائبالي ﴿أَلَّا يَرْكُبُ﴾ إذا كان الجاني غنياً ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ﴾ حال كونه ﴿يَسْعَى﴾ إلى الخير وتعلم أحكام الاسلام ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ الله ويخاف عقابه ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ وتعرض، ولا تقبل إليه، ولا تعني به ﴿كَلَّا﴾ لا تعرض عن المسلم المسترشد.

وأما على ما ذكر أهل السنة من شأن نزولها، فالمعنى ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ وأظهر عدم الحاجة إلى الايمان، أو إلى الله ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ وعليه تقبل بوجهك، وتقر به إليك، ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد وزر ووبال في ﴿أَلَّا يَرْكُبُ﴾ ولا يظهر ذلك المستغني بالاسلام حتى تهتم بأمره ودعوته، وتعرض عن أسلم فأنه ليس عليك إلا البلاغ ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ وهو يخشى الله ﴿فَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿عَنْهُ تَلَهَّى﴾ وتعرض ولا تقبل عليه ﴿كَلَّا﴾ لا تعرض للمستغني، ولا تعرض عن المسلم.

قال بعض مفسري العامة: لما تلا جبرئيل هذه الآيات على النبي ﷺ عاد وجهه كأنما دُر عليه الرماد، ويتنظر ما يحكم الله عليه، فلما قال: ﴿كَلَّا﴾ سُرِّي عنه^٣.

أقول: حُبهم لعثمان بعثهم على صرف الآيات عنه وتوجيهها إلى النبي ﷺ، مع أن المسلم لا يرضى به، مع القطع بأنه حبيب الله، ولا يرضى الله بإيلاف قلب حبيبه وتوحيته في أمته لإعراضه الواجب عليه عن الأعمى.

كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * رَّفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ *

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ [١١-١٦]

ثم إنه تعالى بعد هذه الموعظة النافعة مدح القرآن العظيم المشتغل عليها بقوله: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ وعظة لأهل العالم إلى يوم القيامة ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ التذكر والانتعاظ بالقرآن ﴿ذِكْرُهُ﴾ واتعظ به أو حفظه ولا ينساه، فإنه مكتوب آياته ﴿فِي صُحُفٍ﴾ ودفاتر متسخة من اللوح المحفوظ ﴿مُكْرَمَةٍ﴾ تلك الصحف عند الله، لكونها صحف القرآن الكريم ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ في السماوات، موضوعة في البيت المعمور الذي يكون في السماء الرابعة، أو في بيت العزة الذي يكون في السماء الدنيا، أو مرفوعة القدر والمنزلة ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ ومنزهة من مساس أيدي الشياطين، متسخة في السماء، أو منزلة إلى الأرض ﴿بِأَيْدِي﴾ ملائكة ﴿سَفَرَةٍ﴾ الذين يسافرون بالوحي بين الله وبين رُسله، أو الكتب كما عن ابن عباس^١ ﴿كِتَابٍ﴾ أولئك الملائكة على رءسهم، أو متكرمين من أن يكونوا مع ابن آدم عند الجماع وقضاء الحاجة ﴿بِرَّزَةٍ﴾ ومطيعين لله.

قيل: إن المراد من الصحف صحف الأنبياء^٢، والمراد من الشفرة الكتاب أصحاب الرسول^٣، أو القراء^٤، وليس بشيء.

قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ * كَلَالًا يَمْضِي مَا أَمْرُهُ [١٧-٢٣]

ثم لما كان الكفار تكبروا عن الايمان بهذا القرآن الذي يكون في نهاية العظمة، واستنكفوا عن تصديقه وقبوله، ذمهم سبحانه، وأظهر الغضب عليهم بقوله: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ﴾ وهو دعاء عليه بما يكون عند العرب أشنع الدعوات ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ وأشد كفره بربه مع كثرة إحسانه إليه وإنعامه عليه، أما يتفكر في أنه ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ﴾ حقير مهين ﴿خَلَقَهُ﴾ الله وكونه. قيل: نزلت في عتبة بن أبي لهب^٥. ثم بين سبحانه ذلك الشيء القدر الذي كان مبدأ خلقه بقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ قدرة ﴿خَلَقَهُ﴾ الله وأوجده ﴿فَقَدَرَهُ﴾ وسواه إنساناً كامل الأعضاء والجوارح والقوى. وقيل: يعني قدر كل عضو منه كميته وكيفية بالقدر اللائق بمصلحته^٦. وقيل: يعني قدره أطواراً نطفة ثم علقه ثم مضغه إلى آخر خلقه، ذكراً أو أنثى، سعيداً أو شقيماً^٧، فمن كان أصله ومبدأ خلقه ذلك الشيء الحقير المهين، كيف يرى لنفسه العظمة ويتكبر ويتبخر؟

٤-١. تفسير الرازي ٣١: ٥٨.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٥٩.

٧. تفسير الرازي ٣١: ٦٠، تفسير روح البيان ١٠: ٣٣٥.

٦- تفسير الرازي ٣١: ٦٠.

﴿ثُمَّ﴾ بعد إتمام خلقه في الرُّحْمِ ﴿السَّبِيلَ﴾ إلى الخروج منه ﴿يَسْرَةً﴾ وسهله بأن فتح له باب الرُّحْمِ ونكسه وقلبه بأن صير رجله من فوق ورأسه من تحت، أو المراد أنه تعالى بعد كبره سهل له سبيل الخير والنشر في الدين والسعادة والشقاوة، ومكنه من السلوك فيهما ﴿ثُمَّ﴾ إنه تعالى بعد انقضاء أجله ومدة حياته ﴿أَمَاتَةً﴾ بقدرته ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾ ودفنه في الأرض تَكْرِماً له وحفظاً له من أن يبقى على الأرض فتأكله السباع والطيور ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ﴾ ربه انشأه ﴿أَنْشَرَهُ﴾ وبعثه للحساب وجزاء الأعمال.

﴿كَلَامًا﴾ ليس للإنسان التكبر والترفع والكفر والطغيان وإنكار البعث ﴿لَمَّا يَفْقُصُ﴾ الإنسان ولم يمثل ﴿مَا أَمَرَهُ﴾ الله به من الإيمان والطاعة، بل أدخل به بالكفر والعصيان مع أن حق نعمائه أن يؤدي جميع ما أمره به.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا *
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا *
وَفَاكِهَةً وَأَبًّا [٢٤-٣١]

ثم عدَّ سبحانه إنعامه على الإنسان بقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ومأكوله الذي يعيش به، كيف دبرنا أمره؟ وعن الباقر عليه السلام أنه شغل: ما طعامه؟ قال: «علمه الذي يأخذه عمن يأخذه»^١.
﴿أَنَا صَبَبْنَا﴾ وأنزلنا من السماء بالأمطار ﴿الْمَاءَ﴾ أولاً ﴿صَبًّا﴾ نافعاً وافيةً للنباتات ﴿ثُمَّ﴾ بعد إنزال الماء ﴿شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا﴾ لانقاعاً بما يخرج من الأرض ما يبث منها صغراً وكبراً ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ بقدرتنا ورحمتنا ﴿حَبًّا﴾ كثيراً نافعاً من الحنطة والشعير وأصراهما مما يُحَصَّد ﴿وَعَيْنًا﴾ وشجر كرم ثمره غذاء وفاكهة ﴿وَقَضْبًا﴾ ورطباً مقطوعاً من النخل، كما عن ابن عباس^٢.
أو الرُّطبة التي يقال لها بالفارسية (اسپست) وإذا ليست سَمِيَتْ (بالفت) وهو علف الدواب والأنعام، كما في رواية أخرى عن ابن عباس^٣. وقيل: إنه كل نبات يؤكل رطباً كالكراث^٤. وقيل: إنه مُطلق العلف^٥.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ الذين هما أنفع الأشجار ﴿وَحَدَائِقَ﴾ وبساتين ﴿غُلْبًا﴾ ومتكاثفة الأشجار، أو ملتفها، أو ذوات أشجار عظام، كما عن ابن عباس^٦ ﴿وَفَاكِهَةً﴾ وثماراً يُلْتَذُّ بها ﴿وَأَبًّا﴾ وحشيشاً

١. تفسير روح البيان ١٠: ٣٣٨.

٢. الكافي ١: ٣٩٨، تفسير الصافي ٥: ٣٨٧.

٣. تفسير الرازي ٣١: ٦٢.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣٣٨.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٦٢.

٦. تفسير الرازي ٣١: ٦٣.

ومرعى.

رؤي أن أبابكر سئل عن قول الله: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ فلم يعرف معنى الأب وقال: أي سماء تظلني، أم أرض تظلني، أم كيف أصنع إن قلت في كتاب الله بما لأعلم، أما الفاكهة فنعرّفها وأما الأب فالله أعلم به فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام مقالته في ذلك، فقال: «سبحان الله! أما أعلم أن الأب هو الكلأ والمرعى»^١. أقول: من العجائب أنه كان في تمام زمان البعثة في حضور الرسول ﷺ وكانت قراءة القرآن من العبادات الشائعة في ذلك الزمان، وكان الرسول ﷺ يدرس القرآن ومعانيه وتفسيره، وهو بعد عمره كان جاهلاً باللغة المستعملة في القرآن، ولم يسأل النبي ﷺ وأصحابه، فكيف بسائر العلوم والأحكام؟

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ * فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ *
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [٣٧-٣٢]

ثم لما ذكر سبحانه ما يغتذي به الناس والأنعام، وجّه الخطاب إلى الناس تكميلاً لامتنانه عليهم بقوله: ﴿مَتَاعًا﴾ والتقدير خلقنا هذه الأغذية لتكون متاعاً ومنفعة ﴿لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ومواشيكم، فلا ينبغي لكم في حكم العقل أن تكفروا هذه النعم، وتتمردوا عن طاعة المُنعم عليكم، وتكبروا على رسوله وسائر عبيده.

ثم ذكر سبحانه بعض أهوال يوم القيامة ودار الجزاء إرعاباً للقلوب وتذكيراً لمعادهم بعد بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ ونزلت بكم الداهية العظيمة، وهي الصيحة التي تخرج من الصور بالنفخة الثانية التي يحيا بها الأموات في القبور فتفتح، وتفنيك شدتها أذانبهم، أو يفتحون ويستمعون لها، أعني من الصاخة.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ﴾ فيه ﴿الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ مع كمال الأنس بينهما في الدنيا وتظاهرها في الشدائد ﴿وَوَ﴾ من ﴿أُمِّهِ﴾ التي لها عليه حقوق كثيرة ﴿وَوَ﴾ من ﴿أَبِيهِ﴾ الذي كان في غابة العطوفة به والشفقة عليه ﴿وَوَ﴾ من ﴿صَاحِبَتِهِ﴾ وزوجته التي كانت أنيسته في الدنيا ﴿وَوَ﴾ من ﴿بَنِيهِ﴾ وأولاده الذين كانوا أحب الخلق إليه وأفلاذ كبده، وذلك الفرار إنما هو لأجل أن ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ﴾ وسُغِلَ عظيم وخطب هائل فطُيع ﴿يُغْنِيهِ﴾ ويكفيه في الاهتمام به بحيث لا مجال له أن يلتفت إليهم، أو يُغْنِيهِ ويصرفه عنهم، وهو اشتغاله بنجاة نفسه - التي هي أعز النفوس عنده من الأهوال والعذاب.

وقيل: إن علّة الفرار تضييعه لحقوقهم وارتكاب الظلم عليهم^١.

عن الرضا عليه السلام قال: «قام رجل يسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن آية ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ هَمٍّ﴾ وقال: من هم؟ قال: قابيل يفر من هابيل، والذي يفر من أمه موسى، والذي يفر من أبيه إبراهيم»^٢. أقول: لابد من حمل الرواية على بيان المثال.

روى في (المجمع) عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وآله أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يَبْعَثُ النَّاسُ حَفَاةَ عُرَا غُرَا^٣، يُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، وَيُلْغِ شَحْمَةُ الْأُذُنِ» قلت: يا رسول الله، واسوأناه ينظر بعضنا إلى بعض^٤؟ قال: شغل الناس عن ذلك» وتلا هذه الآية^٥.

وروى بعض العامة أن عائشة قالت: يا رسول الله، كيف يُحشَرُ الناس؟ قال: «حَاةَ عُرَا» قالت: وكيف تُحشَرُ النساء؟ قال: «خَفَاةَ عُرَا» قالت: واسوأناه النساء مع الرجال حفاة عرا؟ فقرأ رسول الله هذه الآية: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ إلى آخرها^٦.

وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُنْفَرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبَرَةٌ * تَرَاهُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ [٣٨-٤٢]

ثم ذكر سبحانه حسن حال المؤمنين بقوله: ﴿وَجُودٌ﴾ للمؤمنين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وفي ذلك الوقت الهائل ﴿مُنْفَرَةٌ﴾ ومشرقة كالشمس المضيئة ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ وفرحة للعلم بالفوز بالسعادة الأبدية، والنجاة من آلام الدنيا ومتاعها، والفراغ من الحساب بسرعة ويسر ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ بالنعيم المقيم والراحة الدائمة من قبل الله، أو الملائكة فانهم يقولون لهم: ﴿أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^٧. ﴿وَوُجُوهٌ﴾ آخر للأشقياء ﴿يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبَرَةٌ﴾ وكدورة من شدة الخوف ﴿تَرَاهُهَا﴾ وتغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ وظلمة وسواد كالذُخَانِ من الدخيلة والوحشة ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بسواد الوجه والغبرة ﴿هُمُ الْكَافِرَةُ﴾ بالله ورسله ﴿الْفَجَرَةُ﴾ في أعمالهم، والعصاة لخالقهم.

عن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ و ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ كان تحت جناح الله من الجنان، وفي ظلّ الله وكرامته في جنّاته، ولا يعظم ذلك على الله إن شاء الله تعالى»^٨.

١. تفسير الرازي ٣١: ٦٤، تفسير أبي السعود ٩: ١١٣.

٢. عبون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٧٤٥، تفسير الصافي ٥: ٢٨٨.

٣. الثعلب: جمع أغرل، وهو الذي لم يختن.

٤. زاد في النسخة وتفسير الصافي: إذا جاء.

٥. مجمع البيان ١٠: ٦٦٨، تفسير الصافي ٥: ٢٨٨.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٦٦١، تفسير الصافي ٥: ٢٨٩.

٧. فصلت: ٣٠/٤١.

٨. ثواب الأعمال: ١٢١، مجمع البيان ١٠: ٦٦١، تفسير الصافي ٥: ٢٨٩.

1. The first part of the document is a list of names.

2. The second part of the document is a list of names.

3. The third part of the document is a list of names.

4. The fourth part of the document is a list of names.

5. The fifth part of the document is a list of names.

6. The sixth part of the document is a list of names.

7. The seventh part of the document is a list of names.

8. The eighth part of the document is a list of names.

9. The ninth part of the document is a list of names.

10. The tenth part of the document is a list of names.

11. The eleventh part of the document is a list of names.

12. The twelfth part of the document is a list of names.

13. The thirteenth part of the document is a list of names.

14. The fourteenth part of the document is a list of names.

15. The fifteenth part of the document is a list of names.

16. The sixteenth part of the document is a list of names.

17. The seventeenth part of the document is a list of names.

18. The eighteenth part of the document is a list of names.

19. The nineteenth part of the document is a list of names.

20. The twentieth part of the document is a list of names.

21. The twenty-first part of the document is a list of names.

22. The twenty-second part of the document is a list of names.

23. The twenty-third part of the document is a list of names.

24. The twenty-fourth part of the document is a list of names.

25. The twenty-fifth part of the document is a list of names.

26. The twenty-sixth part of the document is a list of names.

27. The twenty-seventh part of the document is a list of names.

28. The twenty-eighth part of the document is a list of names.

في تفسير سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا
الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا
النَّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِّلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ
نُفِثَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَبَلِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ *
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ * فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ
إِذَا عَسَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [١٨-١]

[ثم لما ختمت سورة عبس المتضمنة بيان أهوال القيامة وعظمة القرآن وموعظته للخلق، نظمت بعدها سورة التكوير المتضمنة أيضاً بيان بعض أهوال القيامة وتعظيم القرآن، وكون ذلك موعظة للعالمين إلى يوم القيامة، فافتتحها سبحانه بذكر أسمائه الحسنی بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.]

ثم شرع سبحانه بذكر بعض أهوال يوم القيامة بقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ﴾ التي هي كالسراج لأهل الأرض ﴿كُوِّرَتْ﴾ وألقيت من السماء، كما عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ نِوَارَانِ مُكْوَرَانِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^٢ أو انكشف وأزيل ضوؤها. عن القمي: أنها تصير سوداء مظلمة^٣.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ﴾ التي هي مصابيح الليل في الدنيا ﴿انْكَدَرَتْ﴾ وتناثرت. قيل: تمطر السماء يومئذ نجوماً، فلا يبقى في السماء نجم إلا وقع على وجه الأرض^٤ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ﴾ التي هي أوتاد الأرض

١. هذا النص سقط من النسخة، وأثبتناه بعد ترجمته من النص الفارسي.

٢. تفسير الرازي ٣١: ٦٦، تفسير روح البيان ١٠: ٣٤٣، ولم ينسبه إلى أحد.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٠٧، تفسير الصافي ٥: ٢٩٠. ٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣٤٤.

«سُيِّرَتْ» وَرُفِعَتْ فِي الْأَرْضِ، وَحُزِرَتْ بِسُرْعَةٍ كَالشَّحَابِ فِي وَجْهِهَا، أَوْ فِي الْجَوِّ بِالزَّلْزَلَةِ الْحَاصِلَةِ بِالْفَجْأَةِ الثَّانِيَةِ «وَإِذَا أَلْعَسَتْ» وَالتُّورُ الْحَوَامِلُ الَّتِي مَضَتْ مِنْ مَدَّةِ حَقْلِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ، وَهِيَ أَحَبُّ الْأَمْوَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ «عَطَلَتْ» وَتَرَكَتْ مُسَمِّيَةً مُهْمَلَةً لِادْعَايِ لَهَا، لِاشْتِغَالِ أَهْلِهَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَهِيَ كَنَايَةٌ عَنْ غَفْلَةِ النَّاسِ عَنْ أَمْوَالِ الدُّنْيَا لِرَفْعِ حَاجَتِهِمْ عَنْهَا، وَغَلْبَةِ الْوَحْشَةِ وَالدهشة عليهم «وَإِذَا الْوُحُوشُ» وَالْحَيَوَانَاتُ الْبَرِيَّةُ الْفَازَةُ عَنْ غَيْرِ جِنْسِهَا «حُشِرَتْ» وَجُمِعَتْ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ وَاخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَبِالْإِنْسَانِ بِلَا تَعَرُّضٍ لِلْغَيْرِ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِ الْيَوْمِ.

وَقِيلَ: يَعْنِي بُعِثَتْ لِلْقِيَامَةِ إِيَّاهَا لِلْعَدْلِ^١، قِيلَ: يُحْشَرُ كُلُّ حَيَوَانٍ حَتَّى الذُّبَابُ لِلْقِيَامَةِ، فَإِذَا قُضِيَ بَيْنَهَا رُذَّتْ تَرَاباً، فَلَا يَبْقَى مِنْهَا إِلَّا مَا فِيهِ سُرُورُ بَنِي آدَمَ وَاعْجَابُ الْمُؤْمِنِ بِصُورَتِهِ أَوْ بِصُورَتِهِ كَالطَّائِسِ وَالْبَلْبَلِ^٢. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: حَشَرَهَا مَوْتَهَا^٣.

«وَإِذَا أَلْبَحَارُ» كُلُّهَا «سُجِّرَتْ» وَانْقَلَبَ مَاوَهَا نَاراً، كَمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^٤. وَعَنْ ابْنِ عَمْرِو أَنَّهُ لَمَّا رَأَى بَحْرًا قَالَ: يَا بَحْرُ مَتَى تَعُودُ نَاراً^٥. وَقِيلَ: يَعْنِي مُلِئَتْ بِتَفَجَّرِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَصِيرُ الْكُلُّ بَحْرًا وَاحِدًا، أَوْ حَمِيَتْ^٦، أَوْ نَشَفَتْ فَلَا يَبْقَى فِيهَا رُطُوبَةٌ^٧.

«وَإِذَا الْتُفُوسُ» وَالْأَرْوَاحُ «زُوجَتْ» بِالْأَجْسَادِ، أَوْ قُرِنَتْ بِمَنْ كَانَ مِثْلَهَا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَيَضَمُّ الصَّالِحُ بِالصَّالِحِ، وَالْفَاجِرُ بِالْفَاجِرِ، أَوْ جُعِلَتْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً: أَصْحَابُ الْمِيمَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَالْمُقَرَّبِينَ، أَوْ قُرِنَتْ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ كَانُوا كِتَابَهُ أَعْمَالِهِمْ، أَوْ قُرِنَتْ بِأَعْمَالِهِمْ، أَوْ قُرِنَتْ بِشِيَاطِينِهِمْ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: زُوجَتْ نَفُوسَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَقُرِنَتْ نَفُوسَ الْكَافِرِ بِالشَّيَاطِينِ^٨. أَوْ قُرِنَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِأَهْلِ دِينِهَا، الْيَهُودُ بِالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى بِالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسُ بِالْمَجُوسِ^٩.

«وَإِذَا أَلْمُوءَدَةُ» وَابْنَتُ الْمَدْفُونَةِ حَيَّةٌ «سُئِلَتْ» مِنْ جَانِبِ اللَّهِ أَنَّهَا «بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» تَبْكِيَةً لِقَاتِلِهَا، وَتَسْلِيَةً لَهَا، وَإِظْهَاراً لَشِدَّةِ الْغَضَبِ عَلَى وَائِدِهَا.

قِيلَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا وَلَدَتْ لَهُ بِنْتُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَحْيِيَهَا، أَلْبَسَهَا جُبَّةً مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعْرٍ، تَرَعَى لَهُ الْإِبِلُ أَوْ الْغَنَمُ فِي الْبَادِيَةِ، وَإِنْ أَرَادَ قَتْلَهَا تَرَكَهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ سَنَاهَا سِتَّ سَنِينَ، فَيَقُولُ لِأُمِّهَا، طَيِّبِهَا وَزَيِّنِهَا حَتَّى أَذْهَبَ بِهَا إِلَى أَحْبَابِهَا، وَقَدْ حَفَرَ لَهَا بَيْتاً فِي الصَّحْرَاءِ، فَيُلْقِي بِهَا الْبَيْتَ، وَيَقُولُ لَهَا: انظُرِي فِيهَا، ثُمَّ يَدْفَعُهَا فِيهَا مِنْ خَلْفِهَا، وَيَهْلِلُ عَلَيْهَا التُّرَابَ حَتَّى يَسْتَوِيَ الْبَشَرُ بِالْأَرْضِ، خَوْفاً مِنَ الْفَقْرِ أَوْ مِنَ الْأَمْسَرِ،

٣. تفسير الرازي ٣١: ٦٨.

١٠: ٣٤٥. ٢. تفسير روح البيان

٦. تفسير أبي السعود ٩: ١١٥، تفسير روح البيان ١٠: ٣٤٥.

١٠: ٣٤٥. ٥. تفسير روح البيان

٨. تفسير الرازي ٣١: ٦٩.

٣١: ٦٨. ٧. تفسير الرازي

١٠. تفسير الرازي ٣١: ٦٩. ٩. في النسخة: دينه.

أو لحوق عادٍ من قبلها^١.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ ودفاتر الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ وفتحت للحساب، فيقضى بإيمان أصحابها وأعمالهم، فيقفون على ما فيها.

وفي الحديث: «يحشر الناس غراءً حفاءً» فقالت أم سلمة: فكيف بالنساء؟ فقال: «شغل الناس يا أم سلمة» قالت: ما شغلهم؟ قال: «نشر الصحف، فيها مناقيل الذر ومناقيل الخردل»^٢.

وقيل: يعني فرقت بين أصحابها^٣. وقيل: إذا كان يوم القيامة تطايرت الكتب من تحت العرش، فتقع صحيفة المؤمن في يده في الجنة العالية، وصحيفة الكافر في يده في سموم وحميم^٤. قيل: يعني مكتوب فيها، وهي صُفـف غير صُفـف الأعمال^٥.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ وكُشِفَت عما فوقها، وظهر ما وراءها من العرش والجنة. وقيل: يعني نُزِعَت، أو طُوِيَت^٦ ﴿وَإِذَا الْأَنْجِيمُ سُعِرَتْ﴾ وأوقدت للكافرين إيقاداً شديداً غضباً عليهم ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ وقربت من المتقين ليدخلوها، والمقصود تقربت منها، وعند ذلك ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ حَضَرَتْ ما تدري أي نفس وما حالها ﴿مَا أَحْضَرَتْ﴾ وجلبت فيه من الأعمال خيراً أو شراً، يزورنها في صحائفها، أو يزور مجازاتها، أو يزور نفسها لتجسسها.

عن ابن عباس: أنه قرأ السورة فلما بلغ إلى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ قال: لهذه أجريت القصة^٧.

﴿فَلَا﴾ ليس الأمر كما تزعمون أيها الكفرة ﴿أُفْسِمُ بِالْغَنُصِ﴾ والكواكب الرواجع، وهي الخمسة المتحيرة التي ترجع من آخر البرج إلى أوله. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «هي خمسة أنجم: زُحَل، والمُشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد»^٨.

و ﴿الْجَوَارِ﴾ والسيارات ﴿الْكُنُصِ﴾ والمختفيات تحت ضوء الشمس بعد رجوعها إلى أول البرج، كما يكس ويدخل الوحش في كناسه وبيته الذي اتخذه لاختفائه.

وقيل: إن المراد جميع الكواكب، وخنوسها غيبوتها عن الأنظار في النهار، وخنوسها ظهورها بالليل في أماكنها، كالوحش في كنسها، وهو أيضاً مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام^٩ وقيل: الكُنُص: المتواريات

١. تفسير روح البيان ١٠: ٣٤٦.

٢. تفسير أبي السعود ٩: ١١٦، تفسير روح البيان ١٠: ٣٤٧.

٣. تفسير أبي السعود ٩: ١١٦، تفسير روح البيان ١٠: ٣٤٧.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣٤٨.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٧١.

٦. تفسير الرازي ٣١: ٧٠.

٧. مجمع البيان ١٠: ٦٧٧، تفسير الصافي ٥: ٢٩١.

تحت ضوء الشمس^١. وعن القمي قال: النجوم تكس بالنيار فلابتيا^٢.

وعن الباقر عليه السلام أنه سئل عنها فقال: «إمام يخس سنة ستين ومائتين، ثم يظهر كالشهاب يتوقد في الليلة الظلماء، وإن أدركت زمانه قررت عينك»^٣.

أقول: هذا تأويل، والأول تنزيل.

«وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ» وأقبل ظلامه، أو أدبر «وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» وأقبل بطلوعه روح ونسيم أو تكامل ضوؤه وامتد.

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ

أَمِينٍ [١٩-٢١]

ثم ذكر سبحانه المُقسم عليه، وهو كون القرآن كلام الله بقوله: «إِنَّهُ لَقَوْلُ» الله العظيم النازل بتوسط «رَسُولٍ كَرِيمٍ» على الله رسالة منه وقيل: إن المراد أن هذا الذي أخبركم من أمر الساعة القول لجبرئيل بالرسالة من الله^٤. وقيل: إن من كرم جبرئيل أنه يُعطي أفضل العطايا، وهو الوحي والمعرفة والهداية، ويعطف على المؤمنين ويقهر أعداءهم^٥.

«ذِي قُوَّةٍ» شديدة وقُدرة على امتثال أوامر الله تعالى. روي أن النبي ﷺ قال لجبرئيل: «ذكر الله قوتك، فأخبرني بشيء من آثارها. قال: رفعت قُرى قوم لوط الأربع من الماء الأسود بقوادم جناحي حتى سمع أهل السماء نباح الكلب وأصوات الديكة ثم قلبتها»^٦.

وقيل: إن المراد القوة في طاعة الله، وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر الدنيا^٧.

«عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ» العظيم والسلطان القاهر الغالب «مَكِينٍ» ورفيع المنزلة وعظيم الشأن «مُطَاعٍ ثَمَّ» وفي السماء بين الملائكة لا يتخلف أحد منهم عن أمره «أَمِينٍ» على وحي الله ورسالاته، قد عصمه الله من الخيانة والزلل.

عن (المجمع): في الحديث: «أن رسول الله قال لجبرئيل: ما أحسن ما أثنى عليك ربك «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» فما كانت قوتك وما كانت أمانتك؟ فقال: أما قوتي فأنني بُعثت إلى مدائن لوط، وهي أربع مدائن، في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم

٢. تفسير القمي ٢: ٤٠٨، تفسير الصافي ٥: ٢٩٢.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٧٣.

٦ و٧. تفسير روح البيان ١٠: ٣٥١.

١. تفسير الصافي ٥: ٢٩٢.

٣. الكافي ١: ٢٢/٢٧٦، تفسير الصافي ٥: ٢٩٢.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٣٥١.

من الأرض السُفلى حتى سَمِعَ أهل السماوات أصوات الدجاج ونباح الكلاب^١، ثم هويت بهن وقلبتهن، وأما أمانتي فإني لم أؤمر بشيءٍ فعدوته إلى غيره^٢.

وعن النبي ﷺ أنه قال لجبرئيل لما نزلت: ﴿وَمَا أَوْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^٣: «أصابك من هذه الرحمة شيء؟» قال: نعم، إني كنت أخشى عاقبة الأمر، فأمنت بك لما أننى الله عليّ بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾^٤.

عن الصادق عليه السلام - في قوله ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ - قال: «يعني جبرئيل». قوله: ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾؟ قال: «يعني رسول الله ﷺ هو المطاع عند ربه، الأمين يوم القيامة»^٥. أقول: لأشبهه أن الوصفين مطبقان على رسول الله ﷺ ولكن الظاهر أنهما وصفان لجبرئيل.

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ
بِضَيِّينٍ * وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ [٢٢-٢٩]

ثم إنه تعالى بعد إثبات كون القرآن كلام الله، ردّ قول مكذبي الرسول ونسبتهم إياه إلى الجنون بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمد ﷺ المدعي للرسالة فيكم، يا أهل مكة ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما تزعمون بل هو أعقل أهل العالم، ومُخبركم عن الله جميع ما يقول لكم بتوسط جبرئيل. ﴿و﴾ بالله ﴿لَقَدْ رَآهُ﴾ وعاین شخصه ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ وعند مَطْلَعِ الشمس الأعلى، والأظهر في السماء، وليس محمد ﴿وَمَا هُوَ عَلَى﴾ ما أخبركم من ﴿الْغَيْبِ﴾ كَقَصصِ الأنبياء السابقة والأمم السالفة ﴿بِضَيِّينٍ﴾ ومتهم بالكهانة والتعلّم من العلماء والكذب في الاختلاق. وقيل: يعني ببخيل بأداء الوحي، فيخبر ببعضه ويُمسِك عن بعض حتى يأخذ شيئاً من الناس، كما هو دأب الكاهن^٦.

ثم لما كان المشركون يقولون: إن الشيطان يجيء بهذا القرآن ويلقيه على لسان محمد؛ ردّهم الله بقوله: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ﴾ مُسْتَرْقٍ للسمع ﴿رَّجِيمٍ﴾ ومطروود بالشهب ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أيها

١. في النسخة: الكلب. ٢. مجمع البيان ١٠: ٦٧٧، تفسير الصافي ٥: ٢٩٢. ٣. الأنبياء: ١٠٧/٢١.

٤. مجمع البيان ٧: ١٠٧، تفسير الصافي ٥: ٢٩٣. ٥. تفسير القمي ٢: ٤٠٨، تفسير الصافي ٥: ٢٩٣.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٣٥٣.

المشركون؟ وإلى أي درجة تَضَلُّون عن طريق الحق في شأن القرآن ومحمد؟ وإلى أي حدَّ تَبْعُدون عن منهج الصواب حتَّى تتولوا ما تقولون؟

﴿إِنْ﴾ هذا القرآن، وما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وعِظَةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ من الجنِّ والإنس أجمعين، وإنما نفعه ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ يا أهل العالم ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ بتحري الحقِّ والملازمة للصواب.

رُوي أنَّ أبا جهل لما سمع الآية قال: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم^١. فردَّه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ﴾ الاستقامة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الذي هو ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وخالفهم ومدبر أمورهم بالرزق وغيره ممَّا يُصْلِحهم وما يُلِيْق بهم.

عن الصادق عليه السلام - في قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ - قال: «وما هو تبارك وتعالى على نبيه ﷺ بغيبة بضنين عليه» ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ قال: «يعني الكهنة الذين كانوا في قريش، فنسب كلامهم إلى كلام الشياطين الذين كانوا معهم يتكلمون على ألسنتهم فقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ مثل أولئك ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [في] علي عليه السلام، يعني ولايته أين تَفِرُّون منها؟ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾. قال: لمن أخذ الله ميثاقه على ولايته ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ قال: في طاعة علي والأئمة عليهم السلام من بعده ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: لأنَّ المشيئة إليه تبارك وتعالى لا إلى الناس»^٢.

وعن الكاظم عليه السلام: «إنَّ الله جعل قلوب الأئمة مودداً لإرادته، فإذا شاء الله شاءوا، وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾»^٣.

في الحديث: «من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ ﴿إِذَا الشُّمُسُ كُوِّرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ فإن فيها بيان أهواله الهائلة على التفصيل»^٤.

الحمد لله على التوفيق لإتمام تفسيرها، والشكر له.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٣٥٤.

٢. تفسير القمي ٢: ٤٠٨، تفسير الصافي ٥: ٢٩٢.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٠٩، تفسير الصافي ٥: ٢٩٤.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣٥٥.

في تفسير سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا
الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ
بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِى أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ
رَكَّبَكَ [١-٨]

ثم لما ختمت سورة التكوين أردفت بسورة الانفطار الرادفة لها في المطالب وبيان أهوال القيامة،
فافتتحها سبحانه على دأبه بذكر أسمائه الحسنی المباركة بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
ثم ابتدأها بذكر بعض أهوال القيامة بقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ وانشقت أبواباً لنزول الملائكة،
أو لرفعها^١ وطبها ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ﴾ كلها ﴿انْتَثَرَتْ﴾ وتساقطت وتفرقت لانتقاض تركيب السماء
وطبها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ وارتفعت الحواجز من بينها بحيث يصير الكلّ بحراً واحداً، أو ذهب
ماؤها فيست ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ وقلب أسفلها أعلاها وباطنها ظاهرها، لخروج الموتى منها،
فبعد وقوع تلك الأشرط العلوية والسفلية للساعة قامت القيامة وحينئذٍ ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ﴾ أي نفس
كانت ﴿مَا قَدَّمْتَ﴾ ليومها^٢ ذلك من الأعمال التي عملها حال حياته ﴿وَأَخَّرْتَ﴾ وتركت^٣ من سنة
حسنة أو سيئة يستتر بها بعد موته، ثم يقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ العاقل بعد ما أخبرك الأنبياء بأن الله
يُعَذِّبُكَ على الكفر والعصيان في دار الجزاء أشدَّ العذاب ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ وأي شيء جرّأك
على عصيانه وآمنك من عقابه إلى حدّ لا يجوز، مع غاية كرمه العفو عنك والتجاوز عن الانتقام منك؟
قيل: إن توصيف ذاته المقدسة بالكرم حسبما كان الشيطان يغويه بقوله: افعل ما شئت فإنّ ربك
كریم، مع أنّ كرمه لا يوجب الاغترار به^٤.

١. في النسخة: لرفعهن. ٢. في النسخة: ليومه. ٣. زاد في النسخة: أو ابن.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣٥٧.

عن النبي ﷺ: أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَهَا قَالَ: «غَزَاهُ جَهْلُهُ»^١.

وقيل: إِنَّ ذِكْرَهُ الوصف لتلقين العاصي أن يقول: غَزَنِي كَرَمٌ^٢.

قيل: إِنَّ الْكِرْمَ يُلَازِمُ الْحِكْمَةَ^٣ لِأَنَّ الْعَفْوَ الْعَطَاءَ إِذَا كَانَا بِدَاعِي الْحِكْمَةِ، كَانَا كَرَمًا، فَكَوْنُهُ كَرِيمًا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ حَكِيمًا، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيدَ الْخَلْقَ لِلْمَجَازَةِ وَيَحْشُرَهُمُ لِلْحِسَابِ، بَلْ يَدُلُّ وَصْفُهُ بِالْكَرَمِ عَلَى وَجوب البعث من جهتين: من جهة إيصال النعمة، ومن جهة الحكمة.

عن ابن عباس: أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ^٤. وقيل نزلت في الأسود بن كَلْدَةَ الْجُمَحِيِّ، قصد النبي ﷺ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ، فَلَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْهُ، فَلَمْ يُعَاقِبْهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ^٥.

ثُمَّ وَصَفَ سَبْحَانَهُ ذَاتَهُ بِشُؤْنِ الْكَرَمِ بِقَوْلِهِ: «الَّذِي خَلَقَكَ» وَأَعْطَاكَ نِعْمَةَ الْوُجُودِ «فَسَوَاءُ» وَجَعَلَ أَعْضَاءَكَ سُوِيَةً سَلِيمَةً مِنَ الْعُيُوبِ مُعَدَّةً لِمَنَافِعِهَا «فَعَدَلَكَ» وَجَعَلَ أَعْضَاءَكَ مُتَنَاسِبَةً مُتَسَاوِيَةً. وقيل: يعني فصرفك عن الخلقة المكروهة وأعطاك أحسن الهيئة^٦. وعن ابن عباس: جعلك قائمًا معتدلًا حسن الصورة لأكال بهيمة المنحنية^٧ «فِي أَيِّ صُورَةٍ» مِنَ الصُّورِ «مَا شَاءَ» أَنْ يُرَكِّبَ فِيهَا «وَرَكَّبَكَ» قيل: إِنَّ حَرْفَ «مَا» زَائِدَةٌ^٨، والمعنى: فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ وَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ رَكَّبَكَ. وقيل: فِي أَيِّ صُورَةٍ مِنْ صُورِ الْأَبِّ وَالْأُمِّ وَأَقَارِبِهِمَا^٩. وقيل: إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الصُّورِ الْمُخْتَلِفَةِ الْاِخْتِلَافَ بِحَسَبِ الطُّوْلِ وَالْقَصْرِ وَالْحَسَنِ وَالْقَبْحِ وَالذَّكُورَةِ وَالْأُنُوثَةِ، فَإِنَّ اِخْتِلَافَ النُّطْفَةِ الْمُتَشَابِهَةِ وَالْأَجْزَاءِ الْمُتَّحِدَةِ بِالطَّبِيعَةِ فِي الْآثَارِ دَلِيلٌ عَلَى خَالْقٍ قَادِرٍ مُخْتَارٍ^{١٠}.

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ
مَا تَفْعَلُونَ [١٢-٩]

ثُمَّ لَمَّا أَثْبَتَ الْبَعْثَ رَدَعَ النَّاسَ عَنِ الْاِغْتِرَارِ بِقَوْلِهِ: «كَلَّا» لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَغْتَرَّوْا «بَلْ» لَمْ تَغْتَرَّوْا بِكَرَمِهِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ «تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ» وَدَارِ الْجَزَاءِ، أَوْ بِالْإِسْلَامِ الْمُتَضَمِّنِ لِلتَّكَالِيفِ وَبَيَانِ الْمُجَازَاتِ عَلَيْهَا «وَالْحَالِ» «إِنَّ عَلَيْكُمْ» أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ قَبْلُنَا «لَحَافِظِينَ» وَضَابِطِينَ لِأَعْمَالِكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَالِ كَوْنِهِمْ «كِرَامًا» عَلَى اللَّهِ، أَوْ عَلَى الْعِبَادِ، حَيْثُ يُسَارِعُونَ إِلَى كِتَابِ الْحَسَنَاتِ، وَيَتَوَقَّفُونَ فِي

١. مجمع البيان ١٠: ٦٨٢، تفسير الصافي ٥: ٢٩٥.

٢. تفسير الرازي ٣١: ٨٠.

٣. تفسير الرازي ٣١: ٧٩ و ٧٨.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٧٩.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٣٥٧.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٣٥٩.

٧. تفسير الرازي ٣١: ٨٠.

٨. تفسير الصافي ٥: ٢٩٦.

٩. تفسير الرازي ٣١: ٨١.

١٠. سير الرازي ٣١: ٨١.

كتب السيئات رجاءً أن يتوبوا، أو يتداركوها بالحسنات، أو يصعدون بأعمالهم إلى الله، فإن كانت حسنة شَهِدُوا بها، وإن كانت سيئة سكتوا، وقالوا: رَبَّنَا أَنْتَ السَّاتِرُ ﴿كَاتِبِينَ﴾ للأعمال ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لحضورهم عندكم في جميع الأوقات والأحوال ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ من الأفعال قليلها وكثيرها خفيها وجليها.

في الحديث: «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى الحالتين: الجنابة والغائط»^١.

وعن القمي [﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قال: بالنبي ﷺ وأmir المؤمنين عليّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْنَا لَلْأَفْظِينَ﴾ قال: الملئكان الموكلان بالإنسان^٢ ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ يبادرون بكتابة الحسنات لكم، ويتوانون بكتابة السيئات عليكم، لعلكم تتوبون وتستغفرون^٣.

وعن الكاظم عليه السلام قال: «إن العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيب الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قف فإنه قد همّ بالحسنة، فإذا هو عملها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له، فإذا همّ بالسيئة خرج نفسه نتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد همّ بالسيئة، فإذا هو فعلها كان ريقه مداده ولسانه قلمه فأثبتها عليه»^٤.

وعن الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ: ما علة الموكلين بعباده يكتبون ما عليهم ولهم، والله عالم السر وما هو أخفى؟ قال: «استعبدهم بذلك، وجعلهم شهوداً على خلقه، ليكون العباد لملازمتهم إياهم أشدّهم على طاعة الله مواظبةً، ومن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبدٍ يهْمُ بمعصيته فذكر مكانهم فارعوى وكفّ، فيقول: ربّي يراني، وحفظتي عليّ بذلك تشهد»^٥.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ [١٣-١٩]

ثم بين سبحانه حسن حال المؤمنين في ذلك اليوم وسوء حال الكفار والعصاة بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ والصّالحاء من المؤمنين ومطيعيهم لرّبهم ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ عظيم دائم لانقطاع له ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ والعنّاة والعصاة ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ ونارٍ سجّرها القهار بغضبه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ ويقاسون حرّها

٢. في النسخة: القمي عن النبي.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٣٦٠.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٠٩. ٤. تفسير الصافي ٥: ٢٩٦.

٦. الاحتجاج: ٣٤٨، تفسير الصافي ٥: ٢٩٦.

٥. الكافي ٢: ٣/١٣، تفسير الصافي ٥: ٢٩٦.

ويُباشرونها بجميع أعضائهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ ووقت الجزاء على الأعمال ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾ في أن من زمان حياتهم الأبدية ﴿بِعَاقِبِينَ﴾ ومخرجين.

ثم لما ذكر سبحانه يوم الدين عظم شأنه تهويلاً للناس بقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ﴾ وأي شيء أعلمك ﴿مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ وأي حد له في الشدة والفظاعة؟

ثم كرر سبحانه الجملة مبالغاً في التهويل معطوفة بشم للدلالة على الترقّي في التأكيد بقوله: ﴿ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ﴾ أيها الإنسان الدراك ﴿مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ وأي شيء صفته؟ فإن إدراكه خارج عن طوق البشر في هذا العالم.

ثم بين سبحانه فظاعة ذلك اليوم بطريق الإجمال بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ﴾ من النفوس ﴿لِنَفْسٍ﴾ أخرى ﴿شَيْئاً﴾ من النفع والضرر، ولا قدرة لأحد في حق غيره قريباً كان أو صديقاً أو غيرهما على أمر من الأمور ﴿وَالْآثَرُ﴾ والسلطنة المطلقة الكاملة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وفي ذلك الوقت الهائل ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يزاحمه ولا يشاركه أحد فيما أراد.

في الحديث: «من قرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أعطاه الله من الأجر بعدد كل قبر حسنة، وبعدد كل قطر ماء حسنة، وأصلح الله شأنه يوم القيامة»^١.

وعن الصادق عليه السلام: «من قرأ هاتين السورتين، وجعلهما نصب عينيه في صلاة الفريضة والنافلة ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ لم يحجبه الله من حاجة، ولم يحجزه من الله حاجز، ولم يزل ينظر إلى الله وينظر الله إليه حتى يفرض من حساب الناس»^٢.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٣٦٣.

٢. ثواب الأعمال: ١٢١، مجمع البيان ١٠: ٦٧٩، تفسير الصافي ٥: ٢٩٧.

في تفسير سورة المطففين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ
وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [١-٦]

ثم لما خُتِمت سورة الانفطار المتضمنة لبيان عظمة يوم القيامة وظهور السلطنة المطلقة الإلهية، وأن لكل نفس ملائكة يكتبون أعمالها، وأن الأبرار في نعيم، وأن الفجار في جحيم، نُظِمت سورة التطفيف المتضمنة لبيان عظمة يوم القيامة، وقيام الناس فيه لرب العالمين، وأن كتاب الأبرار في عليين، وكتاب الفجار في سجين، أن الأبرار في نعيم: فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم لما هدد سبحانه العصاة في آخر السورة السابقة، وكان التطفيف من أعظم المعاصي ابتداء هذه السورة بتهديد المطففين بقوله: ﴿وَيْلٌ﴾ وشرٌ شديد، أو هلاكٌ فظيع، أو عذاب أليم - وعن الباقر عليه السلام في حديث «بلغنا - والله أعلم - أنها بُنِيَتْ في جهنم»^١ - ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ والباخسين حقوق الناس خفية بالمكيال والميزان. عن الباقر عليه السلام: «أنزل في الكيل والوزن» ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ولم يجعل الويل لأحد حتى يُسَمِّيَهُ كافراً، قال الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخره^٢.

وهم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا﴾ وأخذوا بالكيل مالههم ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أو إضراراً عليهم ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ ويأخذونه كاملاً وأفياً، أو وافراً وزائداً على حقهم بالحيل والسرقة من أفواه المكايل أو السنة الموازين ﴿وَإِذَا كَالُواهُمْ﴾ وأعطوا حقهم بالكيل ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ وأعطوا حقهم بالوزن ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ويُقصصونه، مع أن الكيل والوزن جُعِلَا لتسوية الحقوق وتعديلهما.

عن ابن عباس: لما قَدِمَ النبي ﷺ المدينة كانوا من أبخس الناس كيلاً، فأنزل الله هذه الآية،

٢. الكافي ٢: ٢٧٧، تفسير الصافي ٥: ٢٩٨.

١. تفسير القمي ٢: ٤١٠، تفسير الصافي ٥: ٢٩٨.

فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

وقيل: كان أهل المدينة تجاراً يطففون، وكانت بيعهم المنابذة والملازمة والمخاطرة، فنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ فقرأها عليهم، وقال: «خمسٌ بخمسٍ» قيل: يا رسول الله، وما خمسٌ بخمسٍ؟ قال: ما نقض قومٌ العهد إلا سَلَطَ الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهر فيهم الفاحشه إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا مُنعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حُسِ مناهم المطر^١.

وعن الباقر عليه السلام قال: «نزلت على نبي الله حين قَدِم المدينة، وهم يومئذ أسوأ الناس كيلاً، فأحسنوا بعدُ عَمَل الكيل»^٢.

ثم وَبَّخ سبحانه المطففين بقوله: «أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ» المطففون ولا يَحْسَبُونَ «أَنَّهُمْ» من هذا العمل القبيح الشنيع «مَبْعُوثُونَ» من قبورهم «لِيَوْمٍ عَظِيمٍ» لا يُقَادِر قدر عظمتها لعظم أهواله وشدائده، لوضوح أَنَّ الظَّنَّ يأتیان هذا اليوم كافٍ في التحرز من القبائح التي يَظُنُّ الابتلاء ببيعاتها.

وقيل: إنَّ المراد من الظَّنَّ العلم^٣، لكون النظر في الآية إلى أهل المدينة، وهم كانوا مُصدِّقين بالبعث في زمان نزولها. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أليس يُوقِنُونَ «أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ»^٤ «لِيَوْمٍ عَظِيمٍ» أعني «يَوْمَ» القيامة الذي «يَقُومُ» فيه «النَّاسُ» من قبورهم «لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» وللمحاسبة عنده، وحينئذٍ تظهر لهم عظمة شناعة العمل القبيح وعقابه، وإن كانوا يَزَوْنه في الدنيا حقيراً، أو يُحْتَمَل أَنَّ المراد من القيام الحضور عنده تعالى.

رُوي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «يقوم الناس مقدار ثلاثمائة سنة من الدنيا لا يُؤْمَرُ فيهم بأمر»^٥.

وروي عنه عليه السلام: «أَنَّهُ يقوم أحدكم في رَشْحِهِ إلى أنصاف أذنيه»^٦.

وعن الصادق عليه السلام قال: «مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لرب العالمين مثل السَّهْم في القراب، ليس له من الأرض إلا موضع قدمه»^٧.

أقول: في الآية غاية التهديد حيث أثبت الويل للمطففين، ثم وَبَّخهم ثانياً بأشد التوبيخ، ثم وصف يومهم بالعظمة وما عظمه الله تعالى كان في غاية العظمة، ثم ذَكَرهم القيامة مع غاية الخشوع والذلة لرب العالمين الذي هو في غاية العظمة والهيبة والقدرة، وفيه دلالة على كمال حكمته وعدالته

١. تفسير الرازي ٣١: ٨٨ ٢. تفسير القمي ٢: ٤١٠، تفسير الصافي ٥: ٢٩٨. ٣. تفسير الرازي ٣١: ٨٩.

٤. الاحتجاج: ٢٥٠، تفسير الصافي ٥: ٢٩٨. ٥. تفسير الرازي ٣١: ٩٠، تفسير روح البيان ١٠: ٣٦٥.

٧. الكافي ٨: ١١٠/١٤٣، تفسير الصافي ٥: ٢٩٩.

المقتضية لأن لا يرضى بأقل قليل من الظلم، فكيف بالكثير.

قيل: إن أعرابياً قال لعبد الملك بن مروان: قد سمعت ما قال الله في المطففين - أراد أنه تعالى بالغ في تهديد المطفف في أخذ القليل بالكيل والوزن - فكيف حالك وأنت تأخذ الكثير من أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن^١.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ * كِتَابَ مَرْقُومٍ *
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ * وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُفْلٌ
مُعْتَدٍ أَيْمٍ * إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [٧-١٣]

ثم بالغ سبحانه في تهديد المطففين والردع عنه بقوله: ﴿كَلَّا﴾ ليس أمر التطفيف بهذه الحقارة التي تظنونها. وقيل: إن ﴿كَلَّا﴾ هنا بمعنى حقاً^٢ ﴿إِنَّ كِتَابَ﴾ أعمال ﴿الْفُجَارِ﴾ الذين منهم المطففون ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ والأرض السابعة السفلى، كما عن الباقر عليه السلام وابن عباس^٣، لغاية بشاعته وحقارته، أو في أسفل منها في مكان مظلم هو مسكن إبليس وذريته، كما عن بعض المفسرين^٤. أو في صخرة تحت الأرض السفلى، كما عن بعض آخر^٥.

وعن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «سِجِّينُ حُبٌّ فِي جَهَنَّمَ»^٦.

أقول: الظاهر أنه علم مأخوذ من السجن.

عن الباقر عليه السلام - في رواية - «وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَصْعَدُ بِعَمَلِهِ وَرُوحَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ فِي السَّمَاءِ نَادَى مُنَادٍ: اهْبِطُوا بِهِ إِلَى سِجِّينَ، وَهُوَ وَادٍ بَحْضَرٌ مَوْتٌ يُقَالُ لَهُ: بَرْهَوْتُ»^٧.

أقول: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِسِجِّينَ مَعْنَانِ.

وعن الكاظم عليه السلام أنه سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ قال: «هَمُّ الَّذِينَ فَجَرُوا فِي حَقِّ الْأَمَةِ وَاعْتَدُوا عَلَيْهِمْ»^٨.

أقول: الظاهر أنهم أظهر مصاديق الفجار، كما أن قول الصادق عليه السلام قال: «هُوَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ» كذلك^٩.

ثم عظم سبحانه السجين إرعاباً للقلوب بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أيها الإنسان ﴿مَا سِجِّينَ﴾ ثم قيل: إن

١. تفسير روح البيان ١٠: ٣٦٦. ٢. تفسير الرازي ٣١: ٩٢، تفسير روح البيان ١٠: ٣٦٦.

٣. تفسير القمي ٢: ٤١٠، تفسير الصافي ٥: ٢٩٩، ولم ترد فيهما كلمة: السفلى، تفسير الرازي ٣١: ٩٢.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٩٢، تفسير أبي السعود ٩: ١٢٦. ٥. تفسير الرازي ٣١: ٩٢.

٦. مجمع البيان ١٠: ٦٨٨، تفسير الرازي ٣١: ٩٢. ٧. مجمع البيان ٤: ٦٤٦، تفسير الصافي ٥: ٢٩٩.

٨. الكافي ١: ٣٦١/٩١، تفسير الصافي ٥: ٢٩٩. ٩. تفسير القمي ٢: ٤١١، تفسير الصافي ٥: ٢٩٩.

الله تعالى ذمّ كتاب الفجّار^١ بقوله: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ومكتوب فيه أعمال الكفّار والفجّار والفسقة من الجنّ والإنس، تشهد الشياطين. وقيل: مرقوم بمعنى مختوم^٢. وقيل: يعني كتاب معلّم (بعلامة) دالة على شقاوة صاحبه وكونه من أصحاب النار^٣ ﴿وَيَلَّ﴾ عظيم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وفي وقت قيام الناس لرّبهم، أو وقت تطاير الكتب ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أعني ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وأعرضوا عن الآيات البينات الناطقة به.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ ومتجاوز عن حدود العقل، ومقتصر على التقليد غالٍ فيه ﴿أَيْمٍ﴾ ومُصرّ على عصيان الله، منهك في الشهوات الفانية، غافل عمّا وراءها من اللذات الباقية، من خبت ذاته وإصراره على الكفر ﴿إِذَا تَتَلَّى﴾ وتقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ لإذاره وهدايته ﴿آيَاتِنَا﴾ المُنزلة في القرآن الدالة على صدق النبي ﷺ في دعوى رسالته وصحة البعث. ﴿قَالَ﴾ عناداً ولجاجاً: إنها ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهي من أكاذيب الأنبياء السابقين، أو الأخبار المسطورة في دفاتر الأمم السالفين، وتعلّمها محمد ونسبها إلى الله.

قيل: إن القائل الوليد بن المغيرة^٤. وقيل: النضر بن الحارث^٥.
وعن الصادق عليه السلام في تأويله: «هو الأول والثاني، كانا يُكذبان رسول الله ﷺ»^٦.

كَلَّا بَلْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [١٤]

ثمّ ردّهم الله سبحانه عن التكذيب بقوله: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما يقولون ﴿بَلْ زَانَ﴾ وغلب ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أو غطّى عليها أو طبع عليها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ويرتكبون من الكفر والفجور والعصيان حتّى صار كالصدأ على مرآة.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: (أَنَّ الْعَبْدَ كُلَّمَا أَذْنَبَ ذَنْبًا حَصَلَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ حَتَّى يَسُوذَ قَلْبُهُ)^٧.

وعن الباقر عليه السلام: «ما من عبدٍ إلّا وفي قلبه نُكْتَةٌ بِيضَاءٌ، فإذا أَذْنَبَ ذَنْبًا خَرَجَ فِي تِلْكَ النُّكْتَةِ سُودَاءٌ، فَانْ تَابَ ذَهَبَ ذَلِكَ السَّوَادُ، وَإِنْ تَمَادَى فِي الذُّنُوبِ زَادَ ذَلِكَ السَّوَادُ حَتَّى يُغْطِيَ الْبَيَاضَ، [فَإِذَا غَطَّى الْبَيَاضَ] لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُهُ إِلَى خَيْرٍ أَبَدًا، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

٢. تفسير الرازي ٣١: ٩٣.

٤ و ٥. تفسير الرازي ٣١: ٩٤.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٣٦٦.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٣٦٦.

٦. تفسير القمي ٢: ٤١١، تفسير الصافي ٥: ٣٠٠.

٧. تفسير الرازي ٣١: ٩٤، تفسير أبي السعود ٩: ١٢٧، تفسير روح البيان ١٠: ٣٦٧.

يَكْسِبُونَ»^١.

أقول: لعل المراد بالبياض لين القلب ونورانيته، وبالسواد قسوته وظلمته، ويُعده عن التأثر بالمواعظ الإلهية والآيات القرآنية، وجُرأته على الله إلى أن ينتهي أمره إلى الكفر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^٢.

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [١٧-١٥]

ثم ردعهم سبحانه عن توهم أنه ليس عليهم تبعه في تكذيبهم بقوله: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما يتوهمون من أنهم لا يؤاخذون بما يقولون، بل ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ﴾ ثواب وكرامته، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام^٣ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وفي وقت قيامهم من القبور، أو في محضر العدل والحساب ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ ومحرومون، فلا تشملهم الرحمة الواسعة الإلهية أبداً لعدم قابليتهم لنيلتها. ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ مع حرمانهم من الرحمة والكرامة ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ومُلَقُونَ فيها بغضٍ وقَهْرٍ، ومباشرون حرماً من غير حاجزٍ وحائلٍ أصلاً ﴿ثُمَّ﴾ يضاف على عذابهم الجسماني العذاب الروحاني إذ ﴿يُقَالُ﴾ لهم توبيخاً وتقريعاً والقائل الزبانية والملائكة الغلاظ الشداد حين إشرافهم على النار، أو بعد لقائهم فيها: أيها الكفرة المنكرون للبعث والحساب وجزاء الأعمال ﴿هَذَا﴾ العذاب ﴿الَّذِي﴾ ترونه بأعينكم وابتليتم به اليوم، هو العذاب الذي أخبركم به الأنبياء والمؤمنون في الدنيا و﴿كُنْتُمْ بِهِ﴾ عِنَاداً وَلَجَاجاً ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ وتستهزئون.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ [٢١-١٨]

ثم ردعهم الله سبحانه عن توهم أنهم في الآخرة مساوون للمؤمنين، بل هم أحسن حالاً منهم بقوله: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما تتوهمون من أنكم في الآخرة على تقدير تحققها ووقوعها كالمؤمنين في حسن الحال، وأنهم مثلكم فيها، بل ﴿إِنَّ كِتَابَ﴾ أعمال المؤمنين ﴿الْأَبْرَارِ﴾ والصلحاء الأخيار ﴿لَفِي عِلِّيْنَ﴾ وأعلى الأمكنة، أو أعالي الجنة.

٢. الروم: ١٠/٣٠.

١. الكافي ٢: ٢٠٢/٢٠٩، مجمع البيان ١٠: ٦٨٩، تفسير الصافي ٥: ٣٠٠.

٣. مجمع البيان ١٠: ٦٨٩، تفسير الصافي ٥: ٣٠٠.

عن ابن عباس: أَنَّ عَلَيْنَ السماء الرابعة^١. وفي رواية أخرى عنه: أَنَّهُ السماء السابعة^٢. وقيل: هي سدرة المنتهى^٣. وقيل: هي قائمة العرش اليمنى^٤. وقيل: هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة والاكرام قد عظمها الله وأعلى شأنها^٥. وقيل: هي عند ديوان أعمال الملائكة^٦، إن كان لهم أيضاً ديوان كما للإنسان.

وعلى أي تقدير قد عظمه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ﴾ أيها العاقل الدراك ﴿مَا عَلَيُّونَ﴾ وأي مكان هو في عظمة الشأن ورفعة المنزلة عند الله وعند أوليائه؟ فإن إدراككم وعقلكم قاصر عن ذكره والإحاطة به في الدين.

ثم مدح سبحانه كتاب الأبرار بقوله: ﴿كِتَابٌ﴾ وديوان ﴿مَرْقُومٌ﴾ ومكتوب فيه أعمالهم الخيرية، يعرفها كل من نظر فيه، أو مُعَلِّم بعلامة دالة على أَنَّ أصحابه من السعداء، أو مختوم ﴿يَشْهَدُهُ﴾ الملائكة ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله. قيل: كما وكلهم الله باللوح المحفوظ كذلك وكلهم بحفظ كتاب الأبرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو أُم الكتاب إعظاماً له^٧.

والحاصل على ما قيل: إِنَّ الحَفَظَةَ إذا صعدت بكتب الأبرار يُسَلِّمُونَهَا إلى هؤلاء المقربين، فيحفظونها كما يحفظون كتب أنفسهم، أو يتقلون ما في تلك الكتب إلى ذلك الكتاب الذي وُكِّلُوا بحفظه، فيصير علمهم شهادة^٨.

وقيل: إِنَّ المراد كتاب موضوع في عَلَيْنَ، كُتِبَ فيه ما أعدَّ الله لهم من الكرامة والثواب^٩.

عن ابن عباس: إِنَّهُ مكتوب في لوح من زَبَرَجَد مُعَلَّقٌ تحت العرش^{١٠}.

قيل: يشهد ذلك الكتاب إذا سُئِلَ به إلى عَلَيْنَ المقربون من الملائكة كرامة للمؤمن^{١١}.

رُوي أَنَّ الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه، فإذا انتهوا إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم: أَنْتُمْ الحَفَظَةُ على عبيدي، وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنَّه أخلص عمله، فاجعلوه في عَلَيْنَ، فقد غفرت له. وإنَّها تصعد بعمل العبد فيزكونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أَنْتُمْ الحَفَظَةُ على عبيدي، وأنا الرقيب على قلبه، إنَّه لم يخلص لي عمله، فاجعلوه في سَجِين^{١٢}.

عن الباقر عليه السلام قال: «إِنَّ الله خلقنا من أعلى عَلَيْنَ، وخلق قلوب شيعتنا ممَّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، وقلوبهم تهوي إلينا، لأنَّها خُلِقَتْ ممَّا خُلِقْنَا منه» ثم تلا هذه الآية ﴿كَلَّا إِنَّ

٧. تفسير الرازي ٣١: ٩٧.

١٢. تفسير روح البيان ١٠: ٣٧٠.

٦.١. تفسير الرازي ٣١: ٩٧.

٨. ١١. تفسير الرازي ٣١: ٩٧.

كِتَابِ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيْهِمْ^١.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
الْمُتَنَافِسُونَ [٢٦-٢٢]

ثم إنه تعالى بعد بيان عظمة كتاب الأبرار بين حال أنفسهم في الآخرة بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾
والصلحاء من المؤمنين في الآخرة ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ ورزق كريم، وإنما كيفية نعمهم أنهم ﴿عَلَى
الْأَرَائِكِ﴾ والسُّرر التي في الجبال ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى ما أعد الله لهم من البساتين والقصور والأطعمة
والأشربة والفواكه والخور والغلمان وسائر ما تشتهيهِ الأنفس وتلذذ الأعين، وإلى حال أعدائهم وشدة
عذابهم ﴿تَعْرِفُ﴾ أيها الناظر ﴿فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ وبهجته وبهائه والاستبشار، وقيل: يزيد
في وجوههم من الحسن والجمال والنور ما لا يصفه واصف^٢ و ﴿يُسْقَوْنَ﴾ بأيدي الخور والغلمان
﴿مِنْ رَحِيقٍ﴾ وخمر صافٍ خالص لا عِش ولا غائلة فيه ﴿مَخْتُومٍ﴾ بأمر الله مطبوع عليه لئلا تَمَسَّهُ
يد لأمس إكراماً له بالصيانة على ما جرت العادة من ختم ما يُصان ويكرَّم ﴿خِتَامُهُ﴾ وما يُخْتَم به بدل
الطين ﴿مِسْكٌ﴾ أذفر رطب ينطبع فيه الخاتم.

وقيل: يعني عاقبته مسك، بمعنى أن الشارب إذا رفع فاه من آخر شربة وجد ريحه كريح المسك^٣.
وقيل: يعني خِلْطَةُ المسك تطيباً لطعمه ورائحته^٤. وقيل: هو كناية عن صحة أبدانهم وقوة شهوته،
حيث إن خلط المسك معين على الهضم وقوة الشهوة^٥.

وعن أبي الدرداء: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا
أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيب ريحه^٦.
﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ النعيم المذكور، أو الرحيق المختوم ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ وليرغب الراغبون،
لافي النعم الدنيوية الكثيرة السريعة السؤوال والغناء.

وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ
الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ

٢. ٣. تفسير الرازي ٣١: ٩٩.

١. الكافي ١: ٤٣٢٠، ٤٣: ٢، تفسير الصافي ٥: ٣٠١.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٩٩ و ١٠٠.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٩٩.

٦. تفسير الرازي ٣١: ١٠٠.

أَنْقَلَبُوا فَكَيْهِنْ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ

حَافِظِينَ [٢٧-٢٣]

ثم بالغ سبحانه في مدح الرحيق بقوله: ﴿وَمِرَاجُهُ﴾ وخليطه شيء «مِنْ» ماء «تَسْنِيمٍ» أعني «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمَقَرُّونَ» سئل ابن عباس عن تسنيم فقال: هذا مما يقول الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^١.

وقال أيضاً: أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم، لأنه يشربه المقربون صِرْفًا، ويُمرَّح لأصحاب اليمن^٢.

رُوي أنها تجري في الهواء متسَّمة فتَنصَّب في أوانهم، فاذا ملئت مُسِكَ الماء حتى لاتقع قطرة منه على الأرض، فلا يحتاجون إلى الاستسقاء^٣.

ثم لما ذكر سبحانه كرامة الأبرار وعُلُو منزلتهم عنده في الآخرة، ذكر توهين الكفَّار إياهم وتحقيرهم واستهزائهم بهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ وأَصْرُوا على الكفر والعصيان كأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحزابهما «كَانُوا» في الدنيا «مِنْ» حال «الَّذِينَ آمَنُوا» بالنبي عن صميم القلب «يَضْحَكُونَ» استهزاء بهم لما هم فيه من الفقر والشدة، ﴿وَإِنَّا لَنُؤْمِنُ بِهِمْ﴾ وهم في أدنيتهم «يَتَغَامَزُونَ» ويعيبنهم، ويشيرون إليهم بالأجفان والحواجب، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء السفهة يُتعبون أنفسهم ويَحرمونها من اللذات ويَخاطرون بها في طلب ثوابٍ موهومٍ ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا﴾ وانصرفوا من مجامعهم «إِلَى أَهْلِهِمْ» وأقاربهم «أَنْقَلَبُوا» وانصرفوا حال كونهم «فَكَيْهِينَ» ومُعجبين بما هم فيه من الشرك والتَّعَمُّ، أو متلذذين بذكر المسلمين بالسوء والاستهزاء. ﴿وَإِذَا﴾ يشاهدوا المؤمنين و«رَأَوْهُمْ قَالُوا» تحقيراً لهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ المؤمنين «لَضَالُّونَ» حيث تركوا دين آبائهم والتَّعَمُّ بالثَّغْم، واغترَّوا بوعد محمدٍ وعيده ﴿وَإِنَّا لَنُؤْمِنُ بِهِمْ﴾ من قبلنا إلى المؤمنين ليكونوا «عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ» يَحْفَظُونَهُمْ من الضلال، ويُرشدونهم إلى الحق والصواب، فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالاً. وفيه إشعار بأن تعيين الحق والضلال شأن المرسلين من الله، لاشأان للناس الجَهْلَة والحمقاء.

روى بعض العامة منهم الفخر، أنه جاء عليٌّ عليه السلام في نفرٍ من المسلمين، فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا الأصلح، فضحكوا منه، فنزلت الآيات قبل أن

١. تفسير الرازي ٣١: ١٠٠.

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٠٠، والآية من سورة السجدة: ١٧/٣٢.

٣. في النسخة: ويخاطرونها.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣٧٢.

يصل علي ﷺ إلى رسول الله ﷺ^١.

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ
تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [٣٦-٣١]

ثم بين سبحانه أن المجرمين يُجازون في الآخرة على ضحكهم من المؤمنين بقوله: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ الذي هو يوم الحساب والجزاء على الأعمال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ وَيَسْخَرُونَ حين يرونهم أذلاء، معذَّبين ومعلولين لتحزَّزهم وتكبرهم في الدنيا، وأنهم يأكلون الزقوم ويشربون الحميم والغساق بعد تنعمهم وترفعهم.

روي أنهم يُفتح لهم بابٌ إلى الجنة فيقال لهم: اخرجوا إليها، فإذا وصلوا أغلق دونهم، فيضحك المؤمنون منهم^٢ حال كونهم جالسين ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ والسُّرر المحجلة ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى سوء حال المجرمين في النار، وهم يقولون، أو الله، أو الملائكة يقولون: ﴿هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ﴾ وعُوضوا ﴿مَا كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿يَفْعَلُونَ﴾ من الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم. وفيه تسلية للمؤمنين بأنه سينقلب الحال ويكون الكفار في الآخرة مضحوكاً منهم، وتعظيم للأولياء.

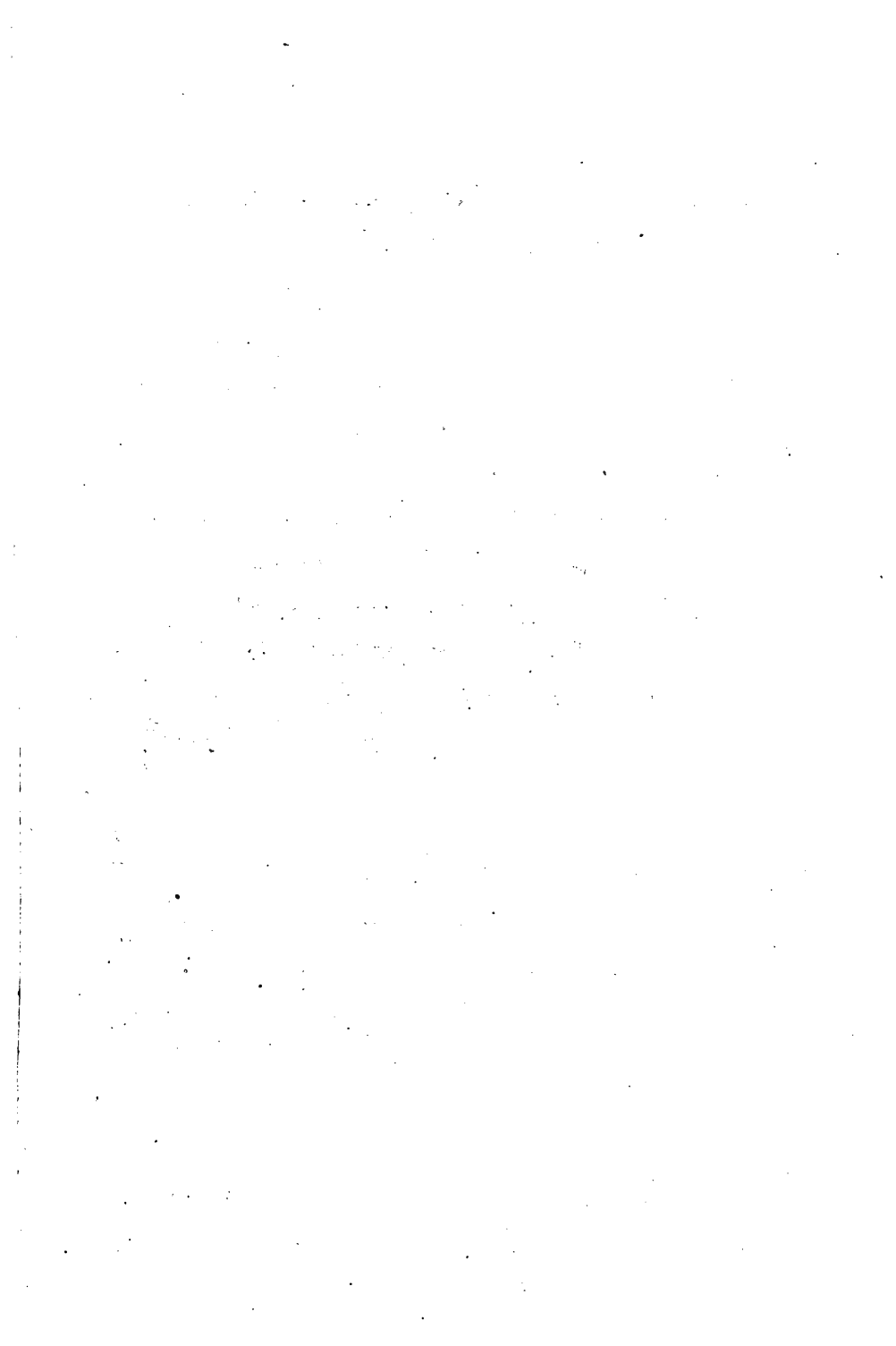
عن الصادق ﷺ: «من قرأ في الفريضة ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار، ولم تره ولا يراها، ولا يَمَرُّ على جسر جهنم، ولا يحاسب يوم القيامة»^٣. قد تم تفسير السورة بحمد الله ومنه^٤.

١. تفسير الرازي ٣١: ١٠١.

٢. جوامع الجامع: ٥٣٤، تفسير الصافي ٥: ٣٠٣، في النسخة: المؤمن منهم.

٣. ثواب الأعمال: ١٢٢، مجمع البيان ١٠: ٦٨٥، تفسير الصافي ٥: ٣٠٣.

٤. في النسخة: والمئة.



في تفسير سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا
فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ
كَذَٰهَا فَلَمَّا لَاقِيَهُ [٦-١]

ثم لما خُتِمت سورة التطفيل المتضمنة بيان عظمة يوم القيامة، وعظمة كتاب أعمال الأبرار، ومهانة أعمال الفجار، ورجوع الكافرين^١ إلى أهلهم مسرورين بكفرهم باستهزائهم بالمؤمنين، نُظِمت سورة الانشقاق المتضمنة لبيان أهوال القيامة، وحُسن حال المؤمنين الذين يؤتون كتاب أعمالهم بأيمانهم، وسوء حال الفجار الذين يؤتون كتابهم بشمالهم، ورجوع المؤمنين في الآخرة إلى أهلهم مسرورون، فابتدئها بذكر الأسماء المباركات بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
ثم افتتحها ببيان أهوال يوم القيامة بقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ لنزول الملائكة أو للسقوط، أو الانطواء أو لهول القيامة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «تنشق من المعجزة، وهي البياض المستطيل في وسط السماء»^٢.
﴿وَأَذِنَتْ﴾ السماء وانقادت ﴿لِرَبِّهَا﴾ وخالقتها حين أراد انشقاقها، كاتقياد العبد المطيع لأمر مولاه المطاع، أو الرعية لحكم السلطان القاهر المقتدر ﴿وَحُقَّتْ﴾ السماء، حقيقتها بالانقياد له، لكونها موجودة بايجاد، باقية بابقائه، مقهورة تحت قدرته، مربوبة بتربيته ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ﴾ بأمره تعالى ﴿مُدَّتْ﴾ وبُسِطت بإزالة جبالها وتلالها وآكامها عن مقامها بحيث صارت كالصحيفة الملساء، أو زيدت في سعتها لتسع لوقوف الأولين والآخرين عليها للحساب.
عن ابن عباس: إذا كان يوم القيامة مدَّ الله الأرض مدَّ الأديم العكاظي^٣.

١. في النسخة: المؤمنين.
٢. تفسير روح البيان ١٠: ٣٧٥.
٣. تفسير الرازي ٣١: ١٠٣، وفيه: الأديم الكاظمي، تفسير روح البيان ١٠: ٣٧٥، ولم يذكر الراوي.

﴿وَأَلْقَتْ﴾ ورمت ﴿مَا فِيهَا﴾ من الكنوز والموتى من بطنها إلى ظاهرها بالزلزال ﴿وَوَعَلَتْ﴾ عما تحمله بحيث لا يبقى فيها شيء ﴿وَأَذِنَتْ﴾ وانقادت ﴿لِرَبِّهَا﴾ في الإلقاء والتخلي ﴿وَوَحَقَّتْ﴾ بهذا الانقياد، وحقيقته لأنه شأن الممكن بالنسبة إلى الواجب، فعند ذلك وقعت الواقعة العظمى، وظهرت الأحوال التي قصرت الألسن عن شرحها ووصفها.

﴿بَنَّا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ الغافل عن عاقبة أمرك ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ ومُجْدٌ وساعٍ في دنياك، ومجتهدٌ في تحصيل شهواتك ﴿إِلَى﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ بالموت ﴿كَدْحًا﴾ وجدًّا بليغاً ﴿فَمَلَأْتِيهِ﴾ بعد الموت لأمحالة، وحاضرٌ في محكمة عدله تعالى البتة لامتفر منه.

وقيل: إن ضمير ﴿مَلَأْتِيهِ﴾ راجعٌ إلى الكدح^١، والمعنى فأنت ملأني كدحك وعملك بملاقاة صحيفة الأعمال.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَنَقَلِبُ إِلَى
أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا *
وَيَضَلَّى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ
كَانَ بِهِ بَصِيرًا * فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا
اتَّسَقَ [٧-١٨]

ثم بين سبحانه اختلاف أفراد الانسان في كتاب الأعمال بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ يوم القيامة ﴿بِيَمِينِهِ﴾ وهو المؤمن الصالح الذي كتب أعماله الملك القاعد عن يمينه ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ﴾ هذا المؤمن ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وسهلاً لمانقشة فيه ولاعتراض عليه بما يسوء، وهو على ما قيل: أن يعرف طاعته ومعصيته، فيثاب على طاعته وتُغفر معصيته^٢.

﴿و﴾ إذن ﴿يُنْقَلِبُ﴾ وينصرف ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ وعياله وذرياته إن كانوا في الجنة، أو إلى حور العين ﴿مَسْرُورًا﴾ وفرحاً بنجاته من النار وفوزه بالجنة.

عن عائشة قالت: سمعت رسول الله يقول: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» قلت: ما الحساب اليسير؟ قال: «ينظر في كتابه ويتجاوز عن سيئاته، فأما من نُوقِشَ في الحساب فقد هلك»^٣.
وعنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نُوقِشَ في الحساب فقد هلك» فقلت: يا رسول الله، إن

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٠٦، تفسير روح البيان ١٠: ٣٧٧.

١. تفسير الرازي ٣١: ١٠٥.

٣. تفسير الرازي ٣١: ١٠٦.

الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «ذلك العرض، ولكن من نُوقِشَ في الحساب عَذَّب»^١.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ﴾ وأعطي «كِتَابَهُ» وصحيفة عمله بشماله الذي جعل «وَرَاءَ ظَهْرِهِ» بعد ما غُلَّت يده اليمنى على ما قيل^٢، وقيل: تُخْلَع يده اليسرى وتُجْعَل من وراء ظهره^٣. وقيل: إن يده في محلها، ولكن يُعْطَى الكتاب بها من وراء ظهره. وقيل: يحول وجهه إلى قفاه، فيقرأ الكتاب كذلك^٤، «فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا» وهلاكاً لنفسه، ويقول: واثيرواه، لعلمه بذلك أنه من أصحاب النار ﴿وَو﴾ بعد ذلك «يَضَلَّى سَعِيرًا» أو يُدْخَل ناراً لأجل «إِنَّهُ كَانَ» في الدنيا «فِي أَهْلِهِ» وعياله وعشيرته «مَسْرُورًا» بالنعم والراحة من تعب العبادة ومشقة امتثال التكاليف، لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر، وعدم خوفه من الحساب، أو مسروراً بما هو عليه من الكفر والتكذيب بالبعث، وكان يضحك ممن آمن بهما «إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ» ولن يرجع بعد الموت إلى الحياة الدنيا، أو إلى الآخرة، أو إلى الله، كما عن بن عباس^٥.

﴿بَلَى﴾ يحور ويرجع إلى الحياة ويُبْعَث «إِنْ رِئُوءُ» الذي خلقه «كَانَ» حين خلقه «يَهُ» ويُنْخَبِث طيبته وشقاوته وسوء عمله وعاقبته «بَصِيرًا» وعالماً «فَلَا» يَظُنُّ أَنْ يَهْمِلَهُ الله ولا يعاقبه على كفره ومعاصيه «أَفَسِمُ» أيها الانسان «بِالْشَّقِيِّ» والحُمرة الباقية في الأفق بعد غروب الشمس، كما عن بن عباس^٦ «وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ» وجمع الليل بظلمته من النجوم والحيوانات التي يرجع إلى أماكنها من الدواب والسباع والوحوش والهوام والحشرات «وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ» واجتمع وتم وصار بدرًا. قيل. اقسام الله تعالى بهذه الأمور لظهور التحول والتغير فيها^٧ الدال على قدرته الكاملة.

لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ [١٩]

ثم يبين سبحانه المُقَسَّم عليه بقوله: «لَتَرْكَبَنَّ» ولتلاقن أيها الناس حالاً «طَبَقًا» وموافقاً لحال السابق متجاوزاً في الشدة «عَنْ طَبَقٍ» وحال موافق لسابقه. حاصل المراد - والله أعلم - لتلاقن حالاً بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول أو فوقها.

وقيل: إن الطَّبَق جمع طَبَقَة، وهي المَرْتَبَة، والمعنى: لتَرْكَبَنَّ أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض، وهي وما بعدها من مواطن البَرْزَخ والقيامة ودواهيها إلى حين

١- ٤. تفسير الرازي ٣١: ١٠٦.

٥. تفسير الرازي ٣١: ١٠٧.

٧. تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٠ و ٣٨١.

٦. تفسير الرازي ٣١: ١٠٨.

الاستقرار في الجنة أو النار^١.

وقيل: إنه المقصود أن الناس تتقل أحوالهم يوم القيامة مما كانوا عليه في الدنيا^٢ فإن الله لما أخبر عن حال من يؤتى كتابه وراء ظهره، وأنه كان في أهله مسروراً، وأنه ظن أن لن يحور، أخبر أنه يحور. ثم أقسم على أن الناس يركبون طبقاً عن طبق في الآخرة، أي حالاً بعد حالهم في الدنيا.

وقيل: يعني لتركب سنة الأولين ممن كانوا قبلكم في تكذيب الرسل والقيامة^٣.

عن الصادق عليه السلام: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» أي سنن من كان قبلكم^٤.

وعنه عليه السلام: «لتركب سنن من كان قبلكم من الأولين وأحوالهم»^٥.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أي لتسلكن^٦ سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء»^٧.

وعن الباقر عليه السلام قال: «أولم تتركب هذه الأمة بعد نبيها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان»^٨.

وعن القمي يقول: «لتركب سبيل^٩ من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل، والقعدة بالقعدة لأشخطن طريقهم، ولا يخطي»^{١٠} شبر بشير وذراع بذراع وباع بباع، حتى أنه لو كان من كان قبلكم دخل في جحر ضب لدخلتموه؟ قالوا اليهود والنصارى: من تعني يا رسول الله؟ قال: «فمن أعني، لتنفضن عرى الاسلام عروة عروة، فيكون أول ما تنفضون من دينكم الإمامة، وآخره الصلاة»^{١١}.

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ [٢٠-٢٥]

ثم لما بين سبحانه صحة البعث بالآيات المعجزات، ونسخ المشركين على عدم إيمانهم، وأظهر التعجب منه بقوله: «فَمَا لَهُمْ» من العذر، وأي مانع لهم أنهم «لَا يُؤْمِنُونَ» بهذا القرآن وما فيه من الإخبار بالبعث والحساب؟ «وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ» مع ما فيه من العلوم والإعجاز «لَا

١. تفسير الرازي ٣١: ١٠٩، تفسير روح البيان ١٠: ٣٨١.

٢ و ٣. تفسير الرازي ٣١: ١١٠.

٤. كمال الدين: ٦/٤٨٠، تفسير الصافي ٥: ٣٠٥.

٥. جوامع الجامع: ٥٣٥، تفسير الصافي ٥: ٣٠٥.

٦. في النسخة: لتركب.

٧. الاحتجاج: ٢٤٨، تفسير الصافي ٥: ٣٠٦.

٨. تفسير القمي ٢: ٤١٣، الكافي ١: ١٧/٣٤٣، تفسير الصافي ٥: ٣٠٦.

٩. في المصدر: سنة.

١٠. في المصدر: ولا تخطون طريقهم.

١١. تفسير القمي ٢: ٤١٣، تفسير الصافي ٥: ٣٠٦.

يَسْجُدُونَ^١ ولا يخضعون لله عن ابن عباس: المراد بالسجود الصلاة^١. وعن جماعة من المفسرين: المراد نفس السجود^٢.

رُوي أنَّ النبي ﷺ قرأ ذات يوم: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^٣ فسجد هو ومن معه من المؤمنين، وقرش تُصَفَّقُ فوق رؤوسهم وتصفّر، فنزلت الآية^٤.

ثمَّ بَيَّنَّ سبحانه علّة عدم سجودهم وإيمانهم بقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وبكتابه واليوم الآخر ﴿يُكْذِبُونَ﴾ الرسول والقرآن في إخبارهما بالبعث عناداً ولجاجاً وتقليداً لأبائهم، ولذا لا يخافون ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ من أنفسهم ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾ وما يُضْمِرُونَ في قلوبهم من الحسد والبغي واللجاج، أو بما يجمعون في صحف أعمالهم من الكفر والعصيان ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ يا محمد ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة، فإنهم بأعمالهم يُظْهِرُونَ أَنَّهُ مطلوبهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ منهم بعد كفرهم.

وقيل: إنَّ الاستثناء منقطع^٥، والمعنى: لكن الذين آمنوا ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الطاعات والعبادات ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرٌ﴾ وثواب عظيم ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ومقطوع، بل متصل ودائم، أو غير ممنون به عليهم، فإنَّ المِنَّة تُكَدِّرُ النعمة.

قد مرَّ ذكر ثواب قراءتها.

١ و٢. تفسير الرازي ٣١: ١١١.

٣. الملق: ١٩/٩٦.

٤. جوامع الجاعم: ٥٣٥، تفسير الصافي ٥: ٣٠٦.

٥. الكشف ٤: ٧٢٨، تفسير الرازي ٣١: ١١٣، تفسير الصافي ٥: ٣٠٦.

1. The first part of the paper

is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$.

It is shown that the function $f(x)$ is increasing and concave down.

2. The second part of the paper

is devoted to the study of the properties of the function $g(x)$ defined by the equation

$$g(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^4} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$.

It is shown that the function $g(x)$ is increasing and concave down.

3. The third part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $h(x)$ defined by the equation

$$h(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^6} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$.

It is shown that the function $h(x)$ is increasing and concave down.

4. The fourth part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $k(x)$ defined by the equation

$$k(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^8} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$.

It is shown that the function $k(x)$ is increasing and concave down.

5. The fifth part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $l(x)$ defined by the equation

$$l(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^{10}} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$.

It is shown that the function $l(x)$ is increasing and concave down.

6. The sixth part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $m(x)$ defined by the equation

$$m(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^{12}} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$.

It is shown that the function $m(x)$ is increasing and concave down.

7. The seventh part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $n(x)$ defined by the equation

في تفسير سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ مُّشْهُودٍ * قِيلَ أَصْحَابُ
الْأَخْدُودِ [١-٤]

ثم لما خُتِمت سورة الانشقاق المتضمنة لانكار المشركين بالبعث ودار الجزاء، وعدم إيمانهم بالقرآن وتكذيبهم الرسول ﷺ، وكان فيه تألم قلبه الشريف، نُظِمت سورة البروج المتضمنة لحكاية امتناع أصحاب الأخدود من الايمان، وإحراقهم المؤمنين بالنار، وتهديد الذين يُؤذون المؤمنين بالعذاب، لتسليّة قلب النبي ﷺ فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ثم ابتدأها سبحانه بالقسم بأشياء عظيمة القدر والشرف، لظهور آثار قدرته وحكمته بها بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ الاثني عشر التي فيها تسير الشمس في السنة الشمسية. وقيل: إن المراد بالبروج منازل القمر^١، وهي ثمانية وعشرون كوكباً^٢. وقيل: هي الكواكب العظام^٣ وتسميتها بالبروج لظهورها ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ للناس بلسان الأنبياء، وهو يوم القيامة، كما رواه أبوهريرة عن النبي ﷺ^٤ وهو يوم فصل القضاء، وظهور تفرّد الله تعالى بالملك والسلطان ﴿وَشَاهِدٍ﴾ وحاضر في ذلك اليوم من الملائكة والجنّ والإنس، ﴿وَو﴾ يوم ﴿مُشْهُودٍ﴾ وهو يوم القيامة، كما عن ابن عباس^٥، لمُعَاينة العجائب التي ليست في غيره، ولقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^٦.

وعن أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «اليوم الموعود يوم القيامة، والشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة»^٧.

١. تفسير الرازي ٣١: ١١٣، تفسير أبي السعود ٩: ١٣٥، تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٥.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٥. ٣. تفسير الرازي ٣١: ١١٣، تفسير أبي السعود ٩: ١٣٥.

٤. تفسير الرازي ٣١: ١١٣. ٥. تفسير الرازي ٣١: ١١٤.

٦. هود: ١٠٣/١١. ٧. تفسير الرازي ٣١: ١١٥.

وعن أبي هريرة مرفوعاً قال: «المشهد يوم عرفه والشاهد يوم الجمعة، ما طلعت شمس ولا غربت على أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مؤمنٌ يدعو الله بخيرٍ إلا استجاب له، ولا يستعيد من شرٍّ إلا أعاده منه»^١.

وعن ابن المسيب مرسلًا عن النبي ﷺ قال: «سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد، والمشهد يوم عرفة»^٢.

ورواية العامة عن أمير المؤمنين^٣ رواه أصحابنا عن الصادق^٤ وعن الباقر عليه السلام أنه سئل عن ذلك فقال: «ما قيل لك» فقال السائل: قالوا شاهد يوم الجمعة، ومشهود يوم عرفة. فقال: «ليس كما قيل لك، الشاهد يوم عرفة، والمشهد يوم القيامة، أما تقرأ القرآن؟ قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾»^٥.

وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن ذلك فقال: «النبي ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام»^٦.

وعلى أي تقدير قيل: إن جواب القسم محذوف^٧، والتقدير: لئن كفار مكة كما ﴿قُتِلَ﴾ ولئن ﴿أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ وأهل الخنادق. قيل: كانوا ثلاثة: انطيانوس الرومي بالشام، وبخت نصر بفارس، ويوسف ذو نواس الجُمَيْرِي بنجران يمني، كل واحد منهم حفر خندقاً عظيماً، طوله أربعون ذراعاً، وعرضه اثنا عشر ذراعاً، وملأوه ناراً، وألقوا فيه المؤمنين^٨.

قيل: إن المقصود بأصحاب الأخدود في الآية ذو نواس النجراني اليهودي وجنوده، قالوا: إن عبداً صالحاً يقال له: عبدالله بن الثامر، وقع إلى نجران، وكان على دين عيسى عليه السلام، فدعاهم فأجابوه، فسار إليهم ذو نواس بجنود من حِمير، فخيبرهم بين النار واليهودية، فأبوا اليهودية، فحفر الخنادق وأضرم فيها النيران، فجعل يلقي فيها كل من أتبع ابن الثامر حتى أحرق نحواً من اثني عشر ألفاً، أو عشرين ألفاً أو سبعين ألفاً، وكان اسم ذو نواس زرعة بن حسان ملك حِمير، وسمى نفسه يوسف^٩.

وروي أنه انفلت رجلٌ من أهل نجران، اسمه دوس ذو ثعلبان، ووجد إنجياً محترقاً بعضه، فأتى به ملك الحبشة، وكان نصرانياً، فقال له: إن أهل دينك أوقدت لهم نار فأحرقوا بها وأخرقت كتبهم، وهذا بعضها. فأراه الذي جاء به، ففرغ لذلك، فكتب إلى صاحب الروم يستمده بتجارين يعملون له

١ و ٢. تفسير الرازي ٣١: ١١٥.

٣. تفسير الرازي ٣١: ١١٥.

٤. معاني الأخبار: ٢٧/٢٩٨، تفسير الصافي ٥: ٣٠٨.

٥. معاني الأخبار: ٥/٢٩٩، تفسير الصافي ٥: ٣٠٨.

٦. الكافي ١: ٦٩/٣٥٢، معاني الأخبار: ٧/٢٩٩، تفسير الصافي ٥: ٣٠٨.

٧. تفسير الرازي ٣١: ١١٦، تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٥.

٨. تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٦.

٩. تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٦.

السفينة، فبعث إليه صاحب الروم من عَمِلَ له السفن، فزَكُوا فيها، فخرجوا إلى ساحل اليمن، فخرج إليهم أهل اليمن، فلقوهم بيتهامة، واقتتلوا، فلم يَزَ مَلِكٌ حِمْيَرٍ له بهم طاقة، وخاف أن يأخذوه، فضرب فرسه حتى وقع في البحر فمات فيه، فاستولى الحبشة على حِمْيَرٍ وماحولها وتملكوا، وبقي المَلِكُ لهم إلى وقت الإسلام^١.

وفي الحديث: «كان ملك فيمن كان قبلكم» كان له ساحرٌ، فلَمَّا كَبِرَ قال للمَلِك: إني كَبِرْتُ فابعث إليَّ غُلاماً أَعَلَّمَهُ السحر. فبعث إليه غُلاماً يُعَلِّمُهُ، فكان في طريقه راهبٌ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مَرَّ بالراهب وقعد إليه، فاذا أتى الساحر ضرب لمكثته، فكشا إلى الراهب، فقال له: إذا خشيت الساحر فقل له: حبسني أهلي.

ثم إنَّ الغُلامَ رأى يوماً في طريقه حيَّةً فقال: اليوم أعلم أنَّ الساحر أفضل أم الراهب، فأخذ حَجَراً وقال: اللهم إن كان الراهب أحبَّ إليك من الساحر فقَوِّنِي على قتلها، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال الراهب: أي بُني، أنت اليوم أفضل مِنِّي، قد بلغ من أمرك ما أدري، وإنَّكَ سَتَبْتَلِي، فان ابْتَلَيْت فلا تَدَلَّ عليَّ.

وكان الغلام يُبْرِئُ الأكمه والأبرص، ويُشْفِي المريض. فَسَمِعَ ذلك جليس المَلِك، وكان أعمى، فاتاه بهدايا، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن شفيتني. قال الغلام: إني لأشفي أحداً، إنَّما يُشْفِي الله، فان آمَنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله.

فأتى المَلِكَ فجلس إليه، كما كان يجلس، فقال المَلِك: من ردَّ بصرك؟ قال: رَبِّي. قال: أولك ربٌ غيري؟ قال: رَبِّي وَرَبُّكَ الله. فأخذه فلم يزل يُعَذِّبُهُ حتى دَلَّ على الغُلام، فحجىء بالغلام فقال له المَلِك. أي بني، قد بلغت من سِحْرِكَ أَنَّكَ تُبْرِئُ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل!

فقال: أنا لأشفي أحداً، إنَّما يُشْفِي الله، فآخذه ولم يزل يُعَذِّبُهُ حتى دَلَّ على الراهب، فحجىء بالراهب. فقال له: أرجع عن دينك فأبى، فدعا بالْمِنْشَارِ فوضعه في مَفْرَقِ رأسه فشَقَّهُ به حتَّى وقع شِقَّاه، ثمَّ حجىء بجليس المَلِكَ فقال له: أرجع عن دينك فأبى، فوضع المِنْشَارَ على مَفْرَقِ رأسه فشَقَّهُ به حتى وقع شِقَّاه، ثمَّ حجىء بالغلام فقال له: أرجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه. فقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فاذا بلغتُم دُرُوتَهُ فان رجِعْ عن دينه وإلَّا فاطرحوه.

فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال الغلام: اللهم أكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا،

فجاء الغلام يمشي إلى المَلِك، فقال له المَلِك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فدفعه إلى نفر آخر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور^١، فتوسطوا به البحر، فان رجع عن دينه وإلا فاقذِفوه في البحر، فذهبوا به. فقال الغلام: اللهم أكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء الغلام يمشي إلى المَلِك، فقال المَلِك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فقال للمَلِك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ففعل كما قال الغلام، ثم رماه فوق السهم في صُدْغِه، فوضع يده على صُدْغِه في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برَبِّ الغلام.

فأتى المَلِك فقيل له: أرايت قد وقع ما كنت تحذر منه، والله قد نزل بك حذرک؛ أي قد آمن الناس، فأمر بالأخذود في افواه السكك، فخذدت واضرم النار فيها، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي رضيع لها. قيل في بعض الروايات: كان لها ثلاثة أولاد أحدهم رضيع، فقال لها المَلِك: ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك في النار فأبت، فأخذ ابنها الأكبر وألقاه في النار، ثم قال لها: ارجعي عن دينك فأبت، فأخذوا الصبي ليلقوه فيها فهمت بالرجوع، فقال الصبي: يا أمّاه، لا ترجعي عن الاسلام، فأنتك على الحق ولا بأس عليك^٢.

وقيل: إنّه قال: فأب بين يديك ناراً لا تطفأ، فألقى الصبي في النار، وأمته على أثره.

قيل: كان ذلك المَلِك ذو نواس الجُميري، وكانت القصة قبل مولد النبي بتسعين سنة^٣.

قال بعض العامة: روي أن صَريّة احتفرت في زمن خلافة عمر بن الخطاب، فوجد الغلام الذي قتله المَلِك وإصبعه على صُدْغِه^٤.

وفي بعض التفاسير: فوجدوا عبد الله بن الثامر - ولعلّه اسم ذلك الغلام - واضعاً يده على صُدْغِه، إذ أميطت يده عنها سال دمه، وإذا تُركت على حالها انقطع، وفي يده خاتم من حديد فيه: ربّي الله، فكتبوا إلى عمر، فكتب بأن يواروه يُعيدوا الثراب عليه، وكتب إليهم، إن ذلك الغلام صاحب الأخدود فاتركوه على حاله حتى يبعثه الله يوم القيامة على حاله^٥.

وروي في (المجمع) جميع ما ذكر بأدنى تفاوت^٦.

١. أي السفينة الطويلة العظيمة.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٧.

٣. ٥. تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٨.

٦. مجمع البيان ١٠: ٧٠٥، تفسير الصافي ٥: ٣١٠.

وعن القمي قال: كان سببهم أن الذي هُجج الحبشة على غزوة اليمن ذونؤاس، وهو آخر من ملك جُمَيْر، تهوّد واجتمعت معه جُمَيْر على اليهوديه، وسمّى نفسه يوسف، وأقام على ذلك حيناً من الدهر، ثم أُخِيرَ أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانية والمسيحية وعلى حكم الإنجيل، ورأس ذلك الدين عبدالله بن رياس^١، فحمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية، يُدخلهم فيها، فسار حتّى قَدِمَ نَجْران، فجمع من كان بها على دين النصرانية، ثمّ عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها، فأبوا عليه، فجادلهم وعرض عليهم وحرص الحرص^٢ كلّهُ، فأبوا عليه، وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها، واختاروا القتل، فاتخذ لهم أخذوداً، وجمع فيه^٣ الحطب، وأشعل فيه النار، فمَنهم من أحرّق بالنار، ومنهم من قُتِل بالسيف، ومثّل بهم كلّ مُثْلَةٍ، فبلغ عدد قتل وأحرق بالنار عشرين ألفاً، وأفلت رجلٌ منهم يدعى دَوْس ذو ثعلبان على فرسٍ له وركضه^٤، واتبعوه حتّى أعجزهم في الرمل، ورجع ذونؤاس إلى ضيعة^٥ في جنوده^٦.

وروى الفخر الرازي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال: «هم أهل الكتاب، وكانوا متمسكين بكتابهم، وكانت الخمر قد أحلت لهم، فتناولها بعض ملوكهم، فسكر فوقع على أخته، فلما صحا نِدِمَ وطلب المخرج، فقالت له: المخرج أن تخطب الناس فتقول: إنّ الله تعالى قد أحلّ نكاح الأخوات، ثمّ تخطبهم بعد ذلك فتقول: إنّ الله حرّمه، فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت له: ابسط فيهم السوط، فلم يقبلوا، فقالت: ابسط فيهم السيف، فلم يقبلوا، فأمرته بالأخذيد وإيقاد النيران، وطرح من أبى فيها، فهم الذين أراد الله بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾^٧.

وعن الباقر عليه السلام قال: «ارسل علي عليه السلام إلى أشقَف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود، فأخبره بشيء. فقال: ليس كما ذكرت، ولكن سأخبرك عنهم، إنّ الله بعث رجلاً حبشياً نبياً، وهم حبشة فكذبوه، فقاتلهم فقتلوا أصحابه، وأسروه وأسروا أصحابه، ثم بنوا له خيراً^٨، ثم ملاؤوه ناراً، ثم جمعوا الناس فقالوا: من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه، فجعل أصحابه يتهافون في النار، فجاءت امرأة معها صبيٌّ لها ابن شهر، فلما قُربت هابت ورقت على ابنها، فناداها الصبيّ، لاتهابي وارميني ونفسك في النار، فإنّ هذا والله في الله قليلٌ. فرمت بنفسها

١. في المصدر: عبدالله بن برياء، وفي تفسير الصافي: عبدالله بن برياس، وفي تاريخ الطبري ٢: ١٢٢، والكمال في

التاريخ ١: ٤٢٩، عبدالله بن الناصر.

٢. في النسخة: فيها من. ٣. ركض الفرس برجله: استحثّه للعدو.

٤. في المصدر: ضيعة. ٥. في النسخة: بينهم وحرص الحرص.

٦. تفسير القمي ٢: ٤٢٣، تفسير الصافي ٥: ٣٠٩. ٧. تفسير الرازي ٣١: ١١٧.

٨. الخير: شبه الحظيرة أو الجمى.

في النار وصبيها، وكان ممن تكلم في المهدة^١.

أقول: قد ظهر أن الروايات في القصة مختلفة، وجمعها وإن كان ممكناً إلا أنه لا يثبت، لعدم حُجَّتِها في المقام، وإنما المعلوم من جميعها أن ملكاً من الكفار، أو قوماً منهم، حفروا أخدوداً وأحرقوا جمعاً من المؤمنين بالنار لإيمانهم، ولا يبعد أن القصة كانت مشهورة في العرب، ذكرها سبحانه تسليّة للنبي ﷺ والمؤمنين المبتهلين بإيذاء المشركين.

النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ
شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [٥-٩]

ثم فسر سبحانه الأخدود بقوله: «النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ» والتقدير: أعني بالأخدود النار التي أوقدت بالحطب في الأخدود، فارتفع لهبها وأحرق أولئك القوم «إِذْ هُمْ» بعد إيقاد النار وإلقاء المؤمنين فيها كانوا «عَلَيْهَا قُعُودٌ» على سُرر وكراسي على ما قيل^٢، ينظرون إلى احتراق المؤمنين فيها «وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ» من الإحراق والتعذيب «شُهُودٌ» عند الملك، يشهدون أن أحداً من المأمورين لم يقصر فيما أمرته لرحم وإشفاق.

وقيل: إنهم شهود على عملهم الشنيع يوم القيامة، حيث إنه تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون^٣.

«وَمَا نَقَمُوا» أولئك الجبارون من المؤمنين، وما أنكروا «مِنْهُمْ» عملاً «إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا» أولئك المؤمنون «بِاللَّهِ» الذي يجب بحكم العقل الإيمان به، لأنه تعالى هو «الْعَزِيزُ» والقاهر على كل شيء، وهو «الْحَمِيدُ» والمستحق للحمد، لكونه منعماً على جميع الموجودات، فعلى العاقل أن يخاف من سطوته وقهارته إن لم يؤمن به، ويرجو نعمة وإحسانه إن آمن به، وهو «الَّذِي لَهُ» وحده «مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» والسلطنة المطلقة في عوالم الملك والملوك، يُعَذَّبُ من يشاء ويرحم من يشاء «وَهُوَ» «اللَّهُ» والإله المستجمع لجميع الكمالات والخالق لكل شيء، وهو «عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ» من أفعال الكفار والمؤمنين وغيرها من الموجودات الحقية والجليلة الظاهرة والخفية حتى الخواطر والضمائر «شَهِيدٌ» ومطلع إطلاع الحاضر المشاهد، فيُعَذَّبُ الكفار والعصاة

١. مجمع البيان ٧٠٦: ١٠، تفسير الصافي ٣٠٩: ٥.

٢. تفسير روح البيان ٧٠٦: ١٠.

٣. تفسير روح البيان ٣٨٩: ١٠.

على ظلمهم وعصيانهم، ويثيب المؤمنين المطيعين على صبرهم وطاعتهم، وكيف يُنكرون الإيمان على المؤمنين ويُغضبون عليهم مع أنهم مستحقون لغاية التكريم والتجليل!

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ [١٠]

ثم بالغ سبحانه في تهديد الكفار المؤذنين للمؤمنين والمؤمنات بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أو مخنومهم بتعذيبهم وإيذائهم. وعن ابن عباس: أحرقوهم بالنار^١ ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك لم يؤمنوا و﴿لَمْ يَتُوبُوا﴾ من كفرهم وعصيانهم إلى الله ﴿فَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً على كفرهم وعصيانهم ﴿وَلَهُمْ﴾ مضافاً إلى ذلك ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ والشديد على إيذائهم للمؤمنين، أو زائداً على تعذيب غيرهم.

وقيل: إن المراد من عذاب الحريق تعذيبهم في الدنيا بالنار^٢.
روي أن الجبارون لما ألقوا المؤمنين في النار وقعدوا حولها ارتفعت النار فوقهم أربعين ذراعاً، فوقعت عليهم وأحرقتهم، ونجا المؤمنون سالمين^٣.
وقيل: إن الله قبض أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار^٤.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ [١١-١٦]

ثم أردف سبحانه تهديد الكفار بوعده المؤمنين عموماً بالثواب العظيم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ سواء كانوا من المفتونين أو غيرهم ﴿لَهُمْ﴾ جزاءً على إيمانهم وأعمالهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ ذات أشجار كثيرة وقصور عالية ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الكثيرة و ﴿ذَلِكَ﴾ الثواب العظيم هو ﴿الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ والتَّيْلُ بأعلى المقاصد الذي تصغر عندها الدنيا وما فيها.

ثم أكد سبحانه وعيده الكفار بقوله مخاطباً للنبي ﷺ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ يَا مُحَمَّد، وأخذه بالقوة لَشَدِيدٌ﴾ لا يطيقه أحد، وإنما أمهلهم للحكمة البالغة لا للإهمال ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي﴾ الخلق في الدنيا

١. تفسير الرازي ٣١: ١٢١.

٢. مجمع البيان ١٠: ٧١٠، تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٩.

٥. في النسخة: لا يطيق له.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٣٨٩.

﴿وَيُعِيدُهُمْ﴾ هم، ويخلقهم ثانياً في الآخرة، ليجازيهم على أعمالهم. وعن ابن عباس: أن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحماً ثم يعيدهم خلقاً جديداً، وذلك هو المراد من قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾^١.

ثم أكد سبحانه وعده للمؤمنين بقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ للذنوب ﴿الْوَدُودُ﴾ بالمؤمنين، والمحِبُّ لهم، وهو ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ وصاحب سرير الملك والسلطنة، أو خالقه ﴿الْمَجِيدُ﴾ والعظيم في ذاته، والشريف في أفعاله، وهو ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يراحمه شيء في إنفاذ إرادته، ولا يمنعه مانع من إتمام مُرادِه، يفعل ما يشاء كيف يشاء، وذكر صيغة المبالغة لكثرة أفعاله من الإحياء والإماتة والإغناء والافقار والإعزاز والإذلال وغيرها.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنٌ وَثُمَّودُ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ
* وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [١٧-٢٢]

ثم استشهد سبحانه على شدة بطشه بقصة أخذه الأمم المكذبة للرسل بقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد، وهل سمعت منا ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ الكافرة وخبر الجماعات المكذبة للرسل؟ أعني ﴿فِرْعَوْنُ﴾ ﴿وَوُ﴾ قومه ﴿ثُمَّودُ﴾ قوم صالح، كيف فعلوا، وكيف فعلنا بهم وأهلكناهم بعذاب شديد؟ فذكر قومك بما نزل عليهم من العذاب لعلهم يتذكرون، وآتى لهم الذكرى ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك وأصروا على العناد والطغيان ليسوا مثل الأمم السابقة، بل هم أشد كفراً وعناداً، لأنهم مستفرون ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ عظيم لرسالتك وكتابك بحيث لا ينصرفون عنه مع دالة الأدلة الباهرة على صحتهما. ثم بالغ سبحانه في تسلية نبيه ﷺ على تكذيب قومه بقوله: ﴿وَاللَّهُ﴾ القادر القاهر ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ بهم لا يقدرّون على الفرار من أخذه وعذابه، فلا تتألم من تكذيبهم إياك، فإنّي انتقم منهم أشد الانتقام، وليس تكذيبهم لكتابك مؤهناً له، ولا نسبته إلى الشعر والسحر والكهانة مُسْقِطاً له عن الأنظار ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ وكتاب شريف عالي القدر في الكتب السماوية الإلهية، مثبت ومضبوط ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ عند الله مضمون من مساس الشياطين وتحريف المبطلين.

عن ابن عباس: أن الله خلق لوحاً محفوظاً من دُرّة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين مرة، يُحيي ويميت، ويُعزّز ويُدنّل، ويفعل ما يشاء، وفي صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده، ودينه الاسلام، ومحمد

عبده ورسوله، فمن آمن به وصّدق وعده وأتبع رسله أدخله الجنة^١.

وعن الصادق عليه السلام قال: «بيننا رسول الله ﷺ جالسٌ وعنده جبرئيل، إذ حانت من جبرئيل نظرةٌ قبل السماء إلى أن قال: قال جبرئيل: إنّ هذا إسرَافيل حاجب الربّ، وأقرب خلق الله منه، واللّوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، فاذا تكلم الربّ تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللّوح جبينه فنظر فيه، ثمّ ألقاه إلينا نسعى به في السماوات والأرض»^٢.

وعن القمي عليه السلام، قال: اللّوح [المحفوظ] له طَرَفان، طَرَف على يمين العرش، وطَرَف على جبهة إسرَافيل، فاذا تكلم الربّ جلّ جلاله بالوحي ضرب اللّوح جبين إسرَافيل، فنظر في اللّوح، فوحي بما في اللّوح إلى جبرئيل^٣.

أقول: هذه الأخبار ممّا لا تدركه عقولنا، وإنّما تُذكر لاحتمال أن ينظر إليها من نور الله قلبه للإيمان، فيفهم منها معاني غير ظاهرها.

عن الصادق: «من قرأ سورة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ في فريضة، فإنّها سورة النبيين، كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين والصالحين»^٤.

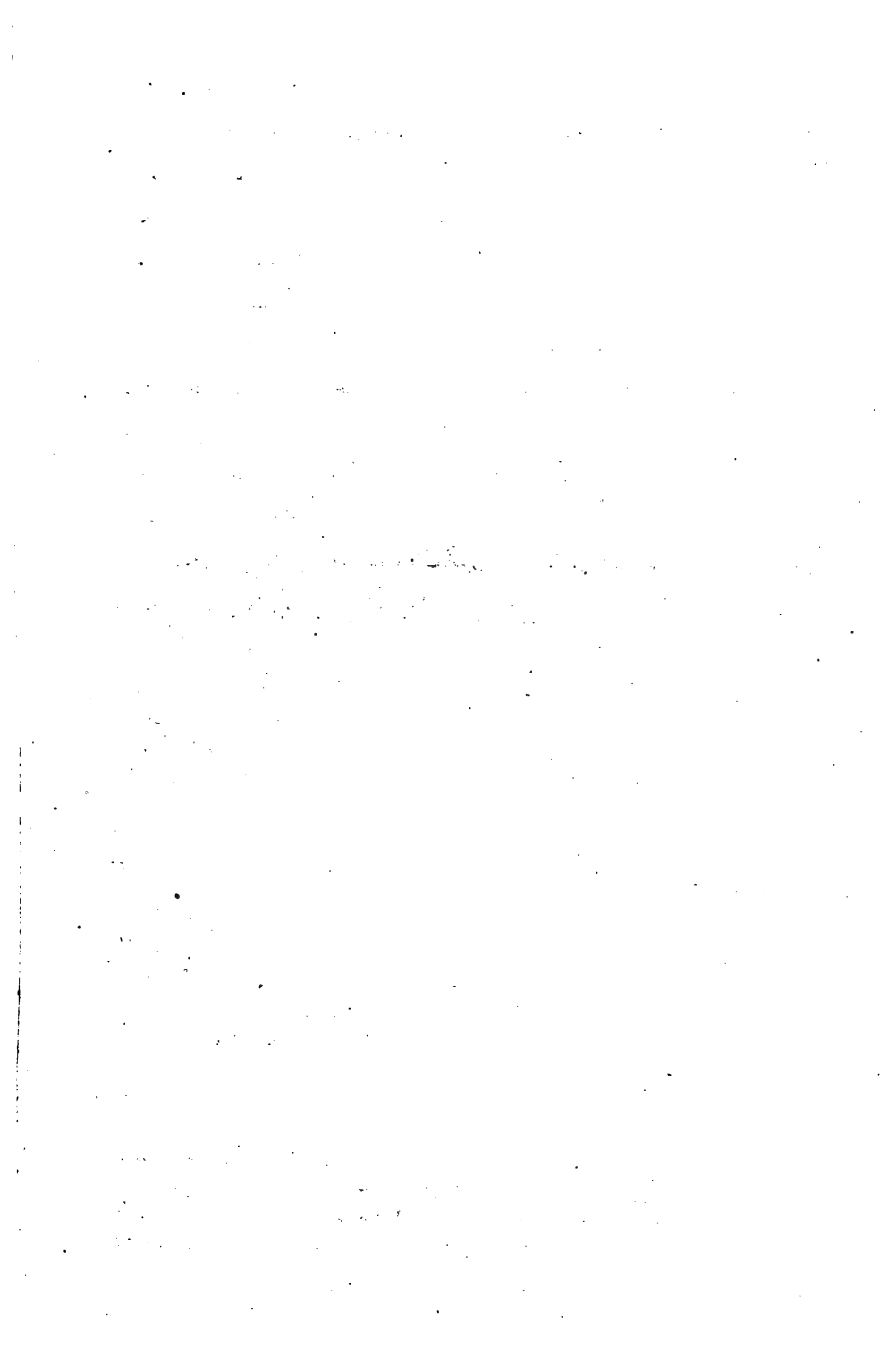
{

١. تفسير روح البيان ١٠: ٣٩٥.

٢. تفسير القمي ٢: ٢٧، عن الباقر عليه السلام، تفسير الصافي ٥: ٣١٢.

٣. تفسير القمي ٢: ٤١٤، تفسير الصافي ٥: ٣١٢. ٤. في النسخة: يدرك.

٥. ثواب الأعمال: ١٢٢، مجمع البيان ١٠: ٧٠٣، تفسير الصافي ٥: ٣١٢.



في تفسير سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ [١-٣]

ثم لما خُتِمت سورة البروج المبدؤة بالخَلْفِ بالسمااء ذات البروج، المتضمنة لبيان كونه تعالى مبدأ الخلق ومُعِيدهم للجزاء، وكونه محيطاً بالكفَّار، وبيان عظمة القرآن، وتكذيب الكفَّار إيَّاه، نُظِمت سورة الطارق المبدؤة بالخَلْفِ بالسمااء والنجم الثاقب، المتضمنة لبيان كونه تعالى حافظاً لجميع النفوس، وبيان بدء خلقه الانسان وإرجاعه بعد الموت إلى الحياة لجزاء الأعمال، وبيان كون القرآن فاصلاً بين الحقِّ والباطل، وأنَّ الكفَّار يكيدون في إيْطاله، وتهديدهم بالعذاب، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بالخَلْفِ بما فيه ظهور كمال قدرته بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ التي فيها من العجائب والآيات ما فيه دلالة ظاهرة على كمال قدرته وحكمته، ﴿وَالْشَّيْءِ﴾ «الطَّارِقِ» والظاهر بالليل ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ وأي شيء أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ وأي شيء هو.

ثم كأنه قيل: ما هو؟ فقال سبحانه: «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» والكواكب المضيئة الذي ينفذ نوره في الأفلاك، وهو زُحَل، حيث إنه في السماء السابعة.

عن الصادق عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ: «مَا زُحَلٌ عِنْدَكُمْ فِي النُّجُومِ؟» قَالَ الْيَمَانِيُّ: نَجْمٌ نَحْسٌ. فَقَالَ: «لَا تَقُولُوا هَذَا، فَإِنَّهُ نَجْمٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ نَجْمُ الْأَوْصِيَاءِ، وَهُوَ النُّجْمُ الثَّاقِبُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ».

فقال اليماني: فما يعني بالثاقب؟ قال: «لَأَنْ مَطْلِعَهُ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، وَإِنَّهُ يَثْقُبُ بَضْوَتَهُ حَتَّى أَضَاءَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَمَنْ تَمَّ سَمَاءُ اللَّهِ النُّجْمُ الثَّاقِبُ»^١.

روى بعض العامة: أَنَّ أَبَاطَالِبَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَحَفَهُ بِخُبْزٍ وَلَبَنٍ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ يَأْكُلُ إِذْ انْحَطَّ

١. الخصال: ٦٨/٤٨٩، تفسير الصافي ٥: ٣١٣.

نجم، فامتلاً ماءً ثم ناراً، فنزع أبوطالب، وقال: أي شيء هذا؟ فقال ﷺ: «هذا نجمٌ رمي به، وهو آية من آيات الله» فعجّب أبوطالب، فنزلت السورة^١.

إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْنَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ [٤-١٠]

ثم ذكر الله سبحانه المُقَسَّم عليه بقوله: «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ» وما من أحدٍ «لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» وقبّ عالمٌ بأحواله وأفعاله ومصالحه ومنافعه، وهو الله الخالق له.

وقيل: إنه الملائكة الحافظون لأعماله الكاتبون لها دقيقها وجليلها^٢، أو المراد الحافظون لها بحفظ رزقها وأجلها، الصائنون لها من المهالك، فإذا استوفت أجلها ورزقها قبضها إلى ربّها وسلمها إلى المقابر^٣.

ثم لما بين إحاطته بالنفوس، بين قدرته على إعادة خلقه للمجازاة، واستدلّ عليها بقدرته على خلقه في الدنيا بقوله: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ» ويتفكّر العاقل المُتَنَكِّر للبعث أنّه «مِمَّ خُلِقَ» ومن أي شيء تكون في هذا العالم؟

ثم كأنه قيل: ممّ خُلِقَ ياربّ؟ فأجاب سبحانه: «خُلِقَ» وتكون «مِنْ مَّاءٍ» لَرَجٍ قَدَرٍ «دَافِقٍ» ومُنْصَبٍ في الرَّجِمِ «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ» والتُّنْخَاع الذي في ظهر الرجل «وَو» من بين «التَّرَائِبِ» والعظام التي في صدر المرأة.

وعن أمير المؤمنين ﷺ وابن عباس: من بين الثديين^٤.

قيل: إذا تولّد شيء من بين شيئين متباينين يقال إنّهُ خرج من بينهما^٥. والدَّفَق وإن كان صفة ماء الرجل، ولكن إذا اجتمع مع غيره يصحّ أن يُوصَف الكلّ بصفة الجزء، ويقال للمجموع دافق، فدلّت الآية على أنّ الولد يُخلَق من ماء الرجل والمرأة، كما دلّ عليه ما روي عن النبي ﷺ من قوله: «إذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكراً، ويعود شبهه إليه وإلى أقاربه، وإذا غلب ماء المرأة فإليها وإلى أقاربها يعود الشبه»^٦.

قيل: تتكوّن النُطفة من جميع أجزاء البدن، ثم تجتمع نُطفة الرجل في فِقَار ظهره، ونُطفة المرأة في

٢ و ٣. تفسير الرازي ٣١: ١٢٨.

٥. تفسير الرازي ٣١: ١٢٩.

١. تفسير الرازي ٣١: ١٢٧.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٣٩٨.

٦. تفسير الرازي ٣١: ١٢٩.

ترانيتها^١.

فإذا ظهر أن القادر الحكيم خلق الانسان الذي هو أنموذج العالم الكبير من النطفة، ظهر عنده كالشمس في رابعة النهار ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾ وإعادة خلقه بعد موته وصيرورته ثراباً ﴿لَقَادِرٌ﴾ فيخلقته بقدرته ﴿يَوْمَ تُبْلَىٰ﴾ وتُخْبَرُ ﴿السَّرَائِرُ﴾ والضمائر من العقائد والنيات وغيرها من المخفيات لجميع الناس، فيتباهى المؤمن الخالص الحسن السريرة، ويفتضح المنافق المراني السيء السريرة.

عن (المجمع) عن النبي ﷺ أنه سُئل: ما هذه السرائر التي ابتلى الله بها العباد في الآخرة؟ فقال: «سرايركم هي أعمالكم من الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والغسل من الجنابة، وكل مفروض، لأن الأعمال كلها سراير خفية، فان شاء الرجل قال: صليت ولم يصل، إن شاء قال: توضأت ولم يتوضأ، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَىٰ السَّرَائِرُ﴾^٢. ﴿فَمَا﴾ للانسان، وليس ﴿لَهُ﴾ في ذلك اليوم ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ في نفسه يدفع بها العذاب الذي حلَّ به ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يتصر به فيحفظه من العذاب بالقوة والحيلة والشفاعة.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ * وَمَا هُوَ
بِالْهَزَلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ
رُؤُودًا [١١-١٧]

ثم بين سبحانه عظمة القرآن بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ وصاحبة المطر، كما عن ابن عباس^٣، إنما سمي المطر رجعاً لظن العرب أن السحاب يحمل الماء من الأرض، ثم يرجعه إليها، ويحتمل كون المراد بتوصيف السماء بالرجوع كونها ذات حركة دورية. وقيل: إنه باعتبار أن شمسها وقمرها ونجومها تغيب وتطلع^٤. ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ والانشقاق لنبعان العيون وخروج النباتات.

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه، وهو عظمة القرآن بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ﴾ وكلام ﴿فَضْلٍ﴾ وقاطع للمراء والجidal، وفاصل بين الحق والباطل، ومميز كل منهما عن الآخر، لظهور الاعجاز فيه وكونه كلام الله ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزَلِ﴾ بل كله جد مطابق للواقع، فحقه أن يهتدى به ويترجح ما خالفه.

ثم ذم كفار مكة بقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ﴾ ويحتالون في إبطاله وإطفاء نوره بإلقاء الشبهات نسبتها إلى الشعر والسحر والكهانة والاختلاق ﴿كَيْدًا﴾ بليغاً ﴿وَأَكِيدُ﴾ أنا أيضاً، وأدبر في ترويجه وإبطال

١. تفسير روح البيان ١٠: ٣٩٩.

٢. مجمع البيان ١٠: ٧١٥، تفسير الصافي ٥: ٣١٤.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤٠٠.

٤. مجمع البيان ١٠: ٧١٥، تفسير الصافي ٥: ٣١٤.

مَسَاعِيهِمْ^١ «كَيِّدًا» وتديباً متيناً لا يمكنهم رده، وهو نصرة محمد ﷺ، وإعلاء دينه، وإذلال أعدائه «فَمَهْلٍ» أنت يا محمد «الْكَافِرِينَ» المعاندين للحق، ولا تستعجل في إهلاكهم والانتقام منهم. ثم كرر سبحانه الأمر بامهالهم مع اختلاف اللفظين لزيادة التأكيد من الرسول بقوله: «أَمَهُلْهُمْ» إمهالاً «وَوَيْدًا» وقيلاً وعلى رفيق وثؤدة، أمهلهم حال كونك غير مستعجل في الانتقام إلى يوم القيامة، أو إلى موتهم، أو إلى أن يبلغ في الدنيا وقت الانتقام منهم.

عن الصادق عليه السلام: «من كانت قرأته في الفرائض «وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ» كان له عند الله يوم القيامة جاه ومنزلة، وكان من رفقاء النبيين وأصحابهم في الجنة»^٢.

١. في النسخة: مساعهم. ٢. ثواب الاعمال: ١٢٢، مجمع البيان ١٠: ٧١٢، تفسير الصافي ٥: ٣١٥.

في تفسير سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى [١]

ثم لما حُتِمت سورة الطارق المتضمنة لبيان مبدأ خلق الانسان والمِنَّة عليه بنعمة إيجاده وبيان عَظَمَةِ القرآن وكونه فاصلاً بين الحق والباطل، المقضي لتسبيحه وتعظيمه، نُظِمت سورة الأعلى المبتدئة بأمر النبي ﷺ بتسبيحه وتنزيهه، وبيان خلق الانسان، والمِنَّة عليه بنعمه هذه تعالى، فافتتحها بذكر الأسماء المباركات بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بأمر النبي ﷺ بتسبيحه بقوله: ﴿سَبِّحْ﴾ يا محمد نزهه عن العيوب والنقائص ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ وما يطلق على ذاته ﴿الْأَعْلَى﴾ والأرفع من جميع الموجودات شأنًا ومقامًا وسلطانًا، أو أعلى من أن يصفه الواصفون ويذكره الذاكرون.

وقيل: إن المراد بالاسم علمه تعالى، والمقصود تنزيه ذاته ببيان أبلغ وأكد، حيث إن من كان اسمه واجب التنزيه والتقديس، كان تنزيه ذاته أوجب وألزم^١.

وقيل: إن تنزيه اسمه عدم تسمية غيره تعالى به^٢، ومثل صونه عن الابتذال، والذكر على وجه التعظيم والخشوع^٣.

وقيل: إن المراد من الاسم ذاته^٤، وقيل: صفته^٥، والمعنى: نزهه صفته المثبتة عن ذاته المقدسة عن النقائص الإمكانية.

وقيل: إن لفظ اسم زائد، والمراد: سَبِّحْ رَبِّكَ الْأَعْلَى^٦.
عن الباقر عليه السلام قال: «إِذَا قَرَأْتَ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قُلْ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، وَإِنْ كُنْتَ فِي الصَّلَاةِ فَقُلْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ»^٧.

١. مجمع البيان ١٠: ٧١٩.

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٣٥.

٣. تفسير الرازي ٣١: ١٣٥.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٤٠٣.

٥. تفسير الرازي ٣١: ١٣٦.

٦. مجمع البيان ١٠: ٧١٩، تفسير الصافي ٥: ٣١٦.

وعن ابن عباس: كان النبي ﷺ إذا قرأ سورة «سُبْحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قال: «سبحان ربِّي الأعلى»^١.

وروى بعض العامة عن عُبَبة بن عامر: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «سُبْحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قَالَ [رَسُولُ اللَّهِ ﷺ]: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ^٢.

وقالوا: زُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سبحان ربِّي الأعلى»^٣.
وقيل: إِنَّ المراد بالتسبيح الصلاة، والمعنى: صَلِّ بِاسْمِ رَبِّكَ، والظاهر هو الوجه الأول الذي ذكرنا.

الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى [٥-٢]

ثم وصف سبحانه ذاته المقدسة بصفات دالة على كمال قدرته وحكمته المقتضي لاستحقاق التسبيح بقوله: «الَّذِي خَلَقَ» الانسان أولاً من تراب، ثم من نطفة «فَسْوَى» خلقه بأن عدل قامته، أو جعله بحيث يُمكنه أن يأتي بجميع الأفعال التي لا يقدر عليها غيره من الموجودات، ومنها العبادات. وقيل: يعني خلق الميزان فسوى خلقه بأن جعل له أعضاء أو حواساً يتوقف تعيشه عليها، أو خلق كل شيء فسوى خلقه بأن أحكمه وأتقنه^٤.

«وَالَّذِي قَدَّرَ» كل إنسان، أو كل شيء بقدر مخصوص يُناسبه من الجنة والعظم والصغر واللون والشكل وغيرها من الصفات ومدة البقاء والسعادة والشقاوة «فَهَدَى» الانسان بإعطائه العقل وإرسال الرسل إلى خيره وشره، أو الحيوان إلى ما به من التناسل وتدبير التعيش، وجلب ما فيه صلاحه ودفع ما فيه ضرره، أو جميع الموجودات إلى ما به تكامله بجعل القوى المصلحة فيه «وَالَّذِي أَخْرَجَ» وأنبث من الأرض «الْمَرْعَى» والكلاء الاخضر، كما عن ابن عباس^٥ «فَجَعَلَهُ» بعد طراوته وخضرته «غُثَاءً أَحْوَى» ويابساً أسود بسبب برودة الهواء ولصوق المكدرات كالغبار أو ما يحمله السيل من الأجزاء الكدرة.

سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى * وَنُيَسِّرُكَ

١. مجمع البيان ١٠: ٧١٩، تفسير الصافي ٥: ٣١٦. ٢. تفسير الرازي ٣١: ١٣٧.

٤. تفسير الرازي ٣١: ١٣٥.

٥. تفسير الصافي ٥: ٣١٦، تفسير البياضوي ٢: ٥٨٩، تفسير روح البيان ١٠: ٤٠٤.

٦. تفسير أبي السعود ٩: ١٤٣، جوامع الجامع ٥٣٨. ٧. تفسير الرازي ٣١: ١٤٠.

[لَيْسَرَى-٦-٨]

ثُمَّ حَتَّ سُبْحَانَهُ خُصُوصَ النَّبِيِّ ﷺ بِذِكْرِ أَكْمَلِ نِعْمَةٍ يَقُولُهُ: ﴿سَنْفِرُكَ﴾ يَا مُحَمَّد، وَنَتْلُو عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ عُلُومُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَمَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنْ، وَجَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ شَيْئاً مِنْهُ أَبَداً، بَلْ هُوَ بَاقٍ فِي حِفْظِكَ، فَلَا تَخَفْ مِنْ نَسْيَانِهِ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ تَنْسَاهُ، وَلَا يَشَاءُ ذَلِكَ أَبَداً، وَإِنَّمَا الْفَرْضُ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ إِظْهَارُ أَنَّ بَقَاءَهُ فِي حِفْظِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَشِيتِهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِ لَا بِقُدْرَةِ نَفْسِهِ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ يَقْرَأُهُ مَخَافَةً أَنْ يَنْسَاهُ، فَكَانَ لَا يَفْرُغُ جَبْرِئِيلُ مِنْ آخِرِ الْوَحْيِ حَتَّى يَتَكَلَّمَ هُوَ بِأَوَّلِهِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَمْ يَتَسَّ بِعَدِّ ذَلِكَ شَيْئاً^١.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ مَخْيَرٌ بَيْنَ الْجَبْرِ فِي الْقِرَاءَةِ وَإِخْفَاتِهِ يَقُولُهُ: ﴿إِنَّهُ﴾ تَعَالَى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ إِنْ جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ ﴿وَو﴾ يَعْلَمُ ﴿مَا يَخْفَى﴾ مِنْ قِرَاءَتِكَ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ عَالِمٌ بِجَهْرِكَ فِي الْقِرَاءَةِ مَعَ جَبْرِائِيلَ، وَعَالِمٌ بِالسِّرِّ الَّذِي فِي قَلْبِكَ^٢.
﴿وَتُيسِّرُكَ﴾ وَنُوفِّقُكَ ﴿لِلْيُسْرَى﴾ وَالطَّرِيقَةَ الْأَسْهَلَ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ، أَوْ لِلشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ أَسْهَلُ الشَّرَائِعِ. وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: الْيُسْرَى الْجَنَّةُ، وَالْمَعْنَى نَيْسِرُكَ لِلْعَمَلِ الْمُؤَدِّي إِلَيْهَا^٣.

فَذَكَّرْنَا نَفْعَ الذِّكْرِ * سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي
يَصَلِّي النَّارَ الْأَكْبَرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى [٩-١٣]

ثُمَّ لَمَّا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ لُطْفَهُ بِنَبِيِّهِ ﷺ بِنَزُولِ الْقُرْآنِ، أَمَرَهُ بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ يَقُولُهُ: ﴿فَذَكَّرْنَا نَفْعَ الذِّكْرِ﴾ وَالْعِظَةَ فِيهِمْ، وَالْكُتْبَةَ فِي ذِكْرِ هَذَا الشَّرْطِ مَعَ وَجُوبِ الْعِظَةِ عَلَيْهِ نَفْعَتُ أَوْ لَا نَفْعَتُ، حَتَّى النَّاسُ عَلَى الْإِثْعَاطِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ فَائِدَةٌ إِتِمَامُ الْحُجَّةِ.
وَقِيلَ: إِنَّ فَائِدَتَهُ تَنْبِيهُ الرِّسُولِ ﷺ بِأَنَّ الذِّكْرَ لَا يَنْفَعُهُمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: ذَكَّرْهُمْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى، وَلَا أَرَى أَنْ تَنْفَعَهُمْ^٤.

ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ الْمُتَنَفِّعِينَ بِالْعِظَةِ يَقُولُهُ: ﴿سَيَذَكِّرُ﴾ وَيَتَنَفَّعُ الْبَتَّةَ بِذِكْرِكَ وَعِظَتِكَ ﴿مَنْ يَخْشَى﴾ اللَّهُ وَالرَّجُوعَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَقْطَعُ بِعَدَمِ الْبَعْثِ، وَلَمَّا كَانَ الْقَاطِعُ غَيْرَ مُعَيَّنٍ يَجِبُ تَعْمِيمُ الْعِظَةِ.

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٤٢.

١. مجمع البيان ١٠: ٧٢٠، تفسير الصافي ٥: ٣١٧.

٤. تفسير الرازي ٣١: ١٤٤.

٣. تفسير الرازي ٣١: ١٤٣.

قيل: إن الآية نزلت في ابن أم مكتوم. وقيل: في عثمان^١.

ثم بين غير المتفع بقوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويحترز منها ولا يسمعها سماع القبول ﴿الْأَشَقَى﴾ وأقسى الناس قلباً وأعداهم للنبي ﷺ، كأبي جهل والوليد وأضرابهما ﴿الَّذِي يَصَلَّى﴾ ويُدْخِل ﴿النَّارَ الْكُتُبَى﴾ والطبقة الأسفل في جهنم ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيتخلص من العذاب ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة ينتفع بها.

قيل: إن نفس كل منهم [تصير] في حلقه، فلا تخرج فيموت، ولا ترجع إلى موضعها فيحيى^٢.
قيل: إن ذكر كلمة ﴿ثُمَّ﴾ للدلالة على أن هذه الحالة أشد وأفظع من الصلي، فهو مترجخ في مراتب الشدة^٣.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا *
وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْنَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى [١٤-١٩]

ثم لما ذكر سبحانه حال الأشقي، ذكر حسن حال المتقي عن الكفر بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وفاز بأعلى المقاصد ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ وتطهر من دَس الكفر عن ابن عباس: معنى ﴿تَزَكَّى﴾ أن يقول: لا إله إلا الله^٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ وعرفه بقلبه. وعن ابن عباس: ذكر معاده، ووقوفه بين يدي ربه^٥ ﴿فَصَلَّى﴾ قيل: مراتب أعمال الإنسان ثلاثة: إزالة العقائد الفاسدة عن القلب وهي التزكية، وإنارة القلب بنور معرفة الله وهي ذكر الرب، ثم الاشتغال بالعبادة وهو الصلاة^٦.

وعن ابن عمر: إن المراد بالتزكي إخراج صدقة الفطرة^٧. وقيل: المراد بالتزكي المضي إلى المصلي، وبالذكر أن يكبر في الطريق حين خروجه إلى المصلي، وبالصلاة [أن يصلي صلاة] العيد بعد ذلك مع الامام^٨.

وعن الصادق عليه السلام: أنه سُئِلَ عن قول الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال: «من أخرج الفطرة قيل له: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾؟ قال: خرج إلى الجبانة فصلّى»^٩.
وعنه عليه السلام: قال لرجل: «ما معنى قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾؟ قال: كلما ذكر اسم ربه قام فصلّى.

١. تفسير الرازي ٣١: ١٤٥.

٤ و٥. تفسير الرازي ٣١: ١٤٧.

٧. تفسير روح البيان ١٠: ٤١٠.

٩. من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٣/١٣٧٨، تفسير الصافي ٥: ٣١٧.

٢ و٣. تفسير الرازي ٣١: ١٤٦.

٦. تفسير الرازي ٣١: ١٤٧، تفسير روح البيان ١٠: ٤٠٩.

٨. تفسير روح البيان ١٠: ٤١٠.

قال: «لقد كلف الله هذا شَطَطًا» قال: فكيف هو؟ فقال: «كلما ذكر اسم ربِّه صَلَّى على مُحَمَّد وآله»^١. ثمَّ كأنه قيل: لاتفعلون أيها الكفار ذلك ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ وتختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾ وأفضل من الدنيا؛ لأن نعمها ولذاتها أعلى وأخلص من شائبة الآلام والغوائل ﴿وَأَبْقَى﴾ وأدام، بل لانتقطاع لها ولا انصرام ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور من الفلاح بالتركيب، وأن الآخرة خيرٌ وأبقى ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ والكتب السابقة المُنزلة من السماء، أعني ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الخليل ﴿وَمُوسَى﴾ بن عمران الكليم.

رُوي أنَّ جميع ما أنزل الله من كتاب مائة وأربعة كتب، أنزل على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فصحف موسى هي الألواح التي كُتبت فيها التوراة^٢. وقيل صُحُفه كانت قبل التوراة، وهي عشر^٣.

وعن (الخصال) عن أبي ذرٍّ رضوان الله عليه: أنه سأل رسول الله ﷺ: كم أنزل الله من كتاب؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان».

قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثلاً كلها، وكان فيها: أيها الملك المبتلى، إنِّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكني بعثتك لتردَّ عني دعوة المظلوم، فأنِّي لا أردُّها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن يكون له أربعة ساعات: ساعة يتناجى فيها ربُّه وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة فيها يتفكَّر فيما صنع الله عزَّ وجلَّ إليه، وساعة يخلو فيها بحظِّ نفسه من الحلال، فإنَّ هذه الساعة عون لتلك الساعات».

إلى أن قال: «وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، فإنَّ من حسب كلامه من علمه قلَّ كلامه إلَّا فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مرمةً لمعاش، أو تزوداً لمعاد، أو تلذُّذ في غير مُحَرَّم».

قال: قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: «كانت عبراً كلها، عَجِبْتُ لمن أيقن بالموت كيف يفرح، ولمن أيقن بالنار كيف يضحك، ولمن يرى الدنيا وتقَبَّها كيف يطمئنَّ إليها، ولمن يؤمن بالقدر كيف ينصب، ولمن يؤمن بالحساب ثمَّ لا يعمل» هكذا النسخة.

١. الكافي ٢: ١٨/٣٥٩، وتفسير الصافي ٥: ٣١٨، عن الامام الرضا عليه السلام.

٢ و٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤١١.

قال: قلت: فهل في أيدينا مما أنزل الله عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: «يا أباذر، اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ إلى آخر السورة»^١.

وعن الصادق عليه السلام: «ما أعطى الأنبياء شيئاً إلا وقد أعطاه محمداً ﷺ». قال: «وقد أعطى محمداً ﷺ جميع ما أعطى الأنبياء، وعندنا الصحف التي قال الله عز وجل: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾. قيل: هي الألواح؟ قال: «نعم»^٢.

عن الصادق: «من قرأ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في فريضة ونافلة قيل له يوم القيامة: ادخل الجنة من أي أبواب الجنة شئت إن شاء الله»^٣.

وعنه: «الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعه أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة و ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾»^٤.

١. الخصال: ١٣/٥٢٤، تفسير الصافي ٥: ٣١٨. ٢. الكافي ١: ٥/١٧٦، تفسير الصافي ٥: ٣١٩.

٣. نواب الأعمال: ١٢٢، مجمع البيان ١٠: ٧١٧، تفسير الصافي ٥: ٣١٩.

٤. نواب الأعمال: ١١٨، مجمع البيان ١٠: ٤٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣١٩.

في تفسير سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وَجُوءٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى
نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ
وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ [١-٧]

ثم لما خُتِمت سورة الأعلى المختمة بدم الكفار بإيثار الدنيا على الآخرة مع كون الآخرة خيرٌ وأبقى من الدنيا، نُظمت سورة الغاشية المتضمنة لبيان أحوال الآخرة، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بذكر أحوال القيامة بقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ وخبر القيامة التي تكون داهية تُغشي الناس بشدائدها وتغطيهم وتُحيط بهم أحوالها، فأنه من عجائب الأخبار وبدائع الآثار التي حقها أن يُبادر إلى سماعها العقلاء، ويشتاق إلى تلقيها الأركياء^١ وفي رواية: «الذين يخشون الإمام»^٢.

ثم كأنه قيل: ما خبرها وكيف هي؟ فأجاب سبحانه بقوله: ﴿وَجُوءٌ يَوْمَئِذٍ﴾ وفي ذلك الوقت أصحابها ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة قد عراهم الخزي والهوان؛ لأنهم تكبروا عن طاعة الله ورسوله ﴿عَامِلَةٌ﴾ ومتحملة للمشاق، كالعبور على الصراط، وجرّ السلاسل والأغلال ﴿نَاصِبَةٌ﴾ وتعبية لطول الوقوف عراء حفاة جيعاً عطاشاً، أو لثقل السلاسل التي دُرّعها سبعون ذراعاً.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كُلُّ نَاصِبٍ - وإن تعبد واجتهد - منسوبٌ إلى هذه الآية ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾»^٣. وعن الصادق عليه السلام: «لا يُبالي الناصب صلى أم زنا، وهذه الآية نزلت فيهم: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾»^٤. أقول: هذه الروايات تأويل لاتنزيل.

١. في النسخة: سماعة العقلاء، ويشتاق إلى تلقيّة الأركياء.

٢. الكافي ٨: ٢٠١/١٧٩، تفسير الصافي ٥: ٣٢١.

٣. الكافي ٨: ١٦٢/١٦٠، تفسير الصافي ٥: ٣٢١.

ثم بعد ذلك ﴿تَضَلَّى﴾ وتدخل ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾ وبالغة أعلى درجة الشدة في الحرارة ﴿تُسْقَى﴾ تلك الوجوه وأصحابها بعد استغاثتهم في مدة طويلة من شدة العطش ﴿مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ﴾ ومتناهية في الحرارة.

قيل: لو وقعت قطرة منها على جبال الدنيا لذابت، وإذا أدنيت من وجوههم تناثرت لحومها، وإذا شربوا قطعت أمعاءهم^١.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ وشوك يابس فيه سم قاتل، كما قيل^٢.

وعن ابن عباس: الضريع شيء في النار يشبه الشوك، أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار^٣.

أقول: الظاهر أن المراد نار الدنيا.

قيل: هذا طعام بعض أهل النار، والزقوم والغسلين طعام آخرين^٤.

عن الصادق عليه السلام في تأويل الآيات ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ قال: «يغشاهم القائم عليه السلام بالسيف «خَاشِعَةً» لا تطيق الامتناع «عَامِلَةً» قال: عملت بغير ما أنزل الله «نَاصِبَةً» قال نصبت غير ولاة أمر الله ﴿تَضَلَّى نَارًا﴾ الحرب في الدنيا على عهد القائم، وفي الآخرة نار جهنم^٥.

ثم روي أن كفار قریش قالوا استهزاء: إن الضريع ليسمن إبلنا، فنزلت ﴿لَا يُسَوِّرُ﴾ الضريع أكله، لأنه يصير جزء بدنه ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ ولا يكفي ﴿مِنْ جُوعٍ﴾ لأنه ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الإنسان، إذ ليس فيه منافع الغذاء، بل أكله عذاب فوق العذاب.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً *

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ

* وَزَوَاجٌ مُبْتَوِّئَةٌ [٨-١٦]

ثم لما ذكر سبحانه سوء حال الكفار في الآخرة، بين حسن حال المؤمنين فيها بقوله: ﴿وُجُوهٌ﴾ آخر ﴿يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ومبتهجة وحسنة مضية، أو متنعة بالنعم الجسمانية والروحانية ﴿لِسَعْيِهَا﴾ وعملها في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ لرضائها بثمراتها وثوابها متمكنة ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ومرتفعة فوق السماوات، أو عالية المقدار لكمال شرفها وما فيها من النعم ﴿لَا تَسْمَعُ﴾ تلك الوجوه ﴿فِيهَا﴾ كلمة

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤١٣.

٤. تفسير الرازي ٣١: ١٥٣.

٦. تفسير الرازي ٣١: ١٥٣.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤١٣.

٥. الكافي ٨: ١٣/٥٠، تفسير الصافي ٥: ٣٢١.

«لَأَغِيَّةٌ» لافائدة فيها ولاعتداد بها، إذ هي ما تؤذي السمع «فِيهَا عَيْنٌ» كثيرة مياهها «جَارِيَةٌ» دائماً. قيل: هي أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من شَرِبَ منها لا يظلم بعدها أبداً^١ «فِيهَا سُورٌ» ألواحها - كما عن ابن عباس - من ذهبٍ مُكَلَّلَةٌ بالدرّ والياقوت والزُّبرجد^٢ «مَرْفُوعَةٌ» السَّمَكُ عالية في الهواء، عن النبي ﷺ: ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام^٣.
 قيل: إذا جاء وليّ الله ليجلس عليها تطامنت له، فإذا استوى عليها ارتفعت^٤، فيرى جميع ما أعطاه ربّه في الجنّة من النّعم الكثيرة والمُلك العظيم.

«و» فيها «أَنْحُوبٌ» وأواني لاغرى لها «مَوْضُوعَةٌ» بين أيدي المؤمنين يشربون منها، لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها، ولا ينافي أن يكون بعض أواني الشُّرب بيد الغلمان «و» فيها «نَمَارِقٌ» ووسائد «مَصْفُوفَةٌ» بعضها إلى جنب بعض، كما تشاهد في بيوت الأكابر، يستندون إليها للاستراحة «و» فيها «زُرَابِيٌّ» وبُسط فاخرة «مَبْتُوثَةٌ» ومبسوطه على السُّرر زينة وتمتّعاً أو مفرقة في المجالس.

عن أمير المؤمنين عليه السلام «[لولا] أن الله قدرها لالتمعت^٥ أبصارهم بما يرون»^٦.

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ [١٧ - ٢٠]

ثمّ لما كان حسن حال المؤمنين موقوفاً على معرفة الله والايان بالمعاد، أمر الناس بالتفكّر في صنائعه العجيبة، ليستدلّوا بها على كمال قدرته وحكمته المستلزمين لتوحيده وإعادة الخلق للجزاء على الأعمال بقوله: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ» ولا يتفكّرون أنّها «كَيْفَ خُلِقَتْ» قيل: إنّ التقدير: أيتفكّرون ما ذُكر من البعث ويستبعدون وقوعه عن قدرة الله؟! أفلا ينظرون نظر الاعتبار إلى الإبل التي نُصِبَ أعينهم، يستعملونها كلّ حين، أنّها كيف خُلِقَتْ خلقاً بديعاً معدولاً به عن سنن خلق سائر الحيوانات في عظم جسّتها، وشدّة قوّتها، وعجيب هيئتها اللاتقة بتأتّي ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة، كالنهوض من الأرض بالأوقار الثقيلة، وجرّ الأثقال الفادحة إلى الأفطار النازحة، وفي صبرها على الجُوع والعطش، حتى أن ظمأها يبلغ العشر فصاعداً، واكتعائها باليسير، ورعيها لكلّ ما يتيسر من شوكٍ وشجرٍ، وغير ذلك ممّا لا يكاد يرعاه سائر البهائم، وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤١٥.

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٥٥.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤١٥.

٤. في النسخة: لالتمعت.

٥. مجمع البيان ١٠: ٧٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣٢٢.

والسكون والبروك والنهوض، حيث يستعملها في ذلك كيف يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير، كما قال أبو السعود^١.

وتبول من خلفها، لأن قائدها أمامها، فلا يترشش عليه بولها، وعَنَقَهَا سَلَمٌ إليها، وتأثر من المودة والغرام وتسكر منهما إلى حيث تنقطع من الأكل والشرب زماناً ممتداً، وتأثر من الأصوات الحسنة والجداء، وتصير من كمال التأثر إلى حيث تهلك نفسها من سرعة الجري، ويجري الدمع من عينها عشقاً وغراماً، هذا مع مالها من المنافع من جهة وَبَرَّهَا ولحمها ولبنها وبولها وروثها، والجمال الذي يكون فيها، ولما كان العرب أعرف من سائر الناس بها، أمرهم بالتفكر فيها، والاستدلال بعجيب خلقها على صانعها وحكمته الموجهة للبعث.

قيل: لما كانت مسافرة الأعراب على الإبل منفردين^٢ وكان مجال التفكر في الخلوة التي لاشاغل فيها، وهي لهم على ظهر الإبل، وهم حينئذ لا يرون إلا الإبل والسماء والأرض والجبال، أمرهم أولاً بالتفكر في خلق الإبل^٣، ثم في السماء بقوله: ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ مع عَظَمَتِهَا رفعاً بعيداً بلا عَمَدٍ ﴿وَالِى الْجِبَالِ الْعِظَامِ﴾ كَيْفَ نُصِبَتْ على الأرض نصباً ثابتاً لاتسيل ولا تنزل أوتاداً لها ﴿وَالِى الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ﴾ كَيْفَ سُطِحَتْ وبسطت كالأديم للضرب فيها والتقلب عليها، فمن تفكر في هذه الأشياء عَلمَ بكمال قدرة خالقها وحكمته وتوحيده، وتيقن بوقوع ما وعده من البعث الذي هو موافق للحكمة البالغة.

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ
اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [٢٦-٢١]

فلما شرحنا الدلائل القاطعة على التوحيد والبعث ﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد قومك، وأمرهم بالنظر والتفكر والایمان، وحذرهم عن تركها، وليس عليك أن يتذكروا أو لا يتفكروا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ ومبعوث إلى الناس للتبليغ والتذكير ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من قبل ربك ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ ومسلط حتى تقتلهم أو تكرههم على النظر والایمان ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ وأعرض عنك وعن تذكرك ﴿وَكَفَرَ﴾ وأصر على عنادك.

قيل: إن التقدير فذكر قومك إلا من تولى وكفر منهم فإنه ليس عليك تذكيره لعدم الفائدة فيه^٤.

١. تفسير أبي السعود ٩: ١٥٠، تفسير روح البيان ١٠: ٤١٦.

٢. في النسخة: منفرداً.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤١٨.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٤١٧.

وقيل: إن الاستثناء منقطع^١، والمعنى: ولكن من تولى وكفر^٢ ﴿فَيَعَذَّبُ اللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ في نار جهنم التي حرّما شديداً، وقعرها بعيداً، ومقامعها حديداً، فإنه تعالى قاهرٌ ومسيطرٌ عليهم. واعلم أنهم لا يفوتونا ولا يخرجون من ملكنا ومن تحت قدرتنا ﴿إِنَّ إِلَيْنَا﴾ بعد الموت ﴿إِيبَابَهُمْ﴾ ورجوعهم من الدنيا لاإلى غيرنا. ﴿ثُمَّ﴾ بعد رجوعهم إلينا ﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ في المحشر نحاسبهم على النّقيير والقطمير من عقائدهم وأعمالهم، وفيه تسليّة النبي ﷺ.

عن الباقر عليه السلام: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين لفصل القضاء، دعا رسول الله ﷺ ودعا أمير المؤمنين عليه السلام، فيكسى رسول الله ﷺ حُلّة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب، ويكسى علي عليه السلام مثلها، ويكسى رسول الله ﷺ حُلّة وردية يضيء لها ما بين المشرق والمغرب، ويكسى علي عليه السلام مثلها، ثم يصعدان عندها، ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن والله نُدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار^٣.

وعن الكاظم عليه السلام قال: «إلينا إياب الخلق، وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله حتمنا على الله في تركه لنا فأجابنا إلى ذلك، وما كان بينهم وبين الناس استوهبنا منهم وأجابوا إلى ذلك وعوّضهم الله عز وجل»^٤.

وعن الصادق عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم»^٥.

عن الصادق: «من أدمن قراءة ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ في فريضة أو نافلة، غشاه الله برحمته في الدنيا، آتاه الأمن من عذاب النار»^٦.

١. تفسير الرازي ٣١: ١٥٩، تفسير روح البيان ١٠: ٤١٨.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤١٨.

٣. الكافي ٩: ١٥٩/١٥٤، تفسير الصافي ٥: ٣٢٣.

٤. الكافي ٨: ١٦٧/١٦٢، تفسير الصافي ٥: ٣٢٣.

٥. أمالي الطوسي: ٩١١/٤٠٦، تفسير الصافي ٥: ٣٢٣.

٦. نواب الأعمال: ١٢٢، مجمع البيان ١٠: ٧٢٣، تفسير الصافي ٥: ٣٢٣.

1. *Chlorophyll a* (Chl *a*)

في تفسير سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ

فَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ [١-٥]

ثم لما حُتِمت سورة الغاشية المتضمنة لبيان عظمة يوم القيامة وشدة عذاب الكفار فيه، وأمر النبي ﷺ بتذكير الناس وعدم تذكّر المصّرّين على الكفر، ووعدهم بالعذاب الأكبر، وإياهم في القيامة إليه تُظِمّت سورة الفجر المتضمنة لوعد الكفار بما نزل على الأمم السابقة من العذاب الدنيوي، وتذكّرتهم في يوم لا ينفعهم التذكّر فيه، وإرعاب قلوبهم ببيان بعض أهوال القيامة، وبيان إياب النفوس المطمئنة إليه، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بالقسم بما فيه كمال الشرف لدلالته على كمال قدرته جرياً على عادة العرب على ما قيل من إكثار القسم على مقاصدهم^١ بقوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ وطلوع نور الشمس من أفق المشرق المُسمّى بالصبح الصادق، كما عن ابن عباس^٢، قبلاً للكاذب، وهو ظهور بياض مستطيل بالأفق كدُنب السرحان، فإنّ بطول الصبح الصادق انقضاء الليل، وظهور الضوء، وانتشار الناس والحيوانات في طلب الرزق، كنشور الموتى في القيامة للحساب وجزاء الأعمال.

وقيل: إن المراد جميع النهار^٣. وقيل: إن المراد صلاة الفجر؛ لأنها في أوّل النهار، وفي مشهد ملائكة الليل والنهار^٤. وقيل: فجر يوم النحر^٥ الذي هو يومٌ عظيمٌ عند الله وعند العرب. وقيل: إن المراد به فجر أوّل المحرم الذي قيل إنّه أعظم الشهور عند الله، وعن ابن عباس، قال: فجر السنة هو مُحَرَّم^٦. وقيل: عنى به العيون التي ينفجر منها المياه، وفيها حياة الخلق^٧. وقيل: إنّه فجر ذي الحجة لقوله تعالى بعده: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾^٨ من ذي الحجة، فإنّها ليالٍ مخصوصة بفضائل لا تكون في غيرها، كما دلّ

٢. ٥. تفسير الرازي ٣١: ١٦١.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٠.

٨. ٦. تفسير الرازي ٣١: ١٦٢.

عليه تنكيرها.

وفي الخبر: ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل من أيام العشر^١.

وفي الحديث: «ما من أيام أزكى عند الله ولا أعظم أجراً من خير عمل في عشر الأضحي» قيل: يا رسول الله، ولا المجاهد في سبيل الله؟ [قال: لا ولا المجاهد في سبيل الله] إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء^٢.

وقيل: إنها العشر الأول من المحرم^٣، وقيل: إنها العشر الآخر من شهر رمضان^٤. روي أن النبي ﷺ إذا دخل العشر الآخر من رمضان شد المئزر وأيقظ أهله^٥.

«وَالشُّعْبُ» والزوج من الصلوات «وَالْوُتْرُ» والفرد منها. عن عمران بن الحصين، عن النبي ﷺ قال: «هي الصلوات، منها شُفْعٌ، ومنها وَتْرٌ» قيل: لأن الصلاة تالية القرآن^٦.

وعن القمي قال: الشفع ركعتان، والوتر ركعة^٧. أقول: الظاهر أن المراد ثلاث ركعات بعد نوافل الليل.

وقيل: الشُّفْعُ: سجدة، والوتر: الركوع^٨.

وقيل: الشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة^٩. وقيل: الشفع: يومان بعد يوم النحر، والوتر: اليوم

الثالث^{١٠}. وعنهما ﷺ: «الشفع [يوم التروية، والوتر] يوم عرفة^{١١}».

وقيل: الشُّفْعُ: جميع الممكنات لأنها زوج تركيبي، والوتر: الواجب الوجود^{١٢}.

وقيل: الشُّفْعُ: آدم وحواء، والوتر: هو الله تعالى^{١٣}.

وقيل: إن شيئاً من المخلوقات لا ينفك عن كونه زوجاً أو فرداً، فأقسم سبحانه بجميع الموجودات^{١٤}.

وقيل: الشُّفْعُ: أبواب الجنة أو درجاتها، وهي ثمانية، والوتر: أبواب النار ودركاتها، وهي سبعة^{١٥}.

وعن مقاتل الشُّفْعُ: هو الأيام التي لها ليالٍ، والوتر: اليوم الذي لاليل له، وهو يوم القيامة^{١٦}. وقيل وجوه آخر كلها على الظاهر من التفسير بالرأي.

١. تفسير الرازي ٣١: ١٦٢.

٣. تفسير الرازي ٣١: ١٦٢.

٥. تفسير الرازي ٣١: ١٦٢، وفي النسخة: والقيظ.

٧. تفسير القمي ٢: ٤١٩، تفسير الصافي ٥: ٣٢٤.

٩ و ١٠. تفسير الرازي ٣١: ١٦٢.

١٢ و ١٤. تفسير الرازي ٣١: ١٦٣.

١٦. تفسير الرازي ٣١: ١٦٣.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٠.

٤. تفسير الرازي ٣١: ١٦٢، تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٠.

٦. تفسير الرازي ٣١: ١٦٣، وفيه: تالية للايمان.

٨. تفسير الرازي ٣١: ١٦٤.

١١. مجمع البيان ١٠: ٧٣٦، تفسير الصافي ٥: ٣٢٤.

١٥. تفسير الرازي ٣١: ١٦٤.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرٌ﴾ ويمضي ويتقضي. وقيل: يعني إذا جاء وأقبل^١، وعن القمي: هو ليلة جمع^٢. ثم أظهر سبحانه فخامة هذه الأشياء التي أقسم بها بقوله: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من الأشياء الجليلة الحقيقة بالإعظام ﴿قَسَمٌ﴾ مُتَعَدِّ به موجب للاعتماد عليه ﴿لِذِي جَبْرِ﴾ وصاحب عقلٍ مُتَوَرِّ وفكرٍ صائب وإدراكٍ قويٍّ، والمقسم عليه مقدَّر معلوم وهو: ليعذِّبَ الكفار.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * آلَتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي
الْأَلْبَادِ * وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ [١٠-٦]

ثم استشهد سبحانه بما فعل بالأمم المكذبة بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد حينما كنت في عالم الأشباح مطلعا على الوقائع في العالم، أو المعنى: ألم تعلم بالوحي ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ قوم هود، وبأي عذاب شديد عذبهم؟ أعني من عاد؟ ﴿إِرَمَ﴾ قيل: إنه اسم لعاد الأولى، سُمُوا باسم جدِّهم، وهو إرم بن سام بن نوح^٣. والتقدير: سبط إرم، أو أهل إرم، على ما قيل^٤، من أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم التي كانوا يسكنونها، وهي على ما قيل بين عُمان وحَضَرَ موت^٥، وعلى أي تقدير كانوا قبيلة. ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ وقُدود طوال تشبيهاً لقاماتهم بالأعمدة والأساطين ﴿آلَتِي لَمْ يَخْلُقْ﴾ نظير تلك القبيلة و﴿مِثْلَهَا﴾ في القوة وعظم الجسم وطول القامة ﴿فِي الْأَلْبَادِ﴾ التي على وجه الأرض. وقيل: إن الوصفين لمدينتهم التي بناها شُدَاد بن عاد^٦، وقد وصفوها بأوصاف تفرق الأسماع. روي أن لعاد ابنين: شديد، وشُدَاد، فملكا وقهرا، ثم مات شديد، وخلص الأمر لشُدَاد، فملك جميع الدنيا، ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجنة فقال: أبني مثلها، فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلاثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة، وهي مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار، فلما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا^٧، ثم غاب البلد عن أعين الناس جميعاً.

﴿وَتُمُودَ﴾ وهم قوم صالح ﴿الَّذِينَ جَاءُوا﴾ وقطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾ والحجر الشديد الصلابة بقوتهم

١. تفسير الرازي ٣١: ١٦٤.

٢. تفسير القمي ٢: ٤١٩، تفسير الصافي ٥: ٣٢٤، وجمع: هو المزدلفة، سمي جمعا لاجتماع الناس فيه.

٣. تفسير الرازي ٣١: ١٦٦، تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٢ و٤٢٣.

٤- ٦. تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٣. ٧. تفسير الرازي ٣١: ١٦٧، تفسير أبي السعود ٩: ١٥٤.

﴿بِالْوَادِ﴾ والمنفرج بين الجبلين. قيل: هو وادي القرى بالقرب من المدينة من جهة الشام.^١
 عن ابن عباس: أنهم كانوا يجعلون من الصخور بيوتاً وأحواضاً وما أرادوا من الأبنية.^٢
 قيل: أول من تحت الجبال والصخور والرخام ثمود، وبنوا ألفاً وسبعمئة مدينة كلها من الحجارة.^٣
 ﴿و﴾ ألم تر كيف عذب الله ﴿فِرْعَوْنَ﴾ ملك مصر، وكان ملقباً بلقب ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ وقيل: لكثرة جنوده وقيامهم التي يضربونها في منازلهم ويربطونها بالأوتاد.^٤

وعن ابن عباس: أن فرعون إنما سمي ذي الأوتاد لأن امرأة خازنة كانت ماشطة بنت فرعون، إذ سقط المشط من يدها فقالت: تيس من كفر بالله تعالى: فقالت ابنة فرعون: وهل لك إله غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: إن الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهها والهك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له، فأرسل إليها فسألها عن ذلك، فقالت: صدقت. فقال لها: ويحك اكفري بإلهك. قالت: لأفعل، فمدّها بين أربعة أوتاد، ثم أرسل إليها الحيات والعقارب، وقال: اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين. فقالت: لو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت به. وكانت لها بتان، فجاء بابتها الكبرى فذبها على فيها، وقال لها: اكفري بإلهك وإلا ذبحت الصغرى على فيك أيضاً، وكانت رضيعة، فقالت: لو ذبحت من في الأرض على في ما كفرت بالله. فأثى بابتها، فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة، فأطلق الله لسان ابنتها فتكلّمت، وهي من الأربعة الذين تكلّموا أطفالاً، وقالت: يا أمّاه لاتجزعني، فإن الله قد بنى لك بيتاً في الجنة، اصبري فإنك تفيضين إلى رحمة الله تعالى وكرامته. فذُبح فلم تلبث أن ماتت وأسكنها الله في جوار رحمته.^٥

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَالْمُرْصِدُ [١١-١٤]

ثم بين سبحانه علّة استحقاقهم العذاب بقوله: أولئك الطوائف والأمم ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ على الله ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ فإن عاد طغوا في بلاد اليمن، وثمود في بلاد الشام، وفرعون في بلاد مصر ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ بالكفر والعصيان والظلم على العباد ﴿فَصَبَّ﴾ الله وأراق ﴿عَلَيْهِمْ﴾ من فوقهم ﴿رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ شديد، وإنما عبّر عن عذابهم بالسوط تنبيهاً على أن نسبته إلى عذاب الآخرة كنسبة

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٦٧.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٥.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٥.

٣. تفسير الرازي ٣١: ١٦٧.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٥.

السوط إلى السيف.

وقيل: لما كان الضرب بالسوط عند العرب أشدَّ العذاب عَبروا عن العذاب بالسوط، والتعبير عن إنزاله بالصَّبِّ للإيذان بكثرة وتتابعه واستمراره.^١

ثمَّ بَيَّنَّ سبحانه أنه مراقب لأعمال عباده بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لِبَالِيزَادٍ﴾ وفي المكان الذي تَرَقَّبَ فيه السائلة لِيُظْفَرَ بالجاني ولأخذ المقصَّر بحيث لا يفوته أحد، فيعاقب قومك على طغيانهم وعصيانهم كما عاقب غيرهم من الأمم المكذبة للرسل.

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ [١٥-١٨]

ثمَّ إِنَّه تعالى بعد بيان كونه مراقباً لأعمال العباد ومجازاتهم، بَيَّنَّ عدم اعتناء الانسان بذلك، لانهماكه بلذاذ الدنيا بقوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ فهو غافل عن ذلك ولذا ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ وامتنحه ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ بالجاه والثروة ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ ووسَّعَ عليه في رزقه، ليظهر أنه شاكِرٌ أو كافرٌ ﴿فَيَقُولُ﴾ مفتخراً: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ وفضِّلني على غيري بالمال والجاه، ويغترَّ بذلك، ولا يخطر بباله أنه امتحانٌ وابتلاء ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ بالفقر ﴿فَقَدَرَ﴾ وضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ ليظهر أنه صابرٌ أو جزوعٌ ﴿فَيَقُولُ﴾ تَضَجُّراً: ﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾ وأذلني بالفقر، ولا يخطر بباله أنه امتحانٌ.

وعلى أي تقدير ليس له توجُّه إلى الآخرة، ولا يلتفت إلى أن إقبال الدنيا ليس إكراماً من الله، وإدبارها ليس إهانة من الله، لذا رَدَّع الانسان عن توهماته بقوله: ﴿كَلَّا﴾ ليس ما يقول في الحالين حقاً وصواباً.

ثمَّ التفت سبحانه إلى خطاب الكفار تشديداً لتفريعهم ببيان سوء أفعالهم بعد بيان سوء أقوالهم بقوله: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ﴾ أيها الأشقياء ﴿الْيَتِيمَ﴾ الذي يجب إكرامه بالرعاية وإعطاء النفقة ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ ولا تحرِّضون غيركم ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ لشدة بُخلكم فضلاً عن أن تُطعموه من أموالكم.

قيل: كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف، فكان يدفعه عن حقِّه، فنزلت الآيات.^٢

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٦.

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٧١، تفسير روح البيان ١٠: ٤٢٩.

وعن ابن عباس: أنها نزلت في عتبة بن ربيعة وأبي حذيفة بن المغيرة^١.

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ
دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ
الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ
عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ [٢٦-١٩]

ثم بالغ سبحانه في تقييدهم بقوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ وتصرفون في الميراث، الذي لليتامي، أو في ميراث مورثكم ﴿أَكْلًا﴾ وتصرفاً ﴿لَمًّا﴾ وجامعاً بين الحلال من إرثكم والحرام الذي هو حقّ اليتامي، أو بين الحلال والحرام ﴿وَتَحِبُّونَ الْمَالَ﴾ والأمتعة الدنيوية ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ وكثيراً، وتحريصون على جمعه وحفظه حرصاً شديداً، وتغفلون عن الموت والآخرة.

﴿كَلَّا﴾ لا ينبغي أن تكونوا بهذه الدرجة من الغفلة عن الآخرة، واذكروا أهوال يوم القيامة ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾ ودكت بالزلازل ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ هائلاً و ﴿دَكًّا﴾ متتابعاً حتى تكون هباءً منبثاً، فلا يبقى عليها جبل ولا تلّ فضلاً عن الأبنية والعمارات ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ وظهر قهره، أو صدر أمره بالمحاسبة والمجازاة، أو ظهرت آثار قدرته ومهابته سلطانه. ﴿وَجَاءَ﴾ جاء ﴿الْمَلَكُ﴾ في العرصات من كلّ سماء، ويقومون حول المحشر حال كونهم ﴿صَفًّا طَوِيلًا﴾ و ﴿صَفًّا﴾ آخر بعد ذلك الصف. قيل: تكون صفوفهم سبعة على عدد السماوات^٢ ﴿وَجِيءَ﴾ بتوسط الملائكة الغلاظ الشداد ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وحين ظهور سلطان الله وقهره ﴿بِجَهَنَّمَ﴾ في مرأى الخلق.

عن ابن مسعود: قال: تُقاد جهنم بسبعين ألف زمام، معه سبعون ألف ملك، يجزونها حتى تُنصب عن يسار العرش، لها تغيط وزفير، فتشرد شردهً لو تُركت لأحرق أهل الجمع، ويجشو كل نبي وولي من الهول والهيبة على رُكيبته، ويقول: نفسي، حتى يعترض لها رسول الله ﷺ ويقول: «أمتي أمتي» فنقول النار: مالي ولك يا محمد، لقد حرّم الله لحملك علي^٣.

وعن الباقر عليه السلام قال: «لَمَّا نزلت هذه الآية ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ سئل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا برز الخلائق وجمع الأولين والآخرين، أتى بجهنم تُقاد بألف زمام، أخذ بكل زمام مائة ألف تقودها من الغلاظ الشداد، لها هدة وغضب وزفير وشهيق،

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤٣٠.

٤. في النسخة: قال.

١. تفسير الرازي ٣١: ١٧٠.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤٣٠.

وَأَنهَا لَتَزِيرُ زُفْرَةً، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَهُمَ لِلْحِسَابِ لَأَهْلَكَتِ الْجَمْعُ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا عُتْقٌ فَتُحِيطُ بِالْخَلَائِقِ الْبَرِّ مِنْهُمْ وَالْفَاجِرِ، مَا خَلَقَ اللَّهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَلَكًا وَلَا نَبِيًّا إِلَّا يَنَادِي: نَفْسِي نَفْسِي، وَأَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ تَنَادِي: أَمْتِي أَمْتِي، ثُمَّ يُوضَعُ عَلَيْهَا الصُّرَاطُ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنْ حَدِّ السِّيفِ، عَلَيْهِ ثَلَاثُ قَنَاطِرٍ، فَأَمَّا وَاحِدَةٌ فَعَلَيْهَا الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، وَالثَّانِيَةُ فَعَلَيْهَا الصَّلَاةُ، وَالثَّالِثَةُ فَعَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فَيُكَلِّفُونَ الْمَمَرَّ عَلَيْهَا، فَيَحْسِبُهُمُ الرَّحِمُ وَالْأَمَانَةُ فَانْجَوَا مِنْهُمَا حَبَسْتَهُمَا الصَّلَاةُ، فَانْجَوَا مِنْهَا كَانَ الْمُتَنَهَى إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ وَالنَّاسُ عَلَى الصُّرَاطِ، فَمَتَعَلَّقٌ بِيَدٍ وَتَرِلٌ قَدِمَ وَيَسْتَمْسِكُ بِقَدَمٍ، وَالْمَلَائِكَةُ حَوْلَهَا يَنَادُونَ: يَا حَلِيمَ اعْفُ وَصَفِّحْ وَعُدْ بِفَضْلِكَ وَسَلِّمْ، وَالنَّاسُ يَتَهَاوَتُونَ فِي النَّارِ كَالْفَرَاشِ فِيهَا، فَإِذَا نَجَا نَاجٍ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ مَرَّ بِهَا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَبِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَتَزَكُو الْحَسَنَاتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَانِي مِنْكَ بَعْدَ إِيَّاسٍ بِمَنَّةٍ وَفَضْلِهِ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ شَكُورٌ^١.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ﴾ وَيَتَعَطَّ وَيَنْدَمُ ﴿الْإِنْسَانُ﴾ عَلَى مَا فَرَضَ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ وَأَيُّ نَفْعٍ لَهُ فِي الْإِنْعَاطِ وَالتُّدَمِّ بَعْدَ فَوَاتِ أَوَانِهِ؟ وَ﴿يَقُولُ﴾ تَنْدَمًا وَتَحَسُّرًا ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ وَأَتَيْتُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلْتُ بِمَا كُفِّتُ بِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿لِحَيَاتِي﴾ هَذِهِ وَيَوْمَ بَعَثَنِي هَذَا أَوْ فِي وَقْتِ حَيَاتِي فِي الدُّنْيَا أَعْمَالًا تُنَجِّنِي الْيَوْمَ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ وَحِينَ انْتِقَامِ اللَّهِ مِنَ الْقِصَاةِ ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ فَإِنَّ شِدَّةَ عَذَابِهِ فَوْقَ مَا يَتَصَوَّرُ ﴿وَلَا يُؤْتِي وَفَاقَهُ﴾ وَلَا يَشُدُّ بِالْعَمَلِ وَالْأَغْلَالِ مِثْلَ شِدَّةِ ﴿أَحَدٍ﴾ فَإِنَّ شِدَّةَ بِسَلْسِلَةٍ ذَرَعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا.

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي

عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي [٢٧-٣٠]

ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ سَبْحَانَهُ سَوَاءَ حَالِ النَّفُوسِ الشَّقِيَّةِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، ذَكَرَ حَالَ النَّفُوسِ الطَّيِّبَةِ الزَّكِيَّةِ وَسَعَادَتَهَا بِقَوْلِهِ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ بِذِكْرِ اللَّهِ السَّائِكَةِ فِي جِوَارِحِ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿أَرْجِعِي إِلَيَّ﴾ مَا أَعَدَّ لَكَ مِنْ كَرَامَةٍ ﴿رَبِّكَ﴾ الْكَرِيمِ وَثَوَابِهِ الْعَظِيمِ حَالِ كَوْنِكَ ﴿رَاضِيَةً﴾ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْقُصُورِ الْعَالِيَةِ وَالنَّعْمِ الْبَاقِيَةِ ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عِنْدَ اللَّهِ ﴿فَادْخُلِي فِيَّ﴾ زُمْرَةَ ﴿عِبَادِي﴾ الصَّالِحِينَ الْمَخْلُصِينَ ﴿وَادْخُلِي﴾ مَعَهُمْ فِي ﴿جَنَّتِي﴾.

قِيلَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ قَبْضَهَا أَطْمَأَنَّتْ إِلَى اللَّهِ، وَرَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^٢.

وعن ابن عمر قال: إذا تُوفِّي العبد المؤمن أرسل الله مَلَكين، وأرسل إليه تُحَفَةً من الجنة فيقال لها: اخْرُجِي أَيْتَهَا النفس المطمئنة إلى رُوحٍ وريحانٍ وربِّ عنك راضٍ، فتخرجُ كأطيب ريح مسك وجده أحدٌ في أنفه، والمَلَك على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض رُوحٌ طيبة ونسمة طيبة، فلا تَمَرَّ بِبَابٍ إِلَّا فُتِحَ لها، ولا بِمَلَكٍ إِلَّا صَلَّى عليها، حتَّى يُؤْتَى بها إلى الرحمن، ثمَّ يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين.

ثمَّ يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً [عرضه، سبعون ذراعاً] طوله، ويُنَبِّذُ له فيه الريحان، فإن كان معه شيءٌ من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نورٌ مثل نور الشمس في قبره، فيكون مثله مثل العروس ينام ولا يوقظه إلا أحبُّ أهله^١.

وعن سعيد بن جبَّير قال: مات ابن عباس بالطائف، فشَهِدَتْ جنازته، فجاء طائرٌ لم يُر مثله وعلى خلقتة، فدخل نعشه، ثمَّ لم يُر خارجاً منه فلَمَّا دُفِنَ ثَلَّيت هذه الآية على شفير قبره لا يرى من تلاها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾^٢.

عن الصادق (عليه السلام) أنه سُئِلَ: هل يُكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: «لا والله، إنَّه إذا أتاه مَلَك الموت لقبض رُوحه جزع لذلك، فيقول له مَلَك الموت: يا وليَّ الله لا تَجْزَعْ، فوالذي بعث محمداً لأنَّا أبْرَ بك وأشفق عليك من والدٍ رحيمٍ لو حضرك، افتح عينيك فانظُر، فيُتمثل [له] رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة (عليهم السلام) من دُرَّتْهم، فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة (عليهم السلام) رفقاؤك، فيفتح عينيه فينظر، فينادي رُوحه منادٍ من قبل ربِّ العزة فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة إلى محمد وأهل بيته، ارجعي إلى ربِّك راضيةً بالولاية مرضيةً بالنواب، فادخلي في عبادي يعني محمداً وأهل بيته - وادخلي جنتي. فما من شيءٍ أحبَّ إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي»^٣.

وعنه (عليه السلام) في هذه الآية: «يعني الحسين بن علي (عليه السلام)»^٤.

وعنه (عليه السلام): «اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنها سورة الحسين بن علي (عليه السلام)، من قرأها كان مع الحسين (عليه السلام) يوم القيامة في درجته من الجنة»^٥.
ومن الله علينا بالتوفيق لتلاوتها، كما منَّ لاتمام تفسيرها.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٣٢. ٢. الكافي ٣: ٢٧٧/٢، تفسير الصافي ٥: ٣٢٨.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٢٢، تفسير الصافي ٥: ٣٢٨.

٤. ثواب الأعمال: ١٢٣، مجمع البيان ١٠: ٧٣٠، تفسير الصافي ٥: ٣٢٨.

في تفسير سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ [١-٥]

ثم لما خُتِمت سورة الفجر المتضمنة للوم على الحرص على من جمع مال الدنيا وترك الاحسان إلى اليتيم والمسكين، أردفت سورة البلد المتضمنة للوم عليهما، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنی بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأ بالحلف بمكة المشرفة بقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ الحرام. قيل: إن حرف لا زائدة جيء بها لتأكيد القسم، فإن العرب تقول: لا والله ما فعلت، أو لا والله لأفعلن^١. ويُحتمل أن تكون ناهية، والمعنى: لا تنهوهما أن يكون الواقع خلاف ما أقول، أقسم بهذا البلد المعظم ﴿وَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّ﴾ ومقيم ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ونازل فيه، فزيد بهذا شرفه.

وقيل: يعني وأنت مع نهاية حرمتك حلال الدم والعرض عند المشركين بهذا البلد ولا يجزئ عندهم قتل شيء من الطيور والوحوش والحشرات^٢.

عن الصادق عليه السلام قال: «كانت قريش تعظم البلد وتستحل محمداً فيه، فقال الله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يريد أنهم استحلوك فيه، فكذبوك وشتموك، وكان لا يأخذ الرجل منهم قاتل أبيه، ويتقلدون لحاء شجرة الحرم فيأمنون بتقليدهم إياه، فاستحلوا من رسول الله ﷺ ما لم يستحلوا من غيره، فعاب الله عليهم»^٣.

﴿وَوَالِدٍ﴾ عظيم الشأن، قيل: إن المراد إبراهيم^٤ ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ من إسماعيل وإسحاق ويعقوب وذريتهما. وقيل: محمد وذريته^٥، وإيثار كلمة ﴿مَا﴾ على ﴿مَنْ﴾ لمعنى التعجب مما أعطاهم الله من الكمال، كذا قيل^٦.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٣٣.

٢. مجمع البيان ١٠: ٧٤٧، تفسير الصافي ٥: ٣٢٩.

٣. جوامع الجامع ٥٤٢.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٤٣٤.

٥. تفسير الرازي ٣١: ١٧٩.

٦. تفسير أبي السعود ٩: ١٦٠.

وعن الصادق عليه السلام: «يعني آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم»^١. [وفي الكافي مرفوعاً قال]^٢: «أمير المؤمنين ومن ولد من الأئمة عليهم السلام»^٣.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ [٤]

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه بقوله: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» حال كونه من أول خلقه مستغرقاً «فِي كَبَدٍ» وتعب ومشقة. وقيل: يعني في الشدة، وهي شدائد الدنيا من صعوبة ولادته، وقطع سُرته، وحبسه في القمط، وإيذاء المربي والمعلم، وزحمة التكسب والتزويج والأولاد والخدم وجمع الأموال، وتهاجم الأوجاع والهموم والغمو، كالابتلاء بالتكاليف الإلهية إلى غير ذلك من الشدائد^٤. وقيل: إن المراد في شدة الخلق والقوة^٥. وقيل: يعني في الاستواء والاستقامة^٦. عن الصادق عليه السلام أنه قيل له: إنا نرى الدواب في بطون أيديها الرقعتين مثل^٧ الكبي، فمن أي شيء ذلك؟ فقال: «ذلك موضع منخريه في بطن أمه، وأما ابن آدم فأرأسه منتصب في بطن أمه، وذلك قول الله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» وما سوى بن آدم فأرأسه في ذبره، ويداه بين يديه»^٨. وعن ابن عباس، قال: «فِي كَبَدٍ» أي قائماً منتصباً، والحيوانات الأخر تمشي مُنكسة، فهذا امتناز عليه بهذه الخلقه^٩. ثم لا يخفى أن في الآية بناءً على التفسير الأول تسليية النبي ﷺ في مكابدة الأعداء من كفار قريش.

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولَ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدٌ * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ [٥-٧]

ثم ذم سبحانه الإنسان بقوله: «أَيَحْسَبُ» ويتوهم من ضعفه وابتلائه بالشدائد على التفسير الأول، أو بالنظر إلى شدة خلقه وقوته على الثاني «أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» بأن يجازيه على سيئاته، أو بأن يغير أحواله ويمنعه عن مراداته؟! بلى إن الله القادر على كل شيء قادر على تعذيبه والانتقام منه، أو على تعجيزه ومنعه عن مراداته.

ثم إن هذا الكافر المدعي لكمال القدرة والقوة «يَقُولُ» مفتخراً: إني «أَهْلَكْتُ» وصرفت في

٢. في النسخة: وعن.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٤٣٤.

٧. في النسخة: قبل.

٩. تفسير الرازي ٣١: ١٨٢.

١. مجمع البيان ١٠: ٧٤٧، تفسير الصافي ٥: ٣٢٩.

٣. الكافي ١: ١١/٣٤٢، تفسير الصافي ٥: ٣٢٩.

٥ و٦. تفسير الرازي ٣١: ١٨١.

٨. علل الشرائع: ١/٤٩٥، تفسير الصافي ٥: ٣٣٠.

عداوة محمد ﴿مَالًا لُبَدًا﴾ وكثيراً.

عن الصادق عليه السلام: «قال عمرو بن عبدود حين عرض عليه علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الخندق: فأين ما أنفقت فيكم من مال لُبْد؟ وكان أنفق مالا في الصّد عن سبيل الله، فقتله علي عليه السلام». ١
ثم ويخبر سبحانه على إنفاقه وهذبه بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ هذا الكافر المباهي بإنفاقه ﴿أَنْ لَمْ يَرَهُ﴾ حين إنفاقه الشنيع ﴿أَحَدٌ﴾ بلى إنّ الله رآه وسأله يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه. وقيل: إنّ كان كاذبا لم يُنْفِق شيئا، فقال الله تعالى: أَيْظُنُّ هذا الكافر أنّ الله ما رأى ذلك منه، فعل أولم يفعل، أنفق أم لم يُنْفِق. بلى رآه وعلم منه خلاف ما قال ٢.

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ
الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ مَسْجَةً *
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ [٨-١٦]

ثم لما حكى سبحانه إنكار الكافر قدرة الله عليه ورؤيته إياه، أقام الدليل عليها بقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ﴾ بقدرتنا ﴿عَيْنَيْنِ﴾ يُبْصِر بهما ويرى، فكيف يُمكن أن يكون مُعْطِي الرؤية فاقدا لها ولا يراه؟ ﴿و﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ ﴿لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ينطق بها، فكيف ينبغي أن يتكلم بها الكلمات الشنيعة غير المرضية لمعطيها؟ ﴿وَهَدَيْنَاهُ﴾ بعد اتمام النعمة عليه بتكميل خلقه وقواه ﴿النَّجْدَيْنِ﴾ والطريقين الواضحين إلى خيره وشره.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «سُبُل الخير، وسُبُل الشر» ٣.

وعن الصادق عليه السلام: «نَجْد الخير والشر» ٤.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ﴾ وما دخل شكراً لتلك النعم الجليلة ﴿الْعَقَبَةَ﴾ والأعمال الصالحة التي هي الطريق إلى كل خير، وإنما أطلق عليها العقبة - التي هي الطريق الصعب السلوك في الجبل - لصعوبة سلوكها. ثم عظم العقبة بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ وأي شيء أعلمك يا محمد ﴿مَا﴾ تلك ﴿الْعَقَبَةُ﴾؟ فإن المراد بها ليس العقبة المعروفة، إنما هي ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ وإعتاق المملوك، والدخول فيها الاقدام عليه ﴿أَوْ إِطْعَمَ﴾ وإشباع من المأكول ﴿فِي يَوْمٍ مَسْجَةٍ﴾ وفي زمان غلاء وقحط، فإن الصرف في هذا الزمان أثقل على النفس وأوجب للأجر ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ وصاحب رحم فاقدا لإطعامه أفضل

١. تفسير القمي ٢: ٤٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام، تفسير الصافي ٥: ٣٣٠.

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٨٣.

٣. مجمع البيان ١٠: ٧٤٨، تفسير الصافي ٥: ٣٣١.

٤. الكافي ١: ٤/١٢٤، تفسير الصافي ٥: ٣٣١.

لاشتماله على الصدقة وصلة الرُّجْم «أَوْ مُسْكِينًا ذَا مَثَرَةٍ» وفاقه. عن النبي ﷺ في قوله: «ذَا مَثَرَةٍ» «الذي مأواه المزابيل»^١ وعن ابن عباس: يعني البعيد التربة، يعني الغريب^٢. وفي الحديث: «الساعي على الأرملة والمسكين كالساعي في سبيل الله، وكالقائم لا يفتر، والصائم لا يفطر»^٣.
عن الصادق عليه السلام: «من أطعم مؤمناً حتى يشبعه، لم يدرِ أحدٌ من خلق الله ماله من الأجر في الآخرة لا مَلَكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل إلا الله رب العالمين» ثم قال: «من موجبات المغفرة إطعام المسلم السَّعْبَانِ» ثم تلا هذه الآية^٤.

وعن الرضا عليه السلام: أنه إذا أكل أتى بصُحْفة فتوضع قُرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام بما يُؤتى به فيأخذ من كل شيء فيضع في تلك الصُحْفة، ثم يأمر بها للمسكين، ثم يتلو هذه الآية، ثم يقول: «عَلِمَ الله أنه ليس كل إنسانٍ يقدر على عتق رقبة، فجعل لهم السبيل إلى الجنة»^٥.
وعن الصادق أنه سئل عن هذه الآية فقال: «من أكرمه الله بولایتنا فقد جاز العقبة، ونحن تلك العقبة التي من اقتحمها نجا» ثم قال: «الناس كلهم عبيد النار غيرك وأصحابك فإن الله فك رقابكم من النار بولایتنا أهل البيت»^٦.

وعنه عليه السلام: «بنا ثَقَلُ الرقاب وبمعرفتنا، ونحن المُطْعَمُونَ في يوم الجُوع وهو المَسْغَبَةُ»^٧.

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَايَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ

مُؤَصَّدَةٌ [١٧-٢٠]

ثم بين سبحانه شرط قبول تلك الأعمال بقوله: «ثُمَّ كَانَ» ذلك الذي يَفُكُ الرقبة ويُطعم اليتيم والمسكين «مِنْ» زُمرَة «الَّذِينَ آمَنُوا» بالله ورُسله واليوم الآخر «وَتَوَاصَوْا» وأمرُوا أقرباءهم وأصدقاءهم «بِالصَّبْرِ» على طاعة الله «وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» والعطوفة بعباد الله، أو بموجبات رحمة الله من الخيرات والصلاحات. وذكر كلمة «ثُمَّ» للدلالة على تراخي رُتبة الايمان على تلك الأعمال، ورفعته محلّه بالنسبة إليها.

«أُولَئِكَ» المتصِفون بالصفات المذكورة هم يوم القيامة «أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» يُعطون كتبهم بأيمانهم، أو تُسَلَّك بهم من الطريق الأيمن إلى الجنة، أو هم أهل اليمن والخير والسعادة، أو القائمون

٣-١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٣٨.

٤. الكافي ٢: ٦١/١٦١، تفسير الصافي ٥: ٣٣١.

٥. الكافي ٤: ١٢/٥٢، تفسير الصافي ٥: ٣٣١.

٦. الكافي ١: ٨٨/٣٥٧، تفسير الصافي ٥: ٣٣١.

٧. تفسير القمي ٢: ٤٢٣، تفسير الصافي ٥: ٣٢٢.

عن يمين المحشر، أو يمين العرش.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ ودلائل توحيدنا ورسالة رسولنا ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ وأهل الشؤم والشرّ والشقاوة، أو هم الذين يُعطون كتابهم بشمائلهم، أو وراء ظهورهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿نَارٌ﴾ أبوابها ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ ومُطَبَّقة لا يفتح لهم باب، فلا يخرج منها غمّ، ولا يدخل فيها روح أبداً، أو المراد نارٌ محيطة بهم.

عن الصادق عليه السلام: «من كان قراءته في فريضة ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ كان في الدنيا معروفاً [أنه من الصالحين، وكان في الآخرة معروفاً] أن له من الله مكاناً، وكان يوم القيامة من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين»^١.



في تفسير سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَاها * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا [٨-١]

ثم لما خُتِمت سورة البلد المتضمنة لمتته سبحانه على الانسان بخلقه في كَيْد واستقامة، وبهديته إلى الخير والشر، وترغيبه إلى الايمان والأمر بالمعروف، وتهديد الكفار المكذبين بعذاب الآخرة، نُظِمت سورة الشمس المتضمنة لمتته على الانسان بتعديل خلقه وإلهامه فُجُوره وتقواه وترغيبه إلى تزكية نفسه المتوقفة على الايمان والعمل، وتهديد الكفار، فافتتحها بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بالقسم بقوله: ﴿وَالشَّمْسِ﴾ التي فيها فضل عظيم ومنافع عظيمة لموجودات عالم الملك ﴿وَضُحَاهَا﴾ وارتفاع نورها واشتداد ضوؤها، وهو قريب من نصف النهار ﴿وَالْقَمَرِ﴾ الذي هو بعد الشمس أنفع الكواكب ﴿إِذَا﴾ تبع الشمس وحين ﴿تَلَاها﴾ ويطلُع بعد غروبها. عن ابن عباس: هو في النصف الأول من الشهر^١ بعدما سَمِيَ قمرًا. وقيل: يعني إذا تَبِعَهَا وصار مثلها في الاستداره وكمال النور، وهي في الليالي البيض^٢.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا﴾ ظهر الشمس وحين ﴿جَلَاها﴾ قيل: إن الضمير راجع إلى الظلمة^٣ وتجليتها إذهابها. وقيل: إلى الدنيا، أو إلى الأرض، وإن لم يسبق لهما ذكر لمعلوماتها، وتجليتهما إنازتهما^٥. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا﴾ يَغْطِي الشمس و﴿يَغْشَاهَا﴾ ويذهب نورها، فكأن الليل بظلمته^٦ صار سبباً لغروب الشمس وزوال ضوئها، ولذا حسن القول بأن النهار يجليها ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ المُظِلُّ على الأرض ﴿وَمَا

٣و٤. تفسير الرازي ٣١: ١٩٠.

٦. في النسخة: تظلمته.

٢و٤. تفسير الرازي ٣١: ١٨٩.

٥. في النسخة: لمعلوماتها، وتجليتها إنازتها.

بَنَاهَا» على غاية العظمة ونهاية الوقعة.

قيل: ذكر كلمة «مَا» للإشارة إلى الوصفية، والمعنى: والشيء العظيم الذي بناها^١، ويُحتمل كون كلمة «مَا» مصدرية، فحلف أولاً بذاتها، وثانياً بكيفية بنائها.

«وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاها» ومن بسطها على السماء من كل جانب «وَنَفْسٍ» ناطقة متميزة من نفوس الحيوانات «وَمَا سَوَّاهَا» ومن عدلها بإعطائها القوى الظاهرة والباطنة، ويُحتمل كون «مَا» مصدرية في كلتا الجملتين. وقيل: إن المراد بالنفس الشخص، وتسويتها تعديلها بتكميل أعضائها^٢. «فَأَلْهَمَهَا» وعرفها بتكميل عقلها وإرسال الرسل «فُجِّوْرَهَا» وشروورها لتجنبها «وَتَقْوَاهَا» ومحاسن أعمالها لتعمل بها.

عن الصادق عليه السلام قال: «بَيَّنْ لَهَا مَا تَأْتِي وَمَا تَتْرُكُ»^٣.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [١٠ و ٩]

ثم بيّن سبحانه المُقَسِّم عليه بقوله: «قَدْ أَفْلَحَ» وظفر بأعلى المقاصد والمطالب «مَنْ زَكَّاهَا» وطهرها من دَسَس الكفر والأخلاق الرذيلة ومن رجس الذنوب والقبايح، أو المراد أنماها بالخيرات والبركات.

عن النبي ﷺ: أنه كان إذا قرأ «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» وقف وقال: «اللهم آتِ نَفْسٍ تَقْوَاهَا، أَنْتَ وَلِيهَا وَأَنْتَ مَوْلَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرَ مَنْ زَكَّاهَا»^٤.

«وَقَدْ خَابَ» وحرّم من جميع الخيرات أو خسر «مَنْ دَسَّاهَا» وأدخلها في المعاصي حتّى انغمس فيها، أو دَسَس في نفسه الفجور بسبب مواظبته عليها.

عن الصادق عليه السلام: «قد أفلح من أطاع، وقد خاب من عصي»^٥.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ زَكَّاهُ رَبُّهُ»^٦.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا

١. تفسير الرازي ٣١: ١٩١.

٢. الكافي ١: ٣٧٢٤، تفسير الصافي ٥: ٣٣٣.

٣. مجمع البيان ١٠: ٧٥٥، تفسير الرازي ٣١: ١٩٣.

٤. مجمع البيان ١٠: ٧٥٥، تفسير الصافي ٥: ٣٣٤، وفيهما: عنهما عليه السلام.

٥. تفسير القمي ٢: ٤٢٤، تفسير الصافي ٥: ٣٣٤.

يَخَافُ عُقْبَاهَا [١٥-١١]

ثم هَدَّدَ سبحانه المكذِبين للرسول ببيان تكذيب ثمود رسولهم وابتلائهم بالعذاب بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبِيلَةٌ يُقَالُ لَهَا «ثُمُودٌ» رَسُولَهُمْ صَالِحٌ «يَطْفُوَاهَا» وَبَسْبِ عَتُوِّهَا عَلَى اللَّهِ، أَوِ الْمَعْنَى كَذَّبَتْ بِمَا أَوْعَدَهُمُ الرُّسُولُ مِنْ عَذَابٍ ذِي طُغْيَانٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ».

﴿إِذْ أَنْبَعَتْ «أَشْقَاهَا» وَأَخْبَنَهَا وَأَطَاها فِي عَقْرِ النَّاقَةِ «فَقَالَ لَهُمْ» صَالِحٌ «رَسُولُ اللَّهِ» عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا قَوْمِ احْذَرُوا أَنْ تُؤْذُوا «نَاقَةَ اللَّهِ» الَّتِي هِيَ مِنْ آيَاتِهِ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَمْنَعُوهَا «وَسُقْيَاهَا» وَمَشْرِبَهَا، فَإِنْ مَسَسْتُمُوهَا بِسَوْءٍ يَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ «فَكُذِّبُوهُ» فِيمَا أَوْعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ «فَعَقَرُوهَا» وَضَرَبُوا رِجْلَهَا بِالسَّيْفِ وَقَتْلُوهَا.

روى بعض العامة عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ: «يَا عَلِيُّ أَنْتَ دَرِي مِنْ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ؟» قَالَ: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «عَاقِرُ النَّاقَةِ» قَالَ: «أَنْتَ دَرِي مِنْ أَشَقَى الْآخِرِينَ»، قَالَ: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ» قَالَ: «قَاتِلْكَ»^١.

﴿فَدَمْدَمَ» وَاطْبِقِ «عَلَيْهِمْ رُبُّهُمْ» الْعَذَابَ، وَأَهْلَكَ جَمِيعَهُمْ بِالصَّيْحَةِ الْهَائِلَةِ، أَوِ الزَّلْزَلَةِ «بِذَنبِهِمْ» وَبَسْبِ عَصِيَانِهِمْ بِتَكْذِيبِ الرُّسُولِ وَعَقْرِ النَّاقَةِ «فَسَوَّاهَا» قِيلَ: إِنَّ الضَّمِيرَ رَاجِعٌ إِلَى الدَّمْدَمَةِ، وَالْمَعْنَى: فَعَمَّتْهُمُ الدَّمْدَمَةُ^٢. وَقِيلَ: رَاجِعٌ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْمَعْنَى: فَسَوَّى عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ بِأَنْ أَهْلَكَهُمْ فَجَعَلَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ^٣ «وَلَا يَخَافُ» اللَّهُ بِالدَّمْدَمَةِ عَلَيْهِمْ «عُقْبَاهَا» وَتَبِعَتْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ بِاسْتِحْقَاقِهِمُ وَالْعَمَلُ بِالْحِكْمَةِ.

وقيل: هذا الكلام لبيان تحقير إهلاكهم، والمعنى أَنَّهُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْشَى فِيهِ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ^٤. وقيل: إِنَّ الْمَعْنَى لَا يَخَافُ قَدَارَ الْأَشَقَى فِيمَا أَقْدَمَ مِنْ عَقْرِ النَّاقَةِ عَقْبَهَا وَتَبِعَ سَوَّاهَا، بَلْ كَانَ آمَنًا مِنَ الْهَلَاكِ فَفَعَلَ مَعَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ فَعَلَ مِنْ لَا خَوْفَ لَهُ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى غَايَةِ حُمَقِهِ، وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ تَكُونُ الْآيَةُ فِي حُكْمِ الْمُتَقَدِّمِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا وَلَا يَخَافُ عَقْبَاهَا^٥.

رُوي أَنَّ صَالِحًا لَمَّا وَعَدَهُمُ بِالْعَذَابِ بَعْدَ ثَلَاثِ، قَالَ الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ: هَلُمَّاوَا فَلَنَقْتُلَ صَالِحًا، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا عَجَلْنَا قَبْلَنَا، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا أَلْحَقْنَا بِنَاقَتِهِ^٦ فَأَتَوْهُ لِيَقْتُلُوهُ فَدَمَغْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْحِجَارَةِ، فَلَمَّا أَبْطَأُوا عَلَى أَصْحَابِهِمْ أَتَوْا مَنْزِلَ صَالِحٍ، فَوَجَدُوهُمْ قَدْ رُضِحُوا بِالْحِجَارَةِ، فَقَالُوا لَصَالِحٍ: أَنْتَ قَتَلْتَهُمْ، ثُمَّ هَمَّوْا بِهِ، فَقَامَتْ عَشِيرَتُهُ دُونَهُ^٧ وَلَبَسُوا السِّلَاحَ، وَقَالُوا لَهُمْ: وَاللَّهِ لَا تَقْتُلُونَهُ، قَدْ وَعَدَكُمْ أَنَّ الْعَذَابَ

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٤٦.

٢ و ٣. تفسير الرازي ٣١: ١٩٥ و ١٩٦.

٤. في النسخة: بناقة. ٧. في النسخة: دونها.

٥ و ٤. تفسير الرازي ٣١: ١٩٦.

نازلٌ بكم في ثلاث، فإن كان صادقاً زدتم رَيْكُم عليكم غضباً، وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تُريدون، فانصرفوا عنه تلك الليلة، فأصبحوا ووجوههم مصفرة، فايقنوا بالعذاب، فطلبوا صالحاً ليقتلوه، فهرب صالح والتجأ إلى سيد بعض بطون ثمود، وكان مشركاً، فغَيَّبه عنهم فلم يَقْدِرُوا عليه، ثم شغلهم عنه نزول العذاب^١. فهذا هو قوله: «وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا».

عن الصادق عليه السلام: «من أكثر قراءة الشمس والليل والضحى وألم نشرح، في يومٍ وليلة، لم يبق بحضرته إلا شهد له يوم القيامة حتى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعصبه وعظامه وجميع ما أقلت الأرض منه، ويقول الرب تبارك وتعالى: قبلت شهادتكم لعبدي، وأجزتها له، انطلقوا به إلى جناتي حتى، يتخير منها حيث أحب، فأعطوه من غير منٍّ، ولكن رحمةً منِّي وفضلاً [عليه فهيناً لعبدي]»^٢.

١. تفسير الرازي ٣١: ١٩٦.

٢. ثواب الأعمال: ١٢٣، مجمع البيان ١٠: ٧٥٢، تفسير الصافي ٥: ٣٣٥.

في تفسير سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى [١-٤]

ثم لما خُتِمت سورة ﴿وَالشُّمُسِ﴾ المتضمنة لذكر الصنفين من الناس: صنف زكّي نفسه من الشرك والعصيان والاخلاق الرذيلة، وصنف دسّ نفسه فيها، وذكر أن الله ألهم فجورها وتقواها، أردفها بسورة ﴿وَاللَّيْلِ﴾ المتضمنة لذكر صنفين من الناس: صنف من الناس بذل ماله في طاعة الله وأتقى المعاصي وصدّق بتوحيد الله والدار الآخرة، وصنف بخل بماله واشتغل بالمعاصي والشهوات وكذب بتوحيد الله واليوم الآخر، وما لكلّ منهما من الدرجات والدركات، وإن الله هو الهادي إلى كلّ خير وسعادة، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بالحلف بعجائب خلقه وبدائع صنفه بقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ويغطي الشمس، أو يستر النهار، أو سائر الموجودات غير المضيئة بظلمته ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ وحين انكشف بطلوع الشمس وظهر بزوال ظلمة الليل، ومن المعلوم أنّ في الإقسام بهما دلالة على شرفهما وكثرة نفعهما وقيام نظام العالم بهما ويتعاقبهما.

وعن الباقر عليه السلام في تأويل الآيتين قال: «الليل في هذا الموضع الثاني، غشي أمير المؤمنين عليه السلام في دولته التي جرت له عليه، وأمير المؤمنين عليه السلام يصير في دولتهم حتى تنقضي» ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ قال: «النهار هو القائم من أهل البيت، إذا قام غلب دولة الباطل» قال: «والقرآن ضرب به الأمثال للناس، وخطب نبيه به ونحن، فليس يعلمه غيرنا»^١.

﴿وَمَا خَلَقَ﴾ قيل: يعني والقادر العظيم الذي خلق بقدرته ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ من ماء واحد^٢. وقيل: كلمة ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى: وخلق الذكور والأنثى من جميع أصناف الحيوانات.

٢. تفسير الرازي ٣١: ١٩٧.

١. تفسير القمي ٢: ٤٢٥، تفسير الصافي ٥: ٣٣٦.

وعن الباقر عليه السلام في تأويله «الذكر أمير المؤمنين عليه السلام، والأنثى فاطمة»^١.
ثم ذكر سبحانه المُقَسَّم عليه بقوله: «إِنَّ سَعْيَكُمْ» وأعمالكم أيها الناس في الدنيا «لَشَتَّى»
ومتفرقات في الحُسْن والقُبْح، والخير والشر، والعقاب والثواب.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ
بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ
إِذَا تَرَدَّدَى [٥-١١]

ثم بين سبحانه ما هو المقصود من اختلاف الأعمال وفضله بقوله: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى» المال وأنفقه
في سبيل الله ووجوه البر، أو أعطى حقوق الله من الأعمال الواجبة «وَاتَّقَى» الله بترك المحرمات
واحتراز الشهوات «وَصَدَّقَ» عن صميم القلب «بِالْحُسْنَى» والكلمة المرضية عند الله من الإقرار
بالتوحيد والرسالة والمعاد، أو بالملة والشرعية الحسنة، وهو دين الاسلام.

وعن الصادق عليه السلام قال: «بالولاية»^٢.
«فَسَنُيَسِّرُهُ» ونوفقه «لِلْيُسْرَى» والأعمال المؤدية إلى الجنة والراحة الأبدية، ونسهلها عليه حتى
يكون أيسر الأمور عليه وقيل: إن المراد باليسرى الجنة والراحة^٣، والمعنى: نهيته لدخول الجنة
بسهولة.

«وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ» بماله وامتنع من صرفه في سبيل الله، أو امتنع من أداء حقوق الله وصرف قواه في
طاعته، «وَاسْتَغْنَى» بالشهوات الدنيوية عن النعم الأخروية ولم يرغب في ثواب الله، كأنه مستغن
عنه، ولم يتق من المعاصي «وَوَكَّذَّبَ» قولاً وعملاً «بِالْحُسْنَى» بأحد المعاني السابقة «فَسَنُيَسِّرُهُ»
ونهيته «لِلْعُسْرَى» والخصلة المؤدية إلى ما فيه المشقة والشدة من النار والهوان والعذاب بتثقل
الطاعة عليه وإيكاله إلى نفسه الأمارة بكل سوء وشر «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ» ولا يكفي في نجاته من
العذاب «مَالُهُ» الذي جمعه في الدنيا ويخجل به عن صرفه في سبيل الله «إِذَا تَرَدَّدَى» وهلك هلاكاً
أبدياً، أو سقط في قعر جهنم، أو في حفرة وقبره.

وقيل: إن كلمة «مَا» في قوله: «مَا يُغْنِي» للاستفهام الإنكاري، والمعنى: أي شيء يغني عنه ماله
مع أنه يبقى لوارثه، ولم يصحب منه شيئاً في الآخرة^٤.

١. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٠، تفسير الصافي ٥: ٣٣٦.

٢. تفسير القمي ٢: ٤٦٦، تفسير الصافي ٥: ٣٣٧.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤٤٨.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٢٠١.

في (الكافي) في تفسير الآيات عن الباقر عليه السلام: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى» مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ «وَأَتَّقَى» * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى» أي بَأَنَّ اللَّهَ يُعْطِي بالواحدة عشرة إلى مائة ألف فمأزاد «فَتَسْتَبِشُّهُ لِلْيُسْرَى» لا يريد شيئاً من الخير إلا يسره الله «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ» بما آتاهُ اللَّهُ «وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى» بَأَنَّ اللَّهَ يُعْطِي بالواحدة عشرة إلى مائة ألف «فَتَسْتَبِشُّهُ لِلْيُسْرَى» لا يريد شيئاً من الشر إلا يسره له «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» قال: والله ما تَرَدَّى من جبل، ولا من حائط، ولا في بئر، ولكن تَرَدَّى في نار جهنم^١.

وعنه عليه السلام في تأويله: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَأَتَّقَى» وأثر بقوته، وصام حتى وفى بندره، وتصدق بخاتمه وهو راع، وأثر المجداد بالدينار على نفسه «وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى» وهي الجنة والثواب من الله «فَتَسْتَبِشُّهُ» لذلك، بَأَنَّ جعله إماماً في الخير وقُدوةً وأباً للامة، يسره الله عليه السلام «لِلْيُسْرَى»^٢.

وعن (المجمع) عن ابن عباس: أَنَّ رجلاً كانت له نخلة، فزَعَهَا في دار رجلٍ فقيرٍ ذي عيال، وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وسِعِدَ النخلة ليأخذ منها التمر، وربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فنزل الرجل من النخلة حتى يأخذ التمر من أيديهم، فإن وجدها في فمٍ أحدهم أدخل إصبعه حتى يُخْرِجَ التمر من فيه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم^٣ فقال صلى الله عليه وآله وسلم لصاحب النخلة: «بعني نخلتك هذه بنخلة في الجنة» فقال: لأفعل، وانصرف، فمضى إليه أبو الدُّخْدَاح واشتراها منه^٤. وفي رواية: اشتراها منه بحائطه^٥. وفي رواية: بأربعين نخلة^٦.

وأتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، خُذْها وأجعل لي في الجنة الحديقة التي قلت لهذا ولم يتقبلها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لك في الجنة حدائق وحدائق»^٧.

وفي رواية ابن عباس: فذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله، إِنَّ النخلة قد صارت لي، فهي لك فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله عز وجل: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى...» السورة^٨.

وفي رواية القمي عليه السلام قال: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى» يعني النخلة «وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى» يعني بوعده رسول الله^٩.

١. الكافي ٤: ٥/٤٦، تفسير الصافي ٥: ٣٣٨.

٢. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٠، تفسير الصافي ٥: ٣٣٨.

٣. مجمع البيان ١٠: ٧٥٩، تفسير الصافي ٥: ٣٣٧.

٤. قرب الاسناد: ١٢٧٣/٣٥٦، تفسير الصافي ٥: ٣٣٧.

٥. تفسير القمي ٢: ٤٢٦، تفسير الصافي ٥: ٣٣٧.

٦. مجمع البيان ١٠: ٧٦٠، تفسير الصافي ٥: ٣٣٨.

٧. قرب الاسناد: ١٢٧٣/٣٥٦، تفسير الصافي ٥: ٣٣٧، ولم نثر عليها في تفسير القمي.

أقول: على الروایتين السورة مدنية، لأن أبا الدُّخْداح كان من الأنصار ومن أهل المدينة.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ [١٢-١٣]

ثم لما بين سبحانه فائدة الإعطاء والتقوى والایمان وضرر البخل والكفر، بين أن الهداية إلى ما فيه الخير والشر من شأن الربوبية بقوله: ﴿إِنَّ﴾ الواجب ﴿عَلَيْنَا﴾ بمقتضى الحكمة البالغة واللطف ﴿لَلْهُدَىٰ﴾ وبيان الطريق المؤدى إلى كل خير وسعادة، وإلى الشرور والضلالة، وقد فعلنا بما لانريد عليه، حيث بينا حال من سلك كلا من الطريقين ترغيباً وترهيباً. عن القمي: أن علينا أن نبين لهم^١. وعن ابن عباس: يريد أرشد أوليائي إلى العمل بطاعتي وأحول بين أعدائي أن يعملوا بطاعتي^٢.

أقول: معنى حيلولته خذلانه، وإيكالهم إلى أنفسهم عقوبة على كفرهم وطغيانهم. ثم بين سبحانه غناه عن عبادة الناس، وأما تكون هدايتهم للنفع العائد إليهم بقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ وتلك العقبي الأولى، لايزيد في ملكنا اعتداؤكم، ولايُضِرُّنا ضلالكم، فمن طلب سعادة الدارين فليطلبها مِنِّي، وليعمل بطاعتي.

فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ *

وَسَيَجْزِيهَا الْآتَىٰ * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ [١٤-١٨]

ثم هدد سبحانه الذين لا يهتدون بهداه بقوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ أيها الناس فيما أنزلت إليكم من القرآن ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ وتلظى وتتوقد بغضبي، وخوفكم بها لترتدعوا عن عصياني ومخالفتي، واعلموا أنه ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ ولايدخلها ﴿إِلَّا﴾ الكافر ﴿الْأَشْقَىٰ﴾ من جميع القصاة والأبعد من كل خير وسعادة، وهو ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ بآيات ربه ورسالة رسله ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ وأعرض عن قبول الحق، واستنكف عن طاعة ربه.

وعن ابن عباس في رواية أخرى: أنها نزلت في أمية بن خلف وامثاله الذين كذبوا محمداً والأنبياء قبله^٣.

أقول: وهو جارٍ في حق كل كافر إلى يوم القيامة، إذ لا يكون الكفر إلا بالتكذيب ولو بإنكار ضروري من ضروريات الدين، ومقتضى الحصر أن لايدخل النار من كان مؤمناً عاصياً ولايبعد ذلك، نعم

٢. تفسير الرازي ٣١: ٢٠٢.

١. تفسير القمي ٢: ٤٢٦، تفسير الصافي ٢: ٣٣٨.

٣. تفسير الرازي ٣١: ٢٠٢.

بعض المعاصي يُوجب ذهاب الايمان عن قلب المؤمن، كترك الصلاة والزكاة والحج، فيحشر في صف الكفار.

وقيل: إن المراد بالأشقى هو الشقي، وبالصلبي الدخول مع الخلود^١. وعن (المجمع): الأشقى هو صاحب النخلة^٢. وعن القمي: يعني هذا الذي يُجل على رسول الله^٣.

وعن الصادق عليه السلام - في هذه الآية - قال: «في جهنم وادٍ فيه نار لا يصلها إلا الأشقى، يعني فلان الذي كذب رسول الله ﷺ في علي عليه السلام وتولى عن ولايته» ثم قال: «النيران بعضها دون بعض، فما كان من نار هذا الوادي فللنصاب»^٤.

«وَسَيُجَنَّبُهَا» ويبعد عنها بحيث لا يسمع حسيستها المؤمن «الآتقى» والأحرز من الشرك والعصيان، وهو «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ» ويُعطيه الفقراء ويصرفه في سبيل الله حال كونه «يَتَزَكَّى» ويقصد ببذله الطهارة من رجس الذنوب ودَسُّ البخل، وهو أبو الدُّخْداح، كما عن (المجمع)^٥ والقمي^٦.

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ [٢٠ - ١٩]

ثم بين سبحانه خلوص نيته في البذل لوجه الله بقوله: «وَمَا لِأَحَدٍ مِّنْ يُعْطِيهِ الْمَالُ عِنْدَهُ» شيء «مِنْ نِعْمَةٍ» ومنه يكون من شأنها أن «تُجْزَىٰ» وتُكَافَأَ فيقصد باعطائه مجازاتها، فما يكون إعطائه وبذله لغرض من الأغراض «إِلَّا» بغرض واحد وهو «ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ» الذي هو «الْأَعْلَىٰ» والأرفع من كل موجود ذاتاً وصفاتاً.

في رد بعض العامة ثم لما كان طلب ذات الله تعالى محالاً، كان التقدير: ابتغاء رضا ذات الرب أو ثوابه، وإمكان حب ذات الرب، لا يوجب صحة طلب الذات، كما ادّعاها بعض العامة^٧.

نعم لا يحتاج في قوله: «إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ» إلى تقدير شيء في الآية، لأن الأ طعام لوجه الله معناه الإطعام لأنه مستحق للطاعة، كما عن أمير المؤمنين: «عبدتك لا خوفاً من نارك، ولا طمعاً في ثوابك، بل لأنك مستحق للعبادة»^٨.

فظهر الفرق بين قوله: أطعت الله ابتغاء لوجهه، وبين القول: بأنني أطعت الله لوجهه، وأن الخلوص

٢. مجمع البيان ١٠: ٧٦٠، تفسير الصافي ٥: ٣٣٨.

٤. تفسير القمي ٢: ٤٢٦، تفسير الصافي ٥: ٣٣٨.

٦. تفسير القمي ٢: ٤٢٦، تفسير الصافي ٥: ٣٣٩.

٨. بحار الأنوار ٤١: ١٤ و ٧٢: ٢٧٨ «نحوه».

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٥٠.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٢٦، تفسير الصافي ٥: ٣٣٨.

٥. مجمع البيان ١٠: ٧٦٠، تفسير الصافي ٥: ٣٣٩.

٧. تفسير الرازي ٤: ٢٠٦ و ٣١: ٢٠٦.

في الثاني أكمل من الأول، ولا يتافي هذه الدرجة من الخُلوص وجود الخوف من العقاب، أو الرجاء للثواب، فأنهما في المرتبة المتأخرة، كما كان لرسول الله ﷺ جميع المراتب من الخُلوص. ومن المعلوم أن من كان له جميع المراتب أفضل وأكمل ممن كان له مرتبة الرجاء للثواب، فما ذكرنا ظهر فساد ما حكاه الفخر الرازي عن أبي بكر الباقلاني في هذه الآية من قوله: **إِنَّ الْآيَةَ الْوَارِدَةَ فِي شَأْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** **«إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا»** **«إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِرِيرًا»**^١ وهذه الآية الواردة في حق أبي بكر **«إِلَّا آتِنَا وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى»** **«وَلَسَوْفَ يَرْضَى»** **«فَدَلَّتِ الْآيَاتَانِ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَعَلَ مَا فَعَلَ لَوَجْهِ اللَّهِ، إِلَّا أَنَّ آيَةَ عَلِيٍّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَعَلَ مَا فَعَلَ لَوَجْهِ اللَّهِ وَلِلْخَوْفِ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا قَالَ: «إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِرِيرًا»** وأما آية أبي بكر فإنها دلت على أنه فعل ما فعل لمحض وجه الله من غير أن يشوبه طمع فيما يرجع إلى رغبته في ثواب أو رهبة من عقاب، فكان مقام أبي بكر أعلى وأجل^٢. مع أن نزول الآية في حق أبي بكر غير ثابت، وإنما حكاه الفخر الرازي عن القفال الذي هو أحد مفسري العامة، فإنه قال: نزلت هذه السورة في أبي بكر وإنفاقه على المسلمين، وفي أمية بن خلف وبُخله وكفره بالله^٣.

ولا يقاوم قول هذا الناصب قول ابن عباس الذي هو خبر هذه الأمة وأستاذ المفسرين من أنها نزلت في حق أبي الدُّخْدَاح والبخيل الذي كان يَدْخُلُ إصبعه في فم صغار الفقير ليُخْرِجَ ثمر نخلته من فيهم، كما مرَّ عن (المجمع)^٤. وروى الفخر الرازي عنه أنه نزلت في أمية بن خلف وأمثاله الذين كَذَّبُوا مُحَمَّدًا وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ^٥، ولم يحك عنه القول بأن المراد بالأتقى أبوبكر.

نعم روى بعض العامة أن النبي ﷺ مرَّ ببلال بن رباح^٦ الحبشي وهو يقول: أحد فقال ﷺ: **«أحد يعني الله الأحد ينجيك»** ثم قال، أبي بكر: **«إِنْ بَلَاءُ يُعَذِّبُ فِي اللَّهِ»** فعرف مراده، فأنصرف إلى منزله، فأخذ رطلًا من ذهب، ومضى به إلى أمية بن خلف، فقال له: أتبيعي بلالاً؟ فقال: نعم، فاشتراه وأعتقه، فقال المشركون: ما أعتقه أبوبكر إلا ليد كانت له عنده، فنزلت^٧. أقول: الظاهر من الآية مدح الأتقى الذي يُؤْتِي ماله في سبيل الله، وهو موافق لإعطاء أبي الدُّخْدَاح،

١. تفسير الرازي ٣١: ١٩٧.

٢. تفسير الرازي ٣١: ٢٠٥.

٣. الإنسان ٧٦/١٠٩.

٤. مجمع البيان ١٠: ٧٥٩.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٢٠٢.

٦. تفسير أبي السعود ٩: ١٦٨، تفسير روح البيان ١٠: ٤٥١.

٧. في النسخة: رباح.

للاعتاق أبي بكر، فإنّ الاعتاق ليس بدلاً وإعطاءً للغير، بل هو تحرير وفكّ مُلك.

وَلَسَوْفَ يَرْضَى [٢١]

ثمّ وعد سبحانه الأتقى البازل ماله في سبيل الله بالثواب المرضي مقروناً باليمين بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ ذلك الاتقى بما يؤتيه الله من الثواب في الآخرة.

قيل: إنّ المعنى إلّا ابتغاء رضا ربّه، والله لسوف يرضى الربّ عنه^١. وفيه: أنّ رضا الله لاتأخير فيه، وإنّما التأخير في الثواب الأخروي، وهو وعدٌ بنيل جميع ما يتغيّه ويطلبه من الثواب على أكمل الوجوه وأجملها.

قال بعض العامة: لم ينزل هذا الوعد إلّا لرسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^٢ ولأبي بكر هاهنا^٣. وفيه: أنّ الآيات الدالة على وعد المؤمنين عموماً بثواب فيه رضاهم كثيرة، وليس في خصوصية التعبير دلالة على فضيلة من وعده الله بأن يرضيه بثوابه إذا أدخله الجنة بهذا التعبير على غيره من المؤمنين الذين قال في حقّهم ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^٤ بل في هذا التعبير وفي قوله: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾^٥ احتمال فضيلة خاصة، لاحتمال كون المراد راضية ومسرورة بلقاء الله والوصول إلى مقام الرضوان، والآية المذكورة كالنصّ في إرادته رضاه بالثواب ودخوله في الجنة، مع أنّ ادّعاء كون نزول الآية في حقّ أبي بكر ممنوعٌ أشدّ المنع، حشرهم الله معه بتكفّهم في إثبات فضيلة له مع أنّه خرّط القتاد، بل تمسّكهم بأمثاله كتمسّك الغريق المتشبّث بكُلّ حشيش.

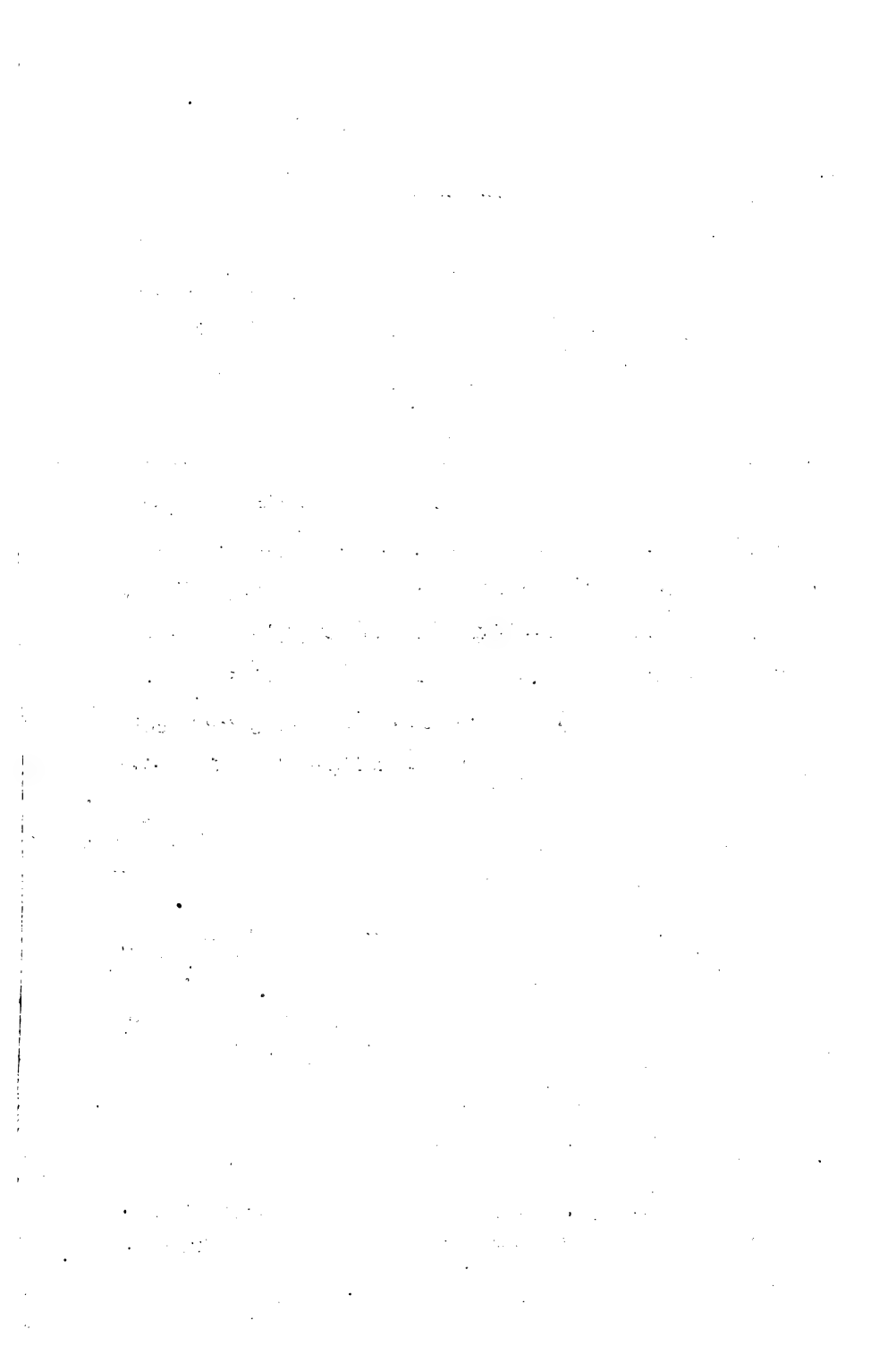
١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٥٢.

٢. الضحى: ٥/٩٣.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤٥٢.

٤. المائدة: ١١٩/٥.

٥. الفجر: ٢٨/٨٩.



في تفسير سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ [١-٢]

ثم لما خُتِمت سورة الليل المتضمنة لبيان كون الدنيا والآخرة لله، وفضيلة المؤمنين المنفقين في سبيل الله خالصاً لوجهه، وأن الله يرضيهم في الآخرة بثوابه، نُظِمت سورة الأضحى المتصدرة بالآيمان المناسبة لما صدر ما قبلها من الآيمان المتضمنة لبيان كون الآخرة خيراً من الدنيا، ولمنته على رسوله، وفيه^١ على الانفاق على الفقير، ووعد به إعطائه ما يرضى به من الدرجات العالية التي يغيّط بها الأولون والآخرون، والشفاعاة التي هي المقام المحمود، وغيرها من النعم التي لا تُدرَكها العقول، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بالآيمان البالغة بقوله: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ وبوقت ارتفاع الشمس وتجليّ النهار ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ وسكن ظلامه ولا يزيد ولا ينقص إلى طلوع الفجر، وقيل: يعني إذا سكن أهله^٢، وقيل: إذا أظلم^٣. وعن ابن عباس: إذا غطى الدنيا بالظلمة^٤.

قال الفخر الرازي: سورة ﴿وَاللَّيْلِ﴾ سورة أبي بكر، وسورة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ سورة محمد ﷺ، وإنما قدّم الله الليل على النهار في سورة أبي بكر، لأنّ أبا بكر سبقه كفر، وفي هذه السورة قدّم الضحى لأنّ الرسول ما سبقه كفر، والإشارة إلى أنّه [إذا] ذكرت الليل أولاً وهو أبو بكر، وجدت بعده النهار وهو محمد ﷺ، إن ذكرت أولاً الضحى وهو محمد، وجدت بعده الليل وهو أبو بكر^٥.

أقول: على تقدير تسليم كون سورة ﴿وَاللَّيْلِ﴾ سورة أبي بكر، يحتمل كون النكتة في تقديم الليل فيها على النهار الإشعار بظهور الظلمة الظلماء بعد وفاة الرسول ﷺ وبعد الظلمة ينجلي نور ولاية أوصيائه في آخر الزمان، والنكتة في تقديم الضحى في هذه السورة على الليل الإشارة إلى ظهور نور

١. كذا، والظاهر: وحشه. ٢. تفسير أبي السعود ٩: ١٦٩، تفسير روح البيان ١٠: ٤٥٣.

٣. تفسير الرازي ٣١: ٢٠٨.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٢٠٧.

محمد ودينه أولاً وظهور الطّحية العمياء بعد وفاة الرسول ﷺ.

وفي التكنية عن أبي بكر بالليل، وعن النبي ﷺ بالنهار والضحي، على اعترافه، إشارة إلى أن أبابكر باطنه ضد باطن الرسول، فإنه ظلمة محضة، كما أن الرسول نور محض، وكما أن الرسول أضاء الدنيا بنور علمه وهدايته، كذلك أظلم أبو بكر الدنيا بظلمة جهله وغوايته.

وقيل: إن نكتة تقديم الليل في سورة وتقديم الضحي في سورة الإشارة إلى أن لكل منهما شرف وفضيلة، وأن بهما ينتظم أمر العالم^١، فإن المراد بالضحي جميع النهار، وبالليل جميعه.

وروى بعض العامة عن الصادق عليه السلام: «أن المراد بالضحي هو الضحي الذي كلم الله فيه موسى وبالليل^٢ ليلة المعراج^٣».

وقيل: إن المراد بالضحي الضحي الذي ألقى فيه السحرة سجداً، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾^٤.

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى [٥-٣]

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ وما بالغ في تركك بالحطة عن درجة القرب والكرامة والوحي ﴿وَمَا قَلَى﴾ وما أبغضك^٥ بتركك وروى بعض العامة، بل نُسب إلى مفسريهم: أنه أبطأ [الوحي] عليه أربعين ليلة، فشكا ذلك إلى خديجة، فقالت: لعل ربك نسيتك أو قلاك^٦.

وروى بعضهم: أن مشركي قريش أرسلوا إلى يهود المدينة وسألوه عن أمر محمد ﷺ، فقالت لهم اليهود: سلوه عن أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، وعن الروح، فإن أخبركم عن قصة أهل الكهف، وقصة ذي القرنين، ولم يخبركم عن أمر الروح، فاعلموا أنه صادق. فجاء المشركون سألوه عنها، فقال: إرجعوا سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس الوحي عنه، فقال المشركون: إن محمداً ودَّعه ربّه وقلاه^٧، فنزلت السورة.

وروى بعضهم: أن جُروا دخل البيت، فدخل تحت السرير ومات، فمكث النبي ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحي، فقال لخادمتة: «يا خولة، ما حدث في بيتي، إن جبرئيل لا يأتيني» قالت خولة: فكشفت

١. تفسير الرازي ٣١: ٢٠٧.

٢. تفسير أبي السعود ٩: ١٦٩.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤٥٢، والآية من سورة طه: ٥٩/٢٠.

٤. زاد في النسخة: كي.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٤٥٤.

٦. تفسير الرازي ٣١: ٢٠٩.

٧. في النسخة: وبالليلة.

البيت، فأهويت بالمكثسة تحت السرير، فاذا جُرو ميت، فأخذته والقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ﷺ يرتعد، وكان إذا أنزل الوحي استقبلته الرعدة، فقال: «يا خولة، دثّرني، فأنزل الله هذه السورة، فلما نزل جبرئيل سأله النبي ﷺ عن سبب تأخيره، فقال: أما علمت أننا لاندخل بيتاً فيه كذب ولا صورة»^١.

وعن القمي، عن الباقر عليه السلام: «أن جبرئيل أبطأ على رسول الله ﷺ وكانت أول سورة نزلت ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^٢ ثم أبطأ عليه فقالت خديجة: لعل ربك قد ترك فلا يرسل إليك، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾^٣ فليس الأمر كما قالوه، بل الوحي يأتيك مدة عمرك، وتدوم محبتي لك في الدنيا والآخرة.

﴿وَلِلْآخِرَةِ﴾^٤ الباقية الصافية عن شوائب المضار والهموم والآلام، وما أعدته لك فيها من النعم والشرف والكرامات ﴿خَيْرٌ لَّكَ﴾^٥ وأفضل ﴿مِنَ الْأُولَى﴾^٦ والدنيا الفانية الزائلة. وعن الصادق قال: «يعني الكزة»^٧.

﴿وَوَالله﴾^٨ ﴿لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ وعن قريب يتم نعمه الجسمانية والروحانية والظاهرية والباطنية والدنيوية والأخروية عليك ﴿فَتَرْضَى﴾^٩ غاية الرضا بعبء ربك وإفضاله. قيل: لما قال سبحانه ﴿لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾^{١٠} كأنه قيل: ما جهة خيريتها؟ قال سبحانه: إن الله يعطيه في الآخرة كل ما يريده مما لا تتسع الدنيا له^{١١}.

عن ابن عباس، أنه قال: ألف قصر في الجنة من لؤلؤ أبيض، ثرابه المسك، وفيها ما يليق [بها]^{١٢}. عن الصادق عليه السلام: «يعطيك من الجنة ما ترضى»^{١٣}.

وعنه عليه السلام: «دخل رسول الله ﷺ على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من ثلثة^{١٤} الإبل وهي تطحن بيدها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله لما أبصرها، فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله علي ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾»^{١٥}.

وفي رواية: قالت: «يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر على آلائه، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ

٢. العلق: ١/٩٦.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٥٤.

٤. تفسير القمي ٢: ٤٧٧، تفسير الصافي ٥: ٣٤٠.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٢٨، تفسير الصافي ٥: ٣٤٠.

٦. تفسير الرازي ٣١: ٢١٢.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٢١٢.

٨. الثلثة: الصوف.

٧. تفسير القمي ٢: ٤٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣٤٠.

٩. مجمع البيان ١٠: ٧٦٥، تفسير الصافي ٥: ٣٤٠.

يُعْطِيكَ^١ الآية.

وروى بعض العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنْ هَذَا هُوَ الشَّفَاعَةُ فِي الْأَمَةِ»^٢ وَرَوَى أَيْضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^٣.

وَرَوَى أَنَّهُ عليه السلام لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ: «إِذَا لَا أَرْضِي وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ»^٤.

وَرَوَى بَعْضُ الْعَامَّةِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «رَضَا جَدِّي أَنْ لَا يَدْخُلَ فِي النَّارِ مَوْحَدٌ»^٥.

وَرَوَوْا عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام: «أَهْلُ الْقُرْآنِ يَقُولُونَ: أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ «يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ»^٦ وَإِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ نَقُولُ: أَرْجَى آيَةٍ قَوْلُهُ: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» وَاللَّهُ إِنَّمَا الشَّفَاعَةُ، لِيُعْطَاهَا فِي أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى يَقُولَ: رَضِيتُ»^٧.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، تَزْعُمُونَ أَنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ «يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» وَإِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ نَقُولُ: أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ...»^٨ الْآيَةُ، هِيَ وَاللَّهُ الشَّفَاعَةُ، لِيُعْطِيَهَا فِي أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى يَقُولَ: رَضِيتُ»^٩.

أَلَمْ يَحِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى [٦-٨]

ثُمَّ قَرَّرَ سَبْحَانَهُ حَبِّهَ إِيَّاهُ بِتَعْدَادِ نِعْمَةِ السَّابِقَةِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «أَلَمْ يَحِدْكَ» رَبُّكَ يَا مُحَمَّد، وَلَمْ يَعْلَمْكَ فِي بَدْوٍ وَلَا ذَاتِكَ مِنْ أُمِّكَ «يَتِيمًا» وَصَغِيرًا مُنْقَطِعًا عَنْ أَيْكٍ بِمَوْتِهِ «فَآوَى» وَكَفَلَكَ عَبْدَ الْمَطْلَبِ وَأَبَاطَالَ فِي الْأَثَرِ، إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ وَأُمُّ رَسُولِ اللَّهِ حَامِلٌ بِهِ، ثُمَّ وَلَدَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام فَكَانَ مَعَ جَدِّهِ عَبْدَ الْمَطْلَبِ وَأُمُّهُ أَمْنَةُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ مَاتَتْ أُمُّهُ فَكَانَ عِنْدَ جَدِّهِ سِتِّينَ، فَلَمَّا قَرِبتْ وَفَاتِهُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ أَوْصَى بِهِ أَبَا طَالِبٍ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ سِنِينَ، وَإِنَّمَا أَوْصَاهُ بِهِ لِأَنَّ أَبَا طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ كَانَا مِنْ أُمَّ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَكْفُلُ رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ جَدِّهِ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ فَقَامَ بِنَصْرَتِهِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ يَتِيمٌ، فَكَانَ هَذَا نِعْمَةً عَظِيمَةً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ^١.

رَوَى أَنَّهُ قَالَ أَبُو طَالِبٍ يَوْمًا لِأَخِيهِ الْعَبَا: أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَا رَأَيْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: بَلَى. فَقَالَ: إِنِّي ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَكُنْتُ لَا أَفَارِقُهُ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَلَا اتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا حَتَّى أَتَى كُنْتُ أَنْزِمُهُ فِي فِرَاشِي، فَأَمَرْتُهُ أَنْ يَخْلَعَ ثِيَابَهُ وَيَنَامَ مَعِي، فَرَأَيْتُ الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِهِ، لَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُخَالَفَنِي، فَقَالَ: «يَا عَمَّاهُ، اصْرِفْ وَجْهَكَ عَنِّي حَتَّى أَخْلَعَ ثِيَابِي، إِذْ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى جَسَدِي» فَتَعَجَّبْتُ مِنْ

١. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٤٢، تفسير الصافي ٥: ٣٤١.

٢. تفسير الرازي ٣١: ٢١٢.

٣. الزمر: ٥٣/٣٩.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٢١٢.

٥. تفسير الرازي ٣١: ٢١٤.

٦. مجمع البيان ١٠: ٧٦٥، جوامع الجامع ٥٤٤، تفسير الصافي ٥: ٣٤١.

قوله، وصرفت بصري حتى دخل الفراش، فلما دخلت معه الفراش إذا بيّني وبينه ثوب، والله ما أدخلته فراشي، فاذا هو في غاية اللين وطيب الرائحة، كأنه عُمس في المسك فجهدت لأنظر إلى جسده، فما كنت أرى شيئاً، وكثيراً ما كنت افتقده من فراشي، فاذا قمت لطلبه ناداني: «ها» أنا يا عمّ فأرجع، ولقد كنت كثيراً ما أسمع منه كلاماً يعجبني، وذلك عند مضي بعض الليل، وكنا لأنسمي على الطعام والشراب، ولانحمد بعده، وكان يقول في أول الطعام: بسم الله الأحد، فاذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله، فتعجبت منه، ثم لم أر منه كذبة ولاضحكاً ولاجاهلية، ولاوقف مع صبيان يلعبون^١.

سئل الصادق عليه السلام: لم أوتم النبي ﷺ عن أبيه؟ فقال: «لأن لا يكون لمخلوق عليه حق»^٢.

أقول: يعني الحق العظيم الذي يكون تالي حق الله.

وقيل: إن المراد باليتيم الفريد في الفضل والعزّ عديم النظير في قريش، أو في البشر، فأواك وجعل لك من تأوى إليه وهو أبوطالب.

وفي (الكشاف): ومن بدائع التفسير أنه من قوله: ذرة يتيمة، والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير، أي في العزّ والشرف، فأواك في دار أعدائك، فكنت بين القوم معصوماً محروساً^٣.

وعن العياشي عن الرضا عليه السلام: «يَتِيمًا» فرداً لا مثل لك في المخلوقين «فَأَوَى» الناس إليك^٤. وفي (العيون) عنه ما يقرب منه^٥.

«وَوَجَدَكَ» وراك «ضالاً» عن معالم النبوة وأحكام الشريعة، غافلاً عنها «فَهَدَى» إليها، كما عن ابن عباس^٦.

وقيل: يعني ضالاً عن النبوة، يعني ما كنت تطعمها فهذا الله إليها^٧.

وقيل: يعني وجدك خالياً عن العلم والمعارف في بدو خلقتك، فهذا بأن أعطاك العقل الكامل والمعرفة الكاملة^٨.

وقيل: يعني وجدك راغباً إلى فعال الجاهلية فهذا وحال بينك وبينها^٩.

رؤي عن علي عليه السلام أنه قال النبي ﷺ: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير

١. تفسير الرازي ٣١: ٢١٤. ٢. مجمع البيان ١٠: ٧٦٥، تفسير الصافي ٥: ٣٤٢.

٣. الكشاف ٤: ٧٦٧ «نحوه»، تفسير روح البيان ١٠: ٤٥٧.

٤. مجمع البيان ١٠: ٧٦٧، تفسير الصافي ٥: ٣٤١.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٩٩، تفسير الصافي ٥: ٣٤١.

٦. تفسير الرازي ٣١: ٢١٥ و٢١٦. ٧. تفسير الرازي ٣١: ٢١٥ و٢١٦.

٨. تفسير الرازي ٣١: ٢١٧.

مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمني الله برسالته^١.

أقول: المذهب الذي عليه أهل الحق أن النبي ﷺ معصوم من الهَمّ بالمعصية من أول عمره إلا أن يُحتمل السوء في الرواية على ترك الأولى.

وقيل: إن العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة، والمعني وجدك في تلك البلاد كشجرة في مفازة الجهل، لا يحمل ثمرة الايمان إلا أنت، فهديت بك الخلق^٢.

وقيل: يعني وجدك ضالاً ومنفرداً عن الضالين مجاناً لدينهم، فهديت إلى معاشرتهم، ودعوتهم إلى الدين المبين^٣.

وقيل: وجدك ضالاً عن مرضعتك حليلة حين أرادت أن تُرَدَّكَ إلى جدك، فدخلت على هبل فشكت إليه فتساقطت الأصنام، وسمعت صوتاً يقول: إنما هلاكنا بيد هذا الصبي^٤.

وروي أنه عليه السلام قال: «ضللت عن جدِّي عبد المطلب وأنا صبي ضائع، كاد الجوع يقتلني، فتعلق باستار الكعبة وهو يقول:

يا ربِّ، رُدَّ ولدي محمداً
[أردده ربي واصطنع عندي يداً]

فما زال يُرَدِّد هذا عند البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمَّد بين يديه، وهو يقول: لاتدري ماذا ترى من ابنك؟ فقال عبد المطلب: ولم؟ قال: إني أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت الناقة أن تقوم، فلما أركبته أمامي قامت الناقة»^٥.

وعن ابن عباس أنه قال: رده الله إلى جدّه بيد عدوّه كما فعل بموسى حين حَفَظَه على يد عدوّه^٦. وقيل: إنّه ﷺ خرج مع غلام خديجة، فأخذ كافر بزمام بعيه حتى ضلّ، فأنزل الله تعالى جَبْرَيْل

في صورة آدمي فهداه إلى القافلة^٧.

وقيل: إنَّ أباطال خرج به إلى الشام، فضلَّ عن الطريق، فهداه الله إليه^٨.

وقيل: يعني وجدك ضالاً ومغموراً في الكفار، فقواك الله حتى أظهرت دينك^٩.

وعن الرضا عليه السلام: «ووجدك ضالاً في قوم لا يعرفون فضل نبوتك فهداهم الله بك»^{١٠}.

وفي رواية عنه عليه السلام: «وَوَجَدَكَ ضَالاً» يعني عند قومك «فَهَدَيْتُ» أي هداهم إلى معرفتك^{١١}.

١. تفسير الرازي ٣١: ٢١٧. ٢ و ٣. تفسير الرازي ٣١: ٢١٦.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٢١٦.

٥. تفسير الصافي ٢: ٤٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣٤١، ولم ينسبها إلى الإمام الرضا عليه السلام.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١/١٠٠، تفسير الصافي ٥: ٣٤١.

﴿وَوَجَدَكَ﴾ وراك ﴿عَائِلًا﴾ وفقيراً وعديماً لاملال لك ﴿فَأَغْنَى﴾ بك بترية أبي طالب، ثم بمال خديجة، ثم باعانة الأنصار، ثم بالغنائم.

رُوي أَنَّهُ ﷺ دخل على خديجة وهو مضموم، فقالت له: مالك؟ فقال: «الزمان زمان قَحَط، فان أنا بذلت المال يَتَقَدَّ مالك فأستحي منك، وإن لم أَبْذُل أخاف الله تعالى» فدعت خديجة قريشاً وفيهم أبوبكر، قال أبوبكر: فأخرجت خديجة دنائير وصَبَّتْها حَتَّى بلغت مبلغاً لم يقع بصري على من كان جالساً قُدَّامي لكثرة المال، ثم قالت: اشهدوا أَن هذا المال مال محمد، إن شاء فَرَّقْه، وإن شاء أَمْسَكْه.^١ وقيل: يعني أغني قلبه بالقناعة، كما قال ﷺ: «الغني غنى النفس»^٢. وعن الرضا عليه السلام: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ يقول بأن جعل دعاءك مستجاباً^٣.

وعن القمي: يعني فأغناك بالوحي، فلا تسأل عن شيءٍ أحدًا^٤.
وعن الرضا عليه السلام: «وجدك عائلاً تعول أقواماً بالعلم، فأغناهم الله بك»^٥.

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

فَحَدَّثْ [٩-١١]

ثم لما مَنَّ سبحانه على رسوله بإيوانه ورعاية حاله في اليتيم، أمره بشكر تلك النعمة بقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ولا تُضْجِرْه بكلام تكسير قلبه، وعامل معه كما عاملت معك.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ سواء سأل المال أو العلم أو غيرهما ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ ولا تستقبله بكلام يُضْجِرْه. وعن القمي عليه السلام قال: فلا تطرده^٦، قيل: المخاطبة للنبي ﷺ والمعنى للناس^٧.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ من الغنى والنبوة والهداية أو الكتاب ﴿فَحَدَّثْ﴾ وأظهرها بين الناس. عن الصادق عليه السلام: «معناه فحدث بما أعطاك الله وفضلك ورزقك وأحسن إليك وهداك»^٨.

وعن الحسين بن علي عليه السلام: «أمره أن يُحَدِّث بما أنعم الله عليه من دينه»^٩.

وقيل: يعني إذا وفَّقك الله لرعاية حقِّ اليتيم والسائل، فحدث بذلك التوفيق الذي هو نعمة الله عليك ليقتدي الناس بك^{١٠}.

١. تفسير الرازي ٣١: ٢١٨.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٧٢٠، تفسير الصافي ٥: ٣٤٢.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣٤٢.

٤. في المصدر وتفسير الصافي: أي لا تنظلم.

٥. مجمع البيان ١٠: ٧٦٨، تفسير الصافي ٥: ٣٤٢.

٦. المحاسن: ١١٥/٢١٨، تفسير الصافي ٥: ٣٤٢.

٧. تفسير الرازي ٣١: ٢٢٠.

٨. مجمع البيان ١٠: ٧٦٧، تفسير الصافي ٥: ٣٤٢.

٩. تفسير القمي ٢: ٤٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣٤٢.

١٠. المحاسن: ١١٥/٢١٨، تفسير الصافي ٥: ٣٤٢.

روى بعض العامة عن الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: «إِذَا عَمِلْتَ خَيْرًا فَحَدِّثْ إِخْوَانَكَ لِيَقْتَدُوا بِكَ»^١.

وروا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سُئِلَ عن الصحابة، فأثنى عليهم وذكر خصاله، فقالوا له: فحدّثنا عن نفسك. فقال: «مَهْلًا، فَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ التَّزَكِّيَةِ» فقل له: أليس الله تعالى يقول: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»؟ فقال: «فَإِنِّي أَحَدُتُ: كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ، وَإِذَا سَكْتُ ابْتَدَنْتُ، وَبَيْنَ الْجَوَانِحِ عِلْمٌ جَمٌّ فَاسْأَلُونِي»^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ سَمِيَّ حَبِيبِ اللَّهِ مُحَدِّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ فَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِ سَمِيَّ بَغِيضِ اللَّهِ مُكَذِّبًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ»^٣.

قيل: إِنَّمَا قَدَّمَ اللَّهُ حَقَّ الْيَتِيمِ وَالْفَقِيرِ عَلَى حَقِّ نَفْسِهِ لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ غَنِيٌّ، وَالْيَتِيمِ وَالْفَقِيرِ مُحْتَاجَانِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَتَقْدِيمُ الْمُحْتَاجِ أَوْلَى، وَإِنَّمَا قَالَ: «فَحَدِّثْ» وَلَمْ يَقُلْ: فَأُخْبِرْ، لِدَلَالَةِ الْحَدِيثِ عَلَى الإِعَادَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى لثَلَاثِينَ سَنَةً^٤.

قد مرَّ ثواب تلاوة السورة المباركة، والحمد لله على التوفيق لتفسيرها.

١. تفسير الرازي ٣١: ٢٢٠.

٢. تفسير الرازي ٣١: ٢٢٠.

٣. الكافي ٦: ٢٤٣٨، تفسير الصافي ٥: ٣٤٢.

٤. تفسير الرازي ٣١: ٢٢٠.

في تفسير سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ [١]

ثُمَّ لَمَّا خُتِمَتْ سُورَةُ ﴿وَالضُّحَى﴾ المتضمنة لبيان مَنَّةِ تعالى على الرسول ﷺ، نُظِمَتْ سُورَةُ الانشراح المتضمنة أيضاً لبيان بعض مَنَّةِ الأخرى، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثُمَّ شَرَعَ سُبْحَانَهُ فِي تَعْدِيدِ بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ولم نوسِّع ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدْرَكَ﴾ ولم نَفْسَحْ قَلْبَكَ للعلم والحكمة وتلقَى الوحي؟ بلى وسَعْنَاهُ بِحَيْثُ صَارَ خَزَانَةً عِلْمِي، وَمَحِيطاً بِعَوَالِمِ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ، وَمَطْلَعاً عَلَى أَسْرَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. رُوِيَ أَنَّ جَبْرِئِيلَ أَتَاهُ وَشَقَّ صَدْرَهُ، وَأَخْرَجَ قَلْبَهُ وَغَسَلَهُ وَأَنْقَاهُ، ثُمَّ مَلَأَهُ عِلْماً وَإِيمَاناً وَوَضَعَهُ فِي صَدْرِهِ^١.

أَقُولُ: لَعَلَّ غَسْلَ قَلْبِهِ وَإِنْقَاءَهُ كَنَايَةً عَنْ تَقْوِيَّتِهِ لِتَحْمُلِ مَا فَوْقَ طَاقَةِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ وَالْمَعَارِفِ، وَتَطْهِيرِهِ عَنِ الْمِيلِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَالتَّوَجُّعِ إِلَى الرَّاحَةِ وَاللَّذَائِذِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَقَبُولِ الْأَهْوَاءِ الرَّائِعَةِ الْفَنَاسِيَّةِ. وَقَدْ أَشَارَ سُبْحَانَهُ إِلَى مَرْتَبَةِ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾^٢.

وَقَدْ سَبَقَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَأَنَّهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَيْنَشْرَحُ الصَّدْرَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ لَذَلِكَ عَلَامَةٌ يُعْرَفُ بِهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالْإِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ»^٣.

أَقُولُ: فَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ مُتَوَجِّهاً إِلَى اللَّهِ مُعْرِضاً عَنْ غَيْرِهِ لِعِلْمِهِ بِحَقَارَةِ الْمُمَكِّنَاتِ وَعَظَمَةِ خَالِقِهَا، صَارَ مَنَزَهاً عَنْ كُلِّ دَنْسٍ مُطَهَّراً عَنْ كُلِّ رَجَسٍ، مُنَوَّراً بِأَنْوَارِ الْمَعَارِفِ، وَمَمْلُوءاً بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ٣.

٢. الأنعام: ١٢٥/٦.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٢.

وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ [٢-٤]

ثُمَّ مَنْ سَبَّحَانَهُ عَلَيْهِ بِتَخْفِيفِ أَعْيَاءِ الرِّسَالَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَوَضَعْنَا﴾ وَحَطَّطْنَا ﴿عَنْكَ وَزْرَكَ﴾ وَثَقَّلَكَ ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ قِيلَ: إِنَّ الْجَمَلَ إِذَا كَانَ فِي غَايَةِ الثَّقَلِ سُمِعَ لِلظَّهْرِ صَوْتُ خَفِيٍّ يُقَالُ لَهُ النَّقِيزُ^١. فَوَصَفَ الثَّقَلَ بِكَوْنِهِ مُنْقَضاً، كَنَايَةً عَنْ كَوْنِهِ فِي غَايَةِ الثَّقَلِ، وَلَيْسَ هُوَ إِلَّا يَثْقُلُ أَعْيَاءَ الرِّسَالَةِ، وَقَدْ خَفَّفَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِتَقْوِيَةِ قَلْبِهِ، وَإِمْدَادِ بَعْلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُسَوِّمِينَ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمَرَادَ بِالْوِزْرِ وَذُنُوبِ أُمَّتِهِ، وَالْمَرَادُ بِوَضْعِهَا وَعَدَهُ بِقَبُولِ شَفَاعَتِهِ فِيهِمْ حَتَّى يَرْضَى^٢. قِيلَ: إِنَّ عَطْفَ ﴿وَوَضَعْنَا﴾ عَلَى مَعْنَى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ وَالْمَعْنَى: إِنَّا شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، وَإِنَّا وَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ^٣. ﴿وَوَ﴾ إِنَّا ﴿رَفَعْنَا﴾ وَعَلَوْنَا ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بِحَيْثُ تُذَكَّرُ إِذَا ذُكِّرْتَ، كَمَا عَنْ الْقَمِيِّ^٤. وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ: لِي جِبْرِئِيلُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا ذُكِّرْتَ ذُكِّرْتُ مَعِيَ»^٥.

وَقِيلَ: إِنَّهُ تَعَالَى رَفَعَ ذِكْرَهُ^٦ بِالنَّبُوَّةِ، وَشَهَرَ اسْمَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، وَكَتَبَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَفِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ الْمَتَّقِمَةِ، وَقَرَنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ حَيْثُ قَالَ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^٧ وَقَالَ: ﴿وَأَلَّا وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^٨ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ^٩.

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [٥-٦]

ثُمَّ لَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُعِيزُونَهُ بِالْفَقْرِ حَتَّى وَقَعَ فِي قَلْبِهِ أَنَّ فَقْرَهُ مَانِعٌ عَنْ إِسْلَامِ الْمُتَكَبِّرِينَ، سَلَبَهُ سَبَّحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ وَالضِّيْقِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ﴿يُسْرًا﴾ وَسَعَةً كَامِلَةً فِي الدُّنْيَا، فَلَا تَحْزَنُ بِالْفَقْرِ الَّذِي يَطْعَنُكَ بِهِ الْكُفْرَ، كَذَا قِيلَ^{١٠}.

ثُمَّ بَالِغُ سَبَّحَانِهِ فِي تَسْلِيَتِهِ بِتَكَرُّارِ الْقَضِيَّةِ تَأْكِيداً بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قَالَ الْفَزَاءُ وَالزَّجَّاجُ: إِنَّ الْعُسْرَ الْمَعْرُوفَ بِالْمُنْصَرَفِ إِلَى الْجِنْسِ لَعَدَمِ الْعَهْدِ وَهُوَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ، وَأَمَّا كَلِمَةُ ﴿يُسْرًا﴾ لَمَّا كَانَ مُنْكَرًا قَابِلَةً لِإِرَادَةِ نَوْعَيْنِ مِنْهُ، كَمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ»^{١١}.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ، خَلَقْتَ عُسْرًا وَاحِدًا بَيْنَ يُسْرَيْنِ، فَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ^{١٢}. قِيلَ: إِنَّ تَنْكِيرَ الْيُسْرِ دَالٌّ عَلَى عَظَمَتِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: [إِنَّ] مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا عَظِيمًا^{١٣}، وَالْمَرَادُ بِالْمَعْيَةِ مَعَ كَوْنِهِمَا ضَدَّيْنِ التَّعَاقُبِ بَغِيرِ فَضْلٍ، أَوْ مَعَ الْفَصْلِ بِزَمَانٍ قَلِيلٍ.

٣. تفسير أبي السعود ٩: ١٧٢.

١٠. تفسير الرازي ٣٢: ٤.

٥. مجمع البيان ١٠: ٧٧١، تفسير الصافي ٥: ٣٤٣.

٤. تفسير القمي ٢: ٤٢٨، تفسير الصافي ٥: ٣٤٣.

٨. التوبة ٦٢/٩.

٦. في النسخة: ذكروا. ٧. النساء ٥٩/٤.

٩. تفسير الرازي ٣٢: ٥.

١٠- ١٣. تفسير الرازي ٣٢: ٦.

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ [٧ و ٨]

ثم إنَّه تعالى بعد تعديد نعمه الجليلة أمره بالشكر والاجتهاد في العبادة بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من تبليغ الرسالة، أو من تنظيم ما هو من ضروريات معاشك، أو من المهام الدنيوية، أو من الجهاد ﴿فَانصَبْ﴾ وأتعب نفسك في العبادة.

وقال جمعٌ من المفسرين: يعني إذا فرغت من الصلاة المكتوبة، فانصَب نفسك في الدعاء^١ ﴿وَإِلَىٰ﴾ مسألة ﴿رَبِّكَ﴾ وحده ﴿فَارْغَبْ﴾ وبقلمك إليه فتوجّه.

عن الباقر والصادق عليهما السلام: «فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة، فأنصَب إلى ربِّك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة يُعطِكَ»^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «هو الدعاء في دُبر الصلاة وأنت جالس»^٣.

وقيل: يعني إذا فرغت من عبادة عقبها بأخرى وأوصل بعضها ببعض، ولا تخلُ وقتاً من أوقاتك فارغاً لم تشغله بعبادة^٤.

وعن الباقر عليه السلام، قال: «فإذا فرغت من نبوتك، فانصَب علياً عليه السلام، وإلى ربِّك فارغب في ذلك»^٥.
وعنه عليه السلام في حديث قال: «يقول الله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ عَلَّمَكَ وأعلن وصيَّكَ، وأعلمهم فضله علانية، فقال: من كنت مولاه... قال: «وذلك حين أعلم بموته نُعيت إليه نفسه»^٦.

أقول: يُحتمل أن تكون هذه الأخبار بيان مصداق العبادة التي وجب إيتاب النفس فيها بعد الفراغ من العبادة، والمراد إذا فرغت من تبليغ الرسالة فأتعب نفسك فيما هو الأهم بعده، وهو تعيين الخليفة، فظهر أنَّ صحَّة مضمون الأخبار ليست موقوفةً على قرابة، فانصب بكسر الصاد من النَّصَب بالسكون فنسبة الزمخشري المتعصب قراءة (فانصب) بالكسر وتفسيره بالأمر بنصب علي عليه السلام للإمامة إلى بدع الشيعة من الأغلاط.

ثم أعلم أنَّ قوله -: بأنه لو صحَّ هذا للرافضي لصحَّ للناصبي أن يقرأ هكذا، ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بُغض عليّ وعداوته^٧ - ممَّا تضحك به الثكلى؛ لأنَّ جواز بغض علي عليه السلام مخالفٌ لضرورة الاسلام والأخبار المتواترة الدالة على وجوب حبِّه وولايته، نعوذ بالله من خُبث الطينة، وعمى القلب، وشؤم السريرة، والضلال عن الحق.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٧، تفسير أبي السعود ٩: ١٧٣، تفسير البضاوي ٢: ٦٠٧.

٢. مجمع البيان ١٠: ٧٧٢، تفسير الصافي ٥: ٣٤٤. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ٧.

٤. تفسير القمي ٢: ٤٢٩، وتفسير الصافي ٥: ٣٤٤، عن الصادق عليه السلام.

٥. الكافي ١: ٣/٢٣٣، وتفسير الصافي ٥: ٣٤٤، عن الصادق عليه السلام.
٦. الكشاف ٤: ٧٧٢.

٥٢٢ نفحات الرحمن في تفسير القرآن ج ٦

عن الصادق عليه السلام: «ولا يجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا الضحى وألم نشرح، وألم تر كيف ولا يلاف قريش»^١.

وقد سبق ثواب قراءتها في سورة (والشمس) وفي رواية: «من قرأها فكأنما جاءني وأنا مُفْتَنٌ ففَرَجَ عَنِّي»^٢.

قد تمّ تفسير السورة المباركة.

١. مجمع البيان ١٠: ٨٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣٤٥.
٢. تفسير أبي السعود ٩: ١٧٣.

في تفسير سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ [١]

ثم لما خُتِمَت السورتان المتضمتان لمنن الله على أشرف الخلق وأفضل البشر، نُظِمَت سورة التين، المتضمنة لبيان مَنته على عموم البشر بتحسين خلقهم، وعلى مؤمنهم بالأجر العظيم، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بالقسم بخير الفواكه وأحمدتها بقوله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ المشهورين، كما عن ابن عباس أنه قال: هو تينكم وزيتونكم هذا^١، أما القسم بالتين فلفضله وخواصه، حيث إنه غذاء وفاكهة ودواء. قيل: إن الأطباء قائلون بأنه طعام لطيف سريع الهضم، يلين الطبع، ويسمن البدن، ويقلل البلغم، ويظهر الكليتين، ويزيل الرمل المتكون في المثانة ويفتح مسام الكبد والطحال^٢.

وروي: أنه أهدى لرسول الله ﷺ طبق من تين، [فاكل منه] ثم قال للصحابه: «كلوا. فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس»^٣.

وعن الرضا عليه السلام بطريق عامي: «التين يزيد نكهة الفم، ويطول الشعر، وهو أمان من الفالج»^٤. وأما الزيتون فهي ثمرة الشجرة المباركة المذكورة في القرآن، هو أيضاً غذاء ودواء وفاكهة، ودُهْنه كثير المنافع مع حصوله في بقاع لأدمن فيها كالجبال، قيل: تُعَمَّر شجرته ثلاثة آلاف سنة، وتصير عن الماء مدة طويلة، ورماد ورقها ينفع العين كحلاً ويقوم مقام التوتياء^٥.

وفي الحديث العامي: «عليكم بالزيت، فإنه يكشف المرّة، ويذهب البلغم، ويشد العصب، ويمنع

١. تفسير الرازي ٣٢: ٨. ٢. تفسير الرازي ٣٢: ٨.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ٨، واليقرس: مرض مؤلم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر، ويسمى داء الملوك.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ٨. ٥. تفسير روح البيان ١٠: ٤٦٦، والتوتياء: حجرٌ يُكْتَنَلُ بمسحوقه.

الغشي، ويُحسن الخلق، ويطيّب النفس، ويذهب الهم^١.

وعن ابن عباس: أن التين والزيتون جبلان من الأرض المقدّسه يقال لهما بالسريانية: طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا للتين والزيتون، وشرفا لأن الأول محلّ عيسى بن مريم، والثاني هو الشام، وهو مبعث أكثر الأنبياء من بني إسرائيل^٢.

وقيل: إن التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس^٣.

وقيل: إن الأول مسجد أصحاب الكهف، والثاني مسجد إيليا^٤.

وعن ابن عباس: التين مسجد نوح النبي على الجودي، والزيتون مسجد بيت المقدس^٥، وإنما سُميت تلك المساجد بهذين الاسمين لكثرة الشجرين في مكانها^٦.

وقيل: إن التين اسم دمشق^٧. وقيل: اسم الكوفة، والزيتون اسم بيت المقدس^٨. وقيل: اسم الشام^٩. قيل: إنما أقسم سبحانه بهذين البلدين لكثرة نعم الدنيا فيهما^{١٠}.

وَطُورِ سَيْنِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ [٢ و ٣]

ثم أقسم سبحانه بالطور، وهو جبل كلّم الله موسى عليه بقوله: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ قيل: إن ﴿سَيْنِينَ﴾ و ﴿سَيْنَاءَ﴾ اسمان للوادي الذي فيه ذلك الجبل^{١١}.

وعن ابن عباس: أن ﴿سَيْنِينَ﴾ بمعنى الحسن بلغة الحبشة^{١٢}. وقيل: بمعنى المبارك^{١٣}. وقيل: بمعنى ذي شجر، والمراد القسم بجبل واقع بأرض حسنة ومباركة^{١٤}.

ثم إنه تعالى بعد القسم بالأماكن التي يُعظمها اليهود والنصارى أقسم بالمكان الذي يُعظمه المشركون والمسلمون بقوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وتلك القرية الآمنة من الغوائل، وهي بالاتفاق مكة المعظمة، وإنما أقسم سبحانه بهذين المكانين لغاية شرفهما، بكون الأول مبعث موسى، والثاني مبعث خاتم الأنبياء، ولكثرة النعم الدينية فيهما.

عن الكاظم عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى اختار من البلدان أربعة، فقال: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سَيْنِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ فالتين المدينة، والزيتون بيت المقدس،

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٦٧.

٢ و ٣. تفسير الرازي ٣٢: ٩.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ٩.

٤ و ٥. تفسير الرازي ٣٢: ٩، تفسير أبي السعود ٩: ١٧٤.

٨ و ٩. تفسير الرازي ٣٢: ١٠.

٧. تفسير الرازي ٣٢: ١٠، تفسير أبي السعود ٩: ١٧٤.

١٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٠.

١١. تفسير الرازي ٣٢: ١٠، تفسير روح البيان ١٠: ٤٦٧.

١٣ و ١٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٠.

وطور سنين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة^١.

وعنه عليه السلام في تأويل الكلمات قال: «التين والزيتون الحسن والحسين عليهما السلام، وطور سنين أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا البلد الأمين محمد»^٢.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ [٤ و ٥]

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه بقوله: «لَقَدْ خَلَقْنَا» وأوجدنا «الْإِنْسَانَ» كائناً «فِي أَحْسَنِ» ما يكون من «تَقْوِيمٍ» وتعديل صورة^٣ ومعنى، حيث سواه مستوي القامة، متناسب الأعضاء، حسن الشكل، مدبراً في الأمور، متصرفاً في الموجودات، جامعاً لأنموذج ما في عالم الوجود، قابلاً للكمالات الظاهرية والباطنية «ثُمَّ» بعد استجماعه لجميع ما يتوقف عليه صعوده إلى أعلى عليين «رَدَدْنَاهُ» بالخذلان وسوء الأخلاق والأعمال من أحسن تقويم وجعلناه «أَسْفَلَ سَافِلِينَ» وأقبح^٤ المخلوقين وأنزل الموجودين، وصيرناه إلى النار.

رؤي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «وضع أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، فيبدأ بالأسفل فيملا وهو أسفل سافلين»^٥.

وعن ابن عباس: يريد أرذل العمر^٦، والمعنى ثم جعلناه أضعف الضعفاء، وهم الزمنى الذين لا يستطيعون حيلة ولا يجدون سبيلاً.

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ [٦ و ٧]

ثم أعلم أنه على التفسير الأول يصح الاستثناء المتصل بقوله: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ» في الآخرة «أَجْرٌ» وثواب «غَيْرُ مَمْنُونٍ» ومنقطع ولا منقوص، أو المراد ثواب لائمة فيه. وعلى التفسير الثاني يكون الاستثناء منقطعاً، والمعنى: ولكن الضعفاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر دائم على إيمانهم وأعمالهم وصبرهم على الابتلاء بالضعف والهزم على مقاساة المشاق وتحمل كلفة العبادة.

وعن الكاظم عليه السلام في تأويل الآيات قال: «الإنسان: الأول «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ» بيبغضه أمير

١. الخصال: ٥٨/٢٢٥، معاني الأخبار: ١/٣٦٤، تفسير الصافي: ٥/٣٤٦.

٢. مناقب ابن شهر آشوب: ٣/٣٩٤، تفسير الصافي: ٥/٣٤٦.

٣. في النسخة: صورتنا.

٤. في النسخة: فأنزل.

٥. في النسخة: وافتح.

٦ و ٧. تفسير الرازي: ٣٢/١١.

المؤمنين ﷺ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الى آخره، قال: علي بن أبي طالب ﷺ^١.
 ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الانسان، وأي شيء يُلجئك ويحملك ﴿بَعْدُ﴾ ووراء الآيات البينات
 والمعجزات الباهرات على التكذيب ﴿بِالَّذِينَ﴾ ودار الجزاء؟ أو المراد: فما يجعلك أيها الانسان
 كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل؟ وهو خلق الانسان من نُطفة من ماء مهين في أحسن تقويم، فإن
 القادر على ذلك قادرٌ على البعث والجزاء، أو المراد: فأني، يُكَذِّبُكَ يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل بالدين.

أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ [٨]

ثم إنه تعالى بعد إثبات قدرته ببيان خلقه الانسان في احسن الصور وردّه إلى أقبحها، أو إلى أرذل
 العمر، أنكر على من أنكر حكمته بإنكار البعث للجزاء بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ الذي فعل ما فعل
 ﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ وأتقن من جميع المتقنين للأمور صنْعاً وتديباً؟ فإذا قالوا: بلى، لعدم إمكان
 إنكاره، كان عليهم الاقرار بالإعادة والجزاء؛ لأن إنكارهما لا يمكن إلا لقولهم بعجزه عن الإعادة، أو
 لقولهم بكونه عابثاً، وكلاهما منافٍ للاقرار بكونه تامّ القدرة^٢ والحكمة.

وقيل: إن المعنى: أليس الله بأقضى القاضين؟ فهو يحكم ويقضي بينك وبين من يُكَذِّبُكَ في
 الرسالة والإخبار بالبعث، فهو وعيدٌ للمكذّبين^٣.

رُوي عن أن النبي ﷺ كان إذا قرأها يقول: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»^٤.

رُوي أنه ﷺ كان يأمر أصحابه أن يقولوا إذا قرأوها ذلك^٥.

ورُوي عن أمير المؤمنين وعن الرضا ﷺ أنهما لما قرأها قالا: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»^٦.

رُوي عن بعض العامة: أن من قرأ هذه السورة أعطاه الله خصلتين: العافية، واليقين، مادام في الدنيا
 [فإذا مات أعطاه الله] من الأجر^٧ بعدد من قرأها^٨.

وعن الصادق ﷺ: «من قرأ (والتين) في فرائضه ونوافله، أعطى من الجنة حيث يرضى»^٩.

الحمد لله على التوفيق لتفسيرها.

١. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٩٤، تفسير الصافي ٥: ٣٤٧.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٠.

٣. مجمع البيان ١٠: ٧٧٧، تفسير أبي السعود ٩: ١٧٦، تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٠.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٠.

٥. الخصال: ٦٢٩، عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٥/١٨٣، تفسير الصافي ٥: ٣٤٧.

٦. في النسخة: ويعطى من الأجرة. ٨ تفسير البيضاوي ٢: ٦٠٨، تفسير أبي السعود ٩: ١٧٦.

٩. ثواب الأعمال: ١٢٣، مجمع البيان ١٠: ٧٧٤، تفسير الصافي ٥: ٣٤٧.

في تفسير سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ [١ و ٢]

ثم لما خُتِمت السورة المباركة المتضمنة لبيان نعم الله على الانسان بخلقه في أحسن تقويم وأنه مع ذلك يُرَدُّ إلى أسفل سافلين، نُظِمت سورة العلق المتضمنة لبيان خلقه من أحسن الأشياء، وترقيته إلى أعلى الدرجات من العلم بالكتاب وتعليمه العلوم، وطغيانه مع ذلك على الله العظيم، فافتتحها بذكر الاسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ولما ذكر سبحانه في السورتين السابقتين مَنته على رسوله، ابتدأ السورة بذكر أعلى مَنته عليه، وهو رسالته وإنزال الوحي إليه بقوله: ﴿اقْرَأْ﴾ يا محمد، ما يُوحى إليك من كتاب ربك، رُوي أَنَّهُ ﷺ قال: «كيف اقرأ، وما أنا بقارئ؟» فكانه تعالى قال: اقرأ القرآن مفتحاً أو مستعيناً^١ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وإنما وصف سبحانه ذاته المقدسة بالربوبية وأضافها إليه ليزول الفَرَق عنه؛ لأنه أول ما أنزل إليه. عن الباقر عليه السلام قال: «إنها أول سورة نزلت»^٢.

وليرغبه في طاعته، فكانه تعالى قال: هو الذي ربك حين كنت علقاً، فكيف يُضَيِّعُكَ بعد ما صرت أشرف الموجودات.

ثم قيل: لما كانت العرب يُطلقون الربَّ على الصنم، ويُسمون الأصنام أرباباً^٣، وصف ذاته المقدسة بما يُخرِجه عن توهم الشراكة، وبما لا يمكنهم إنكاره وإثباته للأصنام بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ كل شيء بقدرته، لا عترافهم بأنَّ الخلق مختص بالله وحده. وعن الباقر عليه السلام: «الذي خلق نورك القديم قبل الأشياء»^٤.

ثم خصَّ سبحانه الانسان بالذكر لاستقلاله ببديع الصنع والتدبير، أو بين ما أبهم في قوله: ﴿الَّذِي

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٣.

٢. تفسير القمي ٢: ٤٢٨، تفسير الصافي ٥: ٣٤٨.

٤. تفسير القمي ٢: ٤٣٠، تفسير الصافي ٥: ٣٤٨.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٢.

خَلَقَ ﴿بِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ الذي هو أعجب المخلوقات وأشرفها ﴿مِنْ عَلَيَّ﴾ وقطعات دم متكوّنة من نُطْفٍ قَدْرَةٍ، وإنّما قال: ﴿عَلَيَّ﴾ بصيغة الجمع باعتبار معنى الانسان وكثرته، أو لمراعاة الفواصل، فنَبّه سبحانه على أنّ من خلق الانسان الحي القادر القابل للكمالات العلمية والعملية من مادة خسيسة بعيدة من الحياة، قادرٌ على أن يُعلّمك القراءة وأنّت حيّ متكلّمٌ قابل للعلوم.

أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْزَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى [٧-٣]

ثمّ أكّد سبحانه وجوب القراءة بقوله ثانياً: ﴿أَفْرَأُ﴾ وقيل: إنّ الأول أمر بقراءته لنفسه، والثاني أمر بقراءته للتبليغ والتعليم^١.

ثمّ استأنف سبحانه ذكر أوصافه ومنته بقوله: ﴿وَرَبُّكَ﴾ هو ﴿الْأَكْزَمُ﴾ المبالغ في الإحسان والجود حيث إنّهُ يُحسِن بعبده بعد العصيان والتقصير كما يُحسِن قبله، وإنّ كلّ كريمٍ ينال بكرمه خيراً لنفسه، وربّك لا يكون كرمه إلّا لمحض حسنه. وقيل: يعني أنت كريمٌ، وربّك أكرم منك^٢، ومن كرمه أنّه ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الانسان الكتابة ﴿بِالْقَلَمِ﴾ وفيه تنبيهٌ على فضيلة الكتابة والخطّ.

رُوي عن سليمان عليه السلام أنّه سأل عفريتاً عن الكلام فقال: ريح لا يبقى. قال: فما قيده؟ قال: الكتابة^٣. قيل: إنّ القلم لا ينطق، ومع ذلك يُسمِع الشرق والغرب^٤ ولولا الخطّ ما استقامت أمور الدين والدنيا^٥.

وقيل: إنّ المراد علّم الانسان بسبب الكتابة وقراءة الكتب، فالقلم كنايةٌ عن الكتابة^٦. ثمّ بيّنه بقوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ بسبب مطالعة الكتب ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وأمّا على التفسير الأول يكون تعليمه علوماً كثيرةً نعمة فوق نعمة تعليم الخطّ، فذكر سبحانه في السورة مبدأ الانسان ومنتهاه، وامتنّ عليه بنقله من أدنى المراتب وهي المرتبة العلقية الخسيسة النجسة إلى أعلاها، وهي مرتبة العلم، وهو أشرف الكمالات الانسانية، ومن الواضح أنّ ذلك لا يكون إلّا بقدره قادر حكيم، فيدُلّ على ربوبيته وأكرميته واستحقاقه للطاعة والعبودية.

﴿كَلَّا﴾ لا يعلم الانسان أنّ الله هو الذي خلقه من العَلَقَةِ وعَلّمه بعد جهله، ثمّ بيّن سبحانه علّة غفلته بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى﴾ ويتكبّر ويصير مستغرق القلب في حبّ الدنيا لأجل ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ وعِلْم

٣. ٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٧.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ١٧.

١. ٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٦.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٣.

شخصه أنه ﴿أَسْتَغْنَى﴾ وصار ذا مالٍ وجاهٍ وقدرةً فلا يتفكر في أطوار خلقته وترقيته من أحسن الأحوال إلى أعلاها، وأنه من أول وجوده تحت قدرة قادرٍ قاهرٍ حكيمٍ. وقيل: إن كلمه ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لمن كفر بنعمة الله بطغيانه^١.

زوي أن أباجهل قال لرسول الله ﷺ: أتزعم أن من استغنى طغى، فاجعل لنا جبال مكة فضةً وذهباً، لعلنا نأخذ منها فنتغى، فندع ديننا ونشبع دينك. فنزل جبرئيل فقال: إن شئت فعلنا ذلك، ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة، فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء إبقاءً عليهم ورحمةً لهم^٢.

إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى [٨- ١٠]

ثم هدد سبحانه الانسان الطاغى عليه بقوله: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ﴾ ومالك أمرك وحده أيها الانسان ﴿الرُّجْعَى﴾ والمصير بالموت، أو بالبعث، فترى سوء عاقبة طغيانك.

وقيل: إن المعنى أن مرجع الانسان إلى الله، فكما أنه رده من النقصان إلى الكمال، يردّه ويرجعه إلى النقصان والفقر والموت^٣.

ثم بين سبحانه غاية طغيان الانسان مظهراً للتعجب منه بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ وهل عاينت يا محمد، أو أيها الراى، الطاغى ﴿الَّذِي﴾ بلغ بطغيانه إلى أنه ﴿يَنْهَى﴾ ويمنع عن الصلاة والقيام بوظيفة العبودية لربّ الأرباب ﴿عَبْدًا﴾ ممحضاً في العبودية له ﴿إِذَا صَلَّى﴾ وقام بخدمة مولاه؟

زوي أن أباجهل قال في ملا من طغاة قريش: هل يُعقر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فوالذي نحلف به لئن رأيته يُصلي لأطعن عنقه، ثم إنه رأى رسول الله ﷺ في الصلاة - قيل: هي صلاه الظهر - فجاءه^٤، وقيل: هم أن يلقي على رأسه حجراً فنكص على عقبيه، فقالوا: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخدناً من نار وهو لأشدّ أجنحة^٥. وقال نبي الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» فنزلت^٦.

قال الفخر الرازي في وجه إظهار الله تعالى العجب من طغيان أبي جهل ومنعه الرسول ﷺ عن

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٤.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ٢٠، تفسير أبي السعود ٩: ١٧٨، تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٤. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ٢٠.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٥.

٥. في النسخة: واضحة، والمراد أجنحة الملائكة، تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٥.

٦. مجمع البيان ١٠: ٢٨٢، تفسير الصافي ٥: ٣٤٩، تفسير الرازي ٣٢: ٢٠، تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٥.

الصلاة: إنه يروى أن يهودياً من فُصحاء اليهود جاء إلى عمر في أيام خلافته، فقال: أخبرني عن أخلاق رسولكم. فقال عمر: اطلبه من بلال، فهو أعلم به مني. ثم إن بلالاً دله على فاطمة، ثم فاطمة دلته على عليٍّ عليه السلام، فلما سأل علياً عنه قال: «صف لي متاع الدنيا حتى أصف لك أخلاقه» فقال الرجل: هذا لا يتيسر لي. فقال علي عليه السلام: «عجزت عن وصف متاع الدنيا، وقد شهد الله على قلتي حيث قال: ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾^١ فكيف أصف أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد شهد الله تعالى بأنه عظيم حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَمَعْلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٢. فكانه قال: ينهى أشد الخلق عبودية عن العبودية، وذلك عين الجهل والحمق^٣.

وقيل: إن أُمَيَّة بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة^٤.

وعن القمي: كان الوليد بن المغيرة ينهى الناس عن الصلاة وأن يطاع الله ورسوله^٥.

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى *
أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١١-١٥)

ثم بين سبحانه غاية سفاهة هذا الطاغوي بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿إِنْ كَانَ﴾ هذا الطاغوي ثابتاً ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ ودين الحق، كما أنت عليه ﴿أَوْ أَمَرَ﴾ الناس ﴿بِالتَّقْوَى﴾ والاحتراز عن الشرك كما تأمر، أما كان خيراً له من الكفر بالله والنهي عن طاعته.

وقيل: إن الخطاب مع الكافر، فإنه تعالى بعد خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ التفت إلى الكافر، وقال: أرايت يا كافر إن كان النبي في صلاته على الهدى، ودعاه إلى الله أو أمر بالتقوى، أنهاه مع ذلك؟ فجعل سبحانه نفسه كالحاكم الذي حضر عنده المدعى والمدعى عليه، فخطب هذا مرة وهذا أخرى^٦.

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد، وأخبرني ﴿إِنْ﴾ كان الكافر ﴿كَذَّبَ﴾ الدلائل التي ذكرنا مع كونها ظاهرة جلية عند كل عاقل ﴿وَتَوَلَّى﴾ وأعرض عن الصلاة التي هي أهم خدمات مولاه ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ بعقله ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ منه هذه القبائح ويجازيه عليها في الآخرة فيزجره علمه ذلك عن ارتكابها؟

وقيل: إنه خطاب مع الكافر، والمراد: أرايت أيها الكافر إن كان محمد كذب بآيات الله وتولى عن

١. النساء: ٧٧/٤. ٢. القلم: ٤/٦٨. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ٢١.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ٢٠، تفسير أبي السعود ٩: ١٨٠. ٥. تفسير القمي ٢: ٤٣٠، تفسير الصافي ٥: ٣٤٩.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ٢١.

خدمة مولاه، ألم يعلم بأن الله يراه ويُعاقبه عليه حتى ينتهي بعلمه ذلك^١.
ثم ذم سبحانه الكافر بقوله: ﴿كَلَّا﴾ لا يعلم بأن الله يرى والله ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ﴾ ولم يرتدع عما هو فيه من الطغيان ﴿لَنَسْفَعًا﴾ ولنأخذن البتة يوم القيامة ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ وشعر مقدّم رأس هذا الكافر الطاغى بشدة ونسجبه بها إلى النار.

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ [١٦-١٨]

ثم بالغ سبحانه في ذمه بالكذب في إنكار الآيات والرسالة والبعث، وخطئه في إيداء الرسول ﷺ بتوصيف ناصيته بالكذب والخطأ، بقوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فإن اللعين بإصراره على الكذب والخطأ صار بحيث يظهر الكذب والخطأ من ناصيته وشعر مقدّم رأسه، وفي الجرّ بالناصية غاية الإذلال والإهانة.

قيل: إن المراد من قبض ناصيته قبضها في الدنيا إن عاد إلى النهي عن الصلاة، فعاد إلى النهي^٢.
رُوي أنه لعنه الله مرّ برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم أنهك، فأغلظ رسول الله ﷺ في جوابه، فقال: أتهدّدي وأنا أكثر أهل الوادي نادياً؟ أريد كثرة من يُعينه، فنزلت^٣ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ وأهل مجلسه ليُعينوه ﴿سَنَدْعُ﴾ في مقابل أعوانه ﴿الزَّبَانِيَةَ﴾ وملائكة العذاب، فلما عاد إلى النهي مكن الله المسلمين من ناصيته يوم بدر فجزّوه على وجهه.

رُوي أنه لما نزلت سورة الرحمن قال ﷺ: «من يقرأها على رؤساء قریش؟» فتناقلوا، فقام ابن مسعود رضی اللہ عنہ فقال: أنا يا رسول الله، فأجلسه، ثم قال ثانياً: «من يقرأها عليهم؟» فلم يبق إلا ابن مسعود، ثم قال ثالثاً فقال ابن مسعود: أنا، فأذن له، وكان ﷺ يتقي عليه، لما كان يعلم من ضعفه وصغر جسده، ثم إنه وصل إليهم فرأهم مجتمعين حول الكعبة، فافتتح قراءة السورة، فقام أبو جهل فطمعه فشق أذنه وأدامها، فانصرف وعينه تدمع، فلما رآه ﷺ رقى قلبه وأطرق رأسه مغموماً، فاذا جبرئيل جاء ضاحكاً مستبشراً، فقال: «يا جبرئيل تضحك ويبيكي ابن مسعود» فقال: سيعلم. فلما طُفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ في الجهاد، فقال ﷺ له: «خُذْ رُمَحَكَ وَالتَّمْسَ فِي الْجَرْحِ مِنْ كَانِ لَهُ زَمَقٌ فَاقْتَلْهُ، فَإِنَّكَ تَنَالُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ» فأخذ يُطالِق القتلى، فاذا أبو جهل مصروعٌ يخور، فخاف أن يكون به قوة فيؤذيه، فوضع الرمح في مَنَحَرِهِ من بعيدٍ قطعته. ولعل هذا

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٦.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٢٢.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ٢٥، تفسير أبي السعود ٩: ١٨٠، تفسير الصافي ٥: ٣٥٠.

[معنى] قوله: «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ»^١ على رواية ابن عباس أنه نزل فيه، ثم لما عرف عجزه لم يقدر أن يصعد على صدره لضعفه، فارتقى عليه بحيلة، فلما رآه أبو جهل قال له: يا زويي الغنم، لقد ارتقيت مُرتقاً صعباً. فقال ابن مسعود: الاسلام يعلو ولا يعلو عليه فقال له أبو جهل: أبلغ صاحبك أنه لم يكن أحدٌ أبغض إليّ منه في حال مماتي.

رُوي أنه ﷺ لما سمع ذلك قال: فرعوني أشدّ من فرعون موسى، فأنه قال حين موته «أَمُتُّ»^٢ وهو قد زاد عتواً.

ثم قال اللعين يابن مسعود، اقطع رأسي بسيفي هذا، فأنه أحد وأقطع. فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله، فشقّ أذنه، وجعل الخيط فيها، وجعل يجرّه إلى رسول الله ﷺ وجبرئيل بين يديه يضحك، ويقول: يا محمد، أذن بأذن [لكن] الرأس هنا مع الأذن مقطوع.^٣

قيل: إن الناصية كناية عن الوجه^٤، «لَتَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ» أي لتطمنّ وجهه^٥. وقيل: يعني لنسودن وجهه^٦.

كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ [١٩]

ثم لما قابل سبحانه دعوة الطاعي ناديه بدعوة الزبانية، ردع نبيه ﷺ عن الخوف من الطاعي بقوله: «كَلَّا» لا يجترئ على أن يدعو ناديه، ولئن دعاهم لن ينفعوه، فهو أذلّ وأحقّر من أن يقاومك، ولذا «لَا تَطِعُهُ» ولا تعتنِ بنهي إياك عن الصلاة والسجود لربك «وَاسْجُدْ» وواضب على صلاتك وخضوعك لله، ولا تنكث بالطاعي وأمثاله «وَاقْتَرِبْ» إلى ربك بالسجود والصلاة له، وتقرب إليه بعبادته.

في الحديث العامي: «أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد»^٧ فأكثرُوا من الدعاء في السجود. وعن الرضا عليه السلام: «أقرب ما يكون العبد من الله عزّ وجلّ وهو ساجد، وذلك قوله تعالى: «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»^٨.

وقيل: إن خطاب «اسْجُدْ» مع النبي ﷺ، وخطاب «وَاقْتَرِبْ» مع أبي جهل، والمعنى: اسجد أيها النبي، ولا تعتنِ بنهي من ينهك، ليزداد غيظاً، واقترب أيها الكافر وادّن منه حتّى تبصر ما ينألك من

١. القلم: ١٦/٦٨. ٢. يونس: ٩٠/١٠. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ٢٣، تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٦.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ٢٤، تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٧. ٥ و ٦. تفسير الرازي ٣٢: ٢٣.

٧. تفسير الرازي ٣٢: ٢٦، تفسير أبي السعود ٩: ١٨١.

٨. الكافي ٣: ٣٢٦٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥/٧، تفسير الصافي ٥: ٣٥٠.

أخذ الزبانية إيتاك^١.

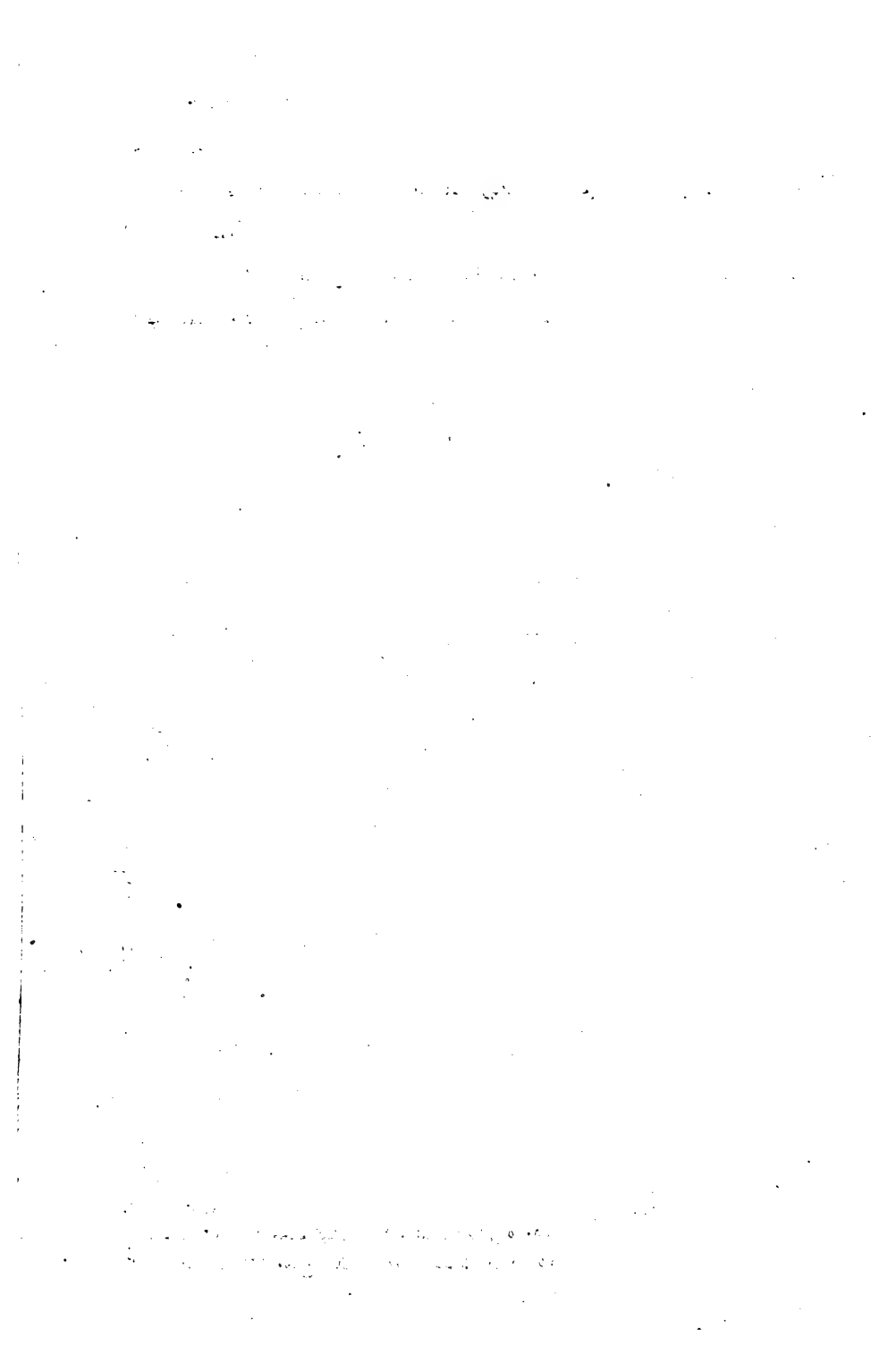
عن الصادق عليه السلام: «أَنَّ الْعَزَائِمَ أَرْبَعُ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وَالنَّجْمَ، وَتَنْزِيلَ السَّجْدَةِ، وَ [حَم] السَّجْدَةِ»^٢.

عن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ فِي يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ نَمَّ مَاتَ مَاتَ شَيْدَاً وَبَعَثَهُ اللَّهُ شَهِيداً، وَأَحْيَاهُ شَهِيداً، وَكَانَ كَمَنْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^٣.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٢٦.

٢. الخصال: ١٢٤/٢٥٢، مجمع البيان ١٠: ٧٨٣، تفسير الصافي ٥: ٣٥٠.

٣. ثواب الأعمال: ١٢٤، مجمع البيان ١٠: ٧٧٨، تفسير الصافي ٥: ٣٥٠.



في تفسير سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ [١ و ٢]

ثم لما حُتِمت السورة العلق المبدوء بالأمر بقراءة القرآن العظيم، نُظِمت بعدها سورة القدر المبدوء بتعظيم القرآن الكريم، وبيان زمان نزوله، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها ببيان عظمة القرآن بقوله: ﴿إِنَّا﴾ أثبتنا القرآن الحكيم في اللوح المحفوظ ثم ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ منه جملة ودفعة في البيت المعمور الذي هو أشرف بقاع السماوات، كما في بعض رواياتنا^١، أو في بيت العزة الذي يكون في السماء الدنيا، كما في بعض روايات العامة^٢، وبعض روايات الخاصة^٣ ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. قيل: إن الله سبحانه بين أولاً أنه نزل في شهر رمضان بقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^٤ ولم يبين أنه نزل في الليل أو النهار. ثم بين أنه نزل بالليل بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾^٥ ولم يبين أي ليل، ثم بين في هذه السورة أنها ليلة القدر^٦.

فلا شبهة أنها تكون في شهر رمضان، وإنما الخلاف في أنها كانت في ليلة واحدة، لأن فضل نزول القرآن كان في ليلة واحدة، وجُلَّ العلماء قائلون بأنها باقية في كل سنة، ثم اختلفوا في أنها أية ليلة. قيل: إن الله تعالى أخفاها ولم يُعَيِّنْها ليرغب المؤمنون في إحياء جميع ليالي رمضان طلباً لدرك ثواب إحيائها^٧، والمشهور قائلون بتعيينها، والأكثر على أنها في أوتار العشر الآخر بقوله ﷺ: «التمسوها في العشر الآخر»^٨ من شهر رمضان، فاطلبوها في كل وثراً^٩.

وأكثر العامة على أنها الليلة السابعة والعشرون، ونسبوه إلى ابن عباس^{١٠}، وأسندوه إلى اعتبارات

١. الكافي ٢: ٦٦٠/٦. ٢. تفسير الرازي ٣٢: ٢٩، تفسير روح البيان ١٠: ٤٧٩. ٣. مجمع البيان ١٠: ٧٨٦.

٤. البقرة: ١٨٥/٢. ٥. الدخان: ٣/٤٤. ٦. تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٠.

٧. تفسير الرازي ٣٢: ٢٩، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨١. ٨. في تفسير روح البيان: الاواخر.

٩. تفسير روح البيان ١٠: ٤٨١. ١٠. تفسير الرازي ٣٢: ٣٠، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨١.

لا اعتبار بها.

وقال بعضهم: إنها آخر ليلة من الشهر، لقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ يَعْتَقُ أَلْفَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كُلَّهُمْ اسْتَوْجِبُوا الْعَذَابَ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَعْتَقَ اللَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بَعْدَ مَنْ أَعْتَقَ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ»^١.

وعن بعض الصحابة: أنها الليلة التاسعة والعشرون^٢، ورووا عن أبي ذرٍّ: أنها الخامسة والعشرون^٣، وعن ابن مسعود: أنها الرابعة والعشرون^٤، وعن ابن عباس: أنه الثالثة والعشرون^٥، وعن محمد بن إسحاق: أنها الحادية والعشرون^٦، وعن أنس: أنها التاسعة عشرة^٧، وعن الحسن البصري: أنها السابعة عشرة^٨، وعن ابن رَزِين أنها الليلة الأولى منه^٩.

وعن (الكافي) عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^{١٠} قال: «نعم، ليلة القدر، وهي في كُلِّ سَنَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الْعَشْرِ الْآخِرَةِ»^{١١}.

وعنه عليه السلام أنه سئل عن ليلة القدر قال: «التمسها ليلة إحدى وعشرين، أو ليلة ثلاث وعشرين»^{١٢}. وفي رواية «ليلة تسع وعشرة، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين»^{١٣}.

قيل: فإن أخذت إنساناً الفترة أو علةً، ما المعتمد عليه من ذلك؟ فقال: «ثلاث وعشرون»^{١٤}. أقول: يُرِيدُ رواية الجُهَنِيِّ المعروفة^{١٥} وإِنَّمَا سُمِّيَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لِتَقْدِيرِ أُمُورِ السَّنَةِ فِيهَا، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^{١٦}.

وعن ابن عباس: أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ فِيهَا كُلَّمَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِنْ مَطَرٍ وَرِزْقٍ وَإِحْيَاءٍ وَإِمَاتَةٍ وَغَيْرِهَا إِلَى مِثْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ السَّنَةِ الْآتِيَةِ^{١٧}، فَيَسْلَمُهُ إِلَى مَدِيرَاتِ الْأُمُورِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وفي (المعاني) عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا عَلِيُّ، أَتَدْرِي مَا مَعْنَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ قُلْتُ: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ فِيهَا مَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَكَانَ فِيهَا قَدْرٌ وَلَا يَتَكَ وَوَلَا يَةُ الْأُتَمَّةِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^{١٨}.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٨١.

٢ و ٤. تفسير الرازي ٣٢: ٢٩.

٣- ١٠. تفسير الرازي ٣٢: ٢٩.

١٠. الدخان: ٣/٤٤.

١١. الكافي ٤: ٦/١٥٧، تفسير الصافي ٥: ٣٥٢.

١٢. الكافي ٤: ١/١٥٦، وتفسير الصافي ٥: ٣٥٢، عن الصادق عليه السلام.

١٣. الكافي ٤: ٨/١٥٨، تفسير الصافي ٥: ٣٥٢.

١٤. من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٦٠/١٠٣، تفسير الصافي ٥: ٣٥٢.

١٥. الكافي ٤: ٢/١٥٦، من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٦١/١٠٣.

١٦. الدخان: ٤/٤٤.

١٨. معاني الأخبار: ١/٣١٥، تفسير الصافي ٥: ٣٥١.

١٧. تفسير الرازي ٣٢: ٢٨.

أقول: ظاهر الرواية وقوع جميع التقديرات الكائنة في العالم إلى يوم القيامة في أول ليلة من ليالي القدر، وهذا غير المعنى المروي عن ابن عباس، ولا منافاة بينهما.

وقيل: إن القدر هنا بمعنى الشرف، ومعنى ليلة القدر أنها ليلة يحصل لمن أحيائها وقصد فيها الشرف والمنزلة عند الله^١.

وقيل: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، على لسان ملك ذي قدر، لأنه لها قدر^٢.

وعن الخليل: القدر هنا بمعنى الضيق، وإنما سُميت الليلة ليلة القدر لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة^٣.

وأما دلالة الآية على عظمة القرآن، فلا سند إنزاله إلى ذاته المعبر عنها بنون العظمة المستلزم لعظمة ما أنزله، ولارجاع الضمير إليه من غير سبق ذكره الدال على غاية اشتهاره وتميزه من الكتب المنزلة، ولتعظيم وقت نزوله وهو ليلة القدر بقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ﴾ وأي شيء أعلمك: يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ في علو القدر والشرف، فإن العلم بها خارج عن طرق البشر إلا بالوحي من الله العالم بكنه الأشياء وحقائقها.

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ [٣]

ثم بين سبحانه فضيلة العبادة فيها بقوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ والعبادة فيها ﴿خَيْرٌ﴾ وأفضل ﴿مِنْ﴾ العبادة في ﴿أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر في الحديث العامي: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^٤.

قيل: إن لفظ ألف كناية عن الكثير، ولم يرد حقيقتها^٥.

وقيل: إن في الأمم السابقة لا يقال لرجل: إنه عابد، حتى يعبد الله ألف شهر، فأعطى الله هذه الأمة ليلة من أحيائها من المؤمنين كان أعبد من أولئك العباد^٦.

وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين خمسمائة شهر، فجعل الله العمل في هذه الليلة خيراً من ملكهما^٧.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٢٨، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٢.

٢. تفسير الرازي ٢: ٢٨، ولم ينسبه إلى أحد، تفسير الرازي ١٠: ٤٨٢.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٠.

٤. تفسير أبي السعود ٩: ١٨٢، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٣.

٥. تفسير أبي السعود ٩: ١٨٣، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٣.

وقيل: إن النبي ﷺ رأى أعمال الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته، فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر، وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم^١.

وروي أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل اسمه شمسون أو شمعون، ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجب المؤمنون منه، وتفاصرت إليهم أعمالهم، فأعطوا ليلة هي خير من مدة جهاد ذلك الرجل^٢.

وعن ابن عباس: أنه ذكر عند رسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل أنه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب من ذلك عجباً شديداً، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فقال: «يارب، جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً، وأقلها أعمالاً، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» الذي حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله [لك] ولأمتك من بعدك إلى يوم القيامة في كل رمضان^٣.

وروي بعض العامة أنه لما عوتب الحسن بن علي رضي الله عنهما في تسليمه الأمر لمعاوية قال: «إن الله أرى نبيه في المنام بني أمية ينزلون على منبره نزل القردة، فاعتم لذلك، فأعطاه الله ليلة القدر، وهي خير له ولذريته وأهل بيته من ألف شهر، وهي مدة ملك بني أمية، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس هذا القدر من الزمان^٤.

وعن القمي، قال: رأى رسول الله ﷺ في نومه: كأن قروداً تصعد منبره، فغمه ذلك، فأنزل الله سورة القدر «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» إلى قوله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» تملكه بنو أمية ليس فيها ليلة القدر^٥.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: «إني رسول الله في منامه أن بني أمية يصعدون منبره من بعده، ويضلون الناس عن الصراط القهقري، فأصبح كئيباً حزيناً، فهبط عليه جبرئيل، فقال: يا رسول الله، مالي أراك كئيباً حزيناً. قال ﷺ: إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي، يضلون الناس عن الصراط القهقري. فقال: والذي بعثك بالحق نبياً، إني ما أطلعت عليه، فخرج إلى السماء، فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يؤنسه بها قال: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا

١. تفسير الرازي ٣٢: ٣١، تفسير أبي السعود ٩: ١٨٣، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٣.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ٣٠، تفسير أبي السعود ٩: ١٨٢، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٣.

٣. مجمع البيان ١٠: ٧٨٩، تفسير الصافي ٥: ٣٥٢. ٤. تفسير الرازي ٣٢: ٣١، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٣.

٥. في النسخة: قال: قال رسول الله ﷺ كأن قروداً. ٦. تفسير القمي ٢: ٤٣١، تفسير الصافي ٥: ٣٥٢.

كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ^١ وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ جعل الله ليلة القدر لنبيه ﷺ خيراً من ألف شهر مُلك بني أمية^٢.

ذكر اشكال بعض
العامة وردّه

ثم اعلم أنّه طعن بعض العامة في تلك الروايات بأن أيام مُلك بني أمية كانت

مذمومة، فكيف يبيّن الله تعالى فضل تلك الليلة بكونها خيراً من الشهور

المذمومة؟^٣

وردّه بعضهم بأن أيام ملكهم كانت أياماً عظيمة بحسب السعادات الدنيوية، فيكون المراد أن ليلة القدر بحسب السعادات الدينية أفضل من تلك السعادات الدنيوية، كقوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^٤. الكفار من الأموال والزخارف الدنيوية^٥.

والأولى في دفعه أن نقول: إن الله صلى نبيه ﷺ ببشارة نزول غمّه، فأنه ﷺ اغتمّ بسلطنة بني أمية وإضلالهم الناس عن الصراط، فسّر الله قلبه الشريف بالبشارة بأفضلية عبادة تلك الليلة لأمتّه من عبادة تلك المدة، كما يسّلى من تلفت أمواله ببشارته برجوع ولده من سفرٍ خطيرٍ سالماً غانماً.

تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [٤]

ثم إنّه تعالى بعد بيان علو قدر تلك الليلة ذاتاً، بيّن ما استتبع ذلك الشرف وعلو القدر من الفضل بقوله: ﴿تَنَزَّلُ﴾ وتهبط ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ المقربون كلّهم فوجاً فوجاً إلى الأرض، أو إلى السماء الدنيا، ليروا عبادة أهل الأرض واجتهادهم فيها، ويسلموا عليهم ويزورهم ويصافحوا معهم. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنهم ينزلون ليسلموا علينا، وليشفعوا لنا، فمن أصابته التسليمه غفر له ذنبه»^٦ أو ليزيد فضل عباده المؤمنين بحضورهم.

﴿و﴾ ينزل ﴿الرُّوحُ﴾ القدس، وهو جبرئيل، وإفراجه بالذكر مع كونه من الملائكة لتعظيمه.

عن كعب: أن في سورة الممتهى ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، يعبدون الله، ومقام جبرئيل في وسطها، ليس فيها ملك إلا وقد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين، ينزلون مع جبرئيل ليلة القدر، فلا تبقى بقعة من الأرض إلا وعليها ملكٌ ساجدٌ أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات، أحداً إلا صافحه، وعلامة ذلك من اقشعر جلدّه ورق قلبه ودمعت عيناه، فإن ذلك من مصافحة جبرئيل.

١. الكافي: ٤: ١٥٩، تفسير الصافي: ٥: ٣٥١.

٢. آل عمران: ١٥٧/٣. ٣. تفسير الرازي: ٣٢: ٣١.

١. الشعراء: ٢٠٧-٢٠٥/٣٦.

٢. تفسير الرازي: ٣٢: ٣١.

٣. تفسير الرازي: ٣٢: ٣٣.

إلى أن قال: وأول من يصعد جَبْرَتِيل حتى يصير أمام الشمس، فيسيط جَنَاحَيْن أَحْضَرَيْن، لا يُشْئِرُهُمَا إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةُ مِنْ يَوْمِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ مُلْكًا مُلْكًا، فيصعد الكل، ويجتمع نور الملائكة ونور جَنَاحِ جَبْرَتِيل، فيقيم جَبْرَتِيل ومن معه من الملائكة بين الشمس والسماء الدنيا يومهم ذلك مشغولين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين ولمن صام شهر رمضان احتساباً... الخبر^١.
وقيل: إِنَّ الرُّوحَ مَلَكٌ عَظِيمٌ لَوْ تَقَمَّ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ لَقْمَةً وَاحِدَةً^٢.

وقيل: هُوَ مَلَكٌ رَأْسُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَرَجُلَاهُ فِي تُحُومِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَلَهُ أَلْفُ رَأْسٍ، كُلُّ رَأْسٍ أَعْظَمُ مِنَ الدُّنْيَا، وَفِي كُلِّ رَأْسٍ أَلْفُ وَجْهٍ، وَفِي كُلِّ وَجْهٍ أَلْفُ فَمٍ، وَفِي كُلِّ فَمٍ أَلْفُ لِسَانٍ، يُسَبِّحُ اللَّهُ بِكُلِّ لِسَانٍ أَلْفَ نَوْعٍ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّمْجِيدِ، لِكُلِّ لِسَانٍ لُغَةً لَا تُشَبِّهُ الْأُخْرَى، فَإِذَا فَتَحَ أَفْوَاهَهُ بِالتَّسْبِيحِ خَرَّ كُلُّ مَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ سَجْدًا مَخَافَةً أَنْ يُحْرِقَهُمْ نُورُ أَفْوَاهِهِ، وَإِنَّمَا يُسَبِّحُ اللَّهُ عُذُودُهُ وَعَشِيَّةً، فَيَنْزِلُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَيَسْتَغْفِرُ لِلصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ بِتِلْكَ الْأَفْوَاهِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ^٣.

أقول: على تقدير صحة النقل لابد من تأويل نزوله بغير المعنى المتبادر منه.

وعن الباقر عليه السلام: «أَنَّ الرُّوحَ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرَتِيلَ، وَأَنَّ جَبْرَتِيلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّ الرُّوحَ خَلَقَ أَعْظَمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ﴾»^٤.

وعلى أي تقدير تنزل جميع الملائكة مع الرُّوح لشرف تلك الليلة ﴿فِيهَا﴾ إلى الأرض بعد استئذانهم شوقاً إلى لقاء المؤمنين ﴿يَاذُنْ رَبِّهِمْ﴾ في النزول ﴿مِنْ﴾ أجل ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَدَّرَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

عن الصادق عليه السلام: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدَرِ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ وَالْكَتَبَةُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَكْتُبُونَ مَا يَكُونُ مِنْ قَضَاءٍ فِي تِلْكَ السَّنَةِ»^٥.

وعن القمي عليه السلام، قال: تنزل الملائكة والرُّوح القدس على إمام الزمان، ويدفعون إليه ما كتبه [من هذه الأمور]^٦.

وعنه، عن الباقر عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ: أَتَعْرِفُونَ لَيْلَةَ الْقَدَرِ؟ فَقَالَ: «فَكَيْفَ لَانَعْرِفَ وَالْمَلَائِكَةُ يَطُوفُونَ بِنَا

٢. تفسير الرازي ٣٢: ٣٤، تفسير روح البيان ١٠: ٨٤.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٣٣.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٨٤.

٤. الكافي ١: ١٣١٧، وتفسير الصافي ٥: ٣٥٣، عن الصادق عليه السلام.

٥. تفسير القمي ١: ٣٦٦، تفسير الصافي ٥: ٣٥٣. ٦. تفسير القمي ٢: ٤٣١، تفسير الصافي ٥: ٣٥٣.

فيها^١.

سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ [٥]

ثم بين سبحانه الفضيلة الأخرى لتلك الليلة بقوله: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ من الملائكة للمؤمنين من أولها ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ وظهور الصبح الصادق، فإن كثرة سلام الملائكة فيها كأنما صير الليل كله سلاماً.

وفي الحديث العامي: «ينزل جبرئيل ليلة القدر في كَبْكَبَة من الملائكة يُصَلُّونَ وَيُسَلِّمُونَ على كلِّ عبد قائم أو قاعد يذكر الله»^٢.

وعن السجاد عليه السلام يقول: «يُسَلِّمُ عليك يا محمد ملائكتي وروحي سلامي^٣ من أول ما يهبطون إلى مَطْلَعِ الفجر»^٤.

وعن القمي عليه السلام قال: تحية يُحَيِّي بها الإمام إلى أن يَطْلُعَ الفجر^٥.

وقيل: إن السلام بمعنى السلامة من جميع الآفات والشُّرور ومكائد الشيطان ووساوسه^٦.

في الحديث العامي: «من قرأ سورة القدر أعطي ثواب من صام رمضان وأحيا ليلة القدر»^٧.

وعن الباقر عليه السلام: «مَنْ قرأ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فَجَهَرَ بِهَا، كَانَ كَالشَّاهِرِ سَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ قرأَهَا سِرًّا كَانَ كَالْمُتَشَحِّطِ بَدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ قرأَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ مَحَا اللَّهُ عَنْهُ أَلْفَ ذَنْبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ»^٨.

الحمد لله الموفق لاتمام تفسيرها.

١. تفسير القمي ٢: ٤٣٢، تفسير الصافي ٥: ٣٥٣. ٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٥.

٣. في الكافي: بسلامي. ٤. الكافي ١: ١٩٣/٤، تفسير الصافي ٥: ٣٥٣.

٥. تفسير القمي ٢: ٤٣١، تفسير الصافي ٣٥٣. ٦. مجمع البيان ١٠: ٧٩٠، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٥.

٧. تفسير أبي السعود ٩: ١٨٣، تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٦.

٨. ثواب الأعمال: ١٢٤، مجمع البيان ١٠: ٧٨٤، تفسير الصافي ٥: ٣٥٣.

1. The first part of the document is a letter from the President of the United States to the Congress, dated January 3, 1862. It is a very important document, as it contains the President's annual message to Congress, which is a key part of the executive branch's communication with the legislative branch.

2. The second part of the document is a report from the Secretary of the Interior, dated January 10, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

3. The third part of the document is a report from the Secretary of the Treasury, dated January 15, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

4. The fourth part of the document is a report from the Secretary of the War, dated January 20, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

5. The fifth part of the document is a report from the Secretary of the Navy, dated January 25, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

6. The sixth part of the document is a report from the Secretary of the State, dated January 30, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

7. The seventh part of the document is a report from the Secretary of the War, dated February 5, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

8. The eighth part of the document is a report from the Secretary of the Navy, dated February 10, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

في تفسير سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ [١-٣]

ثم لما ختمت سورة القدر المتضمنة لبيان عظمة القرآن، نُظِمت سورة البينة المتضمنة لبيان عظمة الرسول ﷺ وكتابه بتوصيفه بأنه جامع لجميع ما في الكتب السماوية، فابتدأها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم افتتحها بذكر أهل الكتاب والمشركين بقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله سواء كانوا ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كاليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعبداء الأصنام والأوثان ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ ومفارقين عما هم عليه من الكفر والعقائد الفاسدة على حسب قولهم ووعدهم ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ﴾ من قبل الله الحجة ﴿الْبَيِّنَةُ﴾ والآية الواضحة على بطلان دينهم، وتلك البينة على ما أخبرت به الكتب السماوية هو ﴿رَسُولٌ﴾ عظيم الشأن، مبعوث ﴿مِنْ﴾ قبل ﴿اللَّهِ﴾ في آخر الزمان، يتلوه القرآن، ولما كان جامعاً لمطالب الكتب السماوية ﴿يَتْلُوا﴾ بتلاوته عن ظهر القلب ﴿صُحُفًا﴾ وكتباً سماوية ﴿مُطَهَّرَةً﴾ ومُنَزَّهة عن كل باطل^١ لا قبيح وشين وذكر بسوء، أو مطهرة من أن يمسها غير المطهر.

وفي رواية عامية عن الصادق عليه السلام: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ مِنَ الْكِتَابِ وَإِنْ كَانَ لَا يَكْتُبُ»^٢. قيل: إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ كَانُوا قَبْلَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: لَا تَنْفَكُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ دِينِنَا وَلَا تَتْرُكُهُ حَتَّى يَبْعَثَ النَّبِيُّ الْمَوْعُودَ، وَالَّذِي هُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ^٣، فَحَكِيَ سَبْحَانَهُ مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ٤٢.

١. في النسخة: عن كامل وباطل.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ٣٨.

وقيل: إن المراد أنهم كانوا غير متفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق، والايان بالنبى ﷺ المبعوث في آخر الزمان، والعزم على إنجازهِ، وهذا الوعد من أهل الكتاب ممّا لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون: اللهم افتح علينا، وانصرنا بالنبى المبعوث في آخر الزمان. ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظّل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فقتلكم معه قتل عاد وإرم، وأما من المشركين فلعَلَّه قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم، كما يشهد به أنه كانوا يسألونهم عن الرسول، هل هو المذكور في كتبهم^١. وعليه يكون «تَأْتِيَهُمْ» بمعنى «أَتَتْهُمْ» والتعبير بالمضارع باعتبار حال المحكي لا الحكاية، وأما عبّر عن الرسول بالبيّنة للتنبيه على غاية ظهور أمره بسبب المعجزات الكثيرة الباهرة، ومجموع الأخلاق الكريمة البالغة حدّ كمال الإعجاز، فكان صفاته ﷺ بيّنة على رسالته.

وقيل: إن المراد بالبيّنة مطلق الرسول، والمراد حتى تأتيتهم رسل من الملائكة تتلو عليهم صُحُفًا مطهرة، كما قال سبحانه: «يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ»^٢ وفيه: أنه لا يناسب وصف الصحف بقوله: «فِيهَا كُتِبَ» ومكتوبات «قِيَمَةٌ» مستقيمة ناطقة بالصواب، أو مستقلة بالحُجّة والدلالة على الحق.

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ [٤ و ٥]

ثم إنه تعالى بعد حكايته وعد أهل الكتاب والمشركين بإيمانهم بالرسول الموعود واجتماع كلمتهم على الحق، بين ازدياد كفرهم بعد وضوح رسالته لهم وافتراق كلمتهم بقوله: «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» عن الحق، وما تباعدوا عن الايمان بالرسول الموعود مع كونهم من أهل العلم والاطلاع بالكتب وبأوصاف الرسول «إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ» بسبب انطباق الصفات المذكورة في التوراة والانجيل للنبى الموعود عليه وكثرة معجزاته «الْبَيِّنَةُ» والدلالة الواضحة على أن محمداً ﷺ هو النبى الموعود بحيث لم يبق مجال للعاقل المنصف ردّها وجحودها.

وأما أفرد سبحانه أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين في أول السورة للدلالة

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٦.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ٤١ و ٤٢، والآية من سورة النساء: ١٥٣/٤.

على كمال شناعة حالهم، وأنهم لما تفرّقوا مع كونهم من أهل العلم كان غيرهم أولى بذلك؛ لأنّ جحود العالم أفتح وأشنع من إنكار الجاهل، وفيه تسلية للنبي ﷺ حيث بين أن تفرّقهم ليس لقصور الحجة وخفاء الحقّ، بل للعناد والعصية. ﴿وَ﴾ الحال أنّهم ﴿مَا أَمَرُوا﴾ بشيء في كتبهم ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ولأجل أن يتذلّلوا له حال كونهم ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ تعالى ﴿الَّذِينَ﴾ ومُحْضِينَ أنفسهم له بالعبودية، وآتين أعمالهم لصرف الداعية الالهية بحيث لا يكون في أعمالهم شائبة الشرك والرياء والعناد والعصية والفسانية.

وقيل: يعني موحدّين له في العبادة، لا يعبدون معه غيره^١، وحال كونهم ﴿حُقَّاءَ﴾ ومعرضين عن كلّ باطل، أو متبعين ملّة إبراهيم الذي تبرأ من نفسه حين سلّمها للنيران، أو مستقيمين في العقائد والأعمال والأخلاق، أو مؤمنين بجميع الرسل، أو حجاجاً كما عن ابن عباس^٢.

وقيل: إنّ اللام في قوله ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ بمعنى ﴿أَنْ﴾ والمعنى إلّا أن يعبدوا الله^٣.

وقيل: إنّ المراد وما أمروا على لسان محمد ﷺ إلّا أن يؤخّداوا الله ويعتبدوه عبادةً خالصةً من الشرك^٤ ﴿وَ﴾ أنّ ﴿يَقِيْمُوا الصَّلَاةَ﴾ التي هي أهمّ العبادات البدنية ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ التي هي أهمّ العبادات المالية.

﴿وَذَلِكَ﴾ المذكور من الخلوّص في عبادته وأداء الصلاة والزكاة هو ﴿دِينُ﴾ الملّة ﴿الْقِيَمَةِ﴾ الباقية التي لا تشنّخ، أو المستقيمة التي لا عوج فيها. وقيل: إنّ القيّمة صفة للدين، والتاء للمبالغة^٥. وقيل: إنّ القيّمة اسم أو صفة للأمة^٦، والمعنى دين الأمة القائمة بالقسط. والحاصل أنّ الآية دالة على أنّ الدين القيم مركّب من الاعتقاد الحقّ والعمل الصالح، فعلى كلّ عاقل أن يقبله ولا يستنكف منه^٧.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ
الْبَرِيَّةِ [٦ و ٧]

ثم ذكر سبحانه سوء حال الكفّار الذين لا يقبلون هذا الدين في الآخرة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ كعبدة الأصنام والأوثان والكواكب والنيران وغيرهم، كلّهم يوم القيامة متمكّنون ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ حال كونهم ﴿خَالِدِينَ﴾ ومقيمين ﴿فِيهَا﴾ أبداً

٣. تفسير الرازي ٣٢: ٤٤.

٥. تفسير الرازي ٣٢: ٤٧، وفيه: والهاء للمبالغة.

٧. في النسخة: يقبلوه ولا يستنكفوا منه.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٤٦.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ٤٣.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٤٨٨ و ٤٨٩.

لا يرجون الخلاص منها، لَأَنَّ «أُولَئِكَ» البعداء من رحمة الله ومن كل خير وسعادة «هُمْ» بالخصوص «شَرُّ أَتْبَرِيَّةٍ» وأحبب الخليفة، فاستحقوا الخلود في النار، وإن كان بعضهم أحب من بعض وعذابهم أشد.

ثم مدح سبحانه المؤمنين الصالحين بقوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله ورسوله واليوم الآخر «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» والمرضيات عند الله «أُولَئِكَ» المؤمنون الصالحون «هُمْ» بالخصوص «خَيْرُ أَتْبَرِيَّةٍ» وأفضل الخليفة.

روى الصدوق عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب فقال النبي ﷺ: «قد أتاكم أخي» ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» ثم قال: «إنّه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية». قال: فنزلت «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ أَتْبَرِيَّةٍ».

قال: وكان أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: جاء خير البرية^١. وعن النبي ﷺ في هذه الآية أنّه التفت إلى علي عليه السلام وقال: «هم والله أنت وشيعتك يا علي، وميعادك وميعادهم الحوض غداً غراً مُحَجَّلِينَ مُتَوَجِّينَ»^٢. وعن الباقر عليه السلام قال: «هم شيعتنا أهل البيت»^٣.

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ [٨]

ثم بين حسن حالهم في الآخرة بقوله: «جَزَاؤُهُمْ» المذخر «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ومليكم اللطيف بهم في الآخرة على إيمانهم وصالح أعمالهم «جَنَّاتٌ عَدْنٍ» وبساتين دائمة ذات أشجار وقصور «تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» الكثيرة أو الأربعة المعهودة في القرآن حال كونهم «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» ومتنعمين فيها بفنون النعم دائماً لا يخافون الخروج منها وزوال نعمها أو نقصها. ثم بشرهم سبحانه بما هو أفضل وأعظم من جميع النعم الجسمانية بقوله: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» فإن الرضوان من الله أكبر وأعظم من كل نعمة.

١. أمالي الطوسي: ٤٤٨/٢٥١، تفسير الصافي ٥: ٣٥٥، ولم نثر عليه في أمالي الصدوق.

٢. أمالي الطوسي: ٩٠٩/٤٥٥، تفسير الصافي ٥: ٣٥٥، مجمع البيان ١٠: ٧٩٥.

٣. المحاسن: ١٣٩/١٦٩، تفسير الصافي ٥: ٣٥٥.

عن النبي ﷺ أنه قال: «الخلود في الجنة خيرٌ من الجنة ورضى الله خيرٌ من الجنة ومن الخلود»^١.
 قيل: إنَّ جنةَ الجسد هي الجنة الموصوفة، وجنة الروح هي رضا الرب، ومبتدأ الانسان عالم الجسد، ومتناه عالم العقل والروح، فلا جرم ابتدأ سبحانه بالجنة، وجعل المتتهى رضا الله^٢.
 ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ تعالى بسبب تفضله عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ثمَّ بَيَّنَّ سبحانه أنَّ منشأ كمال الايمان والأعمال الصالحة هي الخشية من الله بقوله ﴿ذَلِكَ﴾ الجزء الجزيل من الجنة الموصوفة والرضوان، أو الايمان والعمل الصالح اللذين يترتب عليهما الجزاء العظيم ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ وخاف منه أشدَّ الخوف، وتلك الخشية خاصة بالعلماء بشؤون الله والعرفاء به، وهي مبدأ جميع الكمالات العلمية والعملية المستتعبة للسعادات الدينية والدنيوية.
 عن الصادق عليه السلام أنه قال لرجل من الشيعة: «أنتم أهل الرضا عن الله جل ذكره برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير، فإذا اجتهدتم ادعوا، وإذا غفلتم اجهدوا، وأنتم خير البرية، دياركم لكم جنة، وقبوركم لكم جنة، للجنة خلقتكم، وفي الجنة نعيمكم، وإلى الجنة تصيرون»^٣.
 وعن الباقر عليه السلام: «من قرأ سورة ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ كان بريئاً من الشرك، وأدخل في دين محمد ﷺ، وبعثه الله مؤمناً، وحاسبه حساباً يسيراً»^٤.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٥٥، واسقط كلمة: ومن الخلود. ٢. تفسير الرازي ٣٢: ٥٥.

٣. الكافي ٨: ٥٥٦/٣٦٦، تفسير الصافي ٥: ٣٥٥.

٤. ثواب الأعمال: ١٢٤، مجمع البيان ١٠: ٧٩١، تفسير الصافي ٥: ٣٥٦.

في تفسير سورة الزلزال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا [١-٤]

ثم لما حُتِمت سورة البينة بذكر القيامة وبيان أحوال الكفار والمؤمنين فيها، نُظِمت بعدها سورة الزلزال المتضمنة لبيان بعض أحوال القيامة وبعث الناس، فافتتحها سبحانه بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع سبحانه في بيان أحوال القيامة بقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ وَحَرَكَتْ ﴿زِلْزَالَهَا﴾ وحركة شديدة متكررة لاثقة بها في الحكمة الالهية، أو الحركة الممكنة المتصورة لها، أو الموعودة المكتوبة عليها ﴿و﴾ بتلك الحركة ﴿أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ﴾ من بطنها ﴿أَثْقَالَهَا﴾ وأحمالها من الكنوز والموتى. قيل: بزلزلة النفخة الأولى تُخرج دفائنهما، وبزلزلة النفخة الثانية تُخرج الأموات^١.

في الخبر العامي: تقيء الأرض أغلاذ كَيْدِهَا أمثال الأسطوانة من الذهب، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قُتِلْتُ، ويجيء القاطع رَجِمَهُ فيقول: في هذا قطعت رَجَمِي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعَتْ يَدِي، ثم يدعوونه فلا يأخذون منه شيئاً^٢.

قيل: يمتلئ ظهر الأرض ذهباً، ولا أحد يلتفت إليه، كأن الذهب يصيح ويقول: أما كنت تُحَرِّبُ دينك ودينك لأجلي^٣.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ بعد بعثه من القبر وغاية هشته وتعجبه مما رأى من ترزُلِ الأرض: ﴿مَا لَهَا﴾ وأي حالة عرضها بزُلزَلتها هذه الزلزلة الشديدة التي تُخرج ما في بطنها. قيل: هذا قول الكافر والمؤمن تعجباً مما يرون من العجائب التي لم تَسْمَعْ بها الأذان^٤.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٥٩، تفسير روح البيان ١٠: ٩٢.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٩٢.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ٥٨.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ٥٩.

وقيل: هذا قول الكافر الذي يقول: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مُرْقَدِنَا﴾^١ وأما المؤمن فأنه يقول: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^٢.

﴿يَوْمَئِذٍ وَحِيتٌ تُنَادِي بِأَعْيُنِهَا﴾ وتنبئ الأرض للخلق ﴿أَخْبَارَهَا﴾ أو تبث إلى أولياء الله وملائكه شكواها من أعمال الخلق على ظهرها.

عن الباقر عليه السلام: «أنه قرئت هذه السورة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أنا الانسان، وإياي تحدثت»^٣. وفي (العلل) عن تميم بن حاتم^٤، قال: كنا مع علي عليه السلام حيث توجهنا إلى البصرة قال: فبينما [نحن] نزول، إذ اضطربت الأرض، فصرها علي عليه السلام بيده الشريفة، وقال لها: «مالك؟» ثم أقبل علينا بوجهه الكريم [ثم] قال لنا: «أنها لو كانت الزلزلة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز لأجابتنى، ولكنها ليست بتلك»^٥.

وفي (العلل) عن فاطمة عليها السلام قالت: «أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر، وفرع الناس إلى أبي بكر وعمر، فوجدوهما قد خرجا فرعين إلى علي عليه السلام، فتبعهما الناس إلى أن انتهوا إلى باب علي عليه السلام، فخرج عليهم علي عليه السلام غير مكترب لما هم فيه، فمضى وأتبعه الناس حتى انتهى إلى تلعة فقعدها عليها وقعدوا حوله وهم ينتظرون إلى حيطان ترج جائية وذاهبة. فقال لهم علي عليه السلام: كأنكم قد هالكم ما ترون؟ قالوا: وكيف لا نهولنا ولم نر مثلها قط. قال: فحرك شفتيه، ثم ضرب الأرض بيده الشريفة ثم قال: مالك اسكني؟ فسكنت بإذن الله، فتعجبوا من ذلك أكثر من تعجبهم الأول حيث خرج إليهم فقال لهم: إنكم قد عجبتم من صنعتي؟ قالوا: نعم. قال: أنا الرجل الذي قال الله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ فانا الانسان الذي يقول لها: مالك ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ إياي تحدثت»^٦.

قيل: إن تحديث الأرض إنما هو بلسان الحال، فإن انتقاض الأرض بسبب الزلزلة تحدث أن الدنيا قد انتقضت، وأن الآخرة قد أقبلت^٧.

وقال جل المفسرين: إن الأرض تنطق كما تنطق الجوارح يوم القيامة، وتشهد لمن أطاع وعلى من

١. يس: ٥٢/٣٦. ٢. تفسير الرازي ٣٢: ٥٩، والآية من سورة الأحزاب: ٢٢/٣٣.

٣. الخرائج والجرائح ١: ١٧٧/١٠، تفسير الصافي ٥: ٣٥٧.

٤. في المصدر: جذيم، راجع قاموس الرجال ٢: ٤٢٣. ٥. علل الشرائع: ٥/٥٥٥، تفسير الصافي ٥: ٣٥٧.

٦. في المصدر: صنعتي، وفي تفسير الصافي: صنيعي. ٧. علل الشرائع: ٨/٥٥٦، تفسير الصافي ٥: ٣٥٧.

٨. تفسير الرازي ٣٢: ٥٩.

عصى على ظهرها^١، ورووا عن النبي ﷺ: «أَنَّ الْأَرْضَ لَتُخْبِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُلِّ عَمَلٍ عَمِلَ عَلَيْهَا»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ^٢.

ورواوا عن علي عليه السلام أَنَّهُ كَانَ إِذَا فَرَّغَ بَيْتَ الْمَالِ صَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، وَيَقُولُ: «لَتَشْهَدَنَّ آتِي مَلَاتِكَ بِحَقٍّ، وَفَرَّغْتَكَ بِحَقٍّ»^٣.

ورواوا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ صَعْصَعَةَ كَانَ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ: يَا بُنَيَّ، إِذَا كُنْتَ فِي الْبَوَادِي فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالْأَذَانِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «لَا يَسْمَعُهُ جَنَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا حَجَرٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ»^٤.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [٥-٨]

والحاصل أَنَّ الْأَرْضَ تُبَدِّلُ غَيْرَ الْأَرْضِ، وَتَصِيرُ حَيَّةً عَاقِلَةً نَاطِقَةً، تَشْهَدُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَلَهُ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، كَمَا يَشْهَدُ الْيَوْمُ وَاللَّيْلُ وَالْجَوَارِحُ، وَذَلِكَ التَّحْدِيثُ وَالشَّهَادَةُ «بِأَنَّ رَبَّكَ» وَيَسَبِّبُ أَنَّ مَلِيكَ «أَوْحَى لَهَا» وَأَمْرًا بِهَا إِرْعَابًا لِلْعَصَاةِ وَتَبْشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ «يَوْمَئِذٍ» وَحِينَ وَقَعَ مَا ذَكَرَ «يَصُدُّرُ النَّاسُ» وَيُخْشَرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ حَالُ كَوْنِهِمْ «أَشْتَاتًا» وَمَتَفَرِّقِينَ وَمَخْتَلِفِينَ فِي الْأَحْوَالِ بَعْضُهُمْ بِيضُ الْوَجْهِ، وَبَعْضُهُمْ سُودُ الْوَجْهِ، فَرِيعِينَ. عَنِ الْقَمِيِّ: يُحْيُونَ أَشْتَاتًا مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ وَمُنَافِقِينَ^٥. وَقِيلَ: أَشْتَاتًا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ^٦، «لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ» الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، كَمَا دَلَّتِ الْأَخْبَارُ عَلَى تَجَسُّمِهَا، أَوْ الْمُرَادُ لِيُرَوْا جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ أَوْ لِيُرَوْا مَكْتُوبَةٌ فِي صُحُفِهِمْ.

«فَمَنْ يَعْمَلْ» مِنَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا «مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» وَمَقْدَارَ نَمْلَةٍ، أَوْ وَزْنَ مَا يُرَى فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ عَمَلًا «خَيْرًا» وَحَسَنًا «يَرَهُ» فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ «وَمَنْ يَعْمَلْ» فِي الدُّنْيَا «مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» وَأَقْلَ قَلِيلٍ عَمَلًا «شَرًّا» وَسُوءًا «يَرَهُ» فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي تَفْسِيرِ الدَّرَةِ قَالَ: إِذَا وَضَعْتَ رَاحَتَكَ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعْتَهَا، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا لَرَقَ بِهَا مِنَ التُّرَابِ ذَرَّةٌ^٧.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٥٩، تفسير أبي السعود ٩: ١٨٨، تفسير روح البيان ١٠: ٩٣.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ٥٩، تفسير أبي السعود ٩: ١٨٨. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ٦٠.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٩٣. ٥. تفسير القمي ٣٢: ٤٣٣، تفسير الصافي ٥: ٣٥٨.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ٦٠. ٧. تفسير الرازي ٣٢: ٦١، تفسير روح البيان ١٠: ٩٤.

وعنه عليه السلام: ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله إياه، أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيردّ حسناته تحسيراً له ويُعَذِّبُ بسيئاته^١.

وعن الباقر عليه السلام - في هذه الآية - قال: «يقول: إذا كان من أهل النار وقد عمل في الدنيا مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة حسرة، إنه كان عمله لغير الله، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يقول: إذا كان من أهل الجنة وعمل شراً، رأى ذلك الشر يوم القيامة ثم يغفر له»^٢.

وقيل: من يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فإنه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى يلقي الآخرة، وليس فيها شيء، وهو مروى عن ابن عباس^٣.

قيل: نزلت هذه الآية في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل، فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ما هذا بشيء، وإنما نؤجر على ما نعطى^٤، وكان الآخر يتهاون بالذنوب اليسير، ويقول: لاشيء عليّ من هذا، إنما الوعيد بالنار على الكبائر، فنزلت هذه الآية ترغيباً في القليل من الخير، فإنه يوشك أن يكثُر، وتحذيراً من اليسير من الذنب، فإنه يوشك أن يكبر^٥.
قيل: إنها أحكم آية، وسميت الجامعة^٦.

روى أن جدّ الفرزدق بن صعصعة بن ناجية أتى رسول الله صلى الله عليه وآله يستقرئنه، فقرأ هذه الآية، فقال: حسبي حسبي، فألقى نفسه على الأرض وبكى^٧.

وزُوي أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: علّمني ممّا علّمك الله، فدفعه إلى رجلٍ يُعلّمه القرآن، فعلمه «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ» حتى بلغ «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» إلى آخره، فقال: حسبي، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: «دَعَهُ فَقَدْ فَهِمَ الرَّجُلُ»^٨.

وفي الحديث العامي: «إذا زلزلت تعدّل ربع القرآن»^٩ وفي بعض الأخبار أنها تعدّل نصف القرآن^{١٠}.
وعن الصادق عليه السلام: «لَا تَمْلُوا مِنْ قِرَاءَةِ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلَزَلَتِهَا﴾ فَإِنَّ مِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ فِي نَوَافِلِهِ لَمْ يَصِبْهُ اللَّهُ بِزَلْزَلَةٍ أَبَدًا، وَلَمْ يَمُتْ بِهَا، وَبِصَاقَةِ، وَلَا بَاقَةٍ مِنْ أَقَاتِ الدُّنْيَا، فَإِذَا مَاتَ أَمَرَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي أَبْهَتَكَ جَنَّتِي، فَاسْكُنْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتَ وَهَوَيْتَ...» الخبر^{١١}.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٦١، تفسير أبي السعود ٩: ١٨٩، تفسير روح البيان ١٠: ٤٩٤.

٢. تفسير القمي ٧: ٤٣٣، تفسير الصافي ٥: ٣٥٨. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ٦١.

٤. في النسخة: يؤخر على ما يعطى. ٥. تفسير الرازي ٣٢: ٦٢، وفي النسخة: أن يكثُر.

٦. مجمع البيان ١٠: ٨٠٠، تفسير الصافي ٥: ٣٥٨، تفسير روح البيان ١٠: ٤٩٥.

٧-١٠. تفسير روح البيان ١٠: ٤٩٥.

١١. ثواب الأعمال: ١٢٤، مجمع البيان ١٠: ٧٩٦، تفسير الصافي ٥: ٣٥٩.

في تفسير سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَنْزَلَ بِهِ نَفْعًا
* فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا [١-٥]

ثم لما خُتِمت سورة الزُّلزال المتضمنة لبعض أحوال القيامة، وحشر الناس إلى الموقف، وشهادة الأرض بأعمالهم، نُظِمت سورة ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ المتضمنة لبيان بعث الناس من القبور، وشهادة الانسان على نفسه بالكفران، وبيان علم الله تعالى بأعمال الناس من خيرٍ أو شرٍّ، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنی بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بالقسم بخيل الغزاة والمجاهدين في سبيل الله حال عَدْوِها بقوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ من الخيل نحو الأعداء، وهي تَضْبِحُ وتتَنَفَّسُ من شِدَّةِ العَدُوِّ ﴿ضَبْحًا﴾ ونفساً له صوت، ليس بصهيل وَحَمَمَةٍ، يُسَمِعُ من أفواه الأفراس^١ وأجوافها. وقيل: إن العَدُوَّ لَمَّا كَانَ ملازماً للضَّبْحِ^٢، كأنه أراد بالعاديات الضابحات، والمعنى، والضابحات ضبْحاً شديداً ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ والمُخْرِجَاتِ للنار من الأحجار ﴿قَدْحًا﴾ وضرباً بحوافرهنَّ وسنابكهنَّ الحجارة، فإنَّ الإبراء من لوازم العَدُوِّ الشديد في أرض ذات حجارة.

عن ابن عباس: يُريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل، فأورت منه النار، مثل الرُّند إذا قدح^٣. وقيل الإبراء بالقدح وحبك حوافر الخيل كناية عن تهيج الحرب بين أصحاب الخيل وبين عَدُوِّهم^٤.

وقيل: أريد من الموريات جماعة الغزاة^٥ يورون النار بالليل لحوائجهم وطعامهم. وقيل: الموريات أفكار الرجال تُوري نار المكر والخديعة، ونُسب ذلك إلى ابن عباس^٦.

٥٣. تفسير الرازي ٣٢: ٦٥.

١. في النسخة: الفرس. ٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤٩٦.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ٦٥.

وقيل: أريد بالموريات قدحاً المُنجحات أمراً، والمراد الذين وجدوا مقصودهم وفازوا بمطلوبهم من الغزو^١.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ على عدوّ حال كون الوقت ﴿صُبْحاً﴾ كما هو المعتاد عند العرب على ما قيل في الغارات يَنْدُون ليلاً لثلاث يشعُر بهم العدو، وَيَهْجُمُونَ عليهم صباحاً على حين الغفلة ليروا ما يأتون وما يَدْرُونَ^٢.

﴿فَأَثَرُنَ﴾ وهيجن ﴿بِهِ﴾ قيل: يعني بالعدوّ^٣. وقيل: يعني في ذلك الوقت، أو في ذلك المكان^٤ ﴿نَقْعاً﴾ وغباراً أو صباحاً^٥ من النواجع. قيل: إنّه عطف على الفعل الذي دلّ عليه اسم الفاعل، والمعنى: واللاتي عَدَوْنَ فأورين، وأغرّن وأثرن^٦ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ وفي ذلك الوقت، أو بسبب العدوّ ﴿جَمْعاً﴾ من جموع الأعداء، ودخلن بينهم^٧.

روى أنّه بعث رسول الله ﷺ إلى الناس من بني كنانة سرّية، واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري، وكان أحد النّبءاء، فأبطأ عليه خبرها شهراً، فقال المنافقون: إنهم قُتِلُوا، فنزلت السورة إخباراً للنبي ﷺ بسلامتها، والبشارة له بإغارتها على القوم^٨.

وفي (الأمالي) عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن هذه السورة فقال: «وَجّه رسول الله ﷺ عمر بن خطاب في سرّية فرجع منهزماً يُجَبِّن أصحابه ويُجَبِّنونه، فلمّا انتهى إلى النبي ﷺ قال لعليّ عليه السلام: أنت صاحب القوم، فسر أنت ومن تُريد من فرسان المهاجرين والأنصار، فوجه رسول الله ﷺ وقال له: اكْمُنْ النهار وسِرْ الليل ولا تفرّك العين، قال: «فانتهى عليّ، إلى ما أمره رسول الله ﷺ فسار إليهم، فلمّا كان عند الصبح أغار عليهم، فأنزل الله على نبيّه: ﴿وَأَلْعَادِيَاتِ﴾ إلى آخرها»^٩.

والقمي عنه: «أنّها نزلت في أهل وادي اليباس ... اجتمعوا اثني عشر ألف فارس، وتعاقدوا وتعاهدوا وتواتقوا [على] أن لا يتخلف رجلٌ عن رجلٍ، ولا يخذل أحدٌ أحداً، ولا يفرّ رجلٌ عن صاحبه حتّى يموتوا كلّهم على حلفٍ واحدٍ، ويقتلوا محمداً ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فنزل جَبْرِئِيلُ فأخبره بقصّتهم، وما تعاقدوا عليه وتواتقوا وأمره أن يبعث أبا بكر إليهم في أربعة آلاف من المهاجرين فضدّ رسول الله ﷺ الميْبَر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا معشر المهاجرين والأنصار، إنّ جَبْرِئِيلَ قد أخبرني أنّ أهل وادي اليباس اثنا عشر ألفاً استعدّوا وتعاهدوا وتعاقدوا على

١. تفسير الرازي ٣٢: ٦٥.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٤٩٦.

٣. في النسخة: صباحاً.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ٦٦.

٥. في النسخة: بينهم.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ٦٦، وفي النسخة: وأغرّين وأثرن.

٧. في النسخة: بينهم.

٨. تفسير روح البيان ١٠: ٤٩٧.

٩. أمالي الطوسي: ٩١٣/٤٠٧، تفسير الصافي ٥: ٣٦١.

أن لا يغير رجلٌ منهم بصاحبه، ولا يفرّ عنه، ولا يتخذله حتّى يقتلوني وأخي علي بن أبي طالب، وأمرني أن أسير إليهم أبابكر في أربعة آلاف فارس، فجَدُوا في أمركم، واستعدوا لعدوكم، وانهضوا إليهم على اسم الله وبركته يوم الاثنين إن شاء الله.

فأخذ المسلمون عُدَّتْهم وتَهَيَّؤوا، وأمر رسول الله ﷺ أبابكر بأمره، وكان فيما أمره به أنّه إذا رآهم أن يعرض عليهم الاسلام، فإنّ تابعوا وإلاّ واقعههم - أي حاربهم.

فقتل مقاتليهم، وسبي ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرب ضياعهم وديارهم. فمضى أبوبكر ومن معه من المهاجرين والأنصار في أحسن عُدّة وأحسن هيئة، يسير سيرا رفيقاً حتّى انتهوا إلى أهل وادي اليباس، فلمّا بلغ القوم نزولهم عليهم، ونزل أبوبكر وأصحابه قريباً منهم، خرج عليهم من أهل وادي اليباس مائتا رجل مدججين بالسلاح، فلمّا صادفهم قالوا لهم: من أنتم، ومن أين أقبلتم، وأين تريدون؟ ليخرج إلينا صاحبكم حتّى نُكَلِّمه.

فخرج إليهم أبوبكر في نفرٍ من أصحابه المسلمين، فقال لهم: أنا أبوبكر صاحب رسول الله. قالوا: ما أقدمك علينا؟ قال: أمرني رسول الله أن أعرض عليكم الاسلام، وأن تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون، ولكم ما لهم، وعليكم ما عليهم، وإلاّ فالحرب بيننا وبينكم. قالوا: أما والآلات والعزى، لولا رَجِمَ مائة وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن [يكون] بعدكم، فارجع أنت ومن معك وارتجوا العافية، فإنّا نريد صاحبكم بعينه وأخاه علي بن أبي طالب.

فقال أبوبكر لأصحابه: يا قوم، القوم أكثر منكم أضعافاً، وأعدّ منكم، وقد نأت داركم عن إخوانكم المسلمين، فارجعوا لتعلم رسول الله بحال القوم. فقالوا له جميعاً: خالفت يا أبابكر رسول الله ﷺ وما أملك به، فأتى الله، وواقع القوم، ولا تخالف قول رسول الله. فقال: إني أعلم ما لا تعلمون، والشاهد يرى ما لا يرى الغالب.

فانصرف وانصرف الناس اجمعون، فأخبر النبي ﷺ بمقالة القوم، وما رده عليهم أبوبكر، فقال ﷺ: يا أبابكر، خالفت أمري، ولم تفعل ما أمرتك، فكنت لي والله عاصياً فيما أمرتك.

فقام النبي ﷺ وصعد المِئْبَر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر المسلمين، إني أمرت أبابكر أن يسير إلى أهل وادي اليباس، وأن يعرض عليهم الاسلام، ويدعوهم إلى الله، فان أجابوه وإلاّ واقعههم، وإنه سار إليهم وخرج منهم إليه مائتا رجل، فلمّا سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ سَخْرُهُ^١.

١. في المصدر: وارتجوا.

٢. في المصدر والنسخة وتفسير الصافي: صدره، وانتفخ سَخْرُهُ: امتلأ خوفاً وجَبْن.

ودخله الرُعب منهم، وترك قلبي، ولم يُطع أمري، وإن جَبَرْتِيلَ أمرني عن الله أن أبعث إليهم عمر مكانه في أربعة آلاف فارس، فسير يا عمر على اسم الله، ولا تعمل كما عَمِلَ أبوبكر أخوك، فإنه قد عصى الله وعصاني، وأمره بما أمر به أبابكر.

فخرج عمر والمهاجرون والأنصار الذين كانوا مع أبي بكر، يقتصد بهم في مسيرهم حتى شارفوا القوم، وكانوا قريباً بحيث يراهم ويرونه، وخرج إليهم مائتا رجل، وقالوا له ولأصحابه مثل مقاتلهم لأبي بكر، فانصرف وانصرف الناس معه [وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عَدَّة القوم وجمعهم، ورجع يهرب منهم.

فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر محمداً ﷺ بما صنع هذا وأنه قد انصرف وانصرف المسلمون معه، فصعد النبي ﷺ المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبر بما صنع عمر، وما كان منه، وأنه قد انصرف وانصرف المسلمون معه مخالفاً لأمر عاصياً لقولي، فقدم عليه فأخبره بمثل ما أخبر به صاحبه، فقال رسول الله: يا عمر، عصيت الله في عرشه وعصيتني، وخالفت قلبي، وعملت برأيك، ففتح الله رأيك، وإن جَبَرْتِيلَ أمرني أن أبعث علي بن أبي طالب في هؤلاء المسلمين، وأخبرني أن الله يفتح عليه وعلى أصحابه.

فدعا علياً، وأوصاه بما أوصاه به أبابكر وعمر، وأصحابه أربعة آلاف، وأخبره أن الله سيفتح عليه وعلى أصحابه، فخرج علي عليه السلام ومعه المهاجرون والأنصار، وسار بهم غير سير أبي بكر وعمر، وذلك أنه أعف بهم [في] السير حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب وتخفى^١ دوابهم، فقال لهم: لاتخافوا فإن رسول الله قد أمرني بأمر وأخبرني أن الله سيفتح علي وعليكم، وابتشروا فأنكم على خير، وإلى خير. فطابت نفوسهم وقلوبهم، وصاروا على ذلك السير والتعب حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونهم ويراهم، أمر أصحابه أن ينزلوا، وسمع أهل وادي اليباس بمقدم علي بن أبي طالب وأصحابه، فاخرجوا إليهم منهم مائتي رجل شاكين بالسلاح.

فلما رآهم علي عليه السلام خرج إليهم في نفر من أصحابه، فقالوا لهم: من أنتم، ومن أين أقبلتم، وأين تريدون؟ قال علي عليه السلام: أنا على بن أبي طالب، ابن عم رسول الله وأخوه، ورسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ولكم إن أمتم ما للمسلمين، وعليكم ما على المسلمين من خير وشر. فقالوا له: إياك أردنا وأنت طليتنا، قد سمعنا مقاتلك، فخذ حذرَكَ، واستعدَّ

للحرب العوان^١. واعلم أنا قاتلوك وقاتلوا أصحابك، والموعود فيما بيننا وبينك غداً [ضحوه]، وقد أعدرنا فيما بيننا وبينك.

فقال علي عليه السلام: ويلكم تُهدّدوني بكثرتكم وجمعكم، فأنا استعين بالله وبملائكته والمسلمين عليكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فانصرفوا إلى مراكزهم، وانصرف علي إلى مركزه. فلما جئته الليل أمر أصحابه أن يحسنوا^٢ إلى دوابهم ويقضوا^٣ ويُسْرِجوا، فلما انشَقَّ عمود الصبح صَلَّى بالناس بَعَسَ، ثم غار عليهم بأصحابه، ولم يعلموا حتى وطئتهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرب ديارهم، وأقبل بالأسارى والأموال معه.

فنزل جَبْرِئِيل وأخبر رسول الله ﷺ بما فتح الله على علي عليه السلام وجماعة المسلمين، فصعد رسول الله المُنْبَر، فحمد الله وأثنى عليه، أخبر الناس بما فتح الله على المسلمين، وأعلمهم أنه لم يُصب منهم إلا رجلين ونزل، فخرج يستقبل علياً عليه السلام في جميع أهل المدينة من المسلمين حتى لقيه على ثلاثة أميال من المدينة، فلما رآه علي عليه السلام مقبلاً نزل عن دابته، ونزل النبي ﷺ حتى التزمه وقبل ما بين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلى حيث نزل رسول الله ﷺ وأقبل بالغنيمة والأسارى وما رزقهم الله من أهل وادي اليباس^٤.

ثم قال الصادق عليه السلام: «ما اغتم المسلمون مثلها قط، إلا أن يكون من خيبر، فأنها مثل خيبر، وأنزل الله في ذلك اليوم هذه السورة ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ يعني بالعاديات، الخيل تعدو بالرجال، والضبح: ضبحها في أغبتها ولججها ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ * فَالْمُفِيرَاتِ ضَبْحًا﴾ فقد أخبرك أنها غارت عليهم ضَبْحًا ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ قال: يعني الخيل يَأْثُرُن بالوادي [نقعا] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا...﴾» الخبر^٥.

وروى بعض العامة عن علي عليه السلام وابن مسعود، أن المراد بالعاديات الإبل^٥. ورووا عن ابن عباس أنه قال: بينا أنا أجالس في الحجر إذ أتاني رجل فسألني عن ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ففسرتها بالخييل، فذهب إلى علي عليه السلام وهو تحت سقاية زمزم، فسأله وذكر له ما قلت، فقال: «ادعُ لي» فلما وقفت على رأسه قال: تُعْتِي الناس بما لا علم لك به! والله إن كانت لأول غزوة في الاسلام بدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ الإبل من

١. وهي الحرب التي قُوتل فيها مرة بعد أخرى كأنهم جعلوا الأولى بكرًا، والحرب العوان، هي أشد الحروب.

٢. في النسخة: يجيئوا.

٣. أقضم القوم: اماروا شيئاً قليلاً في القحط، وأقضم الدابة: علفها القضم، وهو نبت من الحمض.

٤. تفسير القمي ٢: ١٣٤، تفسير الصافي ٣٦١: ٥. تفسير الرازي ٣٢: ٦٣.

عرفة إلى: مُزْدَلِفَة، ومن المُزْدَلِفَة إلى مِنى، يعني إبل الحاج. قال ابن عباس: فرجعت من قولي إلى قول علي عليه السلام^١.

وعلى هذا «فَالْمُورِيَّاتِ قَدْ حَا» يعني أَنَّ الحوافر ترمي بالحجر من شدة الغدو، فتضرب به حجراً آخر فتوري النار^٢، أو المراد إبراء الحاج النيران لحوائجهم بالمُزْدَلِفَة^٣. والمراد بالمغيرات صباحاً المسرعات من المُزْدَلِفَة إلى مِنى في صُبح يوم النحر^٤. قالوا: الإغارة جاء بمعنى السرعة في السير، وأثرن بالغدو نفعاً وغباراً. وقيل: النَّقْع اسم للوادي الذي بين المُزْدَلِفَة ومِنى^٥.

وقوله: «فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً» يعني توسط بالعدو المزدلفة، فإن المزدلفة تسمى جَمْعاً لاجتماع الناس فيها، والغرض من القسم بإبل الحاج، أو بخيل الغزاة في سبيل الله، إظهار شرفها المشعر بغاية كرامة راكمها وفضلهم، والترغيب في الجهاد والحج.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ *
أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ [٦-١١]

ثم ذكر سبحانه المُقَسَّم عليه بقوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ» بالطبع والجبلة الأصلية «لِرَبِّهِ» المُنعم عليه بالنعم العظام «لَكَنُودٌ» وكفور، كما عن ابن عباس وجمع من المفسرين^١. وعن أبي أمامة، عن النبي ﷺ: «أَنَّ الكنود الكفور الذي يمنع رُفده، ويأكل وحده، ويضرب عبده»^٢ وقيل: أصل الكنود مانع الحق والخير^٣. وقيل: إِنَّه البخيل^٤. وقيل: يعني لَوَام لربه يذكر المصيبات، وينسى النعم^٥. وعلى أي تقدير يكون ببخله وعصيانه ومنعه حقوق ربه ونسيانه نعمه شديد الكفران. «وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ» المذكور من كفرانه لربه «لَشَهِيدٌ» يشهد بذلك على نفسه، لظهور آثاره في أخلاقه وأفعاله بحيث لا يمكنه إنكاره «وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ» والاشتياق إلى الأموال الدنيوية «لَشَدِيدٌ» وبالغ غايته، وإنما سَمَى المال خيراً جرياً على عادة الناس.

ثم ذمّه سبحانه على كفرانه لنعم ربه مع علمه بكفرانه، وإكثاره في حب المال المستلزم للبخل الشديد، وغفلته عن سوء عاقبته بقوله: «أَفَلَا يَعْلَمُ» هذا الانسان الكفور الطالب لمال الدنيا أَنَّ الله مجازيه ومعاقبه على سيئاته «إِذَا بُعْثِرَ» وأخرج «مَا فِي الْقُبُورِ» من الأموات وُبِعث إلى المحشر

١- ٢. تفسير الرازي ٣٢: ٦٣.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٦٣.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ٦٧، عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة.

٣- ٧. تفسير الرازي ٣٢: ٦٧.

للمجازاة على أعمالهم في الدنيا ﴿وَحُصِّلَ﴾ وأخرج كما يخرج الدّهن من اللّبن ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ من ضماير السوء والنّيات الرديّة الفاسدة وكُشِفَ عنها، فضلاً عن أعمالهم القبيحة الجلية ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ﴾ وخالق أرواحهم وأجسادهم وقلوبهم وشرائر وجودهم ﴿بِهِمْ﴾ وبأعمالهم وأحوالهم وأخلاقهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وحين خروجهم من القبور ﴿لَخَبِيرٌ﴾ بصيرٌ، فيجازيهم على أعمالهم من النّقيير والقطمير. وفي الرواية السابقة عن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال: «لكفور». ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ قال: «يعنيهما، قد شهدا [جميعاً] وادي اليابس، وكانا لحب الحياة حريصين»، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ إلى آخر السورة قال: «نزلت الآيتان فيهما خاصة، يُضميران ضمير السوء، ويعملان به،

فأخبره الله خبرهما وفعالهما»^١.

وعنه عليه السلام: «من قرأ سورة والعاديات، وأدمن قراءتها، بعثه الله عزّ وجلّ مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم القيامة، وكان في رفقائه»^٢.

١. تفسير القمي ٢: ٤٣٩، تفسير الصافي ٥: ٣٦٥.

٢. ثواب الأعمال: ١٢٥، مجمع البيان ١٠: ٨٠١، تفسير الصافي ٥: ٣٦٥.

في تفسير سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْقَارِعَةُ * مَا أَلْقَارِعَةُ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا أَلْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ
الْمَبْنُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ [٥-١]

ثم لما ختمت سورة «وَالْعَادِيَاتِ» المتضمنة لبيان خروج الناس من القبور، نُظِمت سورة القارعة المُنِيَّة بكيفية البعث والمُخِيرَةِ بحساب الأعمال وحُسن حال المؤمنين، فافتتحها بذكر الاسماء الحسنى بقوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

ثم شرع فيها ببيان بعض أهوال القيامة بقوله: «أَلْقَارِعَةُ» والحادثة العظيمة التي تفرع القلوب والأسماع. ثم بالغ سبحانه في تهويلها بقوله: «مَا أَلْقَارِعَةُ» وأي يوم عجيب هي في الفخامة والفظاعة والشدة، وكرّر سبحانه ذكر القارعة لازدياد التهويل والتأكيد.

ثم لما استفهم عن شئونها تعجيباً له، بين أن شأنها وعظم خطرها مما لا تأناله البشرية إلا بالوحي السماوي بقوله: «وَمَا أَذْرَاكَ» يا محمد، وأي شيء أعجب «مَا أَلْقَارِعَةُ» وما مقدار عظمتها؟ فإن عظم شأنها فوق إدراك البشر. قيل: إنما سُميت القيامة بالقارعة لأن الفزع هو الضرر، وفي القيامة تصطك^١ الأجرام العلوية والسفلية اصطكاً شديداً عند تخريب عالم الدنيا، أو لأن القيامة تُفزع الناس بالأهوال الاقراع حيث إن السماوات تنشق وتنفطر، والشمس والقمر تتكوران، والكواكب تنتثر، والجبال تندك، والأرض تزلزل وتبدل، أو لأنها تُفزع أعداء الله بالعذاب والخزي والückال^٢.

ثم بين سبحانه بعض أهوالها بقوله: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ» بعد إحيائهم وبعثهم من القبور «كَالْفَرَاشِ» والحيوانات التي تطير وتهافت على السراج فتحترق «الْمَبْنُوثِ» والمُفْرَق في الهواء والأرض، لاتوجه إلى جهة واحدة. قيل: وجه الشبه الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطايير إلى الداعي كطايير الفَرَّاش إلى النار^٣.

١. في النسخة: اصطك. ٢. تفسير الرازي ٣٢: ٧٠.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٤٩٩.

وقيل: وجه الشبه في الآية اختلافهم إلى جهاتٍ مختلفةٍ، وتشبيهم في الآية الأخرى بالجِراد المنتشر في الكثرة^١.

ثم إنه تعالى بعد بيان تفرق الناس في وجه الأرض، بيّن سبحانه سعة وجه الأرض بقوله: ﴿وَتَكُونُ﴾ في ذلك اليوم ﴿الْجِبَالُ﴾ التي على وجه الأرض ﴿كَالْعِهْنِ﴾ والصُّوف المتلون بالألوان المختلفة ﴿الْمَنْقُوشِ﴾ والمتفرقة^٢ أجزاءه بالندف، والمنشور بالإصبع أو آلة أخرى، وفيه تنبيه على أن حال الجبال الرواسي إذا كان كذلك عند القارعة، فكيف يكون حال الانسان الضعيف!

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ *

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارٌ حَامِيَةٌ [٦-١١]

ثم بيّن سبحانه اختلاف الناس في مقدار الأعمال الحسنة حيث إنها توزن في ذلك اليوم بالميزان بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وأعماله الموزونة، أو كفة ميزان أعماله الحسنة حين تُوضَع فيها بعد تَجَسُّمها، أو تُوضَع صحتها فيها ﴿فَهُوَ﴾ سبب رُجحان أعماله الحسنة على أعماله السيئة مستقرٌ ﴿فِي عِيشَةٍ﴾ وحياة ﴿رَاضِيَةٍ﴾ محبوبة. قيل: يعني ذات رضا، يرضى بها صاحبها^٣. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ﴾ في ذلك اليوم ﴿مَوَازِينُهُ﴾ لقلّة حسناته وكثرة سيئاته ﴿فَأُمُّهُ﴾ التي يأوي إليها كالولد هي ﴿هَاوِيَةٌ﴾ وجهنم يهوى فيها. وقيل: يعني أم رأسه هاوية في النار، فإن أهل النار يهونون فيها على رؤوسهم^٤. وقيل: إن أمه هاوية كناية عن الهلاكة، فإن العرب إذا دعوا على رجلٍ بالهلاك قالوا: هوت أمه، لأن الهالك تهوي أمه حزناً وتكلاً^٥.

ثم عظم سبحانه الهاوية أو الداهية التي دلّ عليها قوله: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ يا محمد ﴿مَا هِيَةٌ﴾ وما حقيقتها؟ ثم أعلمه بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أشدّ الحرارة بحيث تكون سائر النيران بالنسبة إليها باردة، نعوذ بالله منها.

عن الباقر (عليه السلام): «من قرأ وأكثر من قراءة القارعة، آمنه الله من فتنة الدجال أن يؤمن به ومن قبح^٦ جهنم يوم القيامة»^٧ قد تم تفسيرها بتوفيق الله تعالى ومنه.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٤٩٩. ٢. في النسخة: والمتفرق.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ٧٣، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٠. ٤ و ٥. تفسير الرازي ٣٢: ٧٤، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٠.

٦. في ثواب الأعمال، وتفسير الصافي: فيح، والفيح: سطوع الحرّ وفورانه.

٧. ثواب الأعمال: ١٢٥، مجمع البيان ١٠: ٨٠٦، تفسير الصافي ٥: ٣٦٧.

في تفسير سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ [١ و ٢]

ثم لما حُتِمت سورة القارعة المتضمنة لتهويل يوم القيامة وبيان بعض أهواله، وتهديد العصاة بالهلاوية، نُظِمت سورة التكاثر المتضمنة لتوبيخ الناس على الغفلة عن التفكر في الآخرة، وعدم الاشتغال بما يُنجيهم من الأهوال والعذاب فيها من طاعة الله ورسوله، وتهديدهم برؤية الجحيم، والسؤال عن النعم الدنيوية، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع سبحانه بتوبيخ الناس على الغفلة عن الآخرة بالاشتغال بالدنيا بقوله: ﴿أَلْهَاكُمْ﴾ وَصَرَّفَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ تَوْحِيدِهِ، وَالتَّوَدُّعِ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَتَحْصِيلِ مَوْجِبَاتِ السَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ ﴿التَّكَاثُرُ﴾ وَالتَّفَاخُرِ وَالتَّبَاهِي بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَالْأَقْرَبَاءِ ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ وَتَوَجَّهْتُمْ إِلَى الْأَمْوَاتِ، وَاسْتَوْعَبْتُمْ عَدَدَهُمْ، وَتَفَاخَرْتُمْ بِكَثْرَةِ أَقْرَبَائِكُمْ مِنْهُمْ.

رُوي أَنَّ بَنِي سَهْمٍ وَبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَفَاخَرُوا أَيُّهُمْ أَكْثَرُ، فَكَانَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ أَكْثَرُ، فَقَالَ بَنُو سَهْمٍ: عُدُّوا مَجْمُوعَ أَحْيَانِنَا وَأَمْوَاتِنَا [مع] مَجْمُوعَ أَحْيَانِكُمْ وَأَمْوَاتِكُمْ، فَفَعَلُوا فَزَادَ بَنُو سَهْمٍ، فَنَزَلَتْ^١.

وَأَمَّا عَبْرُ سَبْحَانِهِ عَنْ انْتِقَالِهِمْ إِلَى ذِكْرِ الْأَمْوَاتِ بِزِيَارَتِهِمْ لِلتَّهَكُّمِ بِهِمْ، فَإِنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ الَّتِي حَقَّهَا أَنْ تَكُونَ مُذَكِّرَةً لِلْمَوْتِ مُرَغَّبَةً إِلَى الرَّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا وَتَرْكِ التَّبَاهِي وَالتَّفَاخُرِ، جَعَلُوهَا سَبَبًا لِلْقِسْوَةِ وَحُبِّ الدُّنْيَا.

وقيل: إِنَّ الْمَعْنَى الْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، إِلَى أَنْ مُتَّمْ وَأَقْبَرْتُمْ مُضِيعِينَ أَعْمَارَكُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، مُعْرِضِينَ عَمَّا يَهْتَمُّكُمْ مِنَ السَّعْيِ لِآخِرَتِكُمْ، فَتَكُونُ زِيَارَةُ الْقُبُورِ كَنَايَةً عَنِ الْمَوْتِ^٢.

رُوي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ أَنَّهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ وَيَقُولُ بَعْدَهَا: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ، مَالِي مَالِي، وَهِيَ لَكَ إِلَّا مَا

١. تفسير الرازي ٣٢: ٧٦، تفسير أبي السعود ٩: ١٩٥، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٢.

٢. تفسير أبي السعود ٩: ١٩٥، تفسير الصافي ٥: ٣٦٨، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٢.

أكلت فأفنت، أو لبست فأبلت، أو تصدقت فأضيت؟^١.

وفي التعبير عن ورود القبر بالزيارة إشعاراً بالخروج منه إلى الحشر وموقف الحساب، حيث إن الزائر منصرف ومفارق لأميق، وإنما لم يذكر سبحانه الملهى عنه ليذهب ذهن السامع كل مذهب، فيحتمل جميع ما فيه السعادة الأبدية والخيرات الأخروية وما فضل به [من] المقامات العالية والدرجات الرفيعة.

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ [٣-٦]

ثم رد سبحانه المتكاثرين عما هم فيه من التكاثر بقوله: «كَلَّا» ليس الأمر كما تتوهمون من أن السعادة بكثرة العدد أو المال والأولاد «سَوْفَ تَعْلَمُونَ» خطأكم، وعن قرب تطلعون على ضلالتكم، وذلك العلم والإطلاع حين خروج روحكم من أبدانكم، حيث إنكم حينئذ ترون وحدتكم وعدم نفع الأقرباء والأموال لكم وشدائد الأهوال قدامكم، أو حين دخولكم في القبور، حيث إنكم تُعَذَّبون فيها ولا ناصر لكم.

في الحديث: يُسَلَّطَ على الكافر في قبره تسعة وتسعون نَيْنًا تُنْهَشُهُ وتُلْدَغُهُ حتى تقوم الساعة، لو أن نَيْنًا منها نفخ في الأرض ما أنبت خضراء^٢.

وعن الصادق عليه السلام: «لو دخلتم قبوركم»^٣.

ثم أكد سبحانه التهديد بقوله: «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» وفي لفظ «ثُمَّ» دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول، لأن فيه تنزيلاً بعد المرتبة منزلة بعد الزمان.

وقيل: إن التهديد الأول بعذاب القبر، والثاني بأهوال القيامة، كما روي عن ذر أنه قال: ما زلنا نُشَكُّ في عذاب القبر حتى سمعت علياً عليه السلام يقول: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» أي سوف تعلمون في القبر، ثم في القيامة^٤.

وقيل: إن الأول عند الموت حين يقال له: لا بشرى، والثاني في سؤال القبر، من ربك، ومن نبيك، وما دينك؟^٥

١. مجمع البيان ١٠: ٨١٢، تفسير الصافي ٥: ٣٦٨، تفسير الرازي ٣٢: ٧٧، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٢.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٣.

٣. روضة الواعظين: ٤٩٣، عن النبي ﷺ، تفسير الصافي ٥: ٣٦٩، لم ينسبه إلى أحد.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ٧٨، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٣. ٥. تفسير الرازي ٣٢: ٧٨، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٣.

عن الصادق عليه السلام: «لو خرجتم من قبوركم إلى محشركم».

وقوله: «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ»^١ عند النشور حين ينادي المنادي: فلان شقي شقاوة لاسعادة بعدها أبداً أو حين يقال: «وَأَمَّا زُوا الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ»^٢.

وعن الصادق عليه السلام قال: «ذلك حين يُؤْتَى بالصراط فيُنْصَب بين جسري جهنم»^٣.

وتوصيف العلم باليقين وإضافته إليه، للدلالة على قوة العلم.

وعن الصادق عليه السلام في الآية قال: «المعاينة»^٤.

وقيل: إن المراد باليقين الموت والبعث والقيامة، لأنهما إذا وقعا جاء اليقين وزال الشك، فالمعنى: لو تعلمون علم الموت وما يليق الإنسان معه وبعده في القبر وفي الآخرة لم يلهكم التكاثر والتفاخر عن ذكر الله وعن الاستعداد للآخرة^٥.

وقيل: إن المعنى لو تعلمون ما يجب عليكم لتمسككم به، أو لو تعلمون لأي أمر خلقتكم لاشتغلتم به^٦. وقيل: يعني لو تعلمون ما بين أيديكم على الأمر اليقين، أي ما تستيقنون، لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه، ولكنكم ضلّال جهلة^٧.

ثم أوضح سبحانه ما أبهمه من الإنذار والوعيد بقوله: «لَتَرَوُنَّ» رؤية العين «الْجَحِيمَ» يوم القيامة، وهو جواب قسم مقدّر، والمعنى: والله لترونها.

وقيل: إنه جواب «لَوْ»^٨ والمعنى: لو تعلمون الجزاء علم اليقين الآن لَتَرَوُنَّ رؤية بالقلب الجحيم، وتكون دائماً في نظركم، لاتغيب عنكم أصلاً.

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ [٧ و ٨]

ثم أكد سبحانه ذلك بقوله: «ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا» رؤية تكون هي «عَيْنَ الْيَقِينِ» ونفسه، وفي جعل الرؤية التي هي سبب اليقين من المبالغة ما لا يخفى.

وقيل: إن الرؤية أولاً من البعيد، والثانية إذا صاروا إلى شفير جهنم^٩. وقيل: تَكَرَّارها للدلالة على دوامها^{١٠}.

١. روضة الواعظين: ٤٩٣، عن النبي صلى الله عليه وآله تفسير الصافي ٥: ٣٦٩، لم ينسبه إلى أحد.

٢. يس: ٥٩/٣٦. ٣. روضة الواعظين: ٤٩٣، عن النبي صلى الله عليه وآله تفسير الصافي ٥: ٣٦٩، لم ينسبه إلى أحد.

٤. المحاسن: ٢٤٧/٢٥٠، تفسير الصافي ٥: ٣٦٩. ٥ و ٧. تفسير الرازي ٣٢: ٧٩.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ٧٩. ٨. تفسير الرازي ٣٢: ٧٨.

٩. تفسير الرازي ٣٢: ٨٠. ١٠. تفسير الرازي ٣٢: ٨٠.

﴿تُمْ﴾ والله أيها المتكاثرون ﴿تَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ﴾ وفي وقت رؤية الجحيم ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾ الذي ألهاكم الانداز به عن الدين والعمل به، فتعذبون على كفرانه وترك شكره.

قيل: إن النعمة المسؤول عنها الصحة والغذاء^١، لما روي عن النبي ﷺ قال: «نعمتان معون فيهما كثير من الناس الصحة والغذاء»^٢. وقيل: هي الماء البارد، لقول النبي ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ الْعَبْدُ [عنه] مِنَ النَّعِيمِ فَيَقَالُ لَهُ: أَلَمْ نَصْحْ جَسْمَكَ، وَنَرُوكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ»^٣.

وقيل: إنها النعم الخمس شيع البطن، وبرد الشراب، ولذة النوم، وظلال المساكن، واعتزال الخلق^٤، كما عن الصادق عليه السلام^٥.

وقيل: ما سوى كين يؤويه، وثوب يواريه، وكسرة تقويه يسأل عنه^٦.

وقيل: هو نعمة وجود محمد ﷺ، وبعثه حيث قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾^٧. وعنهما عليه السلام: «هو الأمن والصحة»^٨.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «الرطب والماء البارد»^٩.

وفي (الغنية) قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ نَعِيمٍ مَسْئُولٌ عَنْهُ صَاحِبُهُ إِلَّا مَا كَانَ فِي غَزْوٍ أَوْ حِجٍّ»^{١١}. وعن الصادق عليه السلام قال: «تُسْأَلُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بِأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^{١٢}. وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث: «أَنَّ النَّعِيمَ الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ حَلَّ مَحَلَّهُ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ بِهِمْ عَلَى مَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ»^{١٣}.

وعن الصادق عليه السلام أنه سأل أبا حنيفة عن هذه الآية فقال: «ما النعيم عندك، يا نعمان؟» قال: القوت من الطعام والماء البارد. فقال: «لئن أوفقت الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كُلِّ أَكْلَةٍ أَكَلْتَهَا أَوْ شَرِبَةٍ شَرِبْتَهَا لِيُطَوَّلَنَّ وَقُوفُكَ بَيْنَ يَدَيْهِ».

قال: فما النعيم، جعلت فداك؟ قال: «نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا انتلفوا

١. في النسخة: المسئولة.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٤.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ٨٢ و٨١، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٤.

٤. روضة الواعظين: ٤٩٣، عن النبي ﷺ، تفسير الصافي ٥: ٣٦٩.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٤.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٤، والآية من سورة النحل: ٨٣/١٦.

٧. مجمع البيان ١٠: ٨١٢، تفسير الصافي ٥: ٣٦٩.

٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١١٠/٣٨، تفسير الصافي ٥: ٣٦٩.

٩. من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٢١/١٤٢، تفسير الصافي ٥: ٣٦٩.

١٠. تفسير القمى ٢: ٤٤٠، تفسير الصافي ٥: ٣٦٩. ١١. الاحتجاج: ٢٥٢، تفسير الصافي ٥: ٣٧٠.

بعد أن كانوا مختلفين، وبنا آلف الله بين قلوبهم، وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً، وبنا هداهم الله إلى الاسلام، وهو النعمة التي لاتنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم به عليهم، وهو النبي ﷺ وعترته ﺍﻟﻤﻮﺗﻪ ﺍﻟﻤﻮﺗﻪ.

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: «بلغني أنك تُفسّر النعيم في هذه الآية بالطعام الطيب والماء البارد في اليوم الصائف؟» قال: نعم. قال: «لو دعاك رجل واطعمك طعاماً طيباً وسقاك ماءً بارداً ثم امتن عليك به إلى ما كنت تنصبه؟» قال: إلى البخل. قال: «افتبّخل الله تعالى؟!» قال: فما هو؟ قال: «حُبنا أهل البيت»^٢.

وعن الرضا ﷺ قال: «ليس في الدنيا نعيم حقيقي» فقال له بعض الفقهاء ممّن حضر: يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أما هذا النعيم في الدنيا هو الماء البارد؟ فقال له الرضا ﷺ وعلا صوته: «كذا فسّرتموه أنتم، وجعلتموه على ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيب، وقال آخرون: هو طيب النوم، ولقد حدّثني أبي عن أبيه أبي عبد الله ﷺ أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عز وجل ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فغضب وقال: إن الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضّل عليهم به، ولا يمتنّ بذلك عليهم، والامتنان بالانعام مستقبّح من المخلوقين، فكيف يُضاف إلى الخالق عز وجل ما لا يرضى المخلوقون به؟! ولكن النعيم حبنا أهل البيت ومولاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة، لأنّ العبد إذا وفى بذلك أذاه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول»^٣.

وعن الصادق ﷺ - في هذه الآية - قال: «إن الله أكرم وأجل أن يُطعمكم طعاماً فسوّغكموه ثم يسألكم عنه، ولكن يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد وبآل محمد»^٤.

وعن الباقر ﷺ: «إنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق»^٥.

وعن الصادق ﷺ: «ثلاثة لا يحاسب العبد المؤمن عليهم: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تُعاونه ويُحصن بها فرجه»^٦.

وفي رواية قال: «إن الله أكرم من أن يسأل مؤمناً عن أكله وشربه»^٧.

١. مجمع البيان ١٠: ٨١٣، تفسير الصافي ٥: ٣٧٠. ٢. تفسير الصافي ٥: ٣٧٠، بحار الأنوار ١٠: ٢٢٠.

٣. عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٨/١٢٩، تفسير الصافي ٥: ٣٧٠.

٤. الكافي ٦: ٣/٢٨٠، تفسير الصافي ٥: ٣٧١. ٥. الكافي ٦: ٥/٢٨٠، تفسير الصافي ٥: ٣٧١.

٦. المحاسن ٨٠/٣٩٩، الكافي ٦: ٢/٢٨٠، تفسير الصافي ٥: ٣٧١.

٧. المحاسن: ٨١/٣٩٩، تفسير الصافي ٥: ٣٧١.

عن الصادق عليه السلام: «من ذكر اسم الله على الطعام، لم يُسأل عن نعيم ذلك الطعام»^١.
 أقول: الظاهر وجه الجمع بين الأخبار أن النعيم^٢ الذي يُسأل عنه جميع الناس، نعمة رسالة
 الرسول صلى الله عليه وآله وولاية أهل بيته عليه السلام أنهم هل أدوا شكرها بقبولها والعمل بلوازمها؟ فإذا تبين شكرهم
 لها لم يُسألوا عن صرف ما يحتاجون إليه من النعم في حوائجهم، بل يُسألون عن صرف ما زاد عليه
 من الطيبات، وإذا لم يكونوا مؤمنين بالرسالة مُسلمين^٣ للولاية يُسألون عن جميع النعم التي صرفت^٤
 في غير طاعة الله زائداً على الضروريات، والله أعلم.
 عن الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ في فريضة كُتِبَ له أجر مائة شهيد، ومن قرأها
 في نافلة كُتِبَ له أجر خمسين شهيد، وصلى معه في فريضته أربعون صفّاً من الملائكة إن شاء الله
 تعالى»^٥.

١. المحاسن: ٢٦٩/٤٣٤، تفسير الصافي ٥: ٣٦٩. ٢. في النسخة: النعم. ٣. في النسخة: والمسلمين.

٤. في النسخة: الذي صرف.

٥. نواب الأعمال: ١٢٥، مجمع البيان ١٠: ٨١٠، تفسير الصافي ٥: ٣٧١.

في تفسير سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ [١]

ثم لما خُتِمت سورة التكاثر المتضمنة لذم الإنسان على التكاثر بالعدد والمال، وتهديده برؤية الجحيم والسؤال عن النعيم، نُظِمت سورة ﴿وَالْعَصْرِ﴾ المتضمنة لبيان كون الإنسان بسبب رغبته في النعم الدنيوية في خسران وضربٍ عظيم، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بالقسم بالعصر بقوله: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ قيل: إن الله أراد به الدهر ومُطْلَقَ الزمان، لما روي عن النبي ﷺ أنه تعالى أقسم بالدهر^١، الدهر^٢ مشتمل على السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر^٣ وغيرها من آثار قدرة الله تعالى، ولأنه من أصول النعم الذي لو ضيعه يُسأل عنه. وقيل: إنَّه تعالى أراد به وقت العصر، والعشي الذي هو بعد مضي قليل من الزوال إلى الغروب، وأقسم به كما أقسم بالضحى لظهور آثار قدرة الله فيهما، ولأنَّ لوقت العصر بسبب خلق آدم فيه شرفاً زائداً على سائر الأوقات^٤، ولأنَّ في القسم به تنبيهاً على أنَّه وقت إذا لم يُحْصَل الإنسان فيه ربحاً كان من الخاسرين.

وقيل: أراد به سبحانه عصر النبوة^٥، فإنه أشرف الأزمنة فاقسم سبحانه بزمان النبي ﷺ كما أقسم بمكانه بقوله: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^٦ وأقسم بعمره بقوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^٧.

وقيل: إنَّ المراد به صلاة العصر، لظهور كثير من الأخبار في كمال فضيلتها^٨.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٨٤.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ٨٤.

٣. تفسير أبي السعود ٩: ١٩٧، تفسير الصافي ٥: ٣٧٢، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٦. ٦. البلد: ١٠/٩٠.

٧. الحجر: ٧٢/١٥. ٨. تفسير أبي السعود ٩: ١٩٧، تفسير الرازي ٣٢: ٨٥.

أقول: ويُحتمل كون المراد عصر ظهور القائم عليه السلام [وسأتي]. عن الصادق عليه السلام ١.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [٢ و ٣]

ثم ذكر سبحانه المُقسم عليه بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ بجميع أفرادهِ ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ عظيمٍ ونقصانٍ وضررٍ لانتهاء له من حيث تضييع عمره واتلاف ماله وإهلاك نفسه باتباع الشهوات والإنهماك واللذات والاستغراق في حب الدنيا والاشتياق إليها، مع كونه قادراً في مُدة عمره على تحصيل السعادة الأبدية والراحة السرمدية والنعم الدائمة بطاعة ربه واتباع رضوانه.

وعن الصادق عليه السلام: «﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ إلى آخر الدهر» ٢.

وعن ابن عباس: أريد من الانسان هنا جماعة المشركين، كالوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطَّلَب ٣. وقيل: أريد أبولهب ٤. وروى أنه أريد به أبوجهل ٥. وروى أن هؤلاء كانوا يقولون: إن محمداً لفي خسر، فأقسم الله تعالى إن الأمر بالضدِّ ممَّا توهموه ٦.

أقول: لامنافاة بين إرادة العموم من الآية، ونزولها في بعضهم، كإرادة العموم من قوله ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ ٧ ونزوله في حق الوليد، ويشهد لإرادة العموم الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله واليوم الآخر ﴿وَعَمِلُوا﴾ الأعمال ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ واكسبوا بأعمارهم وأموالهم الفضائل والخيرات لأنفسهم المستتعبة للدرجات الرفيعة والمقامات العالية في الآخرة، فأنهم في تجارة لن تبور، حيث باعوا الدنيا الدنيَّة الخسيسة، واشتروا الآخرة الباقية النفيسة، فبالها من صفقة ما أريحها!

وهم مضافاً إلى تكميل نفوسهم بالإيمان والعمل، يسعون في تكميل نفوس غيرهم بأن ردعهم عن الشرك ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ وتعاهدوهم على الإيمان ﴿بِالْحَقِّ﴾ وهو التوحيد، ورسالة الرسول، وتصديق كتابه والعمل به وبأحكامه ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ وتعاهدوا على طاعة الله ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عليها وتحمل مشاقها، وكف النفس عن المعاصي التي تشتتق إليها.

ثم إنَّه بناءً على كون الحقِّ أعمَّ من الإيمان والعمل ٨ [فإن تخصيص هذا التواصي بالذكر مع

١. إكمال الدين: ١/٦٥٦، تفسير الصافي ٥: ٣٧٢. ٢. تفسير القمي ٢: ٤٤١، تفسير الصافي ٥: ٣٧٢.

٣ و ٤. تفسير الرازي ٣٢: ٨٦. ٥. تفسير الرازي ٣٢: ٨٧ و ٨٨.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ٨٧. ٧. الحجرات: ٦/٤٩.

٨. جواب هذه العبارة سقط من النسخة، وقد أكملناه من تفسير أبي السعود ٩: ١٩٧، وتفسير روح البیان ١٠: ٥٠٧، وكذا سقط أول الحديث الآتي عن الصادق عليه السلام وأثبتناه من إكمال الدين.

اندراجه تحت التواصي بالحق، لإبراز كمال الاعتناء به، أو لأنَّ الأول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى، والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى، فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تشوق إليه من فعل وترك، بل هو تلقّي ما ورد منه تعالى بالجميل، والرضا به ظاهراً وباطناً.

وعن الصادق عليه السلام قال: «العصر عصر خروج القائم عليه السلام. **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾** يعني أعداءنا **﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** يعني بآياتنا **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** يعني بمواساة الاخوان **﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾** يعني الامامة **﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾** يعني بالعترة^١.

والقمي عنه عليه السلام، قال: «استثنى أهل صفوته من خلقه حيث قال: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾** * إلا الَّذِينَ آمَنُوا» بولاية أمير المؤمنين **﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾** ذرياتهم ومن خلقوا بالولاية تواصلوا بها وصبروا عليها^٢.

وعنه عليه السلام: «من قرأ **﴿وَالْعَصْرِ﴾** في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه، ضاحكاً سنّه، قريرة عينه^٣ حتّى يدخل الجنة»^٤.

الحمد لله على التوفيق لتفسيرها.

١. اكمال الدين: ١/٦٥٦، تفسير الصافي: ٥: ٣٧٢. ٢. تفسير القمي: ٢: ٤٤١، تفسير الصافي: ٥: ٣٧٢.

٣. في النسخة: قريراً عينيه.

٤. ثواب الأعمال: ١٢٥، مجمع البيان: ١٠: ٨١٤، تفسير الصافي: ٥: ٣٧٣.

في تفسير سورة الهمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ [١]

ثم لما ختمت سورة ﴿وَالْعَصْرِ﴾ المتضمنة لبيان أن جميع الناس غاثرون في الخسران لحبهم الدنيا وتفخارهم بالأموال والأقارب، نُظِمَتْ بعدها سورة الهمة المتضمنة لذم من جمع الأموال وافتر بها ورأى لنفسه فضلاً وفخراً على غيره، وتهديده بالخلود في جهنم في الآخرة، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنی بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع سبحانه في ذم من يبالي بنفسه ويتعرض لأعراض الناس وتعييبهم بقوله: ﴿وَيْلٌ﴾ وهلاك، أو شر وقباحة، أو جيل نار في جهنم، على ما روي^١ ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ ومُغْتَاب للناس و ﴿لُّمَزَةٍ﴾ وغياب لهم، كما عن ابن عباس^٢. وفي رواية أخرى عنه: الهمة: هم المشاؤون بالنميمة، المفزقون بين الأحبة. واللمزة: الناعتون للناس بالعيب^٣.

وقيل: الهمة: هو العياب باليد والرأس والعين بالإشارة، واللمزة هو العياب باللسان^٤.

وقيل: الهمة: العياب بالمواجهة أو بالجهر واللمزة: العياب بظهر الغيب أو سراً^٥.

قيل: إن السورة نزلت في الأخنس بن شريق، كان يلزم الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله ﷺ.

وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه، ويطعن عليه في وجهه^٦ وقيل: نزلت في أمية بن خلف^٧، وعلى أي تقدير لا يخصص مورد النزول العام.

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي

الْحُطْمَةِ [٢-٤]

٣. تفسير الرازي ٣٢: ٩٢.

٥. تفسير الرازي ٣٢: ٩٢.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٩١.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ٩١ و ٩٢.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ٩١.

ثم وصف سبحانه المذموم بالويل بقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ كثيراً لنفسه، أو حقيراً غير قابل لأن يُفْتَخِرَ به ﴿وَعَدَّةٌ﴾ ودَّخَرَهُ لحادث الدهر، أو أحصاه مرةً بعد أخرى لالتذاذ نفسه بعده، أو كثرته وافتخر به. وقيل: يعني جمع مالا وعدد قومه الذين ينصرونه^١، وإنما ذكر صفة جمعه المال لكونه سبب هُزْمِهِ وأُزْمِهِ، وهو من جهله وجمعه ﴿يَحْسَبُ﴾ وَيُظَنُّ ﴿أَنَّ مَالَهُ﴾ الذي جمعه ﴿أَخْلَدَهُ﴾ في الدنيا، وأمنه من الموت.

وقيل: إن المعنى: اعتقد أنه إن انتقص ماله يموت، فَيَحْفَظُهُ من التلف والتقصان ليبقى حياً^٢. وقيل: فيه تعريض بالعمل الصالح، فإنه هو الذي يُخَلِّدُ صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل، وفي الآخرة في النعيم المقيم^٣.

﴿كَلَّا﴾ ليس الآخرة كما يُظَنُّ، ولا ينبغي له هذا الحُساب، أو المعنى: حقاً والله ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ ذلك الذي جمع المال، وليطرحَنَّ ذلك الظان للخلود ﴿فِي الْخُطْمَةِ﴾ كالحصا الذي يطرح في البئر.

وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ [١-٥]

ثم بالغ سبحانه في تهويل الخُطْمَةِ بقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ﴾ يا محمد، وأي شيء أعلمك ﴿مَا الْخُطْمَةُ﴾ وأي شيء هي؟ هي ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ والمشتعلة بأمره وقدرته وغضبه، لا يطفئها شيء. ولا يشبهها شيء من نيران الدنيا.

في الحديث: «أوقد عليها ألف سنة حتى احمرَّت، ثم ألف سنة حتى ابيضَّت، ثم ألف سنة حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة»^٤.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «عجباً ممَّن يعصي الله على وجه الأرض والنار تُشعر من تحته»^٥.

﴿الَّتِي تَطْلُعُ﴾ وتعلو ﴿عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾ وأوساط القلوب وتغشاها.

حاصل الآية والله أعلم أن نار جهنم تحطم وتكسر العظام، وتأكل اللحوم، وتدخُل في أجواف العصاة وأهل الشهوات، وتُقبِل إلى صدورهم، وتستولي على أفئدتهم، وتخصيص الأفئدة بالذكر لما أن الفؤاد أطفأ ما في الجسد، وأشدَّ تألماً بأدنى الأذى، أو لأنه محلُّ العقائد الفاسدة والضمائر الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ٩٤، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٩.

٣-١. تفسير الرازي ٣٢: ٩٣.

٥. تفسير الرازي ٣: ٩٤، تفسير روح البيان ١٠: ٥٠٩.

روي عن النبي ﷺ «أَنَّ النَّارَ تَأْكُلُ أَهْلَهَا حَتَّى إِذَا أَطْلَعَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ انْتَهَتْ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعِيدُ لِحُومِهِمْ وَعِظَامِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى»^١.

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ يَأْسَ الظَّالِمِينَ الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا مِنْ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْجَحِيمِ، وَتَيَقَّنَهُم بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ» وَمُغْلَقَةُ الْأَبْوَابِ حَالُ كَوْنِهِمْ مُوْتَقِينَ «فِي عَمَدٍ» وَأَعْمَدَةٌ «مُمَدَّدَةٌ» وَمُطَوَّلَةٌ الَّتِي هِيَ أَثْبَتُ مِنَ الْقَصِيرَةِ، مِثْلُ الْمَقَاطِرِ وَالْخَشَبَاتِ الَّتِي تُجْعَلُ فِيهَا أَرْجُلُ اللَّصُوصِ كَيْلًا يَهْرَبُوا.

وَقِيلَ: يَعْنِي تُطَبَّقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَيُجْعَلُ عَلَى الْأَبْوَابِ الْعَمَدُ الطَّوِيلَةُ اسْتِثْنَاءً فِي اسْتِثْنَاءِ، لَثَلَا يَخْرُجُوا مِنْهَا، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ رُوحٌ^٢، وَالْمَعْنَى أَنَّ النَّارَ عَلَيْهِمْ طَبَقَةُ الْأَبْوَابِ بِأَعْمَدَةٍ مَدَّتْ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ (بَعَمَدٍ) لِلإِشْعَارِ بِكَثْرَتِهَا بَحِثْ صَارَتْ كَأَنَّ الْأَبْوَابَ فِيهَا.

الْقَمِي ﷻ قَالَ: إِذَا مَدَّتْ الْعَمَدُ كَانَ وَاللَّهُ الْخُلُودُ^٣.

وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِهِ، أَبْعَدَ اللَّهُ عَنْهُ الْفَقْرَ، وَجَلَبَ عَلَيْهِ الرِّزْقَ، وَدَفَعَ عَنْهُ مِئَةَ السُّوءِ»^٤.

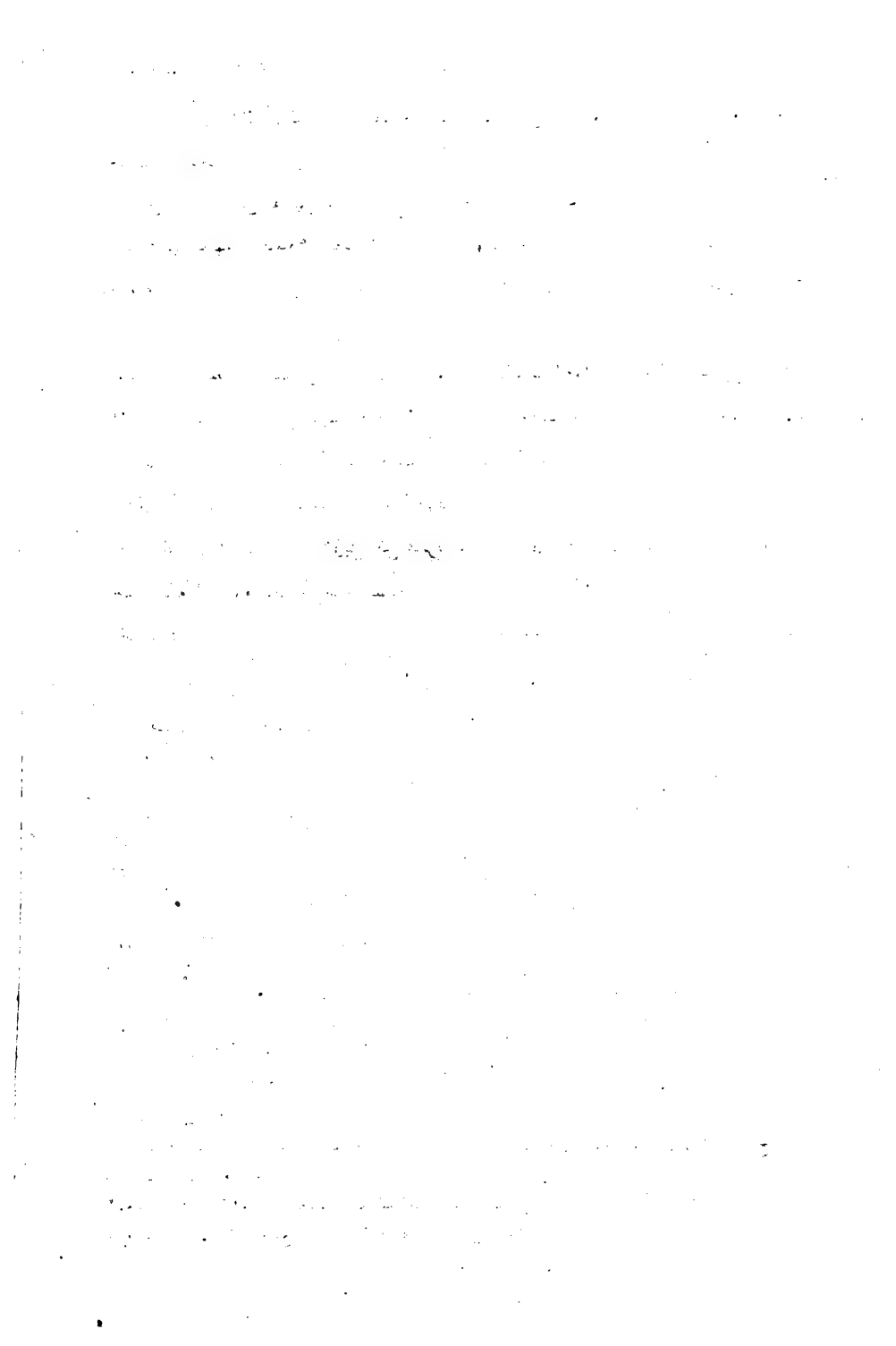
قَدْ تَمَّ تَفْسِيرُهَا.

١. تفسير الرازي ٣٢: ٩٤.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٠، وزاد المؤلف هنا ثلاث كلمات غير مقروءة في النسخة، والذي في تفسير روح البيان: لا يدخلها روح ولا يخرج منها غمٌ.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٤٢، وفيه: العمد أكلت والله الجلود، تفسير الصافي ٥: ٣٧٤.

٤. ثواب الأعمال: ١٢٦، مجمع البيان ١٠: ٨١٦، تفسير الصافي ٥: ٣٧٥.



في تفسير سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ [١]

ثم لما حُتِمت سورة الهمزة المتضمنة لذم العيايين للنبي ﷺ الطاعنين فيه لإطفاء نوره وإخلالاً بأمر رسالته، نُظِمت سورة الفيل المتضمنة لبيان حفظ الله بيته من الخراب وتعذيب قاصديه، مبشراً له ﷺ بإهلاك أعدائه كإهلاك أعداء بيته الحرام، وتسلياً لقلبه الشريف المتألم بمكايد أعدائه في الإخلال بأمر رسالته، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم شرع سبحانه في تسلياً قلب حبيبه ببيان قصة إهلاك أعداء بيته بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد، حين كنت في عالم الأشباح محيطاً بقضايا هذا العالم، أو المراد ألم تعلم بالتواتر علماً نازلاً منزلة الرؤية ﴿كَيْفَ فَعَلَ﴾ وعامل ﴿رَبُّكَ﴾ اللطيف بك ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ وجند أبرهة القاصدين تخريب الكعبة، إبقاء لها، لكن قبله صلاتك، وإعظاماً لك، وتشريعاً لمقدمك الشريف. رُوي أن أبرهة بن الصباح الملقب بالأشرم لما ملك اليمن من قبل أصحمة بن بحر النجاشي، ورأى توجه الناس في أيام الموسم إلى حج البيت الحرام، حسد أهل الحجاز على الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة، فأراد صرف الناس عن الكعبة إلى بلده، فبنى كنيسةً بصنعاء من رُخام مُلَوْن، واجتهد في زخرفتها، ونقل إليها أحجاراً منقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان النبي ﷺ، وجعل فيها صُلباناً من الذهب والفضة ومنابر من عاج والأبنوس، وسمّاها القليس، لارتفاع بناهاتها وعلوها، ودعا الناس إليها، ووعد زائريها بالهدايا والتُّحف والجوائز، فتوجه الناس إليها بطمَع أخذ الدراهم والدنانير، فلم يَزُرْها أحدٌ إلّا وإنه يرجع بالتُّحف والهدايا، وكان رئيس مكة في ذلك الوقت عبد المطلب، فجاها إليه رجلٌ من بني كنانة يقال له زهير بن بدر، فاستأذن عبد المطلب أن يذهب إلى تلك الكنيسة ويفعل فيها ما يصرف الناس عنها، فذهب إليها، واشتغل بالعبادة فيها أياماً، فاستأذن من خُدامها أن يبيت فيها

ليلة ليتعبد فيها فأذنوا له^١ في ذلك، فأقام فيها الليل وحده، فتغوط فيها، وطلّى به جدرانها وإيوانها ومحرابها، ثم خرج منها وهرب، فانتشر الخبر في الآفاق، فتنفّر الناس منها، فلما سمع ذلك أبرهة غَضِبَ وحلّف أن يُخرب الكعبة. وقيل: بلغ الخبر إلى النجاشي، فاغتم لذلك وأغراه^٢ أبرهة وقال: لا تحزن، إن لهم كعبة هي فخرهم فتُخرب بنيانها ونبيح دماءها، فخرج أبرهة بجندٍ كثير، ومعه فيل أبيض اللون لم يُر مثله في عظم الجئة وشدة القوة، يقال له: محمود، فلما قرب من الحرم نزل، وبعث رجلاً حبشي^٣ يقال له الأسود، حتّى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة ومواسيها^٤.

قيل: لما بلغ أبرهة المُغمّس - وهو منزل في طريق الطائف - خرج إليه عبد المطلب، وعرض إليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى^٥.

وقيل: لما نزل المُغمّس بعث حنطة الجُمَيْرِي إلى مكة، وقال له: سل من سيّد هذا البلد وشريفهم، وقل له: إنَّ المَلِك يقول: إنّي لم آت لحربكم، وإنّما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تتعرضوا دونه لحرب فلا حاجة لي في دمائكم، فإن لم يُرد حربي فأنتي به، فجاء عبد المطلب ومعه جماعة من بني هاشم، فسبقهم الرسول إلى أبرهة، وقال له: جاءك رئيس مكة^٦.

وقيل: استأذن لعبد المطلب بعض وزراء أبرهة، يقال له أنيس سائس الفيل، وقال: جاءك سيد قريش وصاحب عبر مكة الذي يُطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأحسن أبرهه رأيه، وجلس على السرير، فأجاز لعبد المطلب في الدخول، فلما ورد قال أبرهة، ونزل عن السرير [كيلا تجلسه معه]، لأنّه كره أن تراه الحبشة على سرير ملكه، وجلس مع عبد المطلب على الأرض، وأكرمه وعظّمه، وأعجبه حُسن كلامه، وقال في نفسه: لو شفع في انصرافه من البيت لأجابه، فقال له: فاسأل منّي كلّما تُريد. فقال له عبد المطلب: أريد منك أن تأمر بردّ إبلي التي كانت ترعى بذي المجاز، فساقها بعض جيشك. فقال أبرهة لثُرجمانه: قل له: لِمَ لَمْ تشفع في البيت الذي يكون شرفاً وعزّاً لك ولقومك من قديم الدهر، وأنا أُريد أن أُخربه، وما قدر الإبل التي تُريدها؟^٧

وقيل: إنّه قال: سقطت من عيني، جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك، فالهاك عنه دؤد أخذلك^٨.

قال عبد المطلب: أنا ربّ الإبل، وللبيت ربّ يحفظه كما حَفِظَه من تُشع وسيف بن ذي يزن

١. في النسخة: فأذنوا. ٢. في النسخة: وغراه. ٣. في النسخة: حبشية.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٥١١. ٥. تفسير روح البيان ١٠: ١٣. ٦. تفسير روح البيان ١٠: ١٣. ٧. الدؤد: القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر، راجع تفسير الرازي ٣٢: ٩٦.

وكسرى، فَغَضِبَ أبرهه، وأمر بردَّ إليه، وقال: ننظر من يَحْفَظَ البيت مِنِّي؟

فرجع عبد المطلب، وأمر أهل مكة أن يجمعوا أموالهم وأمتعتهم ويصعدوا على الجبل، فلم يبق في مكة أحدٌ تخوفاً من معزة الجيش، فجهز أبرهه جيشه، وقَدَّم الفيل الأعظم^١. قيل: سقوه الخمر ليذهب تمييزه، فكانوا كلِّموا وجَّهوه إلى جهة الحرم برك ولم يَرح، وإذا وجَّهوه إلى اليمن أو إلى سائر الجهات هرول، وجاء عبد المطلب وأخذ بحلقة البيت، وقال:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَح
لَا يَغْلِبَنَّ صُلَيْبِهِمْ
مِي رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حَلَالِكَ
وَمَحَالِهِمْ عَدُوًّا مُحَالِكَ

فالتفت وهو يدعوا، فاذا بطيرٍ فقال: والله إنَّها لطيرٌ غريبة لانجدية ولا نهامية ولا حجازية، وإنَّ لها لشأناً؛ وكان مع كلِّ طائرٍ حَجَرٌ في مَنَارِهِ وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ أَكْبَرُ مِنَ الْعَدْسَةِ وَأَصْغَرُ مِنَ الْحِمَّةِ^٢.

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ
مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ [٢-٥]

ثُمَّ بَيَّنَ سبحانه كيفية فعله بهم بقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ رَنك ﴿كَيْدَهُمْ﴾ وتديبرهم وتخريب الكعبة وتعطيلها من الزَّوَارِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ وتضييع وإبطال بأن أهلَّكهم أشنع إهلاك.

ثُمَّ بَيَّنَ سبحانه كيفية إهلاكهم بقوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾ لإهلاكهم ﴿طَيْرًا﴾ لم يُرْ مثلهما حال كونها ﴿أَبَابِيلَ﴾ وجماعات. قيل: كانت أفواجاً متتابعة بعضها على أثر بعض، أو من هاهنا وهاهنا، جمع إبالة، وهي الحزمة الكبيرة، شُبِّهَتْ بها جماعة الطير في تضامها^٣.

قيل: كان عبد المطلب وأبومسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر أبرهه، فأرسل الله طيراً أسود صُفِرَ المناقير خُضِرَ الأعناق طوالها، وخضراء أو بيضاء أو بقاء^٤.

عن عائشة: أنَّها أشباه الخطاطيف والطوايط، ولها خراطيم الطير، وأكَّف الكلاب وأنبياء^٥. وعن ابن جبير، لم يُرْ مثلهما قبلها ولا بعدها^٦. وقال [عكرمة]: هي عناق مغرب^٧ وفي الخبر: أنَّها طيرٌ بين السماء والأرض تعيش وتُفْرِخُ^٨.

وقيل: من طير السماء ﴿تَزِمِيهِمْ﴾ من فقههم ﴿بِحِجَارَةٍ﴾، فيها مكتوب اسم من قُتِلَ بها مُحْطَظَةٌ بالحمرة كالجَزَعِ الطَّافِرِي، كما عن ابن عباس^٩، كائنة ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ وطين متحجَّر، مُعَرَّب سنك

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٤، و٥١٥.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٥.

١٠. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٥.

١. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٣.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٧.

٩. الجَزَع: ضرب من العقيق.

وكل، كما عن ابن عباس^١. وقيل: هو علم للديوان الذي كُتب فيه عذاب الكفار، كأنه قال: بحجارة من جملة العذاب المكتوب المُدَوَّن^٢. وقيل: السَّجِيل: اسم السماء الدنيا^٣. وقيل: إنه اسم جهنم، وكان سجين فأبدلت نون آخره لاماً^٤.

وقد مرَّ أن كلَّ طائر كان يحمل ثلاثة أحجار، حَجَرَ بمنقاره، وَحَجَرَان برجليه، تقتل بكل واحد رجلاً، ما وقع منها في موضع إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من ذُبره^٥.

وفي رواية عن ابن عباس: لم يقع حجر على أحدٍ إلا نَفَطَ^٦ جلده وثار به الجُدرى^٧. **﴿فَجَعَلَهُمْ﴾** الله **﴿كَعَصَفٍ﴾** وَوَزَقَ زَرْعٍ **﴿مَأْكُولٍ﴾** أكلته الديدان، وإنما سَمِيَ ورق الزرع عَصَفاً؛ لأنه يعصف به الرياح من مكانٍ إلى مكان، وتوصيفه بالمأْكُول لأنه حدث بهم بسبب رميهم منافذ وشقوق كورق أكله الدود.

وقيل: يعني كزرع أكل حَبّه وبقي صفرأ منه، شَبَّههم به في ذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم^٨. وعن ابن عباس: يعني كزرع وتبن أكلته الدواب ثم ألقته روثاً، ثم يَحْفَ وتفرق أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم بفتق أجزاء الروث^٩.

وعلى أي تقدير هلك جيش أبرهة وفيلاته، وأخذ أبرهة داءً أسقط أنامله وأعضاءه، ووصل إلى صنعاء كذلك، وهو مثل فرخ الطير، ومات فملك ابنه يكسوم بن أبرهة اليمن، وانفلت وزيره أبويكسوم وطائر يتحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقَصَى عليه القصة، فلمَّا أتمَّها وقع عليه الحجر فخرَّ ميتاً بين يديه^{١٠}.

وقيل: هلك كلُّهم إلا أبرهة، فخرج من مكَّة، وجاء إلى الحبشة، وكان على رأسه طيرٌ ولم يعلم به حتى وقف بين يدي النجاشي، فلمَّا قصَّ عليه القصة تعجَّب النجاشي، وقال: كيف يهلك الطير الجُنْد الكثير! فنظر أبرهة إلى الطير الذي كان على رأسه، فقال: هذا واحدٌ من تلك الطيور، فألقى ذلك الطير حَجَرًا على رأسه، فهلك عند النجاشي^{١١}.

رُوي أن عبد المطلب وأبو مسعود الثقفي كانا يشاهدان هلاك عسكر أبرهة من فوق الجبل حين

٢- ٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٠١.

٦. نَفَطَ جلده: أصابه الجُدرى.

٨. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٨.

٩. تفسير الرازي ٣٢: ١٠١، تفسير روح البيان ١٠: ٥١٨، ولم ينسبه إلى أحد.

١١. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٦.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٠١.

٥. تفسير الرازي ٣٢: ١٠٠.

٧. تفسير الرازي ٣٢: ١٠٠.

١٠. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٥ و٥١٦.

رماهم الطير بالحجارة، فقال عبد المطلب لصاحبه: صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركز^١، فانحطاً من الجبل ودخلا العسكر، فاذا هم موتى، فجمعاً من الذهب والجواهر، وحفر كل منهما لنفسه حفيرة وملاًها من المال، وكان ذلك سبب غناهما، وصارت بقية أمتعتهم غنيمة لقريش وأهل مكة، هذا كله ما رواه العامة^٢.

وقال القمي^٣: نزلت في الحبشة حين جاءوا بالفيل ليهدموا به الكعبة، فلما أدنوه من باب المسجد، قال له عبد المطلب: تدري أين يؤم بك؟ قال برأسه: لا. قال: أتوا بك لتهدم كعبة الله، أتفعل ذلك؟ قال برأسه: لا، فجهدت به الحبشة ليدخل المسجد فامتنع، فحملوا عليه بالسيوف وقطعوه، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل، قال: بعضها على أثر بعض ترميهم بحجارة من سجيل، قال: كان مع كل طير ثلاثة أحجار: حَجَرٌ في منقاره، وحَجَران في مخالبه، وكانت تُرْفَرَف على رؤوسهم، وترمي في دماغهم، فيدخل في دماغهم ويخرج من أدبارهم وينتفض^٤ أبدانهم، فكانوا كما قال الله: ﴿فَجَعَلْنَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^٥ قال: العصف: التبن، والمأكول: هو الذي يبقى من فضله^٦.

وعن الصادق^٧: «بعث الله عليهم الطير كالخطاطيف في مناقيرها حَجَرٌ كالعَدَسَةِ أو نحوها، فكانت تُحاذي رأس الرجل، ثم تُرسلها على رأسه، فتخرج من دبره حتى لم يبق منهم إلا رجل هرب فجعل يحدث الناس بما رأى، فطلع عليه طائرٌ منها فرفع رأسه فقال: هذا الطير منها، وجاء الطير حتى حاذى رأسه ثم ألقاها عليه، فخرجت من دبره فمات»^٨.

وعن الباقر^٩: أَنَّهُ سئل عن قول الله تعالى ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾^{١٠} قال: «كان طير ساف^{١١} جاءهم من قِبَل البحر، رؤوسها كأمثال رؤوس السباع، وأظفارها كأظفار السباع من الطير، مع كل طائر ثلاثة أحجار: في رجله حَجَران، وفي منقاره حَجَر، فجعلت ترميهم بها حتى جَذَرَت أجسادهم، فقتلهم بها، وما كان قبل ذلك رؤي شيء من الجُدري، ولا رأوا ذلك من الطير قبل ذلك اليوم ولا بعده».

قال: «ومن أفلت منهم يومئذٍ يُنذِرُ حتى إذا بلغوا حَضَرَ موت - وهو وادٍ دون اليمن - أرسل الله عليهم سيلاً فغرقهم أجمعين». قال: «وما رؤي في ذلك الوادي ماء قط قبل ذلك اليوم بخمس عشرة سنة» قال: «ولذلك سمّي حَضَرَ موت حين ماتوا فيه»^{١٢}.

١. الرُّكز: الصوت الخفي. ٢. تفسير روح البيان ١٠: ٥١٦.

٣. في النسخة: وتنقص. ٤. الكافي تفسير القمي ٢: ٤٤٢، تفسير الصافي ٥: ٣٧٦.

٥. الكافي ٤: ٢١٦/٢، تفسير الصافي ٥: ٣٧٦. ٦. أسف الطائر: دنا من الأرض.

٧. الكافي ٨: ٤٤/٨٤، تفسير الصافي ٥: ٣٧٧.

وعن الكاظم عليه السلام: «أَنَّ أَبْرَهَةَ بْنَ يَكْسُومٍ قَادَ الْفِيلَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لِيَهْدِمَهُ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنَّ لِهَذَا الْبَيْتِ رَبًّا يَمْنَعُهُ، ثُمَّ جَمَعَ أَهْلَ مَكَّةَ فِدْعَا، وَهَذَا بَعْدَ مَا أَخْبَرَهُ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ، وَدَفَعَهُمْ عَنْ مَكَّةَ وَأَهْلِهَا»^١.

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ فِي فَرَانِضِهِ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلِّ سَهْلٍ وَجَبِلٍ وَمَذَرٍ بَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَيُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَادٌ: صَدَقْتُمْ عَلَى عِبْدِي، قَبِلْتُ شَهَادَتَكُمْ لَهُ وَعَلَيْهِ، أَدْخَلُوهُ الْجَنَّةَ وَلَا تَحْسَبُوهُ، إِنَّهُ مِمَّنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَأَحَبَّ عَمَلُهُ»^٢.

وعن العياشي: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ﴾ وَ الْإِيلَافِ﴾ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ»^٣.

١. قرب الإسناد: ١٢٢٨/٣١٩، تفسير الصافي ٥: ٣٧٧.

٢. ثواب الأعمال: ١٢٦، مجمع البيان ١٠: ٨٢٠، تفسير الصافي ٥: ٣٧٧.

٣. مجمع البيان ١٠: ٨٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣٧٨.

في تفسير سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ * إِلَّافِهِمْ رَحْلَةُ الشَّاءِ وَالصَّيْفِ [١ و ٢]

ثم لما خُتِمت سورة الفيل المتضمنة لبيان إنعام الله على قريش بدفع أصحاب الفيل عنهم، وحفظ الكعبة التي كان بها عزهم وشرفهم، نُظِمت سورة قريش المتضمنة لبيان منته عليهم بإدامة تجارتهم إلى اليمن والشام وإطعامهم من الجوع، وتوسعة معاشهم، وأمنهم من الخوف من أصحاب الفيل وغيرهم، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها ببيان حكمة من حكم إهلاك أصحاب الفيل، وهي إنعامه على قريش بقوله: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ قيل: إن التقدير جعل الله أصحاب الفيل كعصفٍ مأكول وأهلكهم أشنع إهلاك، لأجل إبقاء قريش على ما التزموا به^١

ثم كآته قيل: [ما] ذلك الايلاف والالتزام؟ فأجابه سبحانه بقوله: ﴿إِلَافِهِمْ﴾ والالتزامهم ﴿رَحْلَةَ الشَّاءِ﴾ والسفر في الأزمنة الباردة للتجارة إلى اليمن ﴿وَو﴾ في ﴿الصَّيْفِ﴾ والأزمنة الحارة إلى الشام، ولأجل أن يألفوا هاتين الرحلتين، ويجمعوا بينهما، ويداوما عليهما.

عن ابن عباس قال: كانت قريش إذا أصاب أحدهم فقر وجوع أخذ بيد عياله وخرج إلى الصحراء، وضرب على نفسه وعياله خيمة، وبقي هناك حتى يموت هو وعياله، وكانوا على ذلك إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف، وكان سيد قومه، وكان له ابن يقال له أسد، وكان له ترب^٢ من بني مخزوم يُحبّه ويلعب معه، فشكا إليه ضرر المجاعة، فدخل أسد على أمه يبكي، فأرسلت إلى أولئك بدقيقٍ وشحم، فعاشوا به أياماً، ثم أتى ترب أسد إليه مرة أخرى، وشكا إليه من الجوع، فقام هاشم خطيباً في قريش فقال: إنكم أجديتم جدباً تَقْلُون فيه وتَذِلُون، وأنتم أهل حرم الله، وأشرف ولد آدم، والناس لكم تبع.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٠٣.

٢. التريب: المماثل في السن.

قالوا: نحن تبع لك، وليس عليك منا خلاف، فجمع جميع أولاد النضر^١ بن كنانة على الرحلتين^٢ في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات، فما ربح الغني قسم بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم، فجاء الاسلام وهم كانوا على ذلك، فلم يكن في العرب بنو أب واحد أكثر مالا ولا أعز من قريش^٣.

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ [٤ و ٥]

ثم أعلم أن بعض من فسر السورة بهذا التفسير وقال بتعلق لام ﴿لَا يَلَافُ﴾ بالسورة السابقة، قال بكونها سورة واحدة، ويؤيده جعل^٤ كعب بن أبي السورتين في مصحفه سورة واحدة، ولم يفصل بينهما بالبسمة^٥.

وروي العياشي عن أحدهما أنه قال: «﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ﴾ و ﴿لَا يَلَافُ قُرَيْشٍ﴾ سورة واحدة^٦. وقيل: إن اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ لا يلافيهم، أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة واعتراضاً بها، وإنما أدخل الفاء على ليعبدوا لما في الكلام من معنى الشرط، والمعنى إن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة^٧. وقيل: ليست متعلقة بما قبلها ولا بما بعدها، بل هي لام التعجب، والمعنى اعجبوا لإيلاف قريش، فإنهم كل يوم يزدادون غياً وجهلاً وانغماساً في عبادة الأوثان، والله يؤلف شملهم، ويدفع الآفات عنهم، وينظم أسباب معاشهم^٨.

فليعبدوا رب هذا البيت، وليؤدوه، أو فليخضعوا له؛ لأنه حفظ البيت، وعظمهم بحفظه في أنظار الناس، وهو ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ﴾ بسبب تينك^٩ الرحلتين اللتين تمكنوا^{١٠} منهما ﴿مِنْ جُوعٍ﴾ شديد. روي أنهم أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة^{١١}.

وقيل: إن تنكير الجوع والخوف للتحقير، والمعنى أنه تعالى لم يرض لهم بالجوع والخوف القليل، فيكف يرضى لهم إن عبده أن يهمل أمرهم^{١٢} لكونهم جيرانه وسكان حرمه.

وقيل: إنه سبب دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿يُجَبِّئُ إِلَيْهِ تَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^{١٣}.

١. في النسخة: نصر، راجع جهمرة أنساب العرب: ١١.

٢. في النسخة: المرحلتين.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٠٦، تفسير روح البيان ١٠: ٥١٩.

٤. مجمع البيان ١٠: ٨٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣٧٨.

٥. تفسير الرازي ٣٢: ١٠٥.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ١٠٥.

٧. في النسخة: تينك.

٨. في النسخة: تمكنوا.

٩. تفسير الرازي ٣٢: ١١٠.

١٠. تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٠، والآية من سورة القصص: ٥٧/٢٨.

﴿وَأَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ عظيم، كان لهم من أصحاب الفيل، أو من خوف التخطف في بلدهم واسفارهم، فإن إهلاك أصحاب الفيل صار سبباً لهيبتهم في قلوب الناس وفضل احترام لهم بحيث لم يكن يجترى عليهم أحد، فانتظم الأمر لهم في رحلتهم، بل في جميع أسفارهم وأحوالهم.

عن القمي عليه السلام قال: نزلت في قريش، لأنه كان معاشهم من الرحلتين: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام، وكانوا يحملونه الأدم واللباس^١، وما يقع من ناحية البحر من الفلفل وغيره، فيشترون بالشام الثياب والدزموك^٢ والحبوب، وكانوا يأتلفون في طريقهم، ويثبتون في الخروج في كل خرجة رئيساً من رؤساء قريش، وكان معاشهم من ذلك، فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله استغنوا من ذلك لأن الناس وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وحجوا إلى البيت، فقال الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ فلا يحتاجون أن يذهبوا إلى الشام ﴿وَأَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ يعني خوف الطريق^٣.

عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله فضل قريشاً بسبع خصال لم يُعْطَها أحد قبلهم ولا يُعْطَاها أحد بعدهم: النبوة فيهم، والخلافة فيهم، والحجاجة للبيت فيهم، والسقاية فيهم، ونصروا على أصحاب الفيل، وعبدوا الله سبع سنين^٤ - وفي رواية: عشر سنين - لم يعبد أحد غيرهم، ونزلت فيهم سورة في القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم ﴿لَا يَلَاْفَ قُرَيْشٍ﴾^٥.

اقول: الظاهر أن المراد من قولها: عبدوا الله سبع سنين، عبادتهم في بدو ظهور الرسالة، فإن المؤمنين بالرسول صلى الله عليه وآله في تلك المدة كلهم كانوا من قريش.

عن الصادق عليه السلام: «من أكثر قراءة ﴿لَا يَلَاْفَ قُرَيْشٍ﴾ بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة حتى يقعد على موائد النور يوم القيامة»^٦.

الحمد لله على إتمام تفسيرها.

١. في النسخة: واللَّب. ٢. الدزموك: الدقيق الأبيض.

٣. تفسير القمي ٢: ٤٤٤، تفسير الصافي ٥: ٣٧٩. ٤ و ٥. تفسير روح البيان ١٠: ٥٢١.

٦. ثواب الأعمال: ١٢٦، مجمع البيان ١٠: ٨٢٠، تفسير الصافي ٥: ٣٧٩.

1870

1871

1872

1873

1874

في تفسير سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَى
طَعَامِ الْمَسْكِينِ [١ و ٣]

ثم لما خُتِمت سورة قريش المتضمنة لبيان إناعمه ومثته على قريش بدفع أصحاب الفيل عن البيت الذي هو سبب عزهم وسعة معاشهم وأمنهم من خوف الأعداء، نُظِمت سورة الماعون المتضمنة لبيان كفرهم وكفرانهم بنعم الله، وبُخلهم على الفقراء، وظلمهم على اليتيم، طُغياناً على الله، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بذكر بعض قريش، وإظهار التعجب من كفرهم وطُغيانهم بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد، الكافر العنود ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ﴾ عناداً ولجاجاً ﴿بِالْإِيمَانِ﴾ وجزاء الأعمال وبدين الاسلام، وإن أردت أن تعرفه ﴿فَذَلِكَ﴾ الكافر هو الظالم ﴿الَّذِي يَدْعُ﴾ ويدفع الطفل ﴿الْيَتِيمَ﴾ عن حقه ظمناً وجفوة. زوي أن أباجهل كان وصياً ليتيم فجاءه يوماً غريباً يسأله من مال نفسه، فدفعه دفعاً شنيعاً، فأيس الصبي، فقال له بعض أكابر قريش: قل لمحمد يشفع لك، وكان غرضهم الاستهزاء به، والنبى ﷺ ما كان يرُدُّ محتاجاً، فذهب معه إلى أبي جهل، فرحب به وبذل المال لليتيم، فغيره قريش، وقالوا له: صبوت! فقال: لا والله ما صبوت، ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حرباً [خفت] إن لم أجهه يطعنهما في^١.

وعن القمي رحمه الله قال: نزلت في أبي جهل وكفار قريش^٢.

وقيل: نزلت في أبي سفيان، كان ينحر جُزُورين في كل أسبوع، فأتاه يتيماً فسأله لحماً، فقرعه بعضاه^٣.

٢. تفسير القمي ٢: ٤٤٤، تفسير الصافي ٥: ٣٨٠.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١١١.

٣. مجمع البيان ١٠: ٨٣٤، تفسير الرازي ٣٢: ١١١.

وقيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيامة والإتيان بالأعمال القيحة^١.

وقيل: في الوليد بن المغيرة^٢.

وروي عن ابن عباس أنها نزلت في منافق جمع بين البخل والمراعاة^٣.

وقيل: أنه عام لكل من كان مكذباً بيوم الدين^٤.

﴿وَلَا يَخْضُ﴾ ولا يَحُتُّ نفسه أو غير ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ لغاية بُخله، وخَسَاسَةِ طبعه، وقساوة قلبه، وعدم اعتقاده بأجرٍ وثوابٍ على إطعامه في الآخرة.

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ *
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ [٧-٤]

ثم ذم سبحانه بعض المنافقين منهم بقوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾ وعذابٌ شديدٌ ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ منهم نفاقاً ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾ يأتون بصورة الصلاة، وهم ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ من أولها إلى آخرها ﴿سَاهُونَ﴾ وغافلون، لعدم مبالاتهم بها، وإنما غرضهم من إتيانها خدعة المؤمنين.

عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية، أهي وسوسة الشيطان؟ فقال: «لا، كلُّ أحدٍ يُصيبه هذا، ولكن أن يُغفلها ويدَّع أن يصلي في أول وقتها»^٥.

وعن القمي عليه السلام عنه عليه السلام، قال: «هو الترك لها والتواني عنها»^٦.

وعن الكاظم عليه السلام قال: «هو التضييع»^٧.

وقال جمعٌ من مفسري العامة: معنى ساهون لا يتعهدون أوقات صلواتهم ولا شرائطها، ومعناه أنه لا يبالى صلى أم لم يصل^٨. فيكون أول السورة في المكذبين المتجاهرين، وهذه الآية في المكذب المنافق، وفي تصديرها بالويل دلالة على كون المنافق أسوأ حالاً من الكافر المتجاهر بالكفر.

ثم ذمهم سبحانه بالرياء وغاية البخل بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ الناس، ويرون أعمالهم ويظهرون أن لهم من الخشوع والخضوع في الصلاة ما ليس في قلوبهم ليثبتوا عليهم.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١١١.

٢. مجمع البيان ١٠: ٨٣٤، تفسير الرازي ٣٢: ١١١.

٣ و ٤. تفسير الرازي ٣٢: ١١٢.

٦. مجمع البيان ١٠: ٨٣٤، تفسير الصافي ٥: ٣٨١.

٧. الكافي ٣: ٢٦٨، مجمع البيان ١٠: ٨٣٤، تفسير الصافي ٥: ٣٨١.

٨. تفسير الرازي ٣٢: ١١٤، وهو قول: سعد بن أبي وقاص ومسروق والحسن ومقاتل.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يُرِيدُ بِهِمُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لَهَا ثَوَاباً إِنْ صَلَّوْا، وَلَا يَخَافُونَ عَلَيْهَا عِقَاباً إِنْ تَرَكُوا، فَهُمْ عَنْهَا غَافِلُونَ حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا، فَاذَا كَانُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَّوْهَا رِيَاءً، وَإِذَا لَمْ يَكُونُوا مَعَهُمْ لَمْ يُصَلِّوْا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾»^١.

﴿وَيُتَنَبَّهُونَ﴾ النَّاسُ ﴿الْمَاعُونَ﴾ وَالْأَمْتَةُ الْقَلِيلَةُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مِثْلُ الْقَدَرِ وَالْقَصْصَةُ وَالْغَرِبَالُ وَالْقُدُومُ وَالِدُلُوعُ وَأَمْثَالُهَا، وَالنَّارُ وَالْمَاءُ وَالْمَلْحُ مِمَّا يَسْأَلُهُ الْفَقِيرُ وَالْغَنِيُّ، وَلَا يَتَعَادَ مَنَعُهُ، وَيُنَسَّبُ مَانِعُهُ إِلَى اللُّومِ وَخَسَاسَةِ الطَّبْعِ. رُوي: ثَلَاثَةٌ لَا يَجِلُّ مَنَعُهَا: الْمَاءُ، وَالنَّارُ وَالْمَلْحُ^٢. وَقِيلَ: سَمِيَتْ الزَّكَاةُ مَاعُوناً لِأَنَّهَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ^٣.

وعن أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام: «هُوَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ»^٤.

وعن الصادق عليه السلام قال: «هُوَ الْقَرْضُ تُقْرَضُهُ، وَالْمَعْرُوفُ تُصْنَعُهُ، وَمَتَاعُ الْبَيْتِ تُعِيرُهُ، وَمِنْهُ الزَّكَاةُ». قِيلَ: إِنَّ لَنَا جِيرَاناً إِذَا أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ مَتَاعاً كَسَرُوهُ وَأَفْسَدُوهُ، فَعَلَيْنَا جُنَاحٌ أَنْ نَمْنَعَهُمْ؟ فَقَالَ: «لَا، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَمْنَعُوهُمْ إِذَا كَانُوا كَذَلِكَ»^٥.

قِيلَ: فِي وَجْهِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الرِّيَاءِ وَمَنَعِ الْمَاعُونِ، كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: الصَّلَاةُ لِي وَالْمَاعُونُ لِلْخَلْقِ، فَمَا كَانَ لِي يَعْزِضُونَهُ عَلَى الْخَلْقِ، وَمَا هُوَ لِلْخَلْقِ يَسْتَرْوْنَهُ عَنْهُمْ، فَتَكُونُ مَعَامِلَتُهُمْ مَعَ الرَّبِّ وَالْخَلْقِ عَلَى الْعَكْسِ^٦.

عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِّينِ﴾ فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ، قَبْلَ اللَّهِ صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ، وَلَا يَحْسَابُهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^٧.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِمَامِهِ تَفْسِيرُهَا.

١. مجمع البيان ١٠: ٨٣٤، تفسير الصافي ٥: ٣٨١. ٢. تفسير الرازي ٣٢: ١١٥.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ١١٦، تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٣.

٤. مجمع البيان ١٠: ٨٣٤، تفسير الصافي ٥: ٣٨١. ٥. الكافي ٣: ٩/٤٩٩، تفسير الصافي ٥: ٣٨١.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ١١٦.

٧. ثواب الأعمال: ١٢٦، مجمع البيان ١٠: ٨٣٢، تفسير الصافي ٥: ٣٨١.

1. The first part of the paper

discusses the importance of the study and the objectives of the research.

The second part of the paper describes the methodology used in the study.

The third part of the paper presents the results of the study.

The fourth part of the paper discusses the implications of the findings.

The fifth part of the paper concludes the study and provides recommendations.

The sixth part of the paper provides a summary of the findings.

References

The following references are included in the paper:

1. Smith, J. (2010). The importance of the study.

2. Jones, A. (2011). The methodology used in the study.

3. Brown, C. (2012). The results of the study.

4. White, D. (2013). The implications of the findings.

5. Black, E. (2014). The conclusions of the study.

6. Green, F. (2015). The summary of the findings.

7. Grey, G. (2016). The importance of the study.

8. White, H. (2017). The methodology used in the study.

9. Black, I. (2018). The results of the study.

10. Brown, J. (2019). The implications of the findings.

11. White, K. (2020). The conclusions of the study.

12. Black, L. (2021). The summary of the findings.

13. Brown, M. (2022). The importance of the study.

14. White, N. (2023). The methodology used in the study.

15. Black, O. (2024). The results of the study.

16. Brown, P. (2025). The implications of the findings.

17. White, Q. (2026). The conclusions of the study.

18. Black, R. (2027). The summary of the findings.

19. Brown, S. (2028). The importance of the study.

20. White, T. (2029). The methodology used in the study.

21. Black, U. (2030). The results of the study.

22. Brown, V. (2031). The implications of the findings.

في تفسير سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ [١]

ثم لما ختمت سورة الماعون المتضمنة لذم المنافقين بترك الصلاة والرياء بها والبخل، نُظِمَت سورة الكوثر المتضمنة لأمر النبي ﷺ بالصلاة الخالصة، ونحر البدن، وإطعام الفقراء، فافتتحها بذكر الاسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بذكر غاية إنعامه على النبي ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ يا محمد، من خزائن رحمتنا إنعاماً عليك لكرامتك علينا ونهاية محبوبيتك عندنا ﴿الْكَوْثَرَ﴾ وهو النهر في الجنة فيه خيرٌ كثير على المشهور بين السلف والخلف من مفسري العامة على ما قيل^١، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «رَأَيْتُ نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ قِيَابُ اللَّوْلُو الْمُجَوَّفِ، فَضْرَبْتُ بِيَدِي عَلَى مَجْرَى الْمَاءِ، فَإِذَا أَنَا بِمِسْكِ أَذْفَرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قِيلَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ»^٢.

وروي عنه ﷺ أنه قرأ السورة فقال: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ إِنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَعَدْنِيهِ رَبِّي فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ يَبَاضاً مِنَ اللَّيْنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، حَافَتَاهُ الزُّبُرْجَدُ، وَأَوَانِيهِ مِنْ فُضَّةٍ عَدَدُ نَجْمِ السَّمَاءِ، لَا يَضْمَأُ مِنْ شَرِبٍ مِنْهُ أَبَدًا، أَوَّلُ وَارِدِيهِ قُرَاءَةُ الْمُهَاجِرِينَ الدَّنَسِ الثَّلَابِ الشُّعْثِ الرُّوسِ»^٣.

وقيل: إنه حوضه، وسُمِّي الكوثر لكثرة وارديه^٤. وفي الحديث: «حَوْضِي مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى أَيْلَةَ»^٥. قيل في التوفيق بين الروايتين: إن النهر ينصب في الحوض، أو يسيل منه، فيكون الحوض كالمَنْبَعِ له^٦. وقيل: إن المراد بالكوثر الخير الكثير، كما عن ابن عباس^٧، روي أنه فسر الكوثر بالخير الكثير، فقال له سعيد بن جبير: إن ناساً يقولون هو نهرٌ في الجنة؟ فقال: هو من الخير الكثير^٨.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٤.

٣. تفسير أبي السعود ٩: ٢٠٥، تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٤.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٤.

٤ و ٥. تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٤.

٨. تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٤.

٧. تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٤.

أقول: عليه تكون جميع النعم التي أعطاه الله الظاهرة والباطنة داخلية في الخير الكثير.

وقيل: إنه النبوة^١ وقيل: إنه القرآن^٢. وقيل: هو دين الاسلام^٣. وقيل: هو الفضائل الكثيرة التي فيه^٤. وقيل: إنه العلم الكثير^٥. وقيل: إنه الخلق الحسن، لارتفاع عموم الناس به^٦. وقيل: إنه رفعة الذكر^٧. وقيل: إنه المقام المحمود الذي هو الشفاعة^٨.

وقيل: إنه كثرة أولاده، لأن هذه السورة نزلت ردّاً على من عابه بعدم الأولاد، فالمعنى أنا نعطيك نسلاً يبقون من الزمان^٩.

قال الفخر الرازي: فانظر كم قيل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يُعاب به، ثم انظر كم كان فيهم من أكابر العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم^{١٠}.

وقيل: هو كثرة علماء أمته، لأنهم كانوا كأنبياء بني إسرائيل^{١١}. وقيل: إنه كثرة أتباعه^{١٢}. وقيل: إنه هذه السورة، لأنها مع قصرها وافية بجميع منافع الدنيا والآخرة^{١٣}، حيث إن فيها مع قصرها إعجاز البيان وإخبار بالمغيبات، فهي كافية لإثبات النبوة الجامعة للخيرات الدنيوية والأخروية. وعن الصادق عليه السلام قال: «هو الشفاعة»^{١٤}.

وعنه عليه السلام قال: «هو نهر في الجنة، أعطاه الله نبيه عليه السلام [عوضاً من ابنه]»^{١٥}.

وروى الصدوق عن ابن عباس قال: لما نزل على رسول الله ﷺ «إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ» قال له علي بن أبي طالب عليه السلام: ما الكوثر يا رسول الله؟ قال: «هو نهر، أكرمني الله به» قال وعلي عليه السلام: «هو نهر شريف، فانتعته لنا يا رسول الله». قال: «نعم يا علي، الكوثر نهر يجري من تحت عرش الله، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، حصاه الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ثرابه المسك الأذفر»^{١٦}، قواعد تحت عرش الله عز وجل. ثم ضرب رسول الله ﷺ على جنب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا علي، هذا النهر لي ولك ولمحيبك من بعدي^{١٧}.

وفي (الخصال) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أنا مع رسول الله ﷺ ومع عترتي وسبطي^{١٨} على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا، وليعمل عملنا، فإن لكل أهل نجيباً، ولنا نجيب، ولنا الشفاعة،

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٤.

٢ و ٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٦.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٧.

٥-١١. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٤.

١٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٦.

١٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٧.

١٤ و ١٥. مجمع البيان ١٠: ٨٣٦، تفسير الصافي ٥: ٣٨٢.

١٦. الأذفر: الشديد الرائحة.

١٧. أمالي الطوسي: ١٠٢/٦٩، تفسير الصافي ٥: ٣٨٢.

١٨. في النسخة: ومع عترتي.

ولأهل مودتنا الشفاعة، فتنافسو في لقائنا على الحوض، فإنما نذود عنه أعداءنا، ونسقي منه أحببنا وأوليائنا، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، حوضنا فيه متعبان^١ ينصبان من الجنة: أحدهما من تسنيم، والآخر من معين، على حافته الزعفران، وحصاه اللؤلؤ، وهو الكوثر^٢.

فَصِّلْ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْآبُتْرُ [٣ و ٢]

ثم إنه تعالى بعد ما فضل نبيه ﷺ على العالمين بإعطائه الكوثر، طالبه بشكره بأمره بالقيام بعبوديته وتعظيمه بقوله: ﴿فَصِّلْ﴾ يا حبيبي الصلاة التي هي جامعة لجميع وظائف العبودية وشؤون التعظيم ﴿لِرَبِّكَ﴾ المتفضل عليك بالنعم التي لا تحصى أداءً لشكره عليها.

قيل: إنه تعالى لما أمر نبيه ﷺ بالصلاة قال ﷺ: «كيف أصلي، ولست على وضوء؟» فقال الله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ثم ضرب جَبْرَيْلُ بَجَنَاحِهِ عَلَى الْأَرْضِ، فَنَبَعَ مَاءُ الْكَوْثَرِ فَتَوَضَّأَ^٣.

ثم أمره بأفضل العبادات المالية بقوله: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ البَدَنُ التي هي أنفس الأموال عند العرب. وقيل: لما كانت صلاة المشركين ونحرهم للأصنام، قال سبحانه: لتكن صلاتك ونحرك لِرَبِّكَ^٤.

وقيل: أريد بالصلاة صلاة العيد الأضحى، وبالنحر النحر للأضحية^٥.

وقيل: يعني صلاة الفجر بالمزدلفة، والنحر يعني^٦.

وقيل: يعني استقبال في الصلاة بنحرك إلى القبلة^٧.

وقيل: يعني ارفع يديك إلى نحرك عند تكبيرات الصلاة^٨.

روي بعض العامة عن الأصمغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لما نزلت هذه السورة قال النبي ﷺ لجَبْرَيْلُ: ما هذه النخيرة التي أمرني بها ربِّي؟ قال: ليست بنخيرة، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من السجود وإذا سجدت، فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع، وإن لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبير^٩».

وروي عنه عليه السلام أنه فسر هذا بوضع اليدين على النحر في الصلاة، وقال: رفع اليدين قبل الصلاة عادة المستجير العائد، ووضعها على النحر عادة الخاضع الخاشع^{١٠}.

١. في النسخة: مشعبان، والمثعب: مسبل المياه. ٢. الخصال: ١٠/٦٢٤، تفسير الصافي ٥: ٣٨٣.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٩. ٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٠.

٥. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٠، تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٥.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٠، تفسير أبي السعود ٩: ٢٠٥.

٧. تفسير أبي السعود ٩: ٢٠٥. ٨. جوامع الجامع: ٥٥٤، تفسير أبي السعود ٩: ٢٠٥.

٩. مجمع البيان ١٠: ٨٣٧، تفسير الصافي ٥: ٣٨٣، تفسير الرازي ٣٢: ١٢٩. ١٠. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٩.

وقيل: يعني ارفع يديك عَقِيب الدعاء إلى نحر^١. وقيل: يعني اقتد بين السجدين حتى يبدوا نحر^٢، وهذه الأقوال كلها متفقة على أن النحر بمعنى الصدر.

وعن الصادق عليه السلام: «هو رفع اليدين حذاء وجهك»^٣. [وفي رواية] فقال بيده هكذا، يعني استقبال بيده حذاء وجهه القبلة في افتتاح الصلاة^٤.

وعن الباقر عليه السلام أنه سُئل عنه فقال: «النحر الاعتدال في القامة بأن يقيم صُلبه ونُحره»^٥. ثم إنه تعالى بعد إظهار غاية لطفه بحبيبه، ردّ طعن المشركين عليه بأنّه أبتر بقوله: «إِنَّ شَأْنَكَ» يا محمد ومُبغضك «هُوَ الْأَبْتَرُ» ومنقطع النسل. رُوي أن العاص بن وائل كان يقول بعد موت عبد الله بن رسول الله من خديجة: إنَّ محمداً أبتر لابن له يقوم مقامه بعده، فاذا مات انقطع ذكره واسترحتم، كما عن ابن عباس وعامة المفسرين على ما قيل^٦.

وعن السُّدي: لما مات ابنه القاسم وعبد الله بمكة، وإبراهيم بالمدينة، كانت قريش يقولون: إنَّ محمداً أبتر ليس له من يقوم مقامه، فأخبر الله أن عدوه أبتر، ومن معجزات النبي ﷺ حيث نرى أن نسل أولئك الكفار قد انقطع، ونسله ﷺ يزداد وينمو كل يوم إلى يوم القيامة^٧.

وقيل: إنَّها نزلت في أبي جهل، فإنه لما مات ابن رسول الله قال أبو جهل: إني أبغضه لأنه أبتر^٨.

وقيل: نزلت في عمّه أبي لهب، فإنه لما شافهه بقوله: تبأ لك، كان يقول في غيبته: إنه أبتر^٩.

وقيل: نزلت في عَقِبة بن أبي مُعيط، وأنه هو الذي كان يقول ذلك^{١٠}.

وقيل: إنَّ الأَبتر هو المنقطع عن قومه^{١١}، قيل: لما أوحى الله إلى رسوله ودعا قريشاً إلى الاسلام قالوا: أبتر محمد، أي خالفنا وانقطع عنا^{١٢}.

وعن ابن عباس: لما قَدِم كعب بن الأشرف مكة أتاه جماعة من قريش، فقالوا: نحن أهل السُّقاية والسُّدانة، وأنت سيد أهل المدينة، أفنحن خير أم هذا الأَبتر من قومه، يَزْعُم أنه خير منا؟ فقال: بل أنتم خير منه، فنزل «إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ»^{١٣}.

وقيل: إن المراد بالأَبتر هنا المنقطع عن المقصود قبل بلوغه، فأجابه الله تعالى أن خصمه هو الذي يكون كذلك، فإنهم صاروا مدبرين مغلوبين مقهورين، وصارت رايات الاسلام عالية وأهل الشرق

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٠، تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٥.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٢٩.

٣. مجمع البيان ١٠: ٨٣٧، تفسير الصافي ٥: ٣٨٣.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٢، وعن مقاتل والكلبي وعامة أهل التفسير.

٥. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٣.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٢.

٧. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٢.

٨. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٢.

٩. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٢.

١٠. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٢.

١١. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٢.

١٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٢.

١٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٢.

والغرب لها متواضعة^١.

وقيل: إن المراد به من لاناصر له ولامعين، فكذبهم الله؛ لأن الله هو مولاه وجَبَرْنِيل وصالح المؤمنين، وأن الكفار لاناصر لهم^٢.

وقيل: إن المراد به الحقير الذليل، روي أن أبا جهل اتخذ ضيافة لقومه، ثم قال: محمد ابتر، ثم قال: قوموا حتى نذهب إلى محمد وأسارعه واجعله ذليلاً حقيراً، فلما وصلوا إلى دار خديجة، وتوافقوا على ذلك، أخرجت خديجة بساطاً، فلما تصارعا جعل أبوجهل يجتهد في أن يصصره، وبقي النبي واقفاً كالجبل، ثم بعد ذلك رماه النبي ﷺ على أقبح وجه، فلما رجع أخذه باليد اليسرى، فصصره على الأرض مرة أخرى، ووضع قدمه على صدره^٣.

وقيل: إن المراد من قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ هذه الواقعة^٤.

وقيل: إنه لما نسب النبي ﷺ إلى القلة والذلة، ونفسه بالكثرة والدولة، قلب الله الأمر عليه، وبين أن العزيز من أعزه الله، والذليل من أذله الله، والكثرة والكوثر لمحمد، والابترية والذمامة^٥ والذلة لعدوه، فكان من أول السورة وآخرها نوع مطابقة.

وقيل: إن المراد به المنقطع عن الملك والسلطنة، وقد مر أن رجلاً قام إلى الحسن بن علي وقال: سؤدت وجه المؤمنين بأن تركت الإمامة لمعاويه، فقال: «لا تؤذيني يرحمك الله، فإن رسول الله ﷺ رأى بني أمية في المنام يصعدون منبره رجلاً رجلاً، فساء ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ و ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فقال: ملك بني أمية كذلك، ثم انقطعوا وصاروا مبتورين^٦.
وقيل: إن المراد أن كلامهم الفاسد في حقك منقطع ومضمحل، وأما المدح الذي ذكرناه فيك فإنه باقٍ على وجه الدهر^٧.

عن القمي رحمه الله قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، وفيه عمر بن العاص والحكم بن العاص، فقال عمرو: يا أبت، وكان الرجل في الجاهلية إذا لم يكن له ولد سُمي أبت. ثم قال عمرو: إني لأشأ محمدأ أي أبغضه، فأنزل الله على رسوله السورة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي لادين له ونسب^٨.
ومِمَّا تضحك به الثكلى معارضة مسلمة لهذه السورة بقوله: إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وهاجر، إن مبغضك رجل كافر. فإن تغيير ثلاث كلمات لا يكون معارضة مع عدم المناسبة بين

٢ - ٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٣.

٦ و ٧. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٤.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٣٣.

٥. في تفسير الرازي: والدناءة.

٨. تفسير القمي ٢: ٤٤٥، تفسير الصافي ٥: ٢٨٣.

الإعطاء والجماهر والصلاة والهجرة، وحكم الذوق السليم بركاكنه.

عن الصادق عليه السلام: «من كان قراءته ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ في فرائضه ونوافله، سقاها الله من الكوثر يوم القيامة وكان محلّه عند رسول الله ﷺ في أصل شجرة طُوبى^١.

في تفسير سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا
أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ [١-٥]

ثم لما ختمت سورة ثم لما ختمت سورة الكوثر المتضمنة لغاية إنعام الله وتفضله على رسوله وأمره بعبادته، نُظِمَت سورة الجحد المتضمنة لامتناع الرسول ﷺ عن عبادة غير الله، فافتتحها بذلك الأسماء الحسنى بقوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

ثم خاطب نبيه بقوله: «قُلْ يا محمد تقريباً للمشركين الذين طعنوا فيك بأنك أبتَر ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ قيل: في ندائهم بهذا الوصف الذي يسترذلونه في بلدهم ودار عزهم وشوكتهم، إيذاناً بذلهم، وكونه ﷺ محروساً منهم^١، وأنه مؤيد من الله.

رُوي أَنَّ رَهْطاً من عَتَاة المَشْرِكِينَ كالوليد بن المُغيرة وأبي جهل والعاص بن وائل وأمية بن خلف والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس وأضرابهم، قالوا لرسول الله ﷺ: هلم فأتبع ديننا ونشبع دينك، تعبد إلها سنة ونعبد إلهك سنة، فيحصل الصلح بيننا وبينك، وتزول العداوة. فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله غيره» فقالوا: استلم بعض آلهتنا نُصَدِّقْكَ ونعبد إلهك، فنزلت^٢ السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من دون الله أبداً ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ بعد ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ الله الواحد الذي لا إله غيره ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في حال من الأحوال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ من الأصنام والكواكب، فلا تظمعو مني ذلك الأمر المحال ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في وقت من الأوقات ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله الواحد الذي خلق جميع الأشياء بقدرته، لتصلبكم في دينكم الباطل، ولجأكم وعنادكم للحق. قيل: إن التكرار للتأكيد^٣، فإن الكفار - على ما قيل - رجعوا إلى رسول الله ﷺ في ذلك مراراً، وسكت

الرسول ﷺ عن جوابهم، فوقع في قلوبهم أنه قد مال إلى دينهم بعض الميل، فنزلت الآية مكرراً^١.
وقيل: إن الكفار قالوا: استلم بعض آلهتنا حتى نؤمن لك، فأنزل الله: ﴿لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ
عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ﴾ ثم قالوا بعد مدة: تعبد آلهتنا شهراً أو سنه، وتعبد إلهك شهراً أو سنه، فأنزل: ﴿وَلَا
أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ﴾^٢.

وذكر كلمة ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا أُعْبُدُ﴾ مع أنها لغير ذوي العقول، لإرادة الصفة بها، والمعنى: لا أعبد
الباطل الذي تعبدونه، ولأنتم عابدون الحق الذي أعبد، كذا قيل^٣. وقيل: إنها بمعنى (الذي)^٤ أو
مصدرية، والمعنى، لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في المستقبل، ثم قال ثانياً: لأعبد عبادتكم
ولا تعبدون عبادتي في الحال^٥.

وقيل: إن ذكرها لانساق الكلام، فإنه تعالى لما قال أولاً ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ حمل الثاني عليه،
كما قال: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^٦.

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ [٦]

ثم كآته قال: إن أردتم الصلح، فإن الصلح بيننا وبينكم أن ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ لاتتركونه ﴿وَلِيَ دِينِ﴾
لاأتركه ولاأرفضه.

عن ابن عباس قال: يُريد لكم كفركم بالله، ولي التوحيد الخالص^٧.

وقيل: لكم دينكم فكونوا عليه إن كان الهلاك خيراً لكم^٨.

وقيل: إن الدين هو الحساب، والمعنى: لكم حسابكم، ولي حسب أعمالي، لا يرجع عمل كل إلا على عامله^٩.
وقيل: يعني لكم جزاء أعمالكم ودينكم وبالأ وعقاباً، ولي جزاء ديني ثواباً وتعظيماً^{١٠}.

وقيل: إن الدين هو العقوبة^{١١}، والمعنى: لكم العقوبة من ربي، ولي العقوبة من أصنامكم، وفيه تهديد وتهكم^{١٢}.
عن الصدوق في (الأمالي): شأن نزول السورة أن نقرأ من قرش اعتراضوا لرسول الله ﷺ منهم:
عتبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل أو سعد^{١٣}، فقالوا: يا محمد، هلم
فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فان يكن الذي نحن عليه حقاً فقد

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٤٦. ٢. ٥. تفسير الرازي ٣٢: ١٤٦.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ١٤٦، والآية من سورة الشورى: ٤٠/٤٢.

٧. تفسير الرازي ٣٢: ١٤٧، وفيه: التوحيد والإخلاص له.

٨. ٩. تفسير الرازي ٣٢: ١٤٧. ١٠. ١٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٤٧.

١٣. في أمالي الطوسي: العاص بن سعيد، وفي مجمع البيان ١٠: ٨٤٠، العاص بن أبي وائل.

أخذت بحفظك، وإن يكن الذي أنت عليه الحق فقد أخذنا بحفظنا منه، فأنزل الله السورة^١.

وفي الرواية العامة السابقة: فغدا رسول الله إلى المسجد [الحرام] وفيه الملاء من قريش، فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم [فأيسوا]^٢ منه عند ذلك، فأذوه وأصحابه^٣.

وعن القمي: سأل أبو شاذان الديصاني أبا جعفر الأحول عن تكرار الآية في السورة، وقال: هل يتكلم الحكيم بمثل هذا القول ويكرره مرة بعد أخرى؟ فلم يكن عند الأحول في ذلك جواب، فدخل المدينة فسأل الصادق عليه السلام عن ذلك، فقال: «كان سبب نزولها وتكرارها أن قريشاً قالت لرسول الله ﷺ تعبد آلهمنا سنة، وتعبد آلهم سنة، وتعبد آلهم سنة، فاجابهم الله بمثل ما قالوا»^٤.

وعنه عليه السلام: «من قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في فريضة من الفرائض، غفر الله له ولوالديه، وإن كان شقياً محي من ديوان الأشقياء وأثبت في ديوان السعداء، وأحياه الله سعيداً، وأماته سعيداً، وبعثه شهيداً»^٥.

وعنه عليه السلام: «كان أبي يقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ربع القرآن، وكان إذا فرغ منها قال أعبد الله وحده، أعبد الله وحده»^٦.

وعنه عليه السلام، «إذا فرغت منها فقل: ديني الاسلام، [ثلاثاً]»^٧.

وروت العامة عن ابن عباس: ليس سورة في القرآن أشق على الشيطان من هذه السورة الكريمة، لأنها توحيد مخض وبراءة من الشرك، فمن قرأها برئ من الشرك، وتباعد عنه مردة الشياطين، وأمن من الفرع الأكبر، وهي تعدل ربع القرآن^٨.

وفي الحديث العامي: «مروا صبيانكم فليقرؤوها عند المنام، فلا يعرض لهم شيء، ومن خرج مسافراً فقرأ هذه السور الخمس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ رجع سالماً، ولا تصبه آفة ومُصيبة»^٩.

١. أمالي الطوسي: ٢٢/١٩، تفسير الصافي ٣: ٣٨٥. ٢. في النسخة: فراغ.

٣. تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٦، مجمع البيان ١٠: ٨٤٠.

٤. تفسير القمي ٢: ٤٤٥، تفسير الصافي ٥: ٣٨٥.

٥. نواب الأعمال: ١٢٧، مجمع البيان ١٠: ٨٣٩، تفسير الصافي ٥: ٣٨٦.

٦. الكافي ٢: ٧/٤٥٤، وفيه إلى: ربع القرآن، مجمع البيان ١٠: ٨٣٩، تفسير الصافي ٥: ٣٨٦، وفيه: أعبد الله وحده، مرة واحدة. ٧. تفسير القمي ٢: ٤٤٦، تفسير الصافي ٥: ٣٨٦.

٨ و ٩. تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٨.



في تفسير سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا [٢٥١]

ثم لما خُتِمت سورة الجحد المتضمنة لأمر النبي ﷺ بخطاب أهل مكة بأشنع الخطاب، والإعلان بالتبري من عبادة أصنامهم المؤذن لجميع ذلك بعدم مبالاته إياهم، وكونه محروساً منهم ومنصوراً عليهم، نُظِمت سورة النصر المُبشرة بنصرته على الكفار، ودخول الناس في دينه، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بتبشير نبيه ﷺ بالنصر والغلبة على الكفار، وفتح مكة الذي كان من أهم مطالبه بقوله: ﴿إِذَا جَاءَ﴾ ك يا محمد ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ والغلبة التامة على أعداء الدين من قريش وسائر العرب ﴿وَالْفَتْحُ﴾ الذي تأمله وتتظره بسبب نصر الله وإعانتة إياك عليه، وهو فتح مكة التي هي مولدك ومسكن آبائك.

قيل: لما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ خاف من قريش وسائر العرب بعض الخوف، فقلل في الخشونة وقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فأمنه تعالى وقال: لاتخف فإني لأذهب بك إلى النصر، بل أجيء بالنصر إليك^١.

عن ابن عباس: الفتح هو فتح مكة، وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح^٢.

رُوي أنه لما كان صلح الحديبية، وانصرف رسول الله ﷺ، أغار بعض من كان على عهد قريش على خُرَاعة، وكانوا على عهد رسول الله ﷺ، فجاء سفير ذلك القوم وأخبر رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليه، ثم قال: أما إن هذا العارض يُخبرني أن الظفر يجيء من الله، ثم قال لأصحابه: انظروا. فأبى سفيان يجيء ويلتمس أن يُجَدِّد العهد، فلم تمض إلا ساعة أن جاء الرجل ملتمساً لذلك، فلم يجبه رسول الله ﷺ ولا أكابر الصحابة، فالتجأ، إلى فاطمة، فلم ينفعه ذلك، فرجع إلى مكة آيساً،

٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٥٣.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٥٠.

وتجهز رسول الله ﷺ إلى المسير لمكة.

ثم رُوي أن سارة مولاة بني هاشم أتت المدينة، فقال لها النبي ﷺ: جئت مسلمة؟ قالت: لا، لكن كنتم الموالي ولي حاجة. فحث عليها رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها، فاتاها حاطب بن أبي بلعثة بعشرة دنانير، واستحملها كتاباً إلى مكة نسخته: اعلما أن رسول الله يريدكم، فخذوا حذرکم، فخرجت سارة، فنزل جبرئيل بالخبر، فبعث رسول الله ﷺ وعماراً في جماعة أمرهم أن يأخذوا الكتاب، وإلا فاضربوا عنقه. فلما أدركوها جحدت وحلفت، فسئل علي سيفه، وقال: والله ما كُذِّبنا، فأخرجته من عقيصة شعرها، واستحضر النبي ﷺ حاطباً، وقال: «وما حملك عليه؟» فقال: والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا أجبته منذ فارقته، ولكن كنت غريباً في قريش، وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً.

فقال عمر: دعني - يا رسول الله - أضرب عتق هذا المنافق. فقال: «وما يدريك - يا عمر - لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فغاضت عينا عمر.

أقول: لا يخفى ما فيه من الطعن على عمر.

ثم خرج رسول الله ﷺ ثم نزل بمنزلة الظهران، وقدم العباس عم النبي مع أبي سفيان إليه فاستأذناه، فأذن لعمه خاصة، فقال أبو سفيان: إما أن تأذن لي، وإلا أذهب بولدي إلى المفاضة فيموت جوعاً وعطشاً؛ فرق قلبه الشريف، فأذن له، وقال له: «ألم يأن أن تسلم وتوحد؟» فقال: أظن أنه واحد، ولو كان هاهنا غير الله لنصرنا. فقال له: «ألم يأن أن تعرف أتي رسول الله؟» فقال: إن لي شكاً في ذلك. فقال العباس: أسلم قبل أن يقتلك عمر، فقال: وما أصنع بالعز؟ فقال عمر: لولا أنك بين يدي رسول الله لضربت عتقك.

فقال: يا محمد، أليس الأولى أن تترك هؤلاء الأوباش وتصلح قومك وعشيرتك، فشكأن مكة عشيرتك وأقاربك وتعرضهم للشن والغارة؟

فقال رسول الله: «هؤلاء نصروني وأعانوني وذبوا عن حريمي، وأهل مكة أخرجوني وظلموني، فان أسروا فيسوء صنيعهم».

وأمر العباس بأن يذهب به، ويوقفه على المبرصاد ليطالع العسكر، فكانت الكتيبة تمر عليه فيقول: من هذا؟ فيقول العباس: هو فلان من أمراء الجند والعسكر، إلى أن جاءت الكتيبة الخضراء التي لا يرى منها إلا الحدق قال من هم؟ فقال العباس، هذا رسول الله ﷺ، فقال: لقد أوتي ابن أخيك ملكاً

عظيماً فقال العباس: هو النبوة. فقال: هيهات النبوة.

ثم تقدّم رجلٌ ودخل مكة وقال: إن محمداً جاء بعسكرٍ لا يطيقه أحد، فصاحت هند وقالت: اقتلوا هذا المبشر، وأخذت بلحيته، فصاح الرجل فدفعها عن نفسه، فلمّا سمع أبوسفیان أذان القوم للفجر، وكانوا عشرة آلاف فرّج لذلك فرّجاً شديداً، وسأل العباس، فأخبره بأمر الصلاة، ودخل رسول الله ﷺ مكة على راحلته، ولحيته على قَرْبُوسٍ سرجه كالساجد تواضعاً وشكراً، ثم التمس أبوسفیان الأمان، فقال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» فقال أبوسفیان: ومن تسع داري؟ فقال ﷺ: «من دخل المسجد فهو آمن» فقال أبوسفیان: ومن يسع المسجد. فقال النبي ﷺ: «من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن».

ثم وقف رسول الله على باب المسجد، وقال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب جنده، أو وحده. ثم قال: «يا أهل مكّة، فما ترون آتي فاعلٌ بكم؟» فقالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: «اذهبوا فانتُم الطُّلقاء»^١.

ثم إن القوم بايعوا رسول الله ﷺ على الاسلام، فصاروا يدخلون في دين الله أفواجاً. ثم اعلم أن فتح مكة كان في سنة ثمان من الهجرة، وقال بعض مفسري العامة: إن السورة نزلت قبل الفتح^٢، فيكون ما فيها إخباراً بالغيب، ودليلاً على صحّة النبوة، وقال بعض: إنَّها نزلت في سنة عشرة^٣.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لما نزلت هذه السورة مريض رسول الله ﷺ، فخرج إلى الناس فخطبهم وودعهم، ثم دخل المنزل فتوفي بعد أيام»^٤.

وروي أنه دعا فاطمة عليها السلام فقال: يا بنتاه إنني نعت إلي نفسي فبكت فقال: «لاتبكي، فأنك أول أهلي لحوقاً بي» فضحكت^٥.

وعن ابن مسعود: أن هذه السورة تسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا^٦. وقيل: إن المراد بالفتح فتح خيبر^٧ وقيل: إنه فتح الطائف^٨. وقيل: إنه فتح بلاد الشرك على الإطلاق^٩، ويدل على كون المراد فتح مكّة تعريفه بلام العهد، فإن المعهود عندهم هو ذلك الفتح، وإن الناس قبل فتح مكة كانوا يدخلون في الاسلام واحداً بعد واحدٍ واثنين اثنين، والله سبحانه قرن

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٥٣.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٥٥، تفسير أبي السعود ٩: ٢٠٨، تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٨.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٥٥.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣١.

٥. تفسير الرازي ٣٢: ١٥٥.

بذكر الفتح قوله: ﴿وَرَأَيْتُ﴾ وأبصرت ﴿النَّاسَ﴾ وعامة العرب ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بالطوع والرغبة ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ وملة الإسلام حال كونهم ﴿أَفْوَاجًا﴾ وجماعات كثيرة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب.

رُوي أَنَّ النبي ﷺ لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض، فقالوا: إذا ظَفِرَ بأهل مكة وأهل الحرم، فلن يقاومه أحد، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم من الجبابرة، فكانوا يدخلون في دين الاسلام أفواجا من غير قتال^١.

وقيل: لم يَمُت رسول الله ﷺ وفي العرب رجلٌ كافر، بل دخل الكل في الاسلام بعد خُنين، منهم من قَدِم إلى رسول الله ﷺ ومنهم من قَدِم وافده^٢.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أَنه بكى ذات يوم ف قيل له في ذلك، فقال: سَنِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «دخل الناس في دين الله أفواجا، وسيخْرُجون منه أفواجا»^٣.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [٣]

ثم لما بَشَّر سبحانه حبيبه بالنصر على الأعداء الدال على كمال قدرته، أمره بتسبيحه وتنزيهه عن الشرك والعجز بقوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾ ونزه إليك - يا محمد - عن العجز والنقص الامكانية، ولما بَشَّره بنعمة الفتح أمره أن يُقرن تسبيحه^٤ بحمده على نعمة التي منها الفتح، وكأنه تعالى قال: فسبِّح حال كونك متلبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ المُنعم عليك.

ثم أوما إلى كمال دينه وتعام أمر دعوته وقُرب أجله بقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ لما فَرَط منك من ترك الأولى والأفضل، ولذنوب الداخلين في دينك، أو هضمًا لنفسك، واستصغارا لعملك، واستعظاما لحقوقه ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿كَانَ﴾ بذاته وبلطفه ﴿تَوَّابًا﴾ ومبالغًا في قبول التوبة بحيث يعامل مع التائب معاملة من لم يُذنب.

قيل: إنَّ علَّة الأمر بالاستغفار كونه تعالى غفَّارًا، وأما التعليل بكونه توابًا للدلالة على أَنَّ المقدَّر، وتبَّ إنه كان توابًا، والأمر بالتوبة بعد الاستغفار للدلالة على أَنَّ طلب المغفرة لا ينفع إلا إذا قُرِن بالندم على المعاصي، والعزم على عدم العود^٥.

روت عائشة أَنه كان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة يُكثِر أن يقول: «سبحانك اللهم

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٥٧، تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٩.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٥٢٩. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٥٧، تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٠.

٤. في النسخة: بتسبيحه. ٥. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٢.

وبحمدك، استغفرك وأتوب إليك»^١.

وعنها أيضاً: كان نبي الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: «سبحان الله وبحمده». فقلت يا رسول الله انك تكثر من قول سبحان الله وبحمده، قال: إني أمرت بها وقرأ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾^٢. وروي ذلك عن أم سلمة أيضاً^٣.

وقالت أيضاً: كان الرسول ﷺ يقول كثيراً في ركوعه: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي»^٤. وعن ابن مسعود: لما نزلت هذه السورة كان يُكثِر من أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»^٥.

عن الصادق عليه السلام: «أَنْ أَوَّلَ مَا نَزَلَ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وَآخِرُهُ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾»^٦. وعنه عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ فِي نَافِلَةٍ أَوْ فَرِيضَةٍ، نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ أَعْدَائِهِ، وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ كِتَابٌ يَنْطِقُ قَدْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ جَوْفِ قَبْرِهِ، فِيهِ أَمَانٌ مِنْ جَسَرِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ النَّارِ، وَمِنْ زَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَلَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بَشَّرَهُ وَأَخْبَرَهُ بِكُلِّ خَيْرٍ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَيُفْتَحَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَتَمَنَّ وَلَمْ يَخْطِرْ عَلَى قَلْبِهِ»^٧.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٠.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٠، تفسير روح البيان ١٠: ٥٣١.

٣. مجمع البيان ١٠: ٨٤٤، تفسير الصافي ٥: ٣٨٧.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٠.

٥. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٠.

٦. الكافي ٢: ٥/٤٦٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٢/٦، تفسير الصافي ٥: ٣٨٧.

٧. ثواب الأعمال: ١٢٧، مجمع البيان ١٠: ٨٤٣ وفيه إلى قوله: يدخل الجنة.



في تفسير سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ [١ و ٢]

ثُمَّ لَمَّا خُتِمَتْ سورة النصر المتضمنة لبيان تمامية دعوة الرسول ﷺ، ونفوذ كلمته، ودخول الناس في دينه، وتضرته على أعدائه، نُظِمَتْ سورة أبي لهب المتضمنة لبيان خبث^١ أبي لهب ودم زوجته أم جميل^٢ الساعيين في الإخلال بأمر رسالته وإطفاء نوره، وغاية خسرانها [في] معاندته، فابتدأها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثُمَّ افْتُتِحَتْ بِذِكْرِ خُسْرَانِ أَبِي لَهَبٍ فِي مُعَانَدَتِهِ لِلرَّسُولِ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿تَبَّتْ﴾ وخسرت، أو خابت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ رُوي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَعِدَ عَلَى الصَّفَاذَاتِ يَوْمَ، وَقَالَ: «يَا صَبَاةُ» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قَرِيشٌ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصْبِحَكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «فَأَنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ، أَلَهَذَا دَعَوْتُنَا! فَنَزَلَتْ السُّورَةُ»^٣.

وَرُوي أَيْضاً أَنَّهُ ﷺ جَمَعَ أَعْمَامَهُ، وَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ طَعَاماً فِي صَحْفَةٍ، فَاسْتَحَقَرُوهُ. وَقَالُوا: إِنْ أَحَدُنَا يَأْكُلُ كُلَّ الشَّاةِ، فَقَالَ: «كُلُوا» فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَلَمْ يَنْقُصْ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا الْيَسِيرُ، ثُمَّ قَالُوا: فَمَا عِنْدَكَ؟ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ، أَلَهَذَا دَعَوْتُنَا!^٤

وَرُوي أَنَّهُ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: فَمَا لِي إِنْ أَسْلَمْتُ؟ فَقَالَ: «مَا لِلْمُسْلِمِينَ» فَقَالَ: أَفَلَا أَفْضَلَ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِمَاذَا تُفَضِّلُ؟» فَقَالَ: تَبَّ لَكَ وَلِهَذَا الدِّينَ، يَسْتَوِي [فِيهِ] أَنَا وَغَيْرِي^٥. وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ إِذَا وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ سَأَلُوا عَمَّهُ عَنْهُ، وَقَالُوا: أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ. فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ سَاحِرٌ، فَيَرْجِعُونَ عَنْهُ وَلَا يَتَّقُونَهُ، فَأَتَاهُ وَفَدَّ فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالُوا: لَا نَنْصَرِفُ حَتَّى نَرَاهُ. فَقَالَ: إِنَّا لَمْ نَزَلْ نُعَالِجُهُ مِنْ

١. في النسخة: خبيثة. ٢. في النسخة: جميلة.

٣. مجمع البيان ١٠: ٨٥١، تفسير الصافي ٥: ٣٨٩، تفسير الرازي ٣٢: ١٦٥.

٤ و ٥. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٥.

الجنون، فبأله وتعمساً، فأخبر النبي ﷺ بذلك فحزن، فنزلت السورة^١.

وفي رواية ابن عباس: اجتمعت عنده قريش فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ وَأَنْتُمْ الْأَقْرَبُونَ، أَعْلَمُوا أَنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا حِطًّا، وَلَا مِنَ الْآخِرَةِ نَصِيًّا، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَشْهَدَ بِهَا لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ». فقال أبو لهب ذلك: تَبًّا لَكَ، أَلْهَذَا دَعْوَتُنَا! فنزلت السورة^٢.

وعنه قال: «تَبَّتْ» أي خابت، لأنه كان يدفع القوم عنه بقوله: إنه ساحرٌ، فينصرفون عنه قبل لقائه. لأنه كان شيخ القبيلة، وكان له ﷺ كالأب، فكان لا يتهم، فلما نزلت السورة غَضِبَ وأظهر العداوة الشديدة، فصار متمماً، فلم يُقْبَلْ قوله في الرسول ﷺ بعد ذلك، فكأنه خاب سعيه وبطل غرضه^٣.
 قيل: إنما ذكر سبحانه اليد، لأنه كان يضرب يديه على كُفِّ الوافد عليه لدفعه، ويقول: انصرف راشداً فإنه مجنون^٤. وقيل: يعني صَفَرَتْ يده عن كُلِّ خير^٥، وعليه يكون المراد باليد حقيقتها، فإنه كان يؤدي النبي ﷺ بيده.

رُوي عن طارق المحاربي أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في السوق يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا» ورجل خلقه يرميه بالحجارة. وقد أدمى عَقِيْبِهِ، وقال: لَأُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فقلت: من هذا؟ فقالوا: محمدٌ، وعَمَهُ أبو لهب^٦.

وقيل: إنما اسند الخُسران أو الخيبة إلى يديه، لما رُوي أنه كان يقول: يَعِدُنِي مُحَمَّدٌ أَشْيَاءَ لَا أَرَى أَنَّهَا كَائِنَةٌ، يزعم أنها بعد الموت، فلم يضع في يدي من ذلك شيئاً، ثُمَّ يَنْفُخُ فِي يَدَيْهِ، ويقول: تَبًّا لَكُمْ، مَا أَرَى فِيكُمْ شَيْئاً، فنزلت السورة^٧.

أولما رُوي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَعَاهُ نَهَاراً فَأَبَى، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ ذَهَبَ إِلَى دَارِهِ مُسْتَنّاً بِسَنَةِ نُوْحٍ ﷺ لِيَدْعُوهُ لَيْلاً كَمَا دَعَاهُ نَهَاراً، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: جِئْتَنِي مُعْتَذِراً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَهُ كَالْمُحْتَاجِ، وَجَعَلَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَقَالَ: «إِنْ كَانَ يَمْنَعُكَ الْعَارُ فَأَجْبِنِي فِي هَذَا الْوَقْتِ وَأَسْكُتْ» فقال: لَا أُوْمِنُ بِكَ حَتَّى يُؤْمِنَ بِكَ هَذَا الْجَدِي. فقال ﷺ للجدي: مَنْ أَنَا؟ فقال: رَسُولُ اللَّهِ، وَأُطْلِقُ لِسَانَهُ فَأَتْنِي عَلَيْهِ، فَاسْتَوْلَى الْحَسَدَ عَلَى أَبِي لَهَبٍ، فَأَخَذَ يَدِي الْجَدِي فَمَزَقَهُ وَقَالَ: تَبًّا لَكَ أَثَرُ فَيْكِ السَّحْرَا فَقَالَ الْجَدِي: بَلِ تَبًّا لَكَ، فنزلت السورة على وَفْقِ ذَلِكَ «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» لتمزيقه يدي الجدي^٨ «وَتَبَّ» وحصلت الخيبة والخُسران: أو الهلاك له، فيكون إخباراً بعد إخبار، ولكن أراد بالأول هلاك

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٦.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٥.

٣. ٦. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٦.

٧. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٧.

٨. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٧.

عمله، وبالتالي هلاك نفسه، وقيل: إنَّ اليد كنايةٌ عن ماله^١، والمعنى: هلك ماله، وأهلكت نفسه، وقيل: إنها كناية عن نفسه^٢ والمعنى: هلك أو خسر أو خاب نفسه ﴿وَتَبَّ﴾ ولده عتبة، رُوي أنَّه خرج إلى الشام مع أنس من قريش، فلما هموا أن يرجعوا قال عتبة: أبلغوا محمداً عني أنَّي كفرت بالنجم إذا هوى^٣. وفي رواية: أنَّ عتبة لما أراد الخروج إلى الشام قال: لأتينا محمداً ولأؤذينه، وكانت تحته بنت رسول الله ﷺ فأناه وقال: يا محمد، أنا كافرٌ بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم تغل في وجه رسول الله ﷺ وردَّ عليه ابنته وطلَّقها، فقال ﷺ: «اللهم سلِّط عليه كلباً من كلابك» فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره، ثم خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهبٌ من الدَّير، فقال: إنَّ هذه أرضٌ مَسْبُوعَةٌ، فقال أبو لهب: أعينوني يا معشر قريش هذه الليلة، فأني أخاف على ابني دعوة محمد . فجمعوا جمالهم وأناخواها حولهم، وأحدقوا بعُتْبة، فجاء الأسد يتخلَّلهم ويشتمُّ وجوههم حتَّى ضرب عُتْبة فقتله، وهلك أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليالٍ، والعدسة على ما قيل: بثرة تشبه العدسة، وهي من جنس الطاعون^٤.

وقيل: إنَّ اليد هنا كنايةٌ عن الاحسان والمِنَّة، رُوي أنَّه كان كثير الاحسان إلى رسول الله ﷺ وكان يقول: إن كان الأمر لمحمد فيكون لي عنده يد، وإن كان لقريش فلي عندها يد، فافخبر أنَّه خسرت يده التي كانت عند محمد بعاده له، ويده التي كانت عند قريش أيضاً لخسار قريش وهلاكهم في يد محمد^٥. وقيل: إنَّ يده كنايةٌ عن دينه ودنياه، وعُقباه وأولاه^٦.

وقيل: إنَّ الجملتين دعاءٌ عليه^٨. وقيل: إنَّ الأولى دعاء، والثانية إخبار^٩، أي كان ذلك وحصل. قيل: كان اسمه عبد الغزى، أو عبد مناف، وكُنِّي بأبي لهب لتلهب وجنتيه وإشراقهما^{١٠}. وإنما ذكره سبحانه بالكنية لكونه معروفاً بها، فصارت بمنزلة اسمه، ولأنَّه وصف سبحانه نار جهنم بكونها ذات لهب، فذكر بهذه الكنية للاشعار بموافقة مال أمره كنيته، فمعنى كنيته أبو النار، كما يقال: أبو الشرِّ للشَّير، وأبو الخير للخير.

ثم إنَّه كان يقول: إن كان ما يقوله ابن أخي حقاً، فأنا اقتدي منه نفسي بما لي وأولادي، فردَّ الله تعالى عليه بقوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ﴾ ولم ينفعه حينما حلَّ به التَّباب ﴿مَالُهُ﴾ الذي جمعه ﴿وَمَا كَسَبَ﴾

٤. أي كثيرة السباع.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٣.

٨. تفسير أبي السعود ٩: ٢١٠، تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٣.

١- ٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٧.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٤.

٧. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٧.

٩. تفسير أبي السعود ٩: ٢١٠.

١٠. مجمع البيان ١٠: ٨٥٢، تفسير الرازي ٣٢: ١٦٨، ولم يذكر: عبد مناف.

من أولاده، كما عن ابن عباس^١.

وزُوي أن أطيّب ما يأكل الرجل من كسبه، وأن ولده من كسبه^٢.

وقيل: إن «مَا كَسَبَ» عمله الشنيع من كيد في عداوة الرسول ﷺ وإقدامه في قتله^٣.

وقيل: إن المراد بالمال هو الماشية، ومن كسبه نتاجها، فأنه كان صاحب ماشية ونعم ونتاج^٤، أو المراد ماله الذي ورّثه من أبيه، ومما كسب ما كسبه بنفسه^٥.

وقيل: إن كلمة «مَا» استفهامية للإنكار^٦، والمعنى: أي شيء أغنى عنه في دفع الثّباب، أو في عداوة الرسول، أو في دفع النار.

سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ [٣]

ثم إنّه تعالى بعد إخباره بخبيته وخسرانه في الدنيا، أخبر من سوء حاله في الآخرة وبعد الموت بقوله: «سَيَصْلَى» وعن قريب يدخل بعف «نَاراً» عظيمة «ذَاتَ لَهَبٍ» واشتعال وتوقّد، هي نار جهنم. ثم أعلم أن الآيات متضمنة لأخبار ثلاثة عن الغيب: الإخبار عنه بالثّباب والخسارة، والإخبار بعدم انتفاعه بماله وولده، والإخبار بأنّه يموت على الكفر ويدخل النار، وقد وقع جميع ذلك.

روى أبو رافع مولى رسول الله ﷺ قال: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الاسلام قد دخل [بيتنا] فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمت أنا، وكان العباس يهاب القوم ويكثّم إسلامه، وكان أبولهب تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاص بن هشام، ولم يتخلف رجل منهم إلا بعث مكانه رجلاً آخر، فلما جاء الخبر عن واقعة أهل بدر وجدنا في أنفسنا قوة، وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القِداح ألحياً^٧ في حُجرة زمزم، فكنت جالساً هناك، وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبولهب يجرّ رجله، فجلس على طُنب^٨ الحُجرة، وكان ظهري إلى ظهره، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبوسفیان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال له أبولهب: كيف الخبر يا بن أخي؟ فقال: لقينا القوم ومنحناهم أكثافنا، يقتلوننا كيف أرادوا، وإيم [الله] مع ذلك تأملت الناس، لقينا رجالاً بيض على خيلٍ يلقي بين السماء والأرض. قال أبو رافع فرفعت طُنب الحجرة، ثم قلت: أولئك والله الملائكة، فأخذني أبولهب وضربني على الأرض، ثم برك عليّ

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٩، تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٤.

٢. جوامع الجامع: ٥٥٥، تفسير الرازي ٣٢: ١٧٠، تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٤.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٦٩. ٤. تفسير أبي السعود ٩: ٢١٠، تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٣.

٥. لحي القِداح: قشره. ٦. الطُنب: جبل يُشدّ به الخيل والشرادق ونحوهما، أو الطرف والناحية.

فضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمودٍ فضربته على رأسه وشجته، وقالت: تستضعفه أن غاب سیده، والله نحن مؤمنون منذ أيام كثيرة، وقد صدق فيما قال. فانصرف ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته، ولقد تركه ابنه ليلتين أو ثلاثاً ما دفناه حتى أتتني في بيته، وكانت قريش تنقي العدسة وعدواها كما ينقي الطاعون، وقالوا: نخشى هذه القرحة، ثم دفنوه وتركوه، فهذا معنى «مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ»^١. وقيل: ثم استأجروا بعض السودان واحتملوه ودفنوه^٢. وقيل: لم يحفروا له حفيرة، ولكن أسندوه إلى حائطٍ وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط حتى واروه^٣. وفي روايةٍ حضروا له ثم دفعوه بعودٍ في حفرة، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه^٤.

وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ [٤]

ثم هدد سبحانه زوجته الكافرة بقوله: «وَأَمْرَأَتُهُ» وزوجته المسماة أم جميل^٥ ستصلي أيضاً مع زوجها نار جهنم. وقيل: إن اسمها العوراء، وكنيتها أم جميل، وهي أخت أبي سفيان بن حرب^٦، وكانت «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» قيل: كانت تحمل الشوك والحسك والسعدان^٧ بالليل وتنشرها في طريق رسول الله ﷺ حتى صار هو ﷺ وأصحابه في شدة وعناء^٨.

وقيل: كان النبي ﷺ يطأها كما يطأ الحرير^٩.

وقيل: إنها مع ككرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بُخلها، فذمها سبحانه بالبخل، ولقب حمالة على الذم، يعني أذم حمالة الحطب^{١٠}.

وقيل: ذمها سبحانه بكونها نمامة، وحمل الحطب كناية عن مشيها بالنميمة، فأنها كانت تمشي بالنميمة وتُفْسِدُ بين الناس، كأنها تحمل الحطب وتوقده، أي^{١١} تُورِي بينهم نائرة الشر^{١٢}.

وقيل: كناية عن حمل الآثام^{١٣} والمعاصي، تحمل الحطب لإحراق نفسها^{١٤}.

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ [٥]

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٠.

٢. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٤.

٣. السعدان: نبت ذو شوك.

٤. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٤.

٥. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٥.

٦. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٤.

٧. تفسير روح البيان ١٠: ٥٣٥.

٨. في النسخة: وتوقدها وتوري.

٩. في النسخة: نفسه.

١٠. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٢.

ثم بالغ سبحانه في ذمها بقوله: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ وعَنَقَهَا، أو موضع قَلَادَتِهَا، كَالْحَطَّابِينَ ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ جِدُّ الْفَتْلِ مِنْ أَيْ شَيْءٍ كَانَ مِنْ جِلْدِ الْإِبِلِ أَوْ مِنَ اللَّيْفِ أَوْ الْخُوصِ، وَإِنَّمَا ذَمُّهَا بِذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ الْحُزْمَةَ مِنَ الشُّوكِ وَتَرْتُطِلُهَا فِي جِيدِهَا كَمَا يَحْمِلُ^١ الْحَطَّابُونَ لِحَسَاسَتِهَا.

وقيل: إِنَّهُ بَيَانٌ لِسُوءِ حَالِهَا فِي جَهَنَّمَ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا تَحْمِلُ الْحَطَبَ وَالشُّوكَ لِحَسَاسَتِهَا، أَوْ لِإِذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، لِاتِّزَالِ تَحْمِيلِ عَلَى ظَهَرِهَا فِي جَهَنَّمَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبِ النَّارِ مِنْ شَجَرَةِ الرَّقُومِ وَالضَّرِيعِ، وَفِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ سُلَّاسِلِ النَّارِ، وَلَا يَبْعُدُ بَقَاءُ الْحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ فِي النَّارِ أَبَدًا، كَمَا يَبْقَى الْجِلْدُ وَاللَّحْمُ وَالْعَظْمُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَبَدًا فِي النَّارِ^٢.

روي عن أسماء بنت عُمَيْسٍ لَمَّا نَزَلَتِ السُّورَةُ جَاءَتْ أُمُّ جَمِيلٍ، وَلَهَا وَلَوْلَةٌ وَبَيْدَهَا حَجَرٌ، فَدَخَلَتْ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَهِيَ تَقُولُ:

مَذْمُومًا قَلِينَا وَدِينُهُ أَبِينَا

وحكمة عصينا

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَكَ. فَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا لَا تَرَانِي، وَقُرْ! ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَنُشُورًا﴾^٣ فَقَالَتْ لِأَبِي بَكْرٍ: قَدْ ذُكِرَ لِي أَنْ صَاحِبِكَ هَجَانِي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَرَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، مَا هَجَاكَ. فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ أَبِي بَنْتِ سَيِّدَهَا^٤.

وعن الكاظم عليه السلام في حديث يذكر فيه معجزات النبي ﷺ قال: «وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أُمَّ جَمِيلٍ امْرَأَةً أَبِي لَهَبٍ أَتَتْهُ حِينَ نَزَلَتْ سُورَةُ تَبَّتْ، وَمَعَ النَّبِيِّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أُمُّ جَمِيلٍ تُرِيدُكَ وَمَعَهَا حَجَرٌ تُرِيدُ أَنْ تَرْمِيكَ بِهِ؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا لَا تَرَانِي» فَقَالَتْ لِأَبِي بَكْرٍ: أَيْنَ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ. قَالَتْ: لَقَدْ جِئْتَهُ، وَلَوْ رَأَيْتَهُ لَرَمَيْتَهُ، فَاتَّهَجَانِي، وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى إِنِّي لَشَاعِرَةٌ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا لَمْ تَرَكَ؟ قَالَ: «لَا، ضَرَبَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابًا»^٥.

عن الصادق عليه السلام قال: «إِذَا قَرَأْتُمْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ فَادْعُوا^٦ عَلَى أَبِي لَهَبٍ، فَاتَّهَجَانِ مِنَ الْمَكْذِبِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ^٧ لَعَنَ اللَّهُ أَبِي لَهَبٍ.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٣.

١. كذا، والظاهر: يعمل أو يفعل.

٣. الإسراء: ٤٥/١٧. ٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٢.

٥. قرب الإسناد: ١٢٢٨/٣٢٩، تفسير الصافي ٥: ٣٨٩. ٦. في النسخة: فالعنوا.

٧. ثواب الأعمال: ١٢٧، مجمع البيان ١٠: ٨٥٠، تفسير الصافي ٥: ٣٨٩.

في تفسير سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ [١ و ٢]

ثم إنه تعالى بعد إذلال رأس الضلال ومُجَسِّمة الشرك، ذكر الأسماء الحسنی بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم أمر رسوله بالاعلان بالتوحيد الخالص بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، لعموم الناس: إن ربكم وخالقكم ومعبودكم ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ المستجمع لجميع صفات الكمال المَبْرَأ والمنزه من جميع النقائص، فهو ﴿أَحَدٌ﴾ لا مثل له ولا نظير، ولا جزء ولا تركيب.

قيل: إن الواحد والأحد بمعنى^١. وقيل: إن الأحد من أسمائه الخاصة التي لا تطلق على غيره تعالى^٢. وقيل: ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، والمعنى أن الشأن والحديث هو أن الله أحد^٣. وفيه تفخيم لمعنى الجملة. وقيل: إن المعنى ما أوحى إلي مما سألتموه هو أن الله أحد^٤.

رُوي أنها نزلت حين أرسل المشركون عامر بن الطفيل إلى النبي ﷺ وقالوا: قل له شققت عصانا، وسببت آلهتنا، وخالفت دين آبائك، فان كنت فقيراً أغنيانا، وإن كنت مجنوناً داويناك، وإن هويت امرأة زوّجناكها. فقال: «لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة، أنا رسول الله، أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادته» فأرسلوه ثانياً وقالوا: قل له بين لنا جنس معبودك، أمن ذهب أو فضة؟ [فأنزل الله هذه السورة^٥].

عن ابن عباس قال: قدم وفد نجران، فقالوا: صف لنا ربك أمن زبرجد أو ياقوت، أو ذهب، أو فضة؟ فقال: «إن ربي ليس من شيء، لأنه خالق الأشياء» فنزلت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قالوا: هو واحد وأنت واحد؟ قال: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^٦. قالوا: زدنا من الصفة فقال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فقالوا: وما

١ و ٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٨.

٥. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٥.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٨.

٤. مجمع البيان ١٠: ٥٨٩، جوامع الجامع: ٥٥٦.

٦. الشورى: ١١/٤٢.

الصمد؟ فقال: «الذي يُضَمَدُ إليه في الحوانج»^١.

وعن القمي عليه السلام قال: سبب نزولها أن اليهود جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: ما نسبة ربك؟ فأنزل الله السورة^٢.

وعن الصادق عليه السلام قال: «إن اليهود سألو رسول الله ﷺ وقالوا: انسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها»^٣.

وعن الباقر عليه السلام - في تفسيرها - قال: «﴿قُلْ﴾ يعني أظهر ما أوحينا إليك وتبأنك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك، ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد، و﴿هُوَ﴾ اسم مكْنَى مشارئ إلى غائب، فالهاء تنبيه على مكْنَى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس: كما أن (هذا) إشارة إلى الحاضر، أو المشاهد عند الحواس، وذلك أن الكفار تبهو عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المُدْرِك فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة المُدْرَكَة بالأبصار، فاشير أنت - يا محمد - إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه ونُدْرِكه ولأناله فيه. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ﴾ فالهاء تثبيت للتبث، والواو إشارة إلى الغائب عن دَرْك الأبصار ولمَس الحواس، وإنه تعالى عن ذلك، بل هو مُدْرِك الأبصار ومُبْدِع الحواس»^٤.

ثم قال: «﴿الله﴾ وهو المعبود الذي إليه الخلق عن دَرْك ماهيته والإحاطة بكيفيته، يقول العرب: أله الرجل، إذا تحير في الشيء ولم يُحِط به علماً، وولَّه إذا فرغ من شيء يحذره ويخافه، والإله هو المستور عن الخلق.

ثم قال: «﴿أَحَدٌ﴾ وهو الفرد المتفرد، والأحد والواحد بمعنى، وهو المتفرد الذي لانظير له، والتوحيد الإقرار بالوحدة، وهو الانفراد، والواحد: المتبائن الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء، ومن ثم قالوا: إن بناء العدد من واحد، وليس الواحد من العدد، لأن العدد لا يقع على واحد، بل يقع على اثنين، فمعنى قوله: ﴿الله أَحَدٌ﴾ أي المعبود الذي يألوه الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته، فرد بالهيته، متعالٍ عن صفات خلقه»^٥.

قال عليه السلام: «وحدثني أبي زين العابدين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: «الصمد الذي لا جوف له، والصمد الذي قد انتهى سؤده، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد الذي لا ينাম، والصمد الدائم الذي لم يزَل ولا يزال».

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٥.

٢. الكافي ١: ١٧١، التوحيد: ٨/٩٣، تفسير الصافي ٥: ٣٩٠.

٣. التوحيد: ١/٨٨، تفسير الصافي ٥: ٣٩٠.

٤. في النسخة: مكْنَى بها يشار بها.

٥. التوحيد: ٢/٨٩، تفسير الصافي ٥: ٣٩١.

قال عليه السلام: «كان محمد ابن الحنفية يقول: الصمد القائم بنفسه، الغني عن غيره، الصمد المتعالي عن الكون والفساد، والصمد الذي لا يوصف بالتغيير والتغاير».

وقال عليه السلام: «الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر وناه».

قال عليه السلام: وسئل علي بن الحسين عليه السلام عن الصمد فقال: «الذي لا شريك له، ولا يؤوده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء»^١.

قال الراوي: قال زيد بن علي عليه السلام: الصمد الذي إذا أراد شيئاً قال: كن فيكون، والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند^٢.

قال: وحديثي الصادق عن أبيه: «أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد. فكتب إليهم «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فلاتخوضوا في القرآن، ولاتجادلوا فيه، ولاتكلموا فيه بغير علم، وقد سمعت جدِّي رسول الله ﷺ قال: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وإن الله سبحانه قد فسر الصمد فقال: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ثم فسرّه وقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لم يخرج منه شيء، كيف، كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولاتنسحب منه البدوات كالسنة والنوم، والخطر والهيم، والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف والرجاء، والرغبة والسأمة، والجوع والشبع، تعالى من أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ولم يتولد من شيء، ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار [ولاً] كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبرص من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، والناور من الحجر، لابل هو الله الصمد، الذي لا من شيء، ولا في شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومُنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كُفُوًا أحد»^٣.

ثم أعلم أن مفسري العامة قد ذكروا في معنى الصمد أقوالاً:

٢. التوحيد: ٤/٩٠، تفسير الصافي ٥: ٣٩١.

١. التوحيد: ٣/٩٠، تفسير الصافي ٥: ٣٩١.

٣. التوحيد: ٥/٩٠، تفسير الصافي ٥: ٣٩٢.

الأول: السيد الذي يُرَجَّع إليه في الحوائج.

الثاني: هو الذي لاجوف له.

الثالث: هو العالم بجميع المعلومات.

الرابع: هو السيد الحليم.

الخامس: هو السيد الذي انتهى سؤده.

السادس: هو الخالق للأشياء.

السابع: هو المقصود في الرغائب، المستغاث به عند المصائب.

الثامن: هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لأمْعَبَ لحكمه، ولا راداً لقضائه.

التاسع: هو السيد المَعْظَم.

العاشر: هو الفرد الماجد لا يَقْضَى في أمرٍ دونه.

الحادي عشر: هو الغني.

الثاني عشر: هو الذي ليس فوقه أحد.

الثالث عشر: هو الذي لا يأْكُل ولا يشرب، ويُطْعِم ولا يَطْعَم.

الرابع عشر: هو الباقي بعد فناء كل شيء.

الخامس عشر: هو الذي لم يَزَل ولا يزال.

السادس عشر: هو الذي لا ينَام ولا يسهو.

السابع عشر: هو الذي لا يوصَف بصفةٍ أحد.

الثامن عشر: هو الذي لا عيب فيه.

التاسع عشر: هو الذي لا تتعثره الآفات.

العشرون: هو الكامل في جميع أفعاله.

الحادي والعشرون: نسبوا إلى الصادق عليه السلام أنه قال: «هو الذي يغلب ولا يغلب».

الثاني والعشرون: هو المستغنى عن كل أحد.

الثالث والعشرون: هو الذي ايس الخلائق من الاطلاع على كفيته.

الرابع والعشرون: هو الذي لم يلد ولم يولد، لأنه لا شيء يلد إلا سيورث، ولا شيء يؤلد إلا سيموت.

السادس والعشرون: هو المنزه عن قبول النقصانات والزيادات، وعن أن يكون مورد التغييرات

والتبديلات، وعن إحاطة الأمكنة والأزمنة والآتات والجهات^١.

وقيل: إن معناه الواجب الوجود^٢، ولازمه تنزهه من النقائص ووجدانه جميع الكمالات الإلهية. روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «قَدَمَ وَفَدَّ مِنْ فَلَسْطِينَ عَلَى الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلُوهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الصِّمْدِ، فَقَالَ: فِي تَفْسِيرِهِ: الصِّمْدُ خَمْسَةُ أَحْرَفٍ، فَالْأَلْفُ دَلِيلٌ عَلَى إِيَّتِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»^٣ وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس.

واللام دليل على إلهيته، وأنه هو الله، والألف واللام يُدغمان ولا يُظهريان على اللسان ويُقَعان في السمع، ويظهران في الكتابة، وهما دليلان [على] أن إلهيته بلطفه خافية لا تُدرك بالحواس، ولاتقع في لسان واصف، ولا في أذن سامع، لأن تفسير الإله هو الذي إليه الخلق عن درك ماهيته وكيفيته بحس أو بوهم، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة، وهو دليل على أن الله تعالى أظهر ربوبيته في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم للطيفة في أجسادهم الكثيفة، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه، كما أن لام الصمد لا تتبين، فلا تدخل في حاسة من الحواس الخمس، فإذا نظر في الكتابة ظهر له ما خفي ولُطِفَ، فمتى تفكر العبد في ماهية الباري وكيفيته أله فيه وتحير، ولم تُحِط فكرته بشيء يُتصوّر له، لأنه عز وجل خالق التصوّر، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز وجل خالقهم ومركب أرواحهم وأجسادهم.

وأما الصاد فـدليل على أنه صادق، وقوله صدق، وكلامه صدق، ودعا عباده إلى اتباع الصدق، ووعد بالصدق دار الصدق.

وأما الميم فـدليل على ملكه، وأنه المليك الحق، لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه. وأما الدال فـدليل على دوام ملكه، وأنه عز وجل متعلق عن الكون والزوال، بل هو عز وجل مكوّن الكائنات، الذي كان بتكوينه كلّ كائن. ثم قال: لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله حملة لنشرت التوحيد والاسلام والايمان والدين والشرائع من الصمد.

إلى أن قال الباقر: «الحمد لله الذي من علينا ووفّقنا لعباده، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وجبنا عن عبادة الأوثان، حمداً سرّمداً، وشكراً واصباً».

ثم قال: «قوله عز وجل: «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» يقول: لم يلد فيكون له ولد يرثه ملكه، ولم يولد

٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٨١.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٨١ و ١٨٢.

٣. آل عمران: ١٨٣.

فيكون له والد يَشْرَكه في ربوبيته ومُلْكِهِ، ولم يكن له كُفُوٌ أحدٌ قِيَعَارُضُهُ في سُلْطَانِهِ^١.
 أقول: ما ذكره عليه السلام في تفسير الصمد، فهو من البطون التي للقرآن، وليس من التفسير المصطلح.
 عن أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ فَقَالَ: «هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ بِلَاتَأْوِيلَ عَدَدٍ،
 الصَّمَدُ تَبْعِيضٌ بَدَدٌ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونُ مَوْرُوثًا هَالِكًا، وَلَمْ يُولَدْ فَيَكُونِ إِلَهًا مُشَارَكًا، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ خَلْقِهِ
 كُفُوًا أَحَدٌ...» الخبير^٢.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ تَكَرُّرَ اسْمِ الْجَلَالَةِ قَبْلَ «أَحَدٌ» وَقَبْلَ «الصَّمَدِ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ
 الرَّصَافِينَ مِنْ لَوَازِمِ الْأُلُوهِيَةِ وَخَصَائِصِهَا، وَتَكُنْتَ تَقْدِيمُ جُمْلَةٍ «لَمْ يَلِدْ» عَلَى جُمْلَةٍ «لَمْ يُولَدْ» هِيَ
 شَيْعٌ اعْتِقَادٌ لَهُ وَلَدٌ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ فِي الْعَرَبِ،
 فَاقْتَضَى ذَلِكَ تَقْدِيمَهَا رَدًّا عَلَيْهِمْ.

عَنِ السَّجَادِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ
 مُتَعَمِّقُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» وَالْآيَاتُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَى قَوْلِهِ: «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ»^٣ فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ^٤.

أقول: الظاهر أَنَّ المراد أَنَّهُ يَجِيءُ أَقْوَامٌ يَتَفَكَّرُونَ فِي ذَاتِ اللَّهِ، فَرَدَّعَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ بِذِكْرِ صِفَاتِهِ، فَمَنْ
 تَفَكَّرَ فِي الذَّاتِ فَقَدْ هَلَكَ.

وَعَنِ الرِّضَا عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: «كُلٌّ مِنْ قَرَأَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» وَأَمَّنَ بِهَا، فَقَدْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ».
 قِيلَ: كَيْفَ يَقْرَأُهَا؟ قَالَ: «كَمَا يَقْرَأُ النَّاسُ، وَزَادَ فِيهَا: كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي مَرَّتَيْنِ»^٥.
 وَعَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: ««قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ثَلَاثُ الْقُرْآنِ»^٦.

وَرَوَى الصَّدُوقُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: «مَنْ قَرَأَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» مَرَّةً، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثَلَاثَ
 الْقُرْآنِ [وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثَلَاثِي الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ]^٧.
 وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ
 عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَأَمَّنَ بِاللَّهِ»^٨.

أقول: لَعَلَّ وَجْهَ كَوْنِ هَذِهِ السُّورَةِ بِمَنْزِلَةِ قِرَاءَةِ ثَلَاثِ الْقُرْآنِ أَنَّ عَمْدَةَ مَطَالِبِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ التَّوْحِيدُ
 وَالرِّسَالَةُ وَالْمَعَادُ، وَتَمَامُ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ بَيَانُ التَّوْحِيدِ الْكَامِلِ.

١. التوحيد: ١/٩٢، تفسير الصافي: ٣٩٢. ٢. مجمع البيان ١٠: ٨٦٢، تفسير الصافي: ٣٩٣.

٣. الحديد: ٦/٥٧. ٤. الكافي: ١/٣٧٢، تفسير الصافي: ٣٩٣.

٥. الكافي: ١/٤٧٢، تفسير الصافي: ٣٩٣. ٦. الكافي: ٢/٧٤٥٥، تفسير الصافي: ٣٩٤.

٧. كمال الدين: ٦/٥٤٢، تفسير الصافي: ٣٩٤. ٨. تفسير الرازي: ٣٢: ١٧٤.

وَرَوَى بطريق عامي عن النبي ﷺ أنه قال «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرّةً واحدةً أعطى من الأجر مِئتين مائة شهيد»^١.

وَرَوَى أيضاً أَنَّهُ كَانَ جَبْرِئِيلُ مع الرسول ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ فَقَالَ جَبْرِئِيلُ: هَذَا أَبُو ذَرٍّ قَدْ أَقْبَلَ. فَقَالَ ﷺ: «أَوْ تَعْرِفُونَهُ» قَالَ: هُوَ أَشْهَرُ عِنْدَنَا مِنْهُ عِنْدَكُمْ. قَالَ ﷺ: بِمَاذَا. نَالَ: هَذِهِ الْفَضِيلَةُ. قَالَ: لَصَغْرِهِ فِي نَفْسِهِ، وَكَثْرَةِ قِرَاءَتِهِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^٢.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا فِي نَبُوكَ فَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مَالَهَا شِعَاعٌ وَلَا ضِيَاءٌ، وَمَارَيْنَاهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ، فَعَجِبَ كُلُّنَا. فَنَزَلَ جَبْرِئِيلُ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ أَنْ يَنْزِلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَيُصَلُّوا عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ ثُمَّ ضَرَبَ بَجَنَاحِهِ الْأَرْضَ فَأَزَالَ الْجِبَالَ، وَصَارَ الرَّسُولُ ﷺ كَأَنَّهُ مُشْرِفٌ عَلَيْهِ فَصَلَّى هُوَ وَاصْحَابُهُ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: «بِمَاذَا بَلَغَ مَا بَلَغَ؟» فَقَالَ جَبْرِئِيلُ: كَانَ يُحِبُّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ^٣.

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو وَيَقُولُ: أَسْأَلُكَ يَا أَحَدُ، يَا صَمَدُ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ ﷺ: غُفِرَ لَكَ. غُفِرَ لَكَ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^٤.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَشَكَاَ إِلَيْهِ الْفَقْرَ فَقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَلِّمْ إِنْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَحَدٌ فَسَلِّمْ عَلَى نَفْسِكَ، وَاقْرَأْ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرّةً واحدةً، ففعل الرجل، فَأَذَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقًا حَتَّى أَفَاضَ عَلَى جِيرَانِهِ^٥.

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَقْرَأُ فِي جَمِيعِ صَلَوَاتِهِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَسَأَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَحْبَبْتُهَا. قَالَ: حَبَّكَ إِيَّاهَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ^٦.

وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ مَضَى بِهِ يَوْمٌ وَاحِدًا فَصَلَّى فِيهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَلَمْ يَقْرَأْ فِيهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قِيلَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَسْتَ مِنَ الْمُصَلِّينَ»^٧.

وَعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ مَضَتْ جُمُعَةٌ وَلَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُمَّ مَاتَ، مَاتَ عَلَى دِينِ أَبِي لَهَبٍ»^٨.

أَفُولُ: لَعَلَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى تَرْكِهِ اسْتِخْفَافًا.

١ و ٢. ٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٤.

٦ و ٧. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٤.

٨. نواب الأعمال: ١٢٧، مجمع البيان ١٠: ٨٥٥، تفسير الصافي ٥: ٣٩٤.

٩. نواب الأعمال: ١٢٨، مجمع البيان ١٠: ٨٥٥، تفسير الصافي ٥: ٣٩٤.

١ و ٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٧٤.

٥. في النسخة: فَقَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ.



في تفسير سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ [١ و ٢]

ثم لما ختمت سورة التوحيد المتضمنة للأمر بالإعلان بالتوحيد الكامل الخالص عن شوب الشرك، وكان من لوازمه التوكل على الله في جميع الأمور والاستعاذة به من جميع الآفات والشور، وعدم الخوف من غير الله، نُظِمَت سورة الفلق المتضمنة للأمر بإظهار الاستعاذة به تعالى من الشور الجسمانية، فافتتحها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم ابتدأها بالأمر بإظهار الاستعاذة بالله من الشرور والمضار الجسمانية بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، وأنت في هذا العالم الجسماني الذي يتوقع فيه الضرر والشر من كل شيء ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وألتجئ إلى من يدفع بقدرته ظلمة الليل عن وجه الصبح الصادق ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ في العالم الجسماني وضرره، فإنه القادر على دفع كل ما يخاف العائد ويحذره.

قيل: إن وجه النظم أن الله تعالى لما أمر بقراءة سورة الاخلاص تنزيهاً له عما لا يليق به في ذاته وصفاته، وكان ذلك من أعظم الطاعات، فكأن العبد قال: إلهنا هذه الطاعة عظيمة بحيث لأنتق بنفسي القيام بها؟ فأجابه تعالى: بأن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي استعذ بالله والتجئ إليه حتى يوفقك للقيام بهذه الطاعة على أكمل الوجوه^١.

وقيل: إن الكفار لما سألوا الرسول ﷺ عن نسب الله وصفته، فكأن الرسول ﷺ قال: «كيف أنجو من هؤلاء الجهال الذين تجاسروا وقالوا فيك ما لا يليق بك؟» قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي استعذ بي حتى أصونك من شرهم^٢. وقيل: إن نكتة تخصيص الفلق بالذكر عند التعوذ أن الصبح كالبرق^٣ بالأمن والسلامة لمن هو خائف بالليل، فالمعنى: التجئ إلى من يعطى الخائف بالليل الأمن بطلوع الصبح حتى يعطيك الأمن من الشرور.

قيل: إن يوسف لما ألقى في الجُبِّ وجعت ركبته وجعاً شديداً، فبات نيلته ساهراً، فلما قرب طلوع الصبح نزل جَبْرِئِيلُ بإذن الله يُسَلِّيه ويأمره بأن يدعو ربه فقال: يا جَبْرِئِيلُ ادْعُ أُنْتَ وأؤمن أنا، فدعا جَبْرِئِيلُ، وأؤمن يوسف، فكشف الله ما كان به من ضرٍّ، فلما طاب وقت يوسف قال: يا جَبْرِئِيلُ، وأنا أدعو أيضاً وتؤمن أنت، فسأل يوسف ربه أن يكشف الضرَّ عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت، فلاجرم ما من مريضٍ إلَّا ويجد خَفَةً في ذلك الوقت^١. وقيل: إن الفلق هو كلُّ ما يفلقه [الله] ويفرقه عن شيءٍ آخر، كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن الأمطار، والأرحام عن الأولاد، والبيض عن القَرخ، بل والعدم عن الوجود، وعليه يكون المعنى برَبِّ الفلق ظلمات العدم بنور الوجود^٢.

وقيل: إن الفلق وادٍ أوجِبَ في جهنم، إذا فُتِحَ صاح جميع أهل النار من شدة حره^٣. وعن الصدوق، عن الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ عن الفلق فقال: «صَدْعٌ في النار، فيه سبعون ألف دار، في كلِّ دار سبعون ألف بيت، في كلِّ بيت سبعون ألف أسود، في جوف كلِّ أسود سبعون ألف جرة سمٍّ، لا بد لأهل النار أن يضرَمُوا عليها»^٤.

وعن القمي، قال: الفلق: جُبٌّ في جهنم، يتعوذ أهل النار من شدة حره، سأل الله أن يأذن له أن يتنفَّس، فأذن له فتنفَّس فأحرق جهنم^٥.

وقيل: إن النُّكْنة في ذكره هنا الإشارة إلى أن من قدر على مثل هذا التعذيب الخارج عن حدِّ الوهم، له رحمة أعظم وأكمل وأتم من عذابه، فكأنه يقول: يا صاحب العذاب الشديد، أعوذ برحمتك التي هي أعظم من عذابك^٦.

وقيل: أريد من الآيتين: أعوذ برَبِّ جهنم من شرِّ ما خلق فيها^٧ ومن عذابها. وقيل: أريد من قوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أصناف الحيوانات الموزيات، ويدخل فيه شرُّ الجنِّ والإنس^٨.

وعن ابن عباس: يُريد إبليس خاصة، لأن الله لم يخلُق خلقاً شرّاً منه، ولأنَّ السورة نزلت في الاستعانة من السحر، وذلك إنَّما يتمُّ بابليس وأعوانه وجنوده^٩.

وقيل: أريد به ما خلق من الأمراض والأسقام والقُحط وأنواع المِحْن والآفات^{١٠}. والحقُّ أنَّ ما خلق عام لجميع ما ذُكر.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٩١.

٢. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٢.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٣، وفي النسخة: شدة حرها.

٤. معاني الأخبار: ١٢٢٧، تفسير الصافي ٥: ٣٩٥.

٥. تفسير القمي ٢: ٤٤٩، تفسير الصافي ٥: ٣٩٤.

٦. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٣.

٧ و ٩. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٣.

وَمِنْ شَرِّ حَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ [٣]

ثُمَّ لَمَّا كَانَ الشَّرُّ بِاللَّيْلِ أَكْثَرَ، خَصَّ سَبْحَانَهُ بِالذِّكْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِقٍ﴾ وَلَيْلٍ مُظْلِمٍ ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ وَدَخَلَ، حَيْثُ إِنَّهُ إِذَا دَخَلَ تَخْرُجُ السُّبُحُ مِنْ أَجَامِهَا وَالْهُوَامُ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيُهْجَمُ السَّرَاقُ وَالْأَعْدَاءُ، وَيَقَعُ الْحَرِيقُ وَيَقْلُ فِيهِ الْمُعِينُ وَالْمَغِيثُ.

وَقِيلَ: إِنَّ بِاللَّيْلِ تَنْتَشِرُ الْأَرْوَاحُ الْمُؤَذِيَةُ الْمُسَمَّاةُ بِالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ^١.

وَقِيلَ: إِنَّ الْغَاسِقَ هُوَ الْقَمَرُ، لِأَنَّهُ حِينَ الْكَسُوفِ يَذْهَبُ ضَوْؤُهُ وَيَسْوَدُّ^٢، وَوَقْبُهُ دُخُولُهُ فِي ذَلِكَ الْاِسْوَادِ. وَزُيِّنَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا، وَأَشَارَ إِلَى الْقَمَرِ، وَقَالَ: «اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّهُ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»^٣.

قِيلَ: أُرِيدَ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِ إِذَا وَقَبَ، إِذَا دَخَلَ فِي الْكَسُوفِ^٤.

وَقِيلَ: أُرِيدَ بِالْغَاسِقِ الثَّرِيَا، وَبِوَقْبِهِ سَقُوطُهُ، قَالُوا: إِذَا سَقَطَ الثَّرِيَا وَدَخَلَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَغَابَ عَنِ الْأَعْيُنِ، كَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ، وَثُرِفَ عِنْدَ طُلُوعِهَا^٥.

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ [٤-٥]

ثُمَّ لِعَرَفَةِ السَّحَرِ بِالشَّرِّ خَصَّهُ سَبْحَانَهُ بِالذِّكْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ شَرِّ﴾ النَّفْسِ، أَوِ النَّسَاءِ ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ وَالنَّافِثَاتِ لِلْسَّحَرِ ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ اللَّاتِي يَعْقِدْنَهَا فِي الْخُيُوطِ.

قِيلَ: إِنَّ السَّاحِرَ إِذَا شَرَعَ فِي قِرَاءَةِ الرُّقْيَةِ أَخَذَ خِيطًا وَلَا يَزَالُ يَعْقِدُ عَلَيْهِ عُقْدًا بَعْدَ عُقْدٍ وَيَنْفُثُ فِي تِلْكَ الْعُقْدِ^٦.

قِيلَ: إِنَّ الْمَرَادَ بِالنَّفَّاثَاتِ بَنَاتُ لَيْدِ بْنِ أَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ، فَإِنَّهُنَّ سَحَرْنَ النَّبِيَّ ﷺ^٧.

رَوَى يَحْيَى بْنُ مَعْمَرٍ^٨ قَالَ: حُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَائِشَةَ، فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانُ، جَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَهَذَا يَقُولُ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: مَا شَكَاؤُهُ؟ قَالَ: السَّحَرُ، قَالَ: مَنْ فَعَلَ بِهِ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ. قَالَ: فَأَيْنَ صُنِعَ السَّحَرُ؟ قَالَ: فِي بَرَكْدَا. قَالَ: فَمَا دَوَّاهُ؟ قَالَ: يَبِثْ إِلَى تِلْكَ الْبَثْرِ فَيَنْزَحْ مَآؤَهَا، فَإِنَّهُ يَنْتَهِي إِلَى صَخْرَةٍ، فَادْرَأْهَا فَلْيَقْلِعْهَا، فَإِنَّ تَحْتَهَا كُوبَةٌ - قِيلَ: هُوَ كَوْزٌ سَقَطَ عَنْهَا - وَفِي الْكُوبَةِ وَتَرٌّ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةً بِالْإِبْرِ، فَيُحْرِقُهَا بِالنَّارِ، فَيَبْرَأُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٥.

٧. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٦.

١- ٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٥.

٥ و ٦. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٥.

٨. تفسير روح البيان: يحيى بن يعمر.

فاستيقظ عليه السلام، فبعث علياً عليه السلام والزبير وعماراً، فنزحوا ماء البئر، فكأنه نُقاعة الحناء، ثم دفعوا راعونة البئر - وهي الصخرة التي توضع في أسفل. فأخرجوا من تحتها الأسنان^١. ومعها وترٌ قد عُقِد فيه إحدى عشرة عُقدة مغرزة بالأبر، فجاءوا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يقرأ المعوذتين عليها، فكان كلما قرأ آية انحلت عُقدة، ووجد عليه السلام خُفّة حتى انحلت العُقدة الأخيرة عند تمام السورتين^٢.
وقيل: إن المراد بالنفثات الجماعات من السحرة: لأنه كلما كان اجتماع السحرة على العمل أكثر كان التأثير أشد^٣.

وقيل: إن المراد الاستعاذة من شر النساء اللاتي يتصرّفن في عزائم الرجال وأرائهم، فاستعير هنا [من] عقد الجبال في فيها، والنفث هو تليين العُقدة من الحبل بريقٍ تقدِّفه عليه لتسهيل حلّه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتعوذ من شر النساء اللاتي يتصرّفن في قلوب الرجال، ويحولّتهن من رأي إلى رأي ومن عزيمة إلى عزيمة، كقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾^٤.
ثم خصّ سبحانه شرّ حسد الحاسد بالذكر بقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ﴾ ومتّمن زوال النعمة عن مستحقّها ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ وأظهر ما في نفسه من ذلك التميّ وعمل بمقتضاه.
عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله: كاد الحسد أن يغلب القدر»^٥.

قيل: ذكر الله سبحانه الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد، ليُظهر أنّه أخبث الطباع، كما قال ابن عباس^٦.

١. المراد أسنان مشط النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في أول الخبر الذي لم يذكره المصنف، وفيه: عن ابن عباس وعائشة: أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فأعطاهم اليهود فسحروه عليه السلام فيها. تفسير روح البيان ١٠: ٥٤٢. ٢. تفسير روح البيان ١٠: ٥٤٤، والباقي في ص: ٥٤٣. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٦.

٤. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٦، والآية من سورة التغابن: ١٤/٦٤.

٥. الكافي ٢: ٤/٢٣٢، تفسير الصافي ٥: ٣٩٦. ٦. تفسير روح البيان ١٠: ٥٤٥.

في تفسير سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَنَاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ [١-٥]

ثم إنه تعالى بعد أمره النبي ﷺ بالتعوذ به من الشرور الجسمانية، نُظِمَت سورة الناس الأَمَرة له بالتعوذ به من الشرور الروحانية، فابتدأها بذكر الأسماء الحسنى بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ثم افتتحها بأمر نبيه باظهار التعوذ به تعالى من الشرور الروحانية تعليماً للعباد بقوله: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ومدبر أمورهم، ومُصلح مفاسدهم، ومكمل وجودهم، والمُنعم عليهم بجميع النعم التي يحتاجون إليها، فظهر أن رب الناس هو ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ والناس مملوكون له مفتقرون إليه في وجودهم وبقائهم وكمالهم، وهو غني عنهم وعن كل شيء، فظهر أن مَلِكِ الناس بهذا المعنى هو ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ حيث ولهت العقول في إدراك عظمته وجلاله وكبريائه ﴿مِنْ شَرِّ﴾ الشيطان الذي شغله الوسوسة، وإلقاء الخطورات السيئة في القلوب، وتزيين القبائح في الأنظار بحيث يصح أن يقال مبالغة: إنه عين ﴿الْوَسْوَاسِ﴾.

ثم وصفه سبحانه بوصف ﴿الْخَنَاسِ﴾ لأن عاداته التأخر والتولي إذا ذكر الانسان ربه - كذا قيل ^١ - ويحتمل كون المراد منه كثير التخفي من الأنظار. وعن القمي: أن الخناس اسم الشيطان ^٢. ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ﴾ ويلهم الشر، ويُلقي الرغبة إلى القبائح ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وقلوبهم إذا غفلوا عن ذكر ربهم.

مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ [٦]

ثم عمم سبحانه الوسوس ^٣ الذي يستعاذ من شره بقوله: ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ كما قال سبحانه:

٢. تفسير القمي ٢: ٤٥٠، تفسير الصافي ٥: ٣٩٨.

١. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٨.

٣. في النسخة: الوسوس.

﴿غِيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾^١ وكما أن شيطان الجن يُوسوس تارةً ويخيس أخرى، كذلك شيطان الإنس يُرغب الناس إلى الشرور والقباح، ويُري نفسه كالناصح المُشفق، فان زجره السامع يخيس ويتزك الوسوسة، وإن قيل قوله بالغ فيه^٢. وقيل: إن التقدير: من شرّ الجنّة والناس، فاستعاذ أولاً من شرّ الوُشواس، وهو الشيطان، ثم استعاذ من شرّ عموم الجنّ والإنس^٣.

عن الصادق عليه السلام قال: «ما من مؤمنٍ إلّا ولقلبه أذنان: في جوفه أذن ينفث فيها الوُشواس الخناس، وأذن ينفث فيها الملّك، فيؤيد الله المؤمن بالملّك، فذلك قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^٤.

وعن القمي عليه السلام: ما من قلب إلّا وله أذنان. على أحدهما مُرشِد، وعلى الآخر شيطان مُفتن، هذا يأمره، وذلك يُزجره، كذلك من الناس شيطان يحول الناس على المعاصي، كما يحول الشيطان من الجنّ^٥.

وعن (طب الأئمة) [عن أبا عبد الله عليه السلام]: «أن جَبْرِئِلَ أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد. قال: لبيك يا جَبْرِئِلَ». قال: إن فلاناً سَحَرَكَ، وجعل السحر في بئر بني فلان، فابعث إليه - يعني البئر - أوتق الناس وأعظمهم في عينيك، وهو عدل نفسك حتّى يأتيك بالسحر، قال: فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب وقال: انطلق إلى بئر ذروان^٦، فإن فيها سحراً سحرني [به] لبيد بن أعصم اليهودي فأتني به. قال علي عليه السلام: فانطلقت في حاجة رسول الله ﷺ فهبطت فإذا ماء البئر كأنه الجِئاء من السحر، فطلبته مستعجلاً حتّى انتهيت إلى أسفل القلب، فلم أظفر به. قال الذين معي: ما فيه شيء. فاصعد، فقلت: لا والله ما كذّبت ولا كذّب.

إلى أن قال: ثم طلبت طلباً بلطفٍ، فاستخرجت حقاً، فأتيت النبي ﷺ، فقال: افتحه ففتحته، فإذا في الحق قطعة كَرَب النخل، في جوفه وَتر، عليها إحدى عشرة عقدة، وكان جَبْرِئِلَ أنزل يومئذ المعوذتين على النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: اقرأها يا علي على الوتر، وجعل أمير المؤمنين عليه السلام كلما قرأ آية انحلت عقدة حتّى فرغ منها، وكشف الله عن نبيه ﷺ ما سحر [به] وعافاه.

وفي رواية: «أن جَبْرِئِلَ وميكائيل أتيا النبي ﷺ، فجلس أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فقال جَبْرِئِلَ لميكائيل: ما وجع الرجل؟ فقال ميكائيل:

هو مطبوب^٧، فقال جَبْرِئِلَ: مَنْ طَبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي» [ثم ذكر الحديث إلى آخره]^٨.

١. الأنعام ١١٢/٦. ٢. تفسير الرازي ٣٩: ١٩٩، تفسير روح البيان ١٠: ٥٥٠. ٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٩٩.

٤. الكافي ٢: ٣/٢٠٦، مجمع البيان ١٠: ٨٧٠، تفسير الصافي ٥: ٣٩٨، والآية من سورة المجادلة: ٢٢/٥٨.

٥. تفسير القمي ٢: ٤٥٠، وتفسير الصافي ٥: ٣٩٨، عن الصادق عليه السلام.

٦. في النسخة: ازوان، وفي تفسير الصافي: ازران. ٧. أي مسحور.

٨. طب الأئمة عليه السلام: ١١٣، تفسير الصافي ٥: ٣٩٦.

وعن الصادق عليه السلام: «أَنَّهُ وَعَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فنزل جَبْرِئِيلُ بهاتين السورتين، وعَوَّذَهُ بهما»^١.
ثم أَنَّهُ تعالى وصف ذاته بصفة واحدة، وأمر نبيه ﷺ بأن يستعيذ به من جميع الشرور الجسمانية،
وفي هذه السورة وصف ذاته بثلاث صفات، كُلٌّ منها دالٌّ على كمال عظمتها، وأمر نبيه ﷺ
بالاستعاذة به من شرِّ الوُشَواس الذي هو راجعٌ إلى الروح والقلب، فدُلَّ على أَنَّ تضرُّر الروح والقلب
أعظم من جميع المضارِّ.

وفي ختم كتابه المجيد بإضافة ربوبيته وسلطانه وألوهيته إلى الناس، وتكرير لفظ الناس مع كُلِّ
وصفٍ، دلالةٌ على شرف الإنسان على جميع مخلوقاته، ويَحْتَمِلُ أن يكون المراد بالناس خصوص
الأئمة المعصومين عليه السلام وعباده الصالحين، لما رواه الفخر الرازي أَنَّهُ سُئِلَ الحسن بن علي عليه السلام عن
الناس فقال: «نحن الناس، وأشياءنا أشباه الناس، وأعداؤنا التُّسَناس»^٢ فقبل علي عليه السلام بين عينيه، وقال:
«اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»^٣.

وعن الباقر عليه السلام قال: «من أوتر بالمعوذتين و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قيل له: يا عبد الله، أبشِر فقد قَبِلَ الله
وَتُرِكَ»^٤.

قد وفَّقت لاتمام تفسير القرآن المجيد في آخر السنة التاسعة والستين بعد ثلاثمائة وألف من
الهجرة النبوية المطابق لما نظمه بعض الأجلاء:

ميلاد مهدي الأمم نور الإله في الظلم

الأحقر محمد النهاوندي

كتبه العبد المذنب محمدالصانعي

ابن مرحوم فتح الله الخوانساري

الشهير بسيمين قلم في شهر محرم الحرام ١٣٧٠

وفرح قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة من تحقيقه

بفضل الله ومنه في سنة ١٤٢٢ هـ

وآخر دعوانا أن الحمد

لله رب العالمين.

١. تفسير القمي ٢: ٤٥٠، تفسير الصافي ٥: ٣٩٧. ٢. التُّسَناس: نوع من القردة.

٣. تفسير الرازي ٣٢: ١٥٦.

٤. ثواب الأعمال: ١٢٩، مجمع البيان ١٠: ٨٦٤، تفسير الصافي ٥: ٣٩٧.



الفهرس

- في تفسير سورة الحجرات ٥
- [١ و ٢] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ ٥
- [٢] وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ ٦
- [٣ و ٥] إِنَّ الَّذِينَ يُغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ٨
- [٦] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ٩
- [٧ و ٨] وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ ١١
- [٩] وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ١٢
- [١٠] إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٤
- [١١] وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ١٦
- [١٢] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا ١٧
- [١٣] يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ٢٠
- [١٤] قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي ٢٣
- [١٥ و ١٨] إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ ٢٤
- في تفسير سورة ق ٢٧
- [١ و ٣] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ ٢٧
- [٤ و ٦] قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَى الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا ٢٨
- [٧ و ٩] وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَتَمَمْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ * ٣٠
- [١٠ و ١١] وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْلَيْنَا بِهِ بِلْدَةً مَّيْنًا كَذَلِكَ ٣٠
- [١٢ و ١٤] كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ ٣١
- [١٥] أَفَعَمِينَا بِالنَّخْلِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقِي جَدِيدٍ ٣٢
- [١٦ و ١٨] وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٣٣

[١٩] وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ٣٥

[٢٩-٢٠] وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * ٣٥

[٣٢-٣٠] يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ ٣٨

[٣٥-٣٣] مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمٌ ٣٩

[٣٧ و ٣٦] وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ ٤٠

[٤١-٣٨] وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ٤١

[٤٥-٤٢] يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ٤٣

في تفسير سورة الذاريات..... ٤٥

[٤-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالذَّارِئَاتِ ذُرُوءًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِئَاتِ يُشْرَا ٤٥

[٩-٥] إِنَّمَا تَوَاعَدُونَ لَصَادِقٍ * إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ ٤٧

[١٤-١٠] قِيلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ * ٤٨

[١٨-١٥] إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ رِزْقُهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ ٤٩

[٢١-١٩] وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُفَوِّضِينَ * ٥٠

[٣٤-٢٢] وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوَعَّدُونَ * فَوَرَّبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا ٥٢

[٤٦-٣٥] فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ ٥٥

[٥١-٤٧] وَالسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضِ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * ٥٧

[٥٥-٥٢] كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّونٌ * ٥٨

[٥٦] وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ..... ٥٩

[٦٠-٥٧] مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مَنْ رَزَقِي وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ ٦٠

في تفسير سورة الطور ٦٣

[٦-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مُسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ ٦٣

[١٣-٧] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ ٦٤

[١٨-١٤] هَذِهِ آثَارُ آلِئْتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * ٦٥

[٢٠ و ١٩] كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَضْفُوفَةٍ ٦٦

[٢١] وَالَّذِينَ آمَنُوا وَآتَبَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ ٦٧

[٢٨-٢٢] وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاحٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا ٦٨

[٣٢-٢٩] فَذَكَّرْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ ٧٠

[٣٨-٣٣] أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَاثُوا بِحَدِيثِ بَيْنِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ * أَمْ ٧٠

- [٣٩-٤٣] أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ ٧٢
- [٤٤-٤٧] وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ * فَذَرْهُمْ حَتَّى ٧٣
- [٤٨ و ٤٩] وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنْ ٧٤
- في تفسير سورة النجم ٧٧
- [١-٤] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا ٧٧
- [٥-١١] عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ٧٩
- [١٢-١٤] فَتَمَازُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ٨٣
- [١٥-١٨] عِنْدَمَا جَنَّهَ الْمَآوَى * إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا ٨٥
- [١٩-٢٣] أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ٨٧
- [٢٣-٢٦] إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى * أَمْ ٨٨
- [٢٧-٣٠] إِنْ أَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ كَيْسُمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى * وَمَا لَهُمْ بِهِ ٨٩
- [٣١ و ٣٢] وَلِيهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ٩٠
- [٣٢] هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا ٩٢
- [٣٣ و ٣٤] أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ٩٢
- [٣٥-٤٢] أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوَى رَأْيَ * أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ ٩٣
- [٤٣-٥٤] وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكُ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَلْتُ وَأَخْنَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَ جَنِينَ ٩٥
- [٥٥-٥٨] فَيَأْتِي آلَهِ رَبِّكَ تَتَمَارَى * هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذَرِ الْأُولَى * أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ ٩٧
- [٥٩-٦٢] أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ ٩٨
- في تفسير سورة القمر ١٠١
- [١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ١٠١
- [٢-٨] وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيُقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْمِرٌ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ ١٠٢
- [٩-١٥] كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ * فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي ١٠٤
- [١٦-٢١] فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ * وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذَّكَرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * كَذَّبَتْ ١٠٥
- [٢٢-٢٤] وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذَّكَرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ * فَقَالُوا ١٠٧
- [٢٥-٣٢] أَلَمْ تَلَقَ الْأَذْكَرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ ١٠٧
- [٣٣-٣٧] كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ١٠٩
- [٣٨-٤٢] وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ * وَلَقَدْ يَسْرْنَا ١١٠
- [٤٣-٤٦] أَخْتَارَكُمْ خَيْرَ مِنْ أَوْلِيائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ ١١١

[٤٧-٤٩] إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُنْشَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ١١٢

[٥٠-٥٥] وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةٍ بِالنَّصْرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ١١٤

في تفسير سورة الرحمن ١١٧

[١-٤] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ١١٧

[٥ و ٦] الشَّعْشَعُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ١١٨

[٧ و ٩] وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ ١١٩

[١٠ و ١١] وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١٢٠

[١٢ و ١٣] وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٢١

[١٤ و ١٦] خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ١٢٢

[١٧ و ٢٣] زَبَّ الْمُسْرِتَيْنِ ذَرَّبُ الْمَغْرِبَتَيْنِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ١٢٣

[٢٤ و ٢٨] وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ ١٢٦

[٢٩ و ٣٠] يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا ١٢٧

[٣١ و ٣٢] سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الْقُلُودَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٢٨

[٣٣ و ٣٤] إِنَّا مَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْهَمُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ ١٢٩

[٣٥ و ٣٧] يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحْلٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا ١٢٩

[٣٨ و ٤٥] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ ١٣٠

[٤٦ و ٤٩] وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذُوقُوا أُنْجَانَ ١٣٢

[٥٢ و ٥٥] فِيهِمَا عِثَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ ١٣٢

[٥٦ و ٦١] فِيهِمَا قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْ يَقْبَلَهُنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا ١٣٣

[٦٢ و ٦٣] وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣٤

[٦٤ و ٦٩] مِنْهُمَا مِائَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عِثَانِ تَصَاحَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ ١٣٥

[٧٠ و ٧٣] فِيهِمَا خَيْرَاتُ حِسَابٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مُقْصُورَاتٌ فِي ١٣٧

[٧٤ و ٧٨] لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْ يَقْبَلَهُنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُكَيِّبِينَ عَلَى ١٣٨

في تفسير سورة الواقعة ١٤١

[١-٣] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْفَعِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ١٤١

[٤ و ١١] إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا * وَكُشْمٌ ١٤٢

[١٢ و ١٩] فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ ١٤٤

[٢٠ و ٢٤] وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَخُورٍ عَيْنٍ * كَأَمْثَالِ ١٤٦

[٢٥-٤٠] لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ... ١٤٦

[٤١-٤٤] وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَعِيرٍ وَحِيمٍ * وَظِلٌّ مِنْ ١٥٠

[٤٥-٥٥] إِلَهُهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا ... ١٥١

[٥٦-٥٩] هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ * نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * ... ١٥٢

[٦٠-٦٢] إِنَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ. ١٥٣

[٦٣-٦٤] أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ١٥٤

[٦٥-٧٠] لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمَغْرُمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ... ١٥٤

[٧١-٧٣] أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * ١٥٥

[٧٤-٧٦] فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ ١٥٦

[٧٧-٨٢] إِنَّهُ قُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ ... ١٥٧

[٨٣-٨٧] فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ١٥٩

[٨٨-٩٦] فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ ١٦٠

في تفسير سورة الحديد ١٦٣

[٢١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ... ١٦٣

[٣] هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٦٤

[٤-٦] هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ١٦٥

[٧و٨] آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقَبُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ١٦٦

[٩-١٠] هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ١٦٧

[١١و١٢] مَنْ ذَا الَّذِي يَغْرِضُ اللَّهُ قَرْصًا حَسَنًا فَيَضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ * يَوْمَ تَرَى ١٧٠

[١٣] يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ١٧١

[١٤و١٥] يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ ١٧٢

[١٦] أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا ١٧٢

[١٧و١٨] أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْصِيحُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ١٧٣

[١٩] وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ ١٧٤

[٢٠] أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ١٧٥

[٢١] سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ ١٧٦

[٢٢و٢٣] مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ ١٧٧

[٢٤و٢٥] الَّذِينَ يَنْحَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَمِيُّ الْحَمِيدُ ١٧٨

[٢٦ و ٢٧] وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ ١٨٠

[٢٨ و ٢٩] إِنَّا أَنبَأْنَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ ١٨٢

في تفسير سورة المجادلة..... ١٨٥

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ١٨٥

[٢-٤] الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي ١٨٥

[٥ و ٦] إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَيْتُوا كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا ١٨٦

[٧ و ٨] أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَغْلِبُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ١٨٩

[٩ و ١٠] إِنَّا أَنبَأْنَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ ١٩٠

[١١] إِنَّا أَنبَأْنَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ ١٩١

[١٢ و ١٣] إِنَّا أَنبَأْنَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ ١٩٣

[١٤-١٧] أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ١٩٨

[١٨] يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى ٢٠٠

[١٩] اسْتَشْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ ٢٠٠

[٢٠ و ٢١] إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَذَبَ اللَّهُ لِلْعَبِلِينَ إِنَّا ٢٠٢

[٢٢] لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ٢٠٢

في تفسير سورة الحشر ٢٠٥

[١ و ٢] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ ٢٠٥

[٢-٥] مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا وَطَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ ٢٠٧

[٦] وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ ٢٠٨

[٧] مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَى ٢٠٩

[٨] لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ ٢١٠

[٩] وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ ٢١١

[١٠ و ١١] وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا ٢١٣

[١٢] الَّذِينَ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ ٢١٤

[١٣-١٧] لَا تَشْمُ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا ٢١٥

[١٨ و ١٩] إِنَّا أَنبَأْنَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُونَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ ٢١٦

[٢٠ و ٢١] لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ * ٢١٧

[٢٢-٢٤] هُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ ٢١٨

في تفسير سورة الممتحنة ٢٢١

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ٢٢١

[٢ و ٣] إِنْ يَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَعْدَاءَهُ وَيُسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ٢٢٣

[٤ و ٥] قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ ٢٢٤

[٦ و ٧] لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ ٢٢٥

[٨] لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ٢٢٦

[٩ و ١٠] إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ٢٢٦

[١١] وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَايَتُهُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ ٢٢٩

[١٢] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكُمْ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا ٢٣٠

[١٣] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا ٢٣٢

في تفسير سورة الصف ٢٣٥

[١-٣] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ ٢٣٥

[٤ و ٥] لِلَّهِ يَجِبُ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بَنِيَّاءُ مَرْصُوعُونَ * وَإِذْ قَالَ ٢٣٦

[٦] وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ ٢٣٧

[٧-٩] وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا ٢٣٨

[١٠-١٣] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * ٢٣٩

[١٤] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ ٢٤٠

في تفسير سورة الجمعة ٢٤٣

[١-٣] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ٢٤٣

[٣-٥] وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ ٢٤٤

[٦-٨] قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا رُفِعَ صَوْرُكُمُ الْيَوْمَ جُمِعْتُمْ فِيهَا فَمَنْ جُمِعْتُمْ فِيهَا ٢٤٥

[٩ و ١٠] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ٢٤٦

[١١] وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ ٢٤٨

في تفسير سورة المنافقين ٢٥١

[١-٣] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ٢٥١

[٤ و ٥] وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ ٢٥١

[٦ و ٧] سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي ٢٥٣

[٨] يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ٢٥٤

[٩-١١] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَأُولَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ٢٥٧

في تفسير سورة التغابن ٢٥٩

[٢٠١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ ٢٥٩

[٤٣] خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * ٢٦٠

[٦٥] أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ٢٦١

[٧-٩] لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ٢٦١

[١٠-١٢] وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ ٢٦٣

[١٣ و ١٤] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ ٢٦٤

[١٥ و ١٦] أَلَمَّا آمَنُوا كُفَرُوا وَأُولَادُكُمْ فَتَنَّا وَلَهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَأَتَوْهَا مَا اسْتَطَعْنَا ٢٦٤

[١٧ و ١٨] إِنْ تَقْرَءُوا اللَّهَ لَكُمْ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَلَهُ شُكُورٌ حَلِيمٌ * ٢٦٦

في تفسير سورة الطلاق ٢٦٩

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ٢٦٩

[٢ و ٣] فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مَا مَسُّكُمْهُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ ٢٧١

[٤ و ٥] وَاللَّائِي يَشْسَرْنَ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ٢٧٤

[٦] أَشْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِنَفْسِنَا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ ٢٧٥

[٧] لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكُلْفُ اللَّهُ ٢٧٦

[٨ و ٩] وَكَأَيِّنْ مِنْ قَوْتَةٍ عَفَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا ٢٧٧

[١٠ و ١١] أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ ٢٧٧

[١١ و ١٢] وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ٢٧٨

في تفسير سورة التحريم ٢٨١

[٢٠١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ مَوْضَعُ ٢٨١

[٣] وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى نَفْسِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ ٢٨٣

[٤ و ٥] إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ٢٨٣

[٦] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ٢٨٥

[٧] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٨٦

[٨] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ ٢٨٦

[٩ و ١٠] يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفَسَّ ٢٨٨

[١١ و ١٢] وَأَوْصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرًا فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا ٢٨٩

- في تفسير سورة الملوك ٢٩١
- [٢١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَارَكَ الَّذِي يَدْبِرُ الْمُلُوكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٩١
- [٥-٣] الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ ٢٩٣
- [١١-٦] وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسْأَلُونَ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا ٢٩٤
- [١٣ و ١٢] إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِيرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ ٢٩٦
- [١٥ و ١٤] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا ٢٩٦
- [١٧ و ١٦] أَمْ أَمِثُّ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِثُّ ٢٩٧
- [١٩ و ١٨] وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ ٢٩٨
- [٢١ و ٢٠] أَمْ نَرَى أَنَّ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَصْرُفُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ٢٩٨
- [٢٢] أَمْ نَعْنَى مَكِينًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمِنْ يَعْشَى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ ٢٩٩
- [٢٥-٢٣] قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا ٣٠٠
- [٢٧ و ٢٦] قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَفَتْ وَجُوهُ ٣٠١
- [٢٩ و ٢٨] قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ ٣٠٢
- [٣٠] قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ٣٠٢
- في تفسير سورة القلم ٣٠٥
- [١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ٣٠٥
- [٢] مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ لَكُمْ يَمْحُوتُونَ ٣٠٦
- [٤ و ٣] وَإِنْ لَكَ لَأَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٣٠٧
- [٩-٥] فَتَنْصَبِرُ وَيُنْبِصِرُونَ * بِأَيْكُمْ الْمَقْتُولُ * إِنْ رُبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ ٣٠٨
- [١٦-١٠] وَلَا تَطْعَمُ كُلُّ خَلْقٍ مَعِينٍ * هُمَازٍ مَشَاءٍ بِنِيمٍ * مَنَاعٍ لِلخَيْرِ مُغْتَدٍ أَتَيْمٍ * ٣٠٩
- [٢٨-١٧] إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا ٣١١
- [٣٢-٢٩] قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْثُونَ * ٣١٣
- [٣٥-٣٣] كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنْ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ ٣١٥
- [٤١-٣٦] مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَآ ٣١٥
- [٤٥-٤٢] يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً ٣١٦
- [٥٠-٤٦] أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ * ٣١٨
- [٥٢ و ٥١] وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ ٣١٩
- في تفسير سورة الحاقة ٣٢١

[٤-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣٢١

[٧-٥] فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٣٢٢

[١٢-٨] فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * ٣٢٢

[٢٤-١٣] إِنَّا إِذًا نَبُحُ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَاحِدَةً * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً ٣٢٣

[٢٩-٢٥] وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا كَيْنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِي * وَلَمْ أَذِرْ مَا ٣٢٦

[٣٧-٣٠] خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ٣٢٦

[٤٣-٣٨] فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ ٣٢٨

[٥٢-٤٤] وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٣٢٩

في تفسير سورة المعارج ٣٣١

[٣-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ٣٣١

[١٠-٤] تَنْفُخُ السَّالْبَةِ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاضْرِبْ ضَرْبًا ٣٣٢

[١٨-١١] يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُبْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِي * وَصَاحِبِيهِ ٣٣٣

[٣٤-١٩] إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ خَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * ٣٣٤

[٣٧-٣٥] وَلِيكَ فِي جَنَّتٍ مُكْرَمُونَ * فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكَ مَهْطِعِينَ * عَنِ ٣٣٦

[٤٤-٣٨] لَا يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ * ٣٣٧

في تفسير سورة نوح ٣٣٩

[٩-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ ٣٣٩

[١٤-١٠] فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * ٣٤١

[٢٤-١٥] أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٣٤١

[٢٨-٢٤] وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِمَّا حَاطَبْنَاهُمِ اغْرُوقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا ٣٤٣

في تفسير سورة الجن ٣٤٥

[٦-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ أَنِّي أَنَا اللَّهُ لَا شَرِكَ لِي ٣٤٥

[٩-٧] وَإِنَّمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ٣٤٧

[١٢-١٠] وَإِنَّا لَا نَذَرِي أَشْرَ أَرِيدُ بَيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَإِنَّا مِنَّا ٣٤٩

[١٧-١٣] وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا النَّهْدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * ٣٥٠

[١٩ و ١٨] وَإِنَّا لَمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا ٣٥١

[٢٣-٢٠] قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٣٥٢

[٢٨-٢٤] حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا * قُلْ إِن ٣٥٣

في تفسير سورة المزمل ٣٥٥

[٥-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ ... ٣٥٥

[٩-٦] إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَاقَمْ فَيْلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * ٣٥٧

[١٠-١٤] وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُزْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى ٣٥٨

[١٥-١٩] إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى ... ٣٥٩

[٢٠] إِنْ رِئَاكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ طَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ ٣٦٠

في تفسير سورة المدثر ٣٦٣

[٧-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرِئَاكَ فَكَيْزٌ * وَتَبَاكَ فَطَهَّرْ ... ٣٦٣

[٨-١٧] إِذَا دُاعِيَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ * ٣٦٦

[١٨-٢٥] إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ ٣٦٧

[٢٦-٣٧] سَاءَ صَاحِبِلَهُ سَقَرٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحٍ لِّبَشَرٍ * عَلَيْهَا ... ٣٦٩

[٣٨-٤٧] كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * ٣٧٢

[٤٨-٥١] فَمَا تَتَجَفَّوهُمْ تَجَافَعَةً الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَانَهُمْ حَمَرٌ ٣٧٣

[٥٢-٥٦] بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثْنَةً * كَلَّا بَلْ لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ٣٧٤

في تفسير سورة القيامة ٣٧٧

[١-٣] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ٣٧٧

[٤-١٠] بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ ٣٧٨

[١١-١٥] كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ٣٧٩

[١٦-٢١] لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَفْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَاتَّبِعْ ٣٨٠

[٢٢-٣٠] وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَنْظُرُ أَنْ ٣٨١

[٣١-٣٥] فَلَا صَدُوقَ وَلَا ضَلَى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَطِي * ٣٨٣

[٣٦-٤٠] أَلَيْخَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُمْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْقُهُ مِن مَّيِّ يَمْنَى * ثُمَّ كَانَ ٣٨٣

في تفسير سورة الانسان ٣٨٥

[١ و ٢] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا ٣٨٥

[٣ و ٦] إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ ٣٨٦

[٧ و ١٣] يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى ٣٨٧

[١٤ و ١٧] وَدَلِيلَتُهُ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُطُوفُهَا تَذِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ٣٨٩

[١٨ و ١٩] غَنَاءًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ٣٩٠

[٢٠-٢١] وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَبِيماً وَمَلَكاً كَبِيراً * عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنُسُ حُضْرٌ ٣٩١

[٢٢] إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً ٣٩٣

[٢٣-٢٤] إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيماً أَوْ ٣٩٦

[٢٥-٢٨] وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * ٣٩٧

[٢٩-٣١] إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً * وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٣٩٨

في تفسير سورة المرسلات ٣٩٩

[١-٦] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّائِثَاتِ ٣٩٩

[٧-١٩] إِنَّمَا تُوْعَدُونَ تَوَاقِعَ * فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا ٤٠٠

[٢٠-٢٨] أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ * ٤٠٢

[٢٩-٣١] أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ * أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ٤٠٣

[٣٢-٣٧] إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَافْقَصٍ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا ٤٠٣

[٣٨-٤٠] هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ جَمْعَتَانِمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيَلَّ ٤٠٤

[٤١-٤٧] إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاقِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا ٤٠٥

[١٨-٥٠] وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ ٤٠٦

في تفسير سورة النبأ ٤٠٧

[١-٣] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ ٤٠٧

[٤ و٥] كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٤٠٨

[٦-١٦] أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا ٤٠٨

[١٧-٢٠] إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتْ ٤٠٩

[٢١-٢٦] إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَنَابًا * لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ ٤١١

[٢٧-٢٩] إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ ٤١٢

[٣٠-٣٦] فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا * إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَقَارًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * ٤١٢

[٣٧ و٣٨] رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ ٤١٤

[٣٩ و٤٠] ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ ٤١٥

في تفسير سورة النازعات ٤١٧

[١-١٤] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ ٤١٧

[١٥-٢٦] هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * أَذْهَبَ إِلَى ٤١٩

[٢٧-٣٣] أَهْ أَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَعْطَشَ لِبَنَاهَا ٤٢١

[٣٤-٤١] فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُورَتْ ٤٢٢

[٤٢-٤٦] يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ ٤٢٣

في تفسير سورة عبس ٤٢٥

[١٠-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّةُ ٤٢٥

[١١-١٦] كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مُرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * ٤٢٧

[١٧-٢٣] قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَتَعَزَّزُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْقٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ ٤٢٨

[٢٤-٣١] فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَلَمَّْا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * ٤٢٩

[٣٢-٣٧] مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَعْمَالِكُمْ * فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * ٤٣٠

[٣٨-٤٢] وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُنْفِرَةٌ * صَاحِكَةٌ مُنْتَبِهَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * ٤٣١

في تفسير سورة التكويد ٤٣٣

[١-١٨] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا ٤٣٣

[١٩-٢١] إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ ٤٣٦

[٢٢-٢٩] وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمِيْنِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ ٤٣٧

في تفسير سورة الانفطار ٤٣٩

[١-٨] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ * وَإِذَا ٤٣٩

[٩-١٢] كَلَّا بَلْ تُكَذَّبُونَ بِالْأَدْنِ * وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ ٤٤٠

[١٣-١٩] إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنْ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا ٤٤١

في تفسير سورة المطففين

[١-٦] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَنِلْ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَخْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٤٤٣

[٧-١٣] كَلَّا إِنْ يَكْتَلِبُ الْفُجَّارَ لَفِي سَجِينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٍ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * ٤٤٥

[١٤] كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٤٤٦

[١٥-١٧] كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ ٤٤٧

[١٨-٢١] كَلَّا إِنْ يَكْتَلِبُ الْأَبْرَارَ لَفِي عِلِّيْنِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيْنِ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * ٤٤٧

[٢٢-٢٦] إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةً ٤٤٩

[٢٧-٣٣] وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ * إِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا ٤٤٩

[٣١-٣٦] فَايَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ ٤٥١

في تفسير سورة الانشقاق ٤٥٣

[١-٦] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ * وَإِذَا ٤٥٣

- [١٨-٧] لَمَّا مَن أَوْتَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَّسِيرًا * وَيَغْلِبُ إِلَى ٤٥٤
- [١٩] لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ٤٥٥
- [٢٥-٢٠] فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ٤٥٦
- في تفسير سورة البروج ٤٥٩
- [٤-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ ٤٥٩
- [٩-٥] النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٦٤
- [١٠] إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ * وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ ٤٦٥
- [١٦-١١] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ ٤٦٥
- [٢٢-١٧] هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ٤٦٦
- في تفسير سورة الطارق ٤٦٩
- [٣-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ ٤٦٩
- [١٠-٤] إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٤٧٠
- [١٧-١١] وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ * وَمَا هُوَ ٤٧١
- في تفسير سورة الأعلى ٤٧٣
- [١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُبْحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى ٤٧٣
- [٥-٢] الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ ٤٧٤
- [٨-٦] سَفَرِنَاكَ فَلَا تَنْسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ * وَيُخَوِّفُ ٤٧٤
- [١٣-٩] أَفَذَكَّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ * سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي ٤٧٥
- [١٩-١٤] أَفَذَلَحَ مَن تَرَكُنِي * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْذِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ٤٧٦
- في تفسير سورة الغاشية ٤٧٩
- [٧-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ ٤٧٩
- [١٦-٨] وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَافِيَةً ٤٨٠
- [٢٠-١٧] أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٤٨١
- [٢٦-٢١] أَفَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَبِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ * ٤٨٢
- في تفسير سورة الفجر ٤٨٥
- [٥-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشُّعْرِ وَالْوُثْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا ٤٨٥
- [١٠-٦] أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * آلِي لَمْ يَخْلُقْ مِنْهَا فِي ٤٨٧
- [١٤-١١] الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ ٤٨٨

[١٨-١٥] إِنَّمَا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ٤٨٩

[٢٦-١٩] وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَنْفُسُ ٤٩٠

[٣٠-٢٧] إِنَّا أَنبِئُهَا النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ * أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي ٤٩١

في تفسير سورة البلد ٤٩٣

[٥-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ ٤٩٣

[٤] أَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ٤٩٤

[٧-٥] أَلَيْسَ خِشْيُوكَ أَنَّ لَنْ يَغْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيْخَسِبُ أَنْ ٤٩٤

[١٦-٨] أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ ٤٩٥

[٢٠-١٧] ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ ٤٩٦

في تفسير سورة الشمس ٤٩٩

[٨-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها * وَالنَّهَارِ إِذَا ٤٩٩

[١٠ و ٩] قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَها * وَقَدْ خَلَبَ مَنْ دَسَّها ٥٠٠

[١٥-١١] كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ ٥٠٠

في تفسير سورة الليل ٥٠٣

[٤-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ ٥٠٣

[١١-٥] إِنَّمَا مَنْ أَعْطَى وَآتَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ ٥٠٤

[١٣-١٢] إِلَّا عَيْنًا لِلْهَدَى * وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ٥٠٦

[١٣-١٢] إِنَّمَا نَنْزَلُكَ نَارًا تَلْقَى * لَا يَضِلُّهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ٥٠٦

[٢٠-١٩] وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ٥٠٧

[٢١] وَلَسَوْفَ يَرْضَى ٥٠٩

في تفسير سورة الضحى ٥١١

[٢-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ٥١١

[٥-٣] مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ * وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ ٥١٢

[٨-٦] أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا ٥١٤

[١١-٩] إِنَّمَا الْإِنْسَانُ نَجَسٌ * وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا ٥١٧

في تفسير سورة الشرح ٥١٩

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ تُنْشِخْ لَكَ صَدْرَكَ ٥١٩

[٤-٢] وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * أَلَيْسَ أَنْتَقَضَ ظَهْرُكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ٥٢٠

[٦٥] إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٥٢٠

[٨٧] إِنْ يَدَاكَ فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ٥٢١

في تفسير سورة التين ٥٢٣

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ٥٢٣

[٣ و ٢] وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٥٢٤

[٥ و ٤] لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥٢٥

[٦ و ٧] إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ ٥٢٥

[٨] أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ٥٢٦

في تفسير سورة العلق ٥٢٧

[١ و ٢] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَفَرَأَىٰ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٥٢٧

[٣ و ٧] أَفَرَأَىٰ وَرَبُّكَ الْأَخْرَمَ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ ٥٢٨

[٨-١٠] إِنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ٥٢٩

[١١-١٥] أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ٥٣٠

[١٦-١٨] إِنَّا صَبَّحَهُ كَذِيبَةً خَاطِئَةٍ * فَلْنَبْحَثْ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ٥٣١

[١٩] كَلَّا لَا تَطِيعُ وَلَا تُجِدُ وَاقْرَبْ ٥٣٢

في تفسير سورة القدر ٥٣٥

[١ و ٢] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٥٣٥

[٣] لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٥٣٧

[٤] نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ٥٣٩

[٥] سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥٤١

في تفسير سورة البينة

[١-٣] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ٥٤٣

[٤ و ٥] وَمَا تَقْرَأُ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا ٥٤٤

[٦ و ٧] إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ٥٤٥

[٨] جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جُنَّتْ عَذَابُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ٥٤٦

في تفسير سورة الزلزال ٥٤٩

[١-٤] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٥٤٩

[٥-٨] بِإِنِّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ الثُّلُسَ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ ٥٥١

- في تفسير سورة العاديات..... ٥٥٣
- [٥-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ ٥٥٣
- [١١-٦] إِلَّا الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * ٥٥٨
- في تفسير سورة القارعة..... ٥٦١
- [٥-١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ ٥٦١
- [١١-٦] فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * ٥٦٢
- في تفسير سورة التكاثر..... ٥٦٣
- [٢ و ١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٥٦٣
- [٦-٣] كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * ٥٦٤
- [٨ و ٧] ثُمَّ لَنَرَّوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٥٦٥
- في تفسير سورة العصر..... ٥٦٩
- [١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ ٥٦٩
- [٢ و ٣] إِلَّا الْإِنْسَانَ لَقَىٰ خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا ٥٧٠
- في تفسير سورة الهزعة..... ٥٧٣
- [١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَنِلْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةً ٥٧٣
- [٤-٢] الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا كَيْتَبَدُّ فِي ٥٧٣
- [٩-٥] وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ * نَارَ لَهْلِ الْمُوقَدَةِ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَىٰ الْأُفُقِ * إِنَّهَا ٥٧٤
- في تفسير سورة الفيل..... ٥٧٧
- [١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ٥٧٧
- [٥-٢] أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ ٥٧٩
- في تفسير سورة قريش..... ٥٨٣
- [٢ و ١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ * إِلَّافِهِمْ رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ ٥٨٣
- [٤ و ٣] فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْآلِهَتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ٥٨٤
- في تفسير سورة الماعون..... ٥٨٧
- [٣ و ١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ الَّذِي يُدْعُ ٥٨٧
- [٧-٤] قَوْلًا لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * ٥٨٨
- في تفسير سورة الكوثر..... ٥٩١
- [١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ٥٩١

[٢٠٣] فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٥٩٣

في تفسير سورة الكافرون ٥٩٧

[٥٠١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٥٩٧

[٦] لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٥٩٨

في تفسير سورة النصر ٦٠١

[٢٠١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ ٦٠١

[٣] فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ٦٠٤

في تفسير سورة المسد ٦٠٧

[٢٠١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثَبِّتْ يَدَايَ أَهْلِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ... ٦٠٧

[٣] سَيُضِلُّنَا نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٦١٠

[٤] وَأَمْرَأَتُهُ خَمَّالَةٌ الْحَطَبِ ٦١١

[٥] فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٦١٢

في تفسير سورة الإخلاص ٦١٣

[٤٠١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٦١٣

في تفسير سورة الفلق ٦٢١

[٢٠١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٦٢١

[٣] وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٦٢٣

[٥-٤] وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٦٢٣

في تفسير سورة الناس ٦٢٥

[٥٠١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ ٦٢٥

[٦] مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦٢٥